

● لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟

● .. ولماذا نصادر هذه الكتب؟!

● قصيدة جديدة لمحمود درويش

من روائع الأدب العالمي

النورس الرمادي

لماذا نصادر هذه الكتب؟

ولماذا لا نواجه الأفكار بالأفكار والعقول بالعقول؟

بقلم : رجاء النقاش

بالتجربة ... ثبت ان كل كتاب نصادره يزداد انتشارا ويصبح عزيزا عند كل قارىء ... وبالتجربة ايضا ... ثبت ان محاربة الافكار لا تكون إلا بافكار اخرى ... وخير ما يواجه العقول إنما هى عقول مشابهة ترد وتناقش وتحاور وتجادل بالتى هى احسن ... ومن هنا نتساءل لماذا صدر قرار بمصادرة هذين الكتابين ... وغيرهما من الكتب الاخرى التى اصبحت ممنوعة بقرار رسمى واضح ، او قرار سرى مجهول المصدر ؟

لقد اثبتت حقائق الحياة الفكرية فى العصر الحديث ، بل وقبل ذلك ايضا ، ان اكثر الكتب انتشارا ، هى الكتب التى تتعرض للمصادرة ، حيث لم تنجح المصادرة ابدا فى حجب فكرة او منعها او الوقوف فى وجهها .

واذكر فى هذا المجال تجربة وقعت سنة ١٩٦٨ ، عندما صدر فى مصر قرار بمصادرة قصيدة « نزار قبانى » المعروفة « هوامش على دفتر النكسة » والتى كتبها الشاعر من وحى انفعاله وانفعال الامة العربية كلها بهزيمة ١٩٦٧ . لقد رات الرقابة التى كانت مفروضة على الصحف والكتب فى مصر ـ بسبب ظروف الحرب ـ ان قصيدة « نزار قبانى » تعبر عن افكار تنطوى على تعريض ونقد لمصر ونظام الحكم فيها ، ولذلك قررت الرقابة مصادرة القصيدة ، وفى فترة المصادرة التى تعرضت لها القصيدة ، كانت هذه القصيدة تنتشر بين الناس بسرعة عجيبة ، وكانها النار فى يوم عاصف ، ذلك لان الناس كانت تنقل القصيدة بخط يدها ، وكان الكثيرون ينقلون نسخة لانفسهم ونسخة اخرى يوزعونها على اصدقائهم ، إحساسا منهم بانهم يقومون ـ من خلال هذا العمل البسيط ـ بكشف النكسة وفضح بعض الاسباب الكامنة وراءها ، وهكذا اصبحت النسخ المخطوطة من القصيدة تفوق فى عددها اى نسخ مطبوعة .

عبد الناصر ونزار قبانى

على ان مصادرة القصيدة لم تستمر، فقد التقيت بنزار قبانى فى بيروت فى تلك الفترة ووجدته منفعلا غاضبا لقرار المصادرة ، وللحملة التى كان يشنها عليه ـ بسبب القصيدة ـ عدد من كتاب مصر وعلى راسهم المرحومان : يوسف السباعى وصالح جودت واشرت على « نزار قبانى » بكتابة رسالة إلى



غلاف كتاب «المسلمون والاقباط في الجماعة الوطنية» لطارق البشري ، وهو الضحية الأولى التي تعرضت للمنع والمصادرة وكان المفروض على العكس أن يكافىء المؤلف على كتابه العظيم .



غلاف كتاب «مقدمة في فقه اللغة العربية» للدكتور لويس عوض ، ورغم ما في الكتاب من آراء نعترض عليها أشد الاعتراض ، إلا أن في الكتاب جهدا علميا كبيرا ، ومواجهة ما في الكتاب من آراء خاطئة يكون بالجدل والحوار ، وليس بالمصادرة .

في الشعر الجاهلي

تأليف

طه حسين

الطبعة الأولى من كتاب الدكتور طه حسين «في الشعر الجاهلي» وقد صدرت هذه الطبعة سنة ١٩٢٦ ، وصدر بعدها عشرة كتب على الأقل في الرد على هذا الكتاب ومناقشته وتفنيد ما ورد فيه من آراء .

الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» ، وكتب «نزار» رسالة جميلة ومؤثرة وجريئة وحملت الرسالة معي إلى مصر ، وسلمتها - عن طريق بعض الأصدقاء - إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة ، ووصلت الرسالة إلى عبد الناصر ، وكان لها تأثيرها السريع ، وطلب مني الصديق الكبير النبيل الأستاذ محمد فايق الذي كان وزيرا للاعلام في ذلك الحين أن أبلغ نزار قباني بقرار عبد الناصر ، الذي ألغى المصادرة وألغى كل إجراء ضد نزار وقصائده ، واطلعني الأستاذ فايق على تعليق عبد الناصر بخط يده على رسالة نزار ، وفيه يقول عبد الناصر ما معناه - فأنا لا أذكر الآن نص التعليق : يلغى قرار مصادرة القصيدة ولا تتخذ أي اجراءات ضد نزار قباني .

وكان محمد فائق نفسه ضد المصادرة ومع حرية الفكر .

على أن قرار عبد الناصر مع ذلك جاء بعد أن أصبحت القصيدة في فترة منعها موجودة في أيدي الناس على نطاق واسع .

بين كافور والمتنبي

وإذا كانت «المصادرة» في العصر الحديث غير مجدية ، حيث أصبحت أجهزة الاتصال من تليفزيون وإذاعة ونشر و «كاسيتات» وغير ذلك ميسورة ، مما يتيح لأي فكرة أن تنتقل بسهولة بين الناس ... إذا كان هذا صحيحا في العصر الحديث ، فقد كان الأمر على نفس الصورة في العصور القديمة ، حيث لم تكن هناك تلك الأجهزة المتطورة ، التي تجعل وصول الكلمة ميسورا إلى الناس سواء كانت هذه الكلمة مسموحا بها أو كانت ممنوعة ومصادرة .

ويكفي أن نذكر مثالا معروفا في تاريخ الأدب العربي ، وهو مثال «المتنبي» في قصيدته العنيفة الشهيرة ضد «كافور الإخشيدي» ، والتي كان مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟

لقد «هرب» المتنبي من مصر ، وترك هذه القصيدة الهجائية المريرة في بيته الذي كان يقيم فيه بالفسطاط ، وهي الحي الذي نسميه الآن باسم «مصر القديمة» ، وكان «كافور» حاكما قويا ، وقد حاول - بكل قوته ونفوذه - أن يطارد المتنبي ليقبض عليه ولكنه عجز عن ذلك ، فقد أفلت منه الشاعر في عملية هروب رائعة منظمة أشد التنظيم على أن «كافور» لم يعجز عن مطاردة الشاعر ورده إلى مصر فقط ، بل عجز عن منع انتشار القصيدة التي كتبها المتنبي ، ولم يترك منها في مصر - كما روت بعض المصادر - سوى نسخة واحدة ، وهذه النسخة الواحدة أصبحت آلافا من النسخ ، وانتشرت القصيدة وحفظها الناس في عصرها ، وبعد عصرها ، ومازالت إلى اليوم قصيدة محفوظة ومشهورة رغم مرور أكثر من ألف سنة على كتابتها .

وهكذا فإن «المصادرة» - بالدليل الواقعي - لم تكن في يوم من الأيام وسيلة ناجحة في منع الفكرة أو الكلمة من الانتشار والذيوع ، وليس من سبيل سليم لمواجهة الكلمة إلا بكلمة مثلها ، والفكرة بفكرة مقابلة .

طه حسين في العاصفة

ولاشك أن الجيل السابق في تاريخنا الأدبي والفكري كان يدرك هذا المعنى أكثر مما ندركه نحن في هذا الجيل ، فعندما أصدر «طه حسين» سنة ١٩٢٦ كتابه المعروف «في الشعر الجاهلي» ، كان هناك من يطالبون بمصادرة الكتاب ومحاكمة المؤلف ، ولكن المثقفين أنفسهم رفضوا فكرة المصادرة والمنع ، وتصدوا لطه حسين يناقشونه بعنف وقوة ، وصدرت على الفور عدة كتب ترد على كتاب طه حسين ، وتفند ما جاء فيه من آراء ، وقد بلغت هذه الكتب التي صدرت في الرد على كتاب طه حسين ما يقرب من عشرة كتب ، من بينها كتاب «تحت راية القرآن» للأديب العربي الكبير «مصطفى صادق الرافعي» ، ومن بينها كتب أخرى للشيخ «محمد الخضر حسين» ، والدكتور «محمد الغمراوي» والدكتور «نجيب البهبيتي» والدكتور «ناصر الدين الأسد» ، والأستاذ «محمود محمد شاكر» في مقدمة الطبعة الجديدة من كتابه عن المتنبي ، وقد قام الأستاذ شاكر بالسفر إلى السعودية ليعيش في نفس البيئة التي عاش فيها شعراء الجاهلية ، وليجمع الأدلة الواقعية الدقيقة ضد رأي طه حسين صحيح أن طه حسين قد اضطر إلى سحب الطبعة الأولى من كتابه ، ثم قام بإجراء بعض التعديلات فيه وغير اسمه الأصلي وهو «في الشعر الجاهلي» إلى اسمه المعروف به الآن وهو «في الأدب الجاهلي» ، ولكن الرأي السائد هو أن طه حسين

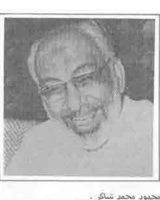




عبد الناصر .
لم يوافق على مصادرة قصيدة نزار قباني



محمد فايق .
موقف فى صف الحرية الفكرية



محمود محمد شاكر .
سافر الى السعودية ليبحث عن ادلة علمية واقعية ضد كتاب « الشعر الجاهلى »

لماذا نصادر هذه الكتب؟

لم يغير جوهر نظريته فى الشعر الجاهلى ، وهى النظرية التى اشبعها الباحثون نقدا وتفنيدا ، وكشفوا عن جوانب الخلل والخطا فيها ، وكشفوا ايضا ان نظرية طه حسين هذه ، إنما هى فى الأصل نظرية المستشرق الاوروبى « مار جليوث » ، وكانت هذه الردود العلمية على طه حسين فضل وانفع واكرم للعقل العربى من قرار يتخذه موظف مهما علا شانه بمصادرة الكتاب .

حكاية المطار السرى

لعلنا بهذه المقدمة نكون قد اطلنا على القراء ، ولم ندخل بعد فى صلب الموضوع ، فالقضية التى اريد ان اثيرها اليوم هى قضية « قرار » بمصادرة كتابين كبيرين هما : « المسلمون والاقباط فى إطار الجماعة الوطنية » للاستاذ « طارق البشرى » ، والثانى هو « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور « لويس عوض » ، وقد سمعت ان هناك قرارات بمصادرة عدد اخر من الكتب ، ولكننى ساتوقف عند الكتابين اللذين اشرت إليهما ، وساجعل حديثى مركزا على هذين الكتابين دون غيرهما ، وما ينطبق على هذين الكتابين ينطبق على الكتب الاخرى .

واول ما يلفت النظر فى الامر ، ان هناك بعض الأخطاء الشكلية فى قرار المصادرة . واول هذه الاخطاء ، ان الكتابين معا قد صدرا عن هيئة رسمية هى « الهيئة المصرية العامة للكتاب » ، اى ان الكتابين لم يصدرا عن جهة مجهولة ، او جهة مشبوهة أو متهمة ، فهيئة الكتاب مؤسسة تابعة لوزارة الثقافة المصرية ، والمفروض ان هذه الهيئة لا تسمح بصدور كتب تحمل اسمها ، دون ان تكون قد مرت بعملية مراجعة وتقييم ، بحيث يكون النشر نتيجة لقرار مدروس هو ان هذه الكتب لا خطر منها على البلاد او على الراى العام ، ولا معنى لان تصدر هيئة الكتاب فى وزارة الثقافة اعمالا ، تقوم إدارة اخرى فى وزارة الثقافة نفسها بمصادرتها ، فهذا امر يستحق المراجعة بل ويستحق إجراء تحقيق رسمى فيه من جانب وزير الثقافة المصرى ، الاستاذ محمد عبد الحميد رضوان ، وهو شاب نشيط متحمس ، لا اظن انه يعمل مثل هذا التضارب فى القرارات .

هذه هى « العجيبة » الاولى فى امر مصادرة الكتابين ، فاما ان هيئة الكتاب كانت تدرى بما فى الكتابين من اخطاء ـ إن كان هناك مثل هذه الاخطاء ـ ومع ذلك فقد سمحت بنشرهما ، او ان الهيئة لا تدرى بما فى الكتابين من اخطاء وهنا يصح قول الشاعر العربى :

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة
او كنت تدرى فالمصيبة اعظم

اما العجيبة الثانية فى قرار المصادرة بالنسبة لهذين الكتابين ، فهى ان « القرار » نفسه ليس « معلنا » ، بل قرار « داخلى » يقضى بمنع الهيئة من توزيع الكتابين اللذين قامت الهيئة نفسها بطبعهما ، ومعنى اصدار هذا القرار فى « الخفاء » ان هناك نوعا من عدم الاقتناع بالقرار ، والاحساس بان القرار غير سليم .

والعجيبة الثالثة فى هذا القرار ، ان الجميع يعلمون به ، فى الأوساط الثقافية ، رغم انه قرار « خفى غير معلن » ... ولعل ذلك يذكرنا بالقول المشهور بانه « لا شىء يخفى فى مصر » ، ويذكرنا ايضا بالنكتة الواقعية المعروفة ، حيث كان سائق « الاتوبيس » يقف فى إحدى المحطات ليعلن للركاب باعلى صوته : هنا محطة المطار السرى !

كتاب عظيم

نعود بعد ذلك كله إلى الكتابين نفسهما لنسال عن القضية الجوهرية وهى : ما السبب فى مصادرة الكتابين ؟!

اما الكتاب الاول ، وهو « الاقباط والمسلمون فى إطار الجماعة الوطنية » فهو بحق احد الكتب « العظيمة » ، وعندما اقول إنه كتاب عظيم فانا لا ابالغ ولا انافق مؤلفه الفاضل الذى لا يملك لى ولا لغيرى شيئا ، بل لعله لا يملك لنفسه شيئا ، فهو إنسان متواضع اشد التواضع ، مخلص إلى ابعد درجات الاخلاص ، لا يسعى لمنصب أوجاه او سلطة ، وهو يعمل فى هذا الكتاب منذ اكثر من عشر سنوات ، اى قبل ان تندلع نيران ما سمى بالفتنة الطائفية ، والمؤلف طارق البشرى ، مؤرخ جديد يتمتع بالعمق والموهبة والصبر على البحث والكشف العلمى والدراسة التى تبحث عن الجذور ولا تهيم فوق سطح الموضوعات او تعشق الكلمات البراقة التى ليس عليها دليل من التاريخ او من العلم الصحيح ، والكتاب كله فى صفحاته التى تبلغ ٧٦٢ صفحة من الحجم الكبير يقوم على إثبات نظرية اساسية هى ان « الوطنية » قد جمعت بين اهل مصر ـ باغلبيتها المسلمة واقليتها القبطية ـ على اعمق صورة ، وانه ما من خلاف نشا بين المسلمين والاقباط على ارض مصر إلا وكان ـ بالدليل القاطع ـ عملا



مصطفى صادق الرافعى .
دخل فى معركة مع طه حسين تحت راية القرآن



عبد الوهاب الكيالى .
وافق على نشر الكتاب رغم معارضته لمضمونه



لويس عوض .
ليس حزبا ولا دولة ولكنه مفكر يخطىء ويصيب

يحركه عنصر خارجى لا علاقة للشعب به ، ولا مصلحة له فيه . ويؤكد طارق البشرى فى صفحات كتابه على أن المسلمين والمسيحيين فى مصر قد انصهروا فى مضمون الحركة الوطنية حيث أصبح واضحا أمام الجميع « أن تحرير مصر لم يعد متصورا إلا فى إطار حركة تحرر عربى شاملة ، وأن الحفاظ على مصر لم يعد متصورا إلا فى انتمائها إلى الجامعة الوطنية العربية وإعلاء شأن « القومية المصرية » لن يفيد الا أن تنعزل مصر لينفرد بها أعداؤها ، وضرب فكرة العروبة ، وهى الفكرة التى تجمع بين المسلمين والاقباط ، لن ينتج حفاظا على مصر » .

هذه هى فكرة الكاتب المؤرخ طارق البشرى ، وهى الفكرة التى غاص من أجلها فى الوثائق والمراجع ، وقدم عليها ـ بروح علمية بالغة الأمانة والدقة والسمو ـ أدلة حاسمة ، وعالجها بأسلوب واضح موضوعى لا تطرف فيه ولا صخب .

فماذا نأخذ على هذا الكتاب أو على صاحبه . ؟

ألم يكن من الأجدر أن نحتضن الكتاب والمؤلف ، ونضعهما فى عيوننا ، ونكافئهما بأحسن الجزاء ، ونقول لمؤلف الكتاب : سلمت يا طارق البشرى وسلم قلبك النبيل وعقلك الكبير وعلمك الغزير وتواضعك الغالى لكى تنفع أمتك بثقافتك ووطنيتك وأمانتك . ؟ ! ، بدلا من أن نفعل ذلك أصدرنا هذا القرار الخفى الغريب ، الذى لا ينفع وإنما يضر ، وهو قرار يقضى بمنع تداول الكتاب .

ولنفترض أن فى الكتاب بعض ما يستحق التعديل والمناقشة ، فلماذا لا نناقش المؤلف ونعترض على ما قد نراه خطأ فى البحث والفهم والتقدير ، وأنا لم أجد شيئا من هذا الخطأ ، ولكن غيرى قد يجدون فيه هذا الخطأ ، وعليهم فى هذه الحالة أن ينتقدوا الكتاب ويعترضوا عليه ويناقشوه . إن الكتاب ليس بيانا رسميا صادرا من الدولة ، وليس قرآنا منزلا من السماء ، بل هو جهد علمى لكاتب ومؤرخ أصيل ، من الطبيعى أن يخطىء ويصيب ، ومن الطبيعى أن يحاوره ويعترض عليه الذين يخالفونه فى الرأى لا أن يصادروه ويمنعوه .

الحوار لا المصادرة

تأتى بعد ذلك إلى الكتاب الثانى وهو « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للكاتب الكبير الدكتور لويس عوض ، وهو أيضا كتاب بذل فيه مؤلفه جهد سنوات طويلة مضنية ، وصدر الكتاب فى أكثر من ستمائة وخمسين صفحة من الحجم الكبير . ولقد أتيح لى أن أقرأ هذا الكتاب وهو «مخطوط» بل لقد تحمست لنشره منذ ما يقرب من عشر سنوات ، وقدمته إلى صديقى شهيد الفكر والثقافة المرحوم الدكتور عبد الوهاب الكيالى ، الذى اغتاله أعداء وطننا منذ شهور قليلة فى مكتبه ببيروت ، واقتنعت الكيالى بنشر الكتاب ، فاشتراه بالفعل من الدكتور لويس عوض ، وبدأ يستعد لنشره رغم اعتراضه على ما كان يتضمنه من آراء ، ولم يمنعه من ذلك إلا صعوبة نشره ، لما يمتلىء به من حروف يونانية قديمة ، كان من العسير أن تتوفر فى معظم مطابع الوطن العربى ، ولذلك لم يتمكن الكيالى من نشر الكتاب بعد محاولات عديدة ، واستطاعت هيئة الكتاب فى مصر أن تطبع الكتاب بعد أن تمكنت من توفير الحروف اليونانية القديمة ، ولعلها حصلت على هذه الحروف ـ فقط ـ من أجل إصدار هذا الكتاب وحده لأنها حروف « غير متداولة » حتى فى اللغة اليونانية الحديثة نفسها ، وصاحب الفضل فى طبع الكتاب هو الشاعر الكبير المرحوم صلاح عبد الصبور ، عندما كان رئيسا لهيئة الكتاب فى مصر .

وقد يندهش القارىء بعد ذلك كله ، إذا قلت إننى كنت منذ أن قرأت الكتاب مخطوطا أعارض كل المعارضة ما يطرحه الكتاب من أفكار ، فالكتاب فى النهاية هو دفاع علمى عن وجهة النظر المعروفة للدكتور لويس عوض ، والتى أرفضها كل الرفض جملة وتفصيلا ، وهى وجهة النظر التى تقول : إن الحضارة العربية بأدبها وفلسفتها وعلومها ولغتها وعمرانها وكل شىء فيها ليست حضارة أصيلة ، وإنما هى حضارة «منقولة» عن الغرب ، وقد ناقشت الجوانب السياسية والفكرية لهذه النظرية فى كتابى « الانعزاليون فى مصر » ، ولذلك فلن أعود إلى هذا الجانب من القضية ، كما أننى لا أرى أن مقالى اليوم هو المجال المناسب لمناقشة هذه القضية ، فالقضية التى أطرحها ، هى حرية الكتاب والمفكرين فى التعبير عن آرائهم ، حتى لو كان هناك اعتراض على هذه الآراء . حقا إننى واحد من أشد المعارضين والمعترضين على كتاب الدكتور لويس عوض ، وعلى آرائه التى يطرحها فى هذا الكتاب عن اللغة العربية ، ولكننى لا أفهم ولا أوافق أبدا على مصادرة الكتاب .

فالدكتور لويس ليس حزبا ولا دولة ولا يملك قوة مسلحة . وإنما يملك قلمه وفكره .

ومن حق الدكتور لويس أن يعبر عن آرائه ، ولسوف يجد بين المفكرين العرب المعاصرين من ذوى العلم الغزير والكفاءة

العالية من يستطيعون التصدى لارائه وتفنيدها ، ولن يكون الدكتور لويس عوض اخطر نفوذا لدى الراى العام الفكرى فى الوطن العربى من طه حسين ، الـذى حين اخطأ فى كتابه عن « الشعر الجاهلى » وجد من يردونه ويردون عليه ، وجاءت نتيجة الحوار العنيف بين طه حسين ومعارضيه مكسبا للعقل العربى والثقافة العربية ، ولقد « تشكك » الدكتـــور طــه حسين فى « الادب الجاهلى » وقدم بعض الادلة على ان هذا الادب الذى نسميه باسم الادب الجاهلى ، لا علاقة له بالجاهلية ، بل هو ادب « منتحل » او « مزيف » ، وكان شك الدكتور طه حسين فى الادب الجاهلى ، سببا فى ان يتفرغ بعض العلماء والادباء لتقديم ادلة علمية بالغة العمق والدقة ، ساندت الادب الجاهلى ، واثبتت وجوده وصدقه ، وكان شك الدكتور طه حسين بادلته الضعيفة المحدودة ، خيرا على الادب العربى وتاريخه ، ولم يكن شرا على احد .

الفصحى والفار الكبير

على ان الحرب على اللغة العربية بالذات ، ليست جديدة ، وكتاب الدكتور لويس عوض ليس اول كتاب « يحمل » على اللغة العربية ، وإن كان واحدا من اهم الكتب واخطرها فى هذا المجال . فمنذ اواخر القرن الماضى والحملة على اللغة العربية قائمة ، وقد اشترك فيها عدد من كبار علماء اوروبا الذين عملوا فى الشرق . مثـــــل « سبيتا » الالمانى فى كتابه « قواعد اللغة العامية فى مصر » ، والدكتـــور « كارل فولرس » الالمانى ايضا فى كتابه « اللهجـة العربية الحديثة فى مصر » ، و « وليم ويلكوكس » الانجليزى فى محاضرته التى كانت بعنوان « لماذا لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين » ، وهذا المستشرق الاخير بالذات ربط « قوة الاختراع عند المصريين » بضرورة تغيير اللغة العربية والكتابة باللجهة العاميـــــة ، حيث قـــال بصريح العبارة : « إنكم ايها المصريون لن تزالوا قادرين على ايجاد قوة الاختراع لديكم كما فعلت انجلترا ، فانه يوجد فيكم اناس كثيرون توفرت فيهم الشروط – الضرورية لذلك – ، ولكن بسبب عدم وجود لسان علمى مشهور فيما بينكم ، لم تتحصلوا على شىء ، واضعتم اعمالكم سدى ، والسبب فى ذلك ان الكتب الدنيوية يؤلفها اربابها بكلام مثل الجبال ، وفى اخر الامر لا يلد هذا الكلام الصعب إلا فارا صغيرا ، وما نشا ذلك إلا من كون اللسان العلمى غير مشهور فيما بين العامة . فبمجرد وضع الافكار فى الكتب -باللغة العربية الفصيحة- تموت ولا تعود إلى الحياة ، فكانهم يكفنونها فى الورق ويدفنونها فى جلود » ..

والحل عند هذا المستشرق هو فى اللهجة العامية المصرية ... وهكذا يتم انقاذ مصر – فى نظره – من العروبة ولغتها الفصيحة ، ويتم – ايضا – دخولها فى مجال التقدم العصرى الاوروبى .

على ان المســـــالة لم تقتصر على المستشرقين الاوروبين ، فقد كان هناك مفكرون عرب نـادوا بنفس الافكار ، وفى مقدمتهم الكاتب الكبير سلامة موسى الذى اصدر سنة ١٩٤٥ كتابا بعنوان « البلاغة العربية واللغة العصرية » وفى هذا الكتاب يقول بصراحة كاملة : « نحن بين اختيارين :

١ – إما ان نهلك ونبيد ، كمـــا بـــاد الديناصور ، إذا التزمنا عاداتنا الذهنية والاجتماعية والثقافية لا نغيرها .

٢ – وإما ان نعين لشعبنا ، وسائر العرب افاق التطور البشرية ، يتطلعون إليهـــا وينشدونها ويسبقون لها ، فنبقى ونحيا .

ووسيلة البقاء والحياة فى عصرنا هى العلم والصناعة .

ولا سبيل إلى الصناعة بغير العلم .

ولا سبيل إلى العلم بغير الحــــروف اللاتينية » .

اى ان سلامة موسى يدعــو العرب بصراحة إلى تغيير الكتابة بالحروف العربية إلى الكتابة بالحروف اللاتينية كما فعل الاتراك ، فى لغتهم التى كانوا يكتبونها بالحروف العربية ، فغيروا ذلك وكتبوها بالحروف اللاتينية منذ الثلاثينات إلى اليوم . ولم يستفيدوا من ذلك شيئا سوى ان يخسروا ارتباطهم بالعالم العربى وفى ذلك للاتراك خسران مبين .

المجادلة بالحسنى

فالدكتور لويس عوض إذن ، يقدم لنا كتابه الكبير « مقدمة فى فقه اللغة العربية » فى نفس الاطار الذى سبقه إليه مفكرون كبار من الشرق والغرب على السواء ، ومع ذلك لم يطالب احد بمصادرة كتبهم ، بل لقيت هذه الكتب والاراء مناقشات واسعة عنيفة ، ترد عليها ، وتواجه حجتها بحجج اخرى قوية ، ولم ينهدم صرح اللغة العربية ، لمجرد ان كاتبا كبيرا مثل « سلامة موسى » هاجمها ودعا إلى تغيير حروفها إلى الحروف اللاتينية ، ولم ينهدم صرح اللغة العربية لان مفكرا انجليزيا ذكيا مثل « ويلكوكس » دعا إلى إحلال العامية محل الفصحى ، كل هذه الاراء واجهتها اراء اخرى ، كسبت للغة العربية حججا قوية دقيقة ، ساندتها ووقفت فى صفها وجعلت قضيتها اقوى واشد .

وهذا ما يجب ان نفعله مع كتاب الدكتور « لويس عوض » فالمصادرة لا جدوى منها ولا معنى لها ولا يمكن ان تمنع ما فى الكتاب من افكار ، ولا ان تقنع احدا بخطا هذه الافكار ، والطريقة الصحيحة الوحيدة ، هى ان نسمح بظهور الكتاب ، وان نترك الامر لعلماء اللغة والسياسة والحضارة ليردوا عليه ، والامة العربية غنية بالقادرين على محاورة الدكتور لويس عوض بالحجة والعقل والراى ، مهما كان فى كتابه من العمق والجهد العلمى – والعقل العربى لم يعد قاصرا ، والراى العام العربى ليس طفلا صغيرا بحاجة إلى من يحميه بمنع الافكار عنه خوفا من الضرر والاذى .

واكرر هنا اننى اختلف مع الدكتور لويس عوض ، جملة وتفصيلا . فى كتابه الكبير ، ولكننى ارى فى نفس الوقت ان المصادرة خطا ، وفيها الكثير من التجنى على الثقافة العربية المعاصرة ، كما ان من الخطا ايضا ان نستسلم – بجانب المصادرة – إلى ذلك الاسلوب السهل فى وصف رجل مثل الدكتور لويس عوض بانه « متامر » وانه « عميل فكرى » للغرب وما إلى ذلك من الشطط فى الفهم والتقدير والتعبير ، إن المعركة فى جوهرها معركة فكرية ، والدكتور لويس صاحب راى وجهد واجتهاد ، والحل هو مواجهة رايه براى اخر يرد عليه ويفند حججه ويثبت ما فيها من خروج على الصواب .

هذا هو الطريق الصحيح امام الفكر العربى ولا طريق سواه ، حتى ننهض وننمو ونتقدم .

فالمصادرة لا خير فيها ولا نفع منها .

والحل هو المحاورة ، ومواجهة العقل بالعقل ، والاخذ بالمبدا القرانى العظيم : « وجادلهم بالتى هى احسن » .

صدق الله العظيم .

رجــاء النقاش



شهريات

يوسف إدريس



محاكم التفتيش العربية والأجنبية

حسن جدا . لنواصل ما انقطع من حديث ولكن كيف ؟ إن الكاتب كاتب اولا واساسا لأنه انسان مرهف الحس إلى درجة تكون مرضية . بل اجسر واقول إنه حساس إلى درجة مرضية فعلا . ولولا انه بكتابته تلك ينتج فنا ، اى اروع واجمل واصح ما فى الوجود من إنتاج بعد إعجاز الخلق الاعظم والحياة لولا هذا لكان على البشرية ان تودع كل إنسان تظهر عليه علامات الكتابة او الفن ،

تودعه فى مستشفى لعلاج الامراض النفسية . كما تودع الخطرين على الحياة .

بل إننا لو راجعنا تاريخ الفن لوجدنا ان

البشرية قد فعلت هذا فى كثير من الاحيان ، وادت شدة الحساسية ببعض من الفنانين والكتاب إلى ان يدخلوا مصحات نفسية ، واحيانا عقلية . ذلك ان البشرية ليست فى كافة عصورها تلك الام الرءوم التى تحنو

على ابنائها جميعا وتستجيب وتربت عليهم وتستجيب لصرخاتهم واهاتهم ، وتكون البلسم الشافى لاى وكل مـــا يعانونه ، البشرية فى معظم احوالها ومجتمعاتها غليظة القلب لا ترحم ، تدوس ، كالقطيع

المذعور الاهوج ، على اقدام بعضها البعض بل احيانا على رقاب بعضها البعض ، وهى تمضى خائفة مرعوبة تلهث وراء لقمة العيش والوجود . وجود إنسان حساس من المحتم عليه ان يعيش وسط هذا القطيع الحيوانى المهرول ، كارثة ، ليست كارثة البشرية ومجتمعاتها وقطيعها المهرول ، ولكنها كارثة لهذا الكائن . ولهذا فعلى الانسان إذا خلق حساسا خلق ان يدفع ثمن حساسيته تلك . ومثلما ذكاء المرء محسوب عليه وليس محسوبا له . فايضا حساسيته محسوبة عليه لابد ان يدفع ثمنها كل يوم من

عمره . وربما دفع عمره كله ثمنا لها دون ان يوفى بالثمن !

وطوال الاسابيع الماضية وانا احس ان بعض كتابنا وشعرائنا العرب مستهدفون ، وانا لا اتحدث عن نفسى هنا باعتبارهـــا نفسى . فالحديث عن النفس دائما شيء مكروه لقائله ولسامعه على حد سواء . ولكن إذا اصبحت تلك النفس نموذجا و « عينة » لبشر يحيون بيننا . وتدرسهم ونحن نهرول فى طريقنا لتحقيق الوجود الأحمق التائه ، احمق واتفه واحط لون من الوان الوجود ، فانه لا يصبح حديثا عن النفس بقـــدر ما يصبح حديثا عن النوع كله ، وحينذاك ينتفى الحرج ، فالموضوع عام ، والقضية خطيرة ، ولابد من حل .

اقول مستهدفا واتوقف عمدا عن الافصاح فقد كانت الطعنات تاتى من اكثر من جهة ، ومن الاصدقاء والاعداء على حد سواء . بل ويحدث ويا للغرابة ان يتفق هدف الاعداء مع هدف الاصدقاء ، ويلتقون جميعا للنيل منك ، وإلا فربك فسر لى هذه الحملة الضارية التى تاتينى من صحفى وكاتب إسرائيلى ينشر فى جريدة عالمية كبرى ويحاول ان يشكك فى ولائى العربى لاننى فى نفس الوقت الذى تحاول فيه اقلام وصحف عربية لا اشك لحظة فى انها قومية وخالصة القومية والاتجاه والهدف ، تحاول هى الاخرى ان تشكك فى انتمائى القومى !

اما ان يهاجمك الاعداء فهذا شيء طبيعى لابد ان تتوقعه باستمرار ولا تتوقف عنده ، بل تتوقف عنده فقط إذا كف هجومهم عليك ، لانك بموقفك او بحسن نيتك لابد حينذاك ان تكون قد خدمت قضيتهم .

هجوم الاعداء هذا شيء طبيعى ، محاولاتهم المستمرة للتشكيك فى قومية بعض الكتاب العرب وبالذات بعض الكتاب المصريين . مسالة كما يقولون واردة . وكان الرد عليها مفروض ان يكون تلقائيا . كان مفروضا ان يدرك القارىء الذكى سواء فى مشرقنا العربى او مغربهم الاوروبى الامريكى ، انه لولا ان هذا الكاتب لازال يقاوم ، وبشدة ان يحنى للعاصفة راسه ، ولهذا فهم يلوون ذراعه . وبطريقة فى غاية الذكاء والاحكام ، ويحاول ان يظهروه بمظهر انه صديقهم وانه لا يعاديهم ، لما تعمدوا التشكيك فى مواقفه ، بل ولفعلوا العكس تماما وحاولوا ان يظهروه فى نظر قومه على انه قوى ووطنى وعنيد لتغطية موقفه . هكذا يفعلون مع كتاب غيره يعرفون تماما ميولهم وكنه معسكرهم الحقيقى ، وتظهرهم الدعاية الصهيونية بمظهر البطل الرافض الصنديد ، بل واحيانا يهاجمونه لنزداد نحن تقديرا له ، وإيمانا به .

أى قارىء ذكى كان باستطاعته ان يدرك هذا ؟ !

ولكن مالا يستطيع ان يدركه ابدا ذكاء اى قارىء فهو ان يحدث ، وفى نفس الوقت ان تتولى اقلام عربية قومية التشكيك فى انتماء هذا الكاتب ، وإن لم يكن فى انتمائه فالتشكيك فى موقفه وإهالة التراب على راسه وتصويره على انه قد « سقط » اخيرا هو الآخر ، وتحس من لهجتهم انهم سعداء تماما بهذا « السقوط » وكانهم كانـــوا يستعجلونه او بالاصح يتمنونه . فالانسان المخلص حقا يحزن لكل رجل فى المعركة يسقط او لكل قلم صادق يسقط او حتى يتعثر ، ذلك انهم جميعا فى النهاية قواته التى تدافع عنه والتى يشكل كل فرد منها درعا لابد ان يحزن الانسان حقا إذا سقط ، اما ان يفرح ويهلل ويزعق قائلا : انظروا .. ها ها ها .. ها هو ذا اخيرا قد سقط .

إنهم بسرعة يريدون ان يلحقوك بطابور الذين سقطوا فعلا ، ربما لكى تخلو لهم الساحة ، ويمرحون كتابة ووجودا باعتبارهم هم « الاشراف » وهم « الاطهر » وهم « الذين لا ينافقـــون » وهم فى النهاية العظماء وحدهم .

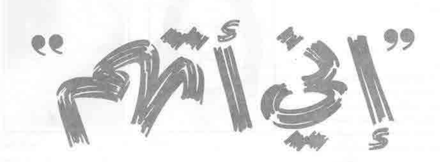
وليت سقوط كل الكتاب ـ حتى إذا كل الكتاب سقطوا ـ يصنع من غير الكاتب كاتبا ، او يعطى للتافه منهم مهما كان شريفا او خيل إليه انه شريف ، يعطى له مقاما وقدرة . فقدرة الكتاب ومبلغ عطائهم مسالة لا يحددها حتى الكاتب نفسه . إنها خاصية فيه يعطيها له الله سبحانه وتعالى يوم يخلقه ويدرجه فى سجلات الوجود . وكما يقول الكاتب المسرحى « بريخت » فى مسرحيته عن جاليليو : إن سقوط نملة من فوق ناطحة سحاب لا يقتلها او حتى يصيبها بكسر او جرح ، ولكن سقوط جواد من الطابق الثانى فقط يقتله .

وهذا عن سقوط « جواد » فما بالك والذى يسقط « كاتب » .

لقد انتقلت العدوى وكان لابد ان تنتقل من بعض السياسيين العرب إلى بعض الكتاب العرب ، واصبح الحديث عن سقوط فلان الكاتب او خيانته او نهايته هكذا وبجرة قلم مسالة نضعها بمنتهى البساطة وفى اى مجلس شراب او جلسة قهوة . مع ان سقطة الكاتب شيء مدو تماما ، وخطير جدا إذ وكانها امة باسرها هى التى تسقط . إن موقف « إزرا باوند » من النازية لم ولن تغتفره له البشرية باية حال ، والامثلة على سقوط الكتاب الاوربيين او الامريكيين او الروس المعروفين ليست كثيرة ، لانها لا تحدث ، وليست ابدا القاعدة ، بل هى الشاذ الخارج على كل عرف ، فالكاتب ليس كالسياسى يحترف مبادئه ، الكاتب هو مبادئه ، وسقوطه يعنى تخليه عن اى مبدأ او عقيدة ، بل واكاد اقول إنه يعنى انه لم يكن موهوبا ابدا ، مشهورا ممكن ، اما موهوبا وفعلا جاءت موهبته تعبيرا عن إخلاصه وحرارة صدقه ، فسقوطه مسالة تكاد تكون مستحيلة .

وحين تذكر كلمة سقوط تعنى عنـــد المتحضرين كافة ان إنسانا « خان » مواقفه او مبادئه او امته . اما ان نقولها لان هذا الانسان تحمس لقائد او لحاكم ، مجرد تحمس فهو امر لا يحدث الا فى بلادنا العربية دونا عن بلاد الدنيـــا . فكان ، وبالضرورة لابد ان يكون موقف الكاتب هو موقف المعارض الدائم لاى نوع من الحكم ، ولكن هذا هو بعينه موقف الطفل المريض ، اما موقف الانسان والرجل العاقل فهو ان يقول للمحسن احسنت ، مثلما يقول للمجرم اجرمت . اجل لقد تحمست للرجل حسنى مبارك ولا ازال لانى اعتبرته اخر عربة نظيفة فى اخر قطار يحمل امانى مصر الوطنية فى التحرير الوطنى والاجتماعى والحيـــاة الدستورية . ولقد قلتها يوم لم يكن للرجل او بالاصح قبل ان يكون للرجل مواقف تؤكد هذا المعنى وتدعمه ، وحمدا لله ان جاءت

أغرب معركة بين أديب ومدينة



بين الروائي الإنجليزي جراهام جرين ومدينة نيس الفرنسية



● هذه القضية هل هي تذكير جديد بالانحطاط الذي تعاني منه أوروبا.. أم أنها دليل على حيوية الضمير الأدبي ويقظته ضد الانحراف؟.. لنبدأ القصة أولاً من بدايتها ولنؤجل الحكم حتى النهاية

يبدو ان الريفييرا الفرنسية تعطى الحرية للجميع للكشف عن اجسامهم فى شواطئها تحت شمس النهار ، بينما هى تخفى اشياء واشياء تحت جنح الظلام فى عالمها « السفلي » المرعب ..

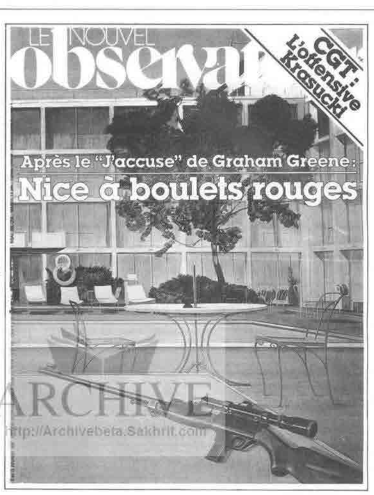
هذا ما حاول ان يقوله ، بكلمات اخرى ، الروائى الانجليزى المعروف ، غراهام غرين البالغ من العمر السابعة والسبعين ، واحد المعجبين باجواء « شاطىء اللازورد » حيث يقضى الآن سنوات تقاعده بهدوء فى قرية « انتيب » الساحلية التى لا تبعد عن « نيس » عاصمة الشاطىء سوى عشرة اميال ، وليس له من سلوى غير الكتابة والشراب ..

ولكن يبدو ان شيئا ما قد جعل الروائى العجوز ، المشهور بمغامراته الاستكشافية والبوليسية فى افريقيا والبرتغال والشرق الاقصى ، يقرر ثانية الخروج من هـــدوء الشيخوخة وعزلتها ليخوض معركة شخصية اكثر منها ادبية ضد سلطات مدينة « نيس » .. التى تستضيفه والتى اختارها سكنا نهائيا له ، وضد ما اسماه بعصابات « العالم السفلي » التى تتحكم كما يقول باقدار الناس واموالهم فى المدينة ، بل وتسيطر على رجال الشرطة والقضاء وترغمهم على الصمت ! ليس هذا فحسب ، بل انه سارع الى طبع كتيب صغير للتداول المحدود فى الاوساط الصحفية والسياسية والقضائية جاء فى مقدمته بصريح العبارة :

« الى كل اولئك الراغبين فى المجىء والاقامة فى شاطىء اللازورد ، اقدم هذا الانذار : تجنبوا مدينة نيس لانها اصبحت معقلا لاقوى الاوساط الاجرامية فى جنوب فرنسا ، هذه الاوساط التى يمكن ان يتورط معها حتى الاجانب كما حدث لى ولاصدقائى فى السنوات الثلاث الماضية » .

هذه « النصيحة » الصادرة من اديب شهير انتشرت عبر معظم صحف اوربا وامريكا ، بينما محافظة مدينة « نيس » تستعد لكرنفال الربيع ، وتمنى النفس

غراهام غرين والخط الفاصل بين الرواية والحقيقة .



لونوفل ابزرفتور حولت الاتهام الى موضوع غلاف !



ماكس غالو نائب رئيس الاشتراكي:غرين عنده حق

بازدهار موسم الصيف المقبل بعد شهور .. !

ولو اقتصر الامر على احتمالات الخسارة السياحيه لهان الامر ولكن الانكى من ذلك ان ادباء فرنسا وسياسييها استيقظوا على صرخة روائي انجليزي عجوز وهو يدق جرس الانذار ضد فساد خطير يتهدد مصير اجمل مدنهم . ويحمل عاليا راية الاصلاح لحماية المواطن الفرنسي والزائر الاجنبي القادم الى فرنسا !

مدينة فرنسية لا تجد من يصلح امورها غير اديب انجليزي ؟ يالثارات واترلو ! .. يالثارات نابليون !

وماذا حدث لادباء فرنســـــا ، المتميزين تاريخيا بين كل الامم بخوض مثل هـــذه المعارك الاصلاحية والتطهيرية ؟

إني اتهم

بل ان غراهام غرين إمعانا في استثارة الكوامن الفرنسية اختار عنوانا فرنسيا لكتيبه عن القضية ـ الفضيحة هو « اني اتهم » " J'Accuse " ـ وهو العنوان الشهير الذي اختاره الاديب الفرنسي اميل زولا ، في القرن التاسع عشر ، لاثارة إحدى القضايا الشهيرة في عهده ، وكان « غرين » يقول للفرنسيين : لم تعودوا اوفيـــــاء لتقاليدكم وها نحن نحملها نيابة عنكم !

اما اساس القضية كلها فهو ان « غرين » يعيش قريبا من اسرة فرنسية ـ سويسرية تعرف إليها منذ زمن بعيد اثناء إقامتــه في الكونغو . فلما انتقل إلى الحياة في الريفييرا الفرنسية وجد ان هذه العائلة المكونة من اب وام وابنة قد انتقلت هي الأخرى الى الاقامة في الريفييرا ، فظل قريبا منها يرقب ابنتها التي اصبح ابا ثانيا لها وهي تكبر وتتزوج وتصبح مذيعة تليفزيون بمحطة مونت كارلو . وقد تزوجت الفتاة ، واسمها (مارتين) ، من سمسار عقارات

فرنسي شاب اسمه (دانيال غاي) وعاشت معه ست سنوات وانجبت منه ابنتين . ثم جاءت المشاكل والطلاق . وحاول دانيال ان ياخذ حق حضانة ابنته الكبرى من مطلقته . ولكن الاخيرة كسبت القضية جزئيا بابقاء الابنة معها على ان تبقى فى نفس الحي الذى يقيم به الاب وان تعود إلى ابنتها كل ليلة فى الساعة الثامنة والنصف مساء .

هذا الحل لم يعجب الاب دانيال ، فاعاد الكرة ثانية وكسب حكما قضائيا بحضانته لابنته بعد ان « اقنع » المحكمة بطريقة ما ان مطلقته غير صالحة لتربية الابنة .

كان « غراهام غرين » يرقب هذه القضية من خلال علاقته الحميمة باسرة مارتين . وراى كيف تحطم قلب الشابة بفقدها لابنتها الكبرى ثم اضطرارها للهرب من نيس إلى مكان مجهول مع ابنتها الصغيرة .

واستغرب « غرين » كيف كسب « دانيال » هذا الحكم القضائي .. وتساءل عن سر قوته واخذ يراقبه ويتتبعه وهو القاص المغرم بالأسرار البوليسية وحياة العوالم السفلية منذ كان شابا يغامر فى الحرب العالمية الثانية وما قبلها ويتصيد الجواسيس الالمان فى البرتغال ، ومهربي الافيون فى الشرق الاقصى .. ليكتب عنهم قصصه الحافلة بالالغاز !

واكتشف « غرين » فى « دانيال » صيدا ثمينا .. فهذا السمسار الفرنسى يركب السيارات الفارهة من نوع الروز - رايس ، ويكسب الملايين على موائد القمار فى الريفييرا ، ويوقع اكيراندية القمار فى الافلاس ليشتريها ، ويتعاون مع شبكة من الايطاليين « العريقين » فى هذه العمليات . ثم تبين انه قد دخل السجن ثلاث مرات فى شبابه الباكر ومع ذلك فهو الآن على اوثق الصلات مع رجال الشرطة فى البلد ، بل ويشهدون فى المحاكم لصالحه !

ما بين الاديب والسمسار

بدا « غرين » يثير التساؤلات حول هذا الرجل ومداخلاته . فى الأوساط الادبية والسياسية المقربة منه . واحس « دانيال » بهذه المتابعة ولم يرتح لها .

وذات يوم جاءت صديقة قديمة لدانيال ، اختلفت معه هى الاخرى ، لتقول للاديب الانجليزى العجوز بان دانيال يخطط للتخلص من والدي الفتاة مارتين ومنه هو شخصيا ، وانه قال امامها بان « الشرطة فى جيبي » ولن « ادخل اى سجن » وبان حماته وحماه السابقين « سيذهبان ضحية حادث سيارة » وان « المدعو غراهام غرين » سيكون فى تلك السيارة ايضا » !!

وهنا احتدمت المواجهة بين الرجلين . وقال دانيال لغرين متحديا : انا جدار صلب لا اخترق . فرد عليه غرين : انا هو ذلك الجدار !

واخذ الرجلان ، الاديب الانجليزى والسمسار الفرنسى ، وبين الاديب والسمسار ما بينهما من نفور طبيعي فى كل مكان ، وبين الانجليزى والفرنسي ما بينهما من جفاء تاريخي عبر الازمان . نقول اخذ الرجلان يستعدان لمناطحة « جدرانية » طويلة الامد .

وللمصادفة المريبة ، فان صديقة دانيال القديمة التى اخبرت الاديب غراهام غرين بخطط غريمه للقضاء عليه فى حادث سيارة قد وجدت من « يزورها » فى مكتبها ليكسر لها انفها بضربة تحذيرية يستطيع ان « يشم » معناها .. حتى الانف المكسور !

اسماك كبيرة

اتجه غرين اولا للبوليس وطلب منه التحقيق فى مخالفات الرجل . ولكن الايام مرت والتحقيقات بلا نتيجة .

وقال رجل بوليس كبير للاديب الانجليزى : « ان دانيال واعوانه اسماك كبيرة لا نقدر عليها » - والعهدة على الراوى .

ثم اتصل غراهام غرين بما له من سمعة وشهرة بوزارة العدل فى باريس وطلب منها التدخل فى الامر ، وارسلت الحكومة مسئولا كبيرا اعترف ان الصورة تبدو « مخيفة » بالفعل ، ولكن فجاة حدثت تنقلات للقضاة فى المدينة اضفت غموضا اكبر على سير التحقيق ، وتركت المسالة تبرد ، واعصاب غراهام غرين تحترق على نار هادئة !

ورد غرين بتصعيد الامر ، فقرر إعادة وسام الشرف الممنوح له من الحكومة الفرنسية قبل سنين ، وذلك للفت انظار كبار المسئولين فى العاصمة لخطورة الامر فى « نيس » . ولكن الحكومة الفرنسية ردت عليه وسامه قائلة انها لا تستطيع ان تسترجعه منه إلا فى حالتين : إذا توفاه الله او اذا اوقع نفسه فى عمل مشين مخل بالشرف .

عندها اصدر غرين كتيبه الذى يتضمن معلوماته وتحقيقاته الخاصة عن المسالة ، والذى حذر فيه السياح من القدوم إلى نيس ..

وهنا تحولت المسالة الى قضية سياسية بين الحكومة والمعارضة واخذ كل طرف يعمل على تحويلها لصالحه واتسعت الدائرة بما يتجاوز « نيس » وموائدها الخضراء وشاطىء اللازورد الخالد ..

.. وقضية سياسية

خرجت صحيفة « لونوفل ابزرفتور » المقربة من اوساط اليسار الحاكم بموضوع غلاف يقول : « بعد (انى اتهم) لغراهام غرين : نيس تصبح تحت القذائف الحمراء » .

وفى معالجتها للموضوع اتخذت موقفا مزدوجا مؤيدا ومعارضا لحملة غراهام غرين فى وقت واحد . وذلك ليحقق اليسار الحاكم من القضية اكبر كسب ممكن ضد اليمين المعارض ، دون ان يستفز مشاعر الفرنسيين وسكان « نيس » بصفة خاصة الذين انزعجوا من تدخل الاديب الانجليزى فى شئونهم .

وقد نشرت الصحيفة المذكورة مقالا لنائب نيس الاشتراكى « ماكس غالو » - وهو فى الوقت ذاته اديب وروائي - ذهب فيه الى ان اتهامات غراهام غرين لها اساس من الصحة فى بعض جوانبها على الاقل ، وان رائحة الفساد تنبعث من وقت لآخر من اقبية المدينة ، وان هذا الوضع هو من مسئولية النظام اليميني الذى حكم فرنسا فى ربع القرن الاخير ، ومن مسئولية محافظ « نيس » اليميني ايضا ومن مسئولية بعض اجهزة الامن والقضاء ذات الميول اليمينية ايضا وايضا !

واضاف : على الدولة الفرنسية ان تفتح ملف هذا كله ولا تنتظر حتى تنشر صحيفة « التايمز » البريطانية رسالة لاديب بريطانى حولها لتاخذ علما بالموضوع ، كما كان يحدث



فى نيس اضواء تخفى اكثر مما تكشف !

فى المستعمرات البريطانية . وهو يشير بذلك إلى ان بداية تسرب المعلومات حول هذه القضية قد بدات برسالة من غراهام غرين الى صحيفة « تايمز » فى لندن ، بينما كانت اجهزة الاعلام الفرنسية ، الكثيرة الكلام حول كل قضايا العالم ، غافلة عن هذه القضية رغم ارتباطها بصميم الاوضـــاع الفرنسية .

اما محافظ نيس اليميني ، المهتم بتنشيط السياحة فى مدينته وتشجيع الســـياح الاثرياء على القدوم إليها بكل وسائل الاغراء - فقد رد على هذا كله بالقول : « ان غرين يفتعل هذه القضية كلها ، ويضـــخم مسالة عائلية صغيرة جدا ، ليلفت إليه الانظار ويمهد الجو لقصته الجديدة ، بعد ان افلس ادبيا » .

بينما يتهمه غريمه السمسار الفرنسي بانه كان على علاقة خاصة بام مطلقته كل هذه السنوات . وانه الان يتحرك تحت تاثير تلك المراة ليثار لابنتها منه . ويرد غرين قائلا : انا رجل فى السابعة والسبعين وعندما يتهمني دانيال غاي بهذه العلاقة ، فانه يشرفني بها ، ويبعث فى نفسى الشعور بالشباب !!

اما الناقد الادبى فى صحيفة « لونوفل ابزرفتور » فقد ذهب لغراهام غرين ليسأله : « ماذا لو ظهر اديب فرنسى فى بريطانيا واتهم السكوتلانديارد بالفساد والتامر مع المجرمين ، ماذا سيكون شعورك نحوه كبريطاني ؟ » .

فرد غرين بحقد : « فى بريطانيا لا يحدث كل هذا ولا يستمر إن حدث ، كما لا يظهر لدينا زعماء عصابات اصحاب نفوذ ! » .

راي فرنسى
فى عقدة الانجليزي

ولكن الناقد الفرنسى لا يدعه يذهب سليما وسعيدا بهذه الاجابة . فقد اخذ يحلله نفسيا إلى حد تقطيع الشعرة كما يقولون .

ومما قاله فيه : ان غراهـــام غـــرين البروتستانتي الذى تحول الى الكاثوليكية ، ولم يحسن إيمانه بها ، يريد الان ان يشن حملة صليبية ضد الحياة الحرة الطليقة فى « نيس » لان نفسيته المتشددة لا تحتملها ، وانه يريد لنيس ان تعود كما كانت فى اوائل القرن نقطة مرور لبحارة الاسطول البريطاني ، الذين كانوا يتســـكعون ويتشمسون على سواحلها فى طمانينة لم تعد متوفرة لهم الان . وان بقاء غرين فى « نيس » حتى الان ورفضه الذهاب الى بلده ليشرب فى حاناتها اللندنية ، دليل على حنينه لايام المجد الاستعماري البريطاني وبحاره الدافئة ! .. وان غرين الذى تعود على إثارة القضايا بمغامراته فى افريقيــا والشرق البعيد ولم يعد قادرا عليها الان يريد - بدافع الحنين لمغامرات الشباب - ان يثير قضية على حساب سمعة مدينـــة « نيس » . بينما هو غارق فى الشراب لينسى اصدقاءه القدامى الذين ماتوا فى الكونغو وماليزيا وفيتنام .. وانه قد وقع بسبب ضعف الشيخوخة تحت تاثير صداقته لعائلة الفتاة مارتين التى تستغله لتصفية حساباتها الشخصية من مطلق ابنتها .. وبانه لم يقدم فى ادبه غير صورة قاتمة عن الحياة ملؤها الشر والحقد والجريمة .

كل هذا قالته « لونوفيل ابزرفتور » فى الأديب البريطاني ولكنها قبل سوق هذه التهم صدرت تحقيقها كما اشرنا بمقالة نائب « نيس » الاشتراكى التى قال فيها ان غراهام غرين قريب جدا من الصدق فيما يقوله عن عصابات نيس المحمية من بعض اوساط اليمين .

فاين الحقيقة .. ولماذا هذا الموقف المزدوج ؟ إنهم يريدون استغلال ما يقوله غرين لفتح معركة ضد اليمين ، وضد ماضي الرئيس السابق جيسكار ديستان . ولكنهم فى الوقت نفسه لا يريدون الوقوف مع الاديب البريطاني امام الراى العــــام الفرنسى . لذلك فهم يعترفون ان غراهام غرين على حق .. لينتقدوه بعد ذلك بقسوة !

وغراهام غرين لا يخرج هذه الايام إلا وفى جيبه علبة خاصة تحتوى غازا مسيلا للدموع تحسبا لاى طارىء . وهو يطالب بمحاكمته على التهم التى ساقها ضد سلطات « نيس » فى كتيبه عن القضية وهو يقول إنه سيحول محتوى هذا الكتيب إلى قصة طويلة بالحقائق والارقام بعد ستة شهور ، اى عندما يزداد عدد المصطافين فى نيس !

والمعركة مستمرة بين الرجل والمدينـــة التى يعشق ! .. رجل عمره سبعة وسبعون عاما ومدينة عمرها سبعة وعشرون قرنا . هل حقا هى معركة ضمير وإصلاح وتطهير ، ام معركة نفوس مرهقة تريد التعويض عن شىء ؟

المهم ان يخرج لنا غراهام غرين باثر ادبى ناجح فى النهاية ... وهذا ما يشكك فيه الفرنسيون !

د . محمد جابر الانصاري — باريس

«إلام يصير العالم لو علق فجاة بالورق مرض جديد يحيل كل المكتبات تراباً ؟؟ يخيل إلي أن البشرية بفقدان مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية أو من تراثها الروحي فحسب .. بل ستفقد أيضاً وبوجه خاص وسائل حياتها» .

«ديهاميل»



هذه الكلمات الشامخة ، الصادقة والمتألقة ، قالها المفكر الفرنسى «فولتير» ولعله اراد أن يهديها الى كل كاتب حر صادق وشجاع .. ذلك ان الكاتب الذى يحمل الصفات ، يحمل على مفرقه تاجاً غير منظور .

إنه يصف لنا عالم الله ، ويهدينا الى الحقيقة ، ويضع عنا إصرنا واغلالنا .. ولولاه لبقيت الارض يطمرها الياس وتغطيها الظلمات . فالكلمة منطوقة ومسطورة كانت في بدايات حياتنا بمثابة اجراس النصر تدق للانسان .

ومع الكلمات الأولى التي انفرجت عنها الشفاه او سطرتها الاقلام اعطت المقادير إشارة البدء للقافلة البشرية ، واصــــبح معروفا من يومئــذ ان لواء السيادة على هذا الكوكب سيعقد للانسان ، وان المستقبل سيدخل فى طاعته ، وان المجهول سيفضى له شيئاً فشيئاً باخباره واسراره .

وامام كل عمل وكل ابداع – من العصور الموغلة في القدم حتى يومنا هذا ، نجد الكلمة الحرة الشجاعة الذكية تنشىء العمل وتخلق الابداع .

كانت الكلمة منذ بدئها تعنى ميلاد فكر جاء على شوق وقدر ، ولقد بدانا نعي وجودنا يوم تكلمنا ، ويوم فكرنا وكتبنا .. يومها شرعنا نجاوز الظلام ونتخطى العماء ونخترق اسوار العزلة . ولا نكون مغالين اذا قلنا : إننا يومئذ – لا قبلئذ – اعطينا شهادة ميلادنا ، ووثيقة ادميتنا .. ذلك انه حين فضت عن الافواه اقفالها وامسكت الأنامل باقلامها بدات اولى خطواتنا في السيطرة على ما معنا وما حولنا ، وبدا الوجود الانساني ينهض قائما ..

ولكي نعرف قيمة الكلمة وما وراءها من فكر حر رشيد ، علينا أن نتصور الكوكب الذى نعيش فوقه وهو خال من صاحب الكلمة – الانسان .

اعزل الانسان عن هذا الكوكب ..

تصور او تخيل الارض في غياب الانسان ، وانظر ماذا ترى ؟!.

لن ترى سوى التيه والظلام .. حقا سيكون هناك بحار تصطخب امواجها ، وعواصف تزلزل الأرض بزئيرها ، ورجوم وشهب ، ووحوش ودواب وزواحف .. ثم ماذا ؟ لا شىء سوى الخواء والعماء ، وظلمات من فوقها ظلمات .

إن الطبيب والاديب الفرنسى «ديهاميل» يتساءل في كتابه «دفاع عن

بقـلـم
خـالـد محـمـد خـالـد

الأدب» ترجمة الدكتور محمد مندور فيقول : «إلام يصير العالم لو علق فجاة بالورق مرض جديد يحيل كل المكتبات ترابة ؟؟ يخيل إلي أن البشرية بفقدان مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية او من تراثها الروحى فحسب . بل ستفقد ايضا وبوجه خاص وسائل حياتها» .

اهناك إذن جلال يفوق جلال الكلمة ؟..

اهناك غرض مهما تكن قداسته وحتميته يستحق ان تعطل من اجله الكلمة ، ونقدم اليه قربانا ؟! ..

إن الأمر ليبدو وكأنما أعدت الأرض وهيئت لتكون مسرحا للكلمة ومجالا للفكر ليس غير ..

وبعد ان كانت الأرض ـ بالصمت ـ مكانا موحشا ، صارت ـ بالكلمة ـ مكانا مانوسا .

ولا شيء ينقص من عظمة دور الانسان على الأرض مثل الانتقاص من سيادة الفكر والتحديد غير المشروع لنشاط الكلمة ..

ولننظر مثلا .. السنا نؤمن بأن المسيح ومحمدا اخرجا الناس من الظلمات الى النور ، واضاءا في الضمير الانسانى نورا سدد خطاه ؟ ..

فلننظر إذن اية جناية على العائلة البشرية كانت ستحيق بها لو استطاعت قوى الظلام ان تخنق الكلمات التي انبعثت من محمد واخيه حاملة الهدى والنور ؟! .

لو ان «المسيح» في اولى محاولاته ساعة استقبل الدنيا ليقول لها «وقد اقترب ملكوت السماوات» راح ضحية قوة باطشة . فمن الذى كان سيملأ الحياة ووجدانها بهذا اللحن المضيء الهادر المتمثل في «موعظة الجبل» ؟ ومن الذى كان سيجابه الكهنة المتجرين بالدين ، والطغــــاة النــاهبين اجـــور الفعلة والحصادين ؟! ..

ولو أن «محمدا» حين وقف يعلن انه لا إله إلا الله ذهب ضحية خصومه من أعداء الكلمة والصدق والحقيقة ، فمن ذا الذى كان سيبلغ رسالة الله ويتلو على الناس قرآنه ؟؟

من الذى كان سيرفع راية التوحيد فوق انقاض الوثنية ، ويذيع نعي ارباب الأرض المتجبرين فيها ، وينادى الكادحين والبسطاء الى يومهم الموعود فى عالم الناس فيــه سواسية كاسنان المشط ؟؟ ..

حقا إن الكلمة هي الحياة .. اطفىء الكلمة ينطفىء نور الحياة .. أعد الألسنة الى صمتها القديم ، واكبح الأقلام بالشكائم ترتد الحياة فى نفس اللحظة ولنفس السبب الى بداوتها وخشونتها ووحشتها .

● ●

ذات يوم حمل رجل أوربى قلمه وراح يسجل رايه في «العصيان المدنى» كسلاح تستخدمه الشعوب المهيضة والمظلومة ..

كان اسم هذا الرجل «ثورو» خط كتابه بيمينه عام ١٨٤٩ ، ثم مات .. وضاعت الصفحات التى خلفها فى زحام الحياة ، أو ظن انها ضاعت وذهبت مع الريح ، حتى وقعت ذات يوم من أيام ١٩٠٧ فى يد شاب هندى كان يعانى فى جنوب افريقيا مع المغتربين من بنى وطنه اضطهادا وقحا واستبدادا مذلا ، فاذا الكلمات التى حسب الزمان انها اختفت وتاهت تشعل فى قلبه النار المقدسة وتناديه الى طريق الخلاص .. ولندعه يحدثنا عن اثرها فى نفسه فيقول : «وبينما كنت أبدأ نضالى تلقيت من صديق لي كتاب ـ العصيان المدنى ـ فما إن قراته حتى ملأنى قوة ويقينا . وذهبت اترجم بعض فقراته وانشرها فى المجلة التى كنت انشرها فى ذلك الحين . ولقد كان فى كلمات «ثورو» من صدق التعبير وقوة الاقناع ما جعلنى أشعر بحاجتى الى المزيد من المعرفة به .. واخيرا عرفت ان رجالا فرادى أمثال «ثورو» قد انتصروا لأنهم تقدموا الصفوف بتضحياتهم وكانوا قدوة للعالم» .

هكذا تاثر المحامى الشاب الهندى بكلمات ظن الكثير من الناس انها تلاشت بينما هى رابضة فوق صفحاتها . وما إن لامست روح هذا الثائر الهندى الناشيء حتى ابانت له الطريق ، وسلحته بالوسيلة ، فهب ناهضا وقهر الطغيان الذى كان يعذب قومه فى جنوب افريقيا ، ثم انتقل برسالته الى وطنه الكبير ـ الهند ـ وهناك ، وكلمات «ثورو» تنمو داخل ضميره قاد امته المستعبدة حتى حققت تحت زعامته اعظم انتصار بأنظف وسيلة .

هل عرفتم ذلك الثائر الذى صنعته كلمات ثورو ؟! ..

إنه قديس عصرنا الحديـــث . غاندى !!! ...

وحين نقلب أبصارنا مستعرضين كل ثورات التحرير عبر التاريخ نجد بين أيديها جميعا فكرا باسلا ، وكلمات أشد

لا بأس ألا يكون لي تاج مادام معي قلم ..!

مضاء من السيوف المرهفة ، وأهدى فى ظلمات الليالى من كل ضياء !!

والقوى التى هدمت صروح الجبارين وأزاحتهم من طريق الشعوب ـ كانت الكلمة ..

والنور الذى هدى البشرية الى مدارج ارتقائها ، وانتزعها من ظلام التأخر ـ كان الكلمة ..

احمل بيدك ورقة بيضاء ، وسل نفسك: كم تساوى هذه الورقة ؟ .. انها لا تساوى شيئاً .. ومع هذا فان ورقة ضئيلة مثلها خط عليها «اينشتاين» هذه الكلمات (الطاقة ، تساوى الكتلة ، مضروبة فى سرعة الضوء ، ثم مضروبة فى سرعة الضوء مرة أخرى) فاذا بها تغير وجه العالم وتنقله فى لمح البصر الى عصر الذرة والفضاء بكل فتوحاته واحتمالاته !! ..

وبعض الكلمات التى يخطها الكاتب لا تقل خطراً عن الكلمة أو «المعادلة» التى يضعها الرياضى .

ففى كراسة بيضاء ، تستطيع أن تشتريها بدراهم معدودة ، كتب «روسو» ـ العقد الاجتماعى ـ ، فأجج به الثورة الفرنسية !! .. وكتب «توم بين» ـ الفهم ـ فأجج به حرب الاستقلال الأمريكية !! ..

وكتب «ماركس» ـ رأس المال ـ فأجج به الثورة الشيوعية !! ..

وكتب «تولستوى» ـ الحرب والسلام ـ فاشعل به ثورة الضمير الانسانى فى كل العصور !! ..

••

وهنا نصل الى ما للكاتب الحر من منزلة ومكانة .. وهنا نرى الكتاب والمفكرين بحق «أصحاب جلالة» إذا هم احترموا عقولهم ، ووقفوا الى جانب الحقيقة ، باحثين عنها ، هادين اليها ، واذا هم فكروا من أجل المصير الانسانى

تولستوى



فى مثابرة واحترام .

وقبل أن يدعو الكاتب الناس الى الايمان بالكلمة وتبجيلها ، عليه أولا أن يؤمن بها ، ويحمل تبعاتها تجاهها .

وليس هناك سوى الكاتب المؤمن برسالته من يستطيع أن يمنح الآخرين هذا الايمان .

فالكاتب والأديب اللذان يخلصان لفنهما كل الاخلاص هما رعيلنا الوثاب نحو مستقبلنا المأمول .

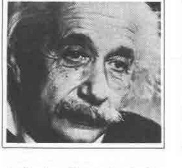
يقول «ديهاميل» مخاطباً حملة الأقلام: «نحن إذا أردتم نملك العالم بأجمعه . وفى هذا التملك سنجد خلاص أرواحنا .. نحن نملك آلافاً وآلافاً من أشياء الحياة .. ونحن نملك نار الفكر التى لا تنطفىء والتى من لهيبها المقدس تنبعث كل حياة جديدة» .

صديقى الكاتب . هل أنت حر ، وصادق ، وشجاع ؟؟ اذن فأنت صاحب جلالة . وعلى مفرقك يتألق تاج غير منظور .. أنت النور الذى تبصر البشرية طريقها فى ضوئه ، وأنت الروح الذى يملأ الحياة رشداً ..

لكن ذلك مرتبط بما تكنه لنفسك ولقلمك من احترام ، وبقدر ما تتحلى به من تواضع يرفض الزهو والغرور ، وبقدر ما تتحرر من إغواء الشهرة وإغراء النجاح .

لطالما كان رواد الكلمة الأحرار

اينشتاين



يحاذرون على موهبتهم من النجاح التجارى الذى يجرف الكاتب بعيداً عن المرفأ الآمن . حتى لقد قال أحدهم : «العبودية والانحطاط جزاء وفاق للنجاح والكتاب الذى يروج قبر مذهب للموهبة المتعجلة غير الممتازة» ..

ويحدثنا «ديهاميل» فيقول : «لو غامر أحد أولادى يوماً واحترف الأدب ، وسألنى أن أنصحه لما قلت له غير هذه العبارة : احذر النجاح !! وسأفكر وأنا ألقى اليه بهذه النصيحة فى النجاح الملتوى المخاتل الذى يثنى يوماً بعد يوم من أهداف الكاتب ، ويقص أجنحته حتى يزج بقدميه فى رفق الى مباذل المجد .. سأفكر فى هذا النجاح الذى ينال من الشجاعة الحقيقية برضاب قبلاته السامة .. أجل ـ احذر النجاح . فكل نجاح باب يغلق .. وكل نجاح أمل يكبل .. وكل نجاح مستقبل يقبر .. وكل نجاح عدو .. أجل ـ احذر النجاح . احذر هجماته ومكايده . واذا رغبت فى النجاح فاحذر أن تكون رغبتك اندفاع السغبان .. واذا احتقرته فاحذر أن يكون فى احتقارك نبرة الحقد .. وفى كلمة واحدة : احذر النجاح» !! ..

ويقول «جوركى» : «ليس من المستحسن أن يكون للكاتب كثير من

المعجبين ، وكل رجل ذى عمل مع الجمهور عليه أن يطهر الهواء المحيط به بمطهر الحقيقة» .

إن خوف «ديهاميل» من النجاح مرده الى أن النجاح فى كثير من حالاته يكون كما قال ملتويا ومخاتلا يثنى من اهداف الكاتب ومبادئه ، ويطوعها للاغراض السافلة والأطماع الباطلة .. ثم إنه كثيرا ما يجرف الكاتب بعيدا عن الاصالة والخلق حين يطرح عن كاهله كل جهد يتطلبه التجويد والاتقان معتمدا على التوقيع الذى سيذيل به عمله الأدبى والذى يحمل اسما ناجحا لامعا .

وهذه «اللامبالاة» لا تلد اعمالا ضحلة وحسب ، بل إنها تصيب الموهبة بالهزال .

إن نجاحا من هذا النوع ــ وكثيرا ما يكون النجاح كذلك ــ لا يكف نباحه وراء الكاتب ، مطالبا إياه بتموين سوقه الرائجة .

والعمل الفنى والأدبى الأصيل لم يكن فى يوم ما سلعة تصنع على عجل وتقدم عند الطلب .. وهذا ما اخاف «ديهاميل» حين قال ما تلونا ، وحين يقول : «إن الافكار التى يمكن أن تكون مادة لعمل فنى تحتاج دوما الى نضج بطيء . فهى تولد فينا كالنطف ، وتبقى زمنا طويلا بغير حراك . ثم نحس شيئا فشيئا انها تتغذى وتاخذ فى التكون ، واخيرا تبدا الحركة المضنية . ومع هذا يمضى زمان قبل أن يتهيأ الكائن للمجيء الى الضوء .. ولكننا اذا انتظرنا حتى نهاية الحمل فستكون لدينا الفرصة لأن نخرج الى العالم كائنا قابلا للحياة ، كاملا حسن التكوين» ..

● ●

وبعد فاذا كان هناك ناس يعيشون والسروج فوق ظهورهم ، فان الكاتب الحر الصادق الشجاع لن يكون من هؤلاء أبدا .. ليس ذلك فحسب .. بل إن مهمته ورسالته ان يدعو الآخرين الى التمرد على الاغلال ، وإلقاء السروج أرضا ..

واجبه الا يكون بوقا للسلطة ، ولا عبدا للشهرة .

مهمته أن يقف كحارس البرج ليدفع عن الحقيقة كل زيف ، وينادى المأسورين الى الانطلاق .

وعاره الأكبر أن يشترى منصبا او ثروة او جاها بمكانه ككاتب ومفكر ومقاتل باسل فى سبيل الحقيقة والناس .

وكل كاتب .. إنما يكبر ويعظم بقدر استعداده للتضحية فى سبيل كلمته وقلمه .

وليس هناك أروع من هذا الذى يرفض اشياء كثيرة يسيل لها اللعاب من اجل أن تبقى له حريته وسيادته على فكره ونفسه ..

إن هذا الطراز من الكتاب ، هم الذين أبحروا بالبشرية الى مستقبلها الواعد العظيم .. هم الذين خلدوا قيمة الصدق ، واثبتوا جدارة الانسان بأمسه ويومه وغده .

إن الكاتب الحر لا يحاول أن يوفق بين نفسه والدنيا فى ضعف وخور .. فكثير من الرجال كانوا رجالا ، لأنهم انشقوا على السائد المألوف . ولا شيء فى النهاية يبعث على احترامك مثل نزاهة عقلك ومضاء روحك .

ماذا ينتظر الناس من الكاتب حين يحمل قلمه بيمينه ويتهيأ ليكتب ؟؟

هل ينتظرون منه أن يسليهم او يجاملهم أو يخدعهم ؟ ..

كلا ــ إنما ينتظرون منه أن يجلو لهم الحقيقة ويساعدهم على رؤيتها .. ينتظرون منه أن يفسر لهم التجربة الانسانية فى بؤسها وعظمتها .. ينتظرون منه أن يسبقهم الى الدروب غير المطروقة حاملا روح الرواد .

ينتظرون منه أن يحررهم من أوهامهم وأن يكون عونا لهم فى مواجهة قراصنة الحياة .

هذه مهمة الكاتب وعمله المقدس .. الكاتب الذى لديه فكر يريد أن يبلغه للناس ، ولديه ايمان وثيق بالكلمة ، وبالانسان ، وبالحياة .. الكاتب الذى تعود أن يحمل قلمه كلما بدا له ، لا كلما طلب منه ..

أولئك يناديهم «بتهوفن» من مكان بعيد :

«الا فلنفعل كل ما فى وسعنا من اجل الخير والصدق .. ولنحب الحرية فوق كل شيء اخر .. ولنتجنب خيانة الحقيقة ، ولو كان ثمن الخيانة تاجا وعرشا» !! ..

خالد محمد خالد

جان جاك روسو



فولتير

ملف كامل لقضية خطيرة

بقلم : فتحي رضوان

لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام ؟

● قصة الجانى الخطير الذى لم نسمع به فى البلاد العربية إلا قليلا ، أو لم يسمع عنه أكثرنا شيئا ● نائب رئيس الوزراء الذى خرج من الوزارة إلى السجن ● قصة القانون الذى ألغى الطربوش وألزم المواطنين بلبس القبعة ● قانون آخر يفرض على شعب اسلامى أن يستخدم الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ● المسلمون الذين يأخذون اجازتهم يوم الأحد بدلا من الجمعة

من الحقائق الاجتماعية التى لا يكاد يثور حولها خلاف ، ان قرار الاتهام الذى يصدره اى مدع عام ، فى قضية جنائية ، يتضمن صورة المجتمع ، او جزءا من صورة هذا المجتمع الذى ينتمى إليه « المدعى والمتهمون » معا فى تلك القضية ، فالجريمة ـ صغرت او كبرت ـ سواء كانت فى مجال الاجرام العادى الذى يصدر من افراد من عامة الناس ، او عن اقوام يتصلون بالحكم والسياسية ويؤثرون فى مجريات الامور العامة ، بالكثير او بالقليل .. الجريمة هذه ، على اى صورة من صورها ، هى « عمل اجتماعى » ، والمجرم هو « ابن المجتمع » ، يحمل فى شخصه ، وفى تصرفاته ، السوية او المنحرفة ، اجزاء او أشياء من البيئة التى نشا فيها ، والعائلة التى خرج منها ، والحى او القرية التى يروح فيها ويغدو ، والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاشة فى موطن المدعى والمتهم على السواء .

ولكن هذه الحقيقة لا تبدو اكثر وضوحا منها فى هذه « الجناية » المقدمة إلى المحكمة العسكرية العليا التى انعقدت فى «انقره » عاصمة الدولة التركية فى اليوم السابع من مايو سنة ١٩٨١ ، وكان « المدعى العسكرى » فى هذه القضية ، هو العميد « نور الدين سوير » ، وقد كان الاتهام فى هذه « الجناية » موجها ضد الدكتور « نجم الدين اربكان » ، ومعه ثلاثة وثلاثون متهما آخرون ، من مختلف المهن والأعمار والدرجات الاجتماعية ، طالبا الحكم عليهم جميعا بمواد القانون الجنائي ، منها المادة ٦٤ فقرة اولى ، والمادة ١٦٣ فقرة ٤ ، والمادة ١٧٣ فقرة ٣ والمادة ٣١١ فقرة اولى وثانية ، ومواد اخرى واردة فى قوانين خاصة مثل قانون الطوارىء .

خمسة عشر جناية

ونحن لا نذكر هذه المواد القانونية لأنها تعنى شيئا لدى القارىء او الكاتب ، فالحقيقة اننا لا نعرف فحوى هذه المواد ولا مضمونها ، ولكننا نذكرها لنبين مدى ما ذهب إليه المدعى العام من التشدد فى تلمس أسباب العقاب على الدكتور « نجم الدين اربكان » واعوانه ، ومن ثم لا يجدر أن تفوتنا الاشارة إلى أن قرار الاتهام الذى نحن بصدده يتهم « الدكتور اربكان » بمخالفته لحكم الفقرة الرابعة من المادة ١٦٣ ست مرات ، كل منها تكون جريمة قائمة بذاتها ، وتحتاج إلى عقاب خاص ، ثم بمخالفة للفقرة الثالثة من المادة ١٧٣ من احد القوانين الخاصة خمس مرات ، ومؤدى هذا كله : ان المتهم الاول فى هذه الجناية ، منسوب إليه ، وهو مقدم للمحكمة العليا انه ارتكب فوق خمس عشرة جناية .

المتهم نجم الدين

فمن هو نجم الدين اربكان ؟

من هو هذا الجانى الخطير الذى لم نسمع عنه فى البلاد العربية إلا قليلا ، او لم يسمع عنه اكثرنا شيئا قط .

إن « الدكتور نجم الدين اربكان » ليس شابا غرا ، غلبته على امره حماسة طائشة ، فدفعت به إلى مقاومة سلطات الامن فى بلاده مروجا دعاية ممنوعة ، او الدعوة إلى افكار مرفوضة ، بل هو رجل تجاوز منتصف العمر .. تلقى العلم العالى فى بلده وفى المانيا ، فحصل على اكبر الدرجات العلمية فى « الكهرباء » وعاد ليعمل استاذا بجامعة



المحاكمة التى لم يلتفت إليها العرب رغم أنها تعتبر محاكمة العصر ـ ويظهر فى الصورة الزعيم نجم الدين اربكان اثناء محاكمته وعليـــة علامة (X)

« انقرة » ، ثم اختير ليعمل على تنفيذ برنامج تنمية صناعى واقتصادى ، فحقق من النتائج الباهرة ما جعل اسمه على السنة الكثيرين من اهل الراى ، ومعهم عامة الناس الذين تابعوا نشاطه المتدفق ، فى إعجاب عميق . وما لبث ان انتخب للوزارة ، ثم اصبح نائبا لرئيس وزراء بلاده مرتين . فهو إذن رجل مسئول ، اطمانت إليه سلطات تركيا العليا فاسندت إليه اكبر المناصب ، وشهدت له اعماله واقواله وتصريحاته انه يبعث الثقة فى النفوس ، ويبشر بمقدم شخصية سياسية ذات اثر كبير ، يصلح وينصح ويقود .

وقد كان ممكنا ان يتقدم الدكتور « نجم الدين اربكان » لولا انه اقدم على شىء لا تطيقه سلطات تركيا ، ولا حلفاؤها ، منذ اكثر من ستين عاما . ذلك هو التحدث عن الاسلام والشريعة ، والحق ، والله ، والرسول ، والأمة الاسلامية . فهذه كلها محرمات . وقد بالغ « نجم الدين » ، فى تحدى السلطات ، إذ الف ـ كما يقول قرار الاتهام ـ حزبا هو حزب « السلامة القومى » واسمه بالتركية « ملى سلامات » ، إذ ان لفظ ملى فى التركية يساوي « قومى » بالعربية . اما الثلاثة والثلاثون متهما الآخرون ، شركاء « نجم الدين » فى الجريمة ، فهم اعضاء اللجنة المركزية والتنفيذية للحزب ، وفيهم اعضاء فى مجلس الشيوخ التركى ، واعضاء فى مجلس النواب او المجلس الملى .

اركان الجريمة

وقد ان ان نعرف بالضبط ما هى جريرة هؤلاء الجناة .

باختصار شديد فان هؤلاء المتهمين ، بين رئيس وتابع ، قد عقدوا العزم على تاسيس وإدارة حزب هدفه تغيير او تعديل القواعد الأساسية لدولة تركيا ، سواء كانت تلك القواعد سياسية او اجتماعية او تشريعية ، وإقامة حكومة دينية بدلا من الحكومة القائمة ، اى إحلال الحكم الدينى ، محل الحكومة « العلمانية » ، ثم الترويج لتلك الحكومة التى يؤمنون بها ويدعون إليها . وقد وضع السيد العميد « نور الدين سوير » المدعى العام العسكرى ، قرار اتهامه التاريخى ، فى نحو خمسين صفحة ، وقد اعانه فى تحرير هذه الوثيقة عدد من المحققين ومساعدى المدعى العـــــام ، واستنفدوا فى هذا العمل الضخم اكثر من اربعة اشهر ، ولما فرغوا منه واذاعوه ، راى قراء صحف « انقرة » وباقى مدن تركيا ، ان قرار الاتهام ، تتقدمه مقدمة تشرح الأسباب التى تقوم عليها التهمة ، ولاشك ان الاطلاع على هذه المقدمة ، يكشف لنا ما يدور فى راس زعماء وقادة تركيا العسكريين ، قالت المقدمة :

« إن الدولة التركية ـ بشكلها الجديد ـ قد نبتت فكرتها فى عقل وقلب « اتاتورك » وقد كان هذا الشكل هو : الجمهــــورية ، فالجمهورية هى الساق الأولى التى تقوم عليها تركيا الحديثة ، اما السيقان الأخرى ، فهى ثورات اتاتورك السبع » .

الثورات السبع

ومن هنا يتضح ان ابناء تركيا الحديثة لا يؤمنون بان « اتاتورك » قد قام فى سنة ١٩٢٤ وما بعدها ، بثورة واحدة ، اسقطت خلافة بنى عثمان ، وحررت تركيا من هذه الخلافة التى راها الزعيم التركى عبئا على مواطنيه لن يكونوا قادرين على حمله ، وقيدا فى اقدامهم سيمنعهم من التقدم

ملف كامل لقضية خطيرة

لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟

والتنافس مع الدول الحديثة فى ميدان العمل السياسى والتجديد الاقتصادى . فالمواطنون الأتراك يؤمنون بان التغييرات التى ادخلها زعيمهم « اتا تورك » ، والذى احتفلوا سنة ١٩٨٠ بمضي مائة سنة على ميلاده .. هذه التغييرات التى احدثهـــا « اتاتورك » هى « ثورات » عديدة ، لا ثورة واحدة . وقد تم نشر بيان رسمى بعنوان كل ثورة وتاريخ وقوعها ، وهذه الثورات هى :

١ ـ قانون توحيد التعليم فى تركيا بجعله تعليما مدنيا فقط والغاء التعليم الدينى من البلاد ، وذلك فى ٣ مارس ١٩٢٤ ، وهذا القانون يندرج تحت رقم ٤٣٠ .

٢ ـ القانون الثانى ـ او الثورة الثانية فى نظر الأتراك ـ هو القانون الذى فرض لبس « القبعة » على المواطنين بدلا من « الطربوش » ، وقد صدر هذا القانون فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ورقمه هو : ٦٧١ .

٣ ـ القانون الثالث هو القانون الذى يقضي بقفل « تكايا الدراويش » وتسريح هؤلاء « الدراويش » ، وقد صدر هذا القانون فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ .

٤ ـ القانون الرابع هو الذى الغى الزواج الشرعي ووجوب تسجيل وثيقة الزواج امام موظف دينى ، وقد جاء هذا النص بتحويل الزواج من صيغته الدينية إلى صيغة مدنية فى المادة ١١٠ من القانون المدنى التركى الحديث وذلك فى ١٧ فبراير سنة ١٩٢٦ .

٥ ـ القانون الخامس هو قانون العدول عن استعمال الحروف الأبجدية العربية وإحلال الحروف الأجنبية « اللاتينية » محلها ، وحسب هذا القانون أصبحت اللغة التركية تستخدم الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، وقد صدر هذا القانون فى أول نوفمبر سنة ١٩٢٨ ، وكان رقم القانون هو ١٣٥٣ .

٦ ـ القانون السادس هو إلغاء الألقاب التركية الموروثة عن الآباء والأجداد وهى « باشا » و « بك » و « افندى » للرجـــال و « خانوم » للسيدات ، وقد صدر هذا القانون برقم ٢٥٩٠ بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٣٤ .

٧ ـ القانون السابع والاخير هو الذى حرم ارتداء ملابس معينة مثل « الكاكوله » لرجال الدين ، و « الحجاب » للمرأة ، وقد صدر هذا القانون فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٣٤ وكان رقمه هو ٢٥٩٦ .

مقاومة وتضحيات

هذه سبعة قوانين ، تمثل عند تركيـــا الحديثة سبع ثورات ، كل ثورة منها قائمة بذاتها ، ولا يمكن إدخالها جميعا فى نطاق واحد ، لأن لكل واحدة منها اثرا خاصا فى حياة الشعب التركى ، وكان لكل منها رد فعل ومقاومة وتضحيات ، مما دفع الحكومة إلى استخدام القوة وشنق العديد من رجال الدين والدنيا ، ومن الحكام وعامة الناس ، واقتضت هذه القوانين او الثورات السبع شدة وعنفا عن جانب « اتاتورك » الزعيم الذى تصور كل قانون من قوانينها ، وقرر إصداره وتنفيذه ، تحريرا للاتراك ـ فى نظر هذا الزعيم ـ من ربقة الماضي ، واطلاقهم فى مجال الحياة الدولية ، دون ان تثقل خطاهم العمائم الضخمة ، ولا تحجب عنها الرؤية الحسنة البراقع وانواع الحجاب المختلفة ، ونفض اتاتورك بهذه القوانين هـــذه « المتاحف » التى كانت ترضى فضول السائح الاوروبى حينما يزور تركيا ، كما ترضى ذوق الكاتب الذى يريد أن ينقل لقرائه صورة عن الشرقيين والمسلمين .

فالمدعى العسكرى العام فى تركيا ، راى فى اقوال ونشاط ومطبوعـــات وخطب وتصريحات الزعيم « نجم الدين اربكان » واعوانه السائرين فى فلكه تدبيرا ضخما ، يريد أن يبتلع البناء الذى اقامه اتاتورك .. تخيله اولا ، ثم رسمه على الورق ، ثم صاغه فى قوانين ، ثم اصبح عنصرا من عناصر الحياة التى يعيشها الأتراك ، وقد جاء الجيش التركى ليحمى ثورات اتاتورك السبع ، ويرد عنها كيد المتامرين ضدها ، فالجيش هو اكثر مؤسسات تركيا الحديثة إيمانا بثورات مؤسس تركيا المعاصرة وهو « مصطفى كمال اتاتورك » .

بطل الأبطـــال

وقد نص دستور تركيا الصادر فى سنة ١٩٢٤ ، والمعدل فى دستورها فى سنة ١٩٦١ ، على « الجمهورية » و « العلمانية » ، وجعلهما شيئا واحدا لا ينفصل احدهما عن الآخر .

وقد أصبح الأتراك ينظرون إلى « اتاتورك » على انه اكبر واعظم من مجرد بطل قومى ، او زعيم وطنى ، فهو عندهم بطل الأبطال ، وصاحب الصفات الخارقة فى كل مجال .

ولا يهم عند الأتراك ان يرى غيرهم من الشعوب ، او ان يرى علماء فى اوروبا وفى الشرق ان « الجمهورية » و « الثورات السبع » ليست إلا خواء فى خواء . على أن الثابت فى كل الاحوال انه ليس هناك تركى يريد أن يسقط النظام الجمهورى ، حتى تحتاج الدولة إلى حمايته بالقوانين والجيش ووسائل القمع ، ربما تختلف الاحزاب والجماعات السياسية فى جعل الجمهورية التركية : ديمقراطية ليبرالية ، او جمهورية إسلامية ، او غير ذلك من صور النظم السياسية المعاصرة ، اما أن تعمل على تغيير النظام كله فذلك امر غير مطروح بين الجماعات والأحزاب السياسية فى تركيا .

ونعود إلى ثورات اتاتورك السبع لنقول إنها لم تجعل تركيا حديثة على صورة لا يجوز تغييرها ، فان مقتضى التجديد ان تتابع الدولة كل تطور يأتى به الزمان ، وان الجديد الذى طرا منذ قرن او نصف ، لا يمكن ان يبقى جديدا وجديرا بالبقاء على حاله لمجرد أن مصدره محبوب وعظيم ، فان ذلك يمكن ان يتحول إلى سد الطريق امام التجديد والتطوير الحقيقيين ، لا دعمهما والانتفاع بهما .

والواقع أن هذا ماردت به دوائر المسلمين فى تركيا على ما جاء فى مقدمة الاتهام ضـــد « نجم الدين اربكان » وجماعته .

العلمانية والدين

وقد ردت الدوائر الاسلامية على تهمة ان « نجم الدين اربكان » واعوانه قد تحدوا



كوبر نيكوس وجاليلو ـ اتهمتهما الكنيسة بالكفر لانهما قالا إن الشمس مركز الكون....

مبدأ « العلمانية » وخرجوا عليه ، وهو المبدأ الذى فرضه « كمال اتاتورك » ، وجعله إحدى الدعائم التى تقوم عليها الدولة التركية ، ردت الدوائر الاسلامية على هذه التهمة فقالت : إن المدعى العسكرى العام فى انقرة لم يفهم جيداً المعنى المقصـــود من « العلمانية » . فالعلمانية هى عكس « الحكم الدينى » بالمفهوم الاوروبى المسيحى خلال عهود « ديوان التفتيش » ، والحكم الدينى فى ذلك العهد القاتم المظلم ، معناه تحكم « البابا والكنيسة » فى كل راى يقال ، وكل كتاب يصدر ، وكل فكرة تظهر ، فاذا لم يوافق « البابا والكنيسة وديوان التفتيش » على اى نشاط فكرى او علمى ، تم منعه واعتبر كفراً والقى بالمؤمنين به فى جحيم التعذيب الوحشى ، وامثـــال « جاليليـــو » و « كوبرنيكوس » اعتبرا كافرين ، لانهما قالا « إن الشمس مركز الكون » خلافاً لما كانت تؤمن به الكنيسة من أن « الأرض » هى مركز الكون ، لان روما فى الأرض ، ولأن مدينـــة « الفاتيكان » فى روما ـ ومن هنا ثار المفكرون الأحرار ضد هذا الطغيان ورفضوا سيطرة رجال الكنيسة على الأفكار العلميـــة والدراسات الانسانية ، فنشأت نظـــرية « العلمانية » التى تقضى باســـتقلال المدارس والجامعات ومعاهد البحـــوث العلمية عن سلطات الكنيسة ، وإخراج النشاط الدينى من أعمـــال الـــدولة واختصاصاتها . على ان العلمانية لا تعنى مطلقاً ، لا فى اوروبا ولا فى اى مكان اخر ، تحريم النشاط الدينى ولا تقف فى وجه نشر الدعوة الدينية بالطـــرق المشروعة ، اى بالاجتماع والخطابة والكتابة ، فضلا عن ممارسة العقائد والشعائر الدينيـــة فى ابنية واماكن يملكها المؤمنون بهذه العقائد فى هدوء وسلام ، دون أن يكون لسلطات الأمن اى حق فى التدخل فى اجتماعات ونشاط هؤلاء او إلحاق اى اذى بهم .

ولكن السلطات العسكرية فى تركيا قلبت الأمر راسا على عقب ، إذ حرمت على المؤمنين بالاسلام ، وهم اكثر من ٩٩٪ من سكان تركيا ، ان يدعوا إلى دينهم ، وان يجهروا بايمانهم بعقيدتهم ، واعتبرت هذا العمل المباح بمقتضى دستور تركيا عملا خارجا على القانون ، رغم ان الدستور يحفظ لكل صاحب راى حقه فى ان يجهر برأيه ويدعو إليه بالطرق المشروعة ، مع ان السلطات العسكرية التركية تعلم ان المساجد تملأ البلاد ، حتى اصغر قرية فيها ، وان الملايين تؤمها كل يوم جمعة ، وتؤدى فيها فريضة صلاة الجماعة ، وان خطباء المساجد يدعون فوق منابرها إلى دين الله الحنيف .

هذا ماقاله رجال الدعوة الاسلامية رداً على اتهامات المدعى العسكرى التركى ضد « اربكان » وجماعته .

ونحسب انه قد ان الأوان لان نعرف الأدلة التى ساقها المدعى العام العسكرى فى انقرة ضد « نجم الدين اربكان » وزملائه ، فان التامل فى هذه الأدلة يطلعنا على حقائق كثيرة وطريفة عن اسلوب التفكير العسكرى التركى وفهمه لمبادىء الاسلام والدعوة إليه .

اتهامات عجيبة

بادىء ذى بدء ياخذ المدعى العسكرى على المتهمين انهم رفعوا الشعارات الآتية :

الاسلام هو السبيل الوحيد .
ومحمد هو القائد الأوحد .
والشريعة هى الاسلام .
والقرآن دستورنا .
كل الأوثان المعادية للاسلام يجب أن تتحطم ، والاسلام يجب ان يعود إليه سلطانه .

واعلنت السلطات العسكرية إلى جانب ذلك غضبها العنيف على استعمال المصطلحات الاسلامية مثل : لفظ « الحق » تعبيراً عن : الله والصواب والحقيقة ، ولفظ « الباطل » تعبيراً عما يضاد الحق ، اى الزائف وغير الصحيح .

ويقول « نجم الدين اربكان » :

« إن السلطات العسكرية تجهـل أن لفظ « الحق » ورد فى القرآن ٢٢٧ مرة ، وان لفظ الباطل ورد فى ٢٤ موضعاً من سور القرآن .

كذلك قام اعتراض العسكريين على مصطلحات « الجهاد » و « التبليغ » بدعوى أن هذه الألفاظ لا تروج ولا تستعمل إلا بقصد تحويل تركيا إلى دولة دينية اسلامية

ويتساءل المتهمون : ما الذى يحول بينهم وبين تحويل تركيا إلى دولة اسلاميـــة ما دامت الوسائل التى يستخدمونها هى وسائل مشروعة يقرها القانون ، بل يقرها الدستور الذى لا يحرم سوى تغيير صـــفة « الجمهورية » عن الحكومة التركية ، اما الصفة غير الدينية التى تنص عليها المادة « ٢ » عن الدستور ، فانها تدخل فى نطاق التغيير الدستورى إذا ما تم العمل على ذلك بوسائله المشروعة والقانونية ، وإذا لم يكن مسموحاً به فان تركيا تفقد خصائص حكومتها « الديمقراطيـــة » وهى الديمقراطية التى يتباهى بها اتبـــاع « اتاتورك » وتلاميذه وحواريوه .

الفكر الدينى والأحزاب

ويستمر الاتهام فى تقديم الادلة ضـد « نجم الدين اربكان » وجماعته ، فيقـول :

إن الرغبة المتاججة لبعض الجماعات المعروفة لدى سلطات الدولة فى تغيير اصول حكم الدولة التركية السياســية والاجتماعية وتحويلها إلى دولة اسلامية ، هذه الرغبة المتاججة ، لم تهدا قط وقد سعت تنظيمات مختلفة لتحقيق هذا الهدف كما جرت مؤامرات عديدة للوصول الى الغاية ذاتها . وقد ارادت هذه الجماعات الانتفاع من المزايا التى تتمتع بها الاحزاب فى ظل الدستور ، فالبسوا جماعاتهم الدينية

لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟

ثوب الاحزاب ،وتزيوا بزيها ، من ذلك حزب « النظام الملى » ، اى القومى ، الذى سبق تجريمه سنة ١٩٧٢ بمقتضى حكم صادر من المحكمة الدستورية وقد صرح « اربكان » زعيم هذا الحزب المحظور فى اجتماع عقده فى السابع عشر من سبتمبر ١٩٧٠ ، بانه سوف يشكل حزبا ، مراعاة لمقتضيات الاحوال القانونية ، ولكنه هو واعوانه ليسوا فى الواقع رجال احزاب ، بل إنهم ـ كما يسمون انفسهم ـ اتباع « الحق » اى اتباع « الله » ، وهذا كلام صريح الدلالة فى انهم يريدون التستر وراء مظهر « الحزب » ، والانتفاع بالحقوق الدستورية الممنوحة للاحزاب السياسية ، ليتيسر لهم ان ينظموا انفسهم فى طول البلاد وعرضها ، وليصلوا إلى اسماع الجماهير ، وليؤثروا عليها . والحق ان الجماعات الاخرى التى قلدت « اربكان » لم تنجح نجاحه ، فلم يتسللوا إلى الشعب ، ولم يظفروا بثقته .

ولكن عددا غير قليل من المواطنين تاثروا بهذه الدعوة الدينية ، وتكونت قوة لا باس بها حول هذه الفكرة ، فكرة ان الشريعة الاسلامية ، يمكن ان تطبق فى البلاد ، بل ويجب ان تطبق على جميع فروع الحياة الوطنية ، كما ان حظر هذا الاتجاه من جانب المحكمة الدستورية لم يوقف النشاط فى هذا المجال ، كذلك فان القوى التى تجمعت حول حزب « اربكان » لم تتبدد ، بل تمت المحافظة عليها ، بفضل منشورات ومطبوعات متعددة ومتنوعة ، بل إن بعض اعضاء الحزب المحظور ، قاموا بتاليف حزب جديد ، وانضم إليهم العديد من اعضاء الحزب السابق .

ولقد اثبتت الاحداث التى وقعت فى الفترة ما بين منتصف سنة ١٩٧٧ حتى نيسمبر سنة ١٩٨٠ ان زعمـــاء حـــزب « النظام الملى » « م . س . ح » مع اشخاص اخرين يعملون لنفس الهدف مثل « احمد توجور » قد الفوا جماعة تسعى لهذه الغاية ، متحدين القانون فى مادته ١٦٣ والتى تحرم التنظيمات غير المسموح بها ، كما انهم حاولوا الاختفاء تحت اسم جماعات مصرح بها ، وذلك بهدف القيام بعمل غير مشروع وهو قلب اساس الدولة إلى دولة إسلامية .

ويعترف المدعى العسكرى فى هذا الموضع من قراره ، ان عددا من المواطنين اكثرهم من الشباب قد تاثروا بدعوة هذه الجماعة ، وتورطوا فى اعمالها ، وقد عقدوا اجتماعات تحت اكثر من ستار .

الاسلام هو السبيل

وتوالت اجتماعات هؤلاء الدعاة ، من ذلك اجتماع تم عقـــده فى ٢٩ مايو سنة ١٩٨٠ فى «قونية» ، وهى إحدى مدن تركيا القديمة ، وكان قد سبق عقد اجتماع مماثل فى مدينة «يوزجات» فى ٢٩ مايو سنة ١٩٧٩ ، وفى هذين الاجتماعين هتفت الجمـــاهير بشعارات مثل «لتسقط الدولة غير الدينية» و «الدولة الاسلامية لابد منها» و «الاسلام هو سبيلنا الوحيد» و «الشريعة هى الاسلام والدستور هو الحق» وقــد رفعوا اعلاما كتبوا عليها «من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون» «لقــد جاء الحق وزهق الباطل» و «جهادنا صراع بين الحــق والباطل» ، وقد وقع كل هذا امام «اربكان» واعوانه ، ومن بين الشعارات التى ترددت ايضا : «محمد صلــى الله عليه وسلم هو قائدنا الاوحد» و «الوثن سوف يسقط والاسلام سوف ينتصر» .

ويقول المدعى العام العسكرى : إن «الوثن» او «الصنم» هنا مقصــود به «اتاتورك» لان المتهمين يعتبرون اتاتورك وما نادى به من مبادىء عائقــا فى وجه الدولة الاسلامية .

ويواصل المدعى العسكرى اتهاماته «لاربكان» وجماعته فيقول :
لقد تم تشكيل جماعتيــن للشباب ، إحداهما تحت اسم «اكين سيلار» والثانية تحت اسم «اك جش » ، وقد تشكلت الجماعة الثانية بعد ان بطل وجود الاولى بمقتضى نص فى قانون الطوارىء ، ولاشك ـ عند المدعى ـ أن هاتين الجماعتين وحزب «اربكان» علــى تعاون وثيق للوصول الى الهدف النهائى ، هدف اقامة دولة إسلامية فى تركيا ، وشباب هاتين الجماعتيــن يبدى اعجابا وتقديرا عظيمين «لاربكان» وقد اثبتت اجراءات التفتيش التى جرت لمقر هاتين الجماعتين حقيقة أن حزب النظام يزودهما بالمعونات المالية ، وكان من بين المضبوطات منشور بعنوان «منظمة الشباب الاسلامى فى اوروبا» ، وجاء فى هذا المنشور : هذه المنظمة تقوم اساسا على الاعتقـــاد الدينى ، وانها تقيم معارضة ضد اضطهاد الحكومة للدين ، وتعبر فى الوقت نفسه عــن حنين الشباب واشواقهم نحو دولة تقــام على اصول الدين .

التقدم والتخلف

وقد دافع بعض المتهميــن عن انفسهم بقولهم إنهم حضروا اجتماعات دعوا اليها كضيوف وخطبوا فيها كمدعوين لا كمنظميــن ، ولكن المدعى العام العسكرى يكذب هذا الدفاع ويقول : إن احد كبار المتهمين افتتح احد المؤتمرات فــى سنة ١٩٧٧ بخطبة قال فيها :

«ليبارككم الله لجهودكــم النبيلة ، وليكتب لكم النجاح ، وإنى اود ان اقدم لكــم تحياتى بمناسبة راس السنة الهجرية ، ونحــن اذ نطيع الله ورسوله ، نقيم اعظم الحضارات ولكن مانكاد نعصى الله حتى نتخلف ، لقد حاربنا فى الحرب العالمية الاولى فى سبع جبهات وكانت النتيجة ان الوطن احتل ، وقد بدا شــعبنا العظيم يقاتل لينقذ الاناضول نزولا على امر الله ورســـوله ، ولم يكن هذا القتال من اجل ان نخرج ابطالا بل لتعلو كلمة الاسلام ، ولكــن ماحدث بعد ذلك النصر هــو الطمع المتاجج الذى فرض علينا ثورات لاعلاقة لهــا بقضيتنا النبيلة .

ولكن مهمــا قالوا فان الشريعة لاتزال هى سبيلنا الوحيد لنصبح امــة يحترمها الناس ، ولتصبح دولتنا قائدة ، ودولة حضارة ، تحق الحق . ثم اشار «يازجان» بعد ذلك إلى «هؤلاء الذين يسيرون فى غيــر سبيلنا ، وعليهم ان يتبعوا طريقنــا والدعوة لايمكن ان تتحقق بالعنف والقتل ، واول ما يجب

علينا هو ان نقوم «بالتبليغ» ، ولكنهم إن اصروا على الرفض وطلبوا القتال فانه يحق لكم ان تقاتلوا حينئذ دفاعا عن انفسكم»

قوانين منقولة

وقد القى «اربكان» خطابا فى الحجاج الاتراك فى مكة سنة ١٩٧٧ فتلا بعض ايات القران فى بداية خطابه ثم قال :
«إن الله قد أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله»
ثم قال :
«علينا ان نتامل موقفنا كمسلمين اتراك ، ونتساءل : انحن فى طاعة الله أم فى معصيته ، وهل تحكمنا احكام الاسلام ، وايات القران ، ام يحكمنا شىء اخر ، إن قوانيننا ليست سوى ترجمة للقوانين الغربية ، فالقانون المدنى منقول عن سويسرا ، والقانون الجنائى عن ايطاليا ، وببساطة نحن نحكم طبقا لقوانين المسيحيين واليهود ، وبالتالى فان احكام القران لاتحكمنا . ورسالتنا هى ان نعيد سيادة القران ، وهذا يقتضى جهادا» ، وقد صرح «اربكان» يوما فقال :
«إن طريقنا واضح ونحن ننشىء كتاتيب فى كل قرية ، ومدرسة فى كل مدينة ، وسنعيد فتح مسجد «ايا صوفيا» الذى جعله السلطان محمد الفاتح مسجدا بعد ان كان كنيسة ، ومهما فعل الاخرون فان ما نريد سوف يتحقق» .
وفى اجتماع تم عقده فى ١٩ من مايو سنة ١٩٧٨ فى مدينة «قونية» خطب «اربكان» فردد نفس المعانى .
وفى اجتماع عقد للاحتفال بذكرى فتح استانبول على يد السلطان محمد الفاتح ، وزعت رسالة جاء فيها :
بدلا من الاحتفال بايام مجيدة اخرى ، كان يجب الاحتفال بيوم الفتح باعتباره «يوم الشباب» ـ ويقول المدعى العسكرى : إن هذه العبارة يقصد منها الحط من اهمية يوم ١٩ مايو ١٩١٩ الذى وصل فيه اتاتورك الى مدينة «سامسون» التى كانت بداية حرب التحرير .

الجمعة بدلا من الأحد

وفى اجتماع عقد تحت اشراف المؤتمر العام لشباب المسلمين قال «اوجلو» ، احد الزعماء الاسلاميين : « إن ثورات اتاتورك قطعت تركيا عن ماضيها ، والاصلاحات التى قام بها اضرت بالقيم الروحية للشعب وعقب التوقيع على معاهدة «لوزان» بين تركيا والحلفاء «انجلترا وفرنسا وايطاليا» ، مع الملحقات السرية لهذه المعاهدة ، الغيت الخلافة ، واصبح المسلمون بلا قائد ، وحلت الحروف اللاتينية التى لاتلائم اللغة التركية محل الحروف العربية ، والقوانين العثمانية القائمة على الشريعة حلت محلها القوانين الغربية التى لاتحقق احتياجات الشعب ، وبعد ذلك اصبحت الدولة «لادينية» وهو حدث لانظير له فى التاريخ ، وقد كان لهذه المواقف «الاتاتوركية» رد فعل عنيف عند الشعب ، انتهى بشنق الكثيرين» .

وفى ١٥ من اكتوبر سنة ١٩٧٨ ، علق أعضاء حزب «اربكان» شعاراتهم المعروفة على تمثال «اتاتورك» نفسه ، والحقوا بالتمثال الاذى ، وهذا يكشف بجلاء شعورهم نحو الجمهورية وعداءهم ضد مؤسسها .

وقال «اربكان» : إنه حينما كان مشتركا فى الحكم ، كان حكام الاقاليم يؤدون الصلاة خمس مرات فى اليوم كما يامر الله ، ولكن هذا انتهى حينما ترك الوزارة .

ويقول المدعى العسكرى إن اعمال المتهمين ، عملا بعد عمل ، وخطبهم الواحدة وراء الأخرى ، تكشف عن نواياهم بجلاء ، وهو العمل على إقامة الدولة الاسلامية ، او دولة الشريعة .

وفى اجتماع مغلق قال «اربكان» :
«إنى اشكر الله واحمده ، إن حزب السلامة قدم اقتراحا بجعل يوم «الجمعة» يوم العطلة الاسبوعية بدلا من يوم «الأحد» ولكن حزب الشعب الجمهورى ، وحزب العدالة رفضا ذلك الاقتراح لانهما لايهتمان بالدين . وتوثيق الزواج لايتم على ايدى رجال الدين لأن الدين لم يعد «مهما» ، ولكنى ادعو الله ان تتم دعوة سريعة الى عقيدتنا السليمة ، فان الله قد ارانا الحق من الباطل» .

ويقول المدعى العسكرى : إنه قد تم ضبط مسودة خطاب ارسله شاب لأبيه : إن نظام التربية فى المدارس يبعث فى القلوب حب اتاتورك واحترامه وليس حب الله ، وإن جميع القوانين غريبة عنا ، ولا يعلموننا العربية لأنهم يودون أن يقطعوا الصلة بيننا وبين سائر العالم الاسلامى .

الماسونية والصهيونية

وقد علق اربكان على جانب من تاريخ تركيا السياسى الحديث فقال :
«إن الحركة الماسونية سعت سعيا شديدا لعزل السلطان عبد الحميد ونجحت فى سعيها وإن اول محفل فتح فى تركيا كان على يد «أميل كورسو» وهو صهيونى ، وقد انضم اليه ضباط منطقة سالونيكا ، وكان من بين هؤلاء الضباط كمال اتاتورك ، فالحركة الكمالية كان من ورائها الصهيونية»
وتلك كلمات «اربكان» عن تاريخ بلاده ، وذلك رأيه الصريح المعلن أمام شعبه فى هذا التاريخ .
ولعل هذا كله يرينا كيف ان الحركة الاسلامية فى تركيا قد بلغت من القوة والاتساع والعمق ، ما يدعونا الى متابعة ما يجرى هناك ، وفهم دلائله العظيمة وإرهاصاته الكبيرة ...

فتحى رضوان

بقلم: عصـــام شـــريـح

لبنان في انتظار الرئيس السابع..

وفقا للدستور اللبناني ، يتوجب اجراء الانتخابات الرئاسية فى لبنان خلال الفترة الواقعة ما بين الثالث والعشرين من تموز (يوليو) والثالث عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٨٢ . ومدة الرئاسة كما ينص على ذلك الدستور ست سنوات . وقد شارفت ولاية الرئيس الحالي الياس سركيس على نهايتها ، فيما بدا الطامحون إلى منصب الرئاسة يستعدون لخوض معركتها ، والجدير بالذكر ان مجلس النواب اللبناني (البرلمان) هو الذى يقوم بعملية انتخاب الرئيس سواء من بين اعضائه أو من السياسيين من خارج مجلس النواب ، ولا يجوز للرئيس خوض الانتخابات الرئاسية لفترة ثانية على التوالى ، غير ان بالامكان استصدار تعديل دستورى بهذا الشأن من مجلس النواب .

وقد نال لبنان استقلاله من فرنسا فى عام ١٩٤٣ ، وفى ٢١ أيلول منه انتخب المجلس النيابي أول رئيس للبنان فى عهد الاستقلال ، وهو الشيخ بشاره الخوري ، اما أول رئيس للوزارة فى فجر الاستقلال فهو السيد رياض الصلح . وقد تعاقب على منصب الرئاسة فى العهد الاستقلالي حتى الآن كل من الرؤساء بشارة الخوري ، وكميل شمعون ، واللواء فؤاد شهاب ، وشارل حلو ، وسليمان فرنجية ، واخيرا الياس سركيس . ويبدو ان انتخاب رئيس جديد يخلف الرئيس سركيس هو عملية معقدة جدا ، نظرا للازمة التى تعصف بلبنان منذ اندلاع الحرب الأهلية فيه فى عام ١٩٧٥ ، التى تعود فى جذورها إلى ما يسمى بـ « الميثاق الوطني اللبناني » الذى شاءه واضعوه ان يكون تسوية طائفية بعد رحيل الفرنسيين عن لبنان . ولان « الميثاق الوطني » هذا يشكل لب وجوهر الازمة اللبنانية المستعصية كان البحث التالى عن « الميثاق الوطني اللبناني » .

ليس هناك شك فى أن الحرب الدائرة فى لبنان منذ عام ١٩٧٥ ، والتى لا يستطيع احد التكهن بنهايتها ، إنما تعود الى جملة اسباب وعوامل داخلية وخارجية ، وكان فى طليعة الأسباب الخارجية سياسات اسرائيل والولايات المتحدة ، الهادفة الى اشعال حرب طائفية فى لبنان ، على امل نقل هذا اللون من الحرب الى بقية الدول العربية وبالتالى اشغال العرب بحروب استنزاف ذاتى فى الداخل والهائهم عن التصدى للكيان الصهيونى الآخذ فى التمدد كالسرطان فى الأرض العربية ، وعن سياسة النهب الاستعمارى لثرواتهم . لكن العامل الخارجى ، ليس هو فى الواقع السبب المباشر للحرب ، بقدر ما هو العامل الداخلى والعامل الخارجى فى الحرب اللبنانية ، إنما جاء نتيجة للعامل الداخلى .

ذلك انه بعد اثنين وثلاثين عامـــا من التعايش المشترك ، بين المســــلمين والمسيحيين فى لبنان ، انفرط عقـــد ذلك التعايش فجاة ، وانهارت صيغته المسماه « الميثاق الوطنى » ، ورفع ابناء الطوائف الاسلامية صوتهم عاليا ، رافضين تلك الصيغة ، ومطالبين ببناء صيغة جديدة ، تنهى عهد الهيمنة المسيحية على الدولة اللبنانية ، بل عهد هيمنة الطائفة المارونية المسيحية بوجه خاص ، تلك الهيمنة التى فرضتها صيغة الوفاق الوطنى غير المتوازن فى عام ١٩٤٣ ، ويقترحون قيـــام دولـــة علمانية ديمقراطية .

اما الفريق الثانى ـ اى المسيحيون ـ فانهم يرفضون بدورهم العودة الى « الميثاق الوطنى » ويطالبون بدلا من ذلك بدولـــة فيدرالية او كونفدرالية ، تقـــوم على اللامركزية السياسية والادارية ، وعلى التعددية الثقافية . والمهم أن الجميع باتوا متفقين حول فشل صيغة التعايش التى وضعت فى عام ١٩٤٣ ، عشية رحيـــل المستعمرين الفرنسيين عن البلاد ، وبدء عهد الاستقلال . والجميع يطرحون الآن صيغا مختلفة لاعادة اللحمة بين ابناء المجتمع اللبنانى (الفسيفسائى) .

ما هو الميثاق الوطنى .؟

عندما شعر المسيحيون فى لبنان ، ان فرنسا تفكر فى انهاء استعمارها لكل من سوريا ولبنان ، والرحيل نهائيا عن البـــلاد ، بداوا يسيرون فى تظاهرات حاشدة ، كانوا يندون خلالها بالعروبة ، ويظهرون تعلقا غريبا بفرنسا .

اما المسلمون ، فكانت تظاهراتهم المعاكسة ترفع شعار الوحدة العربية ، وخاصة وحدة لبنان مع سوريا .

وفى هذا الوقت برزت الدعـــــوة إلى

نظرة جديدة إلى الميثاق الوطني









بشارة الخوري — كميل شمعون — فؤاد شهاب







شارل حلو — سليمان فرنجية — الياس سركيس

« الفينقة » – اى كون اللبنانيين غير عرب وإنما يتحدرون من الفينيقيين القدماء – كرد على مشروع قيام اتحاد فدرالى عربى يدخله لبنان على قدم المساواة مع الدول العربية الاخرى .

وكان حزب الكتائب الذى ظهر فى عام ١٩٣٦ ، احد الأطراف المسيحية التى تبنت هذه الهرطقة « الوطنية » وعندما أصبحت « الفينقة » تيارا عاما بين المسيحيين ، برزت الدعوة الى « القومية اللبنانية » لمواجهة القومية العربية ، وكانت البعثات التبشيرية المسيحية الاجنبية والفرنسية بوجه خاص وراء قيام وبروز هذه الهرطقة .

لكن بالرغم من هذا الانشقاق الخطير فى هيكل المجتمع اللبنانى ، فان الاتفاق على صيغة للتعايش والتفاهم المشترك لم يتم فعليا قبل حلول عام ١٩٤٣ .

ولادة الميثاق الوطنى

ساهمت احداث محلية واقليمية ودولية فى عام ١٩٤٣ ، على بلوغ مرحلة الاستقلال عن فرنسا ، وكان أهم تلك الأحداث الهبة الوطنية الواحدة التى قابل بها اللبنانيون اعتقال السلطات الاستعمارية الفرنسية للقادة الوطنيين ، وابرزهم رياض الصلح وبشارة الخورى . أما أهم الأحداث الاقليمية التى ساهمت فى صنع استقلال لبنان ، فقد تمثلت كون سوريا « الطرف الثالث » فى صياغة الميثاق الوطنى ، والتوفيق بين المسلمين والمسيحيين . فالزعماء الوطنيون السوريون هم الذين « اقنعوا » العروبيين الوحدويين فى لبنان ، وعلى راسهم رياض الصلح وعبد الحميد كرامى ، بالاقلاع عن مطالبتهم بالوحدة السورية والقبول بكيان لبنانى منفتح على العرب والعروبة .

اما الحدث الدولى المهم الذى ساهم هو الآخر فى انجاز استقلال لبنان ، فهو الصراع الدولى انذاك بين فرنسا وبريطانيا إذ كان البريطانيون يشجعون « الوطنيين » فى سوريا ولبنان على التخلص من الفرنسيين ، املا فى نشر النفوذ البريطانى فى البلدين فى مرحلة الاستقلال .



بنود الميثاق

المهم أن البنود تبلورت على قاعدة صريحة بين المسلمين والمسيحيين ، هى قاعدة الاستقلال عن فرنسا ، وقد جاءت الانتخابات العامة التى جرت فى عام ١٩٤٢ لتكرس نجاح اللوائح الانتخابية التى تضم الوطنيين المؤيدين للاستقلال ، ولتحجم المنادين بعقد معاهدة « ابدية » مع فرنسا بعد خروجها من لبنان ، باعتبارها « الأم الرءوم » للموارنة فى لبنان .

هناك من يقول ان البيان الوزارى الذى القاه رياض الصلح فى ٧ تشرين الاول ١٩٤٣ أمام مجلس النواب (البرلمان) هو بعينه « الميثاق الوطنى » او انه على الاقل يتضمن أهم بنود الميثاق وخطوطه السياسية العريضة .

أما أهم مبادىء البيان الوزارى هذا فهى

اولا : الاستقلال التام والسيادة الكاملة :

فقد جاء فى البيان الوزارى لرياض الصلح : « ان هذا الاستقلال نريده حقيقيا ، وتلك السيادة نريدها كاملة ، بحيث نتمكن من تقرير مصيرنا كما نشاء وكما تقتضيه مصلحتنا الوطنية ، باستثناء اى مصلحة اخرى » .

ولتحقيق هذا الاستقلال ، اقترح البيان تعديل الدستور ، الذى يتضمن مواد تتعارض مع بناء الاستقلال ، ونصوصا تعترف لغير الشعب اللبنانى وممثليه بحق ادارة الحكم .. « .. ولذلك فان الحكومة ستطلب فورا بادخال التعديلات اللازمة حتى يصبح الدستور دستور دولة كاملة الاستقلال » .

لبنان في انتظار الرئيس السابع..

ثانيا : وجه لبنان العربي ، واولوية التعاون مع الدول العربية :

جاء في بيان الصلح ايضا : « ان موقع لبنان الجغرافي ، ولغة شعبه وثقافته ، وتاريخه واوضاعه الاقتصادية ، تحتم عليه وضع علاقاته بالدول العربية الشقيقة في مقدمة اهتماماته » .

إلا ان ما يجدر ذكره هنا ، ان البيان ، باعتباره موقفا رسميا ، اتخذ في ظروف سياسية معينة ، وبنوع خاص بما يتعلق بتعديل الدستور اللبناني ضد ارادة السلطة الاستعمارية الفرنسية ، فان بيان رياض الصلح الوزاري ، لم يتضمن ، جميع النقاط التي اتفق عليها بشارة الخوري ورياض الصلح ، ولا الاسس التي رمى اليها او الاطار الدستوري الذي سيمارس فيه .

ومع الاعتراف بتقصير البيان عن التعبير عن مبادىء « الميثاق الوطني » فانه دون شك يشكل مؤشرا اساسيا لمضمون الميثاق .

اما اهداف « الميثاق الوطني » ، كما حددها بشارة الخوري ونقلها يوسف يزبك فهي :

● استقلال لبنان التام والحقيقي بالنسبة لكل الدول الغربية .

● استقلال لبنان التام والحقيقي بالنسبة لكل الدول العربية .

● لا وصاية ولا حماية ولا امتياز ، ولا فضلية بالنسبة لأية دولة .

● التعاون الى اقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة .

● الصداقة مع كل الدول الاجنبية التي تعترف باستقلال لبنان وتحترمه .

لكن قد يكون من المبالغة او الخطا اعتبار المبادىء المتقدمة هي التعبير الأوفى عن الميثاق ، تماما كما أنه من المبالغة والخطا اعتبار البيان الوزاري لأول حكومة في عهد الاستقلال تعبيرا شاملا ووافيا عن مبادىء الميثاق .

فجميع الذين تحدثوا عن « الميثاق الوطني » كانوا متفقين على التاكيد بان الهدف الرئيسي منه ، كان إيجاد صيغة وطنية ــ سياسية ، قابلة لاقناع جميع اللبنانيين باجتياز الخطوة الأخيرة التي تفصلهم عن الاستقلال التام والسيادة الكاملة .

وكانت الفكرة الرئيسية في الميثاق عند هؤلاء الباحثين السياسيين تتمثل في « تخلي المسيحيين عن فكرة الحماية الأجنبية ، في مقابل تخلي المسلمين عن فكرة الاتحاد مع سوريا » ، ويقول صائب سلام (رئيس وزراء سابق) : « إن المهم في هذا الاتفاق ، هو ان الفريق الاول ، المؤلف من ابناء جبل لبنان (الموارنة) والمسيحيين بوجه عام ، تخلى عن حماية فرنسا واقتنع بسلامته في إطار بلد مستقل وحر ، وفي إطار كيان وطني يعترف به جميع ابنائه وجيرانه وان الفريق الثاني المؤلف من اكثرية المسلمين وابناء « ولايتي » بيروت ودمشق في السابق ، يتخلى عن موقفه السلبي من الكيان اللبناني ، ومطالبته بالاتحاد مع سوريا ، ويعترف بلبنان كموطن عربي مستقل .

اما إميل البستاني ، فقد شرح في دراسة نشرها في عام ١٩٥٨ موقف المسلمين والمسيحيين قبيل اتفاقهم في عام ١٩٤٣ على فكرة التعايش المشترك ، فيقول : كان فريق من اللبنانيين يرى « استقلاله » مهددا من الداخل السوري ، ومن العرب بوجه عام، والمتطرفون في هذا الفريق ينادون بوطن قومي مسيحي تحت حماية اجنبية (يقصد الموارنة) اما المعتدلون فكانوا يعتقدون ان لبنان يجب ان ينفرد بوضع خاص في المحيط العربي ، وان يتعاون مع الدول الأوروبية ليدافع عن كيانه .

اما الفريق الثاني (المسلمون) فكان يطالب بالوحدة مع سوريا او بالمحيط العربي او باعادة بعض المناطق لسوريا مدفوعا بعقيدته القومية ، إلا ان الزعماء المعتدلين في هذا الطريق مالبثوا ان ادركوا ان قيام وطن قومي مسيحي بحماية الدول الأجنبية ، يشكل خطرا على الدول العربية المجاورة له ... ومن اجل المحافظة على مصلحة اللبنانيين والعرب مجتمعين ،

يقول إميل البستاني إن الفريق المسيحي تخلى عن مشاريعه الانعزالية ، وعن فكرة الحماية الأجنبية وقبل بالتعاون مع الدول العربية مقابل ان يتنازل الفريق الثاني (الاسلامي العروبي) عن مطالبته بضم لبنان او أجزاء منه الى كيان عربي وحدوي أكبر .

فالمسيحيون ، بتخليهم عن فكرة الحماية الاجنبية ، تبنوا فكرة عروبة لبنان (في حدود لفظية) ، والمسلمون ، بتخليهم عن فكرة ضم لبنان لكيان عربي او سوري ، اعتبروا لبنان في حدوده الراهنة وطنا نهائيا لهم .

اما المبدا الثاني في الميثاق ، فهو اعتراف الدول العربية بكيان لبنان واحترامها لسيادته ، وقد اقتضى هذا المبدا انفتاح لبنان على العالم العربي ، وتعاونه مع الدول العربية الشقيقة ، لما في ذلك من « مصلحة مشتركة » .

لكن المبدا الآخر الاهم في بنود « الميثاق الوطني » اللبناني هو الاتفاق بين رياض الصلح وبشارة الخوري ، على مسالة توزيع مراكز السلطة بين الطوائف .

والواضح ــ برغم الاجتهادات المختلفة حول هذا المبدا ــ ان الميثاق كرس توزيع مراكز السلطة بشكل غير متوازن ، بحيث ضمن هيمنة مسيحية واضحة ، فقد اعطيت رئاسة الجمهورية للموارنة ، ورئاسة الحكومة للسنة ، ورئاسة المجلس النيابي (البرلمان) للشيعة ، وقد اعترف للطائفة المارونية بأنها الاكثر تعدادا بين الطوائف ، وهو ما تنفيه الوقائع الديمغرافية الحالية في لبنان ، حيث لم يسمح الموارنة باجراء اى احصاء للطوائف منذ عصر الاستعمار الفرنسي . وقد اسندت قيادة الجيش ومازال حتى هذه اللحظة الى الموارنة ، وبذلك قبض الموارنة على أهم سلطتين في الدولة .

اما بالنسبة لتوزيع مقاعد مجلس النواب ، فان الميثاق ضمن للمسيحيين نسبة من المقاعد تساوي ستة نواب لقاء خمسة نواب للمسلمين ، اى ان النسبة تساوي ٥/٦ ، وهذه النسبة تظهر تفوق المسيحيين في البرلمان ايضا وبذلك تكون جميع القرارات التنفيذية او الاشتراكية بيد المسيحيين عامة والموارنة منهم بصورة خاصة .

وفي الواقع يمكن القول ، كما يذكر الدكتور انيس صايغ في كتابه « لبنان الطائفي » . ان « الميثاق الوطني » « لم يضع اسس النظام الطائفي في لبنان ، ولكنه جمل وهندس واجهة لبنان الطائفية » « فالنظام الطائفي تكرس ، ضمنا في عام ١٩٤٣ ، فعلى الصعيد الداخلي ، تكرست الطائفية بالابقاء على دستور ١٩٢٦ ، وبتعزيز

ممارستها على مستوى الادارة والحيــاة العامة .

اهتزاز قواعد الميثاق

لقد عاش اللبنانيون على القواعــد والمبادىء المتقدمة الواردة فى الميثــاق الوطنى ، على مضض ، حيث كان فريق من المسلمين والمسـيحيين يحتفظ بارائــه ومعتقداته الخاصة حول طبيعة الكيــان اللبنانى .

وقد جاءت الهيمنة المارونية على الدولة من خلال رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش والنسبة المتفوقة للنواب المسيحيين فى البرلمان ، لتوسع الهوة بين المســلمين والمسيحيين ، ولتزعزع قواعد الميثــاق ومبادئه ، ولتظهر أن التعايش المشترك انما كان مجرد وهم كبير .

ففى عام ١٩٥٨ ، انفجرت ثورة لبنان ، كان شعارها المعلن الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة (التى كانت تضم مصر وسوريا) ، وكان دافعها الاساسى شعور المسلمين بالغبن والظلم فى دولة يشكلون فيها اكثرية مطلقة بالنسبة لمجموع الطوائف المسيحية .

وعندما وضعت الثورة سلاحها ، وجاء قائد الجيش انذاك اللواء فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية ، حاول شهاب سد الثغرات ، واقامة توازن فى الامتيازات والسلطات بين المسيحيين والمسلمين ، وكان شعاره فى ذلك تحقيق العدالة الاجتماعية ، والانمــاء الاقتصادى ، معطوفين على التوازن الطائفى والنظام الديمقراطى البرلمانى ، ومحاطين بالتعــاون الوثيق بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة .

لكن فى عهد الرئيس شارل حلو ، الغيت قواعد السياسة « الشهابية » التى تضايق منها المسيحيون اشد الضيق ، حتى ان بعض الفئات كانت تنعت فؤاد شهاب بانه اقرب إلى المسلمين منه إلى المسيحيين . لقد عاد شارل حلو إلى القواعد التقليدية فى السياسة المارونية الاستئثارية التى ســار عليها بشارة الخورى - أول رئيس للجمهورية فى عهد الاستقلال - وعندما جاء الرئيس سليمان فرنجية الى رئاسة الدولة ، وسار على نفس سياسة سلفه أو أسلافه ،



رياض الصلح

بدات نذر انفجار جديد تتجمع فى افق لبنان وقد لعب فى تفجيرها دون شك العــامل الاسرائيلى والعامل الاستعمارى جنبا إلى جنب ، حيث عمل الاسرائيليون والامريكيون على تحريض الموارنة وتسليحهم وتمويلهم وتدريبهم فى بعض الاحيان ، لمقاومــة انتفاضة المسلمين المتوقعة ، والتى اخذت بعض عناصر قوتها من تواجد الثــورة الفلسطينية على الأرض اللبنانية فى الجنوب فى اعقاب عام ١٩٧٠ .

وبالفعل استبق حزبا الكتائب والاحرار الانعزاليان انتفاضة المسلمين الذين اخذوا يرفعون شعار المشاركة فى الحكم وانهاء الاستئثار المسيحي بالسلطة ، واجــراء احصاء لعدد سكان لبنان ، وتوزيع السلطات الاساسية فى الدولة على أساس هذا الاحصاء ، ثم اعتبار يوم الجمعة يوم عطلة رسمية ، كما هو يوم الأحد عطلة رسمية .. الخ .

وفى ١٣ نيسان (ابريل) من عام ١٩٧٥ جرت « مجزرة عين الرمانة » على ايدى الانعزاليين ، حيث قتل سبعة وعشرون لبنانيا وفلسطينيا كانوا فى حافلة ركــاب (باص) فى طريقهم من القطــاع الغربى من بيروت الى بيوتهم فى مخيم تل الزعتر ومنطقة الدكوانة فى القطاع الشرقى من المدينة ، عندما تصدى مسلحون انعزاليون للحافلة واطلقوا عليها النيران والقنابل .

وكان هذا الحادث كافيا فى حــد ذاته لتفجير الازمة ، حيث بدات الاشتباكات بين الفرقاء المتنازعين ، وما تزال حتى الآن .

لقد اكتشف اللبنانيون - مســلمون ومسيحيون - فى عام ١٩٧٥ ، انهم كانوا يتكاذبون ، وانهم كانوا يعيشون « كاخوة اعــداء » .

وخلال الحرب (حــرب الســنتين ١٩٧٦/٧٥) اضطر الرئيس ســليمان فرنجية الى اعادة النظر فى صيغة « الميثاق الوطنى » فاذاع ما يعرف « بالوثيقــة الدستورية » ، التى رفضتها الحركة الوطنية فى حينه (اذيعت فى ١٤ شباط ١٩٧٦) ، نظرا لصيغتها الطائفية ولكن هذه الوثيقة جاءت لتلغى « الميثاق الوطنى » عمليا ، وليبدأ اللبنانيون مخاضا جديدا ، يبحثون من خلاله عن صيغة جديدة للتعايش الطائفى . فالوثيقة الدستورية طرحت توزيع السلطات بالتساوى بين المسلمين والمسيحيين شكليا لا جوهريا فقد نصت على توزيع مقاعد مجلس النواب بالتساوى بين المسلمين والمسـيحيين ، واعتماد مبدأ الثلثين فى البرلمــان لاقرار القضايا المصيرية ، واكثرية ٥٥ بالمــائة لانتخاب رئيس الجمهورية فى الدورات التى تلى الدورة الأولى ، ثم اصدار جميع المراسيم ومشاريع القوانين بالاتفاق بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومــة ، باستثناء مرسومى تعيين رئيس الحكومة وقبول استقالة الوزارة وإقالتها ، وتعزيز اللامركزية واستقلالية القضاء .

لكن « الوثيقة الدستورية » ابقت رئاسة الجمهورية للموارنة وكذلك قيادة الجيش ، أى انها كانت محاولة تجميل « للميثاق الوطنى » على حد تعبير الدكتور أنيس صايغ .

والآن .. ما هو مستقبل لبنان .. وأية صيغة سيتمكن اللبنانيون من التعايش مجدداً على اساسها ، وكم سنة سيدوم هذا التعايش ؟؟

اسئلة تلقى فى المجهول .. لان جميــع الصيغ التجميلية ، ليست حلولا ، والتسويات بين المسلمين والمســيحيين لا يمكن أن تعيش طويلا ، لأنها ايضــا ليست حلولا .. ويبقى فى نظرنا ان مستقبل لبنان مرهون بالحل القومى ، وبكون لبنان جزء لا يتجزأ من وطن اكبر وأن الحدود المصطنعة التى رسمها الاستعمار قبل رحيله من البلاد العربية يجب ان تزول يوما ما .

عصام شريح

من أوراق سياسي عربي كبير

من القدس .. إلى القاهرة بالقطار


الملك فاروق

● فى الأزهر كان الطالب يختار أستاذه والمواد التى يدرسها ● أول درس للأزهريين كان عنوانه : كيف تكون على خلق حسن ؟ ● عندما كان مكرم عبيد المسيحى يستشهد فى خطبه بالقرآن الكريم ● ملامح من العصر الذهبى للحركة الفكرية فى مصر .

الورقة الأولى

فى صيف عام ١٩٤٥ ركبت القطار من القدس متجها إلى اللد ، ومنها إلى القطار القادم من حيفا فى طريقه إلى القاهرة .

وفوجئت منذ بداية رحلتى بوجود حشد من الجنود البريطانيين الذين يحتلون عربتين متجاورتين من القطار فى طريقهم إلى مصر . وكان لهم ضجيج عال مازال صداه يرتج فى ذاكرتي منذ ذلك اليوم ، فلقد اخاف امثالى من الطلاب صغار السن الذين تركوا اهليهم لاول مرة .

بقى الانفعال الحاد مرسوما على وجهي ، ومحفورا فى قلبى حتى وصلنا إلى محطة حديد غزه . وفيها التقيت بشيخ فلسطينى معمم تبدو عليه سمات السماحة والوقار فدعاني للجلوس معه فى احدى المقصورات الخاصة .

ترددت فى البداية ، ولكنني - امام الحاحة - استجبت للدعوة ، وعرفت فيما بعد ان هذا الشيخ الجليل هو الاستاذ محمد ابو سردانه الذى يعمل الآن قاضيا شرعيا فى الأردن .

بدا الشيخ محمد يحدثني عن الأزهر ، وعن علوم الدين واهميتها فى هذا العصر الذى كاد الناس فيه ان يبتعدوا عن دينهم امام مغريات الحياة وغزوات الملحدين . وذكر لى - ضمن ما ذكر - كثيرا من قصص المعاناة التى واجهها السلف الصالح فى سبيل طلب العلم ، كما ذكر لي ما اعده الله سبحانه وتعالى من خير وبركة ومثوبة لطلاب العلم .

والواقع انني سعدت بحديثه ايما سعادة لانني ما تركت وطني ، وابتعدت عن اهلي واحبابى الا من اجل ان اتعلم اصول الدين والفقه واللغة فزادني هذا العالم - جزاه الله خيرا - ايمانا وقناعة بما ان مقدم عليه .

عندما وصلنا إلى محطة (باب الحديد) بالقاهرة اصر الرجل بان يصحبني فى عربة (الحنطور) التى اوصلتنا إلى الأزهر الشريف .

بين اروقة الأزهر

كان القسم الداخلي بالازهر - وما زال - مقسما الى عدة اروقة منها : رواق الشوام ويسكنه الطلاب الوافدون من فلسطين والاردن والعراق وسوريا ولبنان ، ورواق الصعايده ، ويسكنه الطلاب القادمون من صعيد مصر ، وكذلك رواق الاتراك والسودان وهكذا ، كل مجموعة اسلامية لها رواق خاص ، ولكل رواق وقف معين ينفق على طلابه ، واذكر ان رواق الاتراك كان اغنى الاروقة جميعها .

وكانت ادارة الازهر تخصص لكل رواق شيخا معينا له وكيل يباشر مهماته التنفيذية بهدف تنظيم حياة الطلاب .

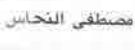
وكاى طالب جديد على الازهر نزلت فى بدروم عمارة من ثلاثة طوابق . وهناك

كاتب هذه « الأوراق » واحد من الشخصيات العربية السياسية البارزة وهو يشغل حالياً منصباً مهماً فى منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد اختص مجلة الدوحة بهذه « الأوراق » التى يركز فيها الضوء على مجموعة من الوقائع والأحداث التى مرت فى حياته ، وبشكل خاص إبان فترة وجوده ـ كطالب جامعى ـ فى القاهرة بين عامى ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ م وهى فترة « العصر الذهبى » للنهضة الفكرية كما احب هو ان يطلق عليها .

وقد برر تركيزه على ذكر تلك الوقائع بقوله : « لعل القارىء الكريم يجد بين سطورها ما يشحذ الهمم ، ويقوى العزائم ، ويشحن المشاعر » .





مصطفى النحاس



مكرم عبيد



احمد حسين

سلمني الشيخ محمد ابو سردانه إلى الشيخ حافظ صندوقه ـ رحمه الله ـ حتى يقوم بولاية امري ورعايتي ، وذلك بناء على توصية حملتها إليه من احـــد اقاربي بالقدس .

وكان اول عهدي بالدراسة الازهريه استماعي لدرس بعنوان : كيف تكون على خلق حسن ؟ وهو عبارة عن توجيهـــات وارشادات فى فن الاستماع ، والمناقشـــة ، واجابة الامتحانات وخلاف ذلك .

وعندما اردت ابتياع الكتب الدراســية رافقني احد الزملاء إلى احدى المكتبــات ، فقال صديقى للكتبي : هذا زميل جديد شافعي المذهب ، وإذ بالرجل يعطيني مجموعة كاملة من الكتب عبارة عن جميع مقررات السنة الاولى !

واعترتني الدهشة لذكائه ، فقد كانت هذه العبارة ذات الخمس كلمات كافية لان يعطينا حاجتنا بدون ذكر الاســـــماء والمؤلفين .

لقد كانت الدراسة يومذاك « حرة » بمعنى ان الطالب يختار « الشيخ » الذى يستريح له ويشعر بالفائدة الاكثر من علمه ، وهذه الطريقة ـ فى رايي ـ ذات دلالات كثيرة ، لأنها تترك للطالب حرية الاختيار بما يعود عليه بالنفع والراحة النفسية . وبدانا الدراسة بحفظ المتون ، وكانت المقولة فى الأزهر حينذاك تقول : من حفظ المتون حاز الفنون ، بمعنى ان الذى يحفظ متن اللغة او متن الاصول مثلا ، فانه مؤهل قبل غيره من الطلبة لكى يحرز السبق والنجاح .

كانت الدراسة التمهيدية فى الجامع الأزهر ـ القسم العام ـ تعني التمهيد لدخول احدى الكليات الثلاث فيه وهى : كلية اصول الدين ، كلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة .

ولا يحق للطالب ان يدخل احدى هذه الكليات الا اذا نجح فى امتحان القسم العام واذا نجح فى هذا القسم حصل على الشهادة (العالمية) ، ثم تبدا الدراسة الجامعية التى تستمر لمدة اربع سنوات يحصل المتخرج بعدها على (الشهادة العالية) التى تؤهله للعمل فى حقل التدريس او المحاكم الشرعية او الوعظ والارشاد .

ومن ابرز المظاهر الايجابية فى الدراسة الأزهرية هو التعارف الوثيق ، والتالف الوطيد الذى كان يتم بين الطلبة القادمين من مختلف انحاء العالم الاسلامى وغير الاسلامى ونتيجة لذلك اتسعت دائرة معرفتنا الانسانية ، وتوطدت علاقاتنا الاخوية ، فهذا شامي مع مغربي ، وذلك سوداني مع تركي ، وذاك افغاني مع مصرى .. وباختصار فان الوحدة الاسلامية كانت متجسدة وقتذاك فى طلبة الأزهر الشريف . ومن حسنات فترة دراستنا فى ذلك الوقت ـ والتى نسجلها بمداد الاعزاز والفخار ـ اننا عاصرنا احداثا مهمة فى مصر ، وتركت فى نفوسنا اطيب الذكريات .

مع الاحزاب فى مصر

لابد من المرور هنا على مجمل الاحزاب المصرية التى كانت تتصارع كلها من اجل الوصول إلى سدة الحكم ، وكانت لكل حزب افكاره ومبادئه ، وصحفه ومجلاته التى تبشر بتلك الافكار والمبادىء .

وكان الشارع المصرى موزعا بين هذه الاحزاب ، فئة تؤيد هذا ، وفئة اخرى تناصر ذاك ، وفئة ثالثة ملتزمة بتاييد حزب معين ، وهلم جرا .. وكل حزب بما لديهم فرحون .

ونحن كطلبة كنا نستفيد من مثل هـــذه الصراعات ، فكنا نعرض بعض مشاكلنا على الحزب المعارض للحكومة القائمة ، فيفسح لنا المجال لنشر ما نريد لتحقيق اهدافنا ، فكانت صحف المعارضة هى النافذة لكل مظلمة او شكوى .

فيوم يكون الوفد خارج الحكم يفتح لنا صحفه ومنابره ، ويوم يكون السعديون خارج الحكم يفتحون لنا صحفهم ومنابرهم . وهكذا ومن هنا أيضاً برزت لنا ـ كطلاب ـ ناحية مهمة ، وهي اننا كنا نشبع رغباتنا في المعارضة من خلال احزاب المعارضة نفسها .

كنا نتصل باحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، نستمع إلى خطاباته الحماسية التي كانت تنمي فينا بذور النقمة ضد التخلف والقهر ، والملك فاروق والحكومة المؤيدة له ، فنستفيد من كل هذا سعة في المدارك ، ومعرفة ببواطن الأمور ، ولو كانت من وجهة نظر مغايرة .

وما زلت اذكر يوم انفصل مكرم عبيد عن حزب الوفد وزعيمه مصطفى النحاس باشا بسبب خلاف وقع بينهما فاسس « عبيد » حزبا جديدا اسماه « الكتلة الوفدية » نكاية في النحاس .

والحقيقة اننا كنا في ذلك الوقت نحب ان نستمع لخطابات مكرم عبيد بالذات نظرا لما يمتاز به من فصاحة اللسان ، وسلاسة التعبير ، والاستشهاد بايات من القران الكريم ، فلقد كان ـ وهو من اتباع سيدنا عيسى عليه السلام ـ يحفظ القران عن ظهر قلب !

وكنا نحب ان نلتقي باغلب زعماء الاحزاب السياسية في مصر ، نقرا افكارهم ونستفيد من تجاربهم وحنكتهم بغض النظر عن الافكار التي كانوا يطرحونها ، وكان كل زعيم يؤكد على صحة نظريته ، ويصدق مقولته ويصف نفسه بانه الوطني المخلص الذي لا يشق له غبار ، وان غيره بحاجة إلى دخول المدرسة من جديد ليتعلم فيها مبادىء الوطنية كي يصبح في درجة مناسبة تؤهله لمبارزته ، والوقوف امامه !

والجدير بالذكر ان زعماء الاحزاب كانوا من الطبقة الارستقراطية المصرية ، وكانت لهم مميزات يفتقدها رجل الشارع العادي .

وفي رايي ان جميع الاحزاب فشلت في خلق كوادر حزبية واعية ، بدليل انها لم تستطع كلها ان تحقق للشعب المصري هدفه الرئيسي في طرد الاستعمار البريطاني الذي كان جاثما على صدر مصر في تلك الفترة .

لقد كانت الاحزاب كلها تعتمد على الكم الكلي ، دون الكيف النوعي ، بمعنى انها كانت تعتمد على الكثرة العددية دون الالتفات إلى نوعية القيادات التي كان يجب عليها ان تخلقها لتتحمل المسئولية ، وتضع القرار .

ان الشعب المصري الذي يمتاز بطيبته وبحسه الوطني المرهف قد ضاع بين مصارعات الاحزاب التي كان همها الاوحد ان تصل إلى السلطة .. والى السلطة فقط !

العصر الذهبي

خلال فترة وجودي بالقاهرة كنت اشعر بان المرحلة التي اعايشها هي مرحلة العصر الذهبي العلمي ، عصر النهضة الفكرية في مصر .

كانت القاهرة يومذاك تغص بالعمالقة من الادباء والعلماء والرواد والمفكرين في شتى مناحي المعرفة الانسانية .

كان لا يمر يوم الا وتشهد فيه محاضرة او مناظرة او ندوة ، وما شابه ذلك ، وكنت شغوفاً بذلك النشاط المكثف انتقل من محاضرة إلى اخرى ، ومن مقر إلى اخر ، اغترف من هذا علما وحكمة ومن ذاك ادبا وقولا ، ولن انسى « دار الحكمة » التي كانت المحاضرات القيمة تقام فيها اسبوعيا ويحضرها الناس على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم .

كثيرا ما اسرح اليوم بخاطري اتذكر تلك المرحلة الذهبية ، واعض على بنان الاسى والألم حين اتامل ندرة هذه الانشطة في يومنا الحاضر ، وانظر بعين الاشفاق على لا مبالاة الناس في حضور الندوات والأمسيات والمحاضرات التي تقام بين حين واخر هنا وهناك .

فما الذي غير الامزجة يا ترى ؟ عصر ذهبي في الاربعينات والخمسينات ، وعصر جفاف فكري في الثمانينات ؟

هل عقمت الامهات ولم يعدن يلدن عباقرة من امثال طه حسين والعقاد والمازني وشوقي وحافظ ابراهيم وغيرهم ؟

تلك لعمري قضية ملحة في حاجة لمن يسبر غورها ويكشف اسرارها .

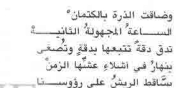


الساعة الثانية

شعر: محمد المهدي المجذوب

إحدى القصائد الأخيرة للشاعر العربى السودانى الكبير محمد المهدى المجذوب الذى رحل عن دنيانا فى نهاية الشهر الماضى وفى العدد القادم سوف ننشر مجموعة أخرى من قصائد الشاعر الكبير الراحل .

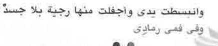
محمد المهدى المجذوب



وضاقت الذرة بالكتمانْ
السـاعةُ المجهولةُ الثانيـةْ
تدق دقةً تتبعها بدقةٍ وتُصغى
ينهارُ فى أشلاءِ عشّها الزمنْ
يسّاقط الريشُ على رؤوسـنا
بكارةُ الموتِ يفضها العقمُ وناجواكى نثرت دماءَها
على وسائدِ الحضارةْ
والبيضةُ الحمقاءُ نزعتْ استارَها واخْرجَتْ اثقالَها
ونَطَقَ الغرابُ حين شابْ
وامّحت الألوانُ فى عمايةِ الوهجْ
وينظر الصبحُ إلى مصباحِه اختلَجْ
ويكذبُ العيـانْ
الموتُ والميلادُ اعميان صفة واحدة وارتفَعَ الحجابْ
وامِنَ الخرابُ فى سكينةِ الغيابْ
واتّحـد الذهابُ والايابْ

● ●

وشبحٌ يبحثُ عن احفادِه
يحمل اثداءً تَحِنُّ للرضَاع يابسَاتْ
تظلّها شمسيةٌ بلا غِطَاءْ
يذكر الوانَ الصباحِ ذهبَتْ مع الصِّغار
يجمّـعُ المحَـارْ
يسمع فيه البحرَ آهةً بعيدةً خاويةً محبوسةَ الآفاقْ
فى إطـارْ
وغارة الموج على الآفاق زَبَدٌ فى الشاطىءِ الحبيسْ
الموجُ ورقٌ يبيسْ
ودَمْعتى يابسةٌ على وسَادتى



وانبسطت يدى وأجفلت منها رجية بلا جسدْ
وفى فمى رمادى

● ●

هل اقفر الانسانُ من ميلاده الشجاعْ ؟
من يبدا الصراع مرة ثانية ويدمن الضياع ؟

● ●

يرتحلُ المساءُ وحـدَه يفارقُ السوادْ
يرتحـلُ النهـارْ

● ●

الساعةُ الراحلةُ الثانيـةْ
تدق خارجَ الزمَنْ
وضحكتْ جمجُمَةٌ تنظُرُ نظرةً وتُصْغى
تحنُّ والموتُ لها جَسَـدْ
هل عَرَفَتْ احلامَهَا سـيدةُ الأبَدْ

● ●

من الذى يسـهَرُ فى الكونِ بلا سُهادْ
من الذى مَضَى بذلك المِهَادْ
المـاءُ فى الظهورِ احتجبا فكيف غَارْ ؟

● ●

وبقيَتْ انثى على انتظَـارْ
تشكّل الخواء شبحًا يزورُ قلبَهَا الوحيـدْ
واعترفَتْ انوثةُ الجرح بلا ادّعاءْ
واحتَدَمَ اللقـاءْ
وفى مدى سمعىَ شـهْقَةٌ ولبَنٌ جديدْ

● ●

حبيبتى
صبّحك الهوَى بصبْحِهِ الجَميلْ

السفر على الرمال

بقلم : عبد الله الجفري

● ● إن الأحقاد القاسية سلبت الحب من صدور الحالمين والطيبين والمسالمين ، وحولوها إلى سلاح يطعن ويدافع ● ●

ليلة الصيف هذه :
مركبة رمل تتحرك رتيبة .. تحمل الاحلام المنتهبة المتفائلة . والخطوات الملونة الساذجة وهى انطباع مناخ نفسى سادر .. تحمل الزمن كله تساقطا ، وغورا واغماضة !!

وبدات رحلة المساء الصيفى فوق الرمال هذه .. التى التفت سياجا حول البحر المغفى .. سياجا تحت نجوم الليلة الواحدة بعد الالف عندما غابت «شهرزاد» واصبح لزاما أن يسترق «شهريار» نومه من صدى ما مضى !!

سافرت الخواطر فوق الرمال فى عتمة (صافية اللون) :
واضطجع جسد انسان متحمس للصمت .. يتحد مع ذرات الرمال ، ويفتت الكلمات المتيبسة الهشة بجانبه كساق زهرة حرقتها الشمس ، وذرتها الريح !!

والرحلة طويلة فى احشاء المساء ..
النسمة مبللة بالتعب ..
المسافة مشروخة بالبرق المتقطع .
الانسان يحاول استراق ما يلوح امامه ، او فى ذهنه ، او بين جدران صدره ، ومشية الرمال كسلى من حوله ... كل شىء رتيب سوى الاحلام فهى التى تسابق أجزاءها ، ومسافاتها والبرق المتقطع !!

عندما تسترخى حوافزنا نستطيع ان نسرق الكثير من الاحلام ، وندعى ملكيتها ، ونخبئها فى اعماقنا حتى لانعرضها للفضح لانها ليست ملكنا .. لان قدرتنا على حيازتها قدرة متهالكة وخائفة ومفجوعة ! .. اما حينما نسترخى احلامنا فاننا نستطيع ان نحقق الكثير من انتصاراتنا المادية الخاضعة لتوقيت الحاجة !!

وعلى ارضية العالم اليوم يحانى الانسان من «ورقة النشاف» التى اندلعت عليها احلامه وامتصتها ، ولم يحقق من انتصاراته المادية الا ما كان خاضعا للحاجة الملحة لدرء اخطار الكوارث النابعة من استرخاء الحوافز . إنه عالم يحلم ، غير أن احلامه ليست ملكا له ، وقدرته على حيازتها ، متهالكة وخائفة ، ومفجوعة !!

إنها احلام مذبوحة .. يتاملها إنسانها بنفس الصورة التى رسمها — ليبولد سنغور — فقال : «اتامل أحلامى ودمها المجانى المهدور على مدى الشوارع» !!

واكثر من ظاهرة تدل على ذلك الهدر ..
إن اغانينا باتت لا اكثر من احلام نعزفها فى منتصف الليل بعد تعب حارق ، او نرددها فى اوقات القيلولة بعد أن نسدل الستائر ، ونشيع المتعة فى الغرف المهياة بتثاؤباتنا ، ونغنى الآه ، وتدليل الجراح .. تلك المطلوب منا أن نربيها وان نضمدها بالصحو ، وبرفعة الأمانى ، وبصلابة الاحتمال !

إن نكسات المبادىء والقيم .. تكاد تجرف الكثير من الحق العادل .. ذلك المرغوب فى تقويم المجتمع الانسانى .. واضحت قاعدة العصر التى يقف عليها انسان اليوم تخضع لبوادر الانحرافات الفكرية والارتطامات الخلقية ، والتفتت الحسى !!

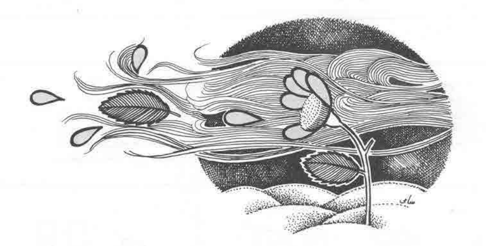
إن الصورة مرهقة ، ومصدوعة .
إنها تعكس ما يمارسه الرمل تحت اقدام السائرين !!

والانسان المعاصر يمشى ايامه الحاضرة — مسافرا على الرمال — وكل ثمينه وذخائره ، وحتى انتصاراته الخاضعة لتوقيت الحاجة تغور جميعها فى الرمال تحت اقدامه .. تحت سنابك قسوته على زمنه !!

إنه لم يكن هناك زمن قاس ، ولكن هناك فكارا قاسية ، ونوايا قاسية ، وقوة قاسية واحقادا قاسية ، وحرمانا قاسيا ، وضعفا قاسيا !!

إن الافكار القاسية دفعت الانسان أن يفكر فى القنبلة الذرية ويخترعها ويدمر بها وينتزع الانتصار الخاضع لتوقيت الحاجة !
إن النوايا القاسية جعلت كل انسان يشك فى الآخرين ، ويخافهم ويتالب ضدهم ، ثم يحاربهم ، ويموت بنواياهم !!

إن القوة القاسية زينت سرقة احلام



الذين استرخوا . انها قوة تسرق السرقة ، وتجسدها وتفتعل بها حياة جديدة ، مبنية جدارها من الكرتون !

إن الاحقاد القاسية سلبت الحب من صدور الحالمين ، والطيبين ، والمسالمين ، وحولوها الى سلاح يطعن ويدافع ، وسقطت فى الرمال تلك العبارة التى قالها : «اندريه جيد» من زمن : (ليس الحكمة فى العقل ، وانما هى فى الحب) !!

إن الحرمان القاسى طمر الرقة ، والحنان والانسانية فى رماله الكثيفة ، ولم يتبق فى النساء إلا اثداء ناهدة تحجرت من رفض الرضاع بالهرب من الأمومة ، وخضعت لضرورة جمال الشكل ، والفزع من انشغال الذكور ! .. ولم يتبق فى قلوب الرجال الا المجابهة ، وتلحفت بالرمال أنشودة ـ ليبولد سنغور ـ التى غناها ذات يوم فقال (نحن فى الحقيقة رجال الرقص الذين تزداد قدامهم حماسة كلما ضربت الأرض القاسية) !!

إن الضعف القاسى هو انتصار الافكار القاسية ، والنوايا القاسية ، والقوة القاسية والاحقاد القاسية ، والحرمان القاسى !!

● ● ●

وفوق الرمال .. ومعاناة السفر عليها وهى تبدو مركبة رمل تتحرك رتيبة تحمل الاحلام المنتهبة المتفائلة ، والخطوات المملولة الساذجة .. فوقها تعتادنى اناشيد «سنغور» وهو يتحدث فيها عن حبيبته الزنجية التى قذفوها بالقسوة المتحدة افكارا ، ونوايا ، وقوة ، واحقادا ، وحرمانا ، وضعفا !

إن سنغور فى اشعاره .. يصف احلامه المذبوحة لحظة هدر دمها المجانى على مدى الشوارع .. يصفها على أوراقه الرتيبة وهو متعب ، وهو يتاوه قائلا : «اه يا لضجيج المطر فوق الاوراق الرتيبة» !!

ذلك الضجيج بدأ وهو ينادى رياح الفصل البديع .. يقول لها : «احرقى كل زهرة وكل فكرة باطلة ، فحين يعود الرمل يتساقط على كثبان القلب» !!

إن كل احلام الانسان وامانيه لاتظهر بوجهها الحقيقى . إنها مثل «كومباتام» زنجية سنغور التى أهدى قناعها الى الرسام العالمى بيكاسو ، وخاطبه بعد ذلك قائلا :

ـ هذه حبيبتى التى كانت تنام وتستجم فوق سذاجة الرمل ، وقد اغمضت جفنيها .. وهما ينبوعان مزدوجان مخبوءان !!

● ● ●

ان الصيف قائظ .. ان الرمال تسافر ، ولكن ببطء ، والذى يركض فى هذا الكون كله هى أحلامنا !!

لقد سئمنا احلامنا .. لقد استهلكناها حتى الملل لكثرة ما نضاجعها هذه الاحلام !!

إن الحب العصرى اصبح رطبنا وسافلا وملطخا بالدم وبالسادية . إنه هذا الذى امتهن به «تشارلى مايسون» زعيم الهيبيز مشاعر الناس ، وامتهن به حريته هو ، وكرامته كانسان !

ان القيم .. بلغت درجة انحرافها حد العدم ، والعدمية تبلورت سلوكا اجتماعيا يقود الانسان الى تنازلات اليمة !!

والحب ، والقيم : هما بنيان الانسان ، وهذا البنيان يقف على الرمال .. تكسوه اوراق النشاف التى تمتص عرق الانسان ، ودموعه ، ورحيقه ، وبســـماته ، ويبقى «بيكاسو» ابدع ريشة تعكس ملامح الوطن العالمى !! .. بينما ما تزال «كومباتام» حبيبة «سنغور» تنام وتستجم فوق سذاجة الرمل وما تزال عبارة ـ توم بين ـ القائلة : «حيث لاحرية فهناك وطنى» .. عبارة تستلقى على الرمل عند سفح الانسان !!

اما الحب والقيم ... فهما دائما : هما السفر على الرمال .

عبد الله الجفرى
جده

كان يوم السبت ١٤ يونيو (حزيران) سنة ١٨٠٠ م ، أطول أيام الجنرال كليبر فى مصر . حين بدأ اليوم ، لم ينبىء بشيء جديد عما تعوده الجنرال منذ تولى القيادة العامة لجيش الشرق قبل عشرة أشهر ، فشمس يونيو الساطعة توحي بيوم صيفي حار ، مكتظ بالعمل ومبلل بالعرق .. وفى جدول أعماله ، مهام لا تخلو من مشقة ، ولكنها لا تفتقد إلى الترفيه ، أما الذى لم يكن يعلمه الجنرال ـ حين فتح عينيه فى الصباح بمسكنه المؤقت فى معسكر الجيزه ـ فهو أن هذا اليوم سيكون آخر أيامه فى الدنيا ..



الموت على تل العقاب

عندما لقي قائد جيش الشرق مصرعه على يد أزهري من حلب



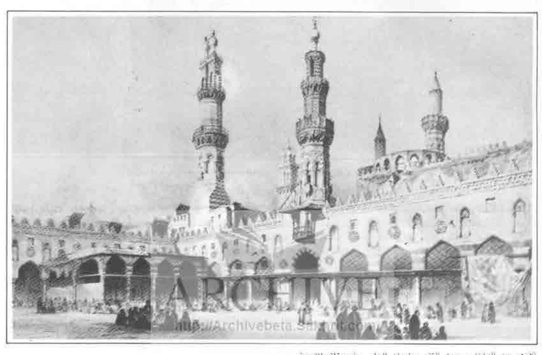
س، الحلبي يقتل كليبر و بروتان يهم باللحاق به،

القائد الفرنسى كليبر



نابليون بونابرت

يرويها: صــلاح عيسى



الازهر من الداخل ، حيث التقى سليمان الحلبى باصدقائه الاربعة

كان عليه ان يعبر النيل إلى الروضة ، ليستعرض الجنود اليونانيين ، الذين تتكون منهم « كتيبة الأروام » ويلتقى بقائدهم القبطان « نيقولا بابا زوغلو » لعله يسمع منه ما يطمئنه على كفاءة فرقته ، وقدرتها على دعم الجيش الفرنسي ، إذا ما اضطر للدخول فى مواجهة جديدة مع العثمانيين او الانجليز أو المصريين ..

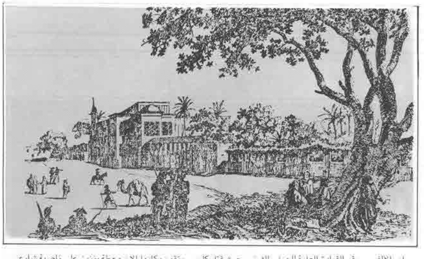
ومع أن احوال الكتيبة كانت تدعو للتفاؤل ، إلا ان « كليبر » لم يهضم بسهولة الواقع الذى قضى بأن يحتاج جيش الشرق لمن يدعم قدرته على المواجهة والصمود ، اين الأحلام الجامحة التى قاد بها نابليون بونابرت هذا الجيش نفسه ـ قبل ثلاثة أعوام ـ ليبني امبراطورية فرنسية شرقية ، تضرب انجلترا فى الصميم ، وتقطع طريق تجارتها إلى الهند ، ؟ .. اين صيحة نابليون امام الأهرام : أيها الجنود .. ان اربعين قرنا تنظر إليكم من قمة هذه الأهرام ، ؟ واين قاموسه الذى خلا من كلمة مستحيل ؟ .

ضاعت جميعها بين الصحراء والبحر ، كما ضاع نصف جيش الشرق فى الطواعين والثورات وامام اسوار عكا تبدد الجيش والحلم . هرب قائده « المظفر » ، نابليون بونابرت تحت جنح الليل ، مخلفا اربع خطابات مليئة بالنصائح ، وتركة مثقلة بالديون ورثها كليبر : خزانة مفلسة بها عجز يصل إلى عشرة ملايين من الفرنكات ، وجيش فقد نصف قواته ، وتدهورت معنوياته ، وبلغت متاخرات رواتبه أربعة ملايين فرنك ، يرتدى ملابس باليـــــه ، لا يستطيع ان يجددها ، لانه إذا وجد النقود اللازمة لذلك ، فلن يجد السبيل لاستيراد الاخواج ، وهو محاصر بين البحر والصحراء ..

فهل تصلح « كتيبة الأروام » التى يقودها القبطان « نيقولا بابا زوغلو » ما افسده الدهر ؟ هل تمكن جيش الشرق المحاصر من الخروج من المحنة حيا ؟ فتنقذه من براثن الأعداء الكثيرين الذين يتربصون به : الانجليز فى البحر .. والأتراك فى الصحراء .. وهؤلاء المصريون الذين لم تمض سوى اسابيع قليلة على إخماد ثورتهم اللاهبه ؟ .

كانت اثار الثورة ما تزال واضحة على مبنى القيادة العامة للجيش الفرنسى ، حين وصل إليه الجنرال كليبر قادما من الروضة ، ليتفقد اعمال الترميم الذى امر باجرائه به . طالت قنابل الثوار غرف القصر وطرقات حدائقه ونافوراته ، وثكنات الجنود المحيطة به . لم يتمتع احد بالاقامة فى هذا الترف الجنونى ، حتى صاحبه الأمير المملوكى ، « محمد بك الألفى » ، الذى بناه وزخرفه ، واستورد له نافورات من ايطاليا ، وانواعا من الرخام والاعمدة ، وخرط له مشربيات وشبابيك يزينها زجاج ملون ، وفرشـــــه بالوسائد والمساند والستائر ، واضاءه بالقناديل والشموع والمشكاوات ، لم يمكث

الموت على تل العقاب



سراى الالفى — مقر القيادة العامة للجيش الفرنسى حيث قتل كليبر ، وتقوم مكانها الان محطة بنزين على ناصية شارعى الألفى والجمهورية بالقاهرة

به سوى ستة عشر يوما ، ثم جاء جيش الشرق ، فهرب الامير المملوكى فيمن هرب ، اما البيت فسكنه سارى عسكر بونابرته الكبير ، قائد الجيوش الفرنساوية الذى جاء ليلتقى باربعين قرنا من التاريخ ، فحوصر ، ودمر الانجليز اسطوله فى « ابى قير » ، ولم يجد متعة تخرجه من الحصار إلا أن يدفن إحباطه فى أحضان المواطنه « بولين فوربيه » .

● ●

صعد الجنرال « كليبر » سلالم القصر المصنوعة من الرخام والمرمر والجرانيت المصقول المجلوب من اسوان ، يتفقد العمال الذين انهمكوا يصلحون ما طال الجدران من قذائف ، وينزعون النوافذ المحترقة ، ويستبدلون الزجاج المحطم ، تامل النافورة الفخمة فى قاعة الاستقبال التى شهدت احتفال « الالفى » الاول والاخير بقصره الذى لم يسكنه بعد ذلك ابدا ، وسمعت اكاذيب نابليون على شيوخ الأزهر يوم اعلن امامهم إسلامه ، واكاذيبه على جنوده يوم وعدهم بان يحصل كل جندىمنهم عند عودته إلى فرنسا ما يكفى لشراء ستة افدنة من الأرض ، فمات معظمهم دون ان يجدوا قبرا يدفنون فيه .. اما فى غرفة النوم ، فقد كانت وعوده الباطلة لمدام فوربيه بالزواج منها منقوشة على الجدران ، كاثر تذكارى للكذب والجبن ، فقـــد دبر رحيله من مصر فى سرية تامة وتركها دون ان يصحبها او يكتب لها حرفا واحدا .

لم يكن المهندس « جان بروتان » هو الذى تنبه لذلك الشاب الرث الملابس الذى يرتدى عمامة خضراء ، وقفطانا رديئا ، ويمشي فى إثر الجنرال من غرفة لغرفة خلال تفقده للاصلاحات التى تجرى فى القصر ، إذ كان بروتان مشغولا بتقديم إيضاحات حول عمليات الترميم للجنرال ، ولكن الملازم « فورتينيه » ياور كليبر ، تنبه لذلك الفتى الذى اخذ وجهه يظهر امامه فى كل غرفة او قاعة استقبال يدخلها الجنرال ومرافقوه ، ولم تكن ملامحه تشى بشىء ، ولعل اخرون قد تنبهوا ايضا له ، لكن احدا لم يفسر الأمر بأكثر من مظاهره ، فالقصر ملىء برجال مثله يصلحون ما اصابه من دمار ، فلعله واحدا من العمال الذين يصلحون الزجاج او يخرطون الخشب ، فجميعهم يرتدون ملابس رثة ، وحتى لو لم يكن ، فليس هناك ادنى احتمال لان يقوم اى انسان فى مصر الآن بعمل طائش . واطلال حى الأزبكية شاهد على أن الطيش سيء العاقبة ، فقد احترقت عن بكرة ابيها ، لان حفنة من المهيجين ظنت ان رحيل « بونابرت » يمكن ان يضعف موقف الفرنسيين فى مصر .

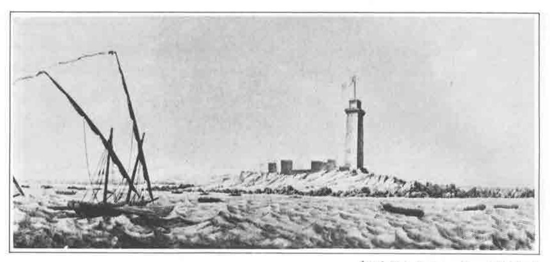
● ●

وحين اقترب موعد الغذاء ذكر المهندس بروتان ، الجنرال بدعوة للغذاء ، كان قد وجهها إليه « الجنرال داماس » رئيس أركان حرب الجيش ، فغادر الاثنان القصر إلى الحديقة ، وبصحبتهما الحاشية ، واخترقاها عبر الأرض المصنوعة من الفسيفساء الملون ، إلى ممشى يقود إلى حديقة بيت داماس المجاور للقيادة العامة ، ولاحظ فورتينيه ان الشاب ذا العمامة الخضراء مازال ضمن صفوف حاشية الجنرال ، ولما كان ذلك فى رايه تطاولا ، فقد امر احد الخدم بطرده قبل ان يدلف إلى دار رئيس الأركان ، وحين القى نظرة اخيرة ، وهو على سلم منزل « داماس » ، لم ير وجه الرجل ، فتنهد براحه .

الشـــاب ذو العمامة الخضراء

فى قاعة الطعام بمنزل « داماس » تخفف « كليبر » من سترته العسكرية بسبب حرارة الجو ، وسرعان ما شمل المدعوين جو من الألفة ، وزاد « كليبر » الجو مرحا بسخريته اللاذعة من « البطل القوى القادر » بونابرت الذىهرب فى جنح الظلام ، وترك له خلافة لم يكن يريدها ، وخطابا مليئا بالاكاذيب عن فرنسا التى هرول لنجدتها ، ولو كان صادقا لقال : عن السلطة التى لابد ان اخذ لنفسي نصيبا منها قبل ان تتوزع وانا محاصر هنا فى مصر ..

وإذ تطرق الحديث إلى الأحوال فى مصر ، بدا كليبر مطمئنا ، صحيح ان مشروعه للجلاء عنها بشكل مشرف قد فشل ، ولكنه انتصر على الأتراك فى معركة عين شمس ، واخمد الثورة التى قام بها المصريون ضده خمسة اسابيع متصلة ، وهو واثق ان سياسته ستثمر ، فالشيء الوحيد الذى



الأسطول الفرنسي يقترب من شواطىء الاسكندرية

يحترمه المصريون هو القوة ، ومصر ــ فى نظره ــ اقليم تحت الاحتلال العسكرى ، وينبغى ان تخضع له ، وسوف يخضعها شاءت أم ابت ، فأى محاولة لكسب مودة الاهالى عن طريق التظاهر بالأخوة مقضى عليها بالفشل ، فهى خدعة لا تنطلى على هؤلاء القوم الماكرين ، الذين يخطئون فهم التسامح ويظنونه ضعفا ..

فى الساعة الثانية بعد الظهر غـــادر « كليبر » المادبة قبل أن تنفض ليواصل تفقد أعمـــال الترميم وليســتعرض مــع كبير المهندسين بروتان تصميما أعده لمبنى جديد يلحق بقصر الالفى عبر حديقة قصر الجنرال داماس بقامته المديدة التى تقرب من ستة أقدام دون أن ينتظر ياوره الملازم ديفوج الذى لم يكن قد انهى طعامه بعد ، ولحق به بروتان . وانهمكا فى حديث حول المبنى الجديد الذى يريد كليبر إضافته لمقر القيادة العامة ، لكى يتوقى فى المستقبل أى محاولة يقوم بها الغوغاء المصريون ، للهجوم على القيادة ، كما حدث منذ اسابيع ، وحين مر الاثنان أمام بئر أقيمت عليه ساقيه ، لم يتنبها لذلك الشاب ذى القفطان والعمامة الخضراء ، الذى كان يكمن متسترا بدواليب الساقية .

دلف الرجلان إلى رواق طويل ، يفصل بين الحديقتين ، وتظلله تكعيبة من العنب وهما يواصلان الحديث ، وفى حين التفت المهندس بروتان إلى الخلف يتفحص بعض التدمير الذى لقيه فى طريقه ، واصل كليبر سيره فتقدمه بخطوات ، آنذاك ، ظهر ذو العمامة الخضراء من خلف الساقية ، وتقدم نحو الجنرال ، الذى ظنه متسولا جاء يطلب عطاءه . أو صاحب حاجة جاء يعرضها ، فقال بعجرفة :

ــ مافيش ..

...

واصل الشاب تقدمه بلا تردد ، هادا يده اليسرى إلى أمامه . ظن الجنرال انه يريد تقبيل يده . ما أن اقترب منه حتى مد إليه يده مبسوطة كي يقبلها . فى ثوان قليلة كان الشـــاب قد اخرج يده اليمنى من صدره ، وفيها خنجر حاد طعن به كليبر فى صدره ، فى اللحظة نفسها كان بروتان يتلفت وراء كتفه ، رأى القاتل يسحب مديته ، وبينما كان كليبر يترنح اغمدها فى بطنه ، ثم فى ذراعه اليسرى وخده الايمن . اذهلت المفاجأة بروتان للوهلة الاولى فالقى بنفسه ارضا ، وحين سمع « كليبر » ينادى حراسه بصوت ضعيف ، استرد شجاعته فقام مسرعا ليلحق بالقاتل ، ورفع عصا كان يحملها وانهال بها ضربا على راسه ، التفت إليه الشاب ، تماسكا فى شبه شجار ، حسمه الشاب بمديته فطعن بروتان ست طعنات حتى سقط فاقد الوعى .

انقضت ست دقائق قبل أن يتنبه احد لما جرى ، اما الشاب ذو العمامة الخضراء فقد اختفى وحين اكتشف الحراس ماجرى ، كان « كليبر » قد لفظ انفاسه الأخيرة ، وعلى اثرها انطلق من ميدان الأزبكية دوى طبل ينذر بالخطر ، فجاوبته على الفور كل الطبول الفرنسية فى القاهرة ، تدعو الجنود إلى مراكزهم . « واحتاطوا ــ كما يقول الجبرتى المؤرخ ــ بالبلد ، عمروا المدافع ، وحرروا القنابر ، وأرسلوا العساكر إلى الحصون والقلاع ، وقالوا لابد من قتل اهل مصر عن اخرهم » . واندفع الجنـــــود الفرنسيون كالمجانين فى الشوارع يضربون كل من يقف فى طريقهم وقد اشتد غضبهم ، وبدا أن جنونا وبائيا قد أصاب الجميع ، قتل الفرنسيون بسيوفهم وخناجرهم جميع من صادفهم من الرجال والاطفال .

لم يترك القاتل وراءه أثرا يدل عليه سوى جزء من شال عمامته الأخضر الذى تمزق خلال المعركة القصيرة التى وقعت بينه وبين بروتان ، وانتشر الجنود يفتشون المنطقة التى جرى بها الحادث وما حولها من بيوت ، وبعد ساعة عثر عليه الجنديان « بيران » و « روبير » فى حديقة مجاورة لبيت الجنرال داماس . كان منهكا ، تتساقط الدماء من راسه ــ التى أصابتها عصا المهندس بروتان إصابات مؤثرة ــ فتلطخ ثيابه ، وتلون الجدران القصيرة نصف المتهدمة التى استند إليها ، وكان عارى الراس إلا من غلالة من قماش اخضر ، وكان يصلى .. !

قال الجندى جوزيف بيران ــ فى التحقيق الذى اجرى فى وقت لاحق من اليوم نفسه :

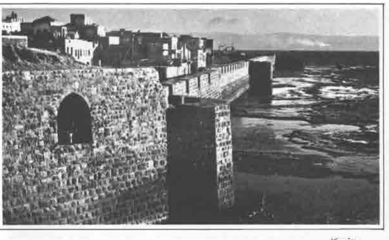
ــ لقد اضطررنا ان نضربه بالسيف عدة ضربات لكى نحمله على المشى ..

... ...

... ...

تحولت المادبة فى بيت الجنرال «داماس»

الموت على تل العقاب



سور مدينة عكا

إلى مكتب للتحقيقات – اشرف الجنرال « مينو » – اقدم جنرالات الجيش وقائد القاهرة – على التحقيق . قال « المتهم » ان اسمه سليمان عمره ٢٤ عاما ، وصناعته : كاتب عربى ، وسكنه : حلب . انكر انه قتل الجنرال كليبر . وبرر العثور عليه فى الحديقة بانه كان جالسا هناك لان الخيالة كانوا يحاصرون جميع الطرق ، فلم يستطع ان يغادرها إلى اى مكان . وحين ووجه بالخنجر الذى عثر عليه « بيران » و « روبير » مدفونا فى التراب فى نفس المكان الذى قبض عليه انكر انه يخصه . وسئل عن غلالة القماش الاخضر التى وجدت بجانب جثة الجنرال ، وتبدو مكملة لغلالة اخرى مماثلة لها توجد فى ملابسه ، فاجاب بانها ليست له . وقال ان الجروح التى برأسه احدثها من قبضوا عليه .

تقول الترجمة العربية لنصـــــوص التحقيقات « فلما ان كان المتهوم لم يصدق فى جواباته ، امر سارى عسكر انهم يضربونه حكم عوائد البلاد . فحالا انضرب لحد انه طلب العفو ، ووعد انه يقر بالصحيح ، فارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده . وصار يحكى من اول وجديد .. » .

● ●

مات الجنرال جان بابتست كليبر ، قبل ان يحتفل بعيد ميلاده السابع والاربعين . وحين ولد فى مدينة ستراسبورج عاصمة الالزاس عام ١٧٥٣ م ، لم يكن احد يظن انه سيلقى حتفه فى ركن من حديقة بيت مملوكى بميدان الازبكية بمصر المحروسة – تشغله الآن محطة بنزين على ناصية شارع الالفى – على يد رجل لم يولد – فى مدينة حلب السورية – إلا بعد ذلك التاريخ بثلاثة وعشرين عاما كاملة .

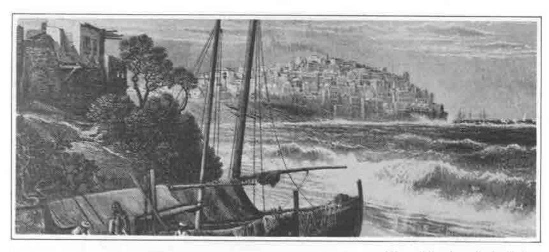
فروق كثيرة فصلت بين الرجلين . اهونها شانا العمر والمقام .. فنحن نقرأ اكثر من اللازم عن كليبر « بطل معركتى ما يستوبك وعين شمس » وصاحب « المواقف العسكرية البطولية على ضفاف انهار الراين والنيل والاردن » . وهذا طبيعى ، فالقائد الإلزاسى ترك مذكرات ووثائق وسكرتيرين ومصورين وشعراء ، كتبوا عنه واشادوا به ، وابنوه قبل ان يدفن فى حديقة « قصر العينى » بالقاهرة . اما سليمان الحلبى ، فان احدا لم يعن بان يكتب تاريخه ، وهو لم يكتب مذكرات ، ولم يترك صورا جرافيكية او زيتية ولا شك ان شاعرا مجهولا قد ابنه ، ولكن المؤرخين الذين يعنيهم هذا النوع من الشعر ، كانوا نادرين فى ذلك الزمان . وهكذا لم يبق لنا من سليمان الحلبى إلا معلومات قليلة ، واقوال بسيطة غير مزوقه – بل واحيانا ركيكه – ادلى بها امام هيئة من الجنرالات المتزمتين الذين تنوشهم مشاعر الثار والانتقام ، بعد ان « انضرب لحد انه طلب العفو » ، واوصاف تافهه منحها له الجبرتى – مؤرخ القاهرة – الذى قال عنه انه « رجل افاقى أهوج » ، واهم تلك الكلمات البسيطة الاسرة ، قالها « بعد ان ارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده » ، سالوه لماذا جئت من غزه إلى مصر ، قال :

– كان مرادى ان اغازى فى سبيل الله !

راس سليمان الحلبى – التى قطعوها بعد ذلك – كانت خالية من ذلك الذى يسمونه « احلام المجد » ، وكان هدفه عاريا عن اى تزويق او تهويل او اوهام بشرية . لذلك جاءت كلماته بسيطة . فهو لم يكن يملك خبرة « كليبر » الواسعة فى وضع هالات العظمة حول ما يفعل ، ومن المؤكد انه كان خاليا تماما من اى احساس مريض بالذات ، او حرص على ابراز العنجهية والعظمة كما كان القائد الالزاسى يفعل . كان شابا تطهريا يرى المسائل فى مباشرتها ونقائها ، ففعل ما فعل ، لانّ « مراده أن يغازى – اى يجاهد – فى سبيل الله » ولا لشىء اكثر من ذلك ..

والمواجهة الدموية التى حدثت فى « رواق العنب » بين سليمان الحلبى وبين جان باتيست كليبر تصور على لسان مؤرخين كثيرين باعتبارها مواجهة بين رجل متعصب مصاب بهستيريا – او هلاوس – دينيه ، وبين قائد عظيم من ابناء حضارة الحرية والاخاء والمساواة ، جاء لينشر العلم والعمران والتقدم فى الوطن العربى ، ولينقله من القرون الوسطى إلى العصر الحديث ..

تلك بعض أكاذيب المؤرخين ، وهى ليست قليلة ، فلا احد يعرف – على وجه التحديد – اين تكمن الحضارة فى تاريخ حياة الجنرال « جان باتيست كليبر » ، ولا احد يستطيع ان يضبط ذلك الانتماء لمقولات الثورة الفرنسية فيما فعله – هو وسيده بونابرت – باهل القاهرة واهل يافا واهل رشيد ، وكل الذى نضبطه ، هو المدافع والبنادق والبارود والمذابح والقسوة التى لاحد لها ، وحفنة من الشعارات عن الحرية والاخاء والمساواة ، اعترف بونابرت – بعد ذلك – بانها كانت دجلا من اعلى طراز !



مدينة يافا ـ للرسام وود وارد ١٨٧٥ ـ ١٨٨٠

وفى السنة التى رزق فيها الحاج محمد امين ، تاجر الزبد بمدينة حلب السورية بابنه سليمان (١٧٧٦ م) ، كان جان باتيست كليبر قد أنهى دراسته للعمارة وللهندسة الحربية ، والتحق بجيش مملكة بافاريا ، حيث خدم ثمانى سنوات وحين انشىء الحرس الوطنى ـ فى بداية الثورة الفرنسية ـ انضم إليه ، وهكذا اصبح الضابط السابق المتفوق فى خدمة الامبراطورية ماريا تريزا والملك لويس السادس عشر ، جمهوريا متحمسا ، وهو امر يصعب فهمه على الذين ياخذون الحياة ببساطة ، ولكننا نجد ان أشباها ونظائر فى حياة كل جنرالات الثورة الفرنسية ، الساعين إلى مجد السيف وعظمة السلطة ، دون ان يشغلوا انفسهم بالبحث المزعج عن اهداف عليا او غايات سامية ، فهم يقاتلون ويقتلون ، وليس فى مرادهم أن يغازوا فى سبيل الله او سبيل الوطن ..

كليـــــبر
حاكما للاسكندرية

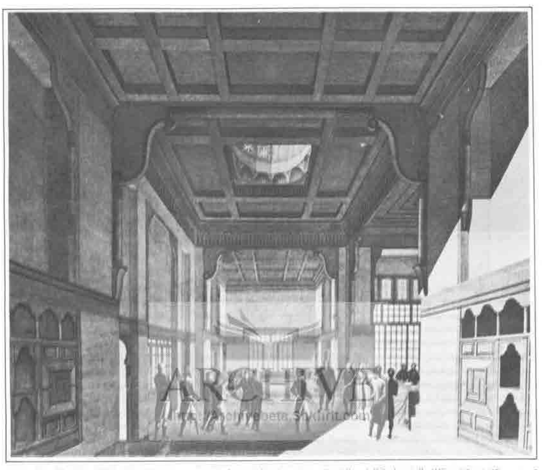
وهكذا شارك كليبر بكفاءة عسكرية فى قمع الاضطرابات التى قام بها فلاحو الأقاليم الغربية الفرنسية ضد الثورة فى الفندية واللوار وسيفرو بريتانى ، وشارك فى حروب الثورة ضد التدخل الأوروبى فدافع عن مايتز التى حاصرتها القوات البروسية شهرين ، وانضم إلى جيش الجنرال بونابرت الذى فتح ايطاليا . ولمع اسمه فى معارك شامبانيا وشالروا ومايستريك وحين قرر بونابرت ان ينشىء امبراطورية فرنسية شرقية ، صحبه معه إلى مصر ، حيث كان مقدرا له ، ان يموت فى « مواجهة دموية » بعد عامين من رحيله إلى الشرق .

ولا احد يعرف اين كان سليمان الحلبى حين وصل كليبر إلى الاسكندرية فى ٢ يوليو (تموز) ١٧٩٨ م ، لعله كان فى القاهرة ، او فى مكة او فى الاسكندرية ذاتها . فالذى نعرفه من تاريخه ، انه شاب قلق ، كثير التجوال ، فهو ابن لتاجر فى زمن كان التجار فيه موضع عسف من يحكمون ، تتوالى عليهم الضرائب والغرامات والمصادرات ، وينتقلون بسرعة من الحياة الرخية السهلة إلى حياة تصل إلى حد الفاقه . وهو لم ياخذ عن ابيه إلا انه كثير التجوال ، فقد عاش ثلاث سنوات فى مكة والمدينة مجاورا للبيت العتيق ولقبر الرسول ، وعاش ثلاث سنوات اخرى فى القاهرة ، مجاورا للازهر الشريف ، يدرس القران ويحفظه على يد شيخ تركى عجوز اسمه مصطفى افندى ، وهو قد زار القدس ونابلس ، وكان على صلة وثيقة باهل غزه ، حتى ان الشيوخ الثلاثة الذين عرفوا مشروعه لقتل الجنرال كانوا جميعا من غزه !

وكان اول ما فعله « كليبر » حين نزل إلى البر على شاطىء العجمى بالاسكندرية ، أن ارتوى من ماء بئر قريبه ، واستغرق فى نوم طويل ايقظه منه البرد ، وفى الصباح التالى بدا هجوم المتحضرين على « المتوحشين الهمج .. العرب .. المسلمين .. المصريين » من اهل الاسكندرية . وفى الهجوم تلقى كليبر طلقة إنذار اصابته فى جبهته ، اطلقها جندى من قوات الدفاع عن المدينة المحاصرة كان يقف على سور المدينة ، ولم يفهم «كليبر» مغزى الانذار الذى أصابه فى جبهته ، فقد شغل بعد ذلك بعلاج إصابته ، وبالضيق من قائده بونابرت ، الذى تركه فى الاسكندرية قومندانا وحاكما ، واصطحب الفرقة التى كان يقودها فى زحفه لفتح القاهرة ، وحرمه من رؤية القرون الاربعين التى اطلت على الغزاة من قمة الاهرام .

وفى الفترة التى حكم فيها « كليبر » الاسكندرية اثبت انه مخلص حقا لمبادىء « الفرنسوية المبنية على الحرية والتسوية » ـ كما جاء فى الترجمة العربية للمنشور الذى وزعه نابليون على المصريين ـ وآية ذلك الاخلاص ان سكان الاسكندرية احتموا ـ بعد ان اقتحم الغزاة مدينتهم ـ بالمساجد فذبحهم الغزاة : الرجال والنساء ، الكبار والصغار ، وحتى الاطفال ، ذبحوهم عن بكرة أبيهم .. وبعد اربع ساعات هدات سورة جنود الحضارة ، رافعى اعـــــلام « الحرية والتسوية » !

وتلك واقعة لم يروها الدفاع عن سليمان الحلبى فى المحاكمة الهزلية التى اجريت له عقب مقتل كليبر . ذلك انه لم يكن هناك دفاع اما هو نفسه فقد ظل صامتا هادئا كرجل فعل ما يريد ولا يعنيه ما يجرى امامه . ولو أنه تكلم لنقلت جثة كليبر التى كانت حتى ذلك الوقت فى منزل الجنرال داماس المجاور لمقر المحكمة ، لتوضع فى قفص الاتهام ، ولكف ممثل الاتهام القومسيير سارتلون ـ مدير مهمات جيش الاحتلال ـ عن الاندفاع فى مرافعته الشائنة ، وتعرف حقا من هو صاحب « اليد الاثيمة والروح الخائنة المتعصبة » الذى جاء ليقتل « القائد العظيم



قصر حسن كاشف بالناصرية المقر الرئيسي لبعثة العلوم والفنون التي صاحبت الحملة الفرنسية بالقرب منه يقع تل العقاب الذي اعدم فوقه سليمان الحلبي

الموت على تل العقاب

المجلل الراس بغار المجد ، الذى تراجعت عنه فى المعامع اخطار الحروب » .

« اكاليل الغار » التى تزين راس كليبر اكثر من ان تحصى ، لكن سليمان الحلبي اثر الصمت ، اما مؤرخو الحضارة فقد تحدثوا احيانا . فبعد عشرة ايام من تعيينه قومندانا على الاسكندرية امر الجنرال كليبر بالتحفظ على عدد من كبار اعيان المدينة ووجوهها واتخذهم رهائن . والسبب ان جثة لاحد جنود مدفعية الأسطول الفرنسى وجدت فى احد الشوارع ، ولفظ البحر - فى اليوم نفسه - جثة لخادم فرنسى لأحد الضباط ، فغضب الجنرال ، وطلب تسليمه الجناة ، وتهدد بشنق من تقع عليه القرعة من الرهائن إذا لم يسلموا له . مؤكدا بذلك فهمه للمساواة . فلا أحد فى شعب مغلوب ومقهور ايا كان مقامه ، يساوى جنديا قتل غاليا لأنه تسلل إلى بيت يريد ان يدب على نسائه فنال جزاء عدوانه على حرية الآخرين . ولا أحد فينا نحن المتخلفين الجهلة ، يساوى خادما طوح به السكر إلى مياه البحر . اما اخذ الابرياء رهائن والتهديد بقتلهم على جريمة ارتكبها غيرهم ، فهو افضل تطبيق لقاعدة « شخصية العقوبة » وهذا هو فهم الغزاة لما قاله روسو ومونتسكيو وفولتير ..

وكما اثبت بونابرت - حين حكم مصر - انه مجرد عاهل مستبد ، فضلا عن انه غازى فقد اثبت كليبر نفس الشىء ، الفرق بين الرجلين ، ان الاول كان بشوشا ، اما كليبر ، فكان جهما . يقول الجبرتى أن أكابر البلد من المشايخ والاعيان «حين قابلوه » لم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته ، فانه كان بشوشا يباسط الجلساء ويضحك معهم » ، وكان بونابرت ينطلق من قاعدة ثابتة هى أن يقطع ست رءوس كل يوم ، ويحتفظ مع ذلك ببشاشته ، أما كليبر ، فكان يقطع الرءوس - بنسبة اقل - ويعوض

الفرق بجهامة تفرض هيبته . وبفرض غرامات جماعية تستنزف المال بلا رحمة ، واجتمع المنهجان ليطيحا براس السيد محمد كريم محافظ الاسكندرية ، إذ اصدر الجنرال كليبر فى ٢٠ يوليو (تموز) ١٧٩٨ قرارا بالقبض عليه بتهمة إثارة العصيان ضد الحملة ، وبعث به إلى نابليون فى القاهرة فاصدر امره باعدامه ، وخيره بين الموت بالرصاص ، وبين افتداء نفسه بدفع غرامة ثلاثين الف ريال ، فلم يقبل ، وقالوا له : انت رجل غنى ، فماذا يضيرك ان تفتدى نفسك بهذا المبلغ ؟ قال : إذا كان مقدرا لى ان أموت ، فلا يعصمنى من الموت مال مهما كثر ، وإذا كان مقدرا لى ان اعيش ، فلماذا اشترى قدرى !

ولم يكن سليمان الحلبى « الافــــــاقى الأهوج » بتعبير الجبرتى ، يملك ثلاثين الف ريال ليفتدى نفسه ، وكل الذى كان معه ، حين قدم إلى القاهرة من القدس ليقتل كليبر اربعون قرشا قيمة كل منها اربعون باره ، ولم تكن راسه محملة باكاليل الغار واوهام المجد ، إذ كان يسعى مختارا للفداء ، لمعانقة قدره ، للمغازاة فى سبيل الله ..

وهو قد ولد فى حلب ، وجاء من القدس عبر الخليل ويافا ونابلس وغزة ، اى جاء من الشام : الارض التى كانت بعض حلم نابليون وكليبر ببناء امبراطورية فرنسية شرقية ليقطع الطريق على انجلترا ويضربها فى الصميم . يضربها فينا ، يدميها برءوسنا المقطوعة ، بجوعنا وقهرنا وذبحنا ونحن نصلى ، ملوحا امامنا بالجوكارد شارة الثورة الفرنسية المثلثة الالوان ، وبزخارف الحرية والاخاء والمساواة التى لم نشهد شيئا منها ..

فى الطريق إلى عــكا

كليبر ايضا ذهب إلى غزة ويافا . حدث هذا قبل مقتله بعام . فلم يكن امام بونابرت ، بعد ان حطم نلسون ـ قائد الأسطول البريطانى ـ اسطوله ، قبل ان يمر شهر على نزوله مصر ، وبعد ان ثارت عليه المدن المصرية جميعا ، إلا ان يحاول خرق الحصار وان يؤكد لنفسه ، ولجيشه وللشعب الذى يرفض « جوكارده » ولأعدائه فى اوربة ، انه مازال منتصرا وقويا وفى ذروة المجد ، فكان قراره بغزو الشام ، وفكر فى ان يولى كليبر قيادة الحملة ، لكنه عدل عن ذلك واثر نفسه بالمجد المتوقع فتولى بنفسه القيادة ، وحرم القائد الالزاسى المتكبر الذى كان يعتبر نفسه اقدم من بونابرت واكفا منه عسكريا ، من مجد الشام !

وفى الشام لم يكن هناك مجد لبونابرت او كليبر ، وفيما بعد قال اولهما « لو استطعت الاستيلاء على عكا ، للبست عمامة ، ولجعلت جنودى يرتدون الســراويـــــل الفضفاضة ، ولجعلتهم فيلقا مقدسا ، ولنصبت نفسى امبراطورا على الشرق ، ولعدت إلى باريس بطريق القسطنطينية .. ولكن هذه الأحلام قد دفنت تحت اسوار عكا » !

المجد الذى تحقق فى حملة الشام ، حققته عكا التى صمدت للحصار ٦٢ يوما كاملة رغم ضرب الأسوار والابراج بالمدافع ، وما فتحته المدفعية الفرنسية فى اسوارها من ثغرات ، وموجات الهجوم عليها ، موجة بعد موجة ، لكنها لم تفتح ابوابها للغازى الذى يحلم بعمامة وسروال فضفاض ، اما اكاليل الغار التى عاد بها كليبر وعاد بها بونابرت ، فهى تملا كتب التاريخ : مذابح وقسوة وولوغ فى الدم تخجل منه الوحوش ذوات الظفر والناب التى لم تقرا فولتير ، ولم تتاثر بروسو .

فى الطريق إلى عكا سقطت العريش وغزة والرملة ويافا ، ونال كليبر بعض مجد هذا الفتح ، فقد كانت فرقته طليعة الجيش . اما التفاصيل فهى كثيرة : فقد تسللت كتيبة من فرقته إلى معسكر العريش فقتلت بالسلاح الابيض خمسمائة من الجند والأهالى ، كانوا نائمين فيما بين إفطار يوم رمضانى وسحوره ، لم يستيقظ الباقون إلا حين شم كلب المعسكر رائحة الدم بعد ان تشبعت بها الرمال ، فنبح ، حينئذ اخذوا اسرى ، ولولا ذلك لواصلت الكتيبة مهمتها فى محو الفارق بين المحاربين وسفاكى الدماء . معلقا على ما جرى فى معســـكر العريش قال نابليون « والحقيقة ان هــــذا الهجوم يعتبر من اجمل العمليات الحربية التى يتصورها العقل » . والشىء المؤكد أن سليمان الحلبى ـ القذر الثياب والزرى الهيئة والذى كان كثير التجوال فى فلسطين وسوريا ومصر والحجاز ـ كان يفهم معنى مختلفا للجمال عن مفهوم الجنرال بونابرت

ما جرى فى يافا كان تنويعا آخر على تلك المفاهيم الفرنسية للجمال . فمع ان المدينة قد سقطت بعد ساعات من الهجوم ، إلا ان الفاتحين بدل ان يناقشوا مع الحامية شروط التسليم ، اندفعوا يقتلون كالمجانين كل من يلقهم من اهلها ، فعلوا ذلك طوال ليلة ونهار ذبح خلالها كل من له وجه انسان : الشيوخ والفتيات .. الرضع ومن لم يبلغوا الحلم ، المسلمون والمسيحيون . اصبحت السيوف والمدى سيدة الموقف وقائدة البشر ، جنون مجنون يعربد فى شوارع يافا ظامىء للدم ، يتضاعف هياج الفاتحين حين يسمعون صرخات الاسترحام . يتزون شهوة . يتعطون رغبة حين يرون فتيات تتشبثن باحضان امهاتهن المائتات فيغتصبونهن . وحين يتعبون : يكفون .

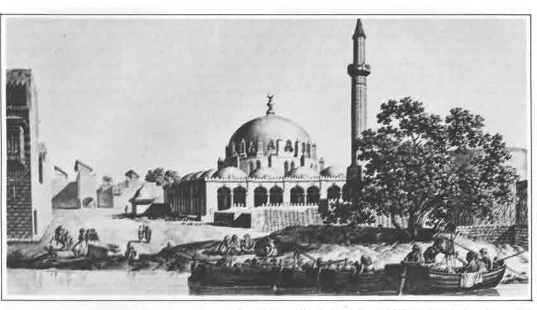
يتذكر قادتهم ان حامية المدينة ما تزال فى قلعتها ، يفاوضونها فى التسليم . يطلب جنود الحامية بالا يعاملوا كما عومل المدنيون من أهل يافا . يبذل لهم الوعد سخيا بان يعاملوا كاسرى حرب . يسلم ثلاثة الاف جندى ســلاحهم . فيهم مغاربة وسوريون وفلسطينيون ومصريون واتراك . يعقد بونابرت مجلسا عسكريا يضم قادة حملته على الشام . فيهم كليبر . يناقش المجلس مشكلة الأسرى : كيف يطعمهم الجيش الفرنسى وهو بعيد عن خطوط تموينه ؟ . من يحرسهم والحملة فى حاجة إلى كل جندى من جنودها ؟ . كيف يطلق سراحهم وقد ينضمون إلى عكا فيحاربون الفرنسيين مرة اخرى .

قرار باعــــدام حامية كاملة !

لم يقل احد من الذين ثبتوا اكاليل الغار على جبين « كليبر » انه تحدث ـ فى هذا الاجتماع ـ عن كلمة الشرف التى استسلم جنود الحامية تصديقا لها . ولم نسمع انه تحدث عن قوانين معاملة اسرى الحرب الذين سلموا سلاحهم ، وكفوا عن القتال . تلك القوانين « الحضــــــارية » التى لا نستحقها نحن « الهمج المتوحشين » . ولان « كليبر » ـ او غيره ـ لم يثر هذا الدفع البسيط ، فقد صدر القرار باعدام حامية يافا عن بكرة ابيها (٣٠٠٠ عربى ومسلم من مصر والشام والمغرب وتركيا) .

وصف التنفيذ كتبه المواطن الفرنسى ـ بيروس ـ فى خطابه لأمه .. قال فيه :

ـ فى صباح اليوم التالى اخذ المغاربة جميعهم إلى شاطىء البحر ، وبدأت كتيبتان فى رميهم بالرصاص ، وكان املهم الوحيد فى النجاة هو ان يلقوا بانفسهم فى البحر ، فلم يترددوا ، وحاولوا كلهم الهرب سباحة فضربوا بالرصاص على مهل ، ولم تمض لحظة حتى اصطبغ ماء البحر بدمائهم ، وانتشرت جثثهم على سطحه ، واسعد الحظ نفرا قليلا فوصلوا إلى بعض الصخور ولكن الاوامر صدرت للجنود باقتفاء اثرهم فى قوارب والاجهاز عليهم وصــــــدرت التعليمات للجنود بالا يسرفوا فى الذخيرة فبلغت بهم الوحشية ان اعملوا فيهم الطعن بالسونكى . وقد وجدنا بين الضحايا اطفالا كثيرين تشبثوا وهم يموتون بابائهم .



بولاق .. بدات منها ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين وامر كليبر بحرقها

الموت على تل العقاب

على شاطىء البحر ، كان من بقى من اسرى حامية يافا ، يخوضون بحر الدم دفاعا عن حياتهم ، ويصنعون من جثث رفاقهم الذين ماتوا بالرصاص ، متاريس تحميهم من طعنات السونكى .

بعد خمسة أسابيع من ذلك التاريخ تكرر المشهد بمعظم تفاصيله أسفل جبل طابور جنوبى بحيرة طبرية . وكان البطل هذه المرة كليبر نفسه ، إذ طوقه جيش والى دمشق أسفل الجبل ، واستمر يحاصره عشر ساعات ، حتى كادت ذخيرته تنفد ، واستبد العطش بالجنود ، وامامهم — على مسافة قريبة بحيرة عجزوا عن الوصول إليها ، وانقذ نابليون الموقف ، وقاد بنفسه فرقة من الجيش بدات فى إطلاق المدافع من مرتفع جنوبى ساحة القتال ، وحين بدا جيش والى دمشق ينسحب توقيا للمدفعية التى اصبح هدفا سهلا لها ، امر كليبر رجاله المجهدين عطشا بمطاردة الجيش الدمشقى المنسحب ، خاضوا فى البحيرة ، لا ليشربوا ، ولكن ليقتلوا . كتب احدهم فى مذكراته يقول :

كنا نموت ظما .. ولكن ظمانا للانتقام اطفا ظمانا للماء ، والهبت ظمانا للدماء . رحنا نخوض إلى خصورنا مياه هذه البحيرة التى كنا نشتهى ان نشرب منها قدحا قبل لحظات ، غير اننا لم نعد نفكر فى الشراب ، بل القتل وفى صبغ البحيرة بدماء هؤلاء الهمج ، حتى امتلات بجثثهم ..

فى تلك الأيام كان نابليون قد طبع منشورا لأهل فلسطين قال فيه « ... وسيكون الدين على الأخص موضع الحماية والاحترام ، لأن جميع الطيبات من عند الله .. والنصر من عند الله » .

جثث أهل يافا المتعفنة فى شوارعها ، متاريس جثث الحامية التى ظلت على الشاطىء ، الدم الذى روى عطش جيش كليبر أسفل جبل طابور ، كل هذا أثمر طاعونا ما لبث أن هزم الجيش الغازى تحت أسوار عكا ، يقول هيرولد « فى اليوم الثانى من مذبحة يافا ، أرسل الله — الذى من عنده تأتى جميع الطيبات — الطاعون على الجيش الفرنسى » .

ومع أن أحدا من المؤرخين لم يذكر شيئا عن سليمان الحلبى ، فمن المؤكد أنه كان يوما فى مسجد ما من مساجد حلب ، أو دمشق ، أو القاهرة ، يقرأ بخشوع :

— وارسل عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول .

... ...

... ...

قضى سليمان الحلبى الشهور الخمسة الأولى من عام (١٨٠٠ م) فى فلسطين ، وصلها فى الشتاء ليصلى فى المسجد الأقصى ويجاوره زمنا ، ولابد أنه سمع هناك بما فعله الفرنسيس باهل يافا وبحامية دمشق ومعسكر العريش . كان مكدودا وضائقا ، ذلك ان والى حلب العثمانى ابراهيم باشا ، فرض على أبيه غرامة ضخمة والزمه بدفعها ، فرحل الشاب القلق عن عمل يقتات منه ، وعن باب يشكو إليه ما يفعل الوالى الظالم .

وكانت فلسطين ايامها قد اصبحت مركز تجميع الجيوش العثمانية التى تستعد للهجوم على الفرنسيين لتجليهم عن مصر . أما كليبر ، الذى تولى قيادة الجيش فى مقتبل الخريف ، فقد كان يقرأ ساخرا رسائل نابليون إليه :

ولا تنس يا مواطنى الجنرال ان قمبيز واجزرسيس والاسكندر الأكبر وعمرو بن العاص وسليم الأول كلهم دخلوا مصر من فلسطين .

فماذا تفيد تلك البديهيات التاريخية ،

قائدا استخلف على جيش هبطت قوته المقاتلة الى النصف ، وهذه الطاعون ، والحصار يخنقه من البر والبحر . ويكتب كليبر إلى حكومة الديركتوار الفرنسية قائلا :

إنى اعترف باهمية احتلالنا مصر ، وقد كنت أقول فى أوربا ان مصر بالنسبة لفرنسا كنقطة الارتكاز التى تستطيع بها ان تقبض على ناصية التجارة ، ونتولى زمامها فى سائر انحاء العالم ، ولكن يجب ان يكون لفرنسا محرك قوى . وهذا المحرك هو البحرية ، ولقد كانت لنا بحرية ثم ضاعت فتغير كل شيء ، وتغيرت المسالة من كل وجه ولم يعد لنا فيما يظهر لى سوى عقد صلح مع تركيا لنمهد لانفسنا طريقا شريفا نخلص به من حملة لا يمكن أن تحقق اغراضها التى دعت إليها !

ولان احدا فى فرنسا ـ حتى بونابرت ذاته ـ لم يرد عليه ، فقد دخل مفاوضات الصلح مع العثمانيين ، ووقع معهم ـ فى ٢٤ يناير (ك ٢) ١٨٠٠ م ـ معاهدة العريش وتطبيقا لها بدا جيش الشرق فى الرحيل ، لكن اللعبة الدولية ابت عليه هذا « الطريق الشريف » ، فالانجليز الذين كانوا طرفا فى المفاوضات ، لم يرضهم أن يرحل جيش الشرق باسلحته لينضم إلى جبهات القتال ضدهم فى اوروبا ، فقطعوا طريق البحر عليهم ، وأسروا كل من خرج منهم . ولم يجد العثمانيون بدا من الهجوم على الجيش الفرنسى لاجلائه بالقوة . فكانت معركة عين شمس ..

بين « العظمة » و « الوحشية »

لم يتطلب الجيش العثمانى سوى يوم واحد ليهزم فى معركة عين شمس ، لكن « القاهرة » تمردت خمسة اسابيع كاملة ، فما كاد كليبر ينتصر على العثمانيين ، حتى تحولت شوارع المدينة إلى متاريس ، امتد الغضب من بولاق إلى كل انحاء المدينة . خرجت السيوف والبنادق والرماح والعصى بل والمدافع المدفونة فى باحات المنازل . وسرعان ما استولى الثوار على المدينة ، قاموا متاريس قوية فى مداخل الشوارع ، هاجمت فصائل منهم مقر القيادة العامة لجيش الاحتلال ، حيث يسكن كليبر ، فى ميدان الأزبكية . انشاوا معملا لصنع القنابل وصب المدافع ، جمعوا له الحديد من المساجد والحوانيت ، وتطوع الصناع للعمل فيه . استعانوا بكرات الحديد التى تستخدم فى الموازين « كقذائف » . اخذوا يجمعون القنابل التى تتساقط من المدافع الفرنسية فى الشوارع فيحيلونها إلى قذائف جديدة . تشكلت لجان للاعاشة ، وللتجنيد ، ولمراقبة المتاريس ورسم الخطط

وحين دخل كليبر المدينة ،كانت فى أيدى الثوار ، فلم يبق أمامه سوى النار . بدأت مدافع الفرنسيين تطلق قذائفها على المنازل واحتلت فرق من جيش الاحتلال الآكام المشرفة على المدينة ، فاحاطت بها شمالا وشرقا ، وحوصرت بحيث لا يصلها طعام ولا ماء . وتقدم جيش الشرق يشعل النار فى المتاريس والمنازل تطفئها الامطار الغزيرة التى هبطت على القاهرة ، فيعيدون اشعالها من جديد . خمسة اسابيع كاملة والقاهرة تقاوم ، والنار ترعى فى مساكنها ، ولا أحد يقبل التسليم .

واخيرا .. اقتحم الفرنسيون بولاق ، ففعلوا باهلها ـ كما يقول الجبرتى المؤرخ ـ ما تشيب من هوله النواصى . « صارت القتلى فى الطرقات والأزقة ، واحترقت الدور والقصور » . اما الأزبكية وما جاورها من الاحياء التى دار فيها القتال ، فقد صارت كلها « تلالا وخرائب ، كانها لم تكن مغنى صبابات ، ولا مواطن انس ونزهات ، جنت عليها ايدى الزمان ، وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، واقفرت مساكنها ، تسكب عند مشاهدتها العبرات » ..

بكى الجبرتى المؤرخ ، اما الجنرال كليبر ، فقد اضيف إلى أكاليل غاره ، إكليل جديد ، وبات من الدقة العلمية أن نسميه : بطل معارك مايستريك وشارلوا وفانيبه وجبل طابور وعين شمس وبولاق .

فى القدس كان سليمان الحلبى ـ القادم من قلب القهر ـ قد قرر ان يغازى فى سبيل الله ..

... ...

... ...

لا احد يدرى كيف نبتت فكرة مشروع اغتيال كليبر ، ومن الذى أوحى بها ، ذلك أن سليمان الحلبى ، لم يكن من هؤلاء الذين يدونون خواطرهم ، كما انه لم يعن كثيرا باطلاع الاخرين على مادار فى راسه . وحين قضوا عليه ، وعذبوه « حكم عوائد البلاد » لم يفض كثيرا فى الحديث . ومع أن جوهر روايته لما جرى ، صحيحه ، إلا بعضا مما قاله ، وقاله الآخرون ، يحتمل الشك وربما الاهمال .

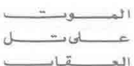
وطبقا لروايته ، فقد نبت المشروع فى حوار بينه وبين « احمد اغا » محافظ القدس وكان المحافظ قد تسلم منصبه فى نهاية مارس (آذار) ١٨٠٠ م ، وذهب اليه سليمان يشكو ما يلاقى اباه ، الحاج محمد أمين ، تاجر المسلى بحلب ، من اضطهاد ، إذ تعود ابراهيم باشا ، محافظ حلب ، أن يفرض عليه ـ وعلى غيره من التجار ـ غرامات فادحة ينوءون بها . واسفر اللقاء عن مواعيد اخرى متعددة ، جرت فى الأيام التالية ، وتراجعت خلالها المشكلة بين تاجر المسلى ومحافظ حلب ، ليطرح مشروع اغتيال كليبر ..

واسفرت اللقاءات بين الرجلين عن اتفاق بان يتوجه سليمان إلى القاهرة لتنفيذ المهمة ، وطلب منه احمد اغا ان يسافر إلى غزة ، ليلتقى هناك بشخص اسمه « ياسين اغا » ، سيقدم له المساعدات الضرورية لتنفيذ مهمته . ولم يزوده باى خطابات تقدمه او رسائل تعريف ، إذ فضل ان يرسل ذلك عن طريقه ، حتى لا تتعرض الرسائل للوقوع فى يد غريبه ، او تطلع عليها عين متطفله .

ولم تستغرق تلك المباحثات جميعها سوى ثلاثة ايام . وفى اليوم الرابع غادر سليمان « القدس » إلى الخليل ، حيث ظل عشرين يوما فى انتظار قافلة يرافقها إلى غزة ، ليكون فى مامن من قطاع الطرق . وحين وصل إلى غزة فى نهاية ابريل (نيسان) ١٨٠٠ ، التقى بياسين اغا ، الذى قال له بان لديه علما بالمهمة التى قدم من اجلها ، ورتب له إقامة مؤقتة بجامع غزة الكبير ، وتردد عليه هناك عدة مرات ، تباحثا خلالها فى المشروع ، وكان ياسين اغا حريصا على أن يكون اللقاء خفية عن الاعين ، لذلك تمت معظم اللقاءات ليلا . وحين تمت الصفقة ، وعده ياسين برفع الاضطهاد عن ابيه ، وأن يشمله بحمايته فى جميع المناسبات ، واعطاه اربعين قرشا تركيا ـ قيمة كل منها اربعون باره ـ لمصاريف سفره ، وأوصاه أن يكون حذراً ، والا ينفذ المشروع إلا بعد أن يضمن نجاحه والا يحدث احدا بشانه .

وخلال الأيام العشرة التى أمضاها بغزة فى انتظار قافلة تقوده للقاهرة ، اشترى سليمان الخنجر الذى اغمده فيما بعد فى صدر كليبر ، ولم يبذل مجهودا كبيرا فى الانتقاء ، إذ اشترى اول خنجر صادفه ، والتحق باول قافلة مسافرة ، وكانت محملة بالصابون والدخان ، قطعت المسافة بين غزة والقاهرة فى ستة ايام ، قضاها سليمان على ظهر هجين .

ولان القاهرة كانت ـ حين وصل إليها سليمان فى منتصف مايو (١٨٠٠ م) ـ ما تزال تلعق جراح الثورة ، ابوابها مخفورة وأثار الحريق فى كل شوارعها ، والبحث لا يهدأ ـ ليل نهار ـ عن الجنود العثمانيين



الذين تسربوا إليها ، والمتمردين الذين قادوا المقاومة ، فقد اثرت القافلة الا تدخل المدينة ، وحطت رحالها فى قرية صغيرة بجوار الجيزة اسمها : العياط . ومن هناك استاجر سليمان الحلبى حمارا ، دخل به المدينة فى ١٤ مايو ١٨٠٠ م .

امضى سليمان الحلبى شهرا كاملا فى القاهرة ، كانت الثورة قد خمدت ، اما أعمال الثار فكانت فى قمتها . وكان كليبر يطبق قاعدته : رؤوس اقل تذبح ، واموال كثيرة تنهب ولا بشاشة هناك . لذلك صمم ـ كما قال ـ أن يعصر مصر كما يعصر الشربتلى الليمونة . وتطبيقا لسياسة « الارهـــاب المالى » تلك ، فرض على المدينة العاصية ، غرامة قدرها ١٢ مليون فرنك ، واعتقل خمسة عشر رجلا من اعيان المصريين حتى تجمع الغرامه الذى وزعت ـ كما يقول الجبرتى ـ على « الملتزمين واصحاب الحرف حتى الحواة والقرداتية والتجار واهل الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم ، كل طائفة عليها مبلغ معلوم ، وكذلك بياعو الدخان والتنباك والصابون والخروجية والعطارون والزياتون والشواءون والجزارون والمزينون وجميع اهل الصنائع والحرف ، وجعلوا على الأملاك والدور اجرة سنة كاملة » .

وعند التنفيذ ، كان البلاء عظيما ، يقول الجبرتى « مضى عيد النحر ولم يلتفت إليه احد ، بل ولم يشعروا به ، ونزل بهم من البلاء والذل مالا يوصف ، وفرغت الدراهم من عند الناس واحتاج كل إلى القرض فلم يجد الدائن من يديته لشغل كل فرد بشانه ومصيبته ، فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشترى ، اذا اعطوهم ذلك لا يقبلونه ، فضاق خناق الناس ، وتمنوا الموت فلم يجدوه ، ثم وقع الترجى فى قبول المصوغات والفضيات ، فاحضر الناس ما عندهم ، فيقوم بابخس الأثمان ، واما اثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس فلا يوجد من ياخذه ، وحين يشتد الطلب ، وينبث المعينون والعسكر فى طلب الناس ومهاجمة الدور ، وجرجرة الناس حتى النساء من اكابر واصاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم ، والذى لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه او حريمه او ينهبون داره » .

وهكذا دخل سليمان الحلبى ، ليجد القاهرة ، بتلخيص الجبرتى ـ فى شر حال ، فـ « الطرق مجفرة ، والأسواق مقفرة ، والحوانيت مقفولة ، والعقول مخبولة ، والخانات والوكائل مغلوقة ، والنفوس مطبوقة ، والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصائب عميـــــة ، والعكوسات مقصودة والشفاعات مردودة .. وبالجملة فالامر عظيم ، والخطب جسيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

انتهى التحقيق فى اليوم نفسه ـ السبت ١٤ يونيو ١٨٠٠ م ـ وتحدد اليوم التالى لبدء المحاكمة ، واصدر الجنرال منو ـ الذى خلف كليبر فى القيادة العامة ـ امرا بتشكيلها من تسعة من قادة الجيش . وفى جلستها الاولى ، ندبت المحكمة رئيسها ، وممثل الاتهام فيها ، لاجراء التحقيق ، وجمع ادلة الاتهام . فاسفر تحقيقهم عن اتهام سليمان الحلبى ، والأزهريين الاربعة الذين افضى اليهم بعزمه ، وهم محمد الوالى وعبد الله الغزى وعبد القادر الغزى واستاذه مصطفى افندى الذى بات عنده عند حضوره الى مصر ، فكان عدد المتهمين ستة ، ولما كان رابع المتهمين « عبد القادر الغزى » قد فر قبل المحاكمة ، فقد حوكم غيابيا ..

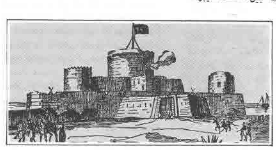
وحين انعقدت المحكمة فى اليوم التالى ـ الاثنين ١٦ يونيو (حزيران) ١٨٠٠ م ـ وقف ممثل الاتهام القومسيير سارتلون ، يترافع ضد المتهمين ، فتحدث عما يكتنف الجيش الفرنسى فى مصر « من حداد عام ، وحزن عميق فيهما الدليل على عظم المصاب ، ففى مجال المجد والنصر ، اختطف من بيننا قائدنا قتيلا » . وتساءل « ماذا عسانى أن اضيف الى التعبير عن الألم المبرح الذى نشعر به من اجله ؟ هل أذكر دموع جنوده ؟ الذين كان لهم بمثابة الوالد ، ام اذكر ما يملأ قلوب قواده ـ الذين حضروا فعاله وزاملوه فى مواطن المجد ـ من أسى » .

وفى مجال المقارنة بين عظمة كليبر ، وجيشه ، وبين « وحشية » سليمان الحلبى ورفاقه ، تحدث سارتلون عن « بحبوحة التسامح والكرم التى يرتع فيها المصريون من قاهريهم » اما العثمانيون والمصريون والعرب ، فقد وصفهم « سارتلون » بانهم « متوحشون ، جبناء ، لا تحمر وجوههم خجلا من اقدامهم على الانتقام لهزيمتهم بالاغتيال ، لذلك لن يكسبوا أمام العالم سوى العار » .

وارجع المدعى العمومى « جريمة » سليمان الحلبى ، الى التعصب والهلاوس الدينية ، فهذا « الشاب المتوحش الموصوم بوصمة الاجرام ، اثرت روح التعصب الدينى ابلغ الأثر فى راسه المضطربة بخاطىء الأقاويل عن مقتضيات الاسلام الصحيح ، حتى بات يعتقد ان اقوى دعائم الدين ، وأعز وسائله هى الجهاد فى سبيل الله وموت المشركين » .

وفى ختام مرافعته طلب المدعى العمومى من المحكمة ادانة سليمان الحلبى والحكم بحرق يده اليمنى ، ثم يوضع على الخازوق حتى يموت وتنهش الطيور الجارحة جسمه وان يقضى بادانة الشيوخ الثلاثة محمد وعبد الله واحمد الغزى فى الاشتراك بالجريمة ، لعدم ابلاغهم عنها رغم علمهم المسبق بها ، ويحكم بقطع رؤوسهم ، وان يحكم على رابعهم عبد القادر الغزى ـ الذى هرب ولم يتمكن الفرنسيـــون من القبض عليه ـ بنفس الحكم ، على ان تنفذ الأحكام إثر تشييع جنازة الجنرال كليبر بحضور الجيش واهالى البلاد ، وان يحكم ببراءة ساحة مصطفى افندى ويفرج عنه ، إذ لم يثبت ان سليمان الحلبى قد انباه بمشروعه وان يطبع من الحكم واوراق الدعوى خمسمائة نسخة وتنشر مع ترجمتها الى اللغتين التركية والعربية فى مختلف انحاء مصر بالمواقع المعتادة والمخصصة لذلك ..

وبعد ان انتهى المدعى العمومى من مرافعته ، اعادت المحكمة استجواب المتهمين ، فاعترفوا بالوقائع كما وردت فى اقوالهم النهائية ، وسالتهم هل يريدون توكيل محام للدفاع عنهم ، فلم يردوا ،


استحكامات يافا

فانتدبت المحكمة المترجم « لوكاهاما » للدفاع لكنه قال ان لا شيء لديه ليقوله .

اختلت المحكمة للمداولة فى الحكم ، وسأل الرئيس اعضاءها إبتداء من أصغر الاعضاء رتبة ، عن كل متهم على حدة ، فكان قرارهم انهم جميعا مذنبون . ما عدا مصطفى افندى الخطاط واستفتاهم جميعا عن نوع العقوبة التى توقع على كل متهم ، فوافقوا على ما اقترحه المدعى العمومى فى مرافعتــه ..

... ...

... ...

امضى سليمان أول ليلة له بالقاهرة بمنزل استاذه مصطفى افندى ، واستضافه الشيخ العجوز الذى جاوز الثمانين من عمره ، إذ كان هو الذى علمه الخط وحفظ عليه القران حين كان بالقاهرة قبل ذلك بثلاث سنوات . وفى الصباح ،اعتذر له ، فهو شيخ عجوز فقير ، لا قبل له بضيافته . وقبل سليمان عذر الرجل ، واستأذنه أن يمر عليه بين الحين والآخر لزيارته ، فاذن له ، فظل يتردد عليه طوال الشهر التالى كل اثنين وخميس .

ونقل سليمان اقامته الى الجامع الازهر ، حيث التقى باربعة من اصدقائه ، جميعهم من غزة ، ويقيمون كغيرهم من طلاب فلسطين وسوريا ، فى رواق الشوام ، وكان اكبرهم « عبد الله الغزى » فى الثلاثين من عمره ، امضى منها عشر سنوات فى الأزهر ، وهى المدة التى قضاها ثانيهم « احمد الوالى » الذى كان يناهزه عمرا ، أما أحدثهم إقامة فى القاهرة وفى الأزهر ، فكان الشيخ « محمد الغزى » ، إذ لم تمض على إقامته فى الجامع الكبير سوى خمس سنوات . وهرب الرابع « الشيخ عبد القادر الغزى» بعد مقتل كليبر ، فلم يترك اى معلومات تخصه .

سهل المشايخ الأربعة لسليمان الحلبى الالتحاق بالجامع الازهر ، والاقامة فيه ، دون إخطار السلطات الفرنسية ، التى كانت قد أصدرت امرا بالاخطار عن كل عثمانى يصل الى القاهرة . ومنذ البداية اخطرهم بمشروعه ، فنصحوا له بعدم الاقدام عليه ، وأشاروا الى الصعوبات التى تحول دون تنفيذه ، ونبهوه الى انه سيقتل ، لكن سليمان لم يقتنع بما قالوه ، وواصل الحديث عن مشروعه خلال الأيام التالية ..

وطوال الوقت كان سليمان مشغولا بالبحث عن كليبر ، ودراسة أنسب مكان لتنفيذ مشروعه ، وكان القائد العام قد نقل إقامته الى معسكر الجيزة ، حتى تنتهى الاصــــــلاحات التى كانت تجرى فى بيت الالفى ، مقر القيادة العامة ، الذى كان يقيم به قبل ان تصيبه قنابل الثوار باضرار ، اصبح معها غير صالح لاقامته قبل ترميمه ، كما انه كان كثير التجول فى المدينة ، يراجع متطلبات الدفاع عنها ، ويطمئن الى سلامة قلاعها وحصونها ، ويشرف على اجراءات تحصيل الغرامة التى فرضها على اهلها ، فلم يكن له خط سير ثابت يسهل معه اقتناصه ..

ولظنه ان الفرصة المتاحة لتنفيذ مشروعه ، قد تتاخر بعض الوقت ، فقد اخذ سليمان يبحث عن عمل يقتات منه ، ككاتب عربى ، ومع ان الفرصة لم تسنح ، الا انه وجد اعمالا متفرقة ، وكان يقضى معظم أوقاته بالأزهر ، ويكتب احيانا اوراقا تتضمن ادعية وايات من القران ، يوزعها على الطلاب والمصلين فى الجامع الكبير .

وحين عرف مقر إقامة الجنرال بالجيزة ، انطلق الى هناك ، وراقب موكبه ، وسال النوتية الذين ينقلونه عبر النيل من الجيزة الى القاهرة عن السبيل للقياه ، وحين استفهموا منه عن سبب سؤاله ، قال لهم انه يود أن يقدم اليه شكوى .. فاخطره احدهم ان الجنرال يذهب عصر كل يوم الى حديقة الأزبكية ليتفقد اعمال الترميم فى مبنى القيادة العامة .. لحظتها كان قدر كليبر قد ادركه ..

... ...

... ...

اخر مشاهد « المجـــــد »

القاهرة

الثلاثاء ١٧ يونيو (حزيران) ١٨٠٠ م .

حين بدات جنازة الجنرال كليبر تحركها من مبنى القيادة العامة ، انطلقت طلقة مدفع القلعة ، مرة كل ثلاث دقائق . وتقدمت كتائب الجيش من الفرسان والمدفعية ثم حرس القائد العام ، فموسيقى الجيش موكب الجنازة ، حمل الجنود بنادقهم منكسة ، ووضعوا أشرطة سوداء على اكمامهم ، أما الطبول التى كانت تدق دقا جنائزيا خافتا ، فكانت هى الأخرى مجللة بالكريب الأسود .كذلك كان النعش الذى حمل على مركبة تجرها الجياد ، وفوقه سيف كليبر وقبعته وشاراته والسكين الذى قتل به . خلف النعش وفد من فرسان المماليك ، ثم الجنرال منو ــ خليفة كليبر ــ وقواد الجيش واعضاء المجمع العلمى الفرنسى ، ثم اعيان القــاهرة من التجــار والعلماء والقساوسة ، ومندوبو طوائف الصناع ، وسارت الجنازة من الأزبكية الى درب الجماميز الى الناصرية ، حتى تل العقاب ..

وهناك توقفت الجنازة ، وما احتشد فيها ، ليشهد كليبر ــ قبل الدفن ــ اخر مشاهد المجد !

انزل نعش كليبر من فوق عربته ، ووضع على تل العقاب ، حيث كانت مراسم تنفيذ الحكم فى سليمان الحلبى وشركائه فى انتظار وصول النعش ، وما ان انطلقت المدافع ، حتى بدا الشطر الثانى من الاحتفال . تقدم « بارتليمى » محافظ القاهرة اليونانى ، فاطاح برؤوس المشايخ الثلاثة ، وكان الفحم انذاك ، يحمى فى مجمرة ، وحين انتهى المحافظ من مهمة اعدام المشايخ ، تقدم الى سليمان ، ووضع كفه فى المجمرة ، لكنه لم يشك ، ولم يتكلم والنار تاكل لحمه الحى ، غير انه اعترض حين تعمد « بارتليمى » أن يعدل من وضع يده ، لتطول النار مرفقه ، منبها ان الحكم لم يذكر المرفق بل اليد فقط . وتشاجر ســليمان مع « بارتليمى » ونعته بالكلب ، واصر على حقوقه حتى ازيحت عن مرفقه الجمرة ..

وبعد ان احترقت يد سليمان ، بدا تنفيذ القسم الثانى من الحكم الصادر بحقه . وقام « بارتليمى » بعملية الخوزقة بمهارة ، احضر قضيبا مدببا من الحديد ، ثم بدا فى إدخاله فى شرج سليمان الحلبى ، بالدق عليه دقات خفيفة ، حتى لا يحدث نزيفا يؤدى الى موته قبل ان يتعذب بما يكفى ، وبعد ان انتهى تلك الاجراء التمهيدى ، رفــع الخــازوق قائما ، وعليه سليمان ،ثم غرس فى الأرض، طلب سليمان من جندى فرنسى كان يقف على مقربة منه ، أن يعطيه شربة ماء ، كان الجندى على وشك أن يعطيه زمزميته ، منعه «بارتليمى» ، إذ سوف تؤدى اى نقطة ماء الى موته فورا ، فتنقذه من عذابه ، وهذا مخالف لمنطوق الحكم ..

على تل العقاب .. فارق جثمان كليبر سليمان الحلبى .. مضوا به ، تتقدمهم الفرسان والموسيقى ، وحين وصلوا الى فناء قصر العينى ، حيث أعدوا فى حديقته قبرا للجنرال ، على درج عال زرعوا حوله اعواد السرو . وبعد انتهاء مراسم الدفن ، القى المواطن فوريبه ــ سكرتير المعهد العلمى الفرنسى ــ كلمة طويلة ، تحدث فيها عن الجنرال كليبر بطل معارك فانديه وشارلوا وفلوريس ومايستريك والفكريش وفريدبرج ، ومقتحم الاسكندرية وبطــــل معركة جبل طابور وعين شمس ، من اخمد ثورة القاهرة ، وجاء ــ مع جيشه ــ لينشر اعلام الحضارة والعدل على ضفاف النيل ..

فى تلك اللحظة .. كان سليمان الحلبى جالســــا على خازوقه فــوق تل العقاب .. يصلى . !!

صلاح عيسى



الحياة بكل بساطتها فى مقهى شعبى كما صورها الفنان جوزيف اوستن بينويل فى عام ١٨٦٥ ميلادية .. واللوحة بالالوان المائية . ومقاس ١٦ × ٢٢ بوصة ، وتبدو فيهــا بعض التقاليــد القديمة التى اندثــر معظمها ودخل إلى دنيا التراث !

سوق السلاح فى القاهرة .. كان من اهم زبائنــه التجار المسافرون إلى شبه الجزيرة العربية .. واللوحة من اعمال الفنان تشارلز روبرتسون الذى حاول اظهار اهم انواع الاسلحة المستخدمة فى القرن الماضى .

معـرض فنـي للتــراث العـربي في شيراتـون الدوحــة:

هؤلاء الفنانون ليسوا مستشرقين.. ولكنهم عشاق للحياة العربية!

اقام متحف (جاليرى لندن) فى هذا الشهر معرضا هاما فى فندق شيراتون الدوحة ، ضم ٧٢ لوحة زيتية ومائية ، تمثل التراث العربى خلال القرن التاسع عشر ، وتراوحت اسعار هذه اللوحات ما بين ١٨ الف ريال قطرى و ٦٠ الف ريال قطرى ، اى ان الثمن الاجمالى للوحات المعروضة يفوق المليون ريال او ما يعادل ١٤٠ الف جنيه استرلينى ..

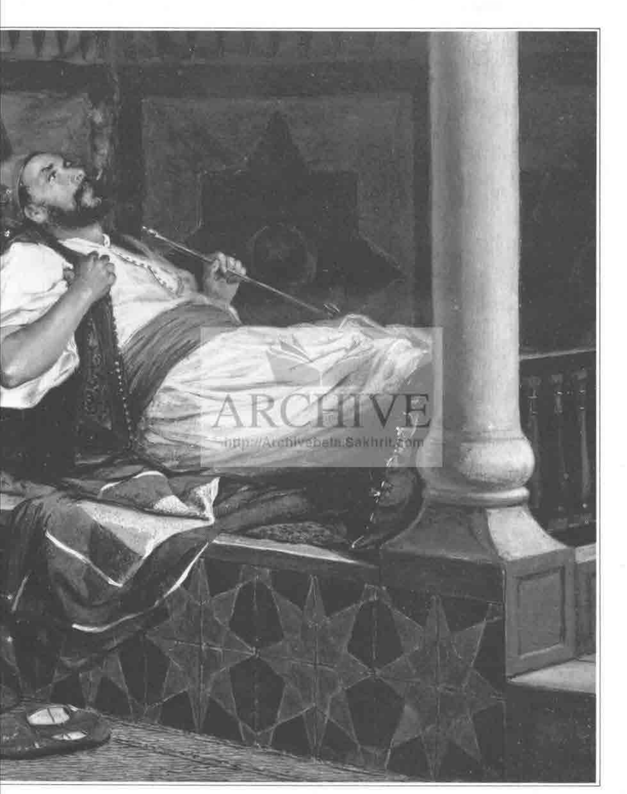
واهمية هذا المعرض تاتى من ناحية تخصصه المتميز فى اللوحات التى تعبر عن واقع الحياة العربية ايام زمان ، الامر الذى جعلها محط اعجاب وتقدير هواة الفن فى كل مكان ..

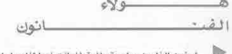
ويقول المسئولون عن المعرض ان هذه اللوحات تمثل سجلا قيما للعادات والحضارة العربية القديمة الأصيلة فى بلدان الخليج والمملكة العربية السعودية .. وان صاحب هذا المعرض واسمه « هـ . ماكديرمت » قضى سنوات عديدة فى البلاد العربية ، وعايش البدو فى حياتهم اليومية ، ولم يمنعه عمله كمنتج افلام ومدير استثمارات فى لندن ، من أن يعبر عن حبه للمنطقة بجمع مجموعة من اللوحات تعبر عن الواقع الحى لتقاليد شبه الجزيرة العربية بكل ما فيها من الوان زاهية وموضوعات جذابة ، حيث ان الكثير من هذه التقاليد اصابها التغير السريع نتيجة لنمط الحياة الجديد فى المنطقة ..

واللوحات التى تم عرضها فى مدينة الدوحة ، جاءت من صالة متحف « جاليرى لندن » الذى انشيء فى عام ١٩٧٥ ، وقد نظر البعض الى هذه اللوحات على انها من انتاج فنانين مستشرقين ينظرون الى الحياة العربية بعين السائح المغامر الذى يرى هذه الحياة من الخارج ولا يحس بها او يتذوقها ، ولكن الحقيقة ان هؤلاء الفنانين هم من الغربيين القلائل الذين احبوا العرب واحسوا بهم إحساسا عاطفيا عميقا ، انعكس على أعمالهم الفنية ، التى جاءت فى حقيقتها عملا من العشق والفهم والمحبة ، وليست عملا من أعمال السياحة والاستشراق والرؤية السطحية السريعة .

ولذا فاننا باختيارنا لاهم لوحات المعرض ، انما نقدم عملا فنيا رائدا يصور التقاليد والعادات القديمة التى ستظل راسخة فى ذهن المواطن العربى كجزء عزيز من تراثه ، حتى وان اخفى الزمن والتطور بعض معالمها !



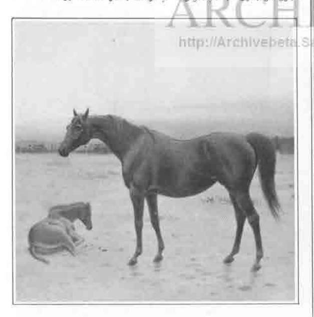




تدخين الغليون .. لوحة رائعة اضافت فيها تفاصيل زخرفة المكان للواقع الانسانى بعدا زمنيا جعلنا نحس بواقع الحياة فى القرن التاسع عشر .. اللوحة للفنان جان بابتست هوسمنز .

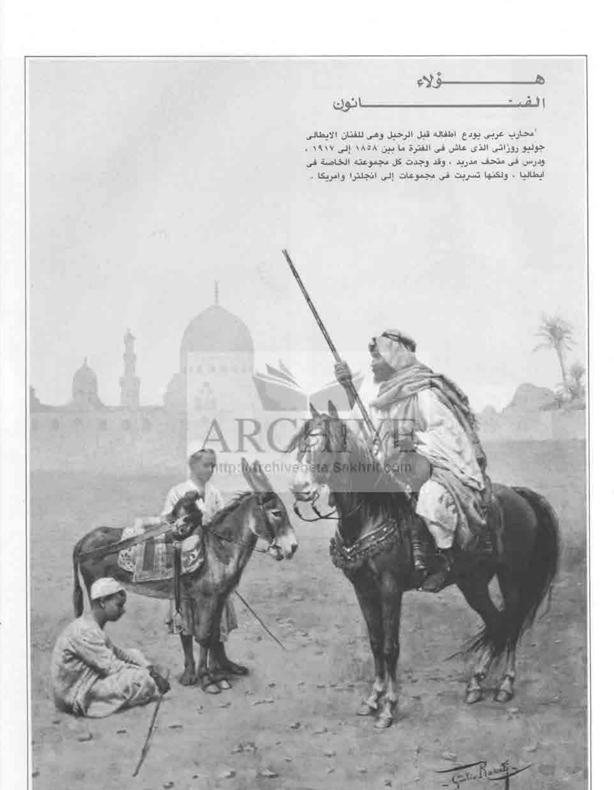


تدريب الخيول .. تلك الرياضة المحببة إلى قلوب العرب .. إنها هواية عشقها سكان شبه الجزيرة العربية ...واللوحة هنا للفنان جون هارنجتون وهى بالالوان المائية ومقاسها ٥ر٢٠ × ١٤ بوصة.



امومة .. الحصان العربى الاصيل يقف شامخا فوق الارض الشاسعة الارجاء .. بينما المهر الصغير يستلقى فى اطمئنان فوق هذه الأرض الطيبة وفى لحظة الغروب .. اللوحة للفنان جون هارنجتون بيرد ، وهى مرسومة بالالوان المائية ، وحجمها ١٤ X ٥ر٢٠ بوصة

هؤلاء الفنانون



"محارب عربى يودع اطفاله قبل الرحيل وهى للفنان الايطالى جوليو روزاتى الذى عاش فى الفترة ما بين ١٨٥٨ إلى ١٩١٧ ، ودرس فى متحف مدريد ، وقد وجدت كل مجموعته الخاصة فى ايطاليا ، ولكنها تسربت فى مجموعات إلى انجلترا وامريكا .

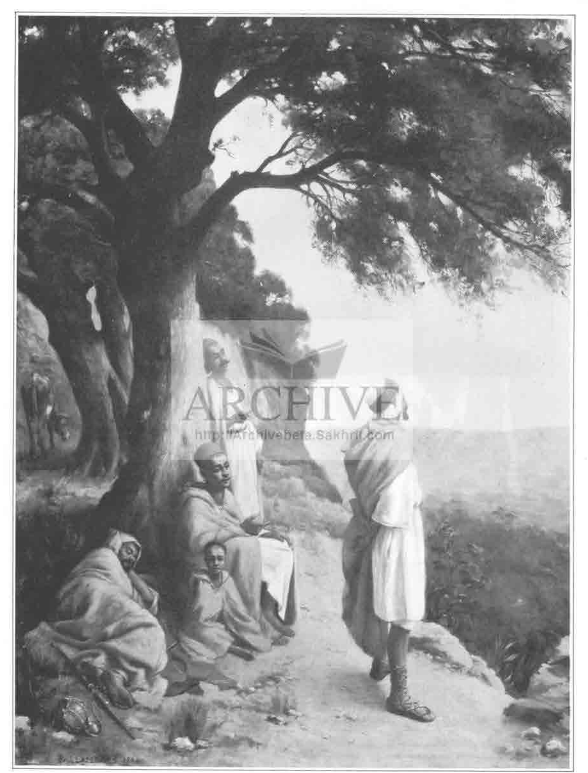
البتراء فى الأردن .. لوحة من القرن التاسع عشر للرسام ديفيد روبرت الذى زار سوريا والقاهرة . فى عامي ١٨٣٨ ، ١٨٣٩ وذهب إلى القدس العربية وأعد مجموعة من اللوحات .

ملتقى الماء للقوافل .. لوحة زيتية للفنان تيريتس . ج . جلبرت ، ومقاسها ٣٠X٢٠ بوصة ، وقد حاول فيها الفنان أن يعطى للصحراء غموضها وسرها الذى لا يدرك مغزاه غير الذين عاشوا على أرضها فى القرن الماضى .

مرفأ عربي .. حيث يصل المسافرون بقواربهم من كل صوب من اجل البيع والشراء والراحة بعد عناء السفر واهوال البحر .. اللوحةللفنان الفرنسي تشارلز ثيودور فرير الذى عاش فى الفترة ما بين ١٨١٤ و ١٨٨٨ وذهب إلى الجزائر واليونان وتركيا وفلسطين وسوريا ومصر والنوبة فى عام ١٨٥٠ وانتشرت اعماله عقب وفاته فى باريس فى كافة متاحف العالم .



استراحة المسافرين .. وهى لوحة للفنان هول لازيربيه قدم لنا فيها إحدى عادات المسافرين بعد عناء الطريق فى الصحراء ، إذ كانوا ما إن يجدوا ربوة عالية تطل على ارض خضراء ، حتى يستريحوا من مشاق الطريق ومخاطره .. اللوحة رسمها الفنان فى عام ١٨٨٤ ميلادية .



عيون تنفذ إلى باطن المستور

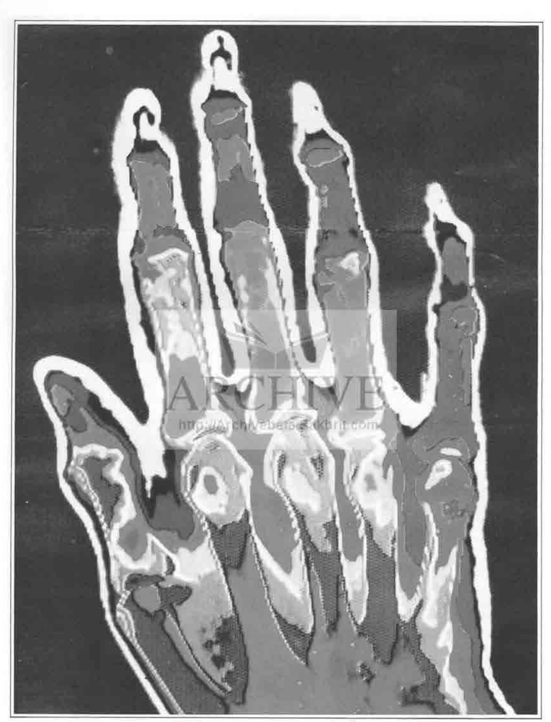
صورة بالتصوير الاشعاعي اللوني ، وفيها يمكن مشاهدة رصاصة أثناء انطلاقها (الأثر البرتقالي في ماسورة المسدس) .. وكذلك جزء من رسغ وأصابع الانسان الذي يمسك بالمسدس (المشار إليها بعلامات X)

بقلم : د . عبد المحسن صالح



تستطيع أن ترى هنا بسهولة تامة الكسر الكائن في عظمة الذراع ، فالصورة الملونة توضح الانسجة المختلفة .. الجلد والعضلات والعظام والنخاع وغيرها

مما لاشك فيه أن العين البشرية تنطوي على تكوينات مذهلة ، و « تكنولوجيا » بيولوجية متقنة مع موجات كهرومغناطيسية محددة ، ذات أطوال مقدرة فتتحول هذه الموجات الى نبضات عصبية لتصب في مراكز الابصار في امخاخنا ، فتحيل الاشارات الواصلة إليها إلى صور ملونة .. تماماً كالتي نراها في عالمنا .



صورة لونية بالرسم السطحى لليد بالاستعانة بأشعة إكس .. واختلاف الالوان قد يوضح أية أعراض شاذة ، وهى تبين هنا أن اليد مصابة ببعض الالتهابات المفصلية

عيون تنفذ إلى باطن المستور

لكن رغم كل هذا الاتقان فى الخلق ، إلا ان عيوننا لاشك قاصرة ، ويرجع قصورها الى تعاملها فقط مع موجات الضوء المنظور ـ اى انها لاترى الا فى حدود ضيقة وضئيلة فهى لا تتعامل الا مع موجات تتراوح اطوالها ما بين ٠٠٠٠٤ر٠ ـ ٠٠٠٠٧ر٠ من المليمتر ، فاذا طالت الموجات او قصرت عن هذه الحدود ، فان العين تتخبط فيها كالاعمى سواء بسواء ، فهى مثلا لا تستطيع ان ترى فى الاشعة فوق البنفسجية ، ولا فى الاشعة الحرارية (اى تحت الحمراء) ، لان اطوال موجاتها اقصر او اطول من حدود الموجات الكهرومغناطيسية التى قدر لعيوننا ان ترى فيها ، فلا تستطيع ان تتخطى الحدود الى ما عداها !

ثم ان عيوننا ايضا قاصرة ، لانها لاتستطيع ان تكبر الصغير جدا ، لنراه على حقيقته ، ولا ان تقرب البعيد جدا لتتجلى لنا طبيعته ، وهى كذلك عاجزة عن ان تنفذ الى باطن الخلق ، لنرى ما انطوى عليه ذلك الخلق من تكوينات من داخل تكوينات من داخل تكوينات .. الخ .

وكان نتيجة هذا القصور فى توضيح ما انطوت عليه بواطن الامور ، ان لجا العلم الى عيون اخرى كثيرة ومتنوعة ، لتريناء «ما لا عين رات ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» !

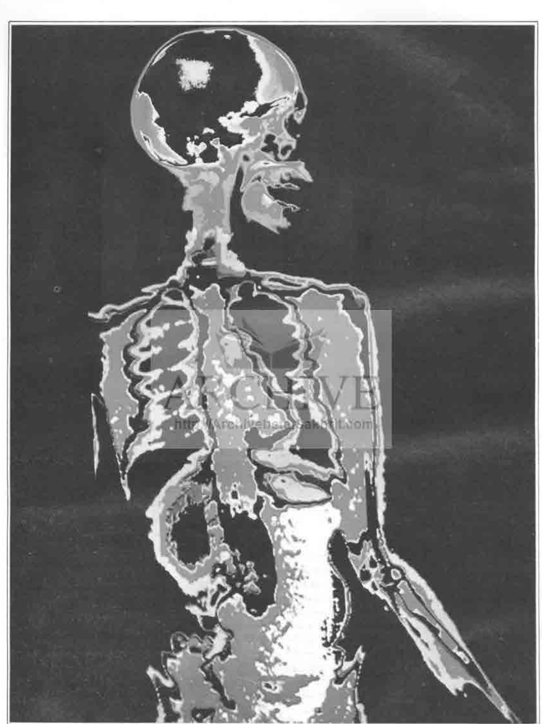
عيون متنوعة وغريبة

وطبيعى اننا لو اعتمدنا على عيوننا ، لما راينا الا ظواهر الامور ، وسيبقى باطنها الى الأبد عنا فى حكم المحجوب او المستور ، إذ ما اكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد ، وما أغرب ما يزخر به الكون ، وتنطوى عليه الحياة .

ولاشك ان عيون العلم كثيرة وغريبة ومتنوعة ، ونحن لا نستطيع ان نتعرض لها بالاسهاب ، والا لخرج الموضوع من ايدينا .. لان هذه العيون العلمية قد اختلفت باختلاف الهدف الذى تتسلط عليه ، فللسماوات عيون ترصدها ، ولاجسامنا



صورة حرارية لوجه انسان ، وفيها نرى ما يشبه الخريطة التى توضح تضاريس غريبة ، ومن الممكن عرض مثل هذه الصور على شاشة ، ومنها يستدل على اى شذوذ لا تراه عيوننا .



الجزء العلوى من الجسم البشرى ، وقد ظهر بهذا الشكل الغريب من خلال استخدام نوع من التصوير الحديث ، وهو فى سبيله إلى التطوير والاتقان ليكون وسيلة من وسائل الكشف عن الداء .



ما نراه هنا هو كرة تنس الطاولة فى مسار تيار هوائى يخرج مندفعا من انبوبة ، وكانما الهواء قد تحول إلى انبثاقة من لهب ، وطبيعى آن مثل هذه الصور لم تكن متاحة فى الماضى ..

عيون تنفذ إلى باطن المستور

عيون اخرى تنفذ الى باطنها ، وللاقمار الصناعية عيون حساسة تستكشف من البعد ما يكمن فى باطن الأرض من ثروات ، وما ينتشر فى البحار من خيرات ، وللبحوث الذرية والبيولوجية وسائل للابصار الصناعى ، لتتعرف على التكوينات الدقيقة للمادة التى تدخل فى بناء الكون والحياة ،

وللاسلحة الحديثة «عيون» توجهها إلى اهدافها بدقة تامة ، وكانما هى بدورها ترى ما لا نستطيع ان نراه ، حتى ولو كان ما تراه مختبئا فى باطن الارض ، او تطويه ظلمات فوق ظلمات ، ثم ما أكثر العيون التى دخلت عالم الطب ، لترشد الأطباء الى مواطن الداء وتحدد لهم ما شذ وما استقام من الانسجة والاعضاء ، وكانما هى تتجسس وتحدد وتصور وتنقل الى عيوننا صورا دقيقة لما كان علينا فى الباطن خافيا ، وبحيث تتجلى اجسامنا وكانما هى اكوان داخل اكوان من داخل اكوان .. وهلم جرا !

والعلم دائما فى حالة تطور الى الأحسن فكانما هو ينشد الاتقان ، او هو يسعى للاقتراب منه على الدوام ، إذ كلما عرفنا اكثر ، واستخدمنا اجهزة اتقن ، كلما اقتربنا من فهم كوننا وانفسنا بدرجات احسن واقوم وادركنا الايات البديعة والمذهلة التى تدل على قدرة «الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى» .. وعندئذ يحق لنا ان نردد عن علم «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون» !

اكتشاف العوالم الحية

فمن العيون والأجهزة الحساسة التى نستكشف بها العوالم الحية بوجه عام ، والعوالم الكائنة فى أجسامنا بوجه خاص ، من هذه العيون نذكر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ جهاز مسح الجسم البشرى باشعة

أساسا في بحوث الديناميكا الحرارية ، وفي سريان الغازات . والاشعاع الحراري من الأجسام ، وفي بحوث الانفاق الهوائية المستخدمة في تجارب الطيران ، ومدى تأثر جسم وحركة الطائرة عندما تحتك بجزيئات الهواء ، خاصة عندما تطير بسرعة أسرع من الصوت .

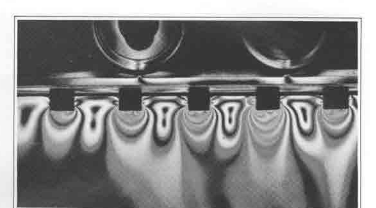
لغة لونية للعلماء

ونحن لانريد أن نسترسل هنا في ذكر المزيد ، ولن نزج القارىء في معمعة علمية قد لايكون مؤهلا للخوض في أسرارها ، بل إن هدفنا في هذه الدراسة ينصب أساسا على عرض ما توصل اليه عالمنا المعاصر من انجازات تكنولوجية ليوضح بها ما خفي عن عيوننا ، وبها يتخطى الوسائل القديمة نسبيا في الكشف عن تلك الالغاز المدفونة في طبائع الاشياء ، وبهذا نمهد للقارىء أن يعيش دائما مع عصره ، ويعرف بعض ما حققه هذا العصر من أمور كانت بالنسبة للأقدمين ضربا من الخيال .

ولاشك ان الصور هنا تغني عن أي كلام يمكن أن يقال في هذا المجال ، ومن أجل ذلك ، فقد اخترنا بقدر الامكان صورا تمثل فروعا مختلفة من العلم ، وبها يتضح لنا أهميتها في البحوث التي تتعامل مع الحياة والجماد والغازات ، فنرى من خلالها عالما آخر ينطوي على أمور ما كانت لتطرأ لنا على بال .

بقيت نقطة أخيرة : فلقد بدأ كل شيء في أوله بسيطا ، لكنه تطور وتعقد ، فراح وأضفى على النفس بهجة ، من ذلك مثلا أن التصوير الفوتوغرافي قد بدأ بعرض صور ليس فيها إلا الابيض والأسود ، أو ظلال ما بين هذا وذاك ، لكننا عرفنا فيما بعد الصور الملونة ، والافلام الملونة والتليفزيونات الملونة .. وأخيرا بدأنا ننظر الى الباطن «بعين ملونة» ، فنرى الأنسجة مثلا وقد اتخذت الوانا شتى ، نتيجة لتصميمات تكنولوجية ، وليس لونا طبيعيا في الأنسجة ، وطبيعي أن هذه الاختلافات في الألوان تعكس حالات خاصة ، وكأنما هي «لغة لونية» للعلماء فيها تفسير وتعليل ، وهم أدرى بها ، لأنهم المكلفون بكشف الغموض الذي تنطوي عليه الأكوان المحيطة بنا .. وكل قد جاء لما هو له ميسر .. «ولكن أكثر الناس لايعلمون» .

د. عبد المحسن صالح



هذه الصورة الغريبة توضح الاجهاد الواقع على شريحة من البلاستيك ، فتنبعث منها خريطة حرارية تبين للعلماء شدة الجهد الواقع ، فيراجعون حساباتهم وتقديراتهم على أساسها ، خاصة أن المواد كثيرا ما تتعرض لاجهادات تضعف من مقاومتها



جدار رحم أم بداخله جنين يظهر منه رأسه وذراعه .. وللأطباء المتمرسين في هذه الألوان المتداخلة تفسير وتعليل .. والصورة بالموجات فوق الصوتية

اكس ، وبحيث يقدم لنا «خريطة» متقنة لجميع مستويات الجسم أو «تضاريسه» إن صح التعبير ، وغالبا ما يتصل بهذا الجهاز حاسب الكتروني ، ليختزن المعلومات التي رأتها هذه العين العلمية ، ثم يعرضها بطريقة توضح ما كان يخفى على الأجهزة القديمة (مثل جهاز الكشف بأشعة اكس التقليدي) ، ثم إن هذا الجهاز المتطور يستطيع أن يعطينا معلومات دقيقة عن المخ ويحدد موقع أي شذوذ بداية من ورم خفيف الى خراج ، الى نزيف ، الى أنسجة متكيسة .. الى كل ما يتوق الطبيب والجراح الى معرفته ـ ليس على مستوى المخ فقط ، بل على مستوى الرئات والقلوب والأكباد والكلى والأمعاء .. الخ

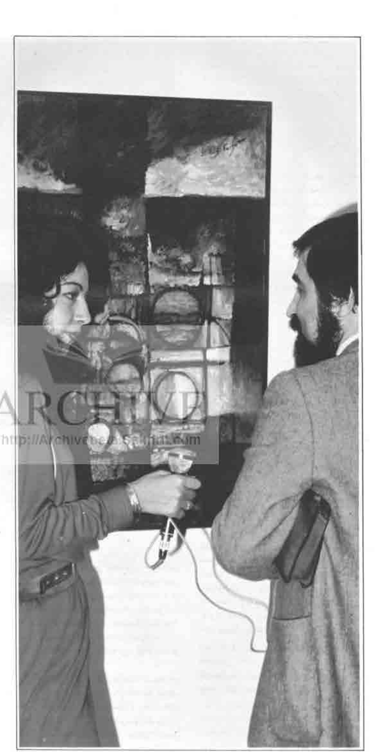
ومن هذه العيون ما ترى بالأشعة الحرارية ، أو تحت الحمراء ، وهي التي نطلق عليها اسم التصوير الحراري ، اذ تستطيع بدورها أن تعطينا خريطة حرارية للاشعاعات المنبعثة من الأنسجة المختلفة وبحيث تستكشف بدورها أي شذوذ حراري قد يستدل منه على بداية ورم أو قرحة أو اصابة ... الخ .

ومن هذه الاجهزة ما يرى ويحدد باستخدام الموجات فوق الصوتية ، ومنها ما يعرف باسم التصوير السكليريني ، وهي كلمة ألمانية تعني التخطيط أو الرسم الضوئي ، وترى على هذه الصفحات بعض الصور التي التقطت بتلك الوسيلة ، والواقع أن هذا النوع من التصوير كان يستخدم

حـــوار
مع فنـــان عـــربي

مدير متحف اللوفر يتجنى على الفن العربي

بقلم: حسن الملا



في معرض الفنان العربي صخر فرزات الذي اقيم مؤخرا في الدوحة.

اقيم مؤخرا في متحف قطر الوطني معرض للفنان العربي السوري صخر فرزات بدعوة من إدارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام ..

وتضمن المعرض ٣١ لوحة تشكيلية ، تميزت بأصالتها العربية وصدق خطوطها والانغام المتشابكة في الوانها وعمق موضوعاتها التي تعالج مشاكل الانسان واحلامه وذكرياته وكافة شجونه على الارض العربية ..

والمعروف ان الفنان صخر فرزات من الفنانين العرب الذين حملوا على اكتافهم سلاح الفن العربي ليحاربوا به في الساحة الفنية في باريس ، مزاحمين بذلك أهم فناني العالم ..



ولادة الحلم .. إحدى لوحات الفنان التى تميزت بصدق الخطوط وعمق الموضوع والألوان ذات الأنغام المتشابكة.



وقد ولد هذا الفنان عام ١٩٤٣ فى سوريا واقام فى باريس منذ عام ١٩٧٦ ، وتفرغ للعمل الفنى منذ تخرجه من كلية الفنون الجميلة فى سوريا ، ليصبح اليوم احد الأعضاء المؤسسين لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب ، وعضوا فى دار الفنانين الفرنسيين بباريس ، وعضوا فى الاتحاد العالمى للفنانين المحترفين ، وليشترك فى عدة معارض فنية ما بين دمشق وتونس وباريس ، ولتقتنى عدة دول اعماله لتضعها فى متاحفها فى فرنسا وانجلترا والارجنتين واستراليا والمانيا والنمسا ، والبرازيل ، وبلغاريا ، وهولندا وايطاليا ، وامريكا ، وفنزويلا ، وبولونيا وسويسرا وغيرها ..

ولاجل كل ذلك وغيره ، جرى هذا الحوار مع الفنان صخر فرزات حول مشوار حياته والحركة التشكيلية فى سوريا والعالم العربى ..

رواد الفن

قلت للفنان العربى : هل يمكن ان نتعرف على بداية الحركة التشكيلية فى سوريا

قال لى : بداية الحركة التشكيلية فى سورية قديمة ، لأن سوريا بقيت لفترة طويلة مركزا من مراكز انتاج الفن الاسلامى والصناعات التقليدية والزجاج الملون والمعشق ، بالاضافة إلى الزخارف الاسلامية التى وجدت على جدران البناء القديم .. وكما تعرف فان الغربيين عندما سحرتهم الحضارة العربية والاسلامية ، جاءوا إلى سوريا ورسموا لوحات عديدة عن الحياة الشعبية والأماكن التاريخية ، وجاءت معهم ايضا بعثات تبشيرية كانت تضم رساميها الذين استخدموا فى تزيين الكنائس والجداريات .. وكل هؤلاء مع اهمية المركز التجارى للمنطقة حيث انها تربط الشرق بالغرب ، كان له اثره على الفنان السورى ،

ذكريات .. لوحة تعبر عن الفنان الذي تقتني اعماله معظم الدول الأوربية والحاصل على جائزتين عالميتين

الذى تاثر بما راه ، واصبح على اتصال دائم مع اوربا فى بداية القرن العشرين ، وكانت النتيجة هى ظهور عدد من الفنانين السوريين الاوائل الذين نضعهم فى مرتبة الرواد ، ومن بينهم سعيد تحسين وتوفيق طارق الذى كانت لوحاته قبل الحرب العالمية الاولى تتميز بالاصالة العربية رغم دراسته فى اوربا ، ثم عبد الوهاب ابو السعود وميشيل كرشه الذى نعتبره اول فنان انطباعى فى سوريا بعد عودته من اوربا فى الثلاثينات ، وكذلك محمود جلال ورشاد قصيباتى .. وتلى هؤلاء فاتح المدرس الذى اهتم بالفن التدمرى واستنبط منه اسلوب جديدا ..

وعدنان ميسر وادهم اسماعيل الذى اهتم بالعودة إلى التراث وحاول تقديم لوحة لها علاقة لونية بالفن الاسلامى واهتم بالخط اللامنتهى ، اى انه حاول احياء الزخرفة الاسلامية .. ويبقى بعد كل هؤلاء عصمت رضا الذى كان اول من رسم اللوحات التجريدية .. وكذلك الفنانون البارزون حاليا امثال : لؤى كيالى ، وفؤاد المدرس وغيرهم ممن درسوا فى اوربا وخاصة ايطاليا ..

الحرب على الفن العربى

وهنا انتقلت مع الفنان العربى صخر فرزات الى الحديث عن العالمية فى الفن ، وكيف نصل إلى هذا المستوى ، وهل للفنان العربى قيمة فى بلاد العالم ، ام ان انتاجه مازال جليسا فى نطاق بلاده فقط ؟

وقال لى : ان هناك حقيقة مؤكدة بان الغرب يهملنا تمام الاهمال ويتحاشى كل ما يمت بصلة للفن العربى ، والدليل على ذلك ظهور كتاب من الكتب الهامة فى الفن فى فرنسا ، وهو كتاب موسوعى من تاليف « رينويك » محافظ متحف اللوفر عن الفن فى العالم ، وقد اختصر المؤلف الفن العربى كله فى هذا الكتاب إلى نصف صفحة ، اما باقى الدول ـ والكثير منها اقل منا فى المستوى الفنى بكثير ـ اعطاها عدة صفحات .. وهذا يعنى بالتحديد التجاهل التام للفن العربى بل والحرب الحضارية على الامة العربية .. ونتيجة لذلك وغيره فليس من البساطة ان يحصل فنان عربى على مكانته فى هذه المجتمعات طالما انها تحارب افكارنا وحضارتنا سعيا نحو التقدم .. وهناك مثل اخر ممثل فى الفنانين المتواجدين فى المغرب العربى الذين على مستوى ممتاز تعرفه اوربا جيدا بحكم قرب المغرب العربى وكثرة احتكاكه بالعالم الغربى .. إن هؤلاء الفنانين لا يستطيعون الحصول على صالة لعرض اعمالهم ذات القيمة الفنية إلا بصعوبة بالغة وفى مناطق متطرفة وبعيدة تجعل معارضهم فى معزل عن جمهور المتفرجين وزوار المعارض فى اوربا !

الفنان العربى صخر فرزات الذى يقيم فى باريس منذ عام ١٩٧٦

وبالاضافة لكل ذلك فانه من الممكن ان يقيم الفنان العربى معرضا فى اماكن التبادل الثقافى بين الدول ، ولكن هذا لن يؤكد باى حال وجود الفن العربى ضمن السوق العالمية الفكرية والفنية ، ولهذا فان الفنانين العرب فى فرنسا وغيرها يقاتلون من اجل دخول مجالات العالمية فى الفن !

لماذا الهجرة ؟

قلت للفنان صخر فرزات : مادام الامر بهذه الصعوبة ، لماذا اذن هاجر الفنان العربى الى اوربا وامريكا ؟

وقال لى : فى الواقع ، هناك غربة يعيشها الفنان العربى فى بلده ووطنه ، فهناك ثغرة بين فكر الفنان العربى وثقافته وبين الثقافة العامة للمجتمع ، فالفنان عندنا يشعر بالاسف لانه غير مفهوم فى مجتمعه ، وحتى الفنانين الذين يغوصون فى بيئتهم ومجتمعهم ويطرحون موضوعات اجتماعية يجدون انهم فى النهاية غرباء لا يجدون من يهتم بفنونهم ..

وانا فى ذلك لا اوجه اللوم إلى الفن العربى ، ولكن احمل المسئولية لنظام التعليم فى الوطن العربى ، فهو نظام يتجاهل وسائل تنمية التذوق لدى النشء ويهملها بشكل متعمد .. وساحكى هنا تجربة حدثت لى عندما رايت احد المواطنين فى دمشق ينظر من وراء زجاج خارج معرضى ، فدعوته لاجده على درجة من الوعى الفنى ممتازة . فسالته : هل درست ؟ فقال لى : لا .. عندئذ تعجبت وسالته كيف وصل إلى هذا المستوى من الفهم ؟ فقال لى : اذهب إلى كل معرض واعايش اللوحات واهتم بالوانها وزخارفها وتفاصيلها الاخرى .. وهكذا نرى ان هذا المواطن درب نفسه على التذوق الفنى الذى اهملته التربية المدرسية وهى تخطط لصنع اجيال المستقبل !

تنمية التذوق الفنى

وعندئذ قلت للفنان العربى : مادام لدينا قصور فى التذوق الفنى ، هل يمكننا التعرف على الوسيلة ؟

وقال : نبدا بابسط الاشياء ، يجب الا يخرج اى كتاب للطلاب إلا باخراج جيد واشراف فنى .. ويجب الا يعرض برنامج فى التليفزيون إلا بمراقبة فنان حتى لا نعطى نتاجا متخلفا من الناحية الذوقية .. وحتى الشارع يجب ان نعطى للمواطن احساسا بمسئوليته عن نظافة الشارع واحترامه وعدم رمى القاذورات بدون مسئولية .. وإذا ما طبقنا ذلك الاحساس القومى باهمية الجمال والنظافة والنظام فى المدرسة والبيت والدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والشارع وغير ذلك ، لاصبح لدينا فى سنوات قليلة جيل يتذوق الفن ويحب الجمال ويحافظ عليه !

الحركة النقدية ومشاكلها

وفى نهاية لقائى مع الفنان سالته عن اهمية الحركة النقدية الفنية فى العالم العربى . فقال انها كانت معدومة ، وان هناك من يحاول ان يضع لها اليوم حجر اساس بجهود فردية . فهناك جبران ابراهيم جبران وبلند الحيدرى تتابعان مشوارهما فى وضع اسس للنقد الفنى فى العالم العربى .. وغيرهما هناك دراسات حول علم الجمال يقوم بها اسعد عرابى .. إلا اننا لا نستطيع بالطبع ان نقول ان لدينا فعلا حركة نقدية محسوسة او نقاد ، مثل انجريه مونغو وزير الثقافة فى عهد ديجول او مثل روجيه جارودى وغيرهم من اصحاب الدراسات النقدية العظيمة .. وفى فرنسا هناك بعض الكتاب العرب المشهورين فى الصحف الفرنسية امثال طاهر بن جلون من المغرب والذى يكتب عن الصحافة العربية والفن العربى والمجتمع العربى فى جريدة الليموند الفرنسية ، ومن الكاتبات المشهورات بالنقد فى فرنسا الكاتبة اللبنانية امية عدنان .. وهناك فنان تونسى استطاع بصعوبة ان يعرض فى مركز بومبيدو وبينالى باريس لوصوله إلى مستوى عظيم من العالمية وهذا الفنان هو التريكى .. وغيره هناك الفنان السورى الحلبى « كرزو » الذى اصبحت تعرفه الاوساط الفنية فى باريس ، وكذلك الفنان السورى شفيق عبود .. وهذا دلالة على ان الطريق يمكن تمهيده واقتحامه إذا تجملنا بالصبر والعمل والبحث الدائم عن كل جديد فى الفن !

حسن الملا



سعادة عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام وسعادة علي بن احمد الانصاري وزير العمل والشئون الاجتماعية اثناء افتتاح مجمع الاعلام ومسرح قطر الوطني .

مسرح قطر الوطني ودوره في تطوير الحركة المسرحية

كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح؟

كمال سعد

لاشك ان بناء اى مسرح فى اى بلد عربى ، لابد ان تتبعه حركة نشطة من اجل تاصيل مسيرة المسرح العربى وربطها بالتراث الأدبى والشعبى والصور المختلفة فى المجتمع ، حتى تكون هناك علاقة حية بين المتفرج وخشبة المسرح تدعمها الكلمة الموضوعية والمعالجة الجذابة للفكرة وكافة المؤثرات الفنية ذات المستوى والمدلول !

وقد لخص هذا الهدف الهام سعادة السيد عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام عندما قال فى كلمته اثناء افتتاح مجمع وزارة الاعلام ومسرح قطر الوطنى ، ان المسرح بما يتضمنه من ثقافة وفنون يمثل واجهة حضارية متميزة فى صرح النهضة ، ونتيجة لتقدم البلاد فى مجال المسرح فى السنوات الاخيرة ، كان لابد من الأخذ بيد العناصر الصاعدة والبراعم الواعدة فى هذا الميدان الحضارى ومساعدتها على تادية رسالتها فى مسرح حديث جامع للادب والفن والتراث الشعبى والحضور الانسانى من غير هدر لجانب القيم الاخلاقية الموروثة والتقاليد العريقة ..

وحدد وزير الاعلام رسالة المسرح الجديد وتنمية قدرات المواهب المسرحية بقوله : استقر الراى على بناء مسرح حديث يتمشى مع

صالة المسرح مزدحمة بالمتفرجين اثناء العروض التي رأيناها على خشبته اثناء احتفالات ٢٢ فبراير



موسى زينل.. مدير ادارة الثقافة والفنون

متطلبات العصر وتعمل فيه احدث المبتكرات الفنية والمعدات التكنولوجية .. بحيث تستطيع بواسطته الحركة المسرحية فى قطر ان تؤمن لنفسها ولعشاق هذا الفن الرفيع مكانا للعرض والمشاهدة والاحتكاك مع المسرح العربى والعالمى من خلال ما يقام على خشبته من عروض .. وانه لجدير بالذكر ان نشير الى ان وزارة الاعلام بصدد انشاء مسرح اخر يوفر الاتساع فى القاعدة المسرحية ويساعد الفرق المسرحية الموجودة فى قطر على تنمية قدراتها وصقل مواهبها ..

جاهز للفرق الكبيرة

إن مسرح قطـــــر الوطنى ، الذى اقيم ضمن مجمع اعلامى يضم مبنى وزارة الاعلام ، يعتبر أول مسرح من نوعه على مستوى الخليج والوطن العربى من حيث الاستعدادات الحديثة والامكانيات الفنية ، فقد اقيم المسرح الجديد على الحيز الأكبر من مبنى المجمع الاعلامى الذى روعى فى تصميمه الطابعان العربى والحديث والذى بلغت تكاليفه ١٢٠ مليون ريال قطرى ..

وتحتوى صالة مسرح قطر الوطنى على ٥١١ مقعدا كل منها مزود بجهاز للترجمة الفورية الى اربع لغات ،كما يضم خشبة مسرح مكونة من ثلاثة اجزاء ، الاول تقليدى ثابت ، والثانى دائرى ،والثالث يستخدم كمقدمة لخشبة المسرح تنخفض وترتفع حسب احتياجات العمل وهى بالطبع مقرا للاوركسترا والموسيقيين ..

ويعمل المسرح بواسطة جهاز كمبيوتر لتنفيذ الاضاءة والصوت وتحريك لوحات الديكور وخشبة المسرح الدائرية !

وهناك ثلاثة طوابق خلف المسرح مخصصة للعاملين والممثلين . كل منها به غرفتين للماكياج وتغيير الملابس ، إضافة الى قاعة كبرى لاجراء البروفات . .

ويضم المسرح ـ كذلك ـ مطعما كبيرا واستراحة لكبار الزوار .

اى ـ باختصار ـ تتوفر فى مسرح قطر الوطنى كل احتياجات الفرق الكبيرة ، بالاضافة الى مراعاته لكافة الظروف التى تعمل على راحة المتفرج وتهيء امامه فرصة الاستمتاع بالعمل الفنى والاستغراق فى جوانبه الذهنية ...

اول العروض

وقد كان اول عرض رايناه على خشبة مسرح قطر الوطنى عقب افتتاحه فى يوم ٢٢ فبراير

احدى اللوحات البديعة التى قدمتها الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية

كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح ؟



محمد ابو جسوم

سالم ماجد



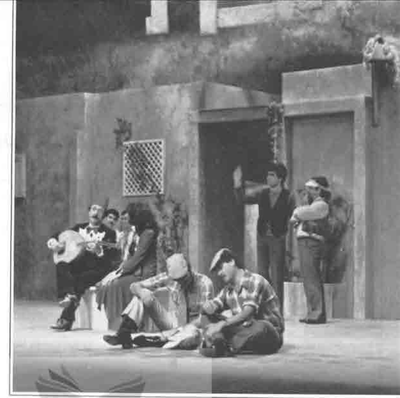
مجموعة من معهد الموسيقى القطرى قدمت اعذب الالحان العربية





١٩٨٢ ، هو اللوحات البديعة التى قدمتها الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية فى المناسبة الوطنية ، والتى استطاعت ـ بحق ـ ان تستخدم الامكانيات الهائلة فى المسرح من اجل ابراز ماقدمته من صور جذابة ، بداية من المقدمة الموسيقية المستقاة من لحن شعبى خليجى باحمام اللعب الى رقصات العرضة والمراداة والطحن بالرحى والليوه والطنبورة وغيرها ، فقد اتضح مع اتساع المسرح ورشاقة الحركة فوقه وجاذبيتها مدى الجهد المبذول من افراد الفرقة ومديرها سامى يونس من اجل العمل على ميلاد فرقة قومية تخدم رسالة الفن الشعبى بالمحافظة عليه وابراز طابعه التراثى ، الذى اصبحت كافة دول العالم تنظر إليه بكل تقدير واحترام ، بل وتعتبره دليلا على مدى اصالة الامة وتطورها

اما العرض الثانى على مسرح قطر الوطنى فكان يتضمن سهرة موسيقية غنائية ممتعة



المسرحية الغنائية « الربيع السابع » التي اشتركت في تقديمها الفرقة الشعبية اللبنانية

مع النغم العربي والخليجي الاصيل ، قدمها معهد الموسيقى القطرى ، والذى بدا حفله بمقطوعة موسيقية عنوانها «للأمير التهانى» مهداة من حامد نعمة مدير المعهد ، ثم توالت عروضه التى قدم اثناءها الوانا مختلفة من الغناء والموسيقة العربيـــة والخليجية التى جعلت الحـــاضرين يستمتعون باحلى وارق الانغام والالحان ..

وفى هذا الحفل كان للتراث الخليجى حظا حيث استمعنا الى بعض الأغنيات التراثية مثل « ياذا الحمام ... كما كـــان للتراث الغنائي العربى نصيب ايضا فى السهرة ، حيث استمعنا الى اغنية «ياصلاة الزين» التى لحنها الموسيقار الراحل زكريا احمد الذى اداه فى الحفل احد البراعم القطرية الواعدة وهو الطالب جبر عيد المهـــدى وموشح «يامنيتى عز اصطبارى» للموسيقار خالد الذكر سيد درويش .. كل ذلك بالاضافة الى عزف منفرد على القانون وفواصل موسيقية من طلبة المعهد وبراعم المدارس واســـاتذة المعهـــد الذين قدمـــوا ـ بانفسهم ـ فاصلا من الموسيقى العالمية !

وكانت السهرة الثالثة على المسرح الجديد هى المسرحية الغنائية «الربيع السابع» التى قدمتها فرقة «الاخوين رحبانى» وأخرجها عاصى الرحبانى واشتركت فيها الفرقة الشعبية اللبنانية ، وكان من بين ابطالها ملحم بركات ، ورنزا ، ويوسف شامل ، وخليل ثابت ، وفؤاد فاضل ، ومريام ، وموريس عقل ، وفائق حميصى .. والمسرحية تدور فكرتها حول الحلم ودوره فى تغيير الواقع ، والفكرة عولجت بطريقة فنية واعتمدت على اللوحات المبهرة ذات المضمون .

العروض القادمة

إلا انه بعد تلك العروض الثلاثة ذات المستوى الفنى الرفيع ، هل هناك خطة للعروض القادمة .. وما هو نصيب المسرحيات القطرية من هذه العروض ؟ ...

فى حوار مع موسى زينل مدير ادارة الثقافة والفنون قال ان مسرح قطر الوطنى كمبنى وكامكانيات يمثل قمة الاستعداد في المجال الفنى ، وفى كل دول العالم المتقدم والنامى هناك مسارح لايسمح فيها إلا بالاعمال الرائدة او ذات المستوى الفنى الجيد ، وهذا ما سنتبعه على مسرح قطر الوطنى الذى لن نقدم على خشبته إلا الانتاج المحلى المتميز بالمستوى الفنى الرفيع .. ومن اجل ايجاد هذا المستوى الجيد من المسرحيات المحلية سيتم اختيار نصوص جيدة لانتاجها بامكانيات فنية تتناسب مع العرض على هذا المسرح الكبير .. كما اننا وضعنا في خطتنا لتشغيل المسرح ضرورة إحضار فرق عربية وعالمية على مستوى الاحتراف لا الهواية ، وذلك عن طريق التبادل الثقافى او العقود .. اما بالنسبة للمسرحيات الخليجية والتى استقبلت قطر الكثير منها ، فاننا سنستقبل فرقا من الكويت والبحرين وغيرها .. وفى مخططنا عدة امور يدخل فى نطاقها المهرجانات المحلية والخليجية والعربية واللقاءات والندوات مع اهم رجال المسرح والفنون المختلفة . إلا ان كل ذلك سيتم وفق برنامج مدروس ، فنحن فى مرحلة نحاول فيها ان نرتقى بالتذوق الفنى حتى تزيد من اعداد الجماهير المستقبلة لفن المسرح . وبالطبع هذا الهدف لن يتحقق إلا باصرارنا على إختيار الاعمال الجذابة ذات المستوى الرفيع والتى لاتقيم جدارا من الغربة بين المتفرج وخشبة المسرح .

فرقة قطرية قومية

وهنا قلت لمدير الثقافة والفنون : هذا عظيم .. ولكن فى نطاق هذا التفكير المتطور يظهر سؤالان .. اولهما : مع الرغبة فى الارتقاء بفن المسرح لماذا لاتجد انظمة تنظم العمل المسرحى فى قطر وثانيهما : هل عملنا خطة لتوفير مسارح جديدة مناسبة للمسرحيات التى لا يمكن عرضها على المسرح الجديد بامكانياته الكبيرة ؟ .

وقال لى بالنسبة للاجابة عن السؤال الاول نحن نسعى الآن لاستحداث انظمة ولوائح تنظم العمل المسرحى في الدولة وتنظم العلاقة بين الفرق المحلية وادارة الثقافة والفنون . فالفرق الثلاثة ـ القطرى والسد والاضواء ـ نشأت كفرق اهلية بدعم غير رسمى ثم اصبحت بدعم رسمى ، ورغم ان هذا الدعم يزداد عاما بعد عام فما زالت العملية غير محكومة باية ضوابط . ولذا فان تدعيم علاقة هذه المسارح بالادارة سيؤدى الى ظهور الكيان المستقل والشخصية الاعتبارية لكل مسرح ، ولدينا الان فكرة ندرسها لانشاء فريق قومى للتمثيل على غرار الفرق القومية المتعارف عليها فى البلاد العربية ، وبحيث تصبح هذه الفرقة هى المسرح الرسمى للدولة . وقد وضعنا بديلا لهذه الفكرة فى حالة عدم اتفاقنا حولها ، بان نستعين عند ذلك مرحليا بعمل مسرحيات ذات مستوى فنى رفيع على ان ننتخب لهذه المسرحيات فنانين من الفرق الثلاثة الموجودة فى قطر ، ونوفر لهذا العمل كافة الامكانيات الفنية والمادية التى تجعله يحقق هدفه الاسمى وهو تطوير المسرح القطرى ..

اما بالنسبة للسؤال الثانى المتعلق بتوفير المسارح الجديدة ، فهناك مسرح فى داخل منطقة الاذاعة والتليفزيون انتهى تصميمه ويطرح للمناقصة والتنفيذ هذا

كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح ؟

العام ويستغرق بناؤه عامين وستضم صالته ٣٥٠ مقعدا ، وسيضم هذا المسرح قاعة تدريبات للفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية وقاعات اخرى للتدريب الموسيقى والمشاغل الفنية .. وسيقام فى المركز الثقافى بمدينة الخور خشبة مسرح لتنمية هواية التمثيل بين ابناء المنطقة .. وهذا بخلاف مسرح جاهز للتصنيع نامل استخـــدامه خـــلال عشرة شهور ... وإذا ما اضفنا لهذه المسارح الجديدة مسرح الدوحة بلايرز الذى تم بناؤه للجالية الانجليزية بمساعدة الدولة فى فريق بين عمران ومسارح وزارة التربية لا تضح لنا ان الفرق الهاوية ايضا تستطيع ان تقدم انتاجها وان تجد مكانا تخاطب من فوقه جمهور المتفرجين !

امكانيات المكان

وفى داخل مسرح قطر الوطنى التقيت بمدير عام المسرح بالوكالة محمد ابو جسوم الذى قال لى أنه ليس معنى افتتاح المسرح هو استكمال تجهيزه ، فمازلنا نسعى لاستكمال كوادره فى اسرع وقت ، خاصة فى الاضاءة والصوت وهندسة الديكور وتنفيذه وأعمال النجارة والطلاء ومختلف النواحى الفنية الاخرى .. فالتجهيزات الفنية الكبيرة للمسرح تحتاج إلى خبرات عديدة للتشغيل ويكفى أن نعلم ان خشبة المسرح مزودة فى أعلاها بامكانية استخدام اكثر من ٣٦ منظرا فى العرض الواحد .. وهذا مع وجود شاشة سينما تنزل اتوماتيكيا من اعلى .. وحاجز للطوارىء يفصل الخشبة عن الجمهور .. وصالة مكيفة تكييفا مركزيا .. ومقاعد مزودة باجهزة للترجمة الفورية .. وحوائط جانبية يمكنها تصغير وتكبير صالة العرض .. ونظام اضاءة يعتمد على حوالى ٢٢٠ كشاف مختلف الاحجام .. وكل ذلك بالاضافة إلى ان هذا المسرح مجهز بعازل صوت ومزود بسمعات فى حجرات الممثلين تجعل كل مشارك فى العمل الفنى يتابع كل ما يجرى على خشبة المسرح !

الايقاع الشعبى حيث الحركة ودقة الاداء اثناء العرض

إلا ان وجود دار للعرض بهذه الامكانيات يجعلنا نأمل فى ان يقرى هذا الشكل ما نتمناه من مضمون ، بمعنى ان تعيد الفرق المسرحية تنظيمها وتطوير امكانياتها حتى تخدم الثقافة والفن فى البلاد بعروض تضيف لنا الجديد وتتناسب مع المساحة المكانية والامكانيات المتوفرة فى هذا المسرح وعلينا ان ندرك ان الفرق التى وصلت إلى مجالات الشهرة لم تصل للقمة بين يوم وليلة ولكن بالعرق والعمل ، ولهذا فان واجبنا الان ان نعمل بكل طاقتنا لرفع مستوى سمعة هذا المسرح فى الداخل والخارج ، خاصة واننا فى عصر اختلط فيه الحابل بالنابل وضاع مستوى الاداء الفنى الجيد من اغلب الاعمال الفنية فى مسارحنا العربية !

يوم المسرح العالمى

ولكن وبعد كل ما عرفناه من جديد عن مسرح قطر الوطنى ، هل يشارك هذا المسرح فى يوم المسرح العالمى الذى يقام فى نهاية هذا الشهر (مارس) ؟

الواقع ان سالم ماجد رئيس قســم المسرح بادارة الثقافة والفنون يؤكد هذه المساهمة ، بقوله : ستقدم فى هذه المناسبة ثلاثة عروض للفرق المسرحية القطرية ، وستكون هذه العروض اشبه بالمهرجان الذى يتضمن الجوائز لافضل ممثل وافضل ممثلة وافضل عرض وافضل مخرج .. ففى يوم ٢٧ مارس ستقدم فرقة المسرح القطرى فى مسرحية « ولكنه تركها تموت » للكاتب الاسبانى « فرناندو ارابل » اخراج علي ميرزا وفى يوم ٢٨ مارس تقدم فرقة مسرح السد مسرحية بعنوان « الفيل يا ملك الزمان » للكاتب السورى عبد الله ونوس اخراج عبد الرحمن المناعى ، وفى يوم ٢٩ مارس تقدم فرقة مسرح الأضواء مسرحية « الكافيتريا والزنجبيل » واسمها الأصلى « البوفيه » للكاتب المسرحى علي سالم ويخرجها سالم ماجد .. والعروض الثلاثة ستكون باللغة العربية الفصحى ..

● ●

وهكذا نرى أن المسرح القطرى فى ظل ما يتوفر له اليوم من امكانيات مطالب بان يشكل جمهوره عن طريق الصدق الفنى والانسانية .. فنحن احوج ما نكون اليوم ـ باعتبار المسرح فى قطر جزءا من المسرح العربى ـ إلى الاهتمام موضوعا وصياغة بوجدان وعواطف الشعب العربى ، وان تصبح مسارحنا اداة فنية دائمة العطاء وقادرة على الاشعاع المباشر ، وان يكون الانسان وطموحه هو محور مسرحنا المعاصر حتى تكون لنا هوية عربية فى المسرح يعترف بها كافة المتفرجين فى الداخل والخارج على حد سواء !

كمال سـعد

درويش مصطفى الفــار

معجــم عــربي .. للتعـريف بالعـلوم

تعاقبت قرون مذ طفق اهل الفكر يحاولون إيجاد تعريف مناسب يميز الانسان عن الخلائق الأخرى ، فقال قائل ، إنه حيوان (ناطق) ، وقال غيره انه حيوان (مفن طروب) ، واضاف اخرون إنه مخلوق (ذو حياء) .. ونحن نقول تمييزا للانسان عن غيره ، إنه وحده حيوان (كاتب) ... اذ لم يثبت للعلماء والباحثين ، بعد ، وسوف لا يثبت ابدا ، ان من بين مخلوقات الله ، المعاصرة ، أو البائدة التى اندثرت ، غير بنى ادم ، من عرف (الكتابة) بالمعنى الذى اتخذه الانسان خلال مسيرته الحضارية على سطح الأرض .. صحيح ان من المخلوقات المنقرضة ، منذ ان اوجد الله الحياة على هذا الكوكب الثالث من المجموعة الشمسية ، من ترك اثــــار مستحجرة فى طبات الصخور والحجارة ، كالمحارات ، والهياكل ، واثار الاقدام ، والاسنان والقشور التى استعصت على الفناء ، وظلت ملايين الاعوام على حالها ، تحكى قصة مخلوقات الله الحية ، نباتا وحيوانا ، على سطح الأرض او فى بحارها ، بيد أن تلك الاثار المستحجرة ، ليست بحال من الأحوال ، كتابة تركها اصحابها على صفحات كتاب الصخور الرسوبية عن قصد كذلك الذى عناه الانسان واخترع له القلم والقرطاس والحبر ، لينقل عن قصد ، فكره ، وتاريخه ، ورأيه ، لغيره من بنى ادم وحواء .. فالكتابة ، هى الميزة الحقيقية للجنس البشرى عن بقية الأجناس .

والكتاب ...مع احترامنا للرأى الذى ساقه شاعرنا ابو تمام حبيب بن اوس الطــائى (١٩٠ – ٢٣٢ هـ) فى إعتزازه المطلق ، بالسيف ، الصانع للانباء والتاريخ ، هو السمة الحضارية الصادقة لفترات تاريخ الانسان على الأرض ، مذ بدأ ، يكتب ، على الحجر والطين والبردى والرق والكاغد والورق والشاشة الالكترونية ... ولقد سجل الكتاب المعرفة الانسانية عبر القرون ، عن الأفلاك والأجواء والبحار والأرضين والصخور والحجارة والنبات والحيوان والطير والتقنية والطب والقصص والأساطير والشرائع والقوانين والأشعار ، كما سجل وحى الله تعالى إلى انبيائه ورسله ، صلوات الله عليهم أجمعين ..

ولقد بين لنا العلامة محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فى كتابه النادر (مفاتيح العلوم) انواع العلوم والمعارف الانسانية باسلوب لم يتفوق عليه فيه سابق او لاحق فى لغة الضاد ... وظلت سمة العالم العارف لقرون عدة ان يكون خبيرا بكل اطراف المعرفة ابتداء من الرياضيات وانتهاء بفنون الشعر ، حتى جاء (روبرت لوفيل) عــام ١٦٦١ م ، وقسم جملة المعرفة العلمية والتقنية الى صنفين :

- تيولوجيا ، او علوم سماوية ، تتناول ما فى الجو والفضاء المحيط من اجرام سماوية وشهب ونيازك وشفق ورياح وسحب وبرق ورعد وصواعق ، وتعاقب الليل والنهار والفصول والكسوف والخسوف ..
- جيولوجيا ، او علوم ارضية ، تدرس كل ما على على الأرض من نبات وحيوان وجماد ، فى البحر والنهر وعلى سطح اليابسة ، وتسجل خصائصها الفيزيائيــة والكيماوية والحيوية ، وتحاول تفســير الزلازل ، وعلاج الأمراض والاوبئة ..

وتعاقبت القرون ، وازدادت المعرفة البشرية عن خصائص المادة وصفاتها ، المرئية وغير المرئية ، من خلال انابيب الاختبار والمجاهر الضوئية والالكترونية ، والتلســكوبات البصرية واللاســلكية والمطياف ، واندمج الزمان والمكان ، وتفرعت العلوم ، وتشعبت فروعها ، واصبح لكل فرع اغصان ، وأفنان ، وبراعم ، وتعددت المسميات والأطر والتخصصات ، حتى انك لترى الرجل ، من المشتغلين فى تخصص علمى عميق ، يجهل العديد من المسميات ، ليس فى وطننا العربى وحده ، من محيطه الى خليجه ، ولكن فى العالم كله ..

وهنا اصبح الأمر يقتضى ، للصالح الثقافى العالمى ، ان يبزغ من بين ظهرانينا مرة اخرى واحد مثل (الخوارزمى) ليكتب الجزء (الثانى) من مفاتيح العلوم على هيئة معجم او قاموس مبوب ، يسرد ، كل الألفاظ التى تعبر عن فروع مستحدثة للعلم فى علوم الارض والحياة والفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والتقنية وابحاث الفضاء والخلايا ، سردا ابجديا معربا عن المسميات الأصلية من لاتينية واغريقية وانجليزية وروسية والمانية وفرنسية ويابانية ، ومقابل كل مسمى بضعة اسطر تشرح ما يتناوله ذلك الفرع من العلم شرحا مبسطا جيدا ، وتبين للقارىء تاريخ تحول هذه اللفظة او تلك الى الاوساط العلمية ، ومن هو العالم الذى اشتقها ، وفى محاولة وضع مقابل عربى لتلك اللفظة لا ينبغى ان يفوتنا ، تحت ضغط الشعور بالنقص ، والجنوح إلى التقعر والتنطع ، إن اســـلافنا إبان سلطانهم السياسى وتفوقهم العلمى لم يجدوا ادنى غضاضة فى استخدام الفاظ معربة كالكيميــاء ، والفيزيقا ، والبركسيس والاســطرلاب ، واخضعوها ، وغيرها ، لقواعد النحــو والصرف ..

نريد كتابا عربيا جادا ، لا يحار فى وجوده الانسان العربى الذى يحترم عقله ويسعى لثقافته ، عندما تصادفه كلمات ، مثل البائولوجيا والبيمنولوجيا والايرودنياميكا ، والسيبرنيطيقا ، والكوارك ، والدايود ، ومئات المسميات الأخرى لفروع العلوم الطبيعية ... وان اضطلاع بعض العلماء العرب بعبء إخراج كتاب كهذا بعنوان ، (مفاتيح العلوم المعاصرة)لن يقتصر نفعه على الناطقين بالضاد وحدهم ، بل إنه سينفع شعوب الأرض بمختلف لغاتهم والسنتهم ، وسيجد من ينقله ، شاكرا للعرب صنيعهم ، إلى تلك اللغات .. وإن من يتصدى لاخراج مثل هذا القاموس سوف يحيى فى النفوس موات تاريخ مضىء منذ قرون ، كنا فيه نعلم الناس الأخلاق ، والعلوم والفنون (والتكنولوجيا) فهل يعيد التاريخ نفسه ، رغم كل الظلام المحيط ؟؟؟

درويش مصطفى الفــار

شعر: محمود درويش

سنة أخرى.. فقط

اصدقائي ، مَنْ تَبقّى منكمُ يكفي لكي احيا سنةً
سنة اخرى فقط
سنةً تكفي لكي اعشق عشرين امراة
وثلاثين مدينة.
سنةٌ واحدةٌ تكفي لكي ترتديَ الفكرةُ جسمَ
السوسنة
ولكي تسكن ارضٌ ما فتاةٌ ما ونمضي نحو بحرٍ
ما وتعطيني على ركبتها
مفتاح كل الامكنة
سنةٌ واحدةٌ تكفي لكي احيا حياتي كلها
دفعةً واحدةً
او قبلةً واحدةً
او طلقةً واحدةً
تقضي على اسئلتي وعلى لغز اختلاط الازمنة.

اصدقائي لا تموتوا مثلما كنتم تموتون
رجاء لا تموتوا انتظروني سنة اخرى
سنة
سنة إخرى فقط
ربما نُنْهي حديثاً قد بدا
ورحيلاً قد بدا
ربما نستبدل الافكار بالمشي على الشارع
احراراً من الساعة والروايات ...
هل خُنّا احدْ ؟
لنُسَمّي كُلَّ عصفورٍ بَلَدْ ؟
ونُسَمّي كلّ ارضٍ ، خارجَ الجرح ، زَبَدْ
ونخاف الدندنة ؟
ربما نحمي اللغة
من سياقٍ لم نكن نقصدُهُ
ونشيدٍ لمْ نكن ننشده للكهنة ....

اصدقائي ، شهدائي الواقفين
اذهبوا عني قليلا .
فلنا حق بأن
نحتسيَ القهوةَ بالسُّكّرِ لا بالدمِ .. ان نسمع
اصوات يدينا وهما تستدرجان
الخجلَ الباكي الينا ...
لا سقوطَ الاحصنة
ولنا حَقٌّ بان نحصي الشرايين التي تغلي
بنار الشهوات المزمنة
ولنا حَقٌّ بان نشكر هذا الزغب النامي على البطن
الحليبيِّ
وان نكسر ايقاع الاغاني المؤمنة.

اصدقائي ، لا تموتوا قبل ان تعتذروا من وردة
لم تبصروها
وبلادٍ لم تزوروها ،
وان تعتذروا من شهوة لم تبلغوها
ونساء لم يُعلّقن على اعناقكم أيقونةَ البحر ووشم
المئذنة.
لا تموتوا قبل ان نسال ما لا يَسأل الباقي على
الارض لماذا تشبه الارض السفرجل ؟
ولماذا تشبه المراةُ ما لا تشبهُ الارضُ وحرمانَ
المحبين ونهرا من قرنفل ؟
ولماذا عرفوني
عندما مت تماما .. عرفوني ؟
ولماذا انكروني
عندما جئت من الرحلة حيا ؟
يا الهي ، جثتي دلت عليا
واعادتهم الينا
وبنوها بينهم كالمدخنة

اصدقائي ، شهدائي ،
فكروا فيّ قليلا
واحبوني قليلا
لا تموتوا مثلما كنتم تموتون ، رجاء ، لا تموتوا ،
انتظروني سنةً اخرى ، سنة .
سنةٌ اخرى فقط
لا تموتوا الان ، لا تنصرفوا عني ،
احبوني لكي نشرب هذي الكأس ، كي نعلم انَّ
الموجة البيضاء ليست امراة
او جزيرة ...
ما الذي افعله من بعدكم
ما الذي افعله بعد الجنازات الاخيرة ؟
ولماذا اعشق الارض التي تسرقكم مني ،
وتخفيكم عن البحر ؟
لماذا اعشق البحر الذي غطى المصلين واعلى
المئذنة ؟
ولمن امضي مساء السبت ،
مَنْ يفتحُ قلبي للقطط
ولمن امدحُ هذا القمَرَ الحامضَ فوقَ المتوسط ؟
ولمن احمل اشياء النساء العابرات الفاتنات



يزور الدوحة خلال شهر ابريل الحالي الشاعر العربي الفلسطيني الكبير محمود درويش وذلك للاشتراك في الاسبوع الثقافي الفلسطيني الذي يقام في الدوحة من ١٠ إلى ١٧ من ابريل وهذه القصيدة هي احدث ماكتبه محمود درويش !

القاتلات

ولن احمل هذا الضجر اليوميَّ ؟
ما معنى حياتي
عندما يسندني ظلي على حائط ظلي حينما تنصرفون
مَنْ سياتي بي الى نفسي ويرضيها بان تبقى معي ؟
لا تموتوا ، لا تموتوا مثلما كنتم تموتون رجاء
لا تجروني من التفاحة ـ الانثى الى سفر المراثي
وطقوس العبرات المدمنة ..

ليس قلبي لي ـ لارميه عليكم ، كتحيةْ
ليس جسمي لي ـ لكي اصنع تابوتا جديدا ووصيةْ
ليس صوتي لي ـ لكي اقطع هـذا الشارع المرفوع فوق البندقيةْ
فارحموني ، اصدقائي وارحموا أُمَّ الزغاريد التي تبحث عن زغرودة اخرى لميلاد المرايا من شظيه
ارحموا العُمَّال في مطبعة الكرمل
والجدرانَ اذ تشتاق للاعشاب ،
والكُتّابَ في باب الوفيات ،
ارحموا شعبا وعدناهُ بان نُدْخِلَهُ الوردة ، من باب الرماد المُرّ
لا تنصرفوا الان كما ينصرف الشاعر في قبعة الساحر من يقطف ورد الشهداء
انتظروا يا اصدقائي ، وارحمونا
فلنا شغلٌ سوى التفتيش عن قبرٍ وعن مَرْثِيَّةٍ لا تشبه الاولى
وما اصغر هذا الوردَ
ما اكبر هذا الدمَ
ما اجملكم يا اصدقائي
عندما تغتصبون الارض في معجزة التكوين او تكتشفون النبع في صخر السفوح الممكنة ،

اصدقائي ، مَنْ تَبَقّى منكُمُ يكفي لكي احيا سنة
سنة فقط اخرى
سنة تكفي لكي نمشي معا
نسدل النهر على اكتافنا مثل الغَجَرْ
ونهدُّ الهيكل الباقي معا
حجرا تحت حَجَرْ
ونعيد الروحَ من غربتها
عندما نمضي معا

فاذا انتم ذهبتم اصدقائي الان عني .
واذا انتم ذهبتم
وأقمتم في سديم الجمجمةْ
لن اناديكم وارثيكم
ولن اكتب عنكم كلمةْ

فانا لا استطيع الان ان ارثي احد
بلداً في جسدٍ
او جسداً في طلقة
او عاملاً في مصنع الموت الموحد
لا احدْ
لا احدْ
وليكن هذا النشيدْ
خاتَمَ الدمع عليكم كلكم يا اصدقائي الخونة
ورثاءً جاهزاً من اجلكم ـ .....
ولذلك
لا تموتوا اصدقائي لا تموتوا الان
لا وردة اغلى من دم في هذه الصحراء
لا وقت لكم
لا ترقصوا الان هنا
لا ترقصوا ، ليس هنالك
مستقبل عيد
او عيد مستقبل

لذلك
لا تموتوا مثلما كنتم تموتون ، رجاء لا تموتوا
انتظروني سنة اخرى
سنة
من تبقى منكم يكفي لكي احيا سنة
سنةً اخرى فقط
سَنَةً تكفي لكي اعشق عشرين امراة وثلاثين مدينة
سَنَةً تكفي لكي امضي الى أُمّي الحزينة
وأناديها : لديني من جديد
لارى الوردةَ من اوَّلِها
واحبَّ الحُبَّ من اوله
حتى نهايات النشيد
سنةً اخرى فقط
سنة تكفي لكي احيا حياتي كُلَّها
دُفْعَةً واحدةً
أو قبلة واحدةً
او طلقةً واحدةً تقضي على اسئلتي
سنةً اخرى فقط
سنة اخرى
سنة .....



رؤوف توفيق



المخرج محمد خان

حكاية مخرج .. تعذبه الحكايات

بعد مرور ثلاثة أسابيع على عرض الفيلم للجمهور .. شعر المخرج أن غالبية المتفرجين يخرجون من صالة السينما، وهم في منتهى الغيظ من نهاية الفيلم، حيث يموت البطل في حادث سيارة .. وتأتي كلمة النهاية على جثته وهو ملقى في الطريق، بعد أن عاشوا معه على مدى ساعتين رحلته في الحياة بحثا عن الحرية والحب ..

أحمد زكي أثناء بحثه عن الحرية

هل من حق المخرج تغيير نهاية الفيلم بعد عرضه على الجمهور..؟

المخرج محمد خان والمصور سعيد شيمي فوق رافعة عملاقة لتصوير لقطة لاتتجاوز مدتها على الشاشة ثوان معدودة

مديحة كامل في قصة اعتمدت على الشكل الجمالي



وسبب غيظ المتفرجين ، ان موت بطل الفيلم جاء مفاجئاً وقاسياً في لحظة لم يتوقعوها ابدا .. ولهذا قرر مخرج الفيلم ان يخفف الصدمة على المتفرجين .. فسحب نسخة الفيلم من دار العرض ، وقام بتعديل النهاية .. بحيث يحذف مشهد موت البطل ، ويكتفي بحادث التصادم .. ثم تاتي كلمة النهاية على خروج بطل الفيلم من بين حطام سيارته ليواجه الحياة من جديد .. وتثبت الصورة عليه في نهاية مفتوحة ، لا تعطى اجابة محددة !

حدث هذا في القاهرة خلال الاسابيع الماضية .. مع فيلم « طائر على الطريق » لمخرجه « محمد خان » .

وقد كان هذا الحدث ، مثار كثير من التساؤلات الفنية .. فضلا عن غرابته اصلا .. فلم يحدث اي حادث مشابه في تاريخ السينما المصرية ، سوى ما جرى منذ ثلاث سنوات لفيلم « المتوحشة » الذي لعبت بطولته سعاد حسني واخرجه سمير سيف ، فقد اضطر المخرج لتغيير نهاية الفيلم بعد عرضه على الجمهور بايام قليلة .. وبدلا من ان تكون النهاية بمقتل بطلة الفيلم .. قام باعادة تصوير مشهد النهاية بما يضمن عدم موت البطلة !!

وقد كان السبب ايضا في هذا التغيير .. هو رفض الجمهور لنهاية الفيلم بموت بطلته !

● رغبات المتفرجين .. اولا

وتغيير النهاية بناء على رغبة المتفرجين .. او ارضاء لاذواقهم .. مسألة تحتاج لوقفة تامل .

فمن المعروف ان الفيلم يعتبر وحدة فنية متكاملة – مهما كانت نوعية الفيلم او مدى جودته – وبالتالي يصبح اي تغيير في

نور الشريف « المصور » ومعه « نورا » فى شوارع القاهرة فى فيلم ضربة شمس .



محمود عبد العزيز وسعيد صالح ومطاردة داخل المواسير في فيلم « نصف ارنب » .

حكاية مخرج.. تعذبه الحكايات

احداث الفيلم بعد عرضه على الجمهور .. هو نوع من اعادة التاليف .. سواء بالتصحيح .. او التراجع .. او اذعان لرغبات ومزاج بعض المتفرجين !

وخطورة هذه المسالة .. ان الفيلم هنا ، يتحول الى فيلمين مختلفين .. البعض يراه فى صورة معينة .. والبعض يراه فى صورة اخرى .

وقد حدث مع فيلم « المتوحشة » .. انه عندما فكر التليفزيون المصرى فى شرائه وعرضه على شاشته .. طلبت سعاد حسنى ان يعرض التليفزيون نسخة الفيلم الأصلية والتى لم تعدل نهايتها !!

وقال لى المخرج محمد خان ان فيلمه « طائر على الطريق » سيعرض فى البلاد العربية بنسخته الأصلية .. اما نسخ الفيلم المعدلة فستعرض للجمهور المصرى !!



فردوس عبد الحميد .. اداء بارع أمام فريد شوقى

● نكتة .. أم حقيقة

وهذه الظاهرة فى تغيير نهايات الافلام .. لا تفسير لها سوى الخضوع لمزاج بعض المتفرجين الذين تعودوا على النهايات السعيدة فى الأفلام .. ورفضهم التلقائى لأن يصاب بطل الفيلم باى مكروه .. فما بالك بموته .. !!

وهذه العلاقة العاطفية بين المتفرج العربى وبطل الفيلم .. كانت سببا فى نكتة شهيرة يتداولها بعض صناع السينما المصرية .. تقول النكتة .. ان شخصا ذهب ليقطع تذكرة دخول الى السينما .. وعلى باب السينما أراد أن يتأكد من حفلة العرض السابقة .. وساله .. « هل الفيلم يستحق » ؟ .. رد الآخر بعصبية واضحة ، مختصرا رأيه : « البطل يموت .. فى النهاية » .. وهنا انتفض ذلك الشخص قائلا فى دهشـــة : « كيف يا اخى .. ؟ .. البطل لا يموت !! » واسرع غاضبا يحاول استرداد ثمن التذكرة التى قطعها .. فقد قرر الا يدخل الفيلم !

وقد تكون هذه نكته .. وقد تكون واقعة حقيقية .. ولكنها بالتأكيد تعبر عن حالة المتفرج الذى لا يريد ان يفجع بنهاية ماساوية .. وهنا اكثر من تفسير لحالة هذا المتفرج ..

فالبعض يقول انه يذهب للســـينما ، للتسلية والترفيه أساسا .. وعلى هـــذا فهو لا يقبل بان يخرج من الفيلم حزينا على موت البطل !

والبعض الآخر يقول .. ان هذا المتفرج يعانى فى حياته اليومية الكثير من المشاكل والهموم والمضايقات .. ولذا فهو لا يريد ان يزيد من همومه بهموم موت البطل فى الفيلم الذى يراه . !

والبعض يقول .. ان هذا المتفرج يعتبر بطل الفيلم نموذجا له شخصيا .. ولهذا فهو يضع نفسه فى هذا التخيل ، ويعيش فيه باحساس من يريد ان ينتصر على كل اعدائه .. ولا يقبل ابدا هزيمته .. وبالتالى لا يقبل موته !

ومهما كان التفسير .. الا ان تتبع خط سير الأفلام المصرية ـ والعربية عموما ـ يؤكد حرص صناع اغلب هذه الأفلام على تجنب صدمة مشاعر المتفرجين بعدم سقوط البطل فى نهاية الفيلم !

● اعتراف المخرج

ولكن الغريب تماما .. ان يستسلم الى هذا الطريق .. مخرج شاب مثقف « محمـــد خان » ، الذى يعتبر من المع مخرجى السينما المصرية الجديدة .

ومن هنا كانت المفاجأة .. وسعيت الى لقائه .. استوضح منه كيف قبل تغيير نهاية فيلمه « طائر على الطريق » بعد ان استمر عرضه للجمهور ثلاثة اسابيع ؟!

قال بوضوح شديد : « لقد فعلت هذا من تلقاء نفسى .. ودون اى ضغط من منتج او موزع أو ممثل » . !

وانا اصدقه فى هذا .. فهو مخرج عنيد .. يرفض تدخل اى شخص فى عمله .. ويصر على طلباته لتنفيذ ما يراه حتى ولو كلفه هذا فقدان الفيلم .. أو اشتباك المنتج معه .. كما حدث اخيرا اثناء تصوير فيلمه الجــــديد « أرنب » . فقد اشتبك مع منتج الفيلم حول مدة التصوير الخارجى فى احد فنادق الاسكندرية .. كانت وجهة نظر المنتج انه بدلا من تكاليف السفر والتصوير الخارجى ، يمكن اقامة ديكورات فى الاستوديو مماثلة لديكورات الفندق .. ولكن المخرج محمد خان اصر على موقفه ، فهو يعتبر ان المبنى لا ينفصل عن المكان .. ولهذا فهو لا يقبل غير السفر إلى الاسكندرية وتصوير المكان بكل تفاصيله الحقيقية .. وتطور الخلاف بينه وبين المنتج واسفر فى النهاية على انسحاب المنتج من استكمال الفيلم .. وانتقل الفيلم إلى منتج اخر . !

وهو يفعل نفس الشيء ، بالنسبة لكبار الممثلين .. فهو يرفض اى تدخل منهم فى عمله ، او فى رؤيته للفيلم .. واثناء تصوير فيلم « دعوة على العشاء » وضع نفسه داخل سياج قوى ضد اى تدخل او تعديل من سعاد حسنى ، بطلة الفيلم ، وهى المعروفة بكثرة تدخلاتها اثناء العمل .. ونفذ كل ما أراده بالصورة التى تخيلها .. بل اتفق معها على عدم تواجدها فى غرفة المونتاج ، وحرم عليها رؤية مشاهد الفيلم ، الا بعد الانتهاء منه تماما .. وبالفعل شاهدت سعاد حسنى الفيلم لأول مرة مع النقاد والصحفيين فى حفلة العرض الخاص للفيلم !

● قلت لمحمد خان .. لماذا اذن غيرت نهاية فيلم « طائر على الطريق » .. مع انك لم تقع تحت اى ضغط خارجى ؟!

قال : لقد تعودت ان اشاهد افلامى مع الجمهور .. اجلس بين الصفوف واراقب انفعالاتهم ومع فيلم « طائر على الطريق » احسست ان الجمهور مع الدقيقة الأخيرة من الفيلم ينزعج تماما لصدمة النهاية .. وقد تاكد لى هذا الاحساس مع مرور الأيام .. واختلاف العروض التى شاهدتها مع الجمهور .. ولهذا فكرت فى ان اخفف من حدة هذا الانزعاج .. وقد قمت بتغيير مشهد النهاية باقتناع كامل .. لم اغير شيئا فى الموضوع .. الموضوع كما هو .. ولكنى توقفت عند لقطة قبل النهاية ، وحذفت اللقطة التالية .. وتركت النهاية مفتوحة .. ولو كنت أريد ان أريح الجمهور تماما او استسلم لعادته فى رؤية الأفلام .. لكنت انهيت الفيلم بزواج البطل من البطلة .. وما اسهل ان افعل هذا .. ولكن ما قصدت هذا اثناء صنع الفيلم .. كل ما غيرته اننى بدلا من ان انهى الفيلم .. تركته معلقا .. وعلى المتفرج ان يضع النهاية التى يقتنع بها !

● قلت لـه ـ « من المعتاد ان تنتهى علاقة المخرج بالفيلم ، بمجرد خروج الفيلم الى صالة العرض ومشاهدة الجمهور له » .

قال ـ « بالنسبة لى .. الفيلم لا تنتهى علاقتى به ابدا .. اننى اتابعه فى دور العرض الصغيرة وفى الأقاليم .. ومراقبة انفعالات الجمهور ، اعظم متعة بالنسبة لى واعظم درس » .



حكاية مخرج.. تعذبه الحكايات

● هذا المخرج

والمخرج محمد خان – عمره ٤٠ عاماً – دخل السينما المصرية بفيلم « ضربة شمس » لنور الشريف ونورا – عام ٧٨ – ثم فيلم « الرغبة » لنور الشريف ومديحة كامل – ثم فيلم « الثار » لمحمود ياسين ويسرا .. وعرض له اخيرا فيلمه « موعد على العشاء » لسعاد حسني وحسين فهمي واحمد زكي – و « طائر على الطريق » لاحمد زكي وفردوس عبد الحميد وفريد شوقي – .

وهو في كل هذه الافلام .. يقدم لغة سينمائية متميزة ، تعتمد على تحليل المكان .. والتوقف أمام التفاصيل الانسانية الصغيرة .. فهو مراقب حساس وذكي لانفعالات النفس البشرية .. يختزن كل هذه التاملات ثم يختار منها ما يطعم فيلمه .. وكانه احد فناني القاهرة القديمة الذين يعشقون تطعيم الصدف .. أو كانه احد النساجين اليدويين الذين ينسجون الخيط بالخيط في صبر ومهارة وابداع تلقائي .

وهو يعترف بانه « تلقائي .. اعشق لحظات المشاعر .. واكره المبررات .. واكثر ما يزعجني ان اتعمد ايجاد مبرر لتصرف الشخصية .. وهذا ما يسبب خلافا كبيرا بيني وبين كتاب السيناريو .. لانني أعتقد ان محاولات ايجاد تبريرات لتصرفات الشخصية ، هو بمثابة التقليل من ذكاء المتفرج » !

● علامة استفهام

ولكن بالرغم من هذا الايمان بذخيرته من الملاحظات الحية ، وقدرته البارعة في عرضها على الشاشة .. الا انه يمثل علامة استفهام كبيرة في السينما المصرية .. فهو في موضع شد وجذب دائم بين النقاد .. فهناك ترحيب شديد بلغته السينمائية المتجددة ، المتدفقة بالمشاعر والاحاسيس .. وفي نفس الوقت هناك تحفظات كثيرة حول موضوعات افلامه ، والتي يكتب قصصها بنفسه !

مثلا في اول افلامه « ضربة شمس » يقدم مطاردة بوليسية من خلال قصة مصور فوتوغرافي (نور الشريف) التقطت كاميرته صورة لاحد افراد عصابة تهريب .. ومع تتبع صاحب هذه الصورة .. يزداد الغموض .. وتقع اكثر من جريمة قتل .. وتصبح مهمة كشف اسرار هذه العصابة ،


احمد زكي في دور مصفف الشعر في فيلم دعوة على العشاء .

هي القضية الوحيدة التي تشغل المصور الفوتوغرافي ، والتي تتورط فيها ايضا صديقته « نورا » .

ورغم غرابة هذه القضية عن الواقع المصري (عصابة تهريب تتزعمها امرأة صامتة ، حديدية ، لعبت الدور ليلى فوزي ، تسيطر على عدة شخصيات ويستخدمون مادة سامة يضعونها في اكواب الشاي والقهوة) .. رغم هذه الاحداث البوليسية الاجنبية الاسلوب .. إلا انه كمخرج استطاع ان يضع فيلما مشوقا ، ينبض بالايقاع الساخن المتدفق .. وقدم مع رفيق رحلته الفنية المصور المبدع « سعيد شيمي » رؤية جديدة للقاهرة باحيائها ومبانيها ، واشخاصها العاديين .. !

وفي فيلم « الرغبة » اختار ان يعيد الفيلم الأمريكي « جاتسبي العظيم » للروائي « سكوت فيتز جيرالد » برؤية سينمائية مصرية .. اعتمدت على الشكل الجمالي ، والتناسق الشديد في كل كادر .. ايضا مع المصور سعيد شيمي والذي اشترك معه في كل اعماله الفنية (ما عدا فيلم دعوة على العشاء الذي صوره الفنان محسن نصر) .

وفي هذا الفيلم « دعوة على العشاء » يقدم قصة الزوجة (سعاد حسني) التي لم تتزوج عن حب .. فارتبطت برجل (حسين


يحي الفخراني .. في دور بطولة سينمائية لأول مرة في فيلم « نصف أرنب » .

فهمي) يعاملها كما يتعامل مع مشروعاته التجارية .. بعواطف باردة ، وعقل حسابي .. وتشعر هي مع مرور الأيام انها تفقد اجمل سنوات عمرها في هذا المنفى الأنيق .. انها ضحية ام جاهلة .. وزواج خاطىء .. وعندما تحاول تصحيح وضعها بالطلاق ، وخروجها الى العمل ، والاعتماد على نفسها ، واكتشاف الحب الحقيقي .. عندما تبدأ هذا الطريق ، تطاردها القوة المدمرة التي يمثلها

طليقها ، والذى يدبر لاغتيال حبيبها ، زوجها الثانى (احمد زكى) ذلك الشاب الممتلىء بالحيوية والصدق والمشاعر ، والذى يعمل كمصفف للشعر .. ومع صدمة اغتيال حبيبها ، تصمم على الانتقام .. فتدعو طليقها للعشاء معها ، لتضع له السم فى الطعام .. وتضطر ان تشاركه الطعام والسم حتى لا يكتشف ما دبرته له ، وحتى تتخلص منه ، ولو كان الثمن ان تضحى بنفسها !

● افلام من قراءة الصحف

● قلت لمحمد خان ـ « كيف تعثر على مادة افلامك التى تكتب قصصها » ؟ .

قال ـ « من خلال مشاهداتى .. وقراءاتى للصحف .. ان مجرد سطر فى صفحة الحوادث قد يفجر فى ذهنى موضوعا لفيلم .. كما حدث مثلا فى فيلم دعوة على العشاء .. فحادثة امراة تقتل زوجها بالسم .. هى حادثة حقيقية وقعت فى لبنان ونشرتها الصحف اللبنانية .. وما اخذته من الحادث المنشور ، هو مجرد طريقة الانتقام بالسم .. ثم بدات بناء الموضوع من جديد حسب رؤيتى الخاصة .

● سالته : ـ « لماذا لم تفكر فى الاعتماد على نص ادبى لتحوله الى فيلم ؟ » .

قال ـ « ما احاول ان اقدمه فى السينما .. هو شىء خاص بالسينما .. اما الاعتماد على النص الادبى فهو يقلل من فرصة الابداع السينمائى .. وان كنت لا أعمم هذا الرأى .. فبعض الأعمال الادبية تصلح تماما للسينما .. مثلا قرات اخيرا رواية الافيال لفتحى غانم وعشقتها .. واتمنى ان قدمها فى فيلم » .

● تجربة حياة حافلة

والمخرج محمد خان .. عاش سنوات طويلة فى لندن .. حيث سافر إلى هناك ليدرس السينما .. واستهواه الجو الفنى هناك ، وكمية الافلام العالمية التى تعرض فى دور السينما .. فكان يعمل فى الصباح ثم يدرس فى المساء ، وينفق ما يكسبه من العمل على ارتياد دور السينما .. ودخل فى تجارب حادة رغم صغر سنه وقتها .. فقد كان لم يتجاوز العشرين من عمره فعمل مثلا كسائق تاكسى فى شوارع لندن .. وافتتح متجرا صغيرا لبيع الملابس «الجينز» .. وعمل فى بيروت لفترة كمساعد مخرج .. ثم عاد الى لندن وكان على وشك ان يواصل حياته هناك ، من خلال المشاركة فى فتح مطعم صغير للفول والطعمية .. لولا خطابات صديق عمره المصور سعيد شيمى ، الذى حاول اقناعه بالعودة للعمل فى السينما المصرية .. وكان قد عمل فى فترة سابقة بهيئة السينما المصرية ضمن لجنة قراءة السيناريوهات واخرج فيلما قصيرا بعنوان « البطيخة » .. ولم يستطع ان يقتحم ميدان الاخراج .. فعاد مرة اخرى الى لندن .. حتى التقى مصادفة بفنانة المونتاج المصرية « نادية شكرى » والتى اكدت له ان هناك ابوابا مفتوحة للعمل فى السينما المصرية .. وكان وقتها يفكر فى قصة واحداث فيلم « ضربة شمس » .. وراوده الحنين للعودة .. فحمل مشروع فيلمه وعاد إلى القاهرة .. وليشكل مع المصور سعيد شيمى وفنانة المونتاج نادية شكرى فريق عمل .. وبدأ انطلاقه فى السينما المصرية .

وقد ترك فى لندن كتابين قام بتاليفهما عن السينما .. احدهما بعنوان « مقدمة فى السينما المصرية » والكتاب الآخر عن ملامح من السينما التشيكوسلوفاكية .

وهو يلخص تجربته الحافلة فى الغربة ، بقوله « لقد كانت رحلتى ياسا من العمل فى السينما المصرية ادرس واقرا واشاهد كل ما يتعلق بالسينما العالمية .. وتشكل وجدانى بالاقتراب اكثر من الشخصيات التى وقع عليها ظلم ، ولم تاخذ حقها .. واصبح الموضوع الأثير عندى .. هو موضوع الحرية .. والشخصية التى تناضل من اجل تحقيق حريتها » .

● السم .. والعسل

وربما كان افضل افلام المخرج محمد خان .. هو فيلمه الاخير « طائر على الطريق » ـ الذى تم تغيير مشهد النهاية فيه ـ .. ففى هذا الفيلم يقدم المخرج قصيدة شعر سينمائية عن شاب يبحث عن حريته .. واختار ان يكون هذا الشاب ، سائق سيارة اجرة تنقل المسافرين من مدينة الى مدينة .. وفى كل لحظة يتعرض هذا الشاب لمفاجات الطريق والركاب .. وكانه مسافر دائما فى بحار المجهول ، يحلم بالحقيقة ، والصدق ، والحب .

واختار ان يسمى هذه الشخصية باسم « فارس » لعب الدور باقتدار بالغ الممثل احمد زكى .. حتى يتعرض هذا الشاب لقصة حب مع امراة تعانى من الاعتقال ، والجفاف ، والقسوة مع رجل شرس عاجز يكبرها سنا .. انه الحب المستحيل .. كلاهما يبحث عن حريته .. ولكن هل هذا امر بسيط ؟ !

وقد غامر المخرج محمد خان باسناد دور البطولة النسائية لوجه غير متـــداول سينمائيا ، الفنانة فردوس عبد الحميد .. الممثلة القديرة بالمسرح المصرى ، والتى لعبت اكثر من دور ناجح بمسلســـلات التليفزيون .. وتمسك بها المخرج لبطولة فيلمه ، رغم كل مخاوف المنتج والموزع .. فاسم فردوس عبد الحميد ليس من اسماء نجوم الشباك .. ولكنه صمم على اختياره .. وقدمت فردوس نموذجا رائعا فى الاداء .. ونجحت تماما فى دورها .. واستقبلها النقاد والجمهور بحفاوة بالغة .. وكسب محمد خان معركته !

وهذه احدى ميزاته كمخرج .. انه لا يلعب على المضمون .. يعشق المغامرة ، والبحث عن المجهول .. انه كشخصيـــة « فارس » .. ومن شدة عشقه لاسم «فارس» .. فهو يفكر فى فيلم جديد بعنـــوان « الحريق » عن قصة شاب اسمه « فارس » ، يحترف رياضة كرة الشراب ـ وهى لعبة معروفة فى شوارع مصر ـ ومن خلال هذا الشاب يريد ان يقتحم عالم الرياضة الشعبية واسرارها .. او بمعنى ادق .. الحياة الخاصة للاعبى الشارع ونزواتهم واحلامهم ..

● قلت له ـ « شخصياتك غريبة على السينما المصرية .. سائق سيارة اجرة .. مصفف شعر .. موظف صغير فى بنك .. لاعب كرة شراب ؟ ! »

قال ـ « انني اتعمد اختيار المهنة الغير متداولة فى السينما المصرية .. حتى اهرب من دائرة المهندس والطبيب والمحامى . لقد كرهنا هذه الشخصيات والكلام الذى يقولونه فى الافلام .. ولابد من التغيير » !

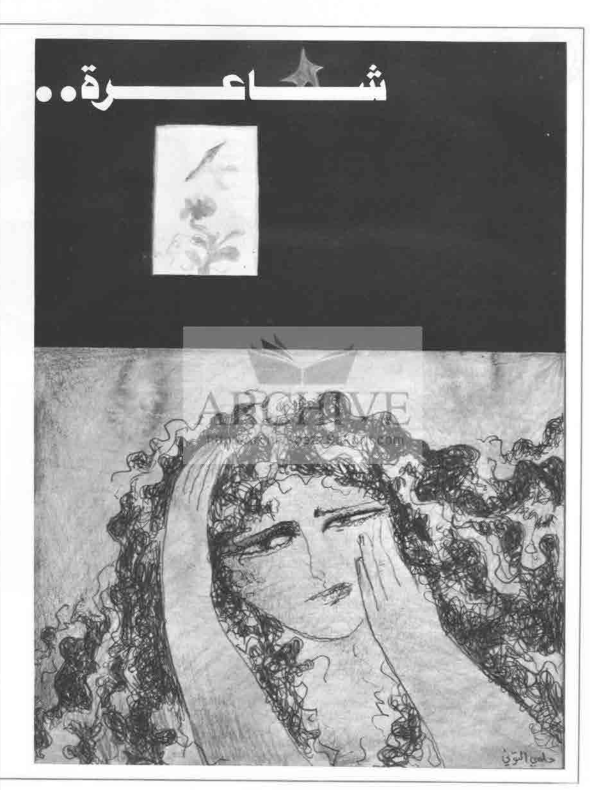
● سالته ـ « ما الذى تسعى لتحقيقه فى السينما » ؟

قال ـ « اتمنى ان اتخلص من قيود الحدوتة .. وضرورة ان يكون لكل فيلم قصة .. لماذا لا يكون الفيلم رحلة تامل داخل شخصية عادية .. ان ما اسعى إليه حقيقة ، هو اللا حدوتة .. وهذا لا يمكن ان يتحقق الا بالعثور على ممثل بارع يستطيع ان يتفرغ لدوره تماما .. وان يعيش الشخصية كما تخيلها .. فاكثر ما يزعجنى ان يؤدى الممثل دوره بلا صدق » .

انه فارس جديد فى السينما المصرية .. وبقدر ما يثير حوله من الدهشة والاعجاب للغته السينمائية الزاخرة .. بقدر ما يثير علامات الاستفهام حول موضوعات افلامه ..

ولكن الشىء الأكيد .. انه فى ظرف اربعة اعوام من العمل .. استطاع ان يفرض اسمه .. وان يصبح احد المخرجين الذين تتعلق بهم انظار وعشاق السينما .. وعلينا ان نؤجل حكمنا عليه .. حتى يخرج لنا كل اوراقه المخباة .

« رءوف توفيق »


شاعرة..
حلمي التوني

.. على خلاف المعهود

قصائد امرأة تشكو الوحدة وتبحث عن الحنان

ترجمة وتقديم
عبد اللطيف عبد الحليم
بريشة
حلمي التوني

شاعرة كبيرة ، على خلاف المعهود بين من ينظم الشعر من النساء ، إذ يشيع بينهن ـ عموماً ـ أن يخفين مشاعرهن ، فلا يبدين منها إلا ما يستشف وراء برقع العرف وحجاب التقاليد ، لذلك ندر بروز « الشخصية » فيما تنظمه الشاعرات في اللغة العربية ، وفي غيرها مما استطعنا الاطلاع عليه .

وروساليا دى كاسترو شاعرة حقيقية فى أغلب ما نظمته ، فشعرها هو حياتها فى لحظات توهجها وانطفائها ، لاتكاد تخفى فيه خالجة ولا هاجسة مما مر بها فى حياتها المصطخبة اليائسة ، يشيع فى شعرها نغم أسيان دامع كانه صدى لطبيعة منطقتها « جليقية » وهى صادقة فى هذا الحزن ، لأن حياتها كلها نغم متواصل من لذاعة الحسرة ، ومرارة المجهول وكوارث الأيام ، فاذا رأى القراء فى شعرها هذا القنوط ، وهذا الحزن الشجى فليعلموا أن صاحبته تنتشل من كهف نفسها المتجاوب بعزيف الوحدة ، وتوله الضياع ، وليعلموا أن البسمة ـ والحال هذه ـ ضرب من الزيف الذى يفسد الانسانية الحقة ، بقدر ما ينخر فى الشاعرية ، فلا ترى فيها إلا إهابا معروقا بتمويه النفاق ، وطلاء الصنعة والتكلف وليحمدوا الصدق وإن كان اليم الوقع ، شجى الجرس ، لأنه صدق نفس شاعرة ، يكربها أن تدور ببضاعة مزجاة من التزييف والتمويه المشفوعين ببسمة خادعة ، لأن الحياة ذاتها ـ حياتها هى ـ لم تمنحها غير الحزن اللاعج ، وحين وهبتها ما يشبه العزاء مزجته بالصاب فكان عزاء خير منه الالتياع والقنوط .

نحن ـ فى الحقيقة نأتى أمرا اداً حين ننشد من شاعرة مثل روساليا دى كاسترو أن تكون متفائلة باسمة ، والدنيا حولها كهف من الأسى والضياع ، وهى امرأة تطلب اللياذ والكنف فلا تصادفهما ، وحين أتيح لها شىء منهما كان برقاً خلباً !!

ولدت شاعرتنا وهى لا تدرى من أبواها ، وقيدت فى شهادة الميلاد « ابنة أبوين مجهولين » تولت رعايتها امرأة قيل إنها عمتها ، تتكشف أمور حياتها شيئا فشيئا ، هى ثمرة نزوة لامرأة فى الثالثة والثلاثين من عمرها عانس ، ولرجل راهب فى التاسعة والثلاثين يحول دون الاعتراف بابنته صرامة التقاليد وقسوة الأعراف الدينية ، وسطوة الكنيسة آنذاك . والا فان مثل هذه الأمور تحدث الآن فى بلد مثل اسبانيا ـ تحكمه الكاثوليكية فى صرامة شديدة ـ ويظهر أصحابها فى الصحف وعلى شاشة التليفزيون يتحدثون عنها بلا أدنى خجل أو حياء وهم أشخاص يحظون بقدر هائل من الشهرة فى عالم الفن !! .

لم تتح لصاحبتنا قسامة ولا صباحة مما سبب لها حساسية شديدة وحسبك أنها ابنة امرأة عانس صدف عنها الرجال ، ربما ورثت عنها الابنة معارف الوجه والأعضاء ، وربما كان أبوها أيضاً على غير وسامة ، يضاف إلى ذلك سوء رعايتها وهى فى دور الصبا واليفاعة ، فاضافت إليها أوصابا وعللا ظلت تعانى من نتائجها حتى هلكت بالسرطان ، فضلا عما لقيته من حساسية شاعرية شديدة تضاعف رؤيتها للأشياء ، وما وقر فى نفسها من خجل بسبب أصلها المجهول ، وكان من الممكن أن تقاوم كل هذه الكوارث لو ركنت فى الدنيا إلى زيجة صالحة ، وإلى حياة مستقرة ، لكن لم يتح لها شىء من هذا فلم تعرف الهناءة الزوجية فيما يحكونه عنها ، ولم يتيسر لها موارد مادية تكفكف الضوائق التى أحاقت بها ، وكأنما تأبى الدنيا أن تحلو لها فهزت ذلك البنيان الوهنان بموت بعض أبنائها ـ بعضهم نزل ميتاً ـ وبموت أمها بعد أن عاشت مع الابنة ردحا من الزمن لم يكن طويلا ، كل هذه الأعاصير زلزلت ذلك الكيان ، فعصفت به فى المطلع والختام ، قبل أن يبلغ تمام النضج والأوان ، هلكت عن ثماني وأربعين سنة (١٨٣٧ ـ ١٨٨٥) ، بعد أن أتت عليها العلل والأوصاب ، وطوال هذه الرحلة كانت دائبة البحث عن شىء فقدته :

شـــاعـــرة.. على خلاف المعهـــود

لا أدرى ما أبحث عنـــه دائما
فى الأرض ، وفى الفضاء ، وفى السماء
لست أدرى ما أبحث عنـــه
لكن شيئا قد فقدته ، لست أعلم متى ،
ولست أعثر عليه .

بيد أن الشيء الذى تبحث عنه فى كل شعرها هو أصلها الضائع ، إنها تنشد ظل رجل أى رجل كان أظلع أو مبتور الساقين كما تقول فى إحدى قصائدها ، إنها تبحث عن أبيها ، ولعل قصيدتها « ذكرى » تصلح لأن تكون نمطا جيداً لمنهج التحليل النفسى فى الأدب والنقد ، وهو المنهج الذى نعتد به ونراه محطا جيداً وفيصلا حاسما حين تشتجر مناهج الدراسة الأدبية ، ولا باس عندنا من الافادة من ثمرات المناهج الأخرى ، ولا باس بالاشارة هنا على وجه العجلة إلى أن المنهج البنائى الذى يشيع بين المتادبين هذه الأيام وبخاصة ما يكتبه فيه كثير من إخواننا الدارسين العرب إنما هو ـ فى معظمه ـ ضرب من التخليط والثرثرة وعدم الفهم ، وجل الذى يسطرونه ترجمة شائهة لما يقراونه فى اللغات الأجنبية دون نكر المصادر ، فياتى بعضهم مثلا على دراسة كتبها أحد الأساتذة فى الغرب عن أحد الشعراء فيسلخها من سياقها ليطبقها على أحد الشعراء العرب فيتولد فى النهاية شيء مرتبك التركيب والمعنى إن كان ثمة معنى مفهوم ، جل ما قرأناه ـ فى الحقيقة ـ فى لغة العرب ضرب من التدجيل والشعوذة على القارىء ، وغير مفهوم حتى لمن يكتبه هو نفسه ، وتستر وراء عباءات المنهجية ، وعلمية النقد ، وصعوبة البنائية والحق أننا اهتممنا بهذا الموضوع جداً ، فقرأنا فيه طرفاً مما كتبه الاسبان ونقاد أمريكا اللاتينية ، وما نقلوه إلى اللغة الاسبانية من لغات أخرى وهرعنا مراراً كثيرة إلى المحاضرات التى يلقيها الأساتذة المتخصصون الكبار ، وبعضهم عضو فى المجمع الملكى للغة الاسبانية فوجدنا ـ والله عجباً ـ ما قرأناه فى ذلك مفهوم ، وما سمعناه من الأساتذة ـ وبخاصة تطبيقهم هذا المنهج على الشاعر الاسبانى جنجرة وهو من أصعب الشعراء ـ كان مفهوما سائغا !! فالعيب إذن فى إخواننا الذين يكتبون بلغتنا ولا نفهم ما يكتبون ولا نخالهم فاهمين !!

قصيدة « ذكرى » كما قلنا إنها تصلح نموذجا لتطبيق المنهج النفسى ، بل إن شعر صاحبتنا يصلح كله لهذا المنهج ، ويفسد لو طبقنا منهجا آخر ، فالقصيدة تلك تتحدث عن رجل مر بها وكفكف بكاءها ، من الممكن أن يكون حباً فى زمن المراهقة تتذكره الشاعرة ، لكننا نميل إلى أن هذا الرجل كان أباها وهى لا تعرفه ـ أوانئذ ـ مر بها « نغماً بلا اسم » واقترب منها وداعبها ، وسكب لها حبه ، وربت فوق جبهتها ثم ترك لها أغنياته ، لكن هذا كله كان هباء ، فقد هجعت السعادة ، وأشاح ذلك السرور العابر ، بيد أن لهذا الحديث أوانا آخر نود أن نؤوب إليه ، وأن ندع الآن حضرات القراء مع هذه الطائفة من قصائد روساليا دى كاسترو ، فلعلهم أن يعجبوا بها كما طاب لنا الاعجاب بها ، والثناء عليها وعلى صاحبتها ، عسى أن يكون هذا لونا من المشاركة فى الشعور ، وضرباً كريماً من العزاء الصادق لهذه الشاعرة الحزينة الصادقة ..

١ ـ ذكرى

آه !! من البكاء الذى يحرق عينى
ويكوي خدى !!
كيف يسممنى العذاب الفظ ، ويتسلل الى فؤادى
كيف أشعر بأسف نفسى لدى الاندفاع الشديد
متذكرة يوماً حلواً وحزينا مر مرور الريح !!
ما أكثر الأسماء والتنهدات الماثلة فى ذاكرتى
صفحة غريبة من حياتى الطويلة
من شىء طيب أهذى به
كنت أصغى إلى صوت مفعم بالبهجة

إلى نغم بلا اسم
كان يمضى ، يترنم ، ململماً بكائى
كان صوت رجل
اقترب ظل عابر فى خفة ، يسكب حبه
مر فوق صدغى الباكر الف زهرة حبيبة
ربت فوق جبهتى التى تغوص فى كوارث فظة
كان مليئاً بالعذوبة ، والانسجام
ثم ترك لى أغنياته
آه ! كانت لذيذة هاتيك القيثارة الرنانة

التى تخفق ، ونحن نشعر بها من أيكة قصية
الى حيث يتلاشى أنينها الأليم
لقد احسست بحنانها الالهى ، وهو يتوغل فى روحى
يبدد المرارة الآسية التى كانت تختلس هدوئى
ويحل شوقى الملتهب محل ذاكرتى الباردة
لقد شعرت ـ فى عنف ـ بقلبى ينبض بذلك المجد الجديد

●●●

سعادة بلا تخوم ، اقتربت مبكرة
مع ملذات غريبة ، مثل لمعة الصباح الجميلة
التى تحلم بها النساء
زهرة تولد حين يطل الصباح ، وتموت عند الأصيل
صورة من البهجة والاحتضار تعلق بالفؤاد
إنها صورة أمينة لهذا الأمل الباطل
الذى يتحول الى هباء
مثلما يقول المرء ـ وهو امل ـ «غدا»
بينما «غدا» هو الموت

●●●

هكذا كان : جبهتى الوسنى
عادت متوردة فيما بعد
فايضتنى بفجر سرورى
زهرة تذبل ، ثم تلقى
صمت صوت النغم الكبير ، وهجعت السعادة
وحين استيقظ البريق الجديد ، مات ما هو ماض
بقى اليوم فحسب النشيج عى آلامى
فاهجعى ياأحلام الحب فى فؤادى
فان السعادة الكبيرة تنكر وجودى
فاهربى إذن ايتها السعادة ، واشح بوجهك أيها المجد والسرور

٢ - أنشـــودة حب

أيها القديس انطونيو المبارك ، هب لى زوجا
حتى ولو قتلنى ، حتى ولو ســـحقنى
قديسى ، القديس انطونيو ، هب لى زوجا ودودا
حتى ولو كان فى حجم حبة الذرة ، هبه لى يا قديس
حتى ولو كان به ظلع فى كلتا رجليه ، ومقطوع اليدين
فان امراة بلا رجل ـ أيها القديس المبارك ـ



هى جسد بلا روح ، عيد بلا حنطة ،
عصا رديئة ، حيث تمضى ـ هى جذع مبتور
لكن حين يكون ثمة زوج ـ يا عذراء الكارمن ـ
لا تقبل الدنيا لكى يستريح الانسان .
فانه من الحسن دائما أن يكون ثمة رجل كى يكون معينا
حتى ولو كان اظلع ، او معوج الساقين .
اننى أعرف رجلا أوده من أول نظرة
ناحل الجسد ، أشقر ، متوردا ، أبيض ،
عذب الكلمات ، مثل الأكاذيب
من اجله اعانى صباحا ومساء افكر فى عينيه
اللتين لهما زرقة السماء
بيد أنه ماهر يفهم فى الحب ،
ولا يفهم كثيرا فى الزواج .
فلتجعله ـ أيها القديس أنطونيو ـ قديسى ـ أن يأتى بجانبى
لكى يتزوج منى ،فاننى فتاة آنسة احمل مهرى
ملعقة من حديد ، وأربع شجرات ، واخا صغيرا ،
نبتت له أسنان ، وأحمل بقرة عجوزا لاتدر لبنا .
آه يا قديسى ، حقق لى هذا الشىء الذى
أنشده منك .
أيها القديس انطونيو المبارك هب لى زوجا
حتى ولو قتلنى ، حتى ولو سحقنى
فانه من الحسن دائما أن يكون ثمة رجل
كى يكون معينا لى
حتى ولو كان اظلع ، او معوج الساقين



٣ - أجراس المساء

تكر الرياح ، ويسرى النهر
ويمر السحاب ، يمر السحاب
على طريق بيتى
بيتى ، مثواى ، كل شىء يمضى
وانا اجثم وحيدة ، بلا صديق
اقبع متاملة دخان افران المنازل
إنها الانفاس التى اعيش ازفرها
ها قد هبط المساء ، ومات النهار
ومن بعيد تقرع الأجراس ، تعلن موعد الصلاة
إنها تقرع لكى اصلى ، وانا صلاتى الانتحاب
كانى أغرق ، على الاجراس أن تصلى من اجلى
يا اجراس باستبالس حين أسمعك اموت من
العزلة

٤ - يقولون إن الأجراس لا تتحدث ولا الينابيع ، ولا الطيور

يقولون إن الأزهار لا تتحدث ، ولا الينابيع ، ولا الطيور ،
ولا الموجة بدمدتها ، ولا النجوم ببريقها
يقولون ذلك ، بيدانه غير صواب ، لاننى دائما حين امر
تغمغم كل هذه الاشياء ، وتتعجب منى :
هناك تمضى هذه المجنونة ، حالمة
بربيع الحياة الخالد ، وبربيع الحقول ،
وشيكا ، وشيكا ، سيهجم عليهما المشيب ،
سترتجف أوصالها ، ويصيبها الفالج ،
وسيغطى الجليد المروج .
ها قد اشتعل الراس شيبا ،
هل قد جلل المروج الجليد
وانا مازلت احلم ، مسكينة ، لا أبرأ من سيرى الحالم
بربيع الحياة الخالد الذى ينطفىء ،
وببكارة الحقول الباقية ، والنفوس ،
وإن كان البعض يذوى ، والبعض الآخر يحترق
ايتها النجوم ، والينابيع ، والأزهار !!
لا تتعجبى من احلامى :
لاننى بدونها ، كيف اغرم بكن ، بل كيف احيا بدون احلام ؟

٥ - وحدى

كان الأصيل رقيقا ، والصباح باسماً
وكان حزنها اسحم مثل اليتم
كانت تذهب فى الصباح ، وتقفل ايبة فى المساء ،
حسنا ، ما كان احد ينظر إليها فى جيئتها وذهوبها ،
ذات يوم وديع مضت ، مشت فى طريق الرملة ،
وبما انه لا ينتظرها احد ، فلم تعد .
بعد مرور ثلاثة أيام ، طرحها البحر
هنالك حيث يجثم جسدها .
هكذا دفنت وحـــدها .

عبد اللطيف عبد الحليم
مدريد ــ اسبانيا

الصخرة والهزيمة

شعر: م. كجراي



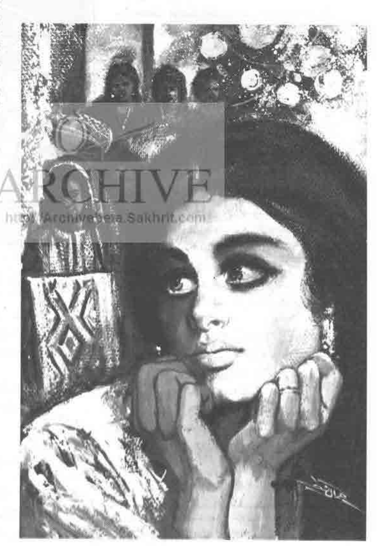
ينسابُ في مجاهلِ الأعماقِ صــوتُ نايْ
يذيبُني ينقشــعُ السَّديمُ في رُؤايْ
أكتبُ عن دائرةِ الصحوِ التي تضيءُ كالشّعلةِ في دِمَايْ
أعرفُ صحرائِي التي يعبثُ في رمالِهَا الظلامْ
ويُفرخُ الصّمتُ فلا يُورِقُ في شحوبِهَا الكلامْ
أشهدُ في حديقتِي تَفرّقَ اليمَامْ
أوْغَلَ في طريقِهِ وأثرِ الهجرةَ فالظلامُ عنكبوتْ
مَدَّ خيوطَ الغدرِ في مخابىءِ الأغصانْ
في مداخِلِ البيوتْ
يا شــهداءَ الغدرِ عَبْرَ وَطَنٍ
في لحظةِ المَخاضِ في عشيّةِ انتصارِه يموتْ
أنا هُنَا أمقت ظلّ الصّمْتِ يُلْقي بي
كريشةٍ بيضاءَ في بحيرةِ الســكوتْ
أنا هنا أنشدُ يا أحبّتي مقاطِعَ القصيدةِ المحترقه
أسأل في مسالِكِ الغربةِ في المهجَرِ عن قمريّةٍ نيليّةٍ مُطوّقة
فاجأها الظلامُ فانحازتْ إلى مسالِكِ الضياعْ
عن البقاءِ في جدارِ الصّمتِ في عرائِشِ الحدائقِ المنمّقهْ
أنا هنــا أرفعُ في سماءِ وطني
الرايةَ الغريبةَ الألوانِ كالصحيفةِ القديمةِ الممزّقهْ
وأختفي في غيمةِ الذهُولْ
في بُقعةٍ ضيّقةٍ تجرحُني جَهَارَةُ الطّبولْ
تمتد في تداعياتِ حُلُمي الأيامُ والفصُولْ
أرى مَثَارَ النَّقْعِ مشدُوهاً
أشمُّ حينَ يسقُطُ الرجالُ كلَّ عَرَقِ الخيُولْ
حاصَرَني الخيالْ
فاجأني السّؤالْ
أين اختفَتْ مواسمُ الخضرةِ في ازدهارِها الوريقْ
يا شاهِدَ العصْرِ لماذا نحن في مُفْتَرقِ الطريقْ
فلنعبر الدخانَ والحريقْ
حدثني الصمتُ بأن الصّخرِ لا يَقْبلُ بالنكسة والهزيمةْ
وانني إذا رفعتُ راسي مَرّةْ
فلن تكونَ المرّةَ الوحيدةَ اليتيمَةْ
أسألُ أيْنَ اختبأتْ حبيبتي النارِيةُ العظيمةْ
ما بين نَوْقِ صدْرِها وبحّةِ الصّوتِ الذي يذيبُني
عَلاقةٌ حميمَةْ
حوريتي التي عشقتها على ضفافِ النيلْ
تحت ظلالِ الهَرَكَلِ العظيمِ في أطلالِ مَرَوِي القديمَةْ(1)
أبحثُ فوقَ ألَقِ العيونِ عن بسْمَتِها
فلا أرى غيرَ جحيمِ الصمتِ في المواكِبِ المسحوقةِ الأليمَهْ
كلُّ الحروفِ هذه الليلة في شُحُوبِها فارغةٌ عقيمَهْ
الحلوةُ السمْراءُ تحت وطْأةِ الضّياعْ
في مجاهِلِ الغربَةِ في ثيابِها تخطُرُ كالفَرَاشَةْ
وأنت يا قلبيَ في صَمْتِك عبْرَ لحظَةِ الذّهولْ
لا تملكُ غيرَ خفقةِ ارتعَاشَةْ
هانت لا تكتبُ غيرَ مقطَعَيْنِ للفِرَاقِ والأسَى
على جدارِ الصَّمْتِ أو بوابة المسَا
فمن تُرى يجرحُ قلبَ الليلِ في انحدارِهِ
ويحتفي بمَقْدِمِ الحوريةِ العظيمَةْ ؟ ؟
حدَّثني الصمتُ بأنّ الصّخْرَ لا يقبل بالنّكْسةِ والهزيمَةْ
وأنّ زهْرَ العارِ لا ينبتُ في السهولِ والحقولْ
على ترابِ مَرَوِي المنســيةِ القديمَــةْ
من أجلِ هذا فأنا
أفتح بابَ الغضَبِ الساطِعِ والمواجِدِ الخبيئةِ الأليمةْ

---

(1) مروى اسم لعاصمة مملكة مروى التاريخية القديمة تقع في الجزء الشمالي من السودان .

قصـــــة

تلك الليلة



لم أحدد خطوط الملامح الأولى لأحاديثى معهم .. فوضى متداخلة تحول دون وضوح الرؤيا ، ضبابية شديدة تعكر صفاء الذهن ،خليط عجيب من كلمات غير مركبة وقرارات مفككة الأجزاء ، وآراء تتراقص كأنها على سطح من جليد وليس فى منطقة الفكر المحصن ضد هوائية الأمزجة الآنية .

لم تساعدنى فترات الراحة التى اعتكفها ، والهدنة المستوحاة من عمر الزمن الفاصل بين لقائهم على نتيجة مقنعة تجعلنى املك زمام القضية وتحولنى الى سيدة موقف ، تطمئن الى وقع قولها ... الضجة خارج غرفتى تزداد عنفاً ، أصوات كالمنشار تحفر اخاديد فى قلبى ، توسع مساحات الخوف ... وتبذرها بمشاعر الظلم والألم ضالة عنيفة تحول كتلتى الآدمية الى فار قزم محاصر من الجهات الأربع . فى ثوان قليلة يسلبوننى حقى الطبيعى فى الاعتراف بابسط وأغلى ممتلكاتى الانسانية ... الشعوب جميعها تناضل من اجل حرية المصير ... وأنا يشعلون فى لسانى الحريق اذا اهتزت حبالى الصوتية بلفظ « لا » ... أصداء ضربات الباب تلاكم اعصابى . تضخم الهمهمة المتامرة ضد إرادتى .. يشتد التحدى بين صمتى الرافض لشتى اللغات المتحذلقة فى تذويب شموخ فكرى ... وبين طلباتهم المتراكمة الممزوجة بين الطلب الآمر والرجاء الواثق .. وانا استمرىء سيولة شخصياتهم الجبارة ، أصلب أحجامهم على عنادى النابع من آلمى المتذبذب خلف الحياة والهارب منها ... وأمى تنادينى بأن افتح الباب الموصد أمام أعصابهم الثائرة ، وان اخرج واستعيذ بالله من الشيطان .. واسخر بالم من قولها . وأفعالهم هذه اليست شريحة سواها الشيطان وزينها لعقولهم العفنة

الجمهرة المحتشدة خلف جدار غرفتى ، تضم خالى المستبد ، وأبى الطيب المسلوب الارادة الذى ارتضى بأفعال الآخرين خجلا وليس طوعا ، والماخوذ بالحياء كالماخوذ بالسيف ... هم أحكموا الحبل حول رقبتى ، حتى لو نسجها أبى بخيوط من حرائر وعطرها بدمعة ، فعتابى يتضاعف عليه لأنه يملك القلب الوحيد بين حجارة مشاعرهم . يخرج صوتى متهدجاً : ناولينى ...

بقلم : مايسه الخليفي

وتعيق العبرة مجرى الحديث .. والشهيق يطغى على .. تكمل امى حديثى .. أتريدين عباءتك ... ؟

بحدة أصرخ .. أريد كبريتا لاحرق نفسى ..

وضجيج يعلو بالخارج وأكفا تصفق لا تملك حولا ولا قوة ، فترات تمتد وتخفت أصواتهم ... احس بالعالم كله يحتضر... واشعر بنفسى عملاقا مشوها كالمسخ يجوب الأرض بخطوات وقعها الصوت الوحيد على البسيطة .. منفرداً .. اعزل .. أرى الفضاء طويلا وعرضه يتضاءل حتى تشتد الظلمة وأحس بوحشة من المجهول .

يأتى صوت امى ـ اخرجى ذهب الجميع ـ والاعياء يأكل اعصابى ويحولنى لطاقة مهدورة .. اسقط يلتف حولى الارهاق ، فافقد توازنى ... واغيب فى نوم مدلهم .

يبزغ يوم آخر ... يمضغ الزمن ايامى بهدوء غير مكترث بسقوط وريقات شبابى ... مستلذاً بمطارق الجميع على جسمى النحيل .

المبارزة لابد منها .. هم يشحذون سلاح خبراتهم الزمنية علها تفلح فى وأد عنادى ... وانا اصمم بارادة من فولاذ ان أهشم كل سيوفهم .

يتنحنح خالى يسحب رداء العظمة كأنه فى مجلسه تلفه اطناب الخيمة ، بدائية الفكر لديه أصيلة المنبع ، يتحدث بلغة الكلأ وغثاء الأغنام . يجهل معنى القلوب العامرة بالدعة والأمانى ... كل مفاهيمه لا تمتد أبعد من طول عصا الخيزران التى تتمايل بين اصبعيه . يثور صوته ويلجم نبراته بالهدوء ... « اسمعى يا ابنتى هو زوجك ولديك منه ابنة ، يجب أن تعودى اليه » .

كلمة مريرة لفظها « زوجى » ثلاث سنوات كالجارية ... يجمعنا فراش أحس بالاشواك تحاط بى .. يوخزنى ابرها .. يوشم جسدى المنهك بقروح من الذل والمهانة .. لم أر قط فى عينيه بريق الفرحة .. وبشاشة العشرة الطيبة .. كل ما المحه منهما حدة الصقر التى تثقب الأمان بأعماقى وتكسونى بثوب التهمة فى كل آن .

ما زال رجع صوته كالمرض المزمن يأبى المفارقة ... يطن بأذنى فجر ولادة طفولتى الاولى .. ماذا انجبت ؟ ابنة ، سميتها فاطمة . وينصرف من الغرفة متجاهلا لوجودى تماما .. غير مكترث بالوهن الذى عانيته .. غرس على وجهى الحزن .. وأرضعت صغيرتى حليب الألم والقهر .

بعد اربعين يوماً يعود متأففاً من صراخ الطفلة .. ينغمس فى مضغ غذائه وقضاء قيلولته .. ويمضى .. وأندب حظى

لن أعود اليه وهو يرفس انوثتى .. يجرجرنى بأغلال العبيد حتى فى أضعف حالاته يلوك العظمة .. ويزمجر كالاسد .. نصف قواه تخار إذا اوغل الليل عليه .

ما جدوى العودة .. ؟ والعمر معه لا يثمر غير الاشواك .. كل حبال الآمال تقطعت .. وسفينة الصبر ابحرت دون شراع .

ثلاث سنوات وعملية الاجترار أمارسها تارة بالصبر .. وأخرى بالتعقل ومرات عديدة باللامبالاة والتأفف .

ما زال الماضى يبسط خطوطه على حاضرى المرير .. حسرة تلهب اضلعى إذا تذكرت تلك الحقبة من عمرى الغض .. يشف الزمن استاره . ويتجسد أمام ناظرى .. يوم عدت من المدرسة تعبة . ونظرات امى غير طبيعية .. ترمقنى بالخفاء .. تبحث فى ابنتها عن كينونة المراة .. وانا غير عابئة بها .. فمى يتحرك بسرعـــة شديدة التهم الطعام حتى اعجل بلحظات اللعب مع رفيقات الحى .. وتفطن أمى الى عجلة امرى قائلة : تمهلى يا ابنتى ..

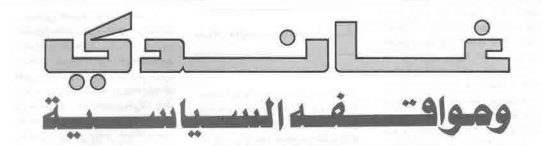
اجبتها باستنكار مؤكدة صحة فعلى .. اريد ان العب « الكتور » مع الرفيقات . قاطعتنى بشدة اثلجت صدرها .. وهى تبوح السر العزيز لديها : من اليوم لن تلعبى .. بعد غد زفافك ... هوت الكلمة فى أذنى كسقوط نجم الهب مشاعرى .. تماوج الخوف والمجهول بداخلى .. وتذكرت زفاف ابنة خالى منذ عامين وذلك الشعور المبهم الذى استوطن باطنى .. وصوت المغنية يصب انغامه المتمايلة على محدودية مفاهيمى المتفائلة .. وانا احرث الفكر فى افعالهم .. لماذا يغنون ؟ وابنة خالى كيف حملوها لذلك الرجل الغريب .. وأغلقوا عليها الباب دون الجميع ، ومواويل الغناء تنثنى تحكى قصص الهوى وحرقة البعاد .. وحين عدنا الى البيت .. لم استطع النوم .. وصياح الديكة تعلن قرب الفجر .. مازال نداء الديك رغم كبر سنى يوحش نفسى ويزيدها ألما .. موحيا بان اليقظة حتى صوته تحمل للسهر دلالة واضحة لاعتدال النفس أو الذهن معاً .

ما زلت حتى اللحظة أحلل نفسى من سواد تلك الليلة التى اشتدت حلكتها على عقلى الباطن .. ثلاثة اشياء تكومت بأعماقى تعرقل افكارى ، وتسد درب السكينة ، زفاف ابنة خالى ... والغناء المنغم من ثغر تلك السيدة السمراء الممتلئة البدن ....وصياح الديكة الذى شرخ سمعى .. وغرس أصواتا مبحوحة المعنى ما فتئت أحاول فك طلاسمها الى اليوم .

أمور كثيرة تتوارد بذهنى كشريط سينمائى لا يختل توازن احداثها عبر السنين .. فانا لم اكن أحسن حالا من صورة ذلك الزفاف المحفور بأعماقى .. على بغتة اخبرونى بالزواج وان كنت اجهل معناه . اخفونى فى غرفتى يومين .. واحضروا لى مستلزمات جديدة براقة وكل من حولى يجرى .. حتى أصبح أهل البيت كله والمقربون يتسابقون مع الزمن ... أوامر هنا .. وتلبية هناك .. ولا اعى سر ذلك العمق .. وليلتها دخلت على سيدة لها فى نفوسنا جميعا منزلة رفيعة .. لما تمتاز به من الثقة والتقوى ، وحدثتنى بقول اصغيت له باهتمام ، فمثل هذه الاعترافات لاول مرة تصك اذنى .. مفاهيم الزواج واصوله .. وما على الزوجة أن تفعله .

والحديث يقرع الهلع فى قلبى .. فيستولى على سنواتى الاربع عشر ... ويحيلها الى معنى واحد تنهيدة تبوح بالخوف .

افيق من امتداد يقظتى نحو عمرى المكدود .. ويبسط حاضرى ذراعيه أمامى بقوة .. أرفض العودة الى زوجى المتجبر العنيد .. الذى لم يقدر يوما مشاعرى .. ولم يعترف بمشاركتى له .. وتفشل محاولات أمى لأن .. الصبر عندى أجهض معانى الانتظار ... واسقطه دما غير مكتمل الحياة .



- عندما قال غاندي: لقد تعلمت الثورة على يد الزعيم العربي سعد زغلول
- قصة المذبحة التي دفعت غاندي إلى الاعتراف بأنه ارتكب خطيئة سياسية خطيرة

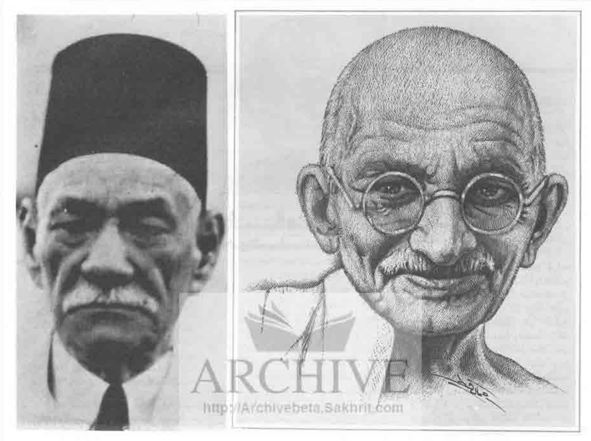
بقام: محمد العزب موسى

كان سلاح النضال الذى جربه غاندى بنجاح فى جنوب أفريقيا هو فن المقاومة السلمية « الساتيا جراها » الذى تقوم به جماهير متنورة بفكرة أن الحق أقوى من الباطل وأنه ينتصر فى النهاية ، وهى فكرة عميقة الجذور فى الفلسفة الهندية وفى الروحانيات الشرقية بوجه عام إذ نجد لها مكانا راسخا فى فكر المسيحية والاسلام .

عاد غاندى إلى الهند من جنوب افريقيا عام ١٩١٤ بعد ان قضى هناك ٢١ عاما يدافع عن حقوق الاقلية الهندية المغلوبة على امرها ضد ذلك النظام العنصرى البغيض ، وقد احرز غاندى فى نضاله هذا نجاحا طير شهرته الى بلاده حتى انه استقبل بالحفاوة والتكريم فور عودته ، ولكن الاهم من ذلك انه استطاع فى جنوب افريقيا ان يعد سلاح النضال الذى سوف يستخدمه بعد عودته للهند ، والواقع ان غاندى لم يغرب عن باله قط اثناء وجوده فى جنوب أفريقيا أن القضية الحقيقية هى قضية الوطن الام وليست قضية أقلية هندية فى مكان ناء من العالم ، ولكن تجربته فى جنوب افريقيا لم تذهب عبثا ، بل كانت ، علاوة على قيمتها الانسانية ، اشبه بالبروفة التى يؤديها الممثل لشحذ قدراته وتلاشى هفواته استعدادا للقيام بدوره المنتظر على المسرح .

وعندما عاد غاندى الى بلاده كان المسرح السياسى يقتسمه زعيمان متنافسان من زعماء حزب المؤتمر الهندى هما « جوكال » و « طيلاق » ، كان الأول زعيماً معتدلا يدعو الى اتباع الأساليب التدريجية المشروعة لانشاء هند جديدة على النمط الديمقراطى الغربى ، أما « بال جاندهار طيلاق » فكان على العكس من « جوكال » متطرفا هندوسيا معاديا للانماط الغربية عامة ويتزعم جماعات الكفاح الجسدى بما فى ذلك اللجوء الى العنف احيانا . وقد احترم غاندى « طيلاق » لذكائه واخلاصه ولكنه كان يختلف معه جذريا فى نظرته الى الدين والسياسة . ولذا كان غاندى اقرب الى « جوكال » وبدا نصيرا له بالفعل ، ولكنه كان يتميز على « جوكال » بنظرته العالمية ، ويختلف عنه فى الهدف النهائى اذ لم يكن غاندى يدعو الى دولة على النمط الغربى الحديث وانما يدعو الى تغليب الاصالة الهندية مع التركيز على إنعاش الريف روحيا واجتماعيا . اى ان هدفه لم يكن « تغريب » الهند وانما « بعثها » من جديد .

ويعبر غاندى عن ارائه فى تلك الفترة المبكرة اوضح تعبير فى كتيبه « هند سواراج » الذى كتبه فى لندن عام ١٩٠٩ وهو عبارة عن حوار بين « قارىء » يحبذ الارهاب لتحرير الهند و « المؤلف » الذى يتحدث بلسان غاندى ، اذ يقترح القارىء ان تخلص الهند نفسها بحملة من اعمال العنف والاغتيالات ضد المستعمرين الانجليز ثم تبنى دولة عسكرية حديثة كما فعلت اليابان فيرد « المؤلف » قائلا .. انك بذلك تريد الحكم



المهاتما غاندي

سعد زغلول

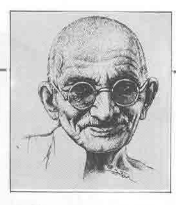
البريطانى بدون انجليز ، انك تريد طبيعة النمو دون النمو ذاته ..

كانت النقطة الاساسية لدى غاندى ان « الشر » لا يكمن فى الحكم البريطانى بذاته وانما فى « الحضارة الحديثة » التى اصبحت مادية بصفة مطلقة ، فمصانع الغزل والنسيج مثلا دمرت حياة ملايين الأسر الهندية التى كانت تعيش على الغزل اليدوى ، ولا يهم ما اذا جاءت منسوجاتها المدمرة من مصانع لانكشاير ام من مصانع هندية ، ان طريق الانقاذ كما يراه غاندى هو انعاش الثقافة التقليدية وطرق الحياة الأصيلة فى ٧٠٠ الف قرية تضمها الهند الكبرى .

استقر غاندي فى مدينة « احمد اباد » الشهيرة بمصانع النسيج الآلى وانشا « اشرم ساتيا جراها » وهى مؤسسة شبه ديرية يعيش فيها الانصار حياة جماعية وتحرم فيها الممتلكات الشخصية والملابس الاجنبية والاطعمة ذات التوابل ، ولاول مرة فى تاريخ الطبقات الهندية منذ الوف السنين ينضم الى هذا « الاشرم » عدد من المنبوذين ، وبذلك دل غاندى على انه يعنى ما يقول بدعوته الى مخالطة المنبوذين ودمجهم فى المجتمع .

وخلال السنوات القليلة التالية خلا المسرح السياسى الهندى من زعمائه الاقوياء فقد توفى « جوكال » بعد عودة غاندى بقليل ثم تلاه « طيلاق » فى عام ١٩٢٠ ، وكانت « انى بيزانت » التى راست حزب المؤتمر منذ عام ١٩١٧ معتدلة بدرجة لا تمكنها من إحكام قبضتها على مشاعر السخط الملتهبة لدى الهنود فى اعقاب الحرب العالمية الأولى ، وهكذا انعقد لواء الزعامة الشعبية لغاندى بنجمه البازغ ، فقد جذب اليه الانظار كزعيم راديكالى من طراز فريد ، واصبح معروفا ومحبوبا لدى جماهير حزب المؤتمر من طلبة وفلاحين وعمال صناعيين ومثقفين ، فها هو يهاجم القيادات المتراخية والنزعــــات المنحـــرفة والمهراجـــات الذين يحولون عرق الجماهير الكادحة الى مجوهرات يزينون بها عمائمهم ، ويصب نيرانه على التخلف الهندى الذى يعتبره العدو الاول للشعب الهندى قبل الاحتلال البريطانى ، ويقاوم السلطات الحاكمة التى تحاول تقييد حريته فى الحركة والكلام ، ويدافع عن حقوق الفلاحين ضد استغلال الملاك ، ويدعو الى تحسين القرية الهندية وتزويدها بالمدارس والمصحات والمجارى ، ويحبذ المتطوعين للخدمة العامة ..

ولم تلبث ان طبقت شهرة غاندى الافاق



غـانـدي
ومواقفه السياسية

عندما قبل ان يتزعم اضراب احد مصانع النسيج الكبرى فى « احمد اباد » للمطالبة بزيادة الاجور ، وكان شرطه الوحيد لتزعمهم ان يلتزموا بالساتيا جراها اى عدم اللجوء الى العنف تحت اى الظروف . وخلال هذا الأضراب ، عندما تأزمت المفاوضات بين الملاك والعمال لجا غاندى الى الاضراب عن الطعام لاول مرة فى كفاحه السياسى مما ارغم الملاك فى النهاية على الاستجابة لمطالب العمال خوفا من ان يتحملوا مسئولية موت غاندى . ويقول غاندى ان فكرة الصوم هذه جاءته كهاجس الهى ، ولكنه انتقد نفسه بعد ذلك لاستخدامها على اساس انها وسيلة ارغام للخصم يجب ان تتنزه عنها الساتيا جراها . ولم يلجا غاندى الى هذا السلاح فيما بعد إلا فى اواخر حياته وفى حالات الضرورة القصوى .

مذبحة امرتسار ومحاكمة غاندى

ولم تلبث أن واتت غاندى الفرصة للدخول فى حلبة السياسة الهندية من اوسع ابوابها ..

كانت الحكومة قد اصدرت ما يعرف « بقانون رولات » نسبة الى لجنة القاضى « رولات » التى كونتها السلطات البريطانية لبحث اساليب احتواء التمرد الهندى ومنع لجوئه للعنف . واقترحت اللجنة توقيع عقوبات قاسية بواسطة محاكمات استثنائية خاصة على المشتبه فى قيامهم باعمال العنف والارهاب او حيازة الأسلحة ومنشورات الاثارة والتهييج . ومما له دلالة ان حكومة الاحتلال عجلت باصدار هذا القانون فى شهر مارس ١٩١٩ اى فى ذروة احتدام ثورة الشعب المصرى بزعامة سعد زغلول ، وكان لهذه الثورة صداها فى الهند ولدى غاندى شخصيا الذى قال فيما بعد انه تعلم الثورة من سعد زغلول .

ثار الراى العام الهندى باسره ضد قانون « رولات » التعسفى ، وقام غاندى بجولة واسعة فى انحاء الهند يدعو إلى حملة « ساتيا جراها » ضد السلطات البريطانية ، ثم دعا الى إضراب عام « هارتال » على أن يكون اضرابا سلميا تماما كيلا يتحول الى اداة فى ايدى دعاة العنف او الشيوعيين ، وفاقت الاستجابة للاضراب كل التوقعات ، فقد اغلق التجار حوانيتهم ، ووضع العمال ادواتهم ، واقفرت مصانع الهند واسواقها كاحتجاج صامت على حاكم ظالم ، وبدت البلاد باجمعها مصممة على هدف واحد هو التحرير ، وقد بدا الاضراب فى مدينة دلهى فى ٣٠ مارس ، واكتسح المدن الكبرى بسرعة خاطفة حتى شمل الهند باسرها يوم ٦ ابريل وخرجت المظاهرات السلمية تطوف الشوارع بالملايين يشارك فيها المسلمون إلى جانب الهندوس ، والنساء وطلبة المدارس ، وواجهت السلطات الموقف بالعنف ، فضرب البوليس المتظاهرين بالعصى ذات الاطراف الحديدية واطلق النار عليهم فى دلهى ، والتزمت حركة « الساتيا جراها » بمبادئها السلمية بوجه عام ، ولكن حدث فى البنجاب ـ حيث كانت تسودها الفوضى قبل حركة الاضراب ـ ان اندلعت اعمال العنف من جانب الغوغاء فهاجموا الحوانيت والمنشات العامة وقوات الامن . وحاول غاندى السفر من بومباى الى البنجاب لتهدئة الجماهير ، ولكن السلطات البريطانية منعته واعادته من منتصف الطريق ، اذ كانت تبحث عن ذريعة لسحق الحركة الوطنية ، وسرعان ما امتدت اعمال العنف والشغب الى اجزاء اخرى من البلاد وردت السلطات بالمزيد من القمع الوحشى وجاءت الذروة يوم ١٣ ابريل حين امر « البريجادير داير » قواته من الجوركا والبلوش باطلاق النار على الجماهير فى « امرتسار » وهى تتجمع للقيام بمظاهرة سلمية فقتل ٣٧٩ شخصا فى الحال واصيب اكثر من الف اخرين بجراح .

وبهت غاندى لبشاعة العنف من الجانبين ، هل يمكن ان ينفجر كل هذا العنف نتيجة لحركة هدفها الانتصار بعدم العنف وبقوة الحق وحدها ؟ وصام غاندى ثلاثة ايام تكفيرا عن خطئه ، ثم اعلن فى يوم ١٨ ابريل الغاء « الساتيا جراها » واعترف بانه ارتكب « خطيئة فى حجم الهيمالايا » بتشجيعه الجماهير غير المدربة على المشاركة فى حركة تتطلب اعلى درجة من ضبط النفس .

وهكذا فشلت اول حملة ساتيا جراها شاملة يقوم بها غاندى فى الهند ، ولكنها لم تفشل تماما فى الواقع ، اذ استطاعت ان تخرج بقضية الاستقلال من اروقة حزب المؤتمر وزنزانات الوطنيين الى الشارع والقرية والى جميع البيوت والطبقات ، كما سلطت مذبحة « امرتسار » انظار العالم على جرائم الاستعمار البريطانى فى الهند ، وبدا الراى العام العالمى يعطف على القضية الهندية . واضطرت السلطات الاستعمارية فى النهاية الى مراجعة اساليبها فلم يوضع قانون رولات موضع التنفيذ وامتنعت عن إصدار سلسلة من القوانين العميقة المماثلة كانت قيد الاعداد . اما غاندى فقد تعلم درسه الكبير ، وهو ان فشل الحركة يرجع الى انعدام التنظيم ، واضمر ان اية حركة ساتيا جراها قادمة يجب ان تكون محدودة النطاق وان تقودها « كوادر » من المتطوعين المدربين .

وجاءت التجربة الثانية بعد ثلاث سنوات ، ففى اواخر عام ١٩٢٠ عقد حزب المؤتمر اجتماعا شعبيا فى ناجبور تبنى فيه هدف تحقيق الاستقلال الوطنى « سواراج » بنهاية عام ١٩٢١ ، وتلى ذلك ان اعلن غاندى حركة « ساتيا جراها » جديدة محورها عدم التعاون مع السلطات الاستعمارية ، وقام باعادة الميدالية الذهبية التى منحت له لقيامه باعمال الانقاذ فى جنوب افريقيا واقتدى به مشاهير الهنود فاعادوا للسلطات ما حصلوا عليه من اوسمة ونياشين ، واضرب الطلبة عن الدراسة ، وامتنع المحامون عن دخول المحاكم التى يعمل فيها قضاة انجليز ، وفر الجنود من الخدمة العسكرية . واستقبلت الاحزاب الهندية زيارة امير ويلز للهند

بالاضراب العام . وردت السلطات الاستعمارية بحملة اعتقالات واسعة النطاق .

وفجاة تكررت نفس الغلطة الاولى اذ تحولت احدى المظاهرات فى جوراكبور الى العنف ، وقتل المتظاهرون عددا من رجال البوليس واحرقوا جثثهم فى قاعة مجلس المدينة ، وعلى الفور امر غاندى بوقف حركة الساتيا جراها بعد أن كادت تبلغ أهدافها ، فدل بذلك مرة اخرى على استعداده للتضحية باى نجاح سياسى لتفادى ما يعتبره خسارة أخلاقية .

وفى ١٠ مارس ١٩٢٢ القى القبض على غاندى وقدم الى المحاكمة ..

ولا تزال هذه المحاكمة تذكر فى الهند الى الآن باعتبارها حدثا هاما فى تاريخ الاستقلال ، وتعرف بالمحاكمة الكبرى لما تميزت به روح الفروسية بين غاندى وقاضيه الانجليزى .

جرت المحاكمة فى مدينة « احمد اباد » امام القاضى الانجليزى روبرت برومفيلد ، واقر غاندى فى بدايتها انه « مذنب » فى الاتهامات الموجهه اليه ، واعترف بانه كان يريد قلب الحكومة ، وامام اعتراف المتهم وصراحة نصوص القانون لم يجد القاضى مناصا من ان يحكم على غاندى بالسجن ست سنوات ولكن القاضى اعترف بان غاندى « وطنى عظيم وزعيم عظيم » وقال يخاطبه ان هذه السنوات الست التى احكم بها عليك هى ضريبة الوطنية التى سبق ان نال مثيلها سلفك العظيم طيلاق ، وانتهت المحاكمة بان انحنى غاندى امام قاضيه الانجليزى شاكرا ، وانحنى القاضى أمام سجينه الهندى احتراما .

وهكذا خسر غاندى القضية ولكنه كسب الموقف ، فقد استطاع تحويل خصمه من الداخل ، وهذا أكبر نجاح لفلسفة الساتيا جراها .

مسيرة الملح

ادخل غاندى سجن « ايرفادا » بالقرب من « بونا » ، ولكنه لم يمكث فى السجن كل فترة العقوبة ، اذ افرج عنه فجاة فى فبراير ١٩٢٤ بسبب المرض ، وخرج ليفاجأ بان حزب المؤتمر قد فقد قوته ووحدته نتيجة لفشل أمله القومى فى تحقيق الاستقلال ، كما تزعزعت الوحدة الظاهرية بين المسلمين والهندوس واندلعت المذابح بينهم ، فكان اول ما فعله غاندى بعد خروجه من السجن ان اضرب عن الطعام ٢١ يوما حتى اجبر زعماء الطائفتين على التصالح .

وقبل غاندى رئاسة حزب المؤتمر لفترة محدودة بهدف منع الحزب من التمزق بين الاجنحة المتنافسة ، ثم استقال فى اخر عام ١٩٢٥ ، ولم يقبل طيلة حياته بعد ذلك اى منصب حزبى أو إدارى ، واعلن اعتبار عام ١٩٢٦ عام صمت سياسى ، ولجا الى « أشرم سابرماتى » حيث انقطع للتامل والصلاة والعمل اليدوى واستقبال الزوار الذين بدأوا يتوافدون عليه من كل انحاء الهند ومن أوربا والولايات المتحدة والصين .

ولم يلبث غاندى ان اضطر الى قطع عزلته السياسية فى اكتوبر ١٩٢٧ حين استدعى مع غيره من الزعماء الهنود الى مقابلة الحاكم البريطانى لورد ايروين الذى بلغهم ان بريطانيا ستوفد لجنة برئاسة سير جون سيمون الى الهند للنظر فى امكانية تعديل الوضع الدستورى للبلاد . ولما كانت هذه اللجنة تعد مسئولة فحسب امام البرلمان البريطانى ، وقد شكلت بدون اخذ راى الشعب الهندى ولا تضم فى عضويتها احدا من الهنود ، لذلك رفضها غاندى وكل الزعماء الآخرين ، وعندما وصلت اللجنة الى الهند فى فبراير ١٩٢٨ قاطعتها جميع الأحزاب الهندية بما فيها الرابطة الاسلامية وحزب « مها صابحا » الهندوسي . وفى نفس الوقت وجد غاندى الفرصة مناسبة لتنفيذ فكرة راودته طويلا وهى تحريض الاهالى على عدم أداء الضرائب للحكومة مقررا البدء فى منطقة برادولى . وكلف صديقه باتل بتزعم الحركة

وحقق إضراب برادولى نجاحا منقطع النظير ، بل كان انجح عصيان مدنى فى تاريخ استقلال الهند . فبالرغم من لجوء السلطات الى عمليات الاعتقال والقمع الوحشى ، إلا ان فلاحى برادولى ، وعددهم ٨٤ الف نسمة ، ظلوا ثابتين على رفضهم اداء الضرائب وممتنعين عن الرد على العنف بالعنف . وفى اقل من ستة اشهر كانت الهند باسرها يشلها الأضراب العام « هارتال » تاييدا لفلاحى برادولى ، واضطرت الحكومة الى التسليم ، فاطلقت سراح المعتقلين ووافقت على تخفيض الضرائب الى الحد الذى ارتضاه الفلاحون وتعويضهم عن ممتلكاتهم التى صودرت اثناء الاضراب .

كان هذا النجاح بمثابة لفحة هواء هبت على لهيب الحركة الوطنية فزادته اشتعالا .. ورفع حزب المؤتمر شعار الاستقلال الفورى التام ، وفى ٢٦ يناير ١٩٢٩ ، — وتحتفل به الهند للآن كعيد قومى — ، اصدر غاندى وثيقة « إعلان استقلال الهند » ، وهى وثيقة تتضمن الطموحات السياسية لرفاقه فى حزب المؤتمر الى جانب فكرته الخاصة عن التحرر الاجتماعى والروحى . وجاء فى الاعلان ان الحكم البريطانى قد دمر الهند إقتصاديا وسياسيا وثقافيا وروحيا ، لذلك فان الهند تقطع علاقتها ببريطانيا ، وتعلن استقلالها التام .

وبقى أن يختار غاندى هدفا لحملة العصيان المدنى التى يمكن ان تحول اعلان الاستقلال من الورق الى الواقع المعاش .

وقد تجلت عبقرية غاندى السياسية فى اختياره ان يكون الهدف هو خرق قانون الملح . وكانت حكومة الاحتلال البريطانى تحتكر صناعة الملح من استخراجه إلى بيعه لاستنزاف الهنود ، وتفرض عقوبات قاسية على من ياخذ ولو حفنة واحدة من ملح الشواطىء . ودعا غاندى الى تحدى

المهاتما غاندي





غاندي
ومواقفه السياسية

هذه العقوبات وان يقوم الهنود بتصنيع الملح بانفسهم ، ولقيت دعوته نجاحا كاسحا لانها مست وترا حساسا لدى ملايين الفلاحين الفقراء كما انها اطلعت الشعب البريطانى على مساوىء احتلاله للهند وحركت لدى الشعوب الأوربية ذكريات الثورة الفرنسية الكبرى التى كان من اسباب قيامها احتجاج فقراء باريس على ضريبة الملح المماثلة .

وفى فجر يوم ١٢ مارس ١٩٢٩ بدأ غاندى مسيرته من « أشرم سابرماتى » على راس ٧٩ متطوعا فى طريقهم الى « داندى » على شاطىء البحر وتبعد ٢٤١ ميلا ، ولم تتعرض السلطات للمسيرة ظنا بانها سوف تفشل من تلقاء ذاتها ، ولكن المسيرة تحولت الى نجاح باهر ، فكانت تجتذب فى تقدمها الاف المنضمين الذين يخرجون من المدن والقرى للسير وراء غاندى ، واخيرا وصلت المسيرة وقد تحولت الى بحر زاخر من البشر الى « داندى » يوم ١٣ ابريل ، وهو ذكرى مرور عام كامل على مذبحة « امرتسار » ، وهناك نزل غاندى الى البحر مع عشرات الالوف للاستحمام والتطهر ، وعندما خرج الى الشاطىء اخذ حفنة من الملح ورفعها عاليا بينما كانت الشاعرة الوطنية « ساروجينى نايدو » تهتف والجموع تردد وراءها « فليحيا المخلص » .

وكما لو كان غاندى قد ادار مفتاح الة كبيرة معقدة فانطلقت كل اجزائها تعمل تلقائيا كذلك تحولت الهند بأسرها الى كتلة لا تهدأ من الحركة والنشاط اذ راح الناس يصنعون الملح على الشواطىء وفى الشوارع وفوق أسطح البيوت ، وقدم مئات الموظفين ورؤساء القرى استقالاتهم ، وتوقفت الصحف عن الصدور ، ورفض الجنود أوامر إطلاق النار على المتظاهرين ، وطرحت النساء الحجاب وانضمت الى الحركة الوطنية بمظاهراتها واجتماعاتها ومسيراتها ، واصبحت كلمة الاستقلال على كل لسان .

وردت الحكومة باعتقال ١٠٠ الف شخص على راسهم غاندى وكل زعماء حزب المؤتمر ، ولكن حتى هذه الاعتقالات لم توقف الحملة ، بل ردت الهند باسرها باضراب عام (هارتال) شل كل مرافق الحياة فى البلاد ، وفى يوم ٢١ مايو هاجم ٢٥٠٠ من المتطوعين المدربين على أساليب الساتيا جراها مصانع الملح فى دارسانا وهم يحملون النقالات ووسائل الاسعاف استعدادا لتلقى عنف السلطات ، وتصدت لهم قوات من الجوركا قوامها ٤٠٠ جندى بعنف بالغ ، فتحطمت عشرات الجماجم ، وسقط المئات بين قتيل وجريح . ولم يتمكن المتظاهرون فى النهاية من اقتحام المصنع ولكن شجاعتهم ادهشت العالم .

وكالعادة رات سلطات الاحتلال أن تنحنى امام العاصفة وان تتحول من المواجهة الى التحايل ، فاطلقت سراح الزعماء المعتقلين ، ودعى غاندى للتفاوض مع الحاكم البريطانى فى دلهى . وبعد ايام من المفاوضات الشاقة وافقت السلطات على إباحة صنع الملح للاستهلاك الشخصى ، واطلقت سراح ١٠٠ الف معتقل ، ودعت غاندى إلى تمثيل حزب المؤتمر فى مباحثات الدائرة المستديرة بلندن لتحديد مستقبل الهند .

وكانت مباحثات الدائرة المستديرة قمة الخدعة الاستعمارية لتقويض الحركة الوطنية الهندية وبث الفرقة فى صفوفها ، فقد حضرها ممثلون عن مختلف العناصر الهندية غير المتناسقة ، مسلمون ، وسنج ، ومسيحيون ، ومنبوذون ، ومغتربون ، وامراء ، ومهراجات ، ومزارعون ، وضاعت قضية الاستقلال وسط هذا الخليط المتباين بمصالحهم المتناقضة ، وتحول اهتمام المؤتمر من المطالبة بتحرير الهند الى بحث صيانة مصالح الأقليات ، ولم يستمع احد لغاندى وهو يؤكد انه يمثل ٨٥٪ من الشعب الهندى وان هذه الخلافات مبالغ فيها وسوف تتلاشى بنفسها بعد الاستقلال .

وهكذا انهار مؤتمر المائدة المستديرة على صخرة المبدا الاستعمارى المعروف « فرق تسد » وعاد غاندي الى الهند خالى الوفاض فى نهاية عام ١٩٣١ ليجد حاكما بريطانيا جديدا اشد صرامة من كل سابقيه هـــو « لورد ويلنجتون » الذى اتبع سياسة القمع السافر وزج بغاندى وزعماء المؤتمر مرة اخرى فى غياهب السجون .

وعندما خرج غاندى من السجن كانت اخر انفاس الحركة الوطنية قد خبت ، وتحول غاندى باهتمامه عن الاستقلال إلى حقوق المنبوذين ، ودخل فى عزلة سياسية لم يخرج منها حتى عام ١٩٤٠ . ولكن ساتيا جراها الملح لم تذهب فى الواقع عبثا ، اذ كانت درسا غاليا من دروس النضال ، صهرت الهند وراء امانيها القومية وكسبت لها التاييد العالمى ، وتقدمت بفضلها خطوة حقيقية نحو الاستقلال .

هزيمة المنتصر

إذا كانت مباحثات الدائرة المستديرة قصد منها تمزيق الحركة الوطنية ، وحققت المقصود منها بالفعل ، إلا ان بريطانيا لم تكتف بذلك ، فقررت ان تقوم بخدعة اخرى اكبر واخطر تلهى الهند عن الاستقلال الحقيقى وتمزق صفوفها الى الابد ، وهى خدعة الحكم الذاتى الذى وافق البرلمان البريطانى على منحه الهند فى اغسطس ١٩٣٥ ، وسمح بمقتضى ٥ للناخبين الهنود ويبلغ عددهم ٣٠ مليونا ، باختيار حكام الولايات ومجالسها المحلية . وقد تحمس زعماء حزب المؤتمر لهذه الخطوة تعطشا منهم لسلطة الحكم حيث فاز حزبهم بالسلطة فى ٩ ولايات من احدى عشرة ولاية اما غاندى فقد رفض هذه الخطوة من الاستقلال المزيف وعندما سألوه رايه قال « إن الهند لا تزال سجنا كبيرا وكل ما حدث ان القائمين عليه سمحوا للسجناء باختيار جلاديهم » .

وحدث ما توقعه غاندى ، إذ لجا حكام الولايات المنتخبون إلى استخدام قوات البوليس التى يقودها ضباط انجليز فى ضرب معارضيهم ، وبذلك اصبح جلادو الشعب حكاما من الهنود بدلا من الانجليز . ولكن الاخطر من ذلك ان مقدم الحكم الذاتى ادى إلى القطيعة النهائية فى الحركة

الوطنية بين المسلمين والهندوس ، وتضارب مصالحهم تضاربا جذريا ، وبدا محمد علي جناح زعيم الرابطة الاسلامية وقد هالته الاغلبية العددية للهندوس يطالب بتقسيم الهند على أساس انها تضم قوميتين منفصلتين ، وفى نفس الوقت ظهرت الانقسامات الحادة داخل حزب المؤتمر بين اليمينيين واليساريين ، وابتعد الحزب برمته عن مبادىء غاندى فى الصحوة الروحية فالراسماليون والاشتراكيون على السواء اصبحوا يتطلعون الى انشاء هند صناعية حديثة على النمط الغربى ولكنهم يختلفون فى توجيهها الايديولوجى ، وتناسوا تماما تصورات غاندى فى البعث الهندى الذى اساسه النهوض بالقرية وكيانها الذاتى ، ومع ذلك فقد ظلوا يستخدمون برنامج غاندى الريفى لكسب تاييد جماهير الفلاحين وضمان التفاهم حول حزب المؤتمر وهكذا كلما زادت سلطة حزب المؤتمر السياسية كانت تتناقص قوة غاندى الروحية .

ولم تلبث ان برهنت الاحداث على صحة وجهة نظر غاندى فى ان السلطة السياسية التى يتمتع بها الزعماء الهنود ليست أكثر من قشرة واهية ، اذ لما قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ جرت بريطانيا الهند اليها دون استشارة حكام الولايات المنتخبين ، فقدم هؤلاء استقالاتهم وعادت الهند الى الحكم البريطانى المباشر .

ولجا الزعماء السياسيون مرة اخرى إلى غاندى يرجونه تولى الزعامة . وكعادته فى تحمل مسئوليات القيادة فى الازمات العصيبة اعلن حملة عصيان مدنى جديدة فى أكتوبر ١٩٤٠ ، ورد الانجليز باعتقال عشرات الالوف وعلى راسهم غاندى الذى حددت اقامته فى قصر اغاخان فى « يونا » ثم اطلق سراحه قبيل انتهاء الحرب فى عام ١٩٤٤ لأسباب صحية . وانفجرت الهند مرة اخرى فى موجة من العنف الدامى ، وخيل لغاندى ان كل مبادئه التى عاش يعلمها لشعبه لم تلق اذانا صاغية ، ثم كانت صدمته أكبر بالاستقلال الذى وافقت حكومة العمال فى بريطانيا على منحه للهند بعد انتهاء الحرب ، اذ لم يكن بالاستقلال (سواراج) الذى يفكر فيه وناضل من اجله ، كان يحلم بهند حرة مستقلة علمانية موحدة تتعايش فيها الجماعات الهندية المختلفة على قدم المساواة ، أما الاستقلال الذى حصلت عليه الهند بعد الحرب فقد دفعت فيه ثمنا مدمرا هو انقسام شبه الجزيرة الهندية الكبرى بين الهندوس والمسلمين ، وقيام دولتين للهند وباكستان . وعندما وافق حزب المؤتمر على قرار التقسيم شعر غاندى ان قضيته قد جحدت . وقال ملاحظا « لقد وصل كفاح ٣٢ عاما الى نهاية مخجلة » . ان الهند الأم التى يحلم بها قد دمرت .

وضاع صوت غاندى الواهى الذى تجاوز الخامسة والسبعين فى ضجيج الاستقلال وزحمة الأصوات القوية الشابة . وشعر أن قوته الروحية تخبو باطراد مع مقدم القوة السياسية للهند ، وبدات تسيطر عليه فكرة الاستشهاد والتضحية . كان يقول « كما يتعلم الانسان فن القتل وهو يتدرب على العنف عليه ان يتعلم فن الموت وهو يتدرب على عدم العنف » . وفى هذه المرحلة بالذات اصبح الاضراب عن الطعام سلاحا ماضيا فى يد غاندى ، فلم يكن يصوم كمناورة سياسية وانما بهدف أن يموت حقا ، وكثيرا ما اشرف على الهلاك فى هذا الصوم ثم عاد الى الحياة بالكاد بعد ان كان صيامه يجبر اعتى الخصوم على الرضوخ .

وازدادت الام المهاتما توهجا وهو يرى اشباح الشر القديمة التى قضى حياته يطاردها تبعث من جديد وتسير فى كل مكان .. العنف ، التمرد ، الحرب ، الفوضى . التعصب ، الطائفية ، الكراهية ، فقد انفجرت المذابح الطائفية على نحو لم يسبق له مثيل بعد تولى نهرو رئاسة اول حكومة هندية مستقلة ، ففى البنغال ذبح المسلمون الهندوس ، وفى بيهار ذبح الهندوس المسلمين ، وسار غاندى الشيخ الفانى وهو فى أواخر السبعينات من عمره حافى القدمين من قرية الى قرية يدعو الى وقف المذابح ، حملته قدماه الواهنتان الى البنغال وبيهار وكشمير وكلكتا ودلهى كما لو كان ملكا عجوزا فى رحلة توبة يرجو بها استعادة مملكة المحبة الانسانية والسلام الضائعة ، وكان يقول « لم يحدث فى حياتى ان كان طريقى كما هو عليه الآن من الظلام » وأحرز بالفعل نجاحا ملحوظا فى اكثر من حالة ، واستطاع وقف المذابح بين المسلمين والهندوس فى كلكتا ، بل ان زعماء عصابات القتل والأرهاب من الطائفتين ، كانوا يركعون امام سرير صومه تائبين ، ولكن ما راه وسمعه كان كفيلا بان يجعله يائسا تماما من امكان انتصار مبادئه ، بل ان دعوى عدم العنف ذاتها فقدت معناها لديه ، ولذا عندما قامت باكستان بغزو كشمير لم يبد غاندى اعتراضا على إرسال الجيش الهندى للحرب ضد الباكستانيين ، اخوة الماضى وابناء الهند الأم ، فاذ تلاشى لديه الأمل فى انتصار اللاعنف بدا له ان الذهاب الى القتال افضل من إظهار الجبن .

ولكن جهوده اليائسة فى التقريب بين المسلمين والهندوس جلبت عليه عداء المتطرفين من الطائفتين ، واخذ المتعصبون يطلبون حياته نفسها ، هدد المسلمون حياته فى نوخالى ، وهدد الهندوس حياته فى كلكتا وخلال الايام القليلة التى سبقت وفاته انفجرت قنبلة فى اجتماع كان يحضره للصلاة فى دلهى . ها هو شبح العنف عدوه اللدود القديم يتقدم نحوه لا يقنع باقل من راسه بعد أن فك عقاله فى هند تحولت الى حلبة للدم وعدم التسامح .

وذات ليلة ، قال غاندى لأبنة اخيه مانو بان : اذا مت على سرير مرضى فعليك ان تبلغى العالم اننى كنت مهاتما مزيفا ، اما إذا انفجرت قنبلة كما حدث فى الاسبوع الماضى ، أو انطلقت رصاصة فتلقيتها فى صدرى العارى ولفظت انفاسى دون نهدة واحدة واسم « راما » على شفتى فقولى عنى اننى كنت مهاتما حقيقيا .

وفى اليوم التالى ٣٠ يناير ١٩٤٨ ، وفى ساعة الغروب بينما كانت اشعة شمس الشتاء الذهبية الباردة تغشى جو دلهى المائل للزرقة الشفافة بدت فى الصورة بقعة حمراء من الدم القانى اذ اطلق متعصب هندوسى الرصاص على غاندى وهو فى طريقه الى اجتماع للصلاة ، وتلقى غاندى الرصاصة فى صدره العارى ولفظ انفاسه الأخيرة فى مكانه وهو يتمتم بين شفتيه باسم الاله « راما » .

وانطوت صفحة واحد من اعظم قادة الانسانية فى القرن العشرين ..

•

محمد العزب موسى



الذكاء

تلك السمة الانسانية التى يعزى اليها ما احرزته البشرية من انتصارات ومنجزات علمية وفنية وفكرية وفلسفية . اذا ارتفع نصيب الانسان منها وصل الى حد العباقرة والعظماءوصناع التاريخ ، واذا انخفض نصيبه منه انحط مستوى سلوكه ليقترب من مستوى السلوك الحيوانى . انه السمة المسئولة عن صنع حضارة الانسان . ولذلك فكلما ارتفع مستوى هذه الحضارة ، وزاد تعقيدها ، كلما احتاج الفرد لمزيد من الذكاء ليحسن التعامل مع ظروف العصر . ونظرا لاهمية هذه السمة الانسانية ، كانت محط اهتمام العلماء والباحثين والفلاسفة والمفكرين . فتساءلوا ما هى طبيعة الذكاء ؟ وما هى جذوره التى يرجع اليها ؟ وهل يعد سمة وراثية ام مكتسبة بعبارة اخرى ما هى العوامل التى تؤثر فى نموه ؟ وهل هو سمة او قدرة بسيطة ام معقدة ؟ كما تساءلوا عن نوعية العلاقة التى تربطه بغيره من السمات الانسانية الاخرى ، وبعبارة ثالثة هل الذكاء قدرة مستقلة تمام الاستقلال عن غيره من القدرات والسمات ؟ وعلى اى نحو يتوزع الذكاء بين افراد المجتمع ؟ هل الغالبية اذكياء ام اغبياء ؟ وهل يؤثر ذكاء الفرد فى سلوكه ، وعلى اى نحو يتم هذا التأثير ؟ وهل يختلف الذكاء باختلاف سن الفرد ؟

أسئلة حيرت العلماء

هل الرجل أذكى من المرأة ؟
هل الأبيض أذكى من الأسود ؟
الحقيقة ضائعة بين العلم والتعصّب

بقلم : الدكتور عبد الرحمن العيسوي

ومن الأمور التى اثارت الاهتمام حتى الآن مسالة الفروق الجنسية فى الذكاء ، بمعنى أيهما اكثر ذكاء الذكر ام الأنثى ؟ وكذلك اثير موضوع الفروق السلالية فى الذكاء وادت إثارة هذا الموضوع إلى نشاة كثير من الجدل نظرا لارتباط هذه المسالة بالتعصب العنصرى ، واتجاه الرجل الأبيض نحو وصف غيره من السلالات كالزنوج مثلا بانخفاض الذكاء ، ليتخذ من ذلك ذريعة لأحكام سيطرته على الزنوج او الأفارقة . وتساءل الباحثون عن مدى تاثير الذكاء فى التحصيل الاكاديمى ، كما تساءلوا عن السن التى يتوقف عندها نمو الذكاء . انه السمة التى يباهى بها من يمتلك حظا وافرا منها ، وهى التى تعتمد عليها اعتمادا كبيرا عملية الاستيعاب والتحصيل والاستذكار الدراسى ، ولذلك كان الاهتمام بها لا يعرف الفتور واصبح من المستطاع تعريف الذكاء تعريفا دقيقا من ناحية وقياسه كميا محددا ، ومن نتائج تلك المعرفة انه أصبح فى المستطاع التنبؤ بمدى نجاح الطالب فى التحصيل الدراسى المستقبلى على ضوء معرفتنا بحجم مايمتلك من ذكاء .

ومن التعاريف الشائعة عن الذكاء : ان الذكاء هو ما تقيسه اختبارات الذكاء . ويعرف هذا التعريف بانه التعريف الاجرائى للذكاء ، وهو التعريف العلمى القائم على أساس السمات والقدرات التى تبدو واضحة فى سلوك الفرد الذكى . ويختلف مثل هذا التعريف عن التعاريف

الفلسفية أو العامة أو الغامضة أو المبهمة ، كان تقول ان الذكاء هبة او فطرة . ويقودنا هذا التحليل إلى التساؤل : وما الذى تقيسه اذن مقاييس الذكاء ؟ ويبتعد مثل هذا التعريف الاجرائى عن الصعوبات التى تواجه هذا المفهوم من حيث كونه فطريا او الى استخدام ذهن الفرد . وتقارن استجابات الفرد على هذه السلسلة باستجابات اشخاص آخرين سبق لهم اداء هذه الاعمال ، وبالتالى نتعرف على مستواه بالنسبة لهؤلاء الذين سبق لهم القيام بنفس الاداء وتحت نفس الظروف ، والذين يشترط فيهم ان يكونوا على درجة كبيرة من الشبه معه من حيث اتفاق السن والجنس والمستوى التعليمى والثقافى والطبقة الاجتماعية والسلالة .

هل الذكاء وراثى أم مكتسب ؟

وكثيرا ما تساءل العلماء ، هل الذكاء وراثى أم مكتسب ؟ بعبارة اخرى هل يتحدد كم ما يملك الفرد من ذكاء عن طريق العوامل الوراثية التى تنتقل اليه عن طريق المورثات او ناقلات الوراثة من الاباء والاجداد ، أم ان التغذية والتربية والمعاملات التى يلقاها الطفل والخبرات التى يمر بها ، والامراض التى تصيبه .. الخ تؤثر فى نمو ذكائه ؟ فاذا كان الوضع الوراثى هو المعبر عن الحقيقة فى هذا المبحث فاننا نقف مكتوفى الايدى امام ما يملك الطفل من ذكاء ولا نستطيع تنميته ، واذا صح الاتجاه البيئوى فان الافاق تفتح امامنا لتحسين حال من حرمتهم الطبيعة من وفرة هذه القدرة الثمينة بل اننا نكون اكثر طموحا ونعمل على زيادة ذكاء مرتفعى الذكاء ايضا تحقيقا لمزيد من سعادة البشرية وانتصـــاراتها ومنجزاتهـــا ومخترعاتها . واذا كان الامر كذلك ، فاننا نستطيع ان نضمن تحسين ذكاء الاجيال المقبلة بصورة مضطردة جيلا بعد جيل . ويتبع ذلك بالضرورة القضاء على الظروف او العوامل التى من شانها ان تقلل من ذكاء الاجيال القادمة .

إذا كان الذكاء ناتجا عن العوامل الوراثية ، فاننا نتوقع ان نجد تشابها فى ذكاء الآباء والأبناء مثلما نجد من تشابه فى عوامل مثل طول القامة ، ولون العينين وشكل الشعر ولونه . فى هذا الصدد وجد كل من كونراد وجونز معامل ارتباط قدره ٤٩ر٠ بين نسبة ذكاء الاباء وابنائهم ، كما وجدا مثل هذا المعامل بين ذكاء الاخوة

وراثيا ، ام انه قدرة واحدة ام عدة قدرات متشـــابكة ، وما هى ما هيته او كنهه ومادته الأولى ؟

تتضمن اختبارات الذكاء بعض الاسئلة او المواقف او الاعمال التى تواجه بها الفرد الأشقاء واذا ما قورن هذا المعامل بمثيله بين مجموعة من الكبار ومجموعة اخرى من الاطفال لا توجد صلة دم بينهم ، وجد ان معامل الارتباط فى هذه الحالة يساوى صفرا معبرا عن عدم وجود علاقة على الاطلاق . وفى دراسة اخرى على التوائم غير الصنوية اى تلك التوائم التى يتكون كل فرد من افرادها من بويضة مخصبة مستقلة ، وجد ان هناك معامل ارتباط قدره ٦٣ر٠ كما تدلنا على ذلك دراسة كل من نيومان ، فريمان وهولزنجر . ومثل هذا المعامل وجد بين اعضاء الأسرة الواحدة . ويقودنا هذا الى التساؤل لماذا يزيد التشابه بين التوائم عنه بين الاخوة ؟ ربما يرجع ذلك الى تشابه الظروف البيئية التى ينشأ فيها التوائم من حيث الظروف الاقتصادية والاجتماعية للأسرة ونتيجة لتشابه المعاملة التى يتلقاها كل فرد من التوائم من قبل الاباء والاخوة والاخوات والاقارب والاصدقاء . ويؤكد هذه الملاحظة ان معامل الارتباط ، المعبر عن حجم التشابه يزداد كلما عاش التوأم مع زميله . ولذلك اسفرت بعض الدراسات ان معامل الارتباط بين اخوة بلغوا سن العاشرة من العمر كان ٦٣ر٠ بينما كان معامل الارتباط بين ذكاء اخوة فى الرابعة عشرة من عمرهم ٤٠ر٠ ، يرجع ذلك بالطبع الى تشابه الظروف التى يخضع لها الاخوة والى مدى استمرار هذه الظروف . وواضح ان مثل هذه الدراسات تدلنا على وجود تاثير من جانب الوراثة ومن جانب البيئة على نمو الذكاء .



وسيلة تسلية للاطفال

ونطلب منه حلها ، كحل بعض المشكلات الرياضية ، أو ادراك العلاقات ، واستخدام الرموز وفهم المواقف . يواجه الفرد بسلسلة من هذه المواقف المقننة التى يحتاج حلها

الظروف والبيئة

ولكن هناك دراسات اكثر دلالة ووضوحا فى البرهنة على تاثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على نمو ذكاء الاطفال . فلقد وجدت علاقة بين وظيفة الاب وبين ذكاء ابنائه . فلقد وجد ان ذكاء ابناء ارباب المهن الراقية كالمهندسين والمدرسين والمحامين اعلى من ذكاء ابناء العمال غير المهرة . وعلى سبيل المثال كان المتوسط الحسابى لنسبة ذكاء مجموعة من اطفال الطبقات المهنية الفنية ١١٧ر٥ بينما كان نظيره لدى ابناء عمال اليومية هو ٩٧ر٦ .

ولكننا هنا ايضا امام تداخل العوامل البيئية مع الوراثية ، ذلك لاننا نستطيع ان نقول ان الآباء الذين يشغلون الوظائف الفنية التخصصية الراقية يوفرون بيئة تعليمية مثيرة ، ومشجعة لابنائهم ، كان يتوفر للطفل الغذاء الجيد ، والكتاب والمجلة والمذياع ، والتليفزيون ، والأحاديث الراقية . ونستطيع ان نقول فى نفس الوقت ان ـ الاباء الذين يشغلون مثل هذه الوظائف الراقية ما كان لهم ان يشغلوها لولا تمتعهم اصلا بالذكاء المرتفع ، ومن ثم انتقل الى ابنائهم بحكم الوراثة .

وتمدنا الدراسات التى اجريت على التوائم العينية او الصنوية وهى تلك التى تتكون من انشطار بويضه واحدة مخصبة فى " . والتى يمتاز توائمها باتحاد العامل الوراثى ـ تمدنا بكثير من المعطيات التى تفيد فى معرض الحديث عن تاثير العوامل البيئية والوراثية . ولما كانت الوراثة واحدة فى هذه الحالات ، فاننا اذا نقلنا احد التوائم ليعيش فى بيئة مغايرة للبيئة التى يعيش فيها شقيقه ، واذا لاحظنا بعد مرور بعض الوقت ، اختلافا فى نسبة ذكائهما لكان مرده الوحيد هو التاثير البيئى اما اذا لم نلحظ اختلافا لكان مؤدى ذلك ان البيئة لا تؤثر فى نمو الذكاء ، وانه يحدد بفعل العوامل الوراثية الصرفة .

ولقد وجد معامل ارتباط قدره ٨٨ر٠ بين نسبة ذكاء التوائم . ولكن هذا المعامل انخفض الى ٧٧ر٠ عندما كانت الحالات منعزلة كانت الحالات منعزلة بعضها عن البعض . ومعنى ذلك انه كلما زاد تشابه



الوراثة والبيئة زاد معامل الارتباط اى زاد تشابه الذكاء . والفرق الملاحظ بين معاملى الارتباط ٨٨ر٠ ، ٧٧ر٠ انما يرجع الى الظروف البيئة .

وتعطى الدراسات التى اجريت على اطفال التبنى ومقارنة مقدار التشابه بين ذكائهم وذكاء ابائهم الطبيعيين ثم ذكاء ابائهم فى التبنى توضح أن العامل الوراثى قوى فى تحديد الذكاء . ولكن اطفال التبنى الذين يتربون فى اسرة واحدة تكون النتيجة تشابه ذكائهم .

للمزيد من تنمية الذكاء

ومؤدى هذه الدراسات ان هناك تأثيرا ما للعوامل البيئية على نمو الذكاء . وهنا نتساءل : ما هى تلك العوامل بغية العمل على توفير المزيد منها لابناء امتنـــــا العربية ،؟ لقد وجد أن الطفل الذى يذهب الى احدى دور الحضانة يمتلك ذكاء أعلى من زميله الذى لا يذهب اليها ، على اعتبار لن دار الحضانة تمثل بيئة اكثر غنى من الناحية التعليمية عن البيئة المنزلية الصرفة للطفل . ولكن هذه النتيجة ليست على اطلاقها فقد ينحدر هؤلاء الأطفال الذين يذهبون الى دور الحضانة من اباء اكثر ذكاء اصلا ، واكثر تمتعا بالمراكز الاجتماعية والاقتصادية المرتفعة الذى يتحدد أصلا بفعل عوامل وراثية . إننا نحتاج الى معرفة كم ذكاء هؤلاء الأطفال انفسهم قبل الالتحاق بالحضانة ثم نقيسه بعد الالتحاق ، فان زاد كانت الزيادة نتيجة لتأثير دار الحضانة .

قد لا يهتم الاباء الاقل ذكاء بايفاد ابنائهم الى دور الحضانة . لقد دلت احدى الدراسات التى تتبعت الأطفال قبل وبعد الالتحاق بدور الحضانة ووجدت ان هناك زيادة سنوية فى متوسط نسبة الذكاء قدرها ٦ر٦ . ولكن تفسير هذه الزيادة قد يرجع الى تأثير الحضانة فى نمو الذكاء فعلا وقد يرجع فقط الى تدريب الطفل على اتقان الاجابة على الاسئلة وفهمها وفهم التدريب على مواقف الاختبارات .



ابتسامة عذبة

وهناك دراسات اخرى اوضحت ان البيئة المثبطة عقليا للطفل تؤدى الى انخفاض ـ نسبة ذكائه . فحرمان الطفل من الاتصال الطبيعى بالام الطبيعية او الام البديلة يخفض معدلات الذكاء . ومن الآثار الايجابية على نمو ذكاء الطفل مقدار الساعات التى يقضيها معه الأب وكذلك فرص اللعب البنائى امام الطفل ، وكذلك وفرة عدد من زملاء اللعب فى المنزل ، وعدد الساعات التى يقضيها الأب فى القراءة مع ابنه .

وفى ضوء هذا الاستعراض نقول ان العوامل الوراثية تضع الاطار العام او الحدود العامة التى ينمو خلالها الذكاء ، ولا يمكن تخطى هذه الحدود ، ولكن هذا لا يمنع من أن العوامل البيئية تؤثر ولو تأثيرا محدودا على نمو الذكاء . وتؤثر بالقطع فى كيفية استخدام الذكاء وتحدد الوجهة التى يتخذها ذكاء الفرد . فاما ان يتجه نحو الخلق والابداع والابتكار فى العلم والفن والتحصيل والأعمال الايجابية النافعة ، وإما أن يتجه نحو السرقة والجريمة والانحراف وخاصة تلك الجرائم التى تحتاج الى قدر كبير من الذكاء كالاختلاس والتزوير والتزييف والنصب والاحتيال . ومعنى ذلك ان الوراثة تعطى البذور الخام ، والتربة الصالحة هى التى تحدد إما ان ينمو الذكاء ويزدهر او يطمس ويندثر ، اما ان يرتقى بصاحبه الى مراتب الخير ، واما ان يتجه الى الشر والجريمة .

ومعنى ذلك ان الانسان ، بحق ، هو ابن البيئة والوراثة معا ، ونتيجة محصلة للتفاعل بين العوامل البيئية والعوامل الوراثية . ذلك لأن البيئة تؤثر فى الوراثة وتتأثر بها . ولكننا مهما كان أثر العوامل البيئية صغيرا فاننا لابد وان نتمسك به ونحرص عليه ونسعى لتحسينه وتطويره ، لأنه العامل الوحيد الذى نستطيع أن نعدله ونطوره أما الوراثة فان تغييرها امر صعب نسبيا وان كان هناك الان علم تحسين الوراثة .

ترى كم نحن فى حاجة إلى رعاية اطفال امتنا العربية واحاطة ذكائهم بالعناية والرعاية وحسن التوجيه وتوفير الاغذية والتحصينات الطبية والكتب والمجلات والمدارس والرحلات وغير ذلك من الامور التى تنمي ذكاؤهم وتوسع افاقهم ؟ .

د . عبد الرحمن العيسوى
أستاذ علم النفس بجامعة الاسكندرية

البلبل ولغته القديمة

شعر: د. كمال نشأت

يجيء عبر هذه الآفاقْ
وعُشه جناحُهُ
وقوته الاشواقْ
صوت : يابلبلى الجوَّال هل سعدت بالتجوالْ . ؟
فكم حننْتَ لهفةً لعشكَ المحَالْ
صوت : نسمع صوتَ الريحْ
تُعْوِلُ فى التلالْ
والبلبلُ الجريحْ
جناحُه تَرْحَالْ
صوت : كلهفةِ اليمامِ فى تشرينْ
يابلبلى المسكينْ
كم ليلة قضيتْ
تلتقطُ النجومَ بالمنقارْ
فيطلع النهارْ
ويضحكُ النسرينْ
غنَّيتَ فوق نينوى .. وبابلٍ .. وطيبَهْ
وطِرْتَ فوق هذه المدائنِ العجيبَهْ
وعدتَ بالسؤالْ
محترقَ الاجابهْ
وكلُّ ما يقالْ
تاكلُهُ الغَرَابَهْ
صوت : الريحُ فى مدارها تخفتُ .. بل تنامْ
وانت يا مجرَّحَ الاحساسِ لا تنامْ
فكن لنا السلامْ
وكن .. لك السلامْ
البلبل : حاولتُ ان اكونْ
واحسرتا .. أكونْ
نسيت كلَّ قدرتى
ولغتي القديمَهْ
وكلما حاولتْ
يقتلُنِى الغناءْ
فارتمى مكبَّلَ اليدينْ
وتنزف الدماءْ
كأننى الحسيْنْ
صوت : جَبَانَةٌ أوهامُكَ المطروحهْ
فكن كما خُلِقْتْ
النارَ والهشيمَ والمقدرةَ الطموحَهْ
وعُدْ الى لغاتِكَ القديمَهْ
فصمتُكَ الخَزْيَانْ
جريمةٌ الجريمهْ





الحياة والموت في بحر ملوّن

الحلقة السادسة والأخيرة

سجينة المرجان في انتظار الزيارة القادمة

بقلم : صنع الله إبراهيم

سجينة المرجان التى تنطلق من جلود لوامسها صواريخ فتاكة تلتف حول احدى الكائنات الدقيقة .

كان ثمة شيء غريب فى أمر الكتلة المستديرة فى حجم ثمرة بطيخ صغيرة الحجم ، التى استقرت بين صخور الشعاب تحيط بها المياه من اغلب الجوانب .

فعلى سطحها انتشرت شبكة من الأخاديد المتعرجة كالمتاهات ، او التلافيف التى يتشكل منها المخ الحيوانى ، استقرت داخلها سلسلة متصلة الحلقات من البوليبات المرجانية الصغيرة .

وبعكس اغلب البوليبات المرجانية التى تفرز جيرا صخريا يتشكل على هيئة كؤوس مستقلة تعيش داخلها ، اتصلت البوليبات المخية ببعضها البعض فى كيان واحد مترابط ، يكسوه النسيج الرقيق الملون للحيوان المرجانى .

ومن كل بوليب برزت ، لوامس مغطاة بخلايا لاسعة لا ترى ، تموجت فى مياه البحر فى حركة لاهية تخفى شهوة لا ترتوى للافتراس .

فبين الحين والآخر ، تنطلق من جلود اللوامس تلك الصواريخ الفتاكة المعهودة ، لتلتف حول احدى الكائنات الدقيقة العائمة ، او تخترق اجسادها فتخدرها ، ثم تجذبها الى الأفواه الدقيقة التى اصطفت على مسافات متباعدة فى قيعان الأخاديد ، وقد انفرجت لتبتلع ما يقدم اليها فى شراهة .

لكن هذه اللوامس لم تحرك ساكنا عندما حملت اليها المياه أنثى صغيرة للغاية من اناث الحيوان القشرى المشهور باسم السرطان .

لقطتان .. الأولى لقطة مكبرة لجانب من سطح كتلة المرجان المخي ، تبدو فيها البوليبات وقد اندمجت في تكوين على نسق شبكي .. واللقطة الثانية لنوع آخر غريب من سراطين البحر الأحمر ، لا تكاد تفرق بينه وبين كتل الطحالب

سجينة المرجان

وكأنما كانت السرطانة الصغيرة على ثقة من مسلك سكان الكتلة المرجانية ، فقد تقدمت فى جراة من سطحها ، ومضت تنتقل بين البوليبات ، وتعبر الأخاديد ، دون ان تعبا بما تحمله اللوامس من صواريخ على اهبة الاطلاق .

والواقع انها لم تخطىء التقدير ، فقد امتنعت الخلايا اللاسعة للمستعمرة كلها عن اطلاق قذائفها الفتاكة .

عثرت السرطانة على بقعة خالية من اللحم المرجانى الحى ، فدقت الجـــــدار الصخرى بكلابيها القويين ، وتساقطت على الفور بضع ذرات من الحجر الجيرى فى الماء ولم ينطلق صاروخ واحد .

واصلت السرطانة العمل فانتزعت الذرات المجاورة فى خط دائرى ، صانعة حفرة دقيقة للغاية اتسع محيطها بأطراد حتى اصبح مساويا لمحيط جسدها . عندئذ تحولت الى مركز الحفرة وجعلت تحفر الى الداخل .

شعرت بالتعب بعد قليل فكفت عن العمل وابتعدت عن الحفرة التى لم تتعد ـ حتى الآن ـ كشطا بسيطا فى سطح الجدار . دارت حول الحفرة عدة مرات تـدرسها بدقة وهى تزيل ما يعترضها من ذرات ناتئة غفلت عنها اثناء الحفر ، ثم عادت اليها فجمعت جسدها كله داخل اطارها ، والتصقت بالقاع فى شدة ، منكمشة على نفسها .

واصبحت بذلك ، لأول مرة ، فى مأمن ـ الى درجة ليست بعد بالكافية ـ من عشرات الأخطار التى تهدد جنسها ونوعها .

عضها الجوع بعد فترة من الوقت ، فتحركت كارهة وهامت على وجهها فوق سطح المستعمرة والتكوينات الصـــخرية المجاورة ، تلتقط ما يعترضها من كائنات اصغر منها ، من ديدان ويرقات وبيض اسماك وقواقع وصغار جمبريات وبراغيث بحرية وطحالب . وعندما ملأت بطنها ، عادت الى حفرتها ، فاستأنفت العمل .

كل هذا دون أن تطلق اللوامس صاروخا واحدا من صواريخها على المتطفلة الجريئة

الحياة المشتركة

مرت الأيام والسرطانة تعمل فى حماس ، تدق الجدار وتنتزع صخوره الدقيقـــة ، فتلقى بها إلى الماء ، وتدق الجدار من جديد ، متقدمة بداب من أعماق الكتلة .

وامكنها اخيرا ان تختفى تماما ، داخل الحفرة ، عن اعدائها الكثيرين الذين يجوبون الماء ليلا ونهارا ، فتنفست الصعداء لأول مرة فى حياتها .

لكنها لم تكف عن العمل ، وواصلت الحفر بحماس متزايد ، كأنها فى عجلة من أمرها .

وخلال ذلك بقت البوليبات على تجاهلها للسرطانة المتطفلة ، وحرصت فى الوقت نفسه على ان تجنبها نيران اسلحتها الفتاكة التى كانت تنطلق اغلب الوقت فى كل اتجاه .

وبدا كان المستعمرة الصـــغيرة على استعداد لقبول الحياة المشتركة مع السرطانة المتطفلة ، التى اوحت كل تصرفاتها بانها تستعد لاقامة طويلة الأمد .

والواقع ان البحر يعرف نماذج عديدة من الحياة المشتركة بين كائنات مختلفة من انواع متباينة ، لا يربط بينها شىء فى الظاهر ، بينما هى تتبادل اكثر المصالح حيوية . فالبعض يهيىء المأوى ويقدم الثانى الغذاء او الحماية ، كما هو الأمـــر بين الشقائق البحرية وسمكة المهرج ، وبين المرجان اللين والطحالب السمراء ، او يتولى الاول التنظيف ويقدم الثانى الطعام كما يحدث بين اسماك القرش ومرافقيها ؛ ويتجنب كل من الطرفين الحاق الأذى بالطرف الآخر .

بل إن مجموعة كاملة من الحيوانات المختلفة كانت تشترك فى جحر صغير على مقربة ، الى جوار دغل من مرجان داكن الحمرة ، ذى فروع كبيرة لاسعة ، يعرف بين سكان الشواطىء العربية بالمرجان الأسود ، بسبب اللون الذى يتبدى عليه عندما ينتزع من الماء .

فعلى باب الجحر ، اعتمدت سمكة مستطيلة من نوع الجوبى ، لا يتجاوز سمكها أصبع انسان ، على الصخر ، وقد ارهفت حواسها لكل ما يجرى حولها . ومن فتحته برزت لوامس نوع من الجمبرى يسمى بالمطقطق بسبب الاصوات التى يحدثها ، عكف على توسيع الجحر وتطهيره اولا باول من الرمال التى تحملها إليه المياه .

وسرعان ما يظهر الجمبرى نفسه ، الذى يربو طوله على خمسة سنتيمترات ، دافعا امامه كوما من الرمال ، فيتطلع حوله بعينيه الضعيفتين ، فاذا ما راى الجوبى اطمأن والقى بالكوم فى الماء ثم ضم فكى احدى كلابيه محدثا فرقعة مدوية ، كأنما ينذر من تسول له نفسه الاقتراب ، ويعود ادراجه داخل الجحر .

اما اذا لم تكن الجوبى فى موقعها الثابت امام الجحر ، اوحى ذلك بالخطر ، فيتراجع الجمبرى على الفور ، بينما تكون الجوبى قابعة فى مخبأ قريب حتى ينجلى الأمر .

وبالاضافة الى انثى الجمبرى يضم الجحر زوجا من نوع اخر من الجوبى ، اكثر طولا ونحافة وشفافية من السمكة الأولى ، لا يظهر خارجه الا لماما .

كما يعيش به سرطان ، وعدة ديدان من عائلتين مختلفتين .

ويمكن تصور مجموعة المنافع المتبادلة التى تربط بين افراد هذه المجموعة من السكان المشتركين فى المأوى . فالسرطان يحفر والجمبرى ينقل نتائج الحفر الى الخارج ، والجوبى تتولى الحراسة ، والدود ينظف ، وهناك من يجلب الطعام ، الخ .

الرابطة القوية

لكن الأمر ليس دائما بهذه البساطة .

فكثيرا ما تكون العلاقات المشتركة على درجة من التعقيد ، لا تكشف عن طبيعة المصالح المتبادلة التى تبررها .

مثلما هو الشأن بين بوليبات المرجان المخى والسرطانة الصغيرة المتطفلة .

فمن الجلى ان الاولى تقدم للثانية مأوى امنا تحرسه ترسانة من السهام المسممة . فماذا تقدم السرطانة مقابل ذلك ؟ وما الذى تستفيده البوليبات ويجعلها تغض الطرف عن تحركات السرطانة وعدوانها على جدران المستعمرة ؟

ما يبدو لك مثل الوردة ليس إلا شريطا ملفوفا يضم عدة آلاف من بيض إحدى القواقع المعروفة بالحلازين البحرية



لقطة مكبرة لراس السرطان الناسك ، التى يمتد منها قضيبان بارزان يحملان العينين فى نهايتهما وكأنهما كرتان زجاجيتان .

إنها بالطبع لا تقدم الغذاء اليومى التى تجمعه البوليبات بسهولة من المياه المحيطة بها ، دون أن تغادر اماكنها .

وهى لا تقدم لها خدمات اخرى ظاهرة مثل التنظيف او الحراسة . ويوحى مسلكها كله بانها لا تكاد تشعر بوجود البوليبات ، ولا تعبأ بها .

فهى تقضى وقتها فى الحفر داخل الكتلة المرجانية ، ثم تغادر الجحر لتتغذى او تتريض ، فاذا ما شعرت بالخطر عادت اليه مسرعة .

وفيما عدا حرص البوليبات على الا تتعرض السرطانة لسهام لوامسها ، تبدو غارقة فى تيار حياتها الخاصة ، كانما تشارك الحيوان القشرى الصغير مشاعر التجاهل واللامبالاة .

فبالنهار تطوى لوامسها ، وتنكمش وتنقبض . وبالليل تتمدد وتنبسط ، وتنشر لوامسها فى الماء ، لتكبل وتلسع وتصيد . وعندئذ تنفرج الأفواه لتبتلع الفرائس ، ثم تتقلص الأجساد او البطون لتهضم ، وتتقلص مرة ثانية لتضغط الطعام المهضوم الى اسفل ، كى ينساب الى بقية البوليبات عبر القناة الهضمية المشتركة . وتتقلص مرة ثالثة لتضغط المخلفات الى اعلى ، لتخرج من نفس الاماكن التى جاءت منها ، اى من افواه البوليبات .

وهى نشاطات لا تمس السرطانة من قريب او بعيد .

على أن رابطة قوية للغاية وصلت بين الأثنين فى علاقة متينة سداها وحدة المأوى ولحمتها وحدة الهدف .

فالكتلة الصخرية التى تحتمى السرطانة باعماقها ، تقوم ايضا بمثابة الدرع للبوليبات الصغيرة الرقيقة . وكلما ازدادت جدران الاخاديد ، ارتفاعا ، وتضاعف حجم الكتلة نفسها وثقلها ، امكن للبوليبات ان تتقى فعل الامواج والعواصف والحيوانات الحافرة كالاصداف ، او تلك التى تسعى خلف النسيج الرقيق الملون ، المغلف للمستعمرة ، مثل بعض الاسماك والنجوم البحرية .

من اجل هذا تحول خلايا البوليبات املاح الكالسيوم التى تمتصها من الماء إلى مادة جيرية ، تفرزها الجلود الخارجية لاجسامها فتتراكم فى قيعان الأخاديد ، مضيفة طبقات جديدة الى الكتلة الصخرية للمستعمرة .

ويظهر اثر هذه الاضافة على جدران الغرفة السرطانية والممر المؤدى اليها ، فتدافع الساكنة الصغيرة عن المساحة التى تسمح لها بالحركة ، وتنتزع من الجدار طبقة رقيقة بدلا من التى أضيفت إليه .

وفى اثناء ذلك لا يتوقف جسد السرطانة عن النمو . فاذا ما شعرت بضيق الجدران انتزعت طبقة اخرى منها .

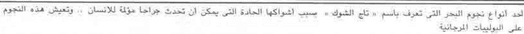
وهذا ما يفسر استمرارها فى دق الجدران ونبشها بعد ان اكتمل حفر الجحر .

وتشعر البوليبات بهذا الدق والنبش ، كما يشعر الانسان بأى طرق على جدران مسكنه من الجيران .

والانسان ينفعل بصورة خاصة اذا ما وقع الطرق اثناء الليل أو وقت القيلولة ، بسبب ما يتعرض له من ازعاج . ويؤدى هذا الانفعال إلى افراز اضافى من مادة الادرينالين فى جسمه .

ويحدث شىء مشابه للبوليبات عندما تدق السرطانة الجدران وتنبشها . فهى تنفعل بشدة ، اما نتيجة الشعور بالخطر ، او لان نشاط السرطانة يحدث تاثيرا مهيجا على الأغشية الخارجية لاجساد البوليبات

وايا كان السبب ، فان نشاط السرطانة



احد انواع نجوم البحر التى تعرف باسم « تاج الشوك » بسبب اشواكها الحادة التى يمكن ان تحدث جراحا مؤلمة للانسان .. وتعيش هذه النجوم على البوليبات المرجانية



سجينة المرجان

يؤدى الى مضاعفة الافرازات الجيرية لجلود البوليبات المرجانية ، فترتفع جدران الاخاديد بسرعة ، ويزداد حجم الكتلة الصخرية للمستعمرة .

وليس من الصعب ان نتتبع تاريخ العلاقة بين النوعين الذى يمتد عبر ملايين السنين .

ولابد لذلك من ان نفترض يوما فى قديم الزمان ، هبت فيه عاصفة على البحر ، وحملت الامواج الثائرة سرطانة من النوع الذى يمتهن الحفر فى الصخور إلى سطح مستعمرة من المرجان المخى .

وعلينا ايضا ان نفترض ان ذلك تم بالنهار ، عندما تنكمش البوليبات وتطوى لوامسها . كما ان العاصفة ضاعفت من انكماش البوليبات وجعلتها تعزف عن مهاجمة الزائرة الغريبة وافتراسها .

هكذا وجدت السرطانة الفرصة لأن تمارس نشاطها الغريزى فى الحفر . وعندما انجابت العاصفة وحل الظلام كانت قد

إلى أعلى : نوع من خيار البحر يصل طوله إلى ربع المتر ، ويستخدم لوامسه الطويلة في إمساك الكائنات التي يعيش عليها الحيوان .. وإلى أسفل : سرطان حمل على ظهره شقيقين بحريين ليحتمي بخلاياهما اللاسعة ، أما هما فيتغذيان على ما يجمعه السرطان من كائنات دقيقة

سجينة المرجان

تمكنت من اعداد حفرة سطحية ، فاصبحت بمنجاة من سهام البوليبات .

وسرعان ما اكتشفت البوليبات انها تستريح للاثر الذى يحدثه وجود السرطانة ونبشها فى الجدران ، كما تبينت الاخيرة ما يتحقق لها من امان فى ظل الصواريخ البوليبية .

ولاشك ان هذه التجربة تكررت بعد ذلك بين الأفراد المختلفة للحيوانين ، وفى ظروف متباينة .

الا أن الامر تطلب عدة آلاف من السنين ، واعدادا هائلة من ضحايا السراطين الحافرة قبل ان تتحول هذه الاكتشافات الى شيء كالغريزة ، تتوارثه الاجيال المتعاقبة للحيوانين ، يدفع السرطانة الحافرة الى الالتجاء فى اطمئنان الى مستعمرات المرجان المخى ، ويجعل البوليبات تتقبلها فى ترحاب .

وخلال ذلك تبينت البوليبات العـــلاقة الوثيقة بين الدغدغة اللطيفة التى تقدمها اليها السرطانة ، وزيادة افرازاتها من الجير كمـــا اكتشفت السرطانة الدور الحاسم الذى يمكن ان تلعبه المستعمرة فى تحقيق اسمى اهداف حياتها ، الا وهو المحافظة على النوع .

استمرار النوع

ومن الواضح ان هدف المحافظة على النوع لم يغب عن سرطانتنا منذ اللحظة التى استقرت فيها على سطح المستعمرة المرجانية .

واية ذلك انها كانت تعمل اغلب الوقت فى توسيع الجحر وتسوية جدرانه ، وتحرص على ان تبقى فتحته على شكلها الدائرى ، فتزيل بكلابيها ما يتراكم حولها من شوائب او ذرات جيرية ، دون ان تحفل بتوسيع الفتحة ذاتها لتتناسب مع نمو جسدها .

وبمرور الأيام اصبحت تمر من الفتحة ـ فى دخولها وخروجها ـ بصعوبة متزايدة . لكنها لم تفكر ابدا فى ازالة بعض من جدارها .

وذات يوم عادت من احدى جولات التغذية ببطن ممتلئة ، فعجزت عن دخول الجحر ، ولم تتمكن من اقتحام فتحته الا بعد جهد جهيد .

وعندما أرادت الخروج فى الصباح التالى لم تتمكن .

لم يبد عليها انها انزعجت لهذا التطور الذى جعل منها سجينة الى الابد . فقد كرت عائدة إلى أعماق الجحر حيث استقرت فى هدوء .

والواقع أن الانزعاج لم يكن له مبرر ، طالما أنها كانت تسعى ـ منذ البداية ـ لهذه الغـــاية .

ففى هذه اللحظة أصبحت لأول مرة ـ انثى كاملة النمو ، قادرة على القيام بالدور الغريزى الذى يتوقف عليه استمرار النوع .

الاشياء تتغير

تغيرت اشياء كثيرة فى حياة السرطانة السجينة .

واول هذه الأشياء يتصل بطعامها . فلم يعد بوسعها ان تخرج للبحث عنه . واصبح عليها ان تكتفى بما تحمله تيارات الماء إلى داخل الجحر من كائنات دقيقة فضلا عن الاكسجين المذاب ، وهى نفس التيارات التى تاخذ معها ما يتخلف عن السجينة من نتائج لعملية الهضم .

وتغير ايضا شكل جسدها ، فقد تركز نموه على منطقة البطن (كى تتسع لعدة الاف من البيض) ، واخذت سيقانها تذوى ، بعد ان فقدت وظيفتها .

وسرعان ما ضاقت عليها القشرة الخارجية التى تكسو جسدها ، والمكونة من مادة تشبه مادة اظافر الانسان . واثار ذلك ضيقها ، كما ادى الى توترها . وبدات حرارة جسدها ترتفع ، فسرى الجفاف إلى القشرة حتى اوشكت ان تنفصل عن جسدها . وبدت ذات صباح وكان الجنون قد اصابها .

فقد جعلت تهز ارجلها بعنف ، وتحك كل واحدة منها بالاخرى ، ثم تحرك بطنها فى حركات فجائية ، وتثنى جسدها عند منطقة اتصال البطن بالصدر والراس .

وادت هذه الحركات إلى حدوث شق عرضى بالقشرة فى المكان الذى يفصل البطن عن الجزء الأمامى من الجسم المكون من صدر وراس مندمجين . ومن الشق الناشيء خرجت السرطانة من القشرة ، كما تخرج يد بشرية من قفاز متيبس .

تكومت القشرة المخلوعة إلى جوار ارجلها التى لم تتحرر بعد من لباسها وحركت السرطانة بطنها من جديد فظهر شق متسع على قشرة كل ساق .

اقبلت تحرر سيقانها ، واحدة بعد الاخرى ، وبينما هى تجذب الساق الثالثة ، فوجئت بها تنكسر ، وتتدلى من جسدها .

كفت عن الحركة ، وجعلت تتامل الساق المكسورة وتتحسسها ببقية سيقانها . وحزمت امرها اخيرا ، فضغطت عضلة خاصة قرب اتصال البطن بالساق ، وادى الضغط الى ثنى الساق بقوة وقصفها . وبحركة خفيفة من جسدها امكنها ان تفصل الساق نهائيا ، فالقت بها فى الماء .

ظهرت نقطة من الدماء فى موضع البتر ، لكن السرطانة لم تعبا بالامر . فلا تلبث الدماء ان تتخثر وتجف ، ثم ينغلق مكان الجرح بغشاء محكم ، وتنمو ساق جديدة .

وجهت السرطانة اهتمامها إلى استكمال نزع القشرة من بقية السيقان . وانتهت من ذلك بعد قليل ، فوقفت عارية تماما ، بينما جرفت المياه القشرة المخلوعة إلى الخارج .

وكانما تمثل هذه القشرة اشارة متفقا عليها فى عالم السراطين ، فسرعـــان ما تجمعت فى المياه ، وفوق الصخور ، المحيطة بالكتلة المرجانية ، اعداد متزايدة من ذكور السراطين التى تنتمى لنفس النوع الحافر ، وان كانت اصغر فى الحجم بكثير من الانثى السجينة .

اقتربت الذكور فى حذر من الكتلة المرجانية ، وعندما لم تتعرض لاذى من البوليبات النشطة ، تشجعت واتجهت صوب الجحر .

كانت احجامها الصغيرة تسمح لها بالمرور فى سهولة من فتحة الجحر . لكنها ظلت تحوم حولها دون أن يفكر أحد فى اقتحامها ، كانما تنتظر اشارة اخرى .

وفى الداخل ، كانت الانثى ذات البطن المنتفخة بالبيض تقبع عارية فى انتظار نمو القشرة الجديدة .

ولاشك انها شعرت بوجود الذكور فى الخارج ، وان ذلك اثار انفعالها ، وادى إلى زيادة افراز الهرمونات المسئولة عن النمو ، وبالتالى ترسيب كميات أكبر من الاملاح الجيرية تساعد على تصلب القشرة المغلفة لجسدها .

وظهرت القشرة الجديدة بعد يومين وقد ازدانت بزركشة خاصة براقة ، اشارة الى ان صاحبتها قد نضجت وتاهبت للتزاوج .

وهى الاشارة التى تلقتها الذكور المنتظرة فى الخارج بطريقة ما ، فتدافعت جميعا على

باب الجحر ، وكل منها يحاول ان يسبق الآخر .

ولم يكن ثمة مفر من أن تقوم بينها معركة عنيفة بالكلابات ، استمرت عدة ساعات وانتهت بانتصار واحد منها .

واقتحم المنتصر فتحة الجحر فى زهو ، وتقدم بسرعة الى حيث وقفت السرطانة تنتظر .. وتم اللقاء ..

ولم يلبث البيض الملقح فى جسد الأنثى أن انزلق خارجه ، وانحدر على أرجلها المتصلة بالبيض .

الحاجة للطعـــام

فى هذه الأثناء ، كانت حمى المحافظة على النوع قد أصابت البوليبات المرجانية بالمثل ، فانقسمت الخلايا التناسلية الأولى للبوليبات الذكرية انقسامات عديدة متتابعة تمخضت عن حويصلات تحوى الغـــدد المنوية .

وتوالت الانقسامات داخل كل حويصلة ، فكبر حجمها وبرزت من الجدار الداخلى للبوليب وتدلت فى التجويف الهضمى او المعدة ، ثم سقطت داخله ، وظلت الحويصلات طافية داخل البوليبات إلى ان تم نضوجها فانفجرت مطلقة الحيوانات المنوية ، التى تدافعت نحو فم البوليب ومنه إلى الخارج .

وحدث نفس الشىء فى البوليبات . الا ان البويضات امتصت ، أثناء تكونها فى الجدار كميات كبيرة من الغذاء من الخلايا المحيطة بهـــا ، فكبر حجمهـــا كثيرا . وعنـــدما سقطت فى بطن البوليب ، تجلت داخل كل منها نواة كبيرة يربو قطرها على نصف ملليمتر .

وطفت البويضات المحملة بالمح فى التجويف البطنى ، صاعدة إلى أعلى ، حيث يوجد فم البوليب . لكن فتحة الفم كانت اضيق من أن تتسع لأجسامها الكبيرة ، فسقطت فى القاع .

وتكرر صعود البويضات وهبوطها ، مما أدى إلى استطالة أجسادها ، فاتسعت لها فتحة الفم الدقيقة .

خرجت البويضات من فم البوليب فرادى تفصل بين الواحدة والاخرى عدة دقائق ، وتلقفتها اللوامس على الفور ، فاحتوت كل واحدة لمدة دقيقة او اكثر ، ضغطت عليها خلالها ضغطا خفيفا ، ثم اخلت سبيلها فى الماء ، وقد استعادت شكلها الكروى الذى سيمكنها من استقبال الحيوانات المنوية الذكرية .

لكن مصير البويضات يتحدد فى الواقع طبقا للقوانين السائدة فى عالم البحر . فالى جانب دورها الرئيسى فى الابقاء على النوع فانها تقوم بدور اخر لا يقل اهمية ، اذ تتصدر قائمة الطعام التى تعيش عليها كائنات عديدة مثل السراطين .

وفى هذه اللحظة بالذات ، كانت سجينة المرجان فى اشد الحاجة إلى هذا اللون من الطعام .

فككل الحوامل من جميع الكائنات ، تفتحت شهيتها للطعام بعد اتمام التلقيح والاخصاب ، ولم تعد الموارد العادية التى تحملها إليها المياه تكفى لتغذيتها وتغذية البيض النامى على ارجلها .

وحملت اليها المياه ـ فى الوقت المناسب ـ اعدادا غفيرة من بيض المرجان .

اليوم الموعود

استمر الحمل شهرا كاملا .

وخلاله كانت السرطانة تقوم يوميا بحركات رياضية معينة ، تتارجح فيها إلى الامام ، والخلف ، حتى تساعد على تهوية البيض المدلى من ارجلها فى عناقيد كعناقيد من عنب دقيق الحجم .

واخذ لون كتلة البيض يتحول إلى اللون الرمادى ، ليعلن عن استعداد الصغار للحياة .

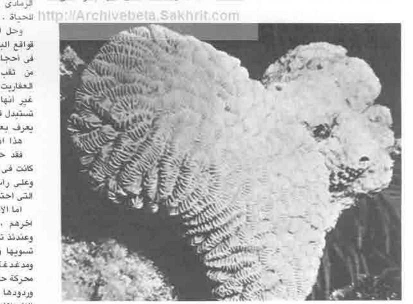
وحل اليوم الموعود اخيرا ، اذ انفجرت فواقع البيض ، وخرجت منها مئات اليرقات فى احجام ضئيلة للغاية تسمح لها بالمرور من ثقب الابرة ، واشكال اقرب إلى العفاريت ، لاتمت بوجه شبه لاى من ابويها غير انها لا تلبث ان تاخذ شكلها بعد ان تستبدل قشرتها الخارجية عدة مرات ، فيما يعرف بعملية الانسلاخ .

هذا اذا ما بقيت على قيد الحياة .

فقد حملتها المياه الى الخارج ، حيث كانت فى انتظارها مختلف الاحياء الجائعة وعلى راسها البوليبات المرجانية ذاتها ، التى احتضنت ورعت خروجها الى الحياة .

اما الام فقد تابعت صغارها حتى اختفى اخرهم ، واصبحت بمفردها من جديد ، وعندئذ تحولت الى جدران محبسها الأبدى تسويها وتزيل ما تراكم عليها من جير ، ومدغدغة بذلك قواعد البوليبات وجلودها ، محركة حلقات السلسلة الخالدة من الافعال وردودها ، منتظرة فى صبر وسكينة موعد الانسلاخ التالى ، والزيارة القادمة للذكور !

صنع الله ابراهيم



لقطة نادرة لمستعمرة من نوع اخر من المراجين المخية

عبد القادر درويش
٥٠ عامًا مع الشعر ولا يزال مجهولا!

بقلم: يوسف محمد سليمان



عبد القادر درويش

إذا خطر ببالك يوما أن تزور «سورية» .. ربما راق لك أن تعرج على منطقة الساحل السورى فى زيارة لبلدة « الدريكيش » التى تبعد ٣٦ كليومترا عن شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، والتى تشتهر بمياهها المعدنية . إذا أتيح لك زيارة « الدريكيش » ، لا تنس أن تمر فى طريقك بمبنى « محكمة الصلح » . أمام باب المبنى ، سوف يلفت نظرك شيخ محدودب ظهره قليلا .. يجلس إلى طاولة صغيرة قديمة فوقها أوراق وأقلام .. وعن يمينه ويساره أناس ينتظرون نافذى الصبر :

ـ بسرعة شوية يا عم عبد القادر ..

والعم عبد القادر مستغرق فى كتابه « العرضحالات » .. فاذا انتهى من واحد ، اطرق على « العرضحال » الآخر . وهكذا .. إلى أن يحصل كل صاحب حاجة على « ورقته » .. ثم يمضون دون أن يعرفوا أن الذى كتب لهم شكاواهم ، وصاغهـا ، ووضع فيها من إحساسه ، وعبر عن مضمونها بما يقنع « القاضى » أو « المسئول » هو : الشاعر الكبير المجهول عبد القادر درويش .

هذا الشاعر الذى يكتب شكاوى الناس .. دون أن يفصح هو عن شكواه لأحد .. عرفته منذ طفولتى . تتلمذت على يديه فى دراسة قواعد النحو والصرف . وجاس بى في مجاهل التراث . ولا زلت أنهل من ينابيعه المتدفقة فى اللغـة العربية وقواعدها وتراثها وبقية الروافد الأخرى . فهو يتقن اللغة الفرنسية قراءة وكتابة ، بل هو ينظم بها بعض قصائده .

ذات يوم سألته : لماذا لا يعرفك القراء شاعرا ؟!

قال : اننى لم اطرق أبواب الصحف بقصائدى . اننى أكتفى بالكتابة . واستطرد : انا عاشق للوطن على طريقتى الخاصة . لا أريد جـزاء ولا شكورا . واحب ان أعطى حتى اموت .

قلت : معنى ذلك انك غير عاتب على وسائل النشر .

قال : إطلاقا . فلم يسبق لى أن أرسلت قصيدة من قصائدى ، أو مسرحية من مسرحياتى الشعرية إلى أية وسيلة من وسائل النشر داخل سورية أو خارجها .

قلت : أنت تكتب الشعر منذ نصف قرن . وقد عاصرت مراحل النضال ضد الاستعمار الفرنسى ، وحملت السلاح دفاعا عن الوطن ، وعاصرت مشكلة فلسطين ونكبتها عام ١٩٤٨ ، والعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ونكسة حزيران ٦٧ ، وحرب اكتوبر ٧٣ . إننى أعرف ـ بحكم قربى منك ـ أنك بكيت آلام الأمة العربية وغنيت أفراحها .. فكيف تحجب كل تجاربك الشعرية عن الناس ؟!

قال دون أن يبدو عليه انه منزعج من الكلمات الأخيرة فى السؤال : ما يستفزنى حقا هو الكتابة .. اما النشر فما اهتممت به قط !

● ●

دار هذا الحديث بينى وبينه فى بيته المسقوف بخشب البلوط والسنديان . المبنى بالحجارة والطين . الموشك فى كل لحظة ان يقع على رءوس ساكنيه ، أو هكذا يبدو .

إن الرجل فقير .. فقير . يأكل لقمته بعرق جبينه ، لكنه ترى بتعففه وحبـه لوطنه وزهده فى المال والشهرة . ولد الشاعر المجهول فى عام ١٩١٧ . وبدأ كتابة الشعر وعمره ١٦ سنة . حين قلت له : سأكتب عنك فى مجلة « الدوحة » فبماذا تقدم لقرائها نفسك ؟

أجابنى ببيت من الشعر قاله عام ١٩٦٠ :

نسبى دمى ، والضاد تزخر فى دمى
ومن الخليج إلى المحيط حـدودى

● ●

لا أريد أن يستغرقنى الحـديث عن الشاعر ، بعيداً عن شعره . فقصائده هى ذاته الشاعرة . ولابد أن القارىء مشوق إلى أن يتعرف على نوع هذا الشعر الذى كتبه صاحبه فقط ، دون أن يعنى بنشره . ولست هنا اتحرى كل ما كتب الشاعر . فان دواوينه المخطوطه كثيرة . وكذلك المسرحيات التى كتبها شعرا . سوف أختار نماذج تدلنا عليه ، وفى الحدود التى تتحملها إشارة لا دراسة .

فرحـة العيد

فى احتفالات الجلاء عام ١٩٥٧ كتب

الشاعر قصيدة مؤلفة من مائة وخمسين بيتا هاجم فيها الاستعمار ، وندد بالعدوان الثلاثي .. من هذه القصيدة نختار هذه الأبيات :

فرحة العيد لا تحـل المشـاكل
والهتافات لا تـؤدى لطائـل
موطنى لا يرى إذا ما هتفنـا
بالصـدى بعث امة أو فضـائل
مغرم يعشـق الفداء خلـوداً
والضحايا مهشومـة بالزوائـل
كلمـا جندلت بنيه العـوادى
راح يفتـر عن تباشير عاقـل
بالشابيب من دمـاء أطلت
يغسـل العـار عن تراث الأوائل

ولا ينسى الشاعر « الشهداء » مشاعل النور :

ينهـل المجد من جراح شـهيد
خر يروى مقـدس الترب وابل
يا بقايـا دمـاء حـر أبـى
نـورى الـدرب للشـباب المناضل
يقبس الشـعب بالسناء سـبيلا
للبقاء الحـرون عبـر النـوازل
قـدرة تهـزم الغـزاة وعـزم
لـو أصـاب الحديد لانجاب سائل

والشاعر يصف الاستعمار ، وحالة الشعوب فى ظروف الاستعمار . فالمستعمرون لا يفهمون غير لغة الرصاص . لكن الشعوب لا تستسلم ، بل هى تطلب الموت لتحصل على الحياة :

إن يشـا بالسياط أفرى جلـودا
أو يشـا بالرصاص أفنى القبائـل
فانبرى الشـعب والأناة تـوارت
ثائـرا حـن للـردى كـي يغـازل
يقـذف الظلم بالشـباب أسـودا
يا فـدت مهجتي الشباب المناضـل
نحـن من صفـوة الجدود اقتبسنـا
عـزة النفس مـن قصى ووائـل
مصر تابـى القيـود والغرب الـى
لن تظل القنـاة سلك الحبائـل
هـدد النيـل لـن أسـيل اذا مـا
طاطات مصر رأسـها للمسـاحل
وأبو الهـول واجـم يرقـب الأمر
ويصغى جيـدا لمغـزى الرسـائل
والقنـاة الحـرون معـلاق حـرب
رابط الجاش للمغيريـن هائـل
ثغرهـا الضاحك الجميـل المفـدى
فاغر فـاه لابتـلاع الجحافـل

ونكتفى بهذا القدر من تلك القصيدة الطويلة التى يتحدث فيها الشاعر عن حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وكيف أنها حرب عربية ، إذ أن شئون مصر لا تهم مصر وحدها .. إنها قلب الأمة العربية . واستشهاد «جول جمال» السورى ، ليس إلا تعبيرا عن وحدة الدم العربى .

إن الشاعر عبد القادر درويش شديد الحماس والتعلق بعروبته ، وإن أحلامه التى تراوده دائما ، هى أن يرى الأمة العربية قد انتصرت على أعدائها . إنه ـ بالرغم من هول النكسات والانشقاقات العربية ـ مؤمن بأن الشعب العربى سوف ينتصر :

عـرب نحـن فيا ذكـرى اشـهدى
ثارنـا نـار وطوفـان ودم
فيهـا السـارى نـداء سريـه
يصـدع الدنيـا .. الى كل الأمم
إن شـعب الضـاد بـاق سـيدا
رغـم انـف الدهـر حـرا محترم

روح الدعابة

كتب الشاعر عبد القادر درويش فى كل الموضوعات ، فلم يقتصر شعره على الوطنيات فحسب . كتب فى المشكلات الاجتماعية . وكتب فى المديح والرثاء والهجاء والغزل .

ومن يجلس مع الشاعر .. يحس دفء حديثه ورقته وعذوبته وحضور النكتة ، وروح الشباب التى يتمتع بها بالرغم من تجاوزه الرابعة والستين من عمره .

حدث أن الشاعر اختلف مع زوجته ، فكتب قصيدة يهجوها بها . ومن الطريف أنه لم يشا أن يسمعنى إياها فى غير حضور زوجته ، التى كانت تنصت معى وهى تبتسم سعيدة به وبما يقول :

فوت كما قد عشت أمسح حسرتـى
بصبر .. وأزجى آهـة بعـد آهـة
جميـلا أرى هذا الوجـود .. وشيقا
وما فيـه من شر سوى لـؤم زوجتـى
فيا رب أدخلنى جهنـم مبعـدا
شقيا اذا أدخلتها حوض جنـة

فى عام ١٩٤١ التقى الشاعر عبد القادر درويش ، بالشاعر الراحل الكبير بدوى الجبل فى حفل تأبينى . وقد ألقى عبد القادر قصيدة فى تلك المناسبة أثارت إعجاب «الجبل» حتى أنه نهض من مكانه ، واتجه اليه ليطبع قبلة على جبينه ، وهو يقول له : هذا البيت فى قصيدتك لم أقرأه لشاعر من قبل . وكان هذا البيت يقول :

سجى الصمت لا صمت القبور متى سجى
ولكنـه صمـت النفوس المؤثـر

والذى أعجب «بدوى الجبل» فى هذا البيت هو «صمت النفوس المؤثر» إذ اعتاد الشعراء أن يقولوا «صمت القبور الرهيب» : لقد صور الشاعر الأحزان الخرساء فى صمت النفوس .

لا أظننى فى هذه السطور أكون قد وفيت الشاعر حقه . إنها فقط بصيص من الضوء على شعره ، وما أكثر القصائد التى لن تتسع لها هذه المساحة . لكن أردت أن أنوه بشاعرية شاعر يعيش بيننا .. أثر الظلال ، ونحن نريد لشعره أن يرى النور ، وللشاعر أن يجنى بعض ثمرات العناء فى صمت ، وعلى مدى خمسين عاما .. بعض الجنى فى حياته . حقا إنه ليس مشغولا بهذا الأمر . كل ما هو مشغول به أنه انسان محب وعاشق للوطن وللناس ، ذلك العشق الصوفى الذى يغنى فى المحبوب :

يا بطـولات تسـامى مجدهـا
يـوم حطيـن وذى قـار العجـم
وعلـى اليرمـوك سـل أو لا تسـل
ما صدمنـا جحفـلا إلا انهـزم
يا بـلادى لا تلومـى .. إننـا
قسـما بالضـاد لن ننسى الذمـم

وأخيراً

قلت للشاعر المجهول عبد القادر درويش وأنا أودعه الى صياغة هذا الموضوع :

● بعد هذه الرحلة مع الحياة والشعر والظلال .. بماذا يحس الشاعر ؟

قال :

يحس الحـب من نعـم الليالـى
ولـو يجزى علـى حـب ببـؤس

يوسف محمد سليمان ـ سورية





معايا الفل والياسمين ..

طرق النداء سمعها وهى تسير .. بدا لها غريبا ، ومدهشا ومبهجا .. لكنه بدا فى نفس الوقت كخدعة ، او كاغنية جميلة قد تضلل القلب الوحيد .. الحزين ..

ياعاشقين الفل والياسمين ..

كان المنادى بائع زهور يدفع امامه عربة خشبية صغيرة بعجلتين ، مليئة باصص فخارية مزروعة بمختلف انواع الازهار ، ما ان رأتها حتى تذكرت على الفور حوض زرع فى شرفة شقتها خال منذ شهور كان منظر هذا الحوض الخالى يعمق الحزن فى قلبها لهذه الغيمة السوداء الثقيلة التى هبطت على حياتها مع زوجها . اصبح كل منهما يحس ان حياتهما معا باتت كهذا الحوض الخالى . كان ذلك كئيبا ومروعا ، بعد ان كان مزروعا بالأشجار ويفوح بالخضرة ويطرح الأزهار أصبح خاويا الا من الطين الذى جف وتشقق لم يعد أحد يهتم ان يسقيه بعد ان خلع هو بيديه شجرة الفل التى كانت مزروعة فيه !

لقد فوجئت بذلك ذات يوم ، فاحست كانه قطع شريانا من جسمها .. كانه يرمى بها هى نفسها بعيدا عنه وعن البيت وعن حياته كلها . قالت لحظتها بمزيج من الغضب : لماذا خلعتها ؟

ببساطة شديدة وكئيبة قال : لم يعد فيها فائدة . لم تعد تزهر .. سأبحث عن شجرة جديدة ازرعها ..

لم ترد بكلمة . لم تدافع عن شجرتها التى كانت . قالت فى نفسها ليست الشجرة فقط هى التى كانت . كل شىء كان . (وشدت نفسا من صدرها بتحد وكبرياء) وليكن بعد ذلك ما يكون .. لقد جفت شجرة حياتنا هى الأخرى .. فلنكن واقعيين

كان الوقت صيفا .. وفاتت شهور الصيف دون ان يأتى بشجرة جديدة وبقى الحوض خاويا .. جافا .. تزداد الشقوق فيه وتتعمق .. فيتعمق فى روحها الحزن والتشاؤم والاكتئاب . غير انها كانت سرعان ما تطرح راسها بشعرها الطويل الناعم الى الخلف فى ثقة وتحد : لم لا ؟ كل شىء يتغير . لا يصح أن يخيفنى ما يحدث . لا يصح أن نخدع انفسنا أكثر من هذا . هو نفسه قالها مرة : « نحن لم نعد نحيا الا بقوة دفع الماضى . اما الحاضر .. فقد جفت شجرته » . كان شجاعا فقالها .. سأكون أشجع وأقولها : الطلاق . نضع الحقيقة فى عين الشمس . وفى عيون كل الناس . ولن أعبأ بأى شىء . غير الصدق .. أن نذهب بالموقف الى ابعد حد .. نتفق على الفراق .. ذلك هو الامتحان : اما ان يكون الفراق الى الأبد .. واما ان نتزوج من جديد .. وازف اليه مرة اخرى بكل العشق القديم والجديد .

ـ ياعاشقين الفل والياسمين .

معايا الفل والياسمين .

ـ بكم شجرة الفل دى يا عم ؟

ـ ما تغلاش عليك ياست .

لم تشأ ان تساومه على الثمن . شجرة فل مثل هذه مترعة بالزهور فى وقت مثل هذا لاتقاس قيمتها بالمال . انها تساوى الكثير . اكثر مما يتصور هو .. لو طلب منها أكثر مما معها ، فستطلب منه تاجيل الباقى . لا .. لا . النقود لن تكون المشكلة . المشكلة من يحملها ، ويذهب بها الى البيت .. الى الشرفة .. ويزرعها ..

غير ان القدر حين يعدنا يحقق وعده بيسر وسهولة . فلم يأت عصر ذلك اليوم ، حتى كان ذلك البستانى المتجول قد جاء الى البيت بالشجرة فى الميعاد الذى اتفقا عليه ، وزرعها فى الحوض واختلج قلبها بالفرح ، وهى ترى لأول مرة بعد شهور طويلة الطين الجاف وقد ارتوى بالماء واختفت كل الشقوق ، وانتعش قلبها بالامل .

فى ذلك اليوم كان زوجها مسافرا ـ سفرة عمل قصيرة .. وحين عاد فى اليوم التالى ، رأته يدخل صامتا ، جامد الوجه كالعادة . وتبادلا كلمات السلام التقليدية .. ثم اتجه مباشرة الى حجرته الخاصة ليقفلها خلفه .. ويواصل كل منهما حياة التفرد والاعتزال التى اتفقا عليها .. غير انها وجدت نفسها تقول له :

ـ فيه حاجة جديدة .. جبتها للبيت .. من غير إذنك !

ـ حاجة إيه ؟

ـ أدخل البلكونة شوفها .

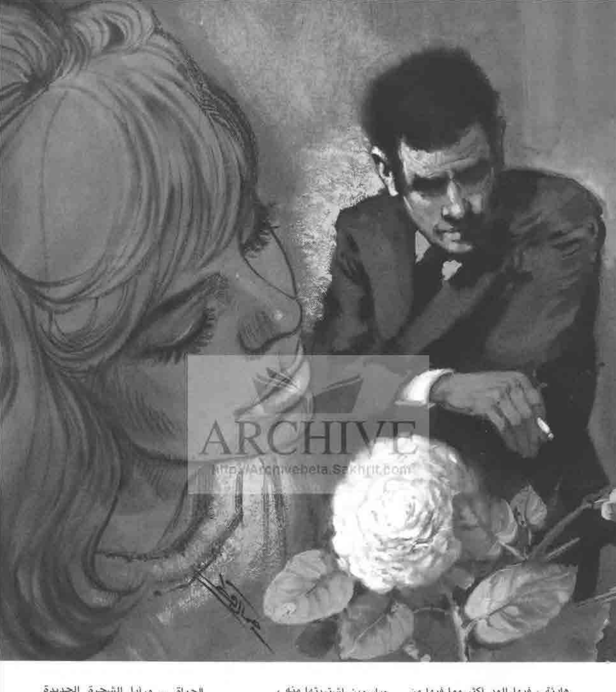
من الوهلة الأولى خمن ما فعلته . وصح تخمينه .. فرح فى سره فرح لأنه ما زال ـ رغم البعد ـ يفهم ما يدور بافكارها .. وفرح ايضا انها لاتزال تحمل فى قلبها ، حس الأمل .. وحب البيت والمحافظة على جماله .

«هذا البيت لايهون على واحد منا ان يهدمه» . استيقظت عواطفه . قاوم بشدة . اكتفى بالابتسام .

ـ شجرة جميلة فعلا . كويس انك جبتيها فله . بدل الفلة اللي ماتت ..

قالت : هى الحقيقة ما ماتتش .. انت اللى قطعتها !

هل تدينه ؟ لكن لهجتها كانت



هادئة ، فيها الود اكثر مما فيها من عتاب .. ومع هذا فقد احس بالاتهام .
قال : يعنى انا اللى باقطع .. وانت اللى بتزرعى .
بدا على وجهها الالم : لا .. مش قصدى .. دى صدفة .. وانا ماشية فى الشارع ، لقيت راجل بيبيع فل وياسمين اشتريتها منه .
منظر الحوض فاضى ومشقق ما كنتش طايقاه !
ـ وانا كمان طبعا .
التقت عيونهما فى نظرة سريعة هربا منها الى الشجرة ..
كان بدء الربيع .. موسم تفجر الحياة .. ورأيا الشجرة الجديدة تموج بعشرات الزهور .. رقيقة ناعمة بيضاء .. وعطرها يفوح !
انتعش الحنين فى قلبيهما . ربما شىء بسيط مثل هذا يحرك الركود ويروى الشقوق .. غير ان خفقة الأمل هذه كانت مثل طائر غريب مر مسرعا

قوة الجذور

فوق صحراء وسرعان ما خلفها وراءه لوحشة الصمت وجفاف الحياة !

يوما بعد يوم كانت الفلة تتراجع ومعناها يذوب .. وعاد الصمت والخواء يثقلان على البيت بأشد مما كان . وسرعان ما أيقنت من خدعة الرموز .. «كثيراً ما تضللنا الرموز . لقد زرعت هذه الشجرة رمزاً لانعاش الأمل . ولكن هاهى نفسها ، مع فصل الخريف تسير بالتدريج فى طريق الجفاف ، وبعض اعوادها تعرى من الأوراق ومات» .

غار فى نفسها الاحساس بالتشاؤم

ويوما .. وقفا فى الشرفة ، بلا اتفاق ، وحانت منهما نظرة الى الشجرة .. حينذاك ادرك كل منهما نفس المعنى الذى أدركه الآخر دون ان يتحدث به . كانت الطبيعة تؤكد الموقف بينهما وتعريه .. مع سحب الخريف .. وقتامة الألوان . وقال كل منهما لنفسه فى لحظة واحدة : اجل .. حتى الحب يمر بالفصول الأربع .. الحب ايضا يشيخ .. الحب كائن حى .. يسرى عليه ما يسرى على الكائنات .. من ميلاد ونمو .. وفتوة .. ثم شيخوخة يعقبها الفناء .. لم لانعترف بالواقع .. ونعلن الانفصال قد يكون فى الانفصال الشفاء .. الانفصال ولو لفترة .. هذا الالتصاق الطويل الطويل .. التصاق الجلد بالجلد ، والانفاس بالانفاس .. يسد المسام ويورث الاختناق .. فلنتحرر . نفصل الجلد عن الجلد .. والأنفاس عن الأنفاس .. ولكن : هل لديهما الجرأة على اتخاذ القرار ؟

شهور عصيبة مرت .. تتراوح بين لون كآبة الخريف ، ولون وهج النار الذى يشعلها التمرد على أن يكون الحنين الى الحب الذى كان ، هو قاتل الانسان ..

مرت شهور الخريف .. وكان كل منهما يرقب وحده الشجرة فى السر .. ويرى فيها طالع العلاقة بينهما .. كانما يستشيران النجوم .. ماذا يفعلان ؟ هل يصرخان ويفعلانها ، ويحققان الانفصال .. بل صراحـــة : الطلاق ؟

وتجمعت كل كآبة الخريف ذات يوم واطلت من الشجرة . كانت معظم الفروع قد جفت وتحولت الى أعواد جافة ينطق لونها بالموات .

ورأيا .. فى هدوء شديد .. ان الشجرة والطبيعة تشير عليهما بالحل السليم :

الطـــــلاق .

وفعلاها . فى هدوء .

● ● ●

أزمة المساكن ؟ .. ليكن ..

البيت الواحد أصبح بيتين .. الجلد انفصل عن الجلد .. والأنفاس ابتعدت عن الانفاس .. وبدا لكل منهما أنه يتنفس بشكل أقوى وأعمق .. حقا .. لقد كان فيما فعلاه إنقاذا لهما .. كان الحب بينهما على وشك ان ينقلب الى كراهية .. ليس ابشع فى العالم من ان ينقلب الصديقان الى خصمين .. والحبيبان الى عدوين .. وحينما كانت جرثومة الكراهية تتحرك ، كان جمال الماضى وروعته يقفان بقوة ضد الجرثومة ويقتلانها ..

ينفصل الجلد عن الجلد ، والأنفاس عن الأنفاس .. لكن الأرواح لا تنفصل .. اتاحت الحرية لكل منهما ان يطير بعيدا .. بعيدا .. يعود أو لايعود .. يغير الحب باخر أو لايغير .. اصبح مالكا لقلبه من جديد .. فلمن يعطى القلب الجديد .. مع العام الجديد ؟

كان شهر ديسمبر يتجه مسرعا الى نهايته . قادتها قدماها الى الشرفة ذات صباح ، تريد أن تملأ صدرها بهواء طازج . انها منذ حوالى اسبوعين لم تخرج الى هذه الشرفة . وتذكرت فجاة .. صاحت تعاتب نفسها .

ــ اه لم اسق الشجرة ..

وتوجهت بنظراتها اليها . ندت عنها صيحة فرح عظيم .. فوجئت بمنظر غريب ابهج قلبها : كان فرعا جديدا قد انبثق منها .. نبت من قلب أسفل الجذع وانطلق يشق طريقه الى الحياة .. كان قويا وممتدا ومترعا بالخضرة والحياة .. كانما يتهيا لان يصبح جذعا جديدا مع الجذع القديم ..

وجرت عليه .. تحتضنه بعينيها .. بقلبها .. آه .. وما هذا أيضا ؟ عدة فروع أخرى تبزغ وتطل .. وتتهيا بدورها للنمو والانطلاق ..

هبت أنسام منعشة .. تحركت مياه البحيرة الراكدة .. واحست بالميلاد فى كل شىء .. فى الزمان .. وفى الأشجار .. وبدا لها انها تقع على اكتشاف رائع لأول مرة : ان الميلاد يحدث فى الشتاء حيث يظن الناس أنه الجفاف والموت !

ترى .. هل رأى هو هذا الفرع الجديد؟

واحست بثمة حركة خفيفة . كان واقفا ينظر .. أشارت بلا وعى على الفرع الوليد وقالت .. بابتهاج هادىء .

ــ هل رأيت ؟

أسرع مقتربا من الشجرة .. أحس أن فروعا تنبثق فى قلبه .. وتصبح شرايين خضراء .. وقال بفرح كبير : ليس فرعا واحدا ..

وراح يعدد الانبثاقات الكثيرة الجديدة فى الشجرة .

كأنها زحف الحياة ..

والتقت نظراتهما ...

قالت : لأن الجذور سليمة .. وقوية ..

قال مؤكدا بثقة : كنت اوالى ريها .. رغم البرد الشديد .

امتزج بريق عينيها ببريق عينيه .

ــ تحب هذه الشجرة ؟

ــ الست أنت التى اشتريتها ؟

ــ وأنت الذى رويتها .

تحرك فجاة كل الحنين .. منذ متى لم يلتق الجلد بالجلد . والمسام بالمسام .. امتدت ايديهما الى بعضهما ..

قال : أعظم الأشجار هى التى تولد فى الشتاء ..

قالت : شجرة الحب أبدا لا تشيخ ..

غمغم : انها تغير جلدها .. لحاءها .. ولكن لـ ..

غمغمت : لتولد فيها الخضرة من جديد .. وقريبا .. ستمتلىء بالزهور ..

قال : اوحشنى العطر الجميل ..

واندفعا الى عناق عظيم ..

«عبد الله الطوخى»



دعــــوة جـــريئـــة لنـــاقـــد عـــربي كـبـــير

الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي

الجـزء الثـالث والأخـير

بقلم : الدكتور عبد الله الطيب

اتكاءة على صور لبيد

هذا وبعد أن انتهى إليوت من نعت قساوة ابريل منبتا زهرة ليلى ، مازجا الذكرى بالشهوة ، انتقل إلى ذكر الصيف وذلك قوله :

Summer surprised us ....

ومعناها : فاجأنا الصيف .

تامل شدة الشبه بين قول لبيد :

رزقت مرابيع النجوم (البيت)

فعلا فروع الايهقان (البيت)

وبين قول إليوت جاء الربيع منبتا زهرة ليلى الخ .. تامل الشبه في السياق والصياغة بين قول لبيد (فعلا فروع الأيهقان بعد ذكره مطر الربيع وبين قول إليوت منبتا زهرة ليلى (الليلاك) بعد نعته مطر الربيع الذى ابريل رمز له .. منبتا زهرة ليلى .. اى فعلت اغصان « الليلك » كما علت فروع ايهقان لبيد . الايهقان عربي و « الليلك » فارسي . محاكاة نهج لبيد الذى اطلع عليه فى ترجمة وليم جونز لا تخفى .

فعلا فروع الايهقان واطفلت

بالجلهتين ظباؤها ونعامها

جاءت الظباء والنعام فى مكان الحبيبة والظبية تشبه بها الحبيبة . ههنا مجال للذكريات واتصال معنى ولادة الظباء اطفالها وإفراخ النعام بالشهوة غير خاف ، ومن هنا اخذ إليوت مزجه الذكرى بالشهوة . ثم انتقل من بعد إلى ذكر الصيف وذلك قوله :

Summer surprised us ....

اي فاجانا الصيف

ثم انتقل بعد مفاجاة الصيف له إلى ذكر (محبوبة) التجا معها من مفاجاة مطر الصيف إلى بناء ذي صف من اعمدة ثم خرجا إلى ضوء الشمس ثم إلى الحديقة .

ولبيد بن ربيعة العامرى صاحب المعلقة يخرج من نعت القفر إلى مرابيع النجوم او كما قال السير وليم جونز فى ترجمته

.. profuse, as well as gentle showers

ثم يخرج من ذلك إلى إنبات الايهقان ، وهو من نبات البادية قيل هو الجرجير البري ، الذى علت فروعه ، ثم إلى الوحش الذى خلف الاحباب على الديار وجعل بحيوية الربيع يطفل ويفرخ . ثم يتذكر لبيد الحبيبة ويقسو عليها وعلى نفسه حين يعتلج فى صدره امر انصرام عهودها وتبدد زمان وصلها :

بل ما تذكر من نوار وقد نأت

وتقطعت اسـبابها ورمامها

يقول السير وليم جونز فى مقدمته لقصيدة لبيد إن ابياتها الخمسة عشر الأولى من روائع التصوير ، يعذل الشاعر فى اخرها نفسه على هواه الضائع سدى عند امراة لا تستجيب . فيدعوه ذلك إلى ان يفرمن الهوى إلى الراحلة ، ثم يعود إلى ذكر محبوبته نوار بعد نعت الرحلة برجوع فيه نوع من قلة الاهتمام بدلا لها . هذا

هذا هو الجزء الثالث والاخير من البحث الذى كتبه الناقد الكبير الدكتور عبد الله الطيب أستاذ الأدب بجامعة فاس بالمغرب حالياً ، ومدير جامعة الخرطوم وعميد آدابها سابقاً ، عن الأثر السلبى الذى تركه الشاعر العالمى المعروف « ت . س . اليوت » على الحركة الشعرية العربية الجديدة ، نتيجة لتقدير مبالغ فيه ناله « اليوت » من شعرائنا المعاصرين ، وقد تلقت « الدوحة » ردوداً مختلفة حول هذه القضية ، وسوف ننشر هذه الردود فى الأعداد القادمة .



ملخص كلام السير وليم جونز فى مقدمته . ا . هـ .
ليت شعرى هل مجرد توافق خواطر شبه :

اكثر من توافق خواطر

(١) قول إليوت فى عنوانه The Waste Land بقول لبيد « عفت الديار إلخ » .

(٢) وقول إليوت فى عنوانه The Burial of the Dead بطريقة الشعراء العرب ومنهم لبيد بان الديار تندفن وتكشف آثارها الرياح والسيول (عرى رسمها) (وجلا السيول عن الطلول) .

٣ ـ وذكر إليوت امطار ابريل وقساوته وشبه ذلك بقول لبيد «رزقت مرابيع النجوم الخ» .

٤ ـ وقول إليوت بانبات زهور ليلى Lilacs وخلط الذكريات بالشهوات وشبه ذلك كما قدمنا بقول لبيد : «فعلا فروع الأيهقان الخ» .

٥ : وانصراف إليوت عن مطر الربيع الى مطر الصيف حيث قال : فاجأنا الصيف» ـ هل هذا ايضا مجرد توافق خواطر ؟

٦ : وتذكر إليوت للحبيبة بعد ان ساقاها القهوة وتقطعت اسبابها ورمامها ... (راجع الأسطر ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢) ... هل هذا ايضا مجرد توافق خواطر ؟

وقد ركب لبيب ناقته بعد تصرم اسباب نوار وشبهها بحمار وحشى وذكر الصيف وحره ...

... وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها

اى أعاصيرها وسمائمها .

٧ : ام هل مجرد توافق خواطر قول إليوت فى س ٢٣ ص ٢٧ .

And the dead tree gives no shelter.

اى : والشجرة الميتة لا تعطى ماوى .

مع شدة شبهه بقول لبيد فى وصفه للبقرة الوحشية التى اصابت السباع ولدها . وأحاطت بها المخاوف بعد ترددها تبحث عنه وتناديه بنوح وبغام ، ولفتها بين الرمال ليلة ذات برق ومطر واهوال : ـ

تجتاف أصلاً قالصاً متنبذاً
بعجوب انقاء يميل هيامها

اى تلتمس بقرنيها جوف أصل شجرة قديم فى قعر كثبان من الرمل منهالة ، وترجمة وليم جونز :

She shelters herself under the root of a tree

٨ : أم ليت شعرى ـ بعد الذى لم نشك فيه من كتمان إليوت مصادر اخذه من العربية ـ هل مجرد توافق خواطر ذكر إليوت لمفاجاة الصيف :

Summer surprised us ....
وان الشتاء ادفانا
Winter kept us warm ....
يمدح بذلك الشتاء ؟

إليك بعثت أبكار القوافي
يليها سائق عجل وحادي
منزهة عن السرق المورى
مكرمة عن المعنى المعاد

ربيع ابى تمام

هل اطلع إليوت على ترجمة ما لبعض شعر ابى تمام ، فقد عاش فى زمان كان فيه الاستشراق العربى بين اكسفورد وكمبردج ولندن وباريس والمانيا ضاربا بجران وكان لابى تمام صاحب الحماسة فى ذلك مكان مرموق ــ قال عنه ليال فى مقدمة اختياراته :

...... and was himself a distinguished poet

اى وكان هو نفسه شاعرا ممتازا .

هل اطلع إليوت على ترجمة لقصيدة ابى تمام فى وصف الربيع التى اولها :

رقت وجوه الدهر فهى تمرمر
وغدا الثرى فى حليه يتكسر ؟

وفيها قوله :

جاءت مقدمة المصيف حميدة

او فاجانا الصيف (summer surprised us

ويد الشتاء جديدة لا تنكر

Winter kept us warm

شكرا للشتاء ...

لولا الذى صاغ الشتاء بكفه
قاسى المصيف هشائما لا تثمر

شكرا للشتاء ــ ولابى تمام الذى مدح الشتاء خلافا للشعراء الذين كانوا يذمونه كقول الآخر :

إذا اغبر افاق السماء .... الخ

تاثر إليوت بالمعلقات

لقد افاد إليوت من الشعر العربى إما من قراءة تراجم له وإما من مشافهة معاصرين له عارفين به .

وقد افاد من اطلاعه على ترجمة السير وليم جونز لا لمعلقة لبيد وحدها ولكن لسائر المعلقات ، خذ مثلا الاسطر ١٩ ــ ٢٤ من ص ٢٧ وهى اولى صفحات المنظومة فى الطبعة التى رجعنا اليها :

What are the roots that clutch.
what branches grow
Out of this stony rubbish ?
Son of man,
You cannot say. or guess,
for you know only
A heap of broken images,
where the sun beats.
And the dead tree gives no
shelter, the cricket no relief.
And the dry stone no sound of
water ....

الترجمة على وجه التقريب : ــ

ما الجذور التى تمسك ؟ ما الاغصان التى تنمو
من هذه القمامة الحجرية ؟ يابن ادم
إنك لا تستطيع ان تقول بيقين او ظن لانك إنما تعلم
كومة من ظلال متكسرة ، حيث الشمس تصك
وحيث الشجرة الميتة لا تعطى ماوى ، ولا الصرصور راحة
ولا الحجر اليابس صوت ماء ....

اشارة قرآنية

احالنا إليوت على سفر حزقيل اول الاصحاح الثانى بالنسبة إلى سطره (الثانى اعلاه) ٢٠ ليؤكد ان مواده من قوله : Son of man (اى يا ابن ادم او يا ايها الانسان) هو معناها الذى فى العهد القديم لا معنى «ابن الانسان» الذى عند النصارى . ولا شىء يمنع ملابسة هذا المعنى المسيحى لكلامه هو لانه هو مسيحى الديانة لن يخلو منه بحال من القصد اليه وليس تاكيده الذى زعم بملزم استبعاده احدا .

وهذه الاحالة لما هو ظاهر من عدم الحاجة اليها لا تخلو من تعمية ماوتضليل . وكاد السارق يقول خذونى مرات . ذلك بانه فى سفر حزقيل فى الاصحاح نفسه بعد رقم «١» الذى فيه Son of man ورد فى رقم ٢ و ٣ و ٤ ذكر تمرد بنى اسرائيل وقسوة قلوبهم . وهذا وارد فى قول إليوت متضمنا لمعناه فى : And the dry stone no sound of water

اى : «ولا الحجر اليابس صوت ماء» ، اى القلوب قاسية كهذا الحجر اليابس .

لكن هذا التشبيه وهذه العبارة نفسها لم ترد بهذا اللفظ وهذا البيان التصويرى فى سفر حزقيل الذى احالنا عليه تعمية وتضليلا فيما نرجح ، إذ لاريب انه اخذها من القران ــ وتراجمه كثيرات ــ لانها بعينها واردة فى خبر تمرد بنى اسرائيل : «ثم قست قلوبكم فهى كالحجارة او اشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء» ــ سورة البقرة ، ٧٥ . ولكن هل يعقل فى إليوت الكتوم لذكر وردزورث ودى لامير وظلال جزيرة العرب The Shades of Arabia وما اشبه ان يخطىء فيحيلنا على القران ؟ اليس ذكره سفر حزقيل فى إحالاته ههنا شبيها فى طريقة الاستبدال بما صنعه من جعل جدران كنيسة ماغنس مارتر فى مكان ظلال جزيرة العرب ؟

وبالنسبة الى الاسطر ١٩ ــ ٢٤ (انظر ما تقدم) احالنا إليوت فى تعليقاته على السطر ٢٣ وهو الخامس فى ماذكرنا لننظر فى سفر (الجامعة) من العهد القديم وهو الذى يقال له (الواعظ) او The Preacher بالانجليزية وايضا يقال له Ecclesiastes رقم ٥ من الاصحاح ١٢ من اجل توضيح مراده من الكلمة cricket اى الصرصور الواردة فى النص المتقدم . وكلمة cricket اى الصرصور غير واردة فى نص سفر الجامعة ابن داود الذى احالنا عليه ولكن وردت كلمة grass-hopper اى الجندب وإنما احالنا إليوت على سفر الجامعة تعمية وتضليلا .

غموض اشارات إليوت

وقد وجدت من نقاد إليوت البروفسور روبسون يقول بمثل ما نقول به من عمده الى التعمية فى تعليقاته إذ ذكر بمعرض حديثه عن الارض المقفرة فى كتابه عن الادب الانجليزى الحديث ، وسبقت الاشارة اليه فى ص ١١٢ ، ان إليوت اضاف تعليقات احيانا هى غامضة غموض الاسطار التى يراد بها شرحها ــ

.... Later Eliot added notes sometimes as cryptic as the lines they purport to elucidate ....

ومن تعليقات إليوت المضللة ، والشىء بالشىء يذكر ، نورد ذلك على سبيل المثال ، احالته







دانتى

وردزورث

بالنسبة الى سطره رقم ٦٣ على جحيم دانتى وإنما خطف خطفا من مسرحية ماكبيث لشكسبير من قول مشهور وهو مقال امراة ماكبيث فى الفصل الخامس فى حديث هذيانها : «من كان يظن ان هذا الرجل العجوز دمه كثير هكذا ؟» ويجوز ان يكون شكسبير رمق دانتى واخذ من هناك وان إليوت نظر الى دانتى كما نظر الى شكسبير إلا انه حذا على صياغة هـذا ونحو ما يجرى هذا المجرى هو ما سماه ابو تمام السرق (بفتح السين والراء) المورى بضم الميم وفتح الواو وراء مشددة مفتوحة بعدها الف لينة ـ قال يمدح شعره :

اليـــك بعثـــت ابكـار القوافـــى
يليهـا ســـائق عجـــل وحـــادى
شـــداد الاسر ســـللة النواحـــى
مـــن الاقـــواء فيهـا والســـناد
منزهـــة عـــن السرق المـــورى
مكرمـــة عـــن المعنـــى المعـــاد

الاقواء والسناد من عيوب القافية كما لا يخفى وقد احكم نقاد العرب باب السرقات إحكاما وابوابا غيره من النقد كثيرات .

هذا والصرصور cricket شىء غير الجندب grass-hopper وظاهر مراد إليوت فى إحالته على سفر «الجامعة» ان يشعر القارىء مثلا بانه استبدل كلمة grass-hopper اى الجندب بكلمته : cricket اى صرصور لداع دقيق من دواعى البيان والصناعة الشعرية . هنا مكان التعمية والتضليل والغموض . وليس بين النص الوارد فى سفر الجامعة ووردت فيه كلمة الجندب grass-hopper ادنى صلة معنوية بكلام إليوت فى الاسطر ٢٢ ـ ٢٣ : ـ

.... where the sun beats
And the dead tree gives
no shelter, the cricket no relief.

اى ...... حيث تصك الشمس
وحيث الشجرة الميتة لا تعطى ماوى ، ولا الصرصور راحة .

ونص كلام الجامعة الذى ورد فيه ذكر الجندب كما يلى (دار الكتاب المقدس ، العهد القديم) : ـ

وايضا يخافون من العالى ، وفى الطريق اهوال ، واللوز يزهر ، والجندب يستثقل ، والشهوة تبطل ، لان الانسان ذاهب الى بيته الابدى والنادبون يطوفون فى السوق . ا . هـ

Also when they shall be afraid of that which is high, and fears shall be in the way, and the almond tree shall flourish, and the grass-hopper shall be burden, and desire shall fail ; because man goeth to his long home, and the mourners about the streets. (Ecclesiastes Chapter 12-15).

مجمل المعنى انه فى زمن اكتساء شجرة اللوز بازهاره البيض الحسان وهو زمن الربيع حين تزداد الحيوية والنشاط وتشيد الشهوة فى النفوس ، فى هذا الزمن حين يقترب الموت من الانسان تذهب لاقترابه كل حيوية وكل روح نشاط حتى ان الجندب الصغير الجسم الخفيف الوزن ليستثقل المرء وزنه ثم يحمل المرء الى القبر ويطوف نادبوه ينوحون .

إليوت لا يشير الى الحيز الذى يستثقل فيه الانسان وزن حشرة صغيرة لان الموت الذى اقترب منه يجعل كل شىء ثقيلا ، فلماذا يحيلنا على سفر الجامعة ابن داود ؟ نعم ، الصناعة الشعرية ـ صناعة «السرق المورى» ورحم الله ابا تمام ـ هى التى دفعت إليوت الى استعمال cricket اى الصرصور مكان grass-hopper اى الجندب . لا لان الجندب فى نص الكتاب المقدس فى العهد القديم فذلك ادعى له لان يذكرها لا ان يتفاداها ، ولكن لان الجندب فى شعر العرب ومن هناك اخذها . الجندب حشرة نهارية والصرصور حشرة ليلية تاوى الى مواقد البيوت ذوات المواقد (فى اوروبا مثلا) نهارا لظلامها ودفئها ولا تنفك تصرصر ولا تكف ...
.... gives no relief ....

وكلا الجندب والصرصور حشرة مصوتة وثابة Jumping, Chirping كما يقول المعجم الانجليزى ، ومراد إليوت واضح وهو استمرار الصرصور يصيح بلا انقطاع . والضرورة الشعرية التى دعته الى ذكر الصرصور مكان الجندب cricket (grass-hopper . هو انه ذكر الشمس وحرارتها وذلك قوله :

Where the sun beats

اى حيث الشمس تصك .

وليس الصرصور cricket باخى الشمس ولا موقده الذى ياوى اليه نهارا وهو مظلم دافىء ، بوهج الشمس الملتهب الذى تتكسر منه اكوام الظلال .

اخذ إليوت فكرة صرصوره لا من سفر الجامعة ابن داود ولكن من جندب اشعار العرب . حشرة سفر الجامعة ابن داود خفيفة الوزن وثابة بين ازهار اللوز ، لا مزعجة صخابة فى حر الهجير حيث تصك الشمس وتتكسر الظلال . قال كعب بن زهير فى بانت سعاد وهى مما ترجم :

وقال للقـــوم حاديهم وقـــد جعلـــت
ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا

جعلت الجنادب تركض الحصى بحثا عن الظل ، عندئذ قال الحادى للركب الان وجب المقيل .

دين إليوت لذى الرمة

وقال ذو الرمة ، ونشر ديوانه بكمبردج سنة ١٩١٩ م وترجمت بائيته من قبل ، ولعل إليوت ان يكون قد لقى مكارتنى الذى حقق الديوان ، وقد نبه شارلس ليال على منزلة ذى الرمة فى ذيل ص XXXIII من مقدمة مختاراته قائلا :

Dhu-r-rummah was the last really great representative of desert song ....

اى كان ذو الرمة حقا اخر شعراء الصحراء العظام ـ او اخر ممثل لعظام المتغنين بالصحراء قلت وفى هذا نظر وابو عمرو بن العلاء عندنا اصح بصرا بالشعر من شارلس ليال على حسن اجتهاده ورايه فى ذى الرمة معروف إذ جعله شاعرا من المحدثين وهوفى الحقيقة لهم رائد ؛ وما نشك ان إليوت اطلع على ترجمة ليال فى اختياراته ومقدمتها وافاد من ذلك فى معرفة طريقة نظم الشعر العربى ، فى زمان كان فيه

شعراء اوروبا والانجليز خاصة يريدون التجديد ويطلبونه من طريق الاخذ عن امم الشرق اشد طلب . وقد ذكرنا من قبل ان شارلس ليال نشر اختياراته سنة ١٨٨٥ م وكان موظفا بالهند ومن قبل سبق له نشر بعضها فى مجلة بنغال ثم إنه فى سنة ١٩١٨ م نشر ترجمته للمفضليات مع تعليقاته الناضجة النفيسة وقد حقق شرح ابن الانبارى للمفضليات كما هو معروف . وسنعرض ان شاء الله من بعد لما نرى ان إليوت اخذ من ليال فى المقدمة التى ذكرناها .

قال ذو الرمة يصف الجندب :

معروريا رمض الرضراض يركضــــه
والشــــمس حيرى لها بالجو تدويـم

البيت مشهور وقيل فيه انه اكثر رمضا من رمال يبرين لتكراره الراء والضاد وهذا يسمى الآن الجناس الداخلى وهو فن فى العربية قديم . وبيت ذى الرمة هذا يحتوى على معنى ظلال إليوت المتكسرة وشمسه التى تصك :

Where the sun beats

والشمس حيرى لها بالجــــو تدويـم

وتامل (رمض الرضراض) مع قوله (يركضه) لان الجندب يطلب الماوى فى بقية الظل المتكسر فى رمض الرضراض .

واخذ ذو الرمة من كعب بن زهير قوله : «يركضه» لانها من قول كعب :

.... وقـــد جعلـــت
ورق الجنـــادب يركضن الحصـــى

ومن كليهما افاد من افاد .

هذا وفى قول إليوت :

.... for you know only
A heap of broken images

اى إنما تعلم / كومة من ظلال متكسرة ..

فيه نوع من السخرية باساليب الشعراء إذ كلمة image كما تدل على الظل تدل ايضا على الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وما اشبه وفيه صدى من وردزورث ودى لامير كليهما وتاثر بمقدمة وليم جونز لمعلقة لبيد حيث نكر اوصافه وتشبيهاته وزعم انها مثل التشبيهات الطويلة التى ترد فى الشعر الكلاسيكى . (اى اليونانى واللاتينى) .

الدليل القاطع

هذا وزيادة على ما تقدم ، واعتمادا على ما هو نازل عندنا منزلة الدليل القاطع من قوة الملابسات التى تشهد باطلاع إليوت على عمل السير وليم جونز ، وطريقته فى الاخفاء والكتمان نرجح ان إليوت اطلع على كثير مما ترجم من ادب العرب وعلى ما كتبه كبار المستشرقين بالانجليزية ، على اقل تقدير وعلى ما كتبه السير

من المرجّح أن إليوت اطّلع على كثير مما تُرجِم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبارُ المستشرقين بالإنجليزية

شارلس ليال مما يدل على فهم عميق لطريقة الوحدة والانسجام عند شعراء العرب القدماء مثلا تعليقه على بائية سلامة بن جندل ولامية بشامة بن الغدير وعينية سويد بن ابى كاهل وطويلتى علقمة بن عبدة ، ومما يحسن ذكره ههنا ان بعض من كتبوا عن شعراء المفضليات من فضلائنا اخذوا عنه ولم يشيروا اليه ومنهم من تابعه اخذا غير معترف فى الخطا وفى الصواب وهذا باب ربما اتيح لنا بعض تفصيله فى موضع غير هذا مما يناسبه . وإنما دعا اليه ان الشىء بالشىء يذكر ، وكما يقول ميبريـــه ، رب شىء كهذا .

ولا اشك ان إليوت قد اطلع على شىء من مقدمة ليال لمختاراته (طبعة ١٨٨٥ م) إذ كان ذا استشراق ومن عصبة نجباء الحكومة البريطانية بالهند احدى مراكز البحر الشرقى الكبرى وقد وصف ليال القصيدة العربية القديمة بان شكلها لا يمكن ان يوصف بما عليه اوصاف الاشكال فى شعر اوروبا وانه عسى ان يكون اقرب الامور به شبها ما كان اليونان يسمونه بالقطعة الوصفية او الاخبارية idyll وانها تعرض علينا صورا متتابعة ماخوذة اخذا مباشرة من التجارب والواقع مصوغة بمهارة وإحكام يربط بينها عنصر من الوحدة التى لا تبدو وثيقة واضحة ولكن تخضع لروح من الشاعر يهيمن عليها بكشف ما يشتمل عليه ضميره شيئا بعد شىء . (راجع ص XVIII من المقدمة) .

محاكاة طريقة نظم المعلقات

مما اخذه إليوت من المعلقات سوى الذى المعنا اليه من محاكاة لبيد انه حاكى طريقة النظم فيها ونظر فى ذلك نظرا شديدا الى المعلقة الأولى ، التى ينبغى ان يكون حين بدا بالقراءة قد بدا بها .

عول إليوت فى نظم ارضه القفر على اتباع طريقة صياغة امرىء القيس حيث بنى تاليف لاميته المعلقة على وحدة مستمدة من الربط العاطفى الايقاعى وتداعى المعانى المنبعثة من حل عقد خيط الذكريات (او كشف ما اشتمل عليه ضميره شيئا بعد شىء او كما قال شارلس ليال

The Poet's unfolding of himself

من حل عقد خيط الذكريات عقدة بعد عقدة ، من الوقوف والاستبقاف الى ذكر ام الرباب وام الحويرث ـ دارة جلجل ـ نحر الناقة ـ خدر عنيزة ـ حديث الحب ـ حديث الجمال ـ الليل ـ الصعلكة ـ الفروسية والصيد وزمان الشباب ـ ذكريات الطفولة ـ المطر والسيل وانمحى كل شىء إلا منظر ثبير وصوت الطير ـ والسباع الغرقى ـ كل ذلك فى تجاوب مذهل من الايقاع والصور وضروب الموسيقى الظاهرة والباطنة .

اخذه من امرىء القيس

من حيث لا يحتسب يدلنا إليوت على اخذه من معلقة امرىء القيس فى السطرين ٧ و ٨ من ارضه اليلاقع اى المقفرة وقد مرا فى اول كلامنا ، واخترنا لفظ الانابيش فى ترجمتنا لقولــــه tubers. لانه الاصل الذى نرجح انه اخذ منه قوله :

.... feeding
A little life with dried tubers

اى .... مطعما
حياة قليلة بانابيش جافة .

ونشير ههنا الى قول امرىء القيس فى المعلقة :

كان السباع فيه غرقـــى عشــــية
بارجائه القصوى انابيش عنصـــل

العنصل بضم العين وسكون النون وضم الصاد هو البصل البرى والانابيش ما ينبشه الصبيان من عروق ونحو ذلك . التبريزى : «الانابيش جماعات من العنصل يجمعها الصبيان ويقال الانابيش العنصل والعنصل بصل برى» . ا . هـ . (راجع شرح التبريزى للمعلقات العشر وطبعاته كثيرة) . وترجمة السير وليم جونز : ـ

The beasts of the wood, drowned in the floods of the night, float like the roots of wild onions

(وراجع ترجمة ليال لهذا البيت فى ص ١٠٤ حيث قال : ـ

like earth-stained roots of squills.

الاصطلاح الانجليزى لما ينمو من النبات كالبصل بنتفخ اصله الملامس بجذوره للتراب ولما ينمو كالبطاطس بانتفاخ جزء الساق الملامس للتراب هو Tuber واستعمل إليوت اللفظ الدال على النوع الثانى فيبدو لولا ان هذا بعيد من ان يكون ماخوذا من عبارة السير وليم جونـــز

The roots of wild onions (اى عروق

البصل البرى) التى ترجم بها (انابيش عنصل) . وترجمة ليال غير بعيد من هذا . واخذ إليوت قوله المتقدم من (انابيش عنصل) هذه . وقد ابت فكرة صورة الجثث التى غرقت وبدت اطرافها من متوارب وآذان واذناب كاطراف انابيش العنصل ان تفارق إليوت فنمت بنفسها فى اسطاره ٧٠ ــ ٧٢ من ص ٢٩ وذلك قوله : ــ

You who were with me in the ships at Mylae
That corps you planted last year in your garden.
Has it begun to sprout ?

اى :

يا انت الذى كنت معى فى سفينات ما يليس
تلك الجنازة التى غرستها العام الماضى فى حديقتك
هل بدات تخرج شطئها ؟

عنى إليوت بمايليس هنا المكتشف الدنمركى مايليس لدوج Mylius Ludwig الذى غامر باكتشافه سواحل جرنلدة فى اوائل هذا القرن الميلادى . ومات سنة ١٩٠٧ بعد مغامرة اخيرة سنة ١٩٠٦ وكانت هى من اسباب هلاكه . استعمل إليوت صيغة المضاف اليه اللاتينية (مايلاى) من (مايليس) . وهل خفى عنك ايها القارىء الكريم عنصر تداعى المعانى الشديدة بالنظر الى بيت امرىء القيس ههنا ؟

امرؤ القيس : غرقى ،جنائز سباع غرقى فى العشية تشبه مناظرها فى الارجاء القصوى اطراف البصل البرى التى ينبشها الصبيان او خرجوا لينبشوها .

إليوت : سفائن مايليس (At Mylae) معها البحر ومخاطره . جنازة مغروسة فى حديقة فى العام الماضى . هل نبتت واخرجت شطئها مثل النبات ؟

هذه المشابهة فى نهج الصياغة هل هى مجرد توافق خواطر مع بيت امرىء القيس ، كما مطر ابريل وعلو (غصان (الليلك) مجرد توافق خواطر مع مرابيع النجوم وعلت فروع الايهقان ؟

وهل فكرة dried tubers (اى الاصول النباتية الجافة او العروق الجافة) مجرد توافق خواطر مع انابيش العنصل ؟ العنصل هــو (Bulb) بحسب الاصطلاح النباتى ومع هذا الاصطلاح يرد دائما الاصطلاح الآخر المقابل (Tuber) ــ اليس تحويل (Bulb) الى فيه لون من اسلوب تحويل grass-hopper الى (cricket) وما مر بك من قبل من امثلة «السرق المورى» ؟

قولنا عن امرىء القيس انفا انه تذكر الصبا وتذكر الطفولة نشير به الى قوله :

الجناس الحرفي أو الداخلي ليس بأصيل في اللغة الإنجليزية لكن أصوله أخذت من البديع العربي في القرنين ١١، ١٢ الميلاديين

يزل الغـــلام الخــف عن صهواتــه
ويلوى باثـــواب العنيــف المثقــل

والى قوله :

كميت يزل اللبـــد عن حـال متنـه
كمـا زلـت الصفـواء بالمتنـــزل

وليس ههنا موضع التفصيل وقد كان امرؤ القيس صاحب ذكريات وتذكر له ابيات لطيفة يصف بها زحلوقة الاطفال اولها :

لمـــن زحلوقـــة زل
لهـا العينـــان تنهـــل

لاحظ ان تذكر الزحلوقة هنا ابكاه كما بكى من ذكرى الاحباب والمنازل .

والى قوله :

دريـــر كخــذروف الوليــد امــره
تتابــع كفيــه بخيــط موصـــل

ابريل اقسى الشهور

هذا ..

ومثل ابى تمام إذ فاجأته « مقدمة المصيف حميدة » نجد إليوت فاجأته مقدمة المصيف ــ ولكن غير حميدة (ابريل اقسى الشهور) . ومثل امرىء القيس خلص إليوت الذى هو امرؤ الارض القفر من البدء بذكر الاطلال (عفت الديار كما تقدم) إلى حل العقد من خيط الذكريات ــ المقهى فى اول المنظومة (السطر ١١) إلى النعت المنظور فيه الى سفينة كليوبتره بعين ، (س ٧٧ ص ٢٩) :

The chair she sat in, like a burnished throne,
Glowed on marble ....

اى : الكرسى الذى جلست عليه كان يتوهج من فوق بلاط الرخام كانه عرش مجلو .... (راجع نعت انوباربس لسفينة كليوبترة عند شكسبير) ومنظور ايضا فيه بنفس (العين) او بعين اخرى تحت الحاجب الكالح إلى قول امرىء القيس :

إذا قامتا تضوع المسك منهمـــا
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفـل

(راجع من قوله س ٨٤

The glitter of her jewels rose ...

اى قام بريق جواهرها ...

her strange synthetic perfumes

اى عطورها المصنوعة الغريبـــة (س ٨٧ ص ٣٠) .

وقال وليم جونز فى ترجمة هذا البيت :

When those two damsels departed, musk was diffused from their robes, as the eastern gab sheds the scent of clove-gilly flowers...

لاحظ استعمال إليوت profusion فى س ٧٥ وكذلك poured فى مقابلة diffused التى عند وليم جونز و sheds ....

تامل ذلك ايها القارىء الكريم .

الفصل الذى فيه هذا النعت جعل إليوت عنوانا له « لعبة الشطرنج »

A Game of Chess

وهو الفصل الثانى من الارض المقفرة والعنوان ماخوذ من اختيارات وليم جونز إذ عنوان إحدى القصائد الهندية التى اختارها هناك هو هذا ، فتامل !! .... رجع الحديث ، راجع قولنا قبل إلى النعت المنظور فيه الخ والآن .... إلى لقاء الكويتبة فى الفصل الثالث الذى عنوانه ترتيلة النار .

A Fire Sermon او كما قال

ويلفت نظرك مهنا إلى ما ذكر عن إليوت أنه وصف رديارد كبلنج شاعر الامبراطورية الذى نشا فى الهند بانه كان من عظام أصحاب التراتيل .. لقى إليوت فى منظومته الكويتبة فى الفصل المذكور على مائدة فاترة ووصال من نوع ما يقع فى سام المدن المعاصرة .. شىء ممسوخ من وليمة عذارى دارة جلجل ودخول الخدر خدر عنيزة : (وقد ترجم ذلك السير وليم جونز ترجمة حسنة حية) :

Woe to thee than wilt compel me to travel on foot

... تقول لك الويلات إنك مرجلي

من هنا اخذ إليوت عبارته (ص ٣٢) :

.... caresses
Which still unreproved, if undesired

وتامل بعد اسطاره من ٢٣٥ ــ إلى ــ ٢٤٨ فى حديث عنيزته هو :

The time is now propitious as he guesses
The meal ended, She is bored and tired,
Endeavours to engage her in caresses

Which still unreproved, if undesired

الترجمة التقريبية :

الوقت الآن موات كما يظن
انتهت الوجبة وهي متعبة وسئمت
يحاول ان يشركها معه في ملامسات
استمرت بلا مؤاخذة ان لا بلا اشتهاء

كذلك من قبل ظن امرؤ القيس الوقت مواتيا بعد عقر الناقة وانتهاء الوليمة وارتماء العذارى – يطبخن – بلحم مطيته (يخطيء من يحسب انهن كن يترامين بقطع اللحم كالغولات وكان اللحم كرات لعب) وبشحم كهداب الدمقس المفتل الذي هو حريرهن وبياض ابشارهن فدخل الخدر خدر عنيزة ليشركها معه في ملامسات ومداعبات فزجرته بقولها « لك الويلات إنك مرجلي » ، ومع زجرها له مال بهما الغبيط معا :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

ولكنه لا ينزل :

فقلت لها سيري وارخي زمامه
ولا تبعديني من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فالهيتها عن ذي تمائم محول

كلام امريء القيس فيه شيطنة واريحية وحرارة عاطفة وصدق فني مباشر مع الايقاع الرنان والبيان الناصع . كلام إليوت مصقول كخشب النجار الماهر ولكنه ناشف لا عاطفة فيه ولا حرارة ولكن مرارة برود تعال فكري وشيء من سخرية . غطاء كثيف يخفي حقيقة السريرة ولو كانت فيها اريحية من عواطف البيان والصدق الشعري لهتكته . في كلام إليوت روح سآمة كسآمة الليل والبعير الذي شبه به امرؤ القيس الليل لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء بكلكل ، وكسآمة الحبلى التي ذكرها امرؤ القيس فزعم انه الهاها عن طفلها ذي التمائم المحول .

إذا ما بكى من تحتها انصرفت له
بشق .... (الى اخر البيت)

وقد استفحش النقاد هذا من مقال امريء القيس وعذلوه عليه وعابوه وابى الشعراء من بعد إلا ان يحاكوه فيه ويسرفوا كالذي صنعه سحيم عبدبني الحسحاس في يائيته « عميرة ودع ان تجهزت غاديا » :

وفيها وجدان وغرام وفتك وكالذي صنعه بشار في الرائيتين ، المقيدة التي يقول فيها :

امتي بـــدد هـــذا لعبى
ووشـــاحي حله حتى انتثر

والمطلقة التي يقول فيها :

قولى لها بقة لها ظفـــر
إن كان في البق ما له ظفر
وفي كتبهما تهتك وزندقة ومجون .



عزرا باوند — جرارهويكنز

وهل نظر بعض شعرائنا المعاصرين إلى عنيزة امريء القيس وإلى دعوي التحضر والتقدم بالنظر إلى عنيزة وجبة طعام ارض إليوت المقفرة اليباب الخراب ؟ هذا باب يكتفى فيه بمجرد الاشارة واللمح .

اثر البديع في اوزانه

ويبقى وزن إليوت . ومداره كما يذكر نقاده على محاكاة نبرات الكلام المألوف وعلى الجناس الداخلي وعلى سجعات القوافي وهذا امر خالف فيه اصحاب الشعر الحر الفرنسيين ومن مال إلى مذهبهم وقد تاثر فيما ذكروا بازرا باوند وقد سبقه في مذاهب من النظم جرارد مانلى هوبــكنز Gerard Manley Hopkins

ورجع إليوت في ما يذكر إلى نماذج من الشعر الانجليزي القديم الذي يقال له المتوسط مثل منظومة وليم لانجلاند (ولا يكادون يستشهدون إلا بها) التي اسماها بطرس الحراث . William Lang Land ولد ١٣٠٢ م وتوفى ١٤٠٠ م) – بطرس الحراث

Piers Ploughman

وعندي ان الجناس الحرفي او الداخلي ليس باصيل في اللغة الانجليزية على اتصاله باوائلها ولكنه اخذت اصوله من البديع العربي إذ هو قد كان النموذج الادبي البراق المحتذى في القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي فما بعدهما وقد كانت امة العربية انئذ هي امة المدنية الكبرى المرموقة في ذلك الزمان – تحاكى اساليب حياتها وادابها كما نفعل الان بتقليد الافرنج . ذكر صاحب الذخيرة نقلا عن المؤرخ ابى مروان ابن حيان في صفة ريموند صاحب برشلونة (ص ١٥٥ القسم ١ ج ١) : « فاذا هو جالس على مرتبته عليه من ثياب المسلمين » ا . هـ .

امر اخر ينبه إليه مما عسى ان يكون إليوت قد اخذه ايضا من اساليب العربية ، هو مذهبه في غرابة التشبيه . ويوقف كثيرا عند قوله في احدى منظوماته :

Let us go then, you and I
When the evening is spread out against the sky
Like a patient etherised upon a table

اي :

دعنا إذن نذهب انت وانا
عندما يكون الليل قد مدد بازاء السماء
مثل مريض بنج على منضدة « العمليات »

ووصفه برغونزي بالجمال والغرابة (ص ١٥)

التشبيه المقلوب

والحق ان تشبيه إليوت ههنا جار على ما يسميه البديعيون بالتشبيه المقلوب . المريض ساعة الغيبوبة والامتداد على المنضدة هو المشبه بغروب الشمس إذ كمفاجاة غشيان الظلام الافق تكون مفاجاة غيبوبة المريض بالبنج .

من امثلة التشبيه المقلوب المعروفة :

وبدا الصـــــباح كان غرته
وجــه الخليفة حين يمتـــدح

وما الأمر إلا ان وجه الخليفة المشرق بغرة الانشراح للمدح قد صار جسم مريض ممدودا على منضدة عملية . وغرة الصباح الباهرة صارت غروبا ... هل اخذ إليوت من ههنا أم هو توارد خواطر ؟ لعله توارد خواطر ولكنه بلا ريب تشبيه مقلوب . صناعة وبديع مصقول متكلف لا اكثر ولا اقل .

اشهد ان اول مادعا إلى الشك في اصالة إليوت في منظومته The Waste Land (الارض المقفرة) ما قدمته من ارتياب النفس من تعليقاته ومن حذفه اسم العرب واسماء من تاثروا إليهم ومن غلبة البرود والتنطس على اسلوبه ومذهبه ومن الفتنة المفرطة به ولا سيما من ليست لغتهم بلغته وفي لغته على اهل لغته هو الانجليزية عسر شديد ، حتى المعجبون به ذكروا ذلك . مثلا قال انتوني بيرغس Anthony Burgess في كتابه من الادب الانجليزي طبعة ١٩٨٠ م وهو من المعجبين بإليوت ان منظومته The Waste Land (الارض المقفرة) فيها عسر ومشقة على القاريء وذكر من بين اسباب ذلك كثرة الاشارات والاقتباسات والاخذ من ادب اوروبا والهند وتداخل الصور إلى اخر ما قال .

الاخذ بلا اعتراف

ومع ان تاريخ كمبردج للادب الانجليزي يعد إليوت من ثلاثة العصر في الشعر الانجليزي الكبار ، مع هذا عاب عليه كثرة اخذه من دون اشارة إلى موضع الاخذ او علامات تدل عليه وقال إنه كان يلزمه بيان ما اخذ وما استعار . والمع تاريخ كمبردج إلى انه إن يك المراد من هذا الحنين إلى الماضي هو التعبير عن الضجر عن العصر باسلوب ادبي ، فان ذلك غير خارج عن

نطاق الأساليب التقليدية ، ونص عبارة تاريخ كمبردج هو كما يلى وما قدمناه فحواها وملخصها (ص ٨٥٣) :

But we may doubt whether the disgust with the realities of the modern world, and the nostalgia for the past, not in its own kind of disgusting reality but as abstracted in literature and art, is anything more than a traditional literary device.

كلمة صدق تقال للمفتونين بايليوت: إن كتمانه وسرقته ودينه للمعلقات وشعر العرب من طريق مستشرقى الهند وفرنسا والمانيا وهارفارد وجامعتى اكسفورد وكمبردج ومن يكون لاقاه فيهما وفى غيرهما وشافهه . ينبغى ان يكون ذلك موضع زراية به ونفور عنه لا فرط إعجاب به واقبال عليه .

اسال الله ان تكون الموضوعية النقدية لنا رائدا ودليلا فى ما نقدمه من حدس مرتب على مشابه قوية وملابسات دليلها قاطع ، وقد اكتفيت فى اكثر ما قدمت بالصدر الاول الأكبر من منظومة The Waste Land خشية الاطالة إذ ليس هذا مجالها وإنما مرادي التنبيه . ولقد اقبلت على كتابة هذه الكلمة الموجزة فى بابها ، وحسبك من القلادة ما احاط بالعنق ، بعد مناقشة مادتها الأولى وجملة معناها مع زملاء فضلاء وطلبة اذكياء واساتذة علماء وغيرهم من المعارف والأصدقاء . فمنهم من نبه على ما لم اكن له متنبها ومنهم من اعان على تيسير المراجع او دل عليها ومنهم من ساهم بالراى وبالكلمة المفيدة — من ذلك مثلا ان عنوان إليوت (لعبة الشطرنج A Game of Chess لا يخلو من نفس امرىء القيس إذ كان يلعب النرد لما جاءه خبر مقتل ابيه ومن ذلك مثلا قول إليوت

Let us go then, you and I

فيه شبه بصياغة الامر فى نحو :

قفا نبك من ذكرى ..

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ..

خليلى عوجا من صدور الرواحل ..

قفي قبل التفرق يا ظعينا

ونحو هذا كثير . ونحو هذا القول محتمل . إلا لننى ارجح ان يكون إليوت اقتدى بطريقة شكسبير ومعاصريه ، نحو قول شكسبير فى مسرحية ريتشارد الثانى الملك على لسانه :

Of comfort let no man speak

اي لا يتحدثن امرؤ عن الراحة . وفيها

let us sit upon the ground

اى لنجلس على الارض . ويعجبنى منها قوله





وليم بليك — اندرو مارفيل

(راجع التماسة عزاء ص ٤٤) :

Let's talk of graves and worms and epitaphs
Make dust our paper and with rainy eyes
Write sorrow on the bosom of the earth

وترجمته التقريبية (التماسة عزاء ٤٤) .

هلموا عن الاجداث والدود والرثا
حديثكمو ثم اجعلوا الترب قرطاسا
ومن اعين تهمي بكالغيث سطروا
على ثدي هذى الارض للحزن انفاسا

وشبه كلام شكسبير بقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، فى نمط الصياغة غير بعيد .

وقال درايتون Drayton من معاصري شكسبير :

Since there is no help, let us kiss and part

واقرب مايترجم به هذا شطر بيت المثقب العبدى

(افاطم قبل بينك متعينى)

وليس بجد بعيد من : فسلي ثيابي من ثيابك تنسل .

توارد الخواطر كثير فى المعانى الانسانية ، ولكن روح التعبير هنا عربي المعدن وكان الاخذ فى زمان النهضة الاوربية عن معارف العرب وادابهم امرا شائعا .

واخذ إليوت عن شعراء الانجليزية خاصة قد كفانا مئونته نقاده ، حتى بيرغس الموالى له لم يغمض فيه وتاريخ كمبردج للادب الانجليزى الذى سبق ان احلنا عليه من قبل قد بكت إليوت كما مر على الاخذ بلا اعــــتراف او تعليق ونعى عليه استعمال التضمين والاقتباس بطريقة الية صارت من بعد مجرد حيلة اسلوبية عند مقلديه الكثيرين او كما قال (ص ٨٥٣) :

.... A mere trick of fashion in his numerous imitators

هذا ، ومنهم — اى ممن ناقشت — من حث حثا على تدوين ما بدا خشية ان يؤخذ من المشافهة فاسبق إلى نشره ولا يشار إلى المصدر . وهذا قبيح . ولكن ليس السبق إلى النشر هو الغرض . ولكن الغرض هو التنبيه على كتمان إليوت تقليده لطريقة العرب فى صياغة القصيد — وقد عرف العرب التضمين والاشارة وغرائب من البديع مع الذى سبق توضيحه من مذهبهم فى الوصف وتداعى المعانى على النحو الذى بين جانبا منه ليال فى مقدمته القيمة .

ليعى بعضنا صياغة القصيد الذى لو اقبلنا على درسه لاغنتنا روائعه اسلوبا تقليديا .. ويسمون إبداعا تقليد إليوت الذى يقلده ، فتامل .

باب للقول فيه متسع

الأراء التى بثثت بطرف منها ههنا قديمة عند كاتب هذه الأسطر المع إلى بعضها فى حديثه عن ابى الطيب الذى القاه فى المهرجان الذى أقيم له ببغداد فى تشرين الثانى سنة ١٩٧٧ م وطبعت فى سفر بعنوان الطبيعة عند المتنبى . وقد جاء فيها ذكر اخذ الشاعر اندرو مارفيل فى منظومته البستان The Garden من :

(مغانى الشعب طيبا فى المغانى)

واخذ وليم بليك فى منظومته عن النمر من اسد ابى الطيب الذى ما قوبلت عيناه ..

ما قوبلت عينـــــاه إلا ظنتـــا
تحت الدجى نار الفريق حلولا

وهذا باب يتسع فيه القول ومجال البحث .

ولله الحمد فى المبدأ او الختام .

وعلى رسول الله الصلاة والسلام ، وعلى اله وصحبه اجمعين ،

د . عبد الله الطيب

اعتذار وتصويب

تعتذر « الدوحة » عن خطاين وقعا فى الجزء الاول من هذه الدراسة الجامعة ، والمنشور فى العدد ٧٤ — ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ — فبراير ١٩٨٢ م . ففى السطر الاول من العمود الثالث فى ص ٢٨ سقطت جملة هى : (وكان اليوت معروفا بالانحراف عن جون ملتون الشاعر الانجليزى الكبير ثم تجيء بعدها الجملة (ومن جون ملتون الخ) .

وفى السطر ١٠ من اخر ص ٣١ من اخر العمود الثالث وقع خطا مطبعى وهو (بمملكة محدودة المدة) وتصويبه (بمملكة محدودة المدى) .

أحمد بهاء الدين شاعرًا

● يعرف القراء « احمد بهاء الدين » كاتبا عربيا كبيرا ، تتميز كتابته بالعمق والجرأة والوعى والثقافة والصدق والنزاهة ، ولعل الكثيرين من القراء قد لاحظوا ما فى كتاباته من سلاسة وعذوبة وجمال ادبى حتى وهو يكتب فى اعقد المشاكل السياسية ، وقد كشف الكاتب الباحث الاستاذ صلاح عيسى فى رسالة إلى الدوحة عن جذور هذا الجمال الذى نلاحظه ونستمتع به جميعا فى كتابات بهاء وذلك عندما أرسل إلينا هذه « القصيدة » التى كتبها احمد بهاء الدين فى مطلع شبابه والقصيدة تكشف ان بهاء الذى أعطى معظم جهده الفكرى للسياسة والبحث الاجتماعى والتاريخى ، قد بدأ شاعرا وبيدو ان الشاعر أحمد بهاء الدين قد تسلل واختفى بين سطور مقالات الكاتب الكبير فاعطاها قيمتها الجمالية بالاضافة إلى قيمتها الفكرية ... وهذه هى قصيدة احمد بهاء الدين التى نشرها فى مجلة « الفصول » القاهرية سنة ١٩٤٧ ... والقصيدة على جمالها وطرافتها فيها خطا نحوى واحد ، حيث استخدم الشاعر الشاب أحمد بهاء الدين فعل « تريدي » بدلا من الفعل الصحيح تريدين ، وهو خطا « هين » من اخطاء البداية – والقصيدة نفسها بعد ذلك تكشف عن لحظة تاريخية من لحظات الازمة الوطنية فى مصر ، ففى سنة ١٩٤٧ كانت مصر تعانى ضغوطا عديدة من الاستعمار وحكومات الاقلية التى لا تهتم بمصالح الشعب .

يا مصر لو شئت الفدا وجدتنى
فى مطلع الابرار واسمك فى فمى
وكما رويت بماء نيلك غلتى
اروى ثراك بما « تريدى » من دمى
زمنى يضيع وكل يوم فيه يطوى لى امل
وانا هنا استعرض الايام .. لما ترتحل
لا استطيع السير فى تيارها او انتقل
واذا جروت وقلت امشى كم تضيق بى السبل

* * *

لقطة :

أحمد شوقى وأحمد عدوية

● لا يزال الاديب العربى بالرغم من الادعاءات والجعجعات هو شحات هذه الأمة ، فلا احمد شوقى بلغ مرتبة احمد عدوية ، ولا محمود سامى البارودى مثل محمود شكوكو ، ولا بنت الشاطىء مثل بنت بديعة ؛ ومنذ سنوات قليلة مات شاعر عظيم من الجوع هو عبد الحميد الديب ، ورثاه كامل الشناوى بكلمات بليغة : « اليوم مات شاعر تعرى واكتست الاضرحة ، وجاع وشبعت الكلاب ... »

وبالامس القريب مات فنان واديب كان تحفة زمانه ونادرة عصره واوانه هو زكريا الحجاوى ، وكانت امنيته الوحيدة ان يجمع عشرة الاف جنيه يعود بعدها إلى قريته ليعيش ما تبقى من عمره فى هدوء ؛ وفى الستينات مات العالم والاديب والناقد انور المعداوى لأنه لم يستطع الحصول على تكاليف علاجه فى الخارج . وهى وصمة عار فى جبين امة يحسدها الغرب على غناها ، وتتحالف ضدها كلاب الارض طمعا فى ثروتها .

محمود السعدنى

عن جريدة « السياسة » الكويتية

* * *

الاغتراب

● كتاب هام صدر اخيرا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر « وصاحبها ومؤسسها هو الدكتور عبد الوهاب الكيالى الذى تم اغتياله فى مكتبه بالمؤسسة منذ شهرين » – مؤلف الكتاب هو ريتشارد شاخت ومترجمه هو الاديب العربى يوسف كامل حسين . ويعالج هكذا الكتاب مفهوم الاغتراب فى الفكر والأدب منذ سنة ١٨٠٠ إلى اليوم ويقول المؤلف فى مقدمة كتابه الهام : « اصبح من المألوف فى الوقت الراهن بصورة متزايدة ان نسمع عن تفسير الحياة فى عصرنا الحالى من خلال مفهوم الاغتراب ، وحينما يقرر كتاب المقالات النقدية عن الكتب والأفلام والمسرح ، ان عملا ما يعالج الاغتراب وما اكثر ما يقومون بتقرير ذلك ، فانهم يقصدون ان ينقلوا لقرائهم فكرة ان هذا العمل يعالج احد جوانب « مازق الانسان المعاصر » او الورطة التى يعانيها قطاع يعتد به من أبناء المجتمع المعاصر ، ويذهب المعلقون الاجتماعيون على نحو متزايد إلى القول بان الاغتراب هو واحدة من اضخم المشاكل التى تواجهنا اليوم . وهم يرونها متمثلة فى الهوة بين الأجيال ، فى ظاهرة شباب الهيبيز ، فى الحركة المناهضة للحرب ، فى لزمة الثقة السائدة ، فى حركتى الثقافة السوداء ، والقوة السوداء !!

* * *

استقالة

● كتب الناقد المعروف الدكتور لويس عوض إلى أصدقائه فى الوطن العربى وفى الغرب رسالة مكتوبة على الالة الكاتبة تم توزيعها على نطاق واسع ، هذا نصها :

« د . لويس عوض يتشرف بابلاغ اصدقائه بانه قد استقال من عمله فى مؤسسة الأهرام اعتبارا من أول يناير سنة ١٩٨٢ وسوف يمكن الاتصال به فقط فى العنوانين الموضحين فى



احمد بهاء الدين



لويس عوض



محمود السعدني

هذه البطاقة :

المنزل : شارع القصر العيني رقم ٤٤ شقة ١٦ ـ القاهرة تليفون ٣٣٢٠١ مكتب خاص : شارع الهرم رقم ١٧٥ شقة ١٦ الجيزة تليفون : ٨٥٦٢٣٤ .

* * *

أزمة الكتاب العربي في أرقام

اصدرت اليونسكو احصائية تقول فيها : إن عشر دول عربية أصدرت سنة ١٩٦٥ ما مجموعه ٥١٩٩ موزعة كالآتي :

مصر	:	٣٢٥٥	كتابا
سوريا	:	٤٥٨	كتابا
لبنان	:	٣٧٣	كتابا
العراق	:	٢٦٨	كتابا
تونس	:	٢٠٠	كتابا
الأردن	:	١٦٢	كتابا
المغرب	:	١٦١	كتابا
الجزائر	:	١٣١	كتابا
الكويت	:	١١٣	كتابا
السودان	:	٨٣	كتابا

وفي سنة ١٩٨١ نقص انتاج العالم العربي من ٥١٩٩ كتابا إلى ٢٨٥٠ كتابا .

وهذه الكتب التي صدرت سنة ١٩٨١ موزعه كالآتي :

١٦٥٠ كتابا صدرت في بيروت وحدها .

١٢٠٠ كتابا صدرت في « كل » الدول العربية !

الكتاب العربي في ازمة .

هذا ما تقوله إحصائية اليونسكو بالارقام .

* * *

من الأرشيف الأدبي : جماعة الفن المنحط

● هذا مقال كتبه الأستاذ عزيز احمد فهمي سنة ١٩٣٩ ، وفي ذلك العام تكونت في مصر جماعة باسم « جماعة الفن المنحط » ، وقد فشلت هذه الجماعة ، وفشلت كل جماعة على شاكلتها ظهرت منذ ذلك التاريخ فكل « التقاليع » لا تعيش ولا تنجح ، إنما ينجح الصدق والعمق والاحساس بالمسئولية في الفن والحياة معا .. وهذا هو مقال عزيز احمد فهمي عن جماعة الفن المنحط التي انشئت سنة ١٩٣٩ وماتت في نفس العام :

تألفت في مصر جماعة من الفنانين سمت نفسها « جماعة الفن المنحط » ، وهي اليوم في طريقها إلى التفرق والتحلل لانها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع إذ لم يزرها في دارها بشارع المدابغ كاتب ولا صحافي ولا زائر عادي يستمع إلى دعوة أفرادها .

« والفن المنحط » الذي تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن ان يقال إنه منحط فعلا مادام يجد من يقول عنه إنه فن . إذ انه لا يمكن ان يكون الفن فنا ومنحطا في الوقت نفسه إلا إذا كان كاذبا .

فالفن هو نتاج الحس لا الفكر .

ومتى توفر فيه الصدق فانه سام رفيع ، ولا يفسده شيء ولا يخفض من شانه شيء إلا ان يكون تكلفا ، فهو عندئذ ليس فنا وإنما هو تهريج وتجارة . وإذا دعا شاعر إلى « التحرر » في شعره وحسنه للناس وزينه لانه يحبه ويجد فيه لذته النفسية ، ولانه يعبر عن هذا الذي يجده تعبيرا صادقا فلا ريب ان فنه يبهر القارئين لانه ينفذ من نفسه إلى نفوسهم فاما ان يرضيها وإما ان يؤلمها ويسخطها . وكذلك الرسام المعجب بالاجسام الذي يصور محاسنها فهو عند الفن ناجح وقادر وعال ما دام يتذوق هذا كله ويعبر عنه صادقا في تذوقه وتعبيره . فاذا شاعرنا للمعاني الروحية المجردة التي لا يحبها هو ولا يتذوقها واراد بتعرضه لها ان يجاري أصحابها وان يقال عنه إنه مثلهم روحاني متصوف فانه سينحط ويضعف لانه سيحتاج في إخراجه إلى الكذب والتزييف والتزوير .

وكذلك رسامنا إذا انحرف عن مزاجه إلى مالا تلتفت إليه نفسه من الجمال الروحي لغرض من الاغراض فانه يكون عندئذ كاذبا ومنافقا ويكون رسمه منحطا حقا .

فاذا كانت جماعة الفن المنحط قد تالفت من أفراد صادقين في شعورهم ففنهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط . أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط ففنهم منحط حقا لا لشيء إلا هذا التكلف ..

النورس الرمادي

للكاتب الأيرلندي : أوفلاهارتي

ترجمة : عادل شريف

رسم : حلمي التوني

يعتبر ليام اوفلاهرتى من المع نجوم الادب الايرلندى المعاصرين الذين ادخلوا الكثير من الحيوية والتجديد والقوة والبهجة والعصرية على النثر الانجليزى فى الثلاثين عاما الماضية وتعتبر كتابات اوفلاهرتى اصدق مثال على ذلك . وقصته القصيرة النورس الرمادى (والنورس طائر بحرى شهير) من احسن ما كتب افلاهرتى لانها تضم تركيبة ذكية لملاحة عن الخيال والحقيقة .. وهما ابرز صفات الشخصية الايرلندية .. على مر العصور ! ..

ونصيحة خالصة للقارىء العزيز . فمن يريد ان يعيش هذه القصة ويستمتع بها فعليه ان يجهز عليها فى جلسة واحدة .. غير مجزاة ! والذى لن ياخذ بالنصيحة لن يستطيع ان يحلق فى سماء الخيال مع « النورس الرمادى » .وستنقطع انفاسه وهو يجرى على الارض محاولا اللحاق .. به .



اجتمع كل افراد عائلة ديسى حول مائدة غرفة الطعام بعد تناول العشاء فى « كيلفيتان هاوس » بعقد مجلس عائلى وقد خيمت الكابة على نفوسهم جميعا . وكان ذلك الاجتماع قبل ثلاثة ايام من سباق « كولاغ هنمت » السنوى للخيول وكان سبب حزنهم هو عدم عثورهم على فارس يقود حصانهم ذا الاعوام الخمسة « النورس الرمادى » والذى كانوا يأملون ان يفوزوا به بجائزة السباق الشهيرة « طبق ليوسبون » . وكان المفروض ان يركب الحصان روجر الابن الاكبر ذو العشرين عاما ، ولكنه كان يجلس إلى اقصى المائدة وقد لف ذراعه اليمنى فى جبيرة وضمادة بعد ان كسرت منذ اسبوعين وهو يدرب « النورس الرمادى » على القفز من فوق الحواجز .

وقد حاولت العائلة عبثا ان تجد بديلا لروجر . ونجمت المتاعب عن عدم سماح « النورس الرمادى » لاى شخص اخر بامتطاء صهوته لمدة تزيد عن .. ثانيتين او ثلاث توان ! ولذلك كان ال ديسى يواجهون موقفا لا يحسدون عليه . وقطع روجر الصمت الطويل الذى ران على العائلة قائلا « يجب الا نيأس » .. ان « النورس الرمادى » ليس متوحشا حقيقة .. إنه متوتر الاعصاب فحسب ، ولا يحب غير عدد قليل من الناس ولو امكننا العثور على شخص يسمح له « النورس الرمادى » بركوبه .. لامكنه ..

قاطعه السيد ديسى فى لهجة حزينة « لا فائدة من ان تخدع نفسك يا روجر اكثر من ذلك فاننا لا نستطيع ان نجد فارسا له . هذا هو حظنا . انه حظ ال ديسى . ولا يمكن ان نقاوم ما قسم لنا . ان هذا النحس يطاردنى طيلة حياتى » .

ردت السيدة ديسى « هذا كلام فارغ يا جون » . ولكن جون رد عليها « بل هى الحقيقة يا دوروثى .. ويجب ان تدركى هذه الحقيقة بعد ان استمر زواجنا اثنين وعشرين عاما » . فعادت السيدة ديسى « لا يوجد شىء اسمه حظ ال ديسى السيىء . لقد تعبت وسئمت من اتخاذه عذرا للكسل والعجز والجنون المطبق » .

وكان السيد ديسى يبدو عليه بعض الجنون فعلا وهو يحملق فى زوجته . وكان جون ديسى رجلا طويل القامة نحيلا وفى الواحدة والستين من عمره ، وله نظرة وحشية فى عينيه السوداوين ، وكانت هناك ندبة كبيرة على صدغه الايمن نتيجة سقطة من على حصانه فى شبابه عندما كان يشترك فى سباق الحواجز .

وصاح الرجل متهكما « حقا .. ان هذا لشىء جميل تقولينه امام الاولاد هى لحظة كهذه ، عندما اكون هى احلك اوقات شقائى بينما يمكن لكلمة حلوة ان تجد لى مخرجا من مازقى . انك لرفيقة ممتازة لرجل فى ورطة ! » .

فقال روجر « لا تحزن يا ابى ولا تلق بالا لما تقوله امى . انها تحب ان تسمع نفسها وهى تتكلم .. هذا كل ما فى الأمر» فانفجرت السيدة ديسى صائحة « لا اريد ان اسمع مزيدا من وقاحتك يا روجر . انك منذ بدات تقلد اباك وتقامر وتشترك فى سباق الخيل ، فقدت كل اخلاقك الطيبة واحترامك للكبار . لقد اصبحت « ديسى » حقيقيا » ! وهنا تدخلت العمة بنيلوبى فى الحديث قائلة « ما هذا كله ؟ يجب ان يكون حديثكم مهذبا انكم لن تحصلوا على فارس بتبادل الشتائم واذا كان من الممكن الحصول على اى شىء باستخدام الشتائم ، فان هذه العائلة ستصبح حتما اغنى عائلة فى كل البلد » .

وضرب السيد ديسى المائدة بقبضته وهو يرغى ويزبد وصاح « انكم تبحثون عن الحظ .. لقد حاولت طيلة حياتى ان اربى حصانا ممتازا يتخصص فى سباق الحواجز .. ونجحت فى اخر الامر وانا قاب قوسين من قبرى .. وليس من شك فى انه جواد ممتاز حقيقة .. بل اقسم انه اكثر من ممتاز .. رغم انه لم يختبر فى سباق تشترك فيه جياد من الدرجة الاولى .. وتستخدم فيه الحواجز العالية،لو تمكنت من إشراكه فى السباق كما ينبغى لحصلت من ورائه على عشرة الاف جنيه فى عام واحد . فصاحت السيدة ديسى فى احتقار : « تقصد عشرة الاف .. زيادة ! » .. فصاح السيد ديسى فى عصبية : « لا توجد كلمة كاذبة واحدة فى كلامى .. فهناك مئات من الانجليز فى طريقهم الان إلى ايرلندا من اجل تناول اللحم الايرلندى الطيب .. وقد امتلأت جيوبهم بمال وفير .. وعندما تمتلىء بطونهم بشرائح اللحم اللذيذ تغمرهم السعادة إلى حد الشعور برغبة شديدة فى شراء جواد متخصص فى سباق الحواجز وفى الفوز بالسباق الوطنى الكبير . وهم يدفعون اسعارا مذهلة للخيول العجوزة التى لا تستحق الشعير الذى تاكله » .

وكررت السيدة ديسى نفس الجملة « عشرة الاف اكذوبة ! يا جون لو كنت تهتم بزراعة ارضك او بتربية الماشية ...»فقاطعها روجر : انه على حق يا امى وما يقوله حقيقى ، وانا اعلم ان اللورد ديليسك قد حصل على اربعة الاف جنيه ثمنا لجواد اسمه سيمبلتون ، رغم انه كان قد اشتراه من بارنى غولدريك ثلاثة مائة وخمسين جنيها منذ شهرين . الا تذكر يا ابى ؟ وكان كل الناس يقولون إنه كان مجنونا عندما دفع هذا المبلغ لبارنى !

فقال السيد ديسى : هذا صحيح لقد قبض اربعة الاف من الجنيهات ثمنا لسيمبلتون وهو جواد عمره عشر سنوات ولم يفز ابدا باكثر من الجائزة الثالثة . يا لمهارة ديلسك ! اننى استطيع ان اكون فى مثل مهارته ، إذا تمكنت من الحصول على فارس النورس الرمادى . ولو تمكننا من الفوز بجائزة طبق

النـــــورس الرمـــــادي

ليوسـبون بفضل هذا الفارس وجوادى ثم فزت بسباقين اخرين ، لحصلت على ما يكفينى من المال لاشترك به فى السباقات الكبرى . وبعد ذلك يمكننى أن اذهب إلى بانشتون فى العام التالى ، واذا ربح جوادى هناك فسيعترف به كبطل ، ويمكننى ان احصل على برميل من المال ثمنا له .. وهنا قالت السيدة ديسى : ان كل فرد من ال ديسى ولد مجنونا ويموت مجنونا . بلا اى فترة من فترات العقل طيلة حياته . لو قمت بعمل امين بدلا من ان تحلم بهذه المشروعات لتحصل على الثروة بسرعة ، لما كنا بلا رصيد فى البنك ولما خجلنا من الظهور فى البلدة بسبب كل الديون التى علينا . فقالت بنيلوبى : ان هناك قدرا كبيرا من الحقيقة فيما تقولينه يا دوروثى . ولكن اود ان اوضح ان عائلتك ال فيتزمورس ليست مثلا صادقا على النجاح والاقتصاد . هل هى كذلك الآن ؟ .. فقال السيد ديسى « كفى يا بنيلوبى ، لا تتدخلى فى الأمور الشخصية » فقـال بريان وهو فتى احمر الشعر فى السابعة عشرة من عمره « يا الهى الا يمكنكم ايها الكبار ان تحاولوا التفكير فى شخص اخر ليركب النورس الرمادى بدلا من ان تتشاحنوا بمثل هذا الضجيج الشديد ! » . فقال السيد ديسى « اننى اسوأ الرجال حظا على ظهر الأرض ، فبعد ان فقدت الامل فى تربية جواد ممتاز ، وهبتنى العناية الالهية بطلا ، ثم اتضح ان البطل متوحش ! » فصاح روجر مستنكرا : « ان النورس الرمادى ليس متوحشا يا ابى لماذا تكرر انه متوحش ؟ » فقال السيد ديسى « اذا لم يكن متوحشا .. فاننى لا افهم شيئا فى الدنيا .. انى لم أر فى حياتى مخلوقا أكثر وحشية من هذا الجواد» فقال روجر : «ولكنه سلس القياد مع اى شخص يحبه . ان له فم ملاك ! فكيف يكون متوحشا وله مثل هذا الفم الجميل ؟ » فرد السيد ديسى « عندما يرانى ذلك الحيوان قادما فانه يكشر عن انيابه ويطلق صيحة تخيف اشجع محاربى الزولو » فقال روجر : « ان السبب هو اعصابه . فهو شديد الحساسية ، وهو لا يثق الا فى عدد قليل جدا من الناس ، فصاح السيد ديسى » : هل تقول عددا قليلا جدا من الناس ؟ . انـه لا يسمح الا لك انت بالاقتراب منه ، وهذا يثبت انه مجنون . وكل حصان مجنون له نزعة مثل هذه ، ولا يسمح الا لشخص واحد بالاقتراب منه . اوه .. ما جدوى الكلام ؟ ان حظ ال ديسى السيىء هو الذى يطاردنى باستمرار » . فاردف روجر : « انه يسمح للعمة بنيلوبى ايضا بالاقتراب منه ، وهذا يثبت انه ليس مجنونا . بل انه يحبها اكثر مما يحبنى . او ليس ذلك صحيحا يا عمتى بنيلوبى ؟ » فقالت السيدة ديسى فى حقد : « هذا صحيح ، ولكن ذلك لا يثبت الا انه شديد الجنون حقا » فقالت بنيلوبى : « انك لا تفوتك اية فرصة يا دوروثى .. اليس كذلك ؟ » وهنـا تقدمت الابنة الصغرى شالوت وهى فى السادسة عشرة من عمرها باقتراح مفاجىء فقالت فى صوت عميق : « اذا كان يكن مثل هذا الحب العميق للعمة بنيلوبى فلماذا لا تركبـه عمتى فى السباق ؟ » .

فنظر السيد ديسي والابناء الثلاثة إلى العمة بنيلوبى باهتمام بينما زمجرت السيدة ديسى باحتقار وواصلت حياكة صديريها فقالت العمة بنيلوبى فى سخط وهى تعود بمقعدها إلى الوراء « هـذا صحيح .. هيا اسخروا بامرأة عجوز .. ماذا وراءكم غير هذا ؟ » وكانت فى الثالثة والستين من عمرها وشديدة الشبه باخيها ، اذ كانت طويلة القامة نحيلة ، ذات عيون سود وحشية اضفت على وجهها ذى الوجنتين الحمراوين بعض مظاهر الجنون وكان لها راس جميل رمادى الشعر . وفى شبابها كانت من أشهر الفارسات ، كما اشتركت بنجاح فى بعض السباقات المحلية ولكنها لم تركب اى جواد طيلة العشرين عاما الماضية بسبب ضعف نظرها . ومع كل ذلك فقد كانت ما تزال شديدة القوة والنشاط وتشتهر بكونها احسن منا فى كل المنطقة .

وتجمع الابناء الثلاثة حولها يحتجون باصوات عالية على اتهامها لهم بأنهم يسخرون منها . وصاح روجر « انها فكرة مدهشة » وقال بريان « كان يجب أن نفكر فيها منذ زمن بعيد ، انك احسن فارسة فى كل المنطقة . لقد سمعت جاك هاينز البيطار وهو يقول ذلك ، ولا شك انه يعرف ما يقوله لانه كان فارسا ممتازا هو الآخر » .

وقالت شارلوت فى صوتها الرزين : «إننى فكر فى هذا الموضوع منذ يومين يا عمتى بنيلوبى ولكن لم تسنح لى الفرصة لاعرض فكرتى هذه » . فضرب السيد ديسى المائدة وقال فى كآبة : « اجلسوا يا أولادى ولا تقولوا هراء ، انكم تعرفون ان امرأة فى سن بنيلوبى لا يمكنها ان تقود حيوانا متوحشا مثل النورس الرمادى فى سباق طويل مثل هذا السباق ، ياللمصيبة ! ماذا سيحدث لو ثار الجواد ! » .

وصاح روجر فى صوت جاد : إنك مخطىء يا ابى ، ان النورس الرمادى رقيق جدا إلى حد انه .. » فقاطعته السيدة ديسى « : يجب ان تتذكر يا روجر أيضا ان العمة بنيلوبى عمياء كالخفـاش . فصرخت بنيلوبى مستنكرة « اننى لست كذلك ، اننى استطيع ان ارى احسن منك يا دوروثى . واستطيع ان ارى جيدا بنظارتى ولاثبت لـكم ذلك فسامتطى النورس الرمادى غدا وسأثب به من فوق بعض الاسوار » . واطلق الابناء الثلاثة صيحة فرح . وصرخ روجر : يا عمتى بنيلوبى العجوز المدهشة ! لقد كنت واثقا من شجاعتك . فقال السيد ديسى وهو ينهض مهلا يا اولادى .. يجب الا نقول كلاما بلا طائل .. لا يمكننى السماح لبنيلوبى بركوبه . اننى لن أستطيع ان اغفر لنفسى لو حدث لها اى شيء . فقالت بنيلوبى فى استعلاء : « لا تكن احمق يا جون ، اننى أستطيع الركوب مثلما ركبت فى شبابى ، كما أريد أن اثبت لدوروثى اننى لست عمياء » .

ومر السيد ديسى بيده على خده ، وظهر تعبير وحشى فى عينيه وهو ينظر إلى اخته، وبدا قلبه يدق بسرعة متزايدة وقال وهو يتنفس بصعوبة : «حسنا يا بنيلوبى ، اذا كنت حقا تريدين تجربته فليكن غدا .. » .

وفى الصباح التالى بدت بنيلوبى كطفلة عندما امتطت صهوة الحيوان الضخم وهى تضع نظارتها وترتدى سترتها الرمادية وسراويل الركوب .. وكان ارتفاعه يزيد على سبع عشرة قبضة (١٧٠ سم) ويتمتع ببنيان قوى . وصاح السيد ديسى فى اخته من بعيد « خذى حذرك الآن يا بنيلوبى » ولم يجرؤ على الاقتراب حتى لا يثور الجواد .

فقالت بنيلوبى « هراء .. دع العنان يا روجر .. لماذا تثور أعصابكم جميعا هكذا ؟ ، ان من يراكم هكذا يظننى طفلة فى الرابعة من عمرها تتلقى درسها الأول » .

وهمست للحصان وسارت به ببطء إلى المضمار نحو الميدان الكبير حيث بنى السيد ديسى بعض الحواجز لتدريب الخيل

الصغيرة . ولم يسلك النورس الرمادى سلوك الحيوان المتوحش على الاطلاق ، بل اطاعها واستكان لتوجيهاتها بطريقة مهذبة واعية .

وبعد ان خبت به حول الميدان فترة قليلة ركضته بسرعة ووجهته ناحية احد الحواجز فوثب من فوقه برشاقة . واظهرت بنيلوبى انها لم تفقد مثقال ذرة من مهارتها القديمة رغم انقطاعها عن الركوب ، وتحكمت فيه كمحترفة بعد وثبتها .

واطلق الاولاد صيحة هائلة وهم يرقبون الحصان والمرأة العجوز صغيرة القد وهما ينهيان معا الوثبة بسلام . وابتسم السيد ديسى بسمة عريضة ليصيح روجر « الم اقل لك يا ابى ؟ ان النورس الرمادى يصبح فى رقة الحمل مع من يحبه . ارقبه وهو يثب من فوق الحاجز الثانى الآن . لقد ولد ليثب ! انه يتخطى الحواجز فى رشاقة غزال » .

وقفزت بنيلوبى والجواد من فوق الحاجز الثانى والثالث بنفس الأسلوب السليم ، ثم عادا إلى المضمار . وقالت بنيلوبى وهم يساعدونها على النزول : « ما رايكم ؟ . ان ذلك يثبت اننى لست عمياء » .

فقال « انك ممتازة ! ولكن هل تظنين انك تتحملين سباق ليوسيون واميالة الاربعة ؟ انه سباق عنيف » .

فصاح روجر « انها تستطيع .. واننى لواثق من ذلك » .

فقالت بنيلوبى عابسة : « أستطيع ان احاول بما اننا لا نستطيع العثور على فارس اخر . اننى اعلم يا جون كم انت تواق للفوز بهذا السباق وقيمته بالنسبة لك . ومن ناحيتى فان اهتمامى لا يقل عن اهتمامك لترى النورس البحرى وقد أثبت وجوده . اننى احب هذا الجواد واعتقد انه جواد ممتاز ، وأريد ان تعرف الدنيا كلها طيب معدنه » .

ومرة ثانية اطلق الأولاد الثلاثة صرخة فرح واحتضنوا عمتهم .

وقال السيد ديسى « ان هذا يقرر الامر .. سنشترك فى السباق وستقود بنيلوبى الجواد . والآن علينا ان ندبر مبلغا نراهن عليه . ان اللورد ديليسك سيركب حصانا مرشحا للفوز ، ولذلك علينا ان نراهن على النورس الرمادى بنسبة خمســة إلى واحد على الأقل » .

وامضى الايام المتبقية على الســـــباق محاولا جمع بعض المال ، ولكن حالت صعوبات جمة دون ذلك ، فقد رفض الجميع إقراضه اى مبلغ .. لانه لم يكن موضع ثقة احد فى المنطقة ! فقرر فى نهاية الامر تدبير سبعة واربعين جنيها عن طريق بيع مجموعة جديدة من ادوات الركوب وبعض الأشياء الأخرى . وبالدقة فقد حصل على خمسة واربعين جنيها (وزجاجة براندى !)

وفى صباح يوم السباق قال لعائلته على مائدة الإفطار « ان المبلغ ليس كبيرا .. ولكنه بداية على اى حال . ولو امكننى الحصول على نسبة اربعة او خمسة لواحد .. فاننا ستحصل على مائتى جنيه لنراهن بها فى السباق التالى » .

وفى هذه اللحظة القت العمة بنيلوبى خمسة جنيهات على المائدة امام اخيها وطلبت منه ان يراهن لها على النورس الرمادى ، واردفت « انها كل ما تبقى لى من ميراث عمى انتونى الذى تركه لى منذ ثمانية عشر عاما » .

فصاح السيد ديسى « يا لك من ســـيدة عظيمة » . فقالت السيدة ديسى بمرارة « ان التبذير الشديد يؤدى إلى الفقر الشديد . ففى هذه اللحظة لا اعلم من اين استطيع الحصول على اوقية من الشاى او رطل من اللحم على الحساب . كان يوما عصيبا حقا اشتدت فيه الريح وتخللته زخات من البرد متقطعة صحبها برد قارس .. ومع ذلك حضر جمهور غفير إلى بالماوزبورج حيث يقام السباق على قمم الجبال . وجاءت جماعات من الغجر من ست مقاطعات ، واوحى العدد الضخم من الخيام بان هناك جيشا يعسكر فى البرارى الموحشة . وبدا هؤلاء المتشردون يمرحون فى صخب منذ الاشراقة الاولى للصباح .. كانوا يشربون ويعزفون على الات الاكورديون . فاثاروا ضجة كبرى عندما بدا السباق .

واخر ال ديسى وصولهم على قدر الامكان حتى يجنبوا النورس الرمادى الثـــورة الناجمة عن هذه الضجة والتى قد تتسبب فى عدم قدرتهم على كبح جماحه .

ورغم كل تلك الاحتياطات فقد ساء سلوكه وهم يقودونه وسط الزحام فى الطريق إلى حظيرة إعداد الجياد للسباق . ورغم جهود روجر لتهدئته فقد استمر الحيوان الضخم يرفس ويركل بوحشية حملت الناس على الفرار من طريقه فى فزع .

وصاح رجل فى نبرة ساخرة : هل هذا هو الحصان الوحشى الذى احضرته من بورنيو يا سيد ديسى ! وصاح اخر : هل ستاخذه إلى حديقة الحيوان ! ؟ . لا اظن ان هناك أى حديقة حيوان فى العالم تقبل مثل هذا الوحش .

وكاد هياج السيد ديسى ان يبلغ درجة هياج حصانه عند سماعه هذه التعليقات فهز عصاه فى وجه الجمهور ودفعت إجابته السريعة الغضبى الناس إلى مزيد من التهكم فصاح ديسى : ايها الجهلة المجانين اننى ساريكم حالا ما يستطيع هذا الجواد تحقيقه ايها الشحاذين القرود .

وقالت له زوجته وهى تمسكه من ذراعه : « اهدا يا جون ولا تكن احمق » : ومع ذلك فقد واصل صياحه لمعذبيه بينما زوجته تدفعه بعيدا عنهم بالقوة . وفى نفس الوقت عمدت بنيلوبى وروجر إلى قيادة النورس الرمادى إلى حظيرة اعداد الخيل بدون خسائر .

وتقدم اللورد ديليسك وابدى ملاحظـــة دفعت بالسيد ديسى إلى غضبه مرة أخرى عندما ساله اللورد ديليسك « هل حصلت على فارس لجوادك يا جون ؟ » فاجاب ديسى بتعال : نعم وانه لفارس يفوق الفارس الذى سيمتطى جوادك . فرد اللورد ديليسك بوقاحة : « احقا ! هل لى ان اعرف من هو هذا الفارس » ؟ وكان ديليسك رجلا فارع القامة جامد الوجه ذا شارب اسود وعيون زرقاء باردة تبدو وكانها تنظر بكراهية إلى كل إنسان . وكانت له شهرة مدوية كفارس ناجح ومرب لخيول سباق الحواجز . ولم يكن اقل نجاحا كبائع للخيول . إذ كان يبيعها للزوار الانجليز باسعار مرتفعة . وقبض السيد ديسى على يد اخته وصافحها بحماسة وفخر قائلا : « ان شقيقتى هى التى ستركب حصانى » ونظر ديليسك الى بنيلوبى التى بدت وكانها مرتجفة فى معطفها الباهت الواقى من المطر وعلى راسها قلنسوة الفرسان ، وقال لديسى وهو يرفع حاجبيه فى دهشة : « هل انت جاد فيما تقول ؟ » فرد السيد ديسى غاضبا : « ماذا تعني ؟ » فقال ديليسك « اذا سمحت لها بركوب هذا الحيوان غير المدرب فانك تكون كمن حكم عليها بالموت ففى مثل سنها تصبح اية كبوة قاتلة بالتاكيد » . فصاح السيد ديسى « هل قلت ان جوادى غير مدرب ؟ » . فرد ديليسك : « طبعا انه غير مدرب بالمرة . انه متوحش ولا يمكن السيطرة عليه فصرخ » ديسى : « هل تتعمد إثارتى ؟ » . ورد ديليسك : « على الاطلاق . اننى احذرك من اجل صالحك بالا تشرك الحصان فى هذا السباق » فصرخ السيد ديسى مستنكرا وقد اكفهر وجهه : « غير مدرب ؟ » فاجاب ديليسك : « ان ما يعلمه الجميـــــع انك لا تستطيع الحصول على رجل فى كل المنطقة ليركبه . وسيشكل جوادك خطرا علينا جميعا اثناء السباق واشراكك له فى السباق ينم عن روح غيررياضية » ، ثم استدار بحدة وابتعد وصاح السيد ديسى

النـــــورس الرمـــــادي

وهو يهز عصاه « غير مدرب ؟ ايهـــــا المتعجرف الوقح ! يا سارق الخيل اللعين ! .

إنك متحامل على لانى رفضت عرضك لشراء جوادى . وهذا هو سر ضيقك ايها الشحيح التعس ! .

ثم استدار ليخاطب الناس التى تجمعت حوله وصاح « لقد جاء البخيل إلى منذ شهر مضى وعرض على شراء حصانى بمائتى جنيه . فقلت له إنى افضل النورس الرمادى على بيعه بذلك السعر . فعرض على مائتين وخمسين جنيها . فطردته من بيتى . وقلت له انى افضل الموت جوعا على .. » .

واضطرت كل العائلة الى الالتفاف حول الرجل الأحمق واستعطافه بحرارة حتى يوقف صياحه . وقد استدر منظرهم الشفقة وهم يقفون فى مجموعة صغيرة بملابسهم الرثة ووجوهم الوحشية وجوادهم المتوحش كقطيع من الذئاب الجائعة تحيطه جمهرة من الناس تعبث بها .

وقال السيد ديسى بعد أن استعاد بعض هدوئه « حسن .. سنرى من منا سيضحك اخيرا .. بعد السباق » .

وعندما ذهب إلى سمسار رهانات السباق ليراهن قبل السمسار ان يراهنه بنسبة عشرة إلى واحد وقال وهو يضحك « إننى اكره ان استولى على نقودك ياسيد ديسى . ولكن الشغل شغل ! » فقال السيد ديسى وهو يغادر مكتب الرهانات « انك لن تحتفظ بنقودي .. فترة طويلة ! »

وكان السيد ديسى يبدو واثقا إلى درجـــة حدت بالسمسار إلى ان يهمس فى اذن احد معاونيه « اذهب وراهن على النورس الرمادى بنصف المبلغ الذى راهن به السيد ديسى .. فمن يدرى ما سوف يحدث ! ربما يكون هذا المجنون قد اعد لنا مفاجاة .. ان المعجزات تحدث فى السباق دائما . وقد تفوز المراة العجوز ! » .

فقال المساعد وهو يسرع ليراهن : « لو فازت .. فستكون هذه اعجوبة الاعاجيب ! »

وعندما حان وقت امتطاء بنيلوبى لصهوة النورس الرمادى . طلبت من اخيها بعض الشراب . ففتح السيد ديسى الزجاجة واعطاها لها وقال : « لا تشربى كثيرا والا دارت راسك . انك فى حاجة إلى الاحتفاظ باعصابك .. صدقينى . وتذكرى دائما ان تتبعى جواد ديليسك حتى تجتازى الحاجز الأخير .. ثم اسبقيه » .

ورغم تحذير اخيها شربت بنيلوبى جرعة كبيرة . ثم ثبتت نظارتها بشريط لاصق قبل ان يضعوها على ظهر الجواد وقالت لها السيدة ديسى « وداعا يا بنيلوبى .. وتذكرى اننى لا احمل لك اية ضغينة » . فقالت بنيلوبى : « انك كالدواء المر يا دوروثى .. فحتى هذه اللحظة لا يمكنك ان تتوقفى عن طعنى من الخلف ..انك تتحلين بصفات ال فيتزموريس من قمة الراس الى اخمص القدمين » فقال السيد ديسى وهو يمسك بركبة اخته : « كفى ذلك الان يا بنيلوبى » .

وتذكرى ما قلته لك . انك لا تعرفين مجرى السباق . ولذلك عليك الا تندفعى إلى المقدمة الا بعد ان تنتهى من الحاجز الاخير . فالطريق يستقيم من بعد . حتى نهاية السباق . اتبعى دن إيمر حتى الحاجز الاخير ثم اطلقى لجوادك العنان ويمكن لو سقط دن إيمر قبل ذلك . فدعى جوادا اخر يقودك إلى الحاجز الاخير . اتمنى لك حظا سعيدا ولا تمنحى ديليسك فرصة ليخدعك بخدعه القذرة . فذلك الوغد لن يتورع عن اى شىء .

واصبح النورس الرمادى فى وداعة الحمل عندما اعتلت بنيلوبى ظهره ! بل انه لم يهتم باقتراب السيد ديسى منه ! وسار بهدوء وسط الزحام فى طريقه إلى نقطة بدء السباق وكانه جواد محنك ! .

ورغم ذلك فقد واصل الناس الصفير فى وجه بنيلوبى والنيل منها بنكاتهم . وصاح سمسار « لقد جاءوا بامراة البحر العجوز لتركب حصان بورنيو المتوحش .. واليكم تركيبة مريحة .. اى مبلغ تراهنون به على دن إيمر سيحقق ربحا .. اما (امبريللا) فنسبة فوزه اربعون إلى واحد .. و(فايتبخ كوك) ستة الى واحد وكذلك (سون مورمى) .. وعشرة إلى واحد .. للنورس الرمـــادي » .

لم تجد بنيلوبى اية صعوبة فى قيـــادة النورس الرمادى ليتخذ مكانه عند نقطة البداية . وقد ادركت على الفور انه ولد ليكون جواد سباق . وانه من ذلك النوع الذى يبذل كل قوته عندما يدخل فى منافسة مع اخرين . واحست بمتعة لقدرتها على التحكم فى قوته الضخمة بمجرد لمسة خفيفة لعنانه . وقالت لنفسها وهم يقتربون من الحاجز الأول « انه ممتاز . ولو تمكنت من الصمود على ظهره فسيفوز بسهولة » .

وقد تعدت الجياد التسعة الحاجز الاول فى وقت واحد تقريبا وبسلام .. واستمر الحال كذلك حتى قطعت الحاجز الاول او اكثر قليلا . ثم سقط « شون مورفى » وهو يتخطى الحاجز المؤدى إلى الحقل المحروث . وبعد ذلك بمسافة قصيرة اوقع جواد يدعى « رودى يستم » فارسته الشابة »وجرى بسرعة فى اتجاه مخالف وهنا زاد « امبريللا » من سرعته وسبق بقية الجياد بعشرة اطوال بينما احتل « فايتبخ كوك » و « دن إيمر » المركز الثانى معا وامتثالا لتعليمات اخيها حرفيا اقتفت بنيلوبى اثر « دن إيمر » وجعلت بينها وبينه مسافة طولين . وفى خلال النصف الأول من السباق جرت الخيل والريح فى دبرها . ولم يكن على بنيلوبى سوى توازنها على ظهر النورس الرمادى الذى كان يجرى باقتدار ولم تكن تفكر الا فى ذلك الاحساس الطاعن الذى ينتاب الفرسان العائدين بعد طول غياب . ثم بدا طريق العودة فى مواجهة الرياح الشديدة وقد بقى ميلان على نهاية السباق .. ونسيت المراة المسكينة مخاوفها وضغطت على اسنانها وهى تحس البرد القارس وهو يخترق بدنها النحيل . ولم يكن قد بقى من قواها الا ما يمنعها من السقوط من ظهر جوادها بفعل العاصفة . وغمغمت فى ياس « يا الهى ! .. اننى لن استطيع الصمود على ظهره .. لقد انتهيت » .

وارتكبت « امبريللا » خطا فاحشا وهو يقفز من فوق الحائط الحجرى فجرح رجليه الخلفيتين وسقط على ركبتيه . ورغم تدارك فارسه الماهر للموقف طغى الخوف على « امبريللا » ولم يستطع مواصلة السباق . وتمكن « فاتييج كوك » من ان يتقدم على « دن إيمر » قليلا بينما واصل النورس الرمادى احتلال المركز الثالث متاخرا عن « دن إيمر » ببضع اطوال . وعند صعود المنحدر حيث يوجد الحاجز المزدوج بدا « فايتبخ كوك » يظهر دلائل التعب .

ورغم انه تعدى العائقين بلا اخطاء وبسبب استنفار فارسه له . فقد بدا من الواضح عقب ذلك انه قد استنفد جهده . وبعد ذلك قلت سرعته وانضم إلى « امبريللا » فى المؤخرة .

وفى هذه اللحظة قرر اللورد ديليسك ان يبذل كل جهده .فوخز حصانه فجاة وانطلق باقصى سرعته فخاطبت بنيلوبى نفسها قائلة وهى تطلق العنان للنورس الرمادى « هيا بنا .. لقد حان وقت الســـــباق » .. وتجـــــاوب معها الجــــواد الضـــخم على الفــــور واسترد مركزه الســـابق

ترجمة : عـــادل شـــريف



بقلم : الدكتور محمد البهي

"الكفَّارة"

● يقول الله تعالى فى سورة المائدة : « يا أيها الذين امنوا : لا تقتلوا الصيد وانتم حرم (أى وانتم فى احرام بالحج او العمرة) ومن قتله منكم متعمدا فجزاء : مثل ما قتل (أى جزاؤه مماثل فى القيمة لما قتل) من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة (أى ان المماثلة فى قيمة ما قتل من الصيد : اما من الانعام يحكم بها اثنان معروفان بينكم بالعدل ، على ان يرسل هديا الى الكعبة : يذبح ويوزع هناك على اصحاب الحاجة) أو كفارة : طعام مساكين (واما كفارة من طعام يوزع على الفقراء هناك) او عدل ذلك صياما (واما ما يوازى الطعام من صيام ، على ان يكون صيام يوم فى مقابل طعام مسكين واحد) » . (المائدة : ٩٥) ..

فالآية هنا جعلت جزاء ما قتل من صيد الحرم ، من المحرم بالحج أو العمرة واحدا من ثلاثة أمور / التصدق بقيمته من الأنعام .. او من طعام .. أو صيام ايام تساوى فى عددها : عدد من ينتفعون بالطعام . واطلقت : الكفارة على الطعام الذى يقدم للمساكين ، كما اطلقت : الهدى على الحيوان الذى يذبح ويوزع عليهم ، والكفارة والهدى هنا ، كلاهما جزاء عما وقع من خطأ فى حق الله اثناء الأحرام . وهذا الخطأ هو قتل صيد الحرم الذى نهى الله عن قتله فى بداية هذه الآية فى قوله تعالى : « يا أيها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم » .

ويقول الله تعالى فى سورة المائدة كذلك : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته : اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم ، او كسوتهم ، او تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم » . (المائدة : ٨٩) .. فرتبت الآية على الحنث والخلف فى اليمين باسم الله : جزاء ، اطلقت عليه اسم الكفارة ، يتردد هذا الجزاء اولا بين اطعام عشرة مساكين وكسوتهم ، وتحرير انسان من رقه . ثم عند عدم الاستطاعة على أى واحد منها ينتهى الى صيام ثلاثة ايام . والحنث فى اليمين ينطوى على عدم الرعاية التامة لجلال المولى وعظمته . فهو ذنب فى جانبه .

ويلاحظ الآن : أن مفهوم الكفارة فى هاتين الآيتين يرتبط بصدقة على المساكين عند طلب العفو من الله والسماح منه ، فى أمر وقع خطا فى جانبه سبحانه .

● ولكن لو قرانا قول الله تعالى : «وكتبنا عليهم فيها : أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والانف بالأنف ، والاذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص (أى مماثلة) فمن تصدق به (أى بالقصاص وتنازل عن حقه فيه وعفا عمن اعتدى) فهو كفارة له » . (المائدة : ٤٥) .. لو قرانا هذه الآية لوجدناها اطلقت على التصدق بالقصاص والتنازل عنه : كفارة ، دون ان يكون هناك خطا فى جانب المولى ، وقع ممن اعتبر له التنازل عن القصاص : كفارة منه . وهو صاحب الحق فى القصاص . ولكن عنصر الصدقة هنا باق فى مفهوم الكفارة : لأن المتنازل عن القصاص احسن الى من يجب القصاص منه بالعفو عنه . والذى يعفو عن اخطاء الناس محسن اليهم . وليست الصدقة بالطعام وخلافه مما يقيم النفس : الا احسانا لمن يتصدق به عليهم ، وكذلك طلب العفو من الله كعنصر فى مفهوم الكفارة لم يزل هنا فى التنازل عن القصاص : باقيا كذلك . لأن عفو الانسان عن خطا انسان اخر لا يتم فى حقيقة امره الا بعفو الله وبرضاه .

واذن مفهوم الكفارة ـ كما يرد فى ايات القران الكريم ـ يعتمد على وجود صدقة تقدم بين يدى الله ـ اى تستهدف رضاء الله ـ قبل طلب العفو والسماح منه ، على خطا تعلق به حق الله جل شانه . فاذا اتجه الانسان الى الله ليطلب المغفرة منه على ذنب يتصل به سبحانه فليقدم صدقة يحسن بها الى اصحاب الحاجة امارة على انه يولى الرعاية الاجتماعية حقها ، وعلى ان عامل الأنانية فيه قد ضعف، والكفارة بذلك : صدقة بقدر ما هى جزاء .. وقربى الى الله بقدر ما هى عنوان على التماس الصفح والرضا منه ، جل سبحانه ..

أحمد البشر الرومي

العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلده

بقلم: محمد عبد الحميد

أحمد البشر الرومى احد رجالات الكويت الذى اسهم فى بناء نهضة بلده التى احبها حباً وهب عمره كله من اجلها .. باحثاً فى تاريخها وتــــاريخ ما يجاورها من بلدان الخليج العربى والجزيرة العربية .. جمع فى مكتبته ما يقرب من (٧٠٠٠) الاف كتاب .. عاش احداثها واخبارها ونوادرها وحكاياتها واشعارها .. وعايش الارض (الصحراء) ما فوقها وما تحتها .. تدوين الكلمات كانت هوايته وتدقيق المعلومة او المعلومات كانت حرفته .



المؤرخ الكويتي احمد البشر الرومي بجانب احد اركان مكتبته التى تضم اكثر من سبعة الاف كتاب .

طريق حياته حافل بجلائل الاعمال ، على قمتها « الامثال الكويتية المقارنة » فى اربعة اجزاء .. صدر منها حتى الآن الجزء الاول والثاني . اما الثالث والرابع ففى طريقهما إلى ماكينة الطباعة .. هذه الاجزاء تحوى ما يقرب من ثلاثة الاف من الأمثال الشعبية مع ما يقابلها من الامثال فى البلاد العربية .. بخلاف مقالاته واشعاره التى كتبها فى مناسبات عديدة ومتعددة .. بالاضافة إلى دوره الايجابى فى جمع المصطلحات البحرية وشرحها وإعدادها فى كتاب كان فى طريقه إلى النشر قبل وفاته .

جمعتنى به الأيام فى جلسات طويلة منذ عدة اشهر ، كان فيها رحب الصدر ، وغزير المعلومات .. بل يمكن القول انه كان سخيا وهو يحكى شريط حياته الذى حفره خلال (٧٥) عاما .. بداية من مولده فى (١٣٢٤) هجرية حتى وفاته فى (١٤٠٢) هجرية .. ليصبح الآن جزءا من تاريخ الكويت عن اصالة واقتدار وجدارة .

الباحث فى التاريخ انسان صابر وصبور .. صابر على المشقة التى يعرف قدرهـــا ومقدارها .. وصبور وهو يبحث عنها حتى يصعد بها إلى السطح ، ليحولها إلى حقيقة تكون سنداً له فى بحثه او الدراسة التى يقوم باعدادها ..

هذه الكلمات كان يرددها على اسماعى المؤرخ الراحل الأستاذ احمد البشر الرومى . كان يقول ايضا :

● تاريخ العرب ، والبحث فى هذا التاريخ يحتاج إلى دقة ورقة فى ان واحد .. دقة فى ربط الفروع بالاصول ، ورقة فى

التعبير حتى لا يتحول الباحث إلى مجرد ناقل للوقائع والشروح بدون الولوج إلى معرفة أسبابها ومسبباتها ، وما اذا كان صاحب الحديث او الواقعة او الرواية من اهل البادية او الحضر .. كثيرا ما نرى مؤلفا لو راوياً من اهل الحضر يتطرق إلى امور وموضوعات لا يملك ناحية المعرفة الحقة فيها غير واحد من اهل البادية .

الامثلة الشعبية الكويتية

كانت نظرة احمد البشر الرومى إلى التاريخ غير عادية .. لم يكن مجرد قارىء يردد ما جاء فى قديم الكتب .. ولكنه فى ذات الوقت كان يملك المنهج التحليلى الذى يقيس بواسطته مدى تطابق الأقوال على الواقع والحقيقة .. هذه النظرة وتلك الملكة جعلته يصل إلى حقائق لا تقبل الجدل او النقاش .

لقد عرف عن مؤرخ الكويت الراحـــل احمد البشر الرومى انه يدون كل شىء يسمعه مادام مرتبطا بتاريخ بلده الكويت .. قال لى مرة فى احدى جلساتى معه :

● لقد جمعت اكثر من (٣) الاف من الأمثال الشعبية الكويتية على مدى (٤٠) سنة .. جمعت فى اربعة اجزاء تحت عنوان « الامثال الكويتية المقارنة » .. صدر حتى الآن الجزء الأول والثانى والجزءان الثالث والرابع فى طريقهما إلى الصدور خلال عام ١٩٨٢ .. ساعد فى اخراجها وتبويبهـــــا خبير الفنون الشعبية صفوت كمال - وساعد فى الاعداد محمد عمران .. كان يبتسم رحمه الله وهو يواصل حديثه ليقول :

● ان جمع هذه الامثال الشـــــعبية الكويتية لها حكاية .. والاعداد لنشرها على صورتها الحالية لها حكاية اخرى .. حول جمعها يقول مواصلا حديثه :

● كان المواطن الكويتى ايام زمان يقرن حديثه ببعض الأمثال الشعبية التى ترتبط بالحديث المطروح للنقاش .. او بالحديث العابر بين الصديق وصديقه .. الاب وابنه .. البائع والمشترى .. الرجل وجاره او بين صاحب العمل واحد عماله .. فى بعض الاحيان كانت الأمثال يمس بعضها عقلى وتهز كيانى .. لم اكن املك إلا ان احضر ورقة وقلما واقوم بتدوين ما كان يتردد على اسماعى .. احسست ان ما يقال شىء غير عادى .. بل اكثر من ذلك اعتبرته مخزونا ثقافيا واجتماعيا يعبر عن حياة الناس وطبيعة المجتمع الذى نعيش فيه .. لم اعد اجمع ما يعجبنى فقط .. بل اكتب ايضا كل ما اسمعه .. وصل الأمر اننى كنت اتحرك وسط الديوانيات .. اذهب إلى الاسواق .. بمرور الوقت والسنين خفت على هذه الأوراق من الضياع .. جمعتها فى اكياس ومغلفات .. وعندما زاد خوفى وقلقى عليها بدات فى تدوينها فى كراسات على حروف المعجم .. كانت بداية التدوين فى عـــام (١٣٦١ هـ) .. كان الوقت صيفا وكان الحر شديدا .. ولكن حماس وحرارة هذا الحماس كانت اقوى من اى شىء .. مرة اخرى اتخذ تدوينى لهذه الامثال أسلوبا آخر .. دونت كل واحد من هذه الامثال فى صفحة مستقلة ترتيبا معجميا ، ثم جمعت الصفحات فى مجموعات كل مجموعة تضم بعض الأمثال مرتبة على حروف المعجم مع اضافة شرح بعض الألفاظ فى نهاية المثل .. وصار ما عندى اكثر من (٣) آلاف من الأمثـــال الشعبية الكويتية .

● وحول الظروف التى ســـاعدت على نشرها بشكلها الحالى يقول :

● فى احد الايام كنت فى زيارة للاستاذ احمد العدوانى (يشغل حاليا منصب أمين عام المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب .. شاعر واحد رواد النهضة الادبية فى الكويت) كان الاستاذ صفوت كمال خبير الفنون الشعبية حاضرا هذه الجلسة .. قال الأستاذ احمد العدوانى :

● لماذا لا تقوم بتدوين هذه الأمثـــال الشعبية الكويتية التى تعتبر تراثا للكويت واخراجها فى عدة اجزاء .. كانت البداية جمعها وحدها .. ولكننا راينا بعد ذلك زيادة فى الفائدة ان تحقق موضع الأمثال الكويتية فى الاصل العربى القديم وايضا فى البلاد العربية .. كنا نعلم ان العمل غير عادى والجهد شاق .. ولكن الامر كانت فيه لذة البحث المفيد .. واخترنا عنوانا لها كان .. « الامثال الكويتية المقارنة » . يواصـــل حديثه معى ليقول :

● ان الباحث فى الأمثال العربية القديمة كان يجد صعوبة فى بحثه بسبب انها مرتبة حسب حروف المعجم .. بمعنى ان الامثال التى تبدا بالالف تجدها تحت حرف الألف .. ولكننا قمنا بعمل فريد من نوعه يسهل عمل الباحث والقارىء فى آن واحد .. لقد قمنا بترتيبها حسب موضوع المثل ذاته .. مثلا الأمثال التى قيلت فى الأمانة جمعناها تحت باب الأمانة .. الامثال التى قيلت فى التسامح جمعناها تحت باب التسامح وهكذا .. لقد اكد حقيقة هامة بعد هذا الجهد المضنى الشاق .. ان الامثال الكويتية القديمة ومثيلاتها فى البلاد العربية تؤكد بالفعل اننا أمة عربية واحدة .. الدين عندها الاسلام .. وتتمازج فى اللغة والثقافة والفكر والعادات والتقاليد .. لقد تميزت الامثال الشعبية فى كل بلد عربى حسب طبيعة الأرض والمناخ والسكان .. ومن مميزات الأمثال الشعبية الكويتية بصفة عامـــة والخليجية بصفة خاصة انها كثرت عن الصحراء والبحر .. الصيد ، التجـــارة (البيع والشراء) .. وكانت تحث جميعها على الأخلاق الحميدة والوفاء والتضحية والحب والعطاء وتقديس الحياة الزوجية .. واحترام الصغير للكبير .. وعطف الكبير على الصغير .

البشر .. وصقر الشبيب

وهناك وجه اخر لمؤرخ الكويت الراحل احمد البشر الرومى .. قال الشعر .. احس بما حوله .. انفعل به .. ونظم الشعر ولكنه كان فى هذا المجال قليل الانتاج .. والآن نقرأ ما قاله مؤرخ الكويت الفحل الاســـتاذ عبد العزيز الرشيد فى كتابه تاريخ الكويت عن احمد البشر الرومى الذى كان يعشق قراءة الصحف والكتب وينزلها من نفسه وقلبه منزلة عالية وكبيرة . وجاء فى الكتاب فى الصفحة (٣٥٦) يقول :

● تعلق الكويتيون بأذيال الصـــحف واشتغالهم بمطالعتها والاهتداء بنبراسها .. وللصحف من التاثير فى الاراء والافكار مالا يجهله إلا معاند او جاهل مكابر . ولله در الشاب الفاضل احمد بن بشر الرومى حيث يقول فى منافعها :

انما الصـــحف كطير
يشـــتهى الحر هديله
كل من شـــاء رقيـــا
صـــير الصحف سبيله

● وقال ينعى الجمود واهله والحث على العلوم والمعارف :

ســـال دمع العين منى وانســـكب
من توانى قومنـــا عمـــا وجب
وجب اليـــوم عليكم ســـادتى
ان تمـــدوا للعلا خير ســـبب
والعلى ليس له منى ســـبب
موصـــل غير عـــلوم تنتخب
فانفضـــوا عنكم جمودا مهلكـــا
واطلبوا العـــلم وجدوا فى الطلب
خاب شـــعب قد تردى كســـلا

أحمد البشر الرومي

العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلاده

وجمودا يا بني قــــومي وتب
لا تميلوا نحـــــو (دجــال) غدا
باسم دين الله يحـــــوى للذهب
امعنـــوا الافـــكار في تدجيلــه
تبصروا تقـــواه زورا وكـــــذب
ليس بين العـــلم والدين كمـــا
قـــالــه (الدجـــال) بون منشعب

واذا كان نظم الشعر موهبة .. فان سبب تقوية هذه الملكة وابرازهـــا إلى حيز الوجود عند الراحل مؤرخ الكويت احمد البشر الرومي كان شاعر الكويت الكبير الراحل صقر الشبيب .. او صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن هيدب بن رومي الشمري الذى ولد فى الكويت حوالى عام (١٣١٢) هجرية الموافق (١٨٩٦) ميلادية .. والذى اصيب بالصمم وفقدان البصر على اثر اصابة عينيه بمرض لم يفلح معه العلاج وكان عمره انذاك تسع سنوات .

الاف أبيات الشعر

ما هى حكاية شاعر الكويت صقر الشبيب مع مؤرخنا الراحل احمد البشر الرومى ؟ ..

الحكاية نجدها فى كتاب اديب الكويت وشاعرها خالد سعود الزيد فى كتابه «ادباء الكويت فى قرنين » « بالجزء الاول » .. قال :

● كان منزل شاعر الكويت صقر الشبيب يجاور منزل احمد البشر .. فكان يلزمه إلزاما بان يقرا له ، وكان صقر كفيف البصر . فقرا له نظرات المنفلوطى وعبراته ، وبعض كتب الرافعى فوجد لذة فى القراءة فحرص عليها بعد ان كان كارها لها .. ثم قرا لصقر ديوان المتنبي والمعرى وغيرهما ، فوجد نفسه مع مرور الأيام يحفظ اكثر من عشرة الاف بيت من الشعر ، وبعدها انكب على قراءة الكتب فى التاريخ والفقه والأدب قديمه وحديثه ، وانصرف الى قراءة تاريخ الجزيرة العربية والمنطقة التى تشملها حدود الكويت .. على الأخص ، متتبعا عادات سكان المنطقة وافراحهم وملبسهم ، فدرس تاريخ البيئة كاملة دراسة وافية تدلك على ذلك بحوثه ومقالاته القيمة التى ينشرها بين حين واخر ..

ونترك الآن الحديث لمؤرخ الكويت الراحل احمد البشر الرومي ليتحدث عن اهمية صلته بشاعر الكويت الراحل صقر الشبيب .. وعن اثر هذا الشاعر الكبير فى حياته .. يقول :

● تلقيت دروسى الأولى فى كتاب المطوع السيد عبد الوهاب هاشم الحنيان .. كان المطوع (الملا) هو المعلم الأول فى زماننا .. كان الكتاب هو المكان الذى نتعلم فيه ، وهو فى غالبية الاحوال منزل المطوع او الملا .. نجلس مجموعة من الاطفال الصغار .. نتعلم القراءة والكتابة وحفظ ايات القران الكريم .. ومن يجيد القراءة والكتابة وختمة القران تقام له حفلة يشترك فيها الاهل والاطفال .. الموسرون كانوا يقيمون حفلة يوزعون فيها اطايب الطعام على المطوع والاطفال والجيران منذ طفولتنا كانت صلتنا بالدين قوية .. نخشى الله فى الاقوال والافعال ، ونحرص على السلوك الحسن خوفا من عقاب الاباء والامهات والاهل الذين كانوا يحرصون على دينهم الى اقصى الحدود .

● هذه كانت المرحلة الاولى من حياتى .. بعد ذلك التحقت بالمدرسة المباركية بعد افتتاحها .. امضيت بها ثلاث سنوات .. لم اكن ابدا خلال الدراسة طالبا مشاكسا .. ولكننى لم اكن اهتم بالمواد التى كانت تدرس فى المدرسة .. كانت تستهوينى كتب التاريخ والجغرافيا .. احيانا كنت انقطع عن الدراسة ، ولكننى كنت اعود إليها من جديد إما بواسطة والدى رحمه الله ، او بدون احد لان ايام الانقطاع لم يكن لها حساب من المسئولين عن المدرسة . جمعتنى الظروف مع الشاعر الراحل صقر الشبيب .. كان احساسى وشعورى اننى امام انسان غير عادى .. انسان عنده قدرة كبيرة على العطاء .. ولكنه كان فى أشد الحاجة إلى المخلصين الذين يبادلونه الحب والمودة ولا مانع من التضحية .. وجدت نفسى انجذب اليه لعدة أسباب منها .. اننى مع انسان فى عمر والدى ، وثانيا غير قادر على الرؤية ، وثالثا وجدت فى الجلوس معه والاستماع إليه وإلى زواره من الاصدقاء ، فائدة لم اكن اتصور أبدا اننى ساحصل عليها بدونه ..

ومن الذين كان يزورهم ويتزاورون معه صديقه الحميم عبد الملك بن صالح المبيض الذى كان يقرا على شاعرنا حصاد قراءاته فى الجرائد والمجلات والكتب .. وكانا يعنيان أكثر بتلك الكتب الفلسفية والآراء التى جاءت بها .. فى هذه الفترة لم اكن ادخل او اتدخل معهما فى نقاش .. ولكننى فضل الاستماع إلى احاديثهما التى كانت تستمر ساعات طويلة .

الامر لم يقف عند هذا الحد بالنسبة لمؤرخنا الراحل احمد البشر الرومى .. قال لى ضمن حوار طويل :

● كان الشاعر الراحل الفحل صـــقر الشبيب له دوره فى ان اتعرف عن قرب على فحول الشعراء القدماء بما كان يردده امامى من أشعارهم وبما كان يطلبه منى من قراءة تاريخ حياتهم واشعارهم من الكتب الكثيرة التى كانت تتواجد فى بيته او تاتيه من الأصدقاء مثل .. ديوان ابى تمام الذى كان يحفظ معظمه .. وابياتا كثيرة من ديوان البحترى واكثر لزوميات المعرى .. ونصف ديوان المتنبى ، وجميع ما طبع لابن الرومى بخلاف حفظه لاشعار العديد من الشعراء فى العصر الجاهلى والعصرين الأموى والعباسى .. وكنت اراه دائما يحرص على ترديد اشعار امير الشعراء احمد شوقى الذى كانت له منزلة اثيرة عنده .. ايضا عرفت اشعار الزهاوى ، والرصافى واسماعيل صبرى .. أما الشاعر حافظ ابراهيم الذى عرف فى مصر برصانته وميله الفطرى للوقوف بجانب الطبقة الكادحة .. فكان يحبه ويردد شعره . لقد وجدتنى بالتدريج احب الشعر وأميل إليه .. وفى احيان قليلة كان لى انتاج ولكنه لم يكن ياخذ صفة الاستمرارية والكثافة والغزارة فى التاليف .. فقط فى بعض المناسبات او الموضوعات التى تطرق باب عقلى من حين لآخر .

رحلة مع احمد البشر

ورجل بلغ هذا العمر (٧٧ عامة) قارئا وباحثا ومؤرخا وكاتبا وشاعرا .. كانت له اقوال ستظل خالدة لانها تعبير صادق عما كان يجيش فى صدره .. وهى فى مضمونها

اضواء تنير الطريق للاجيال الحالية والتى سيكون لها الريادة فى المستقبل .

● كان دائماً يردد ويقول : الديوانيـــة منتدى انسانى واجتماعى واعلامى يجب ان نحافظ عليها ونعمل دائماً على بقائها ونعيد إليها رونقها وبريقها ودورها ومكانتها كمـا كانت فى الماضى . فى الماضى هناك ديوانيات متخصصة .. منها ما كان يهتم بالادب والشعر .. ومنها ما كان متخصصاً فى علوم الدين .. ومنها ما كان الحديث بداخلها لا يفرغ من بث حكايات الرحلات والاسفار ونوادر ومتاعب الغوص .. ومنها ما كان يغلب على طابعها عقد المجالس للتوفيق والصلح بين الازواج والاصدقاء وخلافات العمل .. وواحدة او اكثر كان كل جالس بداخلها لا يفعل اى شىء سوى الامساك بكتاب يقرأ فيه فى هدوء وصمت .. الكويت كانت فيها مثل هذه الديوانيات وعلى الاخص مع بدايات القرن العشرين .. اذكر ديوانية السيد خلف النقيب .. واذكر ديوانية عبد الرحمن بك النقيب وقبلها خلف باشا النقيب .. والشيخ يوسف بن عيسى القناعى احد اقطاب الحركة العلمية والفكرية فى الكويت .. وديوانية استاذ العديد من الاجيال عبد الله بن خلف الدحيانى .. وديوانية مشارى حسن البدر التى كان الحديث عن مصر بداخلها لا ينتهى .. كان صاحبها يتحدث عن احداثها (مصر) ورجالها واحوالها السياسية والاجتماعية اكثر من ابناء مصر .. وهناك عشرات من الديوانيات فى الحى القبلى وحى الوسط والحى الشرقى .

● يقول : ان التاريخ فى منطقة الخليج بوجه عام والكويت بوجه خاص مازال يحمل لواء الكتابة عنه اناس (كتاب) اهتموا اكثر بالنواحى السياسية .. وكانت النواحى الاجتماعية عارضة فى كتاباتهم .. بل ان معظم هذه الكتابات منقولة عن كتاب من الغرب .. هؤلاء الكتاب كانت كتاباتهم غير صادقة وغير واقعية .. بل ان معظمها لا يخلو من الاخطاء والمغالطات خصوصاً عندما ذكروا خطأ اسماء بعض المواقع والتعبيرات التى لم يفهموا معناها .. ومن هنا ضاعت الحقيقة والحقائق .

● يطالب الجهات التى تهتم بالتراث فى منطقة الخليج بالبحث الفورى عن الرجال القدماء الأحياء ويسجلوا لهم العادات والتقاليد التى ستموت وتندثر بموتهم إلى الأبد .. وليكن هذا التسجيل او تلك



المؤرخ الكويتي الراحل احمد البشر الرومي امام جهاز تكبير المخطوطات والوثائق فى مكتبته

التسجيلات من الجهـــات الاكاديميـــة (الجامعات) التى تملك الوسائل العلميـة النظرية والتطبيقية فى هذا المجال .. وعلى الفور يجب انشاء مكتبة تسجيلات بالصوت والصورة ، اكد ان فكرة وجود وتواجد المقاهى الشعبية فى الكويت عمل رائد وعظيم .. وإن يكن فى شكله العام عملا ترفيهيا لصالح الاعضاء .. العملية الترفيهية فى حد ذاتها لا غبار عليها .. ولكن يجب ان نستفيد من هذا الجمع البشرى (الاجداد والآباء) فى الحصول على مزيد من المعلومات عن تراثنا الذى بدات تطغى عليه وسائل الحضارة الحديثة .

● يرى ان البحث والتنقيب الجاد فى منطقة الجهراء (كاظمة) التى كان لهـا تاريخ قديم وعريض من ابناء الكويت سيعطى نتائج مدهشة لا تخطر على بال .. ان الحضارات القديمة مازالت مدفونة تحت الرمال واعادة اكتشافها ليس مشكلة .. ولكن الأمر فى حد ذاته يحتاج إلى الايمان والجهد والعرق والبذل والعطاء الذى يجب ان يصاحب عمليات البحث .

● يقول : ان الجيل الحالى تواق إلى المجد والشهرة بدون تعب .. وذلك الاعتقاد فى حد ذاته يؤثر على المفهوم العام لكلمتى المجد والشهرة بمعناهما الحقيقى الخالد .. ويطالب الشباب بالقراءة والاطلاع فهما زاد الانسان التواق إلى المعرفة .. يؤكد ان مطالبة مدارس الكويت لطلابها من الجنسين فى مراحل الدراسة المختلفة لعمل الابحاث جعل الطلاب يؤمون المكتبات ويجلسون ساعات بداخلها وهم قبل ذلك لم يكونوا يعرفون اين تقع وسط الاحياء السكنية التى يعيشون فيها .

مكتبة و (٧) الاف كتاب

من الاشياء التى كانت تلفت النظر داخل بيت مؤرخ الكويت الراحل احمد البشر الرومى مكتبته .. عدد الكتب بها وصل إلى اكثر من (٧) الاف كتاب .. فى جميـــع التخصصات .. معظمها يتحدث عن التاريخ القديم والحديث .. وبعضها فى الأدب والفلسفة والشعر والمال والاقتصاد .. وهناك موسوعات كاملة .. اكثر من ذلك هناك مجموعة نادرة من كاميرات التصوير وآلات التكبير وخرائط فى احجام مختلفة .

كان رحمه الله يمتاز بالرقة والحساسية .. يانس بشدة للانسان الصادق .. هذه الصفة تجعل (حسب قوله) الباحث دقيقاً فى عمله الأمر الذى يفيد الناس والعمل ذاته

أحمد البشر الرومي
العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلده

.. كان قليل الكلام .. يعمل في صمت-نادرا جدا ما يحب الحديث من خلال الوسائل الاعلامية .. يكره الظلم لانه يؤدى إلى الاستعباد وإلى الاحساس بالعبودية التي يجب الا تكون إلا للحق تبارك وتعالى .. كان يقول لي : نحن نجزل العطاء لمن يقدمون الينا خدمات خارج بلادنا ونقتر في العطاء لمن يقدمون الينا الخدمات داخل بلادنا .. من عاداته الطيبة الاستماع الى الناس .. ما يريد ان يعبر عنه يمسك من اجله القلم ليقوم بتسطيره وتسجيله على الورق .. يحب الوحدة .. يفضل الجلوس وسط كتبه يقرأ اكثر من اى شيء اخر .. من اقرب الناس إليه والذين كان يذكرهم بالحديث معي اديب الكويت الأستاذ عبد الرزاق البصير ، محمد الملا حسين ، ، فهد الدويسري ، الشاعر والأديب خالد مسعود الزيد .

كان يردد على اسماعي دائما انه احب الصحراء وعشقها وكانت له بداخلها رحلة كل عام .. واحب البحر وذهب أكثر من مرة في رحلات الغوص على سفن العائلة لمعايشة هذا اللون من العمل الذى كان باب الرزق لسكان الكويت بجوار الرحلات التجارية على سواحل الهندوشرق افريقيا قبل ظهور النفط . ومن الاشياء التى لم تكتب عنه انه كان يحب الطرب .. الأصوات الجميلة .. عشق أصوات أم كلثـــوم ، عبد الوهاب وقبلهما صالح عبد الحي ، واحب الحان سيد درويش وعبده الحامولي .. وفي مكتبته يوجد جرامافون عمره حوالى (٥٠) سنة كان يعمل على اسطوانة طولية هذا عدا بعض اجهزة الراديو والمسجلات الحديثة ومكتبة كاملة من الأشرطة . لقد كانت رحلة المؤرخ احمد البشر شاقة منذ بدايتها لانه اختار مجال القراءة والبحث في التاريخ والادب والشعر .. كانوا قبلته التي يحج إليها طوال ساعات النهار وبعض هذه الساعات في الليل .

لقد احب احمد البشر الرومى التاريخ .. وهبه عمره كله .. كان ناسكا في محرابه .. وكانت جائزته من التاريخ ان دخل فيه .. اصبح جزءا حيا من تاريخ بلده دولة الكويت عن جدارة .

محمد عبد الحميد
الكويت

المؤرخ أحمد البشر الرومي في سطور

● ولد عام (١٩٠٥) ميلادية .
● درس في الكتاب وهو المكان الذى كان يملكه ويديره « الملا » او المطوع الذى كان يقوم بتحفيظ الطلاب القرآن الكريم .
● درس في المدرسة المباركية .
● قام بالتدريس في المدرسة المبـــاركية لعـدة ســنوات ثم بالمدرسة الاشرفية .
● امين صندوق في الجمرك البحرى .
● عضو منتخب في مجلس المعارف عام ١٩٥٢ ميلادية .
● مدير لاملاك الحكومة في البلدية .
● وكيل وزارة مساعد لادارة املاك الحكومة .
● تقاعد عام ١٩٦٨ بسبب اصابته بالسرطان في عظام الفك الايسر واجريت له عدة عمليات جراحية ناجحة .
● عضو بلجنة تاريخ الكويت
● احد مؤسسى مركز الفنون الشعبية الذى يعنى بالتراث الكويتي .
● استعانت محاكم الكويت بخبراته في قانـــون الغــوص والبحر .
● اعد (٤) اجزاء عن الأمثال الشعبية الكويتية المقارنة صدر منها جزءان حتى الآن .
● نشر مقالات في مجلة البعثة عام (١٩٥٢) جمعت في كتاب بعنوان « مقالات عن الكويت » .
● قام بجمع المصطلحات البحرية لاصدارها في كتاب سيطرح قريبا في الأسواق .
● اعد العديد من الابحاث عن صــحراء الخليج والجـــزيرة العربية والكويت بصفة خاصة .
● توفي يوم الأربعاء الموافق (٦) من يناير ١٩٨٢ .

ترى كيف يكون الحـــال لو ان تاريخ العدد الذى بين يديك من الدوحة تغير من سنة ١٩٨٢ إلى ١٨٨٢ .. هـــذه مقتطفات من المجلة التى كان يقرأها جـــد أبيـــك ..

دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

لمنشئها ومحررها: صلاح الدين المقريزي

عزيزي القارئ

على صفحات هذا العدد من « دوحـــة الماضى » معركة طريفة ، بطل المعركة شيخ شاب فى الثامنة والعشرين من عمره ، قضى منها عشرين عاما كاملة لا يأكل ولا يشرب ، ومع ذلك فهو يعيش حياته طبيعية تماما ، ينام ويتزوج وينجب ، ويحادث الناس فى منتهى الأدب ومنتهى العقل !

وعندما نشر « عبد الله النديم» هذا الخبر فى مجلته منذ مائة عام ، أثار الاهتمام ، لا لغرابة الحادثة ذاتها ، ولكن لانها خرجت عن اهداف مجلته التى كانت تهاجم الخرافة ، وترى انها سبب تخلف الشرقيين ، وسبب استعمار الغرب لأقطارهم ، وتطالب العرب بأن يتعلموا ، وأن يفهموا العالم الذى يحيط بهم ، وأن يجددوا حياتهم قبل أن تضيع بالقهر وبالاستعمار .

هذه المعانى هى التى دفعت الدكتور شبلى شميل وهو طبيب لبنانى درس فى المدرسة الكلية السورية واشتغل بالطب والصحافة ، إلى الرد على عبد الله النديم موضحا بالبراهين العلمية الفسيولوجية عدم منطقية الواقعة ، وطالبا وضع الشيخ عشماوى ـ بطل القصة ـ تحت اشراف طبى دقيق للتأكد من انه حقا لا يأكل ولا يشرب !

ما يلفت النظر فى هذا الحوار ، ليس فقط الحرص على ان يكون « العلم » هو محل التأكد من صحة أى واقعة تخرج عن نطاق المعقول ، ولكن ذلك الاصرار على المقارنة بين صيام الشيخ عشماوى الطويل الذى وصل إلى عشرين عاما فلم يثر ضجيجا ، وبين ضجة ثارت آنذاك حول رجل انجليزى اسمه « تنر » صام أربعين يوما ، فقامت الدنيا وقعدت !

كان العصر ، عصر المواجهة مع الغرب ، حتى فى خرافاته !

« المحـــرر »



مشكاة من العصر المملوكى

العــــدد الثـامن • أبريـــل/نيســـان ١٨٨٢م

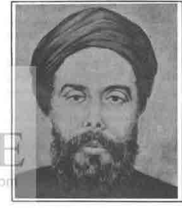


● معركة حول العلم والخرافة عمرها قرن كامل :

● عبد الله النديم : لو كان الشيخ عشماوي في بلاد اللوردات لدقت له الطبول في الصحف .

● شبلي شميل : الصيام ٧٣ يوما متصلة مستحيل ولا يحتمله الكائن الحيّ .

صيام الشيخ عشماوي



عبد الله النديم

نقدم لاخواننا الاطباء وغيرهم من اهل الرياضة عجيبة يدرسونها ويفتون بما يظهر لهم فيها من المشـــاهدات والتحقيقات وهى انه موجود بجروان (بلدة تابعة للمنوفية) من ارض مصر رجل اسمه عشماوى سنه الآن ثمان وعشرون سنة تقريبا وكان قد مرض فى الثامنة او التاسعة من عمره فبقى لا يعقل ولا يتكلم ولا يبصر شيئا بل ذهـل ذهولا الزمه الفراش وعدم الحركة عامين وبعدها قام من هذه النومة وبرىء من مرضه واصبح لا يشتهى الطعام ولا الشراب فهو الآن يقضى بقية عمره بلا اكل ولا شرب ولا بول ولا براز وقد سالته عن حالته فى النوم فقال لى انه ينام كل يوم من ست ساعات لسبع او ثمان وقد اعقب ولدين مات احدهما والآخر موجود وهو متزوج ببنت « سعيد كشك » عمدة جروان وتقدم له ان الشيخ العروسى حجر عليه وحبسه شهرين لينظر حاله فلم يتاثر بطول المدة ولا تغير عن حاله وكثير من الناس اختبره بيومين وثلاثة واربعة وهو على هذا الصوم الغريب من نحو عشرين سنة قوي البنية صحيح العقل والفكر ليس له دعوات يدعيها ولا مفتريات يفتريها ، يجالس الناس بالأدب ويغلب على حاله الصمت احيانا وقد صام (تنر) الانكليزى اربعين يوما فضربت له الطبول باسمه في سائر الاقطار وهذا الذى صام ثلثمائة يوم وسبعة الاف يوم لم يعلم به غير اهله ولا عرفه الا جيرانه فانه عربى شرقى مصرى فقير فلاح ولو كان فى بـلاد اللوردات او الكونتات لكان ذلك له فى كل صحيفة تاريخا وفى كل يوم بـــــيرة جديدة .



وردت لنا هذه الرسالة من حضرة الحكيم النطاسي شبلى افندى شميل فاثبتناها بالحرف .

ايها السيد الفاضل محرر جــــريدة التنكيت البهية .

ذكرتم فى عدد ١٤ من جريدة التنكيت الغراء ان رجلا يدعى الشيخ العشماوى من جروان (فى المنوفية) وله الآن نحو من عشرين سنة لا ياكل ولا يشرب ولا يغوط ولا يبول وهو قوى البنية صحيح العقل وقد اعقب ولدين ورغبتم الى الأطباء وغيرهم من اهل العلم ان يفتوكم بما يظهر لهم من حقيقة هذه العجيبة التى لا يصح ان يذكر معها صيام تنر وامثاله بشىء فاقول ان هذا الصيام مستحيل فيزيولوجيا لان الحياة مهما اختلفت اراء العلماء فى اصلها فجميعهم على اتفاق بانها لا تقوم الا بالتغذية القائمة بالتحليل والتركيب فكل عمل حيوى يرافقه تحليل فى الانسجة الحسية اى ان العناصر القائمة فيها ظواهر الحياة تتغير كيماويا وطبيعيا بحيث لا تعود تصلح للحياة فتفصل بالافراز ولكى تبقى الحياة بعد ذلك لابد من التركيب اى ادخال مواد جديدة تقوم مقام المفقودة بالتحليل وهذه المواد لا يمكن الحصول عليها الا بالغذاء القائم بالطعام والشراب وبعبارة اخرى الحياة من اهم شروطها وجود مقدار معلوم من الماء والحرارة والهواء ويستحيل بقاؤها بغير ذلك فاذا فقد الماء بتحليله فى المركبات الحيوية وبالافراز والتبخير الذى لابد منه بالحرارة ولم يعوض عنه امتنعت الحياة وهكذا اذا نفذت مواد الغذاء بالاحتراق ولم يعوض عنها بالطعام بطل الاحتراق فبطلت الحرارة وبطلت الحياة وهذه حقائق لا تقبل الاعتراض ولا الاخلال وإما صيام تنر فغير ممتنع اولا لان الجسم فى حالة الصحة لا يستخدم فى الاحتراق كل مواد الطعام التى تكون غالبا زائدا عن الاحتياج بل يحفظ على الزائد منها ويحرزون فيه على صورة الدهن ذخيرة يتصرف فيها عند الحاجة كما فى وقت المرض هذه الذخيرة لا تكفيه الا اياما قليلة لا تزيد عن العشرة غالبا اذا كان الانقطاع عن الطعام والشراب تاما وثانيا لان تنر المذكور فضلا عن الذخيرة المذكورة لم ينقطع عن شرب الماء ومن المعلوم ان احتياج الحياة فى الماء اشد من غيره فان الماء يؤلف نحو اربعة اخماس ثقل الحيوان ولذلك كان العطش يعذب الحيوان المنقطع عن الغذاء اكثر

العــدد الثامن ● أبريــل/نيســان ١٨٨٢م

من الجوع وكان يستعمل ايضا بعض المشروبات الروحية التى فيها مقدار غير قليل من الاوكسيجين والكربون اللذين هما عنصرا الاحتراق ومع ذلك فصيامه لم يكن الا محدودا ولو تجاوز به حدا معلوما لهلك لا محالة والدليل انه خرج من صيامه فى حالة الهزال الشديد بخلاف الشيخ العشماوى على ما بين صيامهما من التباين العظيم والشيء بالشيء يذكر اني اقص عليكم حادثة ليست باقل اعتبارا من حادثة تنر وإن كان الصيام فيها اقصر مدة لان الانقطاع فيها كان عن الطعام والشراب معـــا مع قلة الهواء فى ظروف تـكاد تقضي وحدها على الحيـــاة ففى زلزلة سنة ١٨٧١ فى مدينة انطاكية اخرج صبي وبنت من تحت الردم حيث مكثا ثمانية ايام غير كاملة لا ياكلان ولا يشربان فى بناء مربع مسقوف صغير على قدرهما حصل اتفاقا باجتماع بعض الحجارة وحفظهما سالمين ولم يكونا يستطيعان فيه حراكا الا ما قل وهما جالسان القرفصاء وكان عمر الصبى ١٣ سنة والبنت ١٨ سنة اما البنت فماتت حالا بعد خروجها واما الصبى فبقى حيا وقد رايته رأى العين بعد عشرين يوما من خروجه مهزولا مهوكا وسالته عما كانا يشعران به وقتئذ فاجابنى ان الم الجوع فقد منهما بعد يومين لكن العطش كان يعذبهما جدا حتى كانا يحاولان شرب بول بعضهما .

ومما يزيد حادثة الشيخ العشماوى غرابة ويقربها إلى الخرافات هو انقطاعه عن التبريز والتبويل مع بقاء باقى المفرزات على حالها كالعرق والدمع واللعاب والمرشحات المخاطية والسائل الـذى اعقبـه ولدين على مـا اشرتم وغير ذلك من المفرزات التى تذهب بمواد الانسجة وبمائهـا والتى لا تستطيع البقاء على حالها الا اذا كان التعويض عن المفقود الذى لابد منه فى كل عمل حيوي موجودا والتعويض لا يكون الا بالطعام والشراب ولعل حكاية الشيخ المذكور من باب حكاية الشيخ زعبل وامثاله وبودي لو انتبهت الصحة فوضعت هذا الرجل تحت المراقبة الصارمة لا لان عندنا فى مسالته بعض الريب ولكن لتزيل من بين الناس مثل هذه الاشاعات التى تشوش الاذهان وتوسع فى العقل نطاق الاوهام وما هى بقليلة . اه .

كاتبه الدكتور شبلي شميل

(التبكيت) نشرنا الجملة المتعلقة بالشيخ عشماوى وطلبنا من الأطباء ان يفتونا بما يعلمونه فيها وقد اجابنا الى ذلك حضرة شبلى افندى بهذه الرسالة الغراء ولكن كيف يصبح جعلها من باب التخريف والاشاعات التى تشوش الاذهان وتوسع نطاق الاوهام وقد شهدت قرائن الاحوال بان هذه امور الزمتنا انفسنا مقاومتها ومعارضة من ينتسب اليها على ان هذا الرجل الى الآن موجود وجميع اهل بلده يقولون ذلك عنه فاحب ما علينا ان تضعه الصحة تحت الحفظ لتعلم ان كان المدعى حقيقيا او من باب التخريف وعلى كل فلا ناقة لنا فيها ولا جمل وإنما هو امر نقلناه وما على الناقل من حرج .

مطبوعات جديدة

النزهة الخيرية فى التواريخ الحالية وهى تقويم الكواكب السيارة اليومى فى البروج وتعديل الأوقات ودرجة الشمس لسنة ١٢٩٨ هجرية . حررها اللوذعى الفاضل الحاج حسن لازاغلي مدير الرائد التونسي والحقها بتاريخ أيام العرب والحوادث المشهورة والنيران التى شبت فى الاستانة ولندن وباقى اوربا والسنين الشديدة البرد وعدد سكان أوربا وتاريخ سلاطين ال عثمان والدولة الحسينية الى غير ذلك من الفوائد التى يعز وجودها فى غير هذا الكتاب .

بـــاب تحصيـــل الحاصـــل

وردت الينا هذه الرسالة فاثبتناها كما هى :

سيدى الفاضل محرر التنكيت والتبكيت .

اطلعت على قصيدة بديعة هزلية لاحد شبان ثغرنا الادباء وهى غاية فى باب (تحصيل الحاصل) ابعث اليكم ببعض ابيات منها قصد نشرها فى احد اعداد تنكيتكم الزاهر ترويحا لافكار قرائه الكرام مطلعها .

الأرض ارض والسماء سماء
والماء ماء والهواء هواء
والبحر بحر والجبال رواسخ
والنور نور والظـــلام عماء
والحر ضـد البرد قول صادق
والصيف صيف والشتاء شتاء
والروض روض زينته غصـونه
والدوح دال ثم واو حاء
والمسك عطر والجمال محبب
وجميع اشياء الورى اشياء
والمر مر والحلاوة حلـــوة
والنار قيـل بانها حمراء
والمشي صعب والركوب نزاهة
والنوم فيـه راحة وهناء
ومنها
كل الرجال على العموم مذكر
اما النساء فكلهن نســاء.

شِعرُ عمرَ بنِ أبي ربيعة في الغنـــاء الأمـــوي

بقلم: كمال النجـــمي

أكثر ما قرانا عن الشاعر المشهور عمر بن ابي ربيعة ، غزلياته وغرامياته ومغامراته ، ونوادره فى التجميش والدعابة والمطايبة للجنس اللطيف ! .. ومذهبه الفنى الذى يشبه أن يكون مبتكرا فى قول الغزل ـ على عهده ـ ومراسلته الجميلات فى مكة والمدينة والطائف ، وإيغاله فى مراسلتهن الى اليمن والعراق والشام ، صادقا فيما يقول أو يكتب احيانا ، لاهيا أكثر الاحيان ! ..

ويسافر الناس من عصرنا بخيالهم ، ثلاثة عشر قرنا الى عصر عمر بن ابى ربيعة فى القرن الاول الهجرى ، ليشاهدوه بين حبائبه الكثيرات كما يتخيلونه الآن ، وليملأوا عيونهم من فارس الصبوات .. كازانوفا العربى الذى ينكمش الى جانبه كازانوفا الأوربى المسكين ! ..

هذه الصورة لأول شاعر قرشى يعترف كبار شعراء القبائل العربية بتفوق شاعريته ، فى بابها الذى انفردت بالتوسع فيه والاقتصار عليه .. ليست بعيدة من صورة ابن ابى ربيعة فى كتب الأدب العربى ، فهو الشاعر الفاتك المغامر الطياش ، وهو «صديق المراة» الذى قصر الشعر على التغنى بمحاسنها ، فقيل له : الا تمدح الخلفاء ؟! .. قال : إنما المدح للنساء فقط ! .. فالمدح عنده فى جوهره غزل وغرام ! ..

لكنه مع ذلك لم يكن وحده شاعر الحب والجمال فى عصره ، ولا كان شعر الحب والجمال فى عصره لونا واحدا ، بل كان اشد كثرة وروعة من الوان قوس قزح ، كما نرى فى اشعار العذريين التى تجاوزت سدة الفضاء ، طيوفا ساحرة ، بعيدة كنجوم الليل ، تملأ قلوبهم بالأمل او الالم والياس من قسوة التقاليد ! ..

ثم تنحدر طيوف الحب من عليائها كاسرة جناحيها ، عائدة الى الأرض ، حتى تصير معلقة كالسحابة بين السماء والأرض فوق رءوس بعض الشعراء ، ثم تدنو فتكون اعلى من الأرض قليلا ، ثم تتدلى فتلتصق بالأرض وتعانق شعراء اللهو والتصابى ، واولهم عمر بن ابى ربيعة ، اشهر الشعراء ، واعشق الشعراء ، واغزلهم واطربهم الى النساء ، واقدرهم على التعبير عن طويه اليهن بلا ملل صباح مساء ! ..

كان فى عصر ابن ربيعة ، جماعة من اشهر شعراء الحب والجمال فى تاريخ الشعر العربى كله .. حسبك منهم الشعراء العذريون ، الذين لم يتكرر وجودهم فى الشعر العربى ولن يتكرر ، ومعهم مشاهير الشعراء العشاق الآخرون ، ومازالوا هم ايضا اشهر شعراء الحب فى الشعر العربى الى اليوم ..

وهل يمكن ان ينسى شعر الحب فى عصر ابن ابى ربيعة ، اعلامه الخالدين : قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح ، وجميل بثينة ، وكثير عزة ، وابن قيس الرقيات ، وابن الطثرية ، والاحوص ، ووضاح اليمن ، وعبد الله العرجى «حفيد عثمان ابن عفان» ومن لا احصيهم .. فضلا عن بدائع جرير فى النسيب ، وهو اشعر شعراء العصر الأموى ، وإن لم يكن معدودا فى العشاق ؟! ..

فى ذلك العصر بدأ ما يعرف فى التاريخ العربى بالغناء «المتقن» ـ وسنتحدث عنه بعد ـ فتغنى اصحابه باشعار لهؤلاء جميعا ، ولكن اكثر غنائهم كان فى شعر عمر بن أبى ربيعة ، حتى قال القائل فى ذلك الزمان : «إذا اعجزك ان تطرب القرشى ، فغنه الحان ابن سريج فى شعر عمر بن ابى ربيعة ، فانك ترقصه» ! ..

وقائل هذه الكلمة لا يعنى القرشى خاصة ، بل يعم العرب جميعا ، والعجم ايضا ، ممن استعربوا ايامئذ وصار لهم ذوق فى الشعر والغناء والحياة كلها ، كذوق العرب ، بل هو ذوق العرب ذاته ، لان هؤلاء المستعربين نشاوا بين العرب ، ولقنوا فصاحتهم وحياتهم ! ..

وابن سريج كان أعظم مطربى ذلك العصر ، بدأ حياته الفنية بعد عهد الخلفاء الراشدين ، لكنه راى الخليفة عثمان بن عفان ، وحضر ـ وهو طفل ـ الفتن التى اجتاحت المدينة ، عاصمة الخلافة ، فى اواخر عهد عثمان ، ولكن إقامته كانت بمكة ، وفيها كانت بداية شهرته بالنياحة وهى صناعة «النوح» على الموتى ، ينوح عليهم ، ويقبض اجره ، ثم استمع الى غناء رائد الغناء المتقن «ابن مسجح» فاخذ عنه شيئا ، ولم يكتف به ، فلازم العمال العجم الذين استقدمهم الى مكة عبد الله بن الزبير ـ فى عهد خلافته ـ لاعادة بناء الكعبة بعد ان احترقت فى حادثة فاجعة .. وعن هؤلاء العمال الذين كانوا يتغنون فى اثناء عملهم ويضربون بالعيدان فى ساعات راحتهم ، اخذ ابن سريج صناعة الضرب بالعود ، ونقل نغماتها الى عروض الشعر العربى ، بذوق



عربى فاذا به قد انشا مقامات الغناء العربى نشاتها الأولى التى كانت طفرة فنية هائلة لا يصدقها العقل ! ..

ومن المصادفات التى لا تثير العجب فى الحقيقة أن العمال العجم كانوا يعملون فى «المدينة» ايضا ويضربون بالعيدان ، واخذ عنهم مطربو المدينة ، فنشا للغناء العربى المتقن مذهبان او مدرستان فى وقت واحد ، مدرسة مكة ومدرسة المدينة .. واهتدى أصحاب هذين المذهبين الجديدين بفطرتهم السليمة الى أخذ ما يصلح للذوق العربى من الموسيقى الاعجمية ، وما يمكن مزجه بما تبقى للعرب من غناء حضارتهم القديمة التى كانت لهم قبل ذلك بالف عام ، ويقول بعض المؤرخين إنها عاشت الفى سنة ، فنكسة الحضارة العربية التى امتدت فى الجاهلية الف سنة ، سبقتها حضارة مزدهرة قاومت الزمن الفى عام ! .. ولو حسبنا السنين لامكن ان نقول : إن الغناء العربى المتقن قد انبعث «فجاة» ـ بمعنى الكلمة ـ بعد احتكاك سريع جداً بالغناء الحضارى الفارسى والرومى والمصرى ، ولو لم يكن للغناء المتقن أصل عند العرب لما صح فى الذهن ان يعود فى مكة والمدينة معا فى عشرين عاما فقط فنا متقنا متكاملا ، لا ينقصه إلا القليل الذى استكمله بعد ذلك إسحاق الموصلى فى بغداد وزرياب فى قرطبة ثم نقله المتغلبون على السلطة فى المشرق والمغرب من الترك والديلم والخزر وغيرهم فحرفوا أسماء المقامات العربية القديمة ، ولكن كان لهم فضل الاحتفاظ فى غنائهم بجوهرها ، فلما انبعث الغناء العربى المتقن من جديد بمصر فى منتصف القرن التاسع عشر على يد الشيخ محمد شهاب (صاحب كتاب سفينة شهاب الذى حوى الموشحات الاندلسية) كان هذا هو البعث الثانى للغناء العربى بعد بعثه الأول فى القريتين العظيمتين ، ثم انبعث الغناء العربى بعثا ثالثا منذ عهد عبده الحمولى ، ومحمد عثمان الى عهد سيد درويش ، وابى العلا محمد ، وام كلثوم ، وعبد الوهاب ، والسنباطى ، وغيرهم .. ومن حسن الحظ ان هذا الانبعاث الاخير لا يمكن محوه لانه مسجل ، بالرغم مما يعتور الغناء العربى الآن من تدهور خطير ! ..

أظننا لم نبعد عن عمر بن أبى ربيعة وشعره فى غناء عصره ، مع اننا قفزنا فى هذه الأسطر الاخيرة عائدين اكثر من الف وثلاثمائة عام من عصرنا الى عصره ..

ذلك ان ذيوع شعر عمر بن أبى ربيعة فى غناء عصره يشبه شيوع قصائد هذا او ذاك من شعراء مصر والشام ـ مثلا ـ فى غنائنا المعاصر ، لا بسبب تكرار التاريخ لنفسه كما اعتدنا ان نسمع بعضهم يقول ، ولكن لتوافر الشروط والاسباب الحاسمة فى اتجاه امس واتجاه اليوم ، على اختلاف الأصول العميقة لاتجاهات الدنيا من زمان الى زمان ! .

تغيرات موضوعية

ولد عمر بن ابى ربيعة فى بنى مخزوم من قريش ، ليلة استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاسماه قومه عمر ، واستهل حياته والناس يبحثون عن خليفة ، ويتنازعون بينهم : ايكون الخليفة هذا الصحابى الجليل أم ذاك ، حتى ارتقى منبر الخلافة عثمان بن عفان ! ..

فى عهد عثمان عاش «عمر» طفولته ، ثم راى الفتنة بين علي ومعاوية فلما خمدت كان قد بلغ الشباب واوغل فى قول الشعر ..

وعهد عثمان ، ثم عهد معاوية ، هما عهد الفتوح الاسلامية البالغة اطراف الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .. وفيهما تدفقت افواج من الأمم القاصية ، ذكوراً وإناثاً ، على المدينة ومكة

ودمشق والبصرة والكوفة والقدس والفسطاط وصنعاء وغيرها من مدائن العرب ، وفاضت خزائنهم بما اجتنى لهم النصر المتواصل من الأموال الطائلة ..

وكان من البديـــه بعد ذلك أن تتربع قريش على قمة التطورات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ، فإن قريشا ذؤابة العرب .. منها خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء ، وكبار القادة والساسة والعلماء فى الدولة العربية العظمى التى اخذت مكان دولتى قيصر وكسرى فى ضربة فذة من ضربات التاريخ البالغة الندرة ، سرعة وحسما واستقرارا ..

ووجدت قريش نفسها وهى تسكن الحرمين مكة والمدينة ، والمدائن الكبرى فى الامصار تنعم بفيض من الرزق يكاد يكون بغير حدود ـ إذا قيس الى الرزق فى الجاهلية ـ وفرضت الدولة للقرشيين من بيت المال مرتبات ثابتة كبيرة ، وخصت بعضهم بما فوق المامول ، فكان عبد الله ابن جعفر بن ابى طالب ينال من معاوية بن ابى سفيان الف الف درهم (مليون درهم) سنويا .. فلما مات معاوية قال يزيد معاوية لعبد الله بن جعفر : كم كان يعطيك امير المؤمنين ؟! .. قال : كان رحمه الله يعطينى الف الف ! .. قال يزيد : قد جعلتها لك الفى الف «مليونين» لترحمك عليه ! .. فقد استكثر الخليفة الاموى ان يترحم هذا الهاشمى ابن جعفر ذى الجناحين الطيار فى الجنة ، على معاوية الذى كان ممن قال لهم الرسول الكريم : اذهبوا فانتم الطلقاء ! ..

ثم زاده يزيد مليونا ثالثا ، لان جعفرا قال له : «بابى انت وامى» .. وهى كلمة «جسيمة» من هاشمى لاموى ، استخرجت من يزيد مليون درهم ! ..

فانظر كيف كان عطاء رجل واحد من قريش ثلاثة ملايين درهم ، ولا يدهشك بعد ذلك الا تسمع عن فقير قرشى فى عهد عثمان الى اخر عهد معاوية .. ولسنا نعنى انهم تساووا فى الثراء ، فان هذا لم يقع فى أى مجتمع من قبل ولا من بعد .. ولا نعنى ان قريشا احتجنت المال عن العرب وخصت نفسها به ، فالقبائل العربية كلها ازدحمت فى الفتوح الكبرى ، فتغيرت حياتها جملة وتفصيلا ، لوفرة المال وفرة هائلة ، حتى بلغ العطاء مستحقيه فى أعماق البوادى وهم يستظلون تحت النخيل ! ..

كانت هذه تغيرات موضوعية طبيعية فى تلك الظروف التاريخية ، ولكن السيطرة على نتائج التغيرات ـ على اختلافها فى جميع العصور ـ لا تدخل فى إرادة انسان بذاته ، بل تخرج حتى عن إرادة المجموعات ، او الجموع ، وتمضى الى غايتها .. فالتاريخ يذكر ان اسماء بنت ابى بكر زوجة الزبير بن العوام قالت مرة : «تزوجت الزبير وما يملك إلا بعيرا وفرسا .. وليس له خادم ولا مال ، فكنت اطحن بيدى واعجن واعلف الفرس والبعير واجتلب الماء من مسافة بعيدة» ! .. وقد توفي الزبير بعد عثمان بقليل فخلف تركة قدرت بمائة وخمسين الف دينار ، والف فرس ، والف خادم .. ودارا فى الكوفة بقيت قائمة بعد وفاته اربعمائة عام تقريبا لانها كانت قصرا بالغ المتانة .

وكان لطلحة بن عبيد الله دار كهذه بقيت مئات السنين ايضا ، وبلغ محصول اراضيه اكثر من سبعمائة الف دينار فى العام .

وبنى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ داره بالمدينة بالآجر والجص والصـــاج .. وحين مات زيد بن ثابت ، خلف من كتل الذهب والفضة ما اضطر ورثته الى كسره بالفئوس ، عدا الضياع والقصور : .. ويذكر التاريخ لزيد جهده العظيم فى جمع القرآن الكريم وكتابة المصاحف ..

ولما مات عبد الرحمن بن عوف جيء الى الخليفة عثمان بن عفان بما تركه من الذهب فى كيس كبير ، فلم يستطع عثمان ان يرى الرجل الذى وضع الكيس وقام وراءه ، فقال عثمان :

ـ رحم الله عبد الرحمن ! .. إنى لارجو له خيرا ، لانه كان يتصدق ويقرى الضيف .. وقد ترك ما ترون من المال ! ..

وكان كعب الأحبار حاضرا فقال :

ـ صدقت يا امير المؤمنين .. كسب عبد الرحمن طيبا ، وانفق طيبا ، لقد اعطاه الله خير الدنيا والآخرة ! ..

هذا معناه ـ فى قول كعب الاحبار ـ ان الأموال التى حازها كبار العرب القرشيين وصغارهم ، بل كبار امة العرب كلها وصغارها ، لم تكن نهبا اقترفته فئة عربية .. ولو كانت كذلك لكان هذا الرجل ـ كعب الأحبار الذى كان يهوديا قبل اسلامه ـ قد غمز قناة العرب فى هذا الشان من قريب او بعيد ..

لقد جاءت هذه الأموال من وجهها «الشرعى» فى الفتوح ، ثم فى «استثمارها» بعد ذلك سنين فى التجارة والزراعة ، فطبع الثراء والازدهار الاقتصادى ذلك العصر كله الذى بدا بخلافة عثمان وبلغ خلالها ـ وهى اثنا عشر عاما ـ غاية لم يكن ممكنا بعدها ان يتحول عنها المجتمع الجديد الذى صارت لحياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قواعد واصول صنعتها عوامل تاريخية سريعة لكنها عميقة فعالة ذات منعة شديدة ، ولها فى هذا المضمار تفرد تاريخى يستحق أعمق الدراسات ..

فى ظل هذا التحول الحضارى الأساسى ، فرغ القرشيون فى مكة والمدينة لحياتهم الخاصة ، واغناهم مال الاعطيات والجوائز والتثمير ، فصارت لهم طريقة فى الحياة ، وعرفهم سائر الناس بسمتهم الخاصة وملابسهم وادابهم وفصاحتهم ووجوههم السماح الناطقة باصلهم القرشى ، حتى كان العربى إذا راى القرشى وهو لا يعرف انه من قريش ولم يره قط من قبل قال له برهانا على فراسته :

ـ امتع الله بك يا فلان .. توسمت فيك القرشية ! ..

فيجيبه القرشى : ..

ـ اصبت ! ..

الغناء العربى المتقن

وسط هذه الحياة الجديدة الزاهية الناعمة المطمئنة ، بزغ نجم الغناء العربى المتقن ، وصارت له طرائق فنية راسخة متعارف عليها ، فاقبل عليه القرشيون ، إقبالا لم يعرف التاريخ له مثيلا ، وارتفعت جوائز المغنين ، وطلبهم الأمراء ثم الخلفاء ـ بعد معاوية الذى كان يلتزم التحفظ ـ وغمروهم بالعطاء .

وعندما بلغ عمر بن ابى ربيعة الاربعين من عمره ، كان الغناء قد تخطى مرحلة الاضطهاد ، وعرف الناس فى الحجاز والشام والعراق اسماء ابن سريج ، وابن محرز ، ومعبد ، ومالك بن أبى السمح ، والغريض ، وابن عائشة ، وجميلة ، وعزة الميلاء ، وسلامة القس ، وحبابة ، وأسماء اخرى لا احصيها ، كانت طليعة الغناء المتقن ، ولكل منها فضل ، وعلى ايديها رسخت قواعد هذا الغناء فى سرعة قياسية لم يعرفها فن من فنون الأمم قديما وحديثا .. وخرج الغناء العربى المتقن كلمح البرق الخاطف من طيلسان غناء الأمم المغلوبة المحتفظة ببقايا حضارات انتهى نورها ، ونظر العرب فيما استحدثوا لانفسهم من غناء متقن فاذا هو لا يشبه غناء الروم ولا الفرس ولا الخزر ولا غيرهم ، فقد ارتقت فنية الغناء العربى المتقن حتى صار غناء تلك الأمم الى جانبه ثرثرة ساذجة تندثر اصولها يوما بعد يوم ويسخر العربى منها اذا سمعها ، ويقول فى نفسه : اين هذه السذاجات مما نسمع من غنائنا المتقن المشدود الاصول والفروع شدا بالغ الوثاقة

والجمال ؟! ..

وكان على أصحاب الغناء العربى المتقن ـ تلك الفئة النابغة النادرة المثال فى تاريخ الأمم ـ ان يغنوا للأجيال الجديدة التى صار لها ذوق فى النظر الى متاع الحياة ، وزينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، ومن هذه الطيبات .. النساء : زوجات او جوارى ـ وقديما كانت الجاهلية فى فقرها وخشونة ذوقها ، لا يخفى عليها شىء من دقائق الجمال النسائى ، فكيف وقد ذهبت خشونة الجاهلية واندثر فقرها ، واتخذت المرأة مكانتها الصحيح ونطق الشعراء بغزل لا يتجاوز فى اكثره مقتضيات المروءة التى هى راس الاخلاق عند العربى .. واليها ينتهى عمله وقوله ، ولا يخرج عنها حتى عمر بن ابى ربيعة الذى كان يمثل «فتى العصر» بحسناته وتجاوزاته ؟! ..

لهذا لم يكن شعره دعوة الى فجور كما يظن من لا يعرفه ، بل كان تحررا ولعبا فى «الكلام» و «الحوار» .. يدخل فى باب الظرف الحضرى الجديد ! .. ولم يكن اهل عصره ـ إلا بعضهم ـ يرون بذلك باسا ، بل كانوا يتناشدونه ويعجبون به ..

لم يكن الشعر العذرى يشوق نبلاء تلك الدنيا الجديدة الذين يملكون الجوارى بطريقة شرعية ، فان الشعر العذرى كان شعر الاعراب فى البادية تحرمهم ظروفهم ممن يحبون فيقولون هذا الشعر الذى يراه المتحضرون المترون ساذجا ينضح بالبراءة ، وينم عن قلة التجربة وضعف الحيلة ، وإن كان شديد الحرارة ، عميقا صادقا ، يقلب الاكباد على الطناجر الحامية ! ..

كانت شروط الحياة فى «الحضر» شديدة الاختلاف عنها فى «المدن» .. بالرغم مما انتعشت به الصحراء من بركات الفتوح وكرم الاثرياء الذى كان كالغيوم الماطرة على الناس ! ..

هذا النوع من الشعر

لهذا قل التغنى باشعار العذريين ، سواء من اعترفت بهم كتب الأدب التى بين أيدينا الآن ، ومن لم تعترف بهم .. وقد روت هذه الكتب اشعار من انكرت وجودهم ومن اعترفت بوجودهم ، وسجلت ما صنع فيها المغنون من الحان عاشت حتى نهاية العصر العباسى الأول ..

كذلك قل إقبال المغنين على أشعار جميل بثينة وكثير عزة ، وابن قيس الرقيات ، وامثالهم من المتوقرين فى نسيبهم ، او ممن ادعوا الوقار وطاب لهم ان يجعلوه طابع غزلهم ونسيبهم ! ..

فهذا النوع من الشعر ، وإن لم يخل من فرائد ، لا يحرك عواطف «جمهور الغناء» الناعم .. ولا يحوز رضا عامة عشاق السماع ! ..

ولما غنى المطربون فى شعر العرجى الشاعر الغزلى الجرىء ، طرب لهم الناس ، ولكن الذى اطرب الناس حقا ، وفتنهم ، واقامهم واقعدهم ، ومس قلوبهم واكبادهم ، هو الغناء فى شعر عمر ابن ابى ربيعة .. فانه الشعر الذى كانوا يلتمسونه فى الغناء ، شعر الرفاهة القرشية الجديدة الخبيرة بأصول الحياة فى المجتمع الجديد .. إنه الكلمة المطلوبة لغناء العصر ، لانه لسان حال الحياة الخاصة للنخبة التى كان عمر ابن ابى ربيعة نفسه واحدا منها .. ولسان حال صفوف كثيرة وراء هذه النخبة العريقة ، من عامة أثرياء العرب ، وما اكثرهم حينذاك ! ..

تغزل عمر فى جميع شهيرات عصره الجميلات من بنات العظماء والكبراء فى الحجاز والشام والعراق واليمن .. ولم يغضب منه فى اكثر الأحيان احد غضبا لا ينطفىء بايسر نفخة من فم رجل او امراة .. لأنهم كانوا يعرفون انه من كلام الرفاهة البرىء الذى يترقرق فى النعمة السابغة التى يتبردون بمائها ، ويقتعدون فوق زئبقها على الأرائك مبتسمين للحياة وهى تتارجح بهم ناعمين ! ..

وتنافس المغنون على شعر ابن ابى ربيعة ، فكانوا يتقاسمون القصيدة الواحدة ، يأخذ كل منها أبياتا يلحنها ويغنيها ، وكان اوفرهم حظا من هذا الشعر عبيد بن سريج ، عظيم الملحنين والمغنين ، وصديق عمر بن ابى ربيعة ، وصاحبه فى جولاته بحثا عن الالهام ! ..

ولا تجد من اعلام الغناء كمعبد والغريض وابن ابى السمح وابن عائشة وابن محرز وسلامة القس وغيرهم ، من لم ينل نصيبا وافيا من شعر ابن ابى ربيعة الذى كان نظمه كله للغناء ! ..

ثم عاش هذا الشعر بعد العصر الأموى حتى بلغ العصر العباسى فى قمة ازدهار سلطانه وامتلاء خزائنه ، على عهد هارون الرشيد .. فعندما طلب الرشيد من ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع وغيرهما من كبار المطربين ان يختاروا له مائة لحن جميل ، كان مما اختاروه بعض الألحان فى شعر ابن ابى ربيعة ، فلما طلب تصفية هذه الألحان المائة الى العشرة ، ثم الى ثلاثة ، كان احد الأصوات الثلاثة فى شعر لابن ابى ربيعة من تلحين ابن سريج ، وقد ظل هذا اللحن مرويا على اصله حتى بلغ عصر الرشيد وغناه له المغنون الرواة كالموصلى وابن جامع ..

هذا الشعر هو :

تشكى الكميـــت الجـرى لما جهدتـــه
وبيــن لو يســـطيع ان يتكلمــــا

ولبث الشعر الذى منه هذا البيت يلحن على اشكال مختلفة فى العصر العباسى الأول ـ عصر الازدهار الاقصى للغناء ـ حتى لحنه شيخ الملحنين إسحاق الموصلى ، فقال له الخليفة «الواثق» معجبا :

ـ لحنك يا اسحاق فى هذا الشعر لابن ابى ربيعة ، خير عندى من لحن ابن سريج ! ..

كمال النجمى

شاعر العاصفة والأمطار..!

شعر: الدكتور سعد عبيس

إلى الشاعر الذى تبنى قضية العدالة الاجتماعية فى مصر ، فى جميع دواوين شعره ،
الا وهى : « قصائد فى القتال » و « فى العاصفة » و « قبلما تسقط الأمطار » ٠٠٠ وفى
« انتظار المطر » ..
إلى روح الصديق الراحل .. الشاعر الدكتور كيلانى سند ...

يا رافض العيش فى أغْلال قضبانِ   ومُنْشِدَ الشعر فى تحريرِ اوطانِ
قضّيتَ عمْرَك فى الاعصارِ أغنيةً   وصُغْتَ شعرَكَ فى أفواهِ بركانِ .. !
يا شاعراً .. عاشَ فى الآفاقِ .. عاصفةً   تدعو السحابَ .. ليهْمِى فوقَ وديانِ .. !
تبثُّ أشواقَها للرّعدِ .. صارخةً :   الارضُ ظمآى .. لسيلٍ منك .. هتّانِ .. !
قُمْ .. فَجِّر الصمْتَ فى الصَّحْراءِ .. أُغْنِيَةً   ألحانُها .. فيضُ امطارٍ وغُدْرانِ .. !!
وفَجِّر العُقْمَ .. فى اعماقِ وَحْشتِها   نَهْرَ اخضرارٍ .. لسُمّارٍ ورُعْيانِ .. !

• •

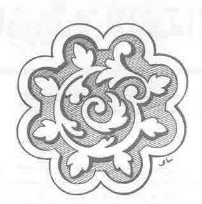
يا شاعراً .. عاش فى الآفاقِ عاصفةً   وطائراً .. يتلظَّى فوقَ نيرانِ .. !!
قمْ .. حطِّم الصمْتَ ، وانقضْ ليلَ مقبرةٍ   وأنْشِدِ الشعرَ فى صدقٍ وايمانِ
قد عشتَ عمْرَك .. لحناً طائراً قلقاً   لا يستقرُّ على دَوْحٍ واغصانِ .. !
تسمو وراءَ نشيدِ الشمسِ .. متخذاً   من شِعْرِك الحُرِّ .. ما يزرى بعِقْبانِ
ما كنتَ يوماً لتشدو الشعرَ مرتجفاً   أو تهمِسَ الرأىَ فى صمتٍ وكتْمانِ
فكيف تسرى بليلِ الصَّمْتِ .. معتزلاً   وكيف تأوى إلى انقاضِ بُنْيانِ .. !!

• •

قم .. حطّم الصمْت .. إن الشعر عاصفةٌ   لا تسكُنُ القبرَ .. لا تأوى لجدرانِ .. !
وانت .. نهرُ ضياءٍ .. ليس يحْجُبُه   ما يحجُبُ الناسَ من قيدٍ وسجّانِ
قم .. حطّم [illegible] .. إن الصمتَ مقبرةٌ   وأنْشِدِ الشعْرَ فى صحبٍ وخلان
والقِ بالكفنِ [illegible] فانت [illegible]   فكرٌ تسامَى على مَوْتٍ واكفانِ
حطم قيودَكَ .. « اودوسيوسَ » وارمِ [illegible]   وعُدْ لساحةِ ابطالٍ وفرسانِ
لما تزل (بنيلوبُ) « الشعْرِ .. حائرةً   ترجو إيابَكَ فى شوقٍ وتحنانِ .. !
تسائلُ القومَ .. « ماذا بعدَ رحلتِه   متى يعودُ فيطوى صمْتَ احزانى .. !

• •

متى يعودُ لقوس الشعر يحكمُها   يرمى بها كل مَشّاءٍ ببُهْتانِ .. !



يرمى بهــا من احالوا الشعرَ احذيـةً ... لكل ذي صولةٍ يُزْهَى بسُلْطانِ
من صيّروا الشعرَ ابواقا مسخَّرة ... وصيّروا الفنَّ اسواقا لعُبْدانِ .. !

• •

يا شاعرا عاش فى الآفاق عاصفةً ... وطائرا يتلظّى فوقَ نيرانِ .. !
قمْ .. علّم القومَ ان الشعْرَ معجزةٌ ... تُهْدى الى الحقِّ .. لا تُشْرَى بأثمانِ .. !
وأنَّ من يبدعُ الأشعارَ مرتفعٌ ... بشعْرِه .. فوقَ ألقابٍ وتيجانٍ .. !
واننا نمنَحُ الآفاقَ .. انجُمَها ... ونبدع الكونَ .. من ابياتِ ديوانٍ .. !!
منابعُ الضوءِ .. تَسْرِى من مشاعرنا ... والشمسُ تشرقُ من اعْماقِ فنَّانِ .. !!
مليونُ شمْسٍ وشمسٍ .. فى قصائدنا ... تفجّرُ الضوءَ من الافِ اكْوانِ .. !!

• •

قُمْ .. يا رفيقَ السُّرَى .. فالريحُ عاصفةٌ ... والليلُ من حوْلِنا .. غاباتُ ذُؤْبانِ .. !!
تركْتَنى .. فى زحامِ الناسِ .. منفردا ... أفرُّ منهم .. إلى دَمْعى وأحْزانِى .. !
وحْدِى .. غدَوْتُ .. وما فى العمرِ متّسَعٌ ... لصاحبٍ أرْتَجِيه .. بعد « كيلانى » .. !!
كنا رفيقىْ حَيَاةٍ .. ما يفرِّقنا ... ما فرّقَ الناسَ من احداث أزْمانِ
قد كنتُ انطِقُ ما أوشكْتَ تنطِقُهُ ... ويلتقى منك تبْيَانٌ بتَبْيَانى .. !
فكيفَ خلَّفْتنى انضاءَ مغتَرِبٍ ... لم يَبْقَ منه سوى اشْلاءِ إنسانِ
ودونَما موعدٍ .. أسْرَيْتَ .. مرتحلاً ... يا طائرَ الحبِّ نحو العَالَمِ الثانى .. !

• •

بالامس .. كنا معا روحا معذَّبَةً ... يمشى بها فى دروبِ الارضِ جسْمانِ
واليومَ .. نحن هنا روحٌ مجنَّحَةٌ ... تخلّصتْ من ترابِ العالَمِ الفانى .. !
تسرى بها فى سماءِ اللهِ اغنيةٌ ... الحانُها فيض تسبيحٍ وإيمانٍ .. !

سعد دعبيس
كلية الآداب ـ جامعة صنعاء

سرُّ الجاذبيّة في اللغة العربيّة

بقلم : حامد بدر

عندما تكون حاجة المحب الى المحبوب شديدة، او عندما يكون المحب طالبا والمحبوب مطلوبا ، فان قوة الجاذبية فى جانب المحبوب قادرة على اجتذاب المحب ، والنتيجة إغداق العطاء من المطلوب على الطالب .

ولكى يؤدى الرسول رسالته لابد أن توجد لديه القدرة على تبليغ تلك الرسالة وان يملك من فصاحة اللسان ، وبلاغة الاقناع ما يخضع المخاطب لا سيما مخاطب معاند مكابر متعصب ، عاكف على عبادة الأوثان ، تلك العبادة الموروثة التى يستمد منها سلطانه وجاهه وثراءه . وهو مع عناده ومكابرته وتعصبه ووثنيته .. متفوق فى بلاغته واقتدار لغته وسحر بيانه .

ولم يرسل الله رسولا إلا بلسان قومه . كما جاء فى القران الكريم « وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه » . وقد ارسل الله محمدا فى العرب بلسانهم ، ولكن رسالته كانت الى الناس كافة كما جاء فى القران الكريم أيضا « وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

نزل القران عربيا ، على نبى عربى ، فى قومه العرب ، فبهرهم واعجزهم بنصه ومضمونه وهم امراء البيان .. وانتشر الاسلام ، وشمل نوره كل قارات العالم ، فكيف انتشرت رسالة القران فى أمم لا يتكلمون العربية ولا يعرفونها ؟ وهل سعى الاسلام الى المكان الذى ظهر فيه وهو قلب الجزيرة العربية الى مكان قريب او بعيد ؟ ام سعى الناس من كل مكان الى المكان الذى بزغ منه نور الاسلام ، بعد ان بعث فيه هذا النبى العظيم ؟ .

إن اللغة العربية كانت ولا تزال اغنى اللغات ،ولذلك اخذت مكانها فى العالم بين اهلها لتكون مصدر اشعاع تنبعث منه اضواؤها على جميع بقاع الأرض .

وإذا اصطفى الله تعالى من خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم لتبليغ خير الرسالات الى الناس كافة ، وانزل عليه القران الكريم بلسان عربى مبين . فلا ريب فى ان لغة القران هى اللغة المصطفاة التى لا ترقى الى مكانها لغة اخرى .

وبعد ان وصلت الى القاصى والدانى علوم وتعاليم من القران ، مترجمة بكل لسان ، واسلم من اسلم اشتد حنين الكثيرين من غير العرب الى قراءة وفهم اصدق واحكم واعلى كلام ، الا وهوكلام رب العالمين . ولا سبيل الى قراءة ذلك الكتاب بغير تعلم العربية الفصحى . فتنافس المتنافسون فى هذا المضمار ، وظهر من تعلم العربية ونبغوا فيها ، وقراوا القران وتفاسيره ، وترجموا من معانيه واحكامه ما استطاعوا وكان هذا السباق بين محبى اللغة العربية حافزا لغيرهم ممن بلغتهم الدعوة الى تعلم هذه اللغة الفصحى ليزدادوا علما ، وليتمكنوا من قراءة كتاب الله والاهتداء بنوره ، فدخلوا فى الاسلام جماعات ووحدانا .

وإذا كانت الشمس ترسل اشعتها بغير حساب ، فليس كل مكان فى الأرض سواء فى التمتع بنور الشمس ودفئها ، فهما فى انجلترا مثلا لا يتعادلان مع نور الشمس ودفئها فى مصر . لذلك كان سكان المناطق الباردة المظلمة هم الذين يشعرون بالحاجة الى الانتقال الى الأماكن التى تسطع عليها الشمس طلبا للنور والدفء ، فيذهبون الى تلك الأماكن ولم تذهب الشمس اليهم فى صقيعهم وثلوجهم وغيومهم . لم تذهب اليهم ، ولكنها لم تبخل عليهم إذا ماالتمسوا دفئها ونورها بكل وسيلة من الوسائل الممكنة . فان طاقة الشمس من الحرارة والضوء غنية وكافية . والشمس لا تختزن تلك الطاقة ولا تمنعها ولا تبخل بها .

وهذا مثل مادى قد يقرب الصورة الى الاذهان التى تطلب الادراك من طريق الواقع المحسوس وان كان الفرق شاسعاً جداً بين هدى الأبصار وهدى البصائر ، وبين المدد الجسمانى والمدد الروحى !

وكما ان معرفة اداب وتراث لغة غير العربية لا يتحقق إلا بمعرفتها ، فكذلك ليس من الممكن الاستفادة من علوم القران ، والاخذ من المؤلفات التى وضعها علماء الاسلام وفلاسفة العرب إلا بتعلم اللغة العربية الفصحى . وهؤلاء الذين تعلموها لم يقبلوا عليها للاحاطة المجردة بها ، بل لانها الوسيلة الى قراءة القران الكريم التماسا لذلك النور الهادى . وبتعلم الفصحى وفهمها استطاعوا تذوق بلاغتها فانبهروا بما وجدوا فى القران من علوم الكون ، وقصص الأولين وعبرالقرون الغابرة . وخشعوا إكبارا وإجلالا لما فى القران من توجيه اخلاقى رائع ، ورسم للطريق المستقيم ، وتحديد للعقائد والعبادات ، وبيان الحلال والحرام ، وتقنين للقصاص والعقوبات . فى دستور سماوى دقيق كامل وشامل ، به تستقيم الحياة ، وبدونه لا تستقيم .

وقد كانت الجاهلية قبل نزول القران هى السائدة ، وظلت بعد نزوله حينا من الزمان تصارع الحق ، والحق يصرعها . وكان القران اخر كتاب سماوى واف للانسان بكل حاجات زمانه ومكانه وما بعدها من الأزمنة والأمكنة ، بعد ان اجتازت البشرية كل مراحل التقنين والتدرج فى الاخذ بالتطبيق المستطاع لكل تشريع حكيم ، والوصول الى الأصلح والأبقى .

وإذا كان العربى يتكلم العربية فهى لغته ولكن غير العربى إذا تعلم العربية فلأنها جذبته بقوتها ، ولانه احس حاجته اليها ، وكانها الكعبة يحج اليها الناس من كل مكان قريب أو بعيد كلما استطاعوا . فان لم يستطيعوا اتجهوا اليها فى صلاتهم من كل الجهات .

ولا نعدو الصواب إذا قلنا ان بين الدين واللغة العربية صلة تعارف وتعاون وتماسك . ذلك لان الوسائل ووسائل الوسائل فى العبادات لازمة ، وبدونها لا تتحقق المقاصد ، فلا صلاة بلا طهارة ولا طهارة بلا ماء طهور . كذلك لا صلاة بغير فاتحة الكتاب ، ولا صلاة بفاتحة مترجمة الى لغة اخرى ، لان لغة القران هى اللغة التى لا توجد بلاغتها الا فيها ، ومن غير الممكن ان يترجم القران إلى لغة اخرى ترجمة مباشرة تعطي الدلالة التى انفردت بها لغة القران .

فيــــــــروز

شعر: نـاهض الريـس



سمعتُ فيروزَ في الصحراءِ فانبجَسَــتْ … عينٌ وازهَرَ وردٌ رحــتُ اقطفُــهُ
يا مُخْمَلاً رَفَلَتْ حـــورُ الجنــانِ بــهِ … ويا جنــاحَ فراشــاتٍ تُهَفْهِفُــــهُ
ســـبقتَني لفؤادي وانســكبتَ بــهِ … خمرا حلالاً ، وسرا لســـتُ اعرفُــهُ
لعــلَّهُ قمرُ الاقمــار او قدر الاقدار … او جوهــرٌ صَــعْبٌ تكشّــــفُهُ
وصــوتُ فيروزَ امــادٌ واجنحــــةٌ … وكبريـــاءٌ وجُــرْحٌ عَــزَّ مُسْــعِفُهُ
وصـــوتُ فيروزَ نجوى الريحِ إن هَمَسَتْ … للياسمينِ بصــــيفٍ رقَ مِطْـــرَفُهُ
وصوتُ فيروزَ رَجْـعُ الارضِ إنْ غَضِبَتْ … وثــارَ بركانُها وانهـــالَ قاذِفُــــهُ
وصــوتُ فيروزَ انواءٌ واشرعــــةٌ … وشــاطئٌ نَبَتَتْ نخـلاً مشـــارِفُهُ
وصــوتُ فيروزَ انهـــارٌ واوديــــةٌ … وطائرٌ فى ذُرى صنّينَ موقفُـــــــهُ
وصــوتُ فيروزَ جـــوّادٌ تدفّقُــــهُ … وصــوتُ فيروزَ حنّانٌ تلهّفُـــــــهُ
دُرُّ البحــارِ خبئٌ فى مجاهِلهـــــا … وصــوتُ فيروزَ ذوْبُ الــدُرِّ احرُفُــهُ
عشِــقْتُ فى الحِلِّ والترّحَال صحبَتَــهُ … وهَــلْ على القلبِ من نايٍ يشــنِّفُهُ
اغْرى له وهو عـــارٍ فى تــأودِهِ … وما بنـــا حاجَةٌ للتـــوتِ تَخْصِـــفُهُ
فعُــدْتُ طفلاً وعاد الكَونُ مؤتلقـــا … وعـــاد يالفُنى حينــــا والفُـــهُ
يا اخْتَ لبنـــانَ ابدعتِ الجمَـــالَ وكَمْ … اجزلْتِ فى عَــــالَمٍ جفّت عواطِفُـــهُ
لا ابعــدَ اللهُ صوتا ما له عِـــوَضٌ … ولا بَلابــلُ كلِّ الارض تَخْلُفُـــــهُ

الى اعلى حزام فضي يجمع بين التصميم الدقيق وروعة استخدام الالوان والاشكال ، وقد استخدم فيه البدو في شبه الجزيرة العربية العملات كوسيلة لاضافة الجمال على هذه القطعة من الحلي .. واللقطة الاخرى للكفة التي توضع فوق الشعر على الجبهة والمزينة باللؤلؤ .

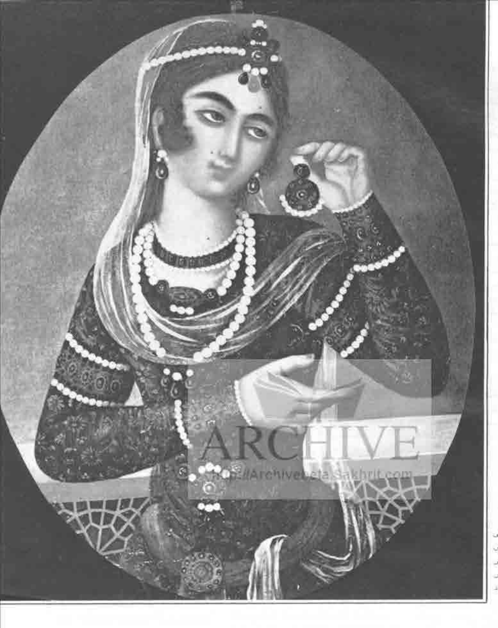


العرب وفن صياغة الحلي



- عندما كانت الأحجار الكريمة والفصوص والخرز تستخدم كعملة للبيع والشراء
- كانت عادة استعارة الحلي من العادات المألوفة عند العرب
- لماذا انشطت حرفة الصياغة والتفنن بالحلي عند أهل اليمن ؟
- **كانت المرأة العربية في صدر الإسلام تتزين في بيتها بالذهب وكافة أنواع الحلي**
- أكبر سوق قديم للذهب عرفناه عند العرب كان في بغداد ، ومازال قائماً حتى يومنا هذا

بقلم : نجلاء العزي



فتاة هندية تتزين بالحلى النادرة في القرن التاسع عشر . واغلب هذه الحلى انتقلت صناعتها وبعض زخارفها الى بعض البلاد العربية

الحلى سبقت الملابس الى الوجـــود ، فالانسان البدائى الاول ومنذ العصـــــور الحجرية الموغلة بالقدم ، ومنذ الزمن الذى كان يتخذ فيه من الكهوف مساكن له ، تعلم من الطبيعة التحلى والتزيين . فقد جذب نظره ما لبعض الحيوانات والنباتات من زينة طبيعية تختلف عن غيرها وعن جنسها بالوانها البراقة واشكالها المتميزة دفعتـه الى محاكاتها ، هذا سبب وهنالك سبب اخر للحلى . الا وهو جعلها رمزا للقوة والغلبة على الطبيعة التى حوله (بيئته) ، كان يتحلى باسنان الذئب للدلالة على قتله او بانياب الفيل للدلالة على سيطرته على الحيوانات القوية فى محيطه .

وبتطور المجتمع البدائى الاول وتحول الانسان من صياد جامع للقوت الى فلاح منتج للقوت وبتركه الكهوف ونزوله الى السهول والبوادى فى تجمعات قبلية زراعية ادت الى تكون القرى ومن ثم المدن ونشوء الدويلات ثم الدولة والاديان وبزوغ الحضارات الاولى ، تطورت تبعا لذلك الحلى وذلك نتيجة لظهور حاجات جديدة اصبح للحلى فيها بواعث ووظائف اخرى غير تقليد الطبيعة ومحاكاتها . منها معان سحرية ودلائل اسطورية ورمزية وعلامات دينية ولجملة هذه الاسباب المتعددة اصبح لها اشكال وعلامات مميزة . فمنها ما اختص بالكهنة ومنها ما اختص بالمحاربين والصيادين والقادة والفرسان والملوك والوزراء وغيرهم من حاجات ومظاهر المجتمعات الجديدة .

وهذا التطور فى المجتمـع ادى إلى نشوء اسباب اخرى للحلى غير ما ذكرنا انفا ، فقد



مجموعة كاملة من الحلى كانت ترتديها نساء قبائل البربر فى شمال افريقيا

اصبح التحلي يدل على الثروة والامتلاك ، كان تلبس الأطواق الفضية للدلالة على امتلاك عدد معين من قطعان الماشية مثلا ، او قلادة من خرز للدلالة على عدد الثيران فى البيت الواحد وهكذا ..

كما أن تطور الدولة جعل من الحلى دلالة على المركز الذى يشغله الشخص ، كان يلبس الملك تاجا ويلبس القائد اكليلا والكاهن نطاقا ، وكل له زخرفة معينة ترمز اليه ، وحتى تساؤهم ايضا لهن حلية خاصة تلبسها المراة للدلالة على مركز زوجها .

ولكن أهم سبب فى تطور الحلى وتحولها من رمز لشيء معين الى حلية تجميلية هو التجارة والمال ، فان اكتشاف المعادن الثمينة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة وتهافت الناس على اقتنائها والمحافظة عليها وذلك لقيمتها الكبيرة التى قدرها لها الانسان ، أدى الى استنباط وسائل جديدة لاظهارها واستخدامها وحملها ونقلها بسهولة

هذا اضافة الى ان التجارة جعلت من الحلى عملة ومقياسا للتبادل والتعامل التجارى فى البيع والشراء ، وذلك قبل ايجاد العملات والسكة والنقود بوقت طويل حيث استخدمت الخرز والفصوص من الاحجار الكريمة والاصداف والمحار مثلا كعملة للبيع والشراء ، واستمرت هذه الطريقة حتى بعد ايجاد العملات ، سارية فى القرن التاسع عشر فى بعض المجتمعات البدائية فى غابات افريقيا وامريكا الجنوبية .

حلى الزينة

هذا ولم تقتصر حلى العالم القديم على النساء دون الرجال او اختص بها فئات مجتمع دون اخر . فقد لبس الانسان الاول الحلى رجالا ونساء ، فقد كان المحاربون الأشوريون على سبيل المثال ، وكذلك الرومان يلبسون الأسورة والأقراط والأحزمة والقلائد ، وكذلك الفلاحون والملوك والكهنة على حد سواء ، والاختلاف يكون فى مادتها او شكلها ، اما الاقتصار على جنس او فئة واحدة فلم يكن واردا اطلاقا .

وهكذا نرى ان الحلى كانت قد لعبت دورا كبيرا وهاما فى حياة شعوب العالم القديم وذلك لعدم اقتصارها على الزينة .

هذا وما زالت الحلى تلعب دورا كبيرا فى التزيين فى عصرنا هذا ، وصدد بحثنا هو حلى الزينة فقط .

العرب وصياغة المعادن

وبعد أن استعرضنا الحلى عبر العصور لابد وأن نمر على الحلى العربية الاسلامية بشيء من التفصيل .

يعرف العرب الحلى هى : « كل ما يتزين به من مصوغ المعدنيات او الحجارة » . وهى صلب الموضوع وعنوانه ، فان المراة العربية فى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام كانت قد عرفت التزين بالحلى فى الجاهلية ، وهى نفس الحلى التى كانت سائدة فى حضارات شبه جزيرة العرب القديمة الجنوبية من سبأ ومعين وحمير ، والشمالية كالمناذرة والغساسنة ومدائن صالح وعمان والبحرين وهذه الحلى هى التى كانت سائدة بمختلف تاثيرات أساليب فنون العالم القديم المعروفة . ولما كانت مكة قبل الاسلام مركزا للقاء العرب الشماليين والجنوبيين ، دينيا واقتصاديا ، فقد انتقلت وتبودلت الأساليب والصناعات والفنون ، لذلك فقد امتزجت فيها الحضارات ، فكانت حلى شبه الجزيرة العربية فيها بعض التاثيرات الساسانية والبيزنطية وكذلك الحلى البيزنطية والساسانية قد تاثرت بدورها ايضا عن هذا الطريق ، لكن التاثير الكبير يكون فى الحضارة السائدة لكل منطقة من مناطق شبه جزيرة العرب . ولما كانت حضارات العالم القديم قد قامت وزنا كبيرا للحلى فمن الطبيعي ايضا ان تقيم حضارة العرب الجاهلية وزنا كبيرا للحلى فاولتها عناية كبيرة وتفنن الصاغة بها وعرفتها المراة العربية ولها فيها تقاليد وعادات كان يقال للمراة التى لا حلى عليها (امراة عاطل) أو (عطل) ، والمراة التى عليها حلى يقال عنها (امراة حال) . اما صوت الحلى فيسمى : (الوسواس) كما يطلق على رؤوس الحلى لفظة (الخشل) وقيل أيضا أن الخشل يعنى مجموع الحلى وكانت عادة استعارة الحلى فى المناسبات عادة جارية وشائعة فمثلا ان والد هند ، عتبة بن ربيعة ، استعار حليا من بنى ابى الحقيق ، مقابل رهن لمدة شهر وذلك عند زواجها من ابى سفيان بن حرب . واذا لم تجد المراة حليا تلبسها فانها تنظم عقودا من الخرز وتلبسها حرصا على الزينة والتحلي بغض النظر عن مادتها .

هذا وقد عرفت الصياغة كحرفة شائعة ، وكانت اهم اعمال الصائغ عند الجاهليين هو صياغة المعادن والحجارة للزينة ، اضافة الى ذلك فقد كان يعمل الصائغ الأوانى الذهبية والفضية وبعض قطع الأثاث المعدنية ، فقد ذكر ان السبايين كانوا يستعملون فى بيوتهم أدوات وأوان من الذهب والفضة ، وصلنا منها قطع قليلة متاكلة

العرب وفن صياغة الحلي

هذا وقد اشتهر « بنو قينقاع » فى مدينة يثرب باجادتهم حرفة الصياغة واتقانهم لها

والصائغ عند العرب هو من يحترف فن الصياغة . وصاغ الشيء من باب قال وهو (صائغ) فى اللهجة العربية الشمالية ، « وصياغ » فى لغة اهل الحجاز ، وعمله الصياغة ، اى صياغة كل ما يتزين به من الذهب او الفضة وتطعيمها بالأحجار الكريمة . وقد ذكر الشاعر النابغة الذبيانى الصائغ فى بعض ابياته منها :

لعن الله ثم ثنى بلعن
ربذة الصـــائغ الجبان

كما كان مساعدو الصائغ والصناع الذين يشتغلون عنده يدعون (بالتلاميذ) .

انتقال الأساليب الفنية

وما وصلنا من حلى شبه جزيرة العرب قليل جدا لكن يمكن دراسته وتكوين فكرة عنه . حيث وصلتنا بعض الحلى القتبانية من اليمن ، وكذلك من المناذرة والغساسنة ، مما امكن تكوين فكرة عنها . ولما كانت الحلى من المعادن ، والمعادن بصورة عامة بطيئة التغيير فى اسلوبها وطرازها ، فلاشك انه كان لحضارات العرب القديمة اسلوبها وطرازها خاصة البعيدة منها كاليمن التى لها طراز خاص بهـا ولو كان فيه بعض التاثيرات البيزنطية والساسانية ، ولكنه تاثير قليل لا يمكن تمييزه بسهولة ، اضافة ما كان فى اليمن من ثروات ومعادن كمناجم الذهب والفضة ، وما كان لها من تجارة نشيطة عبر البحر الى افريقيا والهند وشرق اسيا حيث تجلب المعادن الثمينة وتنقل عن طريقها الى شبه جزيرة العرب ومنها الى سورية وارض ما بين النهرين (العراق) وفارس وغيرها من دول العالم المعروفة قبل الاسلام ، كل ذلك ادى الى نشـــاط حرفة الصياغة والتفنن بالحلى .

هذا ولم تتاثر حضارات شبه جزيرة العرب القديمة بالطرز الساسانيـــــة والبيزنطية الا فى فترة متاخرة سبقت الاسلام بقليل بعد ان تعرضت للغزو من الفرس ، ولما كانت حرفة الصياغة وفنها قائم على المعادن فقد تبدلت تبدلا طفيفا كما ان الحلى الساسانية كانت قد تاثرت بدورها الى حد ما بالحلى اليمانية وذلك بسبب ما فى بلاد اليمن من كنوز وحضارة قديمة وموقع جغرافى هام للتبادل التجارى . فانتقلت الأساليب الفنية من اليمن بعد ان عمت شبه الجزيرة العربية الى الخليج العربى وشرق الجزيرة وشمالها حيث المناذرة والغساسنة الذين نقلوا التاثيرات اليمنية الى الفنـــــون الساسانية ، لاننا نلاحظ تبدلا واختلافا فى



امراة ترتدي عقد من عنبر هذا ما وجدناه في كتاب الكواكب الثابتة الذي الفه «الصوفي» في القرن الرابع الهجري

الفنون الزخرفية الفارسية عامة من العصر الفرثى الى العصر الساسانى بسبب قربه من شبه جزيرة العرب .

الحلى فى الاسلام

ولما جاء الاسلام وتبدل مجتمع شبه الجزيرة العربية ديانة ونظاما ، ومن ثم توسعت الدولة الاسلامية فعمت ارجاء كبيرة خارج شبه جزيرة العرب ، وضمت تحت لوائها مختلف الجنسيات من فرس وهنود وروم وغيرهم ، انصهرت تبعا لذلك الفنون العربية الاسلامية فى هذه البوتقة وانتجت فنا اسلاميا له اسلوبه وطرازه الخاص ، وهذا الفن بمختلف فروعه اصله عربى من شبه جزيرة العرب خاصة اليمن وفرعه مزيج وصل الى اوروبا غربا والصين شرقا والاتحاد السوفيتى شمالا (الذى كان يعرف ببلاد ما وراء النهر فى العصـــــور الاسلامية) . والى اليوم مازالت تلك السمة القديمة تطبع الفنون الزخرفية الاسلامية عامة بحيث يمكن تمييزها من النظرة الأولى لما لها من شخصية نقلت اليها من العصور الاسلامية .

وتبعا لذلك فقد تاثرت الفنون الزخرفية عادة كلها بالدين والنظام الجديدين ماديا وفنيا ، ولما كانت الحلى من الفنون الزخرفية فلابد وان تكون قد تاثرت بذلك وفقا لما نفصله تاليا : ان الدين الاسلامى لم يحرم الزينة . والزينة فى الاسلام هى :

« تحسين الشيء بغيره ، من لبسة او حلية ، او تحسين الهيئة بوسائل اخرى » .

ولما كانت المراة العربية تتزين بامور الزينة التي كانت سائدة في شبه جزيرة العرب والتي عرفت بغنى مادتها ووفرتها وتنوعها وحيث لم يرد فى القرآن الكريم اى ذكر لتحريم التحلي . فقد ذكرت لفظة (حلية) فى صورة فاطر الآية ١٢ . (وتستخرجون حلية تلبسونها) . وكذلك فى صورة الرعد الآية ١٧ بقوله تعالى : (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع) . لذلك فان لبس الحلى ذهبية كانت ام فضية لم يحرم فى الاسلام . وكل ما كان هو نهى ورد فى الاحاديث النبوية الشريفة . والنهى اقتصر على لبس الرجال للذهب واقتصاره على النساء فقط كقوله صلى الله عليه وسلم :

« الحرير والذهب حرامان على رجال امتى ، حل لاناثها »

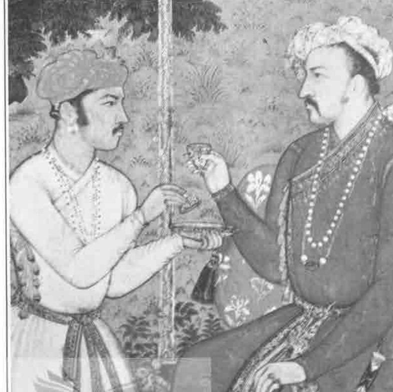
وقد احل النبى صلى الله عليه وسلم لرجال المسلمين التحلي بالفضة فقط ، كقوله :

« عليكم بالفضة فالعبوا بها » . كما تذكر السيدة عائشة رضي الله عنها ، ان النبى صلى الله عليه وسلم ، نادى امامة بنت ابى العاص ، وهى حفيدة النبى من ابنته زينب . واعطاها خاتما ذهبيا به فص حبشى كان قد اهداه له النجاشى ، قائلا لها : « تحلى بهذا يا بنية » .

هذا ولن اعرض للاحاديث التى يظهر فيها المغالاة والتناقض الواضحين ، وذلك لان اغلب كتب تفسير الأحاديث الفقهية ، والكتب المؤلفة لدراستها تبين ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى رجال المسلمين عن لبس الذهب فقط وابلح لهم لبس الفضة ، ومازال هذا العرف جاريا الى يومنا هذا عند المسلمين . هذا بغض النظر عن الخروج عن هذه القاعدة وذلك فى الاسراف والمغالاة بابراز مظاهر الثروة عبر بعض الفترات فى العصور الاسلامية .

هذا وتفسر معظم كتب تفسير الاحاديث ، ان سبب إباحة التحلى بالذهب للنساء فقط ، هو انه لا يخرج عن كونه : (الرغبة فى التجمل والظهور بالمظهر الحسن امام الزوج) .

واضافة الى الرأى السالف الذكر فان لنا رايا قائما على دراسة حلي العصور السابقة للاسلام ، فقد لاحظنا ان الرجال فى العصور الفارسية والبيزنطية والرومانية . وهى الفترة التى سبقت وعاصرت الاسلام ، كانوا يسرفون فى التزين بالحلى الذهبية والاحجار الكريمة ، وقد امدتنا الحفريات الاثرية والنصب التذكارية بامثلة عديدة من تماثيل واشكال تمثل ملوك ووزراء وقادة وكتبة وغيرهم ، تبين الاسراف فى التزيين والتحلى ، كتماثيل مدينة



لوحة من معرض العالم الاسلامي الذي اقامه المتحف البريطاني في عام [illegible] ويبدو فيها رجال يستخدمون الحلي

العرب.. وفن صياغة الحلي

الحضر والحيرة واليمن وحضرموت وفي تدمر والمدائن (طيسفون) عاصمة الساسانيين في العراق ، امثلة لا حصر لها من الزينات الرجالية بالمجوهرات والاحجار الكريمة .

ولما جاء الدين الاسلامي بعقيدة جديدة تقوم على اساس تغيير المجتمع تغييرا جذريا قائم على دين سماوي عظيم ، فلكي يكون رجال هذا الدين على قدر الدين المنزل ، راى النبي صلى الله عليه وسلم ان انشغال رجال الدين المسلمين في بداية الدعوة ونشوء الدولة الاسلامية ، بالذهب والتهالك على اقتنائه واكتنازه قد يسبب الفرقة ويولد البغضاء والحسد في صفوف رجال الامة الواحدة لانهم كانوا بالنسبة الى الدين الجديد سواسية كاسنان المشط لافضل لواحد على الاخر إلا بالتقوى ، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفضل انشغال رجال الدين الاسلامي بامور الدعوة الاولى ، لذلك فقد صرف انظارهم عن الذهب وما ياتي من بعده من مشاكل هم في غنى عنها ، لذلك ابيح للنساء التحلي بالذهب والفضة وكل امور الزينة السائدة ، وإباحته الفضة للرجال يرجع الى ان الفضة ارخص ثمنا من الذهب والحصول عليه متيسر . وقد استمر الالتزام بالتقشف طوال العصر الاسلامي الاول في عهد الخلفاء الراشدين . اما في العصر الاموي الذي تلاه فقد وردتنا اخبار عن ظهور بوادر الترف وقد تكون بعض هذه الاخبار مبالغ فيها ، منها ما قيل عن الوليد ابن يزيد الذي اغرم بلبس العقود حيث كان يغيرها في اليوم الواحد كما يغير الثوب . ولكن من المؤكد ان الحلي اقتصرت على النساء كما انها تطورت وظهرت فيها انواع جديدة لم تكن معروفة بصدر الاسلام ، وذلك نتيجة للفتوحات واتساع الدولة الاسلامية وانتشار حضارة الجزيرة العربية واختلاطها بما حولها .

اسواق الصاغة

اما في العصر العباسي فقد زادت العناية بالحلي واصبحت مظهرا من مظاهر الترف والثروة ، وقد امدتنا الكتب التاريخية باخبار الحلي التي تمتلكها زوجات الخلفاء وجواريهم واوصافها واثمانها واعدادها بشكل يبدو اقرب الى الخيال منه الى الواقع ، وذلك لعدم وصول قطع مادية منها حيث لم تمدنا الحفائر الاثرية إلا بقطع قليلة لا تقارن بما جاء في الكتب ، ولكن من ناحية اخرى فان ما ورد من الكتب المصورة والمزوقات والمنمنمات والرسوم الجدارية في قصور سامراء والفسطاط والحيرة يعتبر امثلة جيدة لقطع الحلي بحيث يمكن اخذ صورة واضحة عن اشكالها وتكوين فكرة عنها .

وتذكر المصادر العربية انه كان ببغداد سوق كبيرة يعرف بـ سوق الصاغة ، ومازال موضعه الى يومنا هذا في بغداد ، كما يوجد مثله في مختلف الحواضر الاسلامية كدمشق وحلب واسطنبول والقاهرة ومدن شمال افريقيا كالقيروان وفاس ومكناس ومدن الاندلس كغرناطة وقرطبة واشبيليا كلها على نمط واحد حيث لها ابواب تغلق ليلا ويخفرها حراس . هذا كما تذكر المصادر العربية ايضا وجود اسواق خاصة للجواهر فيها دكاكين داخلها اقفاص تحفظ الجواهر والاحجار الكريمة . كما كان للصاغة نقيب يسمى (عريف الصياغ) ، هذا وكان معظم ارباب السوق من اهل الذمة وهذه عادة ظلت متبعة منذ الجاهلية حيث تنبه اليهود الى ما للذهب والصيرفة من قيمة مادية كبيرة استغلوها لاغراض السيطرة على اقتصاد المدينة ، ولما انصرف رجال الدين الاسلامي في صدر الاسلام الى الفتوحات والجهاد لتثبيت اركان الدولة الاسلامية الناشئة تركوا الحرف والاشتغال بها لاهل المدينة ، ولما كانت الحرف والصناعات تقليدية متوارثة ابا عن جد ، فقد ظلت كذلك حتى في العصور الاموية والعباسية ثم انتشرت بين المسلمين ايضا وصار منهم محترفون يتهافت الناس على اقتناء منتجاتهم في مختلف الصناعات وليس الحلي فقط .

اشهر الانواع

ونود ان نشير الى ان ما وصل الينا من الحلي الاسلامية ، قطع قليلة ونادرة موزعة على مختلف المتاحف العربية والعالمية ، نخص بالذكر منها متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، والمتحف العراقي ببغداد والمتحف البريطاني ، ومتاحف اخرى موزعة في اوربا الغربية والشرقية ، وكذلك في البلاد العربية والاسلامية وفي تركيا كمتحف طوب قابي سراي في اسطنبول ، والمتحف الوطني للفن الايراني في طهران ، اضافة الى ذلك ما اوردته الكتب المزوقة كمقامات الحريري ، والمنمنمات الهندية والفارسية الاسلامية والرسوم الجدارية في قصر الحمراء بغرناطة وقصر عمره في الاردن .

ونلاحظ ان ما وصل الينا من الحلي الاسلامية في العصور المتاخرة كالعثمانية ، هي كثيرة ويطغى عليها طراز واحد وذلك لكونها من المعادن ، والمعادن بصورة عامة بطيئة التغيير كما ذكرنا سابقا .

اما اشكال وانواع الحلي التي كانت معروفة في مختلف العصور الاسلامية فهي :

اولا : حلي العنق والجيد والصدر :

● النظم : ـ والنظام عند العرب هو كل شيء منظوم بخيط ، وقد عرفته المراة العربية منذ العصر الجاهلي ، وهو ابسط انواع الحلي لانها تعمل باليد ، وتتنوع مادة الخرز ، والنظم من الاحجار والقواقع الى اللؤلؤ والمرجان والعقيق وفي ذلك يقول

النابغة الذبيانى :

اخذ العـــذارى عقدها فنظمنه
من لـؤلـؤ متتـــــابع متسردا

وكانت الفتيات تنظمه مع الجدائل او تعقده حول الجبين ، ومن المؤكد ان هذه الطريقة البسيطة فى الحلى استمرت مدة طويلة على مدى العصور الاسلامية كافة ، فقد وردتنا امثلة مرسومة لفتيات من قصور سامراء يضعـن على رأسهن النظام وفى امثلة اخرى تلبسها الفتيات فى الرقبة او فى اليــــد .

● القلائد : والقلادة فى اللغة ، لفظة عامة ، تطلق على امور كثيرة ، فقــــد كان الجاهليون يستعملونها للهدى والنذور وهى ليست موضوعنا ، كما كانت تلبس فى العنق فى الزينة وكانت تعمل صياغة عند الصائغ

ثانيا : حلى اليدين :

● الأسورة : السوار لفظه فارسية معربة اصلها (ستوار) ، ورد ذكرها فى القران الكريم فى قوله تعالى : « جنات عدن يدخلون يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير » .

وكان العرب فى الجاهلية يحبون لبسها خاصة المحاربين منهم للتباهى بها ايام الحرب

وكانت تلبسها النساء والرجال على حـــــد سواء .

● الخواتم : الخاتم من عمل وصنع الصائغ ، وهو من حلى الأصابع ، ويزين بالحجارة الكريمة ، وفى الغالب يرصـــع بالياقوت والالماس والشذر ، وهناك الخاتم الذى يستعمل للختم اى التوقيع وهو ليس للزينة وكان يصنع من الشبه او الصفر او الحديد وله اشكال عليها كتابات ورموز وصور معينة بغرض التوقيع . وكان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديد ملوى عليه فضة .

ثالثا : حلى الراس :

● التــــاج : وهو شبه عصابة مكللة بالجوهر ، وهو الاكليل ايضا ، لكنه يصاغ من الذهب ويرصع بالجواهر والاحجار الكريمة وقد عرفته العرب منذ العصـــــور الجاهلية ولكنه كان رمزا لملوكهم ، وقد تركه الخلفاء المسلمون ولبسوا العمائم بدله . ولكن المراة العربية الاسلامية ومنذ العصر الاموى ، اتخذته حلية تلبسه فى راسها حيث كان الصائغ يصوغه على اساس انه زينة وحلية من حلى الراس . وكان يصاغ من الذهب وله اشكال مختلفة وردتنا رسومها منذ العصر الأموى .

● العصائب : وهى حلية تشد على الجبين واصلها ان علية بنت المهدى كان فى جبينها عيب فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر لتستر به بعض جبينها ، فتبعتها كثير من النساء .

● النظم : وقد ذكرناها فى حلى العنق لكنها فى الراس تكون بشكل او خيط او خيطين من اللؤلؤ يربط على الجبهة او يشد مع الشعر .

● الأمشاط الذهبية : وكانت الأمشاط الذهبية تثبت فى الشعر كحلية اما على جانب الجبهة او على الجانبين معا وتمسك الشعر ، ولكنها كانت تزين بصف أو صفين من الاحجار الكريمة .

● الزنانير : والشائع عن الزنار انه يشد على الخصر ، ولكن وردنا نوع منها يشد على الطره « الغرة » ، ويحيط بالراس مثل العصابة ، ويزين اما بالكتابة عليه بماء الذهب او يرصع بالاحجار الكريمة ، ونوع اخر منها يشبك فى الازار (اللباس) ، لكى يمسكه ويمنعه من السقوط وذلك بشــــكل « مشبك » او « كلاب » معـــدنى لم يكن بالضرورة من الذهب . وقد وصلنا من رسوم مدينة سامراء الحضارية امثلة عديدة لهذا النوع من الزينة .

رابعا : حلى الاذن :

● الاقراط : القرط هو الحلية التى تعلق بشحمة الاذن ، وهى عادة شائعة منذ العصر الساسانى اخذها العرب ولبسها رجالهم ونساؤهم . وقد تغنى العرب بها وضربوا بها الامثال كقولهم : « بعيدة مهوى القرط » اى ان جيدها طويل ودلايتها التى تنزل من القرط هى المهوى سواء كانت درة او تومة او فص او معلاق من ذهب . والاقراط تلبسها النساء والرجال ايضا فى الجاهلية

وهناك الاقراط التى تتدلى منها اللالىء الكثيرة والتى كانت منتشرة فى العصر الساسانى وظلت مستمرة حتى العصر الأموى عند العرب

● الشنوف : وما يتعلق بحلى الاذن هناك « الشنوف » ، وهى الحلية التى تعلق اعلى الاذن وتعمل من الذهب أو الفضة . واستمرت هذه الحلية سارية حتى عصور متاخرة والى يومنا هذا بين الحلى الهندية حيث تفننوا بها كثيرا وزينوهـــــا باللالىء والياقوت الاحمر .

خامسا : حلى القـــدم :

● الخلاخيل : تقتصر حلى القدم على الخلاخيل . وكانت لفظة الخلخال تطلق على كل ما يلبس من حلى عامة ، لكنها فيما بعد اقتصرت على ما يلبس فى الساق . والخلخال هو « الحجل » ويصاغ من الذهب او الفضة ويصنع منه اشكال غليظة بواسطة النفخ ويحشى بالقار كما تحشى الاسورة لكى يبدو ضخما ، ومنه تتدلى اجراس او سلاسل او كرات تصدر صوتا عند المشى وقد كان من اقدم اشكال الزينة عند شعوب الشرق الادنى القديمة ، فقد ورد ذكره فى التوراة وقد نهى الاسلام عن التبختر بلبس الخلاخيل لما فيه من اثارة للرجال .

سادسا : حلى الخصر : وتقتصر حلى الخصر على :

● المناطق : وهى الاحزمة المصنوعة من الذهب والفضة . مكونة من تطاق معدنى مقسم الى جامات زخرفية هندسية الشكل مرصعة بالجواهر الكريمة تتوسطه طرة وله قفل يقفله . وصلنا نماذج منه مرسومة فقط من قصور سامراء .

وهناك احزمة مصـــــنوعة بطريقـــــة « الحياصة » تسمى كذلك لانها تستعمل فيها اسلاك ذهبية تحاك او تبرم بشكل نسيج الكتان

وهناك « البريم » وهو خيطان احمر وابيض مزينان بالجوهر يشد على الوسط ويعقد . كما هناك خيط واحد مكون من سلسلة من الفصوص المتتابعة او الخرز المنظومة يعقد على الخصر وجد على رسوم قصير عمره .

وفى الختام نود ان نشير الى ما له علاقة بالحلى وهى لفظة (الجمان) وهى خرز من الفضة يصوغها الصائغ على هيئة اللؤلؤ . وكذلك لفظة (الزخرف) وتعنى النقوش المموهة بالذهب او انه الذهب نفسه .

نجلاء العزّى



الخلخال .. كان وسيلة للزينة عند المرأة

كاتبة دانمركية تثير هذه القضية الإنسانية

مواطن إفريقي يجد في الموت كل أحلامه في الحرّية!

كانت حكاية الفتى الكينى «كيتوش» حديث الصحف أيام الاستعمار البريطانى لكينيا مما جعل منها قضية نظرت أمام المحكمة العليا وانيط بهيئة المحلفين – وكلهم من البيض – تجميع خيوط القضية وتنوير المحكمة بكل ما تستطيع الحصول عليه من تفاصيل خدمة للعدالة .

ومن الاصوب ان نترك الكاتبة الدنمركية صاحبة احدى مزارع البن فى المستعمرة البريطانية والمقيمة هناك من ١٩١٣ الى ١٩٣١ تسرد لنا تفاصيل القضية كما دونت فى مذكراتها :

كان الفتى « كيتوش » من المواطنين يعمل فى خدمة مستوطن شاب من البيض فى « مولو » فى منطقة البن فى كينيا . وفى يوم اربعاء من شهر يونيو اعار المستوطن الشاب مهرته السوداء الجميلة ذات الغرة البيضاء الى صديق (ابيض طبعا) ليصل بها الى محطة السكة الحديد حيث ياخذ القطار . وارسل فى اثره غلامه « كيتوش » راجلا ليعيد المهرة الى مقرها وامره بعدم ركوبها والاكتفاء بقيادتها .. ولكن الغلام امتطى صهوة المهرة واطلق لها العنان تسابق الريح .

وفى يوم السبت جاء من ينبىء الشاب الابيض بجرم غلامه الأسود .. جلد الغلام جلدا مبرحا بالسياط ووثق بالحبال والقى به فى مستودع العلف . وفى ساعة متاخرة من ليل ذلك اليوم لحق الغلام التعس بالرفيق الاعلى .

وفى الفاتح من شهر اغسطس شكلت محكمة عليا للنظر فى القضية . وفى راى المواطنين الذين تجمعوا فى بهو مبنى المحكمة ان القضية واضحة ولا تحتاج الى كبير عناء اذ ان الأمر لا يتعدى دفع تعويض نقدى بسيط لأهل الغلام المتوفى .. وكان الله يحب المحسنين .

ولكن يبدو ان فكرة العدالة فى اوربا تختلف عنها فى افريقيا . وامام المحلفين – وهم البيض – طرحت مسالة الذنب – والبراءة او بعبارة اخرى : هل المتهم مذنب او غير مذنب ؟

ومن الناحية القانونية فان القضية لا تخرج من دائرة القتل العمد .. القتل غير المتعمد .. تسبيب الأذى الجسيم . ولكن القاضى فاجا الحاضرين باشارته الى المحلفين بالا ينسوا .. ان درجة الجرم تعتمد على نيات الطرفين المتخاصمين لا على النتائج ، يعنى انما الأعمال بالنيات ، اليس كذلك ؟ ولمعرفة نية الشاب الأبيض (المتهم) جرى استجوابه ساعات طويلة ولعدة ايام .

ذكر المتهم – فيما بعد – انه عندما استدعى الغلام « كيتوش » حضر ووقف بين يديه .. على بعد ثلاث ياردات منه فقط . ثلاث « ياردات » ؟ ! وهذه هى الطامة الكبرى – نظر حضرات المحلفين البيض – اذ كيف يجرؤ اسود على ان يمثل امام سيده الأبيض واقفا .. اكرر واقفا وعلى بعد ثلاث ياردات ؟ بدلا من ان يكون راكعا والتراب يمرغ جبينه ! يا لوقاحة السود وسوء ادبهم ! !

ومنذ تلك اللحظة – وتفاصيل القضية تتواتر – اهتزت الصورة .. صورة المستوطن الأبيض كانها مقصوصة من صحيفة حملها الريح والقى بها فى مستقر القمامة .

وذكر المستوطن الأبيض (المتهم) انه سال الغلام عمن أعطاه إذناً بركوب المهرة . وكرر عليه خمسين مرة او يزيد ولم يرد « كيتوش » .. وفي النهاية صرخ قائلا : « لست لصاً » . وهذا الرد الوقح – « كما يراه » المتهم الأبيض – هو الذى دعا إلى جلده بالسياط ذلك الجلد الذى ادى الى موته . ولكن الاكثر وقاحة ان اثنين من البيض من اصدقاء المتهم كانا حاضرين « حفلة » الجلد بالسياط وكانا فى غاية الاستمتاع .. ولم يكتف السيد الابيض بذلك بل امر من اوثقوه بالحبال والقوا به فى غياهب مستودع العلف ! ولما ساله المحلفون عن الداعى لمثل هذا العمل اجاب بكل صفاقة – انه خشى ان ينطلق الغلام – بدافع الانتقام – فى ارجاء المزرعة يعبث فيها فسادا !

وذكر المتهم انه ذهب الى مستودع الغلام – بعد العشاء – ليجد « كيتوش » مغمى عليه فى مكان يبعد قليلا عن المكان الذى قد تركه فيه .. والوثاق مفكوكا . فاستدعى خادمين من خدمه فاعادا الوثاق اشد احكاما هذه المرة وترك الخادمين فى حراسة الغلام الافريقى المنكود ولكن ما كاد يستلقى على فراشه حتى جاء احد الخادمين ليبلغه ان الغلام قد فارق الحياة .

والطريف المحزن ان هيئة المحلفين لم تنس ما اشار اليه القاضى من « ان درجة الجرم تتوقف وتعتمد على نيات الطرفين المتخاصمين لا على النتائج » وهرولت الهيئة الموقرة لاهثة وراء النيات !

قال الطبيب الشرعى : ان المتوفى مات نتيجة الضرب المبرح ولكن الطبيب

بقلم : قيلى أحمد عمر
الخرطوم



النفسي الذى استدعته المحكمة قال ان الوفاة قد حدثت لأن المتوفى هو الذى نوى الموت واراده واصر عليه . وذكر ان تجاربه العديدة فى المستعمرات اقنعته قناعة تامة بان الافريقى ـ اى افريقى ـ اذا اراد الموت واصر عليه فلابد ان يستجيب القدر !

واخذت المحكمة برأى الطبيب النفسى وبرأت ساحة المتهم وبررت جلد الغلام بالسياط بان القصد منه كان التاديب !

وهكذا اثبت القاضى الابيض أنــــه ـ استغفر الله ـ اعلم بالسرائر واعلم بنية « كيتوش » الذى لم يمهله القدر ليفصح عنها .. النيات تبرىء القاتل وتجرم المقتول .

تقول الكاتبة الدنمركية : ان من يطلع على هذه القضية بتفاصيلها الموجودة بين الوثائق البريطانية التى افرج عنها منذ زمن قريب ، سوف يصل الى قناعة لاشك فيها من ان « كيتوش » الفتى الكينى ، رائد فلسفة ـ ورغم انفه ـ تقول بان المواطن الافريقى .. الذى حرم من كل انواع الحريات استطاع رغم الظروف ان يملك حرية واحدة فريدة .. هى حرية ان يغادر هذا العالم الظالم فى اى وقت وبمحض ارادته وبكل شموخ .. انه هو الذى ينوى الموت ويصر عليه فيتحقق ما نوى ودون امر ممن يملكون اصدار الأوامر . انها المرة الوحيدة الفريدة التى يستطيع فيها ـ مع سبق الاصرار ـ ان يفعل بنفسه ما يشاء .. وبيده لا بيد السيد الأبيض !!

الورقة الأخيرة

الشعر ومستقبله

بقلم : الدكتور علي حسن تقي

هل غادر الشعراء من متردم ؟
هكذا تساءل عنترة بن شداد قبل اكثر من اربعة عشر قرنا ولم يكن قد مضى على الشعر العربي الا عشرات الاعوام . فماذا يمكننا أن نقول اليوم وقد مر عليه اكثر من الف وخمسمائة سنة . ثم ماذا يمكننا أن نقول اذا نظرنا الى الشعر العالمي كله منذ أسطورة كلكامش والالياذة وحتى يومنا هذا ؟ هل ترك الشعراء موضوعا لم يطرقوه ؟ ألم يستعمل الشعراء جميع الأساليب الممكنة ؟

إذن هل للشعر مستقبل ؟ أم أنه استوفى كل مواضيعه وأساليبه ولم تعد هناك حاجة الى شعراء جدد ؟

إن ردنا على هذا التساؤل هو أن للشعر مستقبلا مشرقاً وأن الحاجة الى الشعراء ستكون قائمة دائماً كما كانت . فمن ناحية مواضيع الشعر فانها تتجدد يومياً مع تجدد الحياة وفي كل يوم يبرز لنا موضوع جديد أو يضاف شيء ما الى موضوع قائم بحيث لا يصل الموضوع إلى نهاية أو إلى اكتمال . فمن ناحية واحدة نجد أن العلم وابتكاراته واختراعاته واكتشافاته ليس لها حدود . ومن ناحية أخرى تتطور الفنون والاداب في كل يوم وهذا يعطي للشعر مادة دسمة لا حدود لها .

وحتى لو قلنا ان هذه الابتكارات وهذه الاكتشافات لا تزيد في مواضيع الشعر شيئاً كبيراً فان الشعراء الآن وفي المستقبل يمكنهم ان يطرقوا نفس المواضيع بأشكال مختلفة فيأتي شعرهم جميلا وأصيلا . فلو افترضنا أن المواضيع محدودة وهذا أمر خاطىء فان الاسلوب الذي يعالج به الشاعر موضوعه غير محدود لأن الأسلوب على اللغة واللغة محيط واسع لا نهاية له ولا حدود . ومن جهة أخرى فان الشاعر يستطيع ان يعتمد على حياته وتجربته وذلك أمر ليس له حدود أيضا . فليس في العالم منذ ابتداء الخليقة وحتى الآن شاعران لهما نفس التجربة والحياة . كل فرد يختلف عن الآخر في حياته وفي مشاعره وتجاربه . وكل تجربة تستحق التسجيل وكل شعور هو حرى بأن يعبر عنه .

في « رسالة الى شاعر شاب » ينصح "رينر ماريا ركلة" الشاعر بالرجوع الى طفولته والغوص في تجاربه آنذاك للحصول على مادة للشعر . فكم هي غنية تلك الحقبة من حياة الانسان . نبع عميق ومعين لا ينضب هي تلك التجارب والذكريات . فلو غاص كل شاعر وغرف من ذلك النبع فان الشعر لن يعرف أية حدود .

يعتقد بعض الأدباء وغيرهم بأن هناك علاقة بين الشعر والرياضيات ، ونحن نوافق على هذا الرأي . على الاقل في أمر واحد يهمنا . فالرياضيات تعتمد على الأرقام فهي تركب الأرقام في معادلات وهذا التركيب وهذه المعادلات ليس لها نهاية . كذلك الشعر فانه يعتمد على الكلمات وتركيب الكلمات وتنسيقها ومعادلاتها ليس لها نهاية هي الأخرى .

إذن فان للشعر مستقبلا زاخرا . فالتطور العام للمجتمعات يفتح أمام الشعر آفاقاً لا تحد ، والنفس البشرية بكل تعقيداتها وغناها تشكل معينا مستمرا للشعراء . فما تم اكتشافه في العلوم حتى الآن لا يشكل الا شيئاً بسيطا بالنسبة لما يحمله المستقبل والتطور في العلاقات الانسانية وعلاقات المجتمعات بعضها ببعض ليست الا في بداية الطريق .

في كل يوم يكتشف الانسان ناحية جديدة من عالمه وكونه وفي كل يوم يتضح للانسان جانب جديد من حياته ونفسه مما يزيد الحياة إخصاباً وغنى . والانسان هو الشعر والشعر هو الانسان فما دام الانسان في حركة دائبة ومتجددة فكذلك الشعر . لذلك فاننا لا نبالغ حين نعلن ان ما وصلنا إليه حتى الآن ليس نهاية وانما بداية وان امام الانسان وشعره مستقبلا غنيا سيزيد فيه ازدهاره وزخمه .

علي حسن تقي ــ باريس



● لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟

● .. ولماذا نصادر هذه الكتب؟!

● قصيدة جديدة لمحمود درويش

من روائع
الأدب العالمي

النورس الرمادي

صـرخـة لعلهـا تجـد صـدا ها عند الذين يسمحون ويمنعون

لماذا نصادر هذه الكتب؟

ولماذا لا نواجه الأفكار بالأفكار والعقول بالعقول؟

بقلم : رجاء النقاش

بالتجربة ... ثبت ان كل كتاب نصادره يزداد انتشارا ويصبح عزيزا عند كل قارىء ... وبالتجربة ايضا ... ثبت ان محاربة الافكار لا تكون إلا بافكار اخرى ... وخير ما يواجه العقول إنما هى عقول مشابهة ترد وتناقش وتحاور وتجادل بالتى هى احسن ... ومن هنا نتساءل لماذا صدر قرار بمصادرة هذين الكتابين ... وغيرهما من الكتب الاخرى التى اصبحت ممنوعة بقرار رسمى واضح ، او قرار سرى مجهول المصدر ؟

لقد اثبتت حقائق الحيـــاة الفكرية فى العصر الحديث ، بل وقبل ذلك ايضا ، ان اكثر الكتب انتشارا ، هى الكتب التى تتعرض للمصـــادرة ، حيث لم تنجح المصادرة ابدا فى حجب فكرة او منعها او الوقوف فى وجهها .

واذكر فى هذا المجال تجربة وقعت سنة ١٩٦٨ ، عندما صدر فى مصر قرار بمصادرة قصيدة « نزار قبانى » المعروفة « هوامش على دفتر النكسة » والتى كتبها الشاعر من وحى انفعاله وانفعال الامة العربية كلها بهزيمة ١٩٦٧ . لقد رات الرقابة التى كانت مفروضة على الصحف والكتب فى مصر ـ بسبب ظروف الحرب ـ ان قصيدة « نزار قبانى » تعبر عن افكار تنطوى على تعريض ونقد لمصر ونظام الحكم فيها ، ولذلك قررت الرقابة مصادرة القصيدة ، وفى فترة المصادرة التى تعرضت لها القصيدة ، كانت هذه القصيدة تنتشر بين الناس بسرعة عجيبة ، وكانها النار فى يوم عاصف ، ذلك لان الناس كانت تنقل القصيدة بخط يدها ، وكان الكثيرون ينقلون نسخة لانفسهم ونســـــخة اخرى يوزعونها على اصدقائهم ، إحساسا منهم بانهم يقومون ـ من خلال هذا العمـــــل البسيط ـ بكشف النكسة وفضح بعض الاسباب الكامنة وراءها ، وهكذا اصبحت النسخ المخطوطة من القصيدة تفوق فى عددها اى نسخ مطبوعة .

عبد الناصر ونزار قبانى

على ان مصادرة القصيدة لم تستمر، فقد التقيت بنزار قبانى فى بيروت فى تلك الفترة ووجدته منفعلا غاضبا لقرار المصادرة ، وللحملة التى كان يشنها عليه ـ بسبب القصيدة ـ عدد من كتاب مصر وعلى راسهم المرحومان : يوسف السباعى وصالح جودت واشرت على « نزار قبانى » بكتابة رسالة إلى



غلاف كتاب « المسلمون والأقباط فى الجماعة الوطنية » لطارق البشرى ، وهو الضحية الأولى التى تعرضت للمنع والمصادرة وكان المفروض على العكس أن يكافىء المؤلف على كتابه العظيم .



غلاف كتاب « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور لويس عوض ، ورغم ما فى الكتاب من اراء نعترض عليها اشد الاعتراض ، إلا أن فى الكتاب جهدا علميا كبيرا ، ومواجهة ما فى الكتاب من اراء خاطئة يكون بالجدل والحوار ، وليس بالمصادرة .

فى الشعر الجاهلى
تأليف
طه حسين

الطبعة الأولى من كتاب الدكتور طه حسين « فى الشعر الجاهلى » وقد صدرت هذه الطبعة سنة ١٩٢٦ ، وصدر بعدها عشرة كتب على الأقل فى الرد على هذا الكتاب ومناقشته وتفنيد ما ورد فيه من اراء .

الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر » ، وكتب « نزار » رسالة جميلة ومؤثرة وجريئة وحملت الرسالة معى إلى مصر ، وسلمتها ـ عن طريق بعض الاصدقاء ـ إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر فى القـــاهرة ، ووصلت الرسالة إلى عبد الناصر ، وكان لها تاثيرها السريع ، وطلب منى الصديق الكبير النبيل الأستاذ محمد فايق الذى كان وزيرا للاعلام فى ذلك الحين أن ابلغ نزار قبانى بقرار عبد الناصر ، الذى الغى المصادرة والغى كل إجراء ضد نزار وقصائده . واطلعنى الأســـــتاذ فايق على تعليق عبد الناصر بخط يده على رسالة نزار ، وفيه يقول عبد الناصر ما معناه ـ فانا لا أذكر الآن نص التعليق : يلغى قرار مصادرة القصيدة ولا تتخذ أى اجراءات ضد نزار قبانى .

وكان محمد فائق نفسه ضد المصادرة ومع حرية الفكر .

على أن قرار عبد الناصر مع ذلك جاء بعد أن أصبحت القصيدة فى فترة منعها موجودة فى ايدى الناس على نطاق واسع .

بين كافور والمتنبى

وإذا كانت « المصـــــادرة » فى العصر الحديث غير مجدية ، حيث أصبحت أجهزة الاتصال من تليفزيون وإذاعـــــة ونشر و « كاسيتات » وغير ذلك ميسورة ، مما يتيح لأى فكرة أن تنتقل بسهولة بين الناس ... إذا كان هذا صحيحاً فى العصر الحديث ، فقد كان الأمر على نفس الصورة فى العصور القديمة ، حيث لم تكن هناك تلك الأجهزة المتطورة ، التى تجعل وصول الكلمة ميسورا إلى الناس سواء كانت هذه الكلمة مسموحا بها أو كانت ممنوعة ومصادرة .

ويكفى أن نذكر مثالا معروفا فى تاريخ الأدب العربى ، وهو مثال « المتنبى » فى قصيدته العنيفة الشهيرة ضـــــد « كافور الإخشيدى » ، والتى كان مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟

لقد « هرب » المتنبى من مصر ، وترك هذه القصيدة الهجائية المريرة فى بيته الذى كان يقيم فيه بالفسطاط ، وهى الحى الذى نسميه الآن باسم « مصر القديمة » ، وكان « كافور » حاكما قويا ، وقد حاول ـ بكل قوته ونفوذه ـ أن يطارد المتنبى ليقبض عليه ولكنه عجز عن ذلك ، فقد أفلت منه الشاعر فى عملية هروب رائعة منظمة أشد التنظيم على أن « كافور » لم يعجز عن مطاردة الشاعر ورده إلى مصر فقط ، بل عجز عن منع انتشار القصيدة التى كتبها المتنبى ، ولم يترك منها فى مصر ـ كما روت بعض المصادر ـ سوى نسخة واحدة ، وهذه النسخة الواحدة أصبحت الافا من النسخ ، وانتشرت القصيدة وحفظها الناس فى عصرها ، وبعد عصرها ، ومازالت إلى اليوم قصيدة محفوظة ومشهورة رغم مرور أكثر من ألف سنة على كتابتها .

وهكذا فان « المصادرة » ـ بالدليـــــل الواقعى ـ لم تكن فى يوم من الأيام وسيلة ناجحة فى منع الفكرة أو الكلمـــــة من الانتشار والذيوع ، وليس من سبيل سليم لمواجهة الكلمة إلا بكلمة مثلها ، والفكــرة بفكرة مقابلة .

طه حسين فى العاصفة

ولاشك أن الجيل السابق فى تاريخنا الأدبى والفكرى كان يدرك هذا المعنى أكثر مما ندركه نحن فى هذا الجيل ، فعندما أصدر « طه حسين » سنة ١٩٢٦ كتابه المعروف « فى الشعر الجاهلى » ، كان هناك من يطالبون بمصادرة الكتاب ومحاكمـــة المؤلف ، ولكن المثقفين أنفسهم رفضوا فكرة المصادرة والمنع ، وتصدوا لطه حسين يناقشونه بعنف وقوة ، وصدرت على الفور عدة كتب ترد على كتاب طه حسين ، وتفند ما جاء فيه من اراء ، وقد بلغت هذه الكتب التى صدرت فى الرد على كتاب طه حسين ما يقرب من عشرة كتب ، من بينها كتاب « تحت راية القرآن » للأديب العـــربى الـــكبير « مصطفى صادق الرافعى » ، ومن بينها كتب أخرى للشيخ « محمد الخضر حسين » ، والدكتور « محمد الغمراوى » والدكتـــور « نجيب البهبيتى » و الدكتور « ناصر الدين الأسد » ، والأستاذ « محمود محمد شاكر » فى مقدمة الطبعة الجديدة من كتابه عن المتنبى ، وقد قام الأستاذ شاكر بالسفر إلى السعودية ليعيش فى نفس البيئة التى عاش فيها شعراء الجاهلية ، وليجمع الأدلة الواقعة الدقيقة ضـــــد رأى طه حسين صحيح أن طه حسين قـــد اضطر إلى سحب الطبعة الأولى من كتـــابه ، ثم قـــام باجراء بعض التعديلات فيـه وغير اســـمه الأصلى وهو « فى الشـــعر الجاهلى » إلى اسمه المعروف به الآن وهــو « فى الأدب الجاهلى » ، ولكن الرأى الســـائد هو أن طه حسين

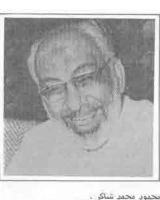




عبد الناصر .
لم يوافق على مصادرة قصيدة نزار قباني



محمد فايق .
موقف في صف الحرية الفكرية



محمود محمد شاكر .
سافر الى السعودية ليبحث عن أدلة علمية واقعية ضد كتاب « الشعر الجاهلي » .

لماذا نصادر هذه الكتب؟

لم يغير جوهر نظريتــــه فى الشــــعر الجاهلى ، وهى النظرية التى اشــــبعها الباحثون نقدا وتفنيدا ، وكشفوا عن جوانب الخلل والخطا فيها ، وكشفوا ايضا ان نظرية طه حسين هذه ، إنما هى فى الأصل نظرية المستشرق الاوروبى « مارجليوث » ، وكانت هذه الردود العلمية على طه حسين فضل وانفع واكرم للعقل العربى من قرار يتخذه موظف مهما علا شانه بمصــــادرة الكتاب .

حكاية المطار السرى

لعلنا بهذه المقدمة نكون قد اطلنا على القراء ، ولم ندخل بعد فى صلب الموضوع ، فالقضية التى اريد ان اثيرها اليوم هى قضية « قرار » بمصادرة كتابين كبيرين هما : « المسلمون والاقباط فى إطار الجمــــاعة الوطنية » للاستاذ « طارق البشرى » ، والثانى هو « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للدكتور « لويس عوض » ، وقد سمعت ان هناك قرارات بمصادرة عدد آخر من الكتب ، ولكننى ساتوقف عند الكتابين اللذين اشرت إليهما ، وساجعل حديثى مركزا على هذين الكتابين دون غيرهما ، وما ينطبق على هذين الكتابين ينطبق على الكتب الاخرى .
واول ما يلفت النظر فى الامر ، ان هناك بعض الأخطاء الشكلية فى قــــرار المصادرة . واول هذه الاخطاء ، ان الكتابين معا قد صدرا عن هيئة رسمية هى « الهيئة المصرية العامة للكتاب » ، اى ان الكتابين لم يصدرا عن جهة مجهولة ، او جهة مشبوهة أو متهمة ، فهيئة الكتاب مؤسسة تابعــــة لوزارة الثقافة المصرية ، والمفروض ان هذه الهيئة لا تسمح بصدور كتب تحمل اسمها ، دون ان تكون قد مرت بعملية مراجعة وتقييم ، بحيث يكون النشر نتيجة لقرار مدروس هو ان هذه الكتب لا خطر منها على البلاد او على الراى العام ، ولا معنى لان تصدر هيئة الكتاب فى وزارة الثقافة اعمالا ، تقوم إدارة اخرى فى وزارة الثقافة نفسها بمصادرتها ، فهذا امر يستحق المراجعة بل ويستحق إجراء تحقيق رسمى فيه من جانب وزير الثقافة المصرى ، الاســـتاذ محمد عبد الحميد رضوان ، وهو شاب نشيط متحمس ، لا اظن انه يقبل مثل هذا التضارب فى القرارات .

هذه هى « العجيبة » الاولى فى امــــر مصادرة الكتابين ، فاما ان هيئة الكتاب كانت تدرى بما فى الكتابين من اخطاء ــ إن كان هناك مثل هذه الاخطاء ــ ومع ذلك فقد سمحت بنشرهما ، او ان الهيئة لا تدرى بما فى الكتابين من اخطاء وهنا يصح قول الشاعر العربى :

إن كنت لا تدرى فتلك مصــــيبة
او كنت تدرى فالمصــــيبة اعظم

اما العجيبة الثانية فى قرار المصادرة بالنسبة لهذين الكتابين ، فهى ان « القرار » نفسه ليس « معلنا » ، بل قرار « داخلى » يقضي بمنع الهيئة من توزيع الكتــــابين اللذين قامت الهيئة نفسها بطبعهما ، ومعنى اصدار هذا القرار فى « الخفاء » ان هنـــاك نوعا من عدم الاقتناع بالقرار ، والاحساس بان القرار غير سليم .
والعجيبة الثالثة فى هذا القرار ، ان الجميع يعلمون به ، فى الاوساط الثقافية ، رغم انه قرار « خفى غير معلن » ... ولعل ذلك يذكرنا بالقول المشهور بانه « لا شيء يخفى فى مصر » ، ويذكرنا ايضا بالنكتة الواقعية المعروفة ، حيث كان ســـــائق « الأتوبيس » يقف فى إحدى المحطات ليعلن للركاب باعلى صوته : هنا محطة المطار السرى !

كتـــاب عظيم

نعود بعد ذلك كله إلى الكتابين نفسهما لنسال عن القضــــية الجوهرية وهى : ما السبب فى مصادرة الكتابين ؟!
اما الكتاب الاول ، وهو « الأقبـــــاط والمسلمون فى إطار الجماعة الوطنية » فهو بحق احد الكتب « العظيمة » ، وعندما اقول إنه كتاب عظيم فانا لا ابالغ ولا انافق مؤلفه الفاضل الذى لا يملك لى ولا لغيرى شيئا ، بل لعله لا يملك لنفسه شيئا ، فهو إنســـان متواضع اشد التواضع ، مخلص إلى ابعد درجات الاخلاص ، لا يسعى لمنصب اوجاه او سلطة ، وهو يعمل فى هذا الكتاب منذ اكثر من عشر سنوات ، اى قبل ان تندلع نيران ما سمى بالفتنة الطائفية ، والمؤلف طارق البشرى ، مؤرخ جديد يتمتع بالعمق والموهبة والصبر على البحث والكشف العلمى والدراسة التى تبحث عن الجذور ولا تهيم فوق سطح الموضوعات او تعشق الكلمات البراقة التى ليس عليها دليل من التاريخ او من العلم الصحيح ، والكتاب كله فى صفحاته التى تبلغ ٧٦٢ صفحة من الحجم الكبير يقوم على إثبات نظرية اساسية هى ان « الوطنية » قد جمعت بين أهل مصر ــ باغلبيتها المسلمة واقليتها القبطية ــ على اعمق صورة ، وانه ما من خلاف نشا بين المسلمين والاقباط على ارض مصر إلا وكان ــ بالدليل القاطع ــ عملا



مصطفى صادق الرافعى .
دخل فى معركة مع طه حسين تحت راية القرآن



عبد الوهاب الكيالى .
وافق على نشر الكتاب رغم معارضته لمضمونه



لويس عوض .
ليس حزبا ولا دولة ولكنه مفكر يخطىء ويصيب

يحركه عنصر خارجى لا علاقة للشعب به ، ولا مصلحة له فيه . ويؤكد طارق البشرى فى صفحات كتابه على أن المسلمين والمسيحيين فى مصر قد انصهروا فى مضمون الحركة الوطنية حيث أصبح واضحا أمام الجميع « أن تحرير مصر لم يعد متصورا إلا فى إطار حركة تحرر عربى شاملة ، وأن الحفاظ على مصر لم يعد متصورا إلا فى انتمائها إلى الجامعة الوطنية العربية وإعلاء شأن « القومية المصرية » لن يفيد الا أن تنعزل مصر لينفرد بها أعداؤها ، وضرب فكرة العروبة ، وهى الفكرة التى تجمع بين المسلمين والاقباط ، لن ينتج حفاظا على مصر » .

هذه هى فكرة الكاتب المؤرخ طارق البشرى . وهى الفكرة التى غاص من أجلها فى الوثائق والمراجع ، وقدم عليها ـ بروح علمية بالغة الأمانة والدقة والسمو ـ أدلة حاسمة ، وعالجها بأسلوب واضح موضوعى لا تطرف فيه ولا صخب .

فماذا نأخذ على هذا الكتاب أو على صاحبه ..؟

ألم يكن من الأجدر أن نحتضن الكتاب والمؤلف ، ونضعهما فى عيوننا ، ونكافئهما بأحسن الجزاء ، ونقول لمؤلف الكتاب : سلمت يا طارق البشرى وسلم قلبك النبيل وعقلك الكبير وعلمك الغزير وتواضعك الغالى لكى تنفع أمتك بثقافتك ووطنيتك وأمانتك ..؟ ! ، بدلا من أن نفعل ذلك أصدرنا هذا القرار الخفى الغريب ، الذى لا ينفع وإنما يضر ، وهو قرار يقضى بمنع تداول الكتاب .

ولنفترض أن فى الكتاب بعض ما يستحق التعديل والمناقشة ، فلماذا لا نناقش المؤلف ونعترض على ما قد نراه خطأ فى البحث والفهم والتقدير ، وأنا لم أجد شيئا من هذا الخطأ ، ولكن غيرى قد يجدون فيه هذا الخطأ ، وعليهم فى هذه الحالة أن ينتقدوا الكتاب ويعترضوا عليه ويناقشوه . إن الكتاب ليس بيانا رسميا صادرا من الدولة ، وليس قرآنا منزلا من السماء ، بل هو جهد علمى لكاتب ومؤرخ أصيل ، من الطبيعى أن يخطىء ويصيب ، ومن الطبيعى أن يحاوره ويعترض عليه الذين يخالفونه فى الرأى لا أن يصادروه ويمنعوه .

الحوار لا المصادرة

تأتى بعد ذلك إلى الكتاب الثانى وهو « مقدمة فى فقه اللغة العربية » للكاتب الكبير الدكتور لويس عوض ، وهو أيضا كتاب بذل فيه مؤلفه جهد سنوات طويلة مضنية ، وصدر الكتاب فى أكثر من ستمائة وخمسين صفحة من الحجم الكبير . ولقد أتيح لى أن أقرأ هذا الكتاب وهو «مخطوط» بل لقد تحمست لنشره منذ ما يقرب من عشر سنوات ، وقدمته إلى صديقى شهيد الفكر والثقافة المرحوم الدكتور عبد الوهاب الكيالى ، الذى اغتاله أعداء وطننا منذ شهور قليلة فى مكتبه ببيروت ، واقتنعت الكيالى بنشر الكتاب ، فاشتراه بالفعل من الدكتور لويس عوض ، وبدأ يستعد لنشره رغم اعتراضه على ما كان يتضمنه من آراء ، ولم يمنعه من ذلك إلا صعوبة نشره ، لما يمتلىء به من حروف يونانية قديمة ، كان من العسير أن تتوفر فى معظم مطابع الوطن العربى ، ولذلك لم يتمكن الكيالى من نشر الكتاب بعد محاولات عديدة ، واستطاعت هيئة الكتاب فى مصر أن تطبع الكتاب بعد أن تمكنت من توفير الحروف اليونانية القديمة ، ولعلها حصلت على هذه الحروف ـ فقط ـ من أجل إصدار هذا الكتاب وحده لأنها حروف « غير متداولة » حتى فى اللغة اليونانية الحديثة نفسها ، وصاحب الفضل فى طبع الكتاب هو الشاعر الكبير المرحوم صلاح عبد الصبور ، عندما كان رئيسا لهيئة الكتاب فى مصر .

وقد يندهش القارىء بعد ذلك كله ، إذا قلت إننى كنت منذ أن قرأت الكتاب مخطوطا أعارض كل المعارضة ما يطرحه الكتاب من أفكار ، فالكتاب فى النهاية هو دفاع علمى عن وجهة النظر المعروفة للدكتور لويس عوض ، والتى أرفضها كل الرفض جملة وتفصيلا ، وهى وجهة النظر التى تقول : إن الحضارة العربية بأدبها وفلسفتها وعلومها ولغتها وعمرانها وكل شىء فيها ليست حضارة أصيلة ، وإنما هى حضارة «منقولة» عن الغرب ، وقد ناقشت الجوانب السياسية والفكرية لهذه النظرية فى كتابى « الانعزاليون فى مصر » ، ولذلك فلن أعود إلى هذا الجانب من القضية ، كما أننى لا أرى أن مقالى اليوم هو المجال المناسب لمناقشة هذه القضية ، فالقضية التى أطرحها ، هى حرية الكتاب والمفكرين فى التعبير عن آرائهم ، حتى لو كان هناك اعتراض على هذه الآراء . حقا إننى واحد من أشد المعارضين والمعترضين على كتاب الدكتور لويس عوض ، وعلى آرائه التى يطرحها فى هذا الكتاب عن اللغة العربية ، ولكننى لا أفهم ولا أوافق أبدا على مصادرة الكتاب .

فالدكتور لويس ليس حزبا ولا دولة ولا يملك قوة مسلحة . وإنما يملك قلمه وفكره .

ومن حق الدكتور لويس أن يعبر عن آرائه . ولسوف يجد بين المفكرين العرب المعاصرين من ذوى العلم الغزير والكفاءة

العالية من يستطيعون التصدى لآرائه وتفنيدها ، ولن يكون الدكتور لويس عوض أخطر نفوذا لدى الرأى العام الفكرى فى الوطن العربى من طه حسين ، الـذى حين أخطأ فى كتابه عن « الشعر الجاهلى » وجد من يردونه ويردون عليه ، وجاءت نتيجة الحوار العنيف بين طه حسين ومعارضيه مكسبا للعقل العربى والثقافة العربية ، ولقد « تشكك » الدكتـــور طـه حسين فى « الأدب الجاهلى » وقدم بعض الأدلة على أن هذا الأدب الذى نسميه باسم الأدب الجاهلى ، لا علاقة له بالجاهلية ، بل هو أدب « منتحل » أو « مزيف » ، وكان شك الدكتور طه حسين فى الأدب الجاهلى ، سببا فى أن يتفرغ بعض العلماء والأدباء لتقديم أدلة علمية بالغة العمق والدقة ، ساندت الأدب الجاهلى ، وأثبتت وجوده وصدقه ، وكان شك الدكتور طه حسين بأدلته الضعيفة المحدودة ، خيرا على الأدب العربى وتاريخه ، ولم يكن شرا على أحد .

الفصحى والفار الكبير

على أن الحرب على اللغة العربية بالذات ، ليست جديدة ، وكتاب الدكتور لويس عوض ليس أول كتاب « يحمل » على اللغة العربية ، وإن كان واحدا من أهم الكتب وأخطرها فى هذا المجال . فمنذ أواخر القرن الماضى والحملة على اللغة العربية قائمة ، وقد اشترك فيها عدد من كبار علماء أوروبا الذين عملوا فى الشرق . مثـــــل « سبيتا » الألمانى فى كتابه « قواعد اللغة العامية فى مصر » ، والدكتـــور « كارل فولرس » الألمانى أيضا فى كتابه « اللهجـة العربية الحديثة فى مصر » ، و « وليم ويلكوكس » الانجليزى فى محاضرته التى كانت بعنوان « لماذا لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين » ، وهذا المستشرق الأخير بالذات ربط « قوة الاختراع عند المصريين » بضرورة تغيير اللغة العربية والكتابة باللهجة العاميـــــة ، حيث قـــال بصريح العبارة : « إنكم أيها المصريون لن تزالوا قادرين على ايجاد قوة الاختراع لديكم كما فعلت انجلترا ، فانه يوجد فيكم أناس كثيرون توفرت فيهم الشروط ـ الضرورية لذلك ـ ، ولكن بسبب عدم وجود لسان علمى مشهور فيما بينكم ، لم تتحصلوا على شىء ، وأضعتم أعمالكم سدى ، والسبب فى ذلك أن الكتب الدنيوية يؤلفها أربابها بكلام مثل الجبال ، وفى آخر الأمر لا يلد هذا الكلام الصعب إلا فأرا صغيرا ، وما نشأ ذلك إلا من كون اللسان العلمى غير مشهور فيما بين العامة . فبمجرد وضع الأفكار فى الكتب ـ باللغة العربية الفصيحة ـ تموت ولا تعود إلى الحياة ، فكأنهم يكفنونها فى الورق ويدفنونها فى جلود » ..

والحل عند هذا المستشرق هو فى اللهجة العامية المصرية ... وهكذا يتم انقاذ مصر ـ فى نظره ـ من العروبة ولغتها الفصيحة ، ويتم ـ أيضا ـ دخولها فى مجال التقدم العصرى الأوروبى .

على أن المســــالة لم تقتصر على المستشرقين الأوروبين ، فقد كان هناك مفكرون عرب نـادوا بنفس الأفكار ، وفى مقدمتهم الكاتب الكبير سلامة موسى الذى أصدر سنة ١٩٤٥ كتابا بعنوان « البلاغة العربية واللغة العصرية » وفى هذا الكتاب يقول بصراحة كاملة : « نحن بين اختيارين :

١ ـ إما أن نهلك ونبيد ، كمـــا بـــاد الديناصور ، إذا التزمنا عاداتنا الذهنية والاجتماعية والثقافية لا نغيرها .

٢ ـ وإما أن نعين لشعبنا ، وسائر العرب آفاق التطور البشرية ، يتطلعون إليهـا وينشدونها ويسبقون لها ، فنبقى ونحيا .

ووسيلة البقاء والحياة فى عصرنا هى العلم والصناعة .

ولا سبيل إلى الصناعة بغير العلم .

ولا سبيل إلى العلم بغير الحـــــروف اللاتينية » .

أى أن سلامة موسى يدعـو العرب بصراحة إلى تغيير الكتابة بالحروف العربية إلى الكتابة بالحروف اللاتينية كما فعل الأتراك ، فى لغتهم التى كانوا يكتبونها بالحروف العربية ، فغيروا ذلك وكتبوها بالحروف اللاتينية منذ الثلاثينات إلى اليوم . ولم يستفيدوا من ذلك شيئا سوى أن يخسروا ارتباطهم بالعالم العربى وفى ذلك للأتراك خسران مبين .

المجادلة بالحسنى

فالدكتور لويس عوض إذن ، يقدم لنا كتابه الكبير « مقدمة فى فقه اللغة العربية » فى نفس الاطار الذى سبقه إليه مفكرون كبار من الشرق والغرب على السواء ، ومع ذلك لم يطالب أحد بمصادرة كتبهم ، بل لقيت هذه الكتب والآراء مناقشات واسعة عنيفة ، ترد عليها ، وتواجه حجتها بحجج أخرى قوية ، ولم ينهدم صرح اللغة العربية ، لمجرد أن كاتبا كبيرا مثل « سلامة موسى » هاجمها ودعا إلى تغيير حروفها إلى الحروف اللاتينية ، ولم ينهدم صرح اللغة العربية لأن مفكرا انجليزيا ذكيا مثل « ويلكوكس » دعا إلى إحلال العامية محل الفصحى ، كل هذه الآراء واجهتها آراء أخرى ، كسبت للغة العربية حججا قوية دقيقة ، ساندتها ووقفت فى صفها وجعلت قضيتها أقوى وأشد .

وهذا ما يجب أن نفعله مع كتاب الدكتور « لويس عوض » فالمصادرة لا جدوى منها ولا معنى لها ولا يمكن أن تمنع ما فى الكتاب من أفكار ، ولا أن تقنع أحدا بخطأ هذه الأفكار ، والطريقة الصحيحة الوحيدة ، هى أن نسمح بظهور الكتاب ، وأن نترك الأمر لعلماء اللغة والسياسة والحضارة ليردوا عليه ، والأمة العربية غنية بالقادرين على محاورة الدكتور لويس عوض بالحجة والعقل والرأى ، مهما كان فى كتابه من العمق والجهد العلمى ـ والعقل العربى لم يعد قاصرا ، والرأى العام العربى ليس طفلا صغيرا بحاجة إلى من يحميه بمنع الأفكار عنه خوفا من الضرر والأذى .

وأكرر هنا أننى أختلف مع الدكتور لويس عوض ، جملة وتفصيلا ، فى كتابه الكبير ، ولكننى أرى فى نفس الوقت أن المصادرة خطأ ، وفيها الكثير من التجنى على الثقافة العربية المعاصرة ، كما أن من الخطأ أيضا أن نستسلم ـ بجانب المصادرة ـ إلى ذلك الأسلوب السهل فى وصف رجل مثل الدكتور لويس عوض بأنه « متآمر » وأنه « عميل فكرى » للغرب وما إلى ذلك من الشطط فى الفهم والتقدير والتعبير ، إن المعركة فى جوهرها معركة فكرية ، والدكتور لويس صاحب رأى وجهد واجتهاد ، والحل هو مواجهة رأيه برأى آخر يرد عليه ويفند حججه ويثبت ما فيها من خروج على الصواب .

هذا هو الطريق الصحيح أمام الفكر العربى ولا طريق سواه ، حتى ننهض وننمو ونتقدم .

فالمصادرة لا خير فيها ولا نفع منها .

والحل هو المحاورة ، ومواجهة العقل بالعقل ، والأخذ بالمبدأ القرآنى العظيم : « وجادلهم بالتى هى أحسن » .

صدق الله العظيم .

رجـــاء النقاش



شهريات

يوسف إدريس



محاكم التفتيش العربية والأجنبية

حسن جدا . لنواصل ما انقطع من حديث ولكن كيف ؟ إن الكاتب كاتب أولا وأساسا لأنه انسان مرهف الحس إلى درجة تكون مرضية . بل أجسر وأقول إنه حساس إلى درجة مرضية فعلا . ولولا أنه بكتابته تلك ينتج فنا ، أى أروع وأجمل وأصح ما فى الوجود من إنتاج بعد إعجاز الخلق الأعظم والحياة لولا هذا لكان على البشرية أن تودع كل إنسان تظهر عليه علامات الكتابة أو الفن ،

تودعه فى مستشفى لعلاج الأمراض النفسية . كما تودع الخطرين على الحياة .

بل إننا لو راجعنا تاريخ الفن لوجدنا أن

البشرية قد فعلت هذا فى كثير من الأحيان ، وأدت شدة الحساسية ببعض من الفنانين والكتاب إلى أن يدخلوا مصحات نفسية ، وأحيانا عقلية . ذلك أن البشرية ليست فى كافة عصورها تلك الأم الرءوم التى تحنو

على أبنائها جميعا وتستجيب وتربت عليهم وتستجيب لصرخاتهم وآهاتهم ، وتكون البلسم الشافى لأى وكل مـــا يعانونه . البشرية فى معظم أحوالها ومجتمعاتها غليظة القلب لا ترحم ، تدوس ، كالقطيع

المذعور الأهوج ، على أقدام بعضها البعض بل أحيانا على رقاب بعضها البعض ، وهى تمضى خائفة مرعوبة تلهث وراء لقمة العيش والوجود . وجود إنسان حساس من المحتم عليه أن يعيش وسط هذا القطيع الحيوانى المهرول ، كارثة ، ليست كارثة البشرية ومجتمعاتها وقطيعها المهرول ، ولكنها كارثة لهذا الكائن . ولهذا فعلى الانسان إذا خلق حساسا خلق أن يدفع ثمن حساسيته تلك . ومثلما ذكاء المرء محسوب عليه وليس محسوبا له . فأيضا حساسيته محسوبة عليه لابد أن يدفع ثمنها كل يوم من

محاكم التفتيش العربية والأجنبية

عمره . وربما دفع عمره كله ثمنا لها دون ان يوفى بالثمن !

وطوال الاسابيع الماضية وانا احس ان بعض كتابنا وشعرائنا العرب مستهدفون ، وانا لا اتحدث عن نفسى هنا باعتبارهـا نفسى . فالحديث عن النفس دائما شيء مكروه لقائله ولسامعه على حد سواء . ولكن إذا اصبحت تلك النفس نموذجا و « عينة » لبشر يحيون بيننا . وتدرسهم ونحن نهرول فى طريقنا لتحقيق الوجود الأحمق التافه ، احمق واتفه واحط لون من الوان الوجود ، فانه لا يصبح حديثا عن النفس بقـدر ما يصبح حديثا عن النوع كله ، وحينذاك ينتفى الحرج . فالموضوع عام ، والقضية خطيرة . ولابد من حل .

اقول مستهدفا واتوقف عمدا عن الافصاح فقد كانت الطعنات تاتى من اكثر من جهة ، ومن الاصدقاء والاعداء على حد سواء . بل ويحدث ويا للغرابة ان يتفق هدف الاعداء مع هدف الاصدقاء ، ويلتقون جميعا للنيل منك . وإلا فربك فسر لى هذه الحملة الضارية التى تاتينى من صحفى وكاتب إسرائيلى ينشر فى جريدة عالمية كبرى ويحاول ان يشكك فى ولائى العربى لاننى فى نفس الوقت الذى تحاول فيه اقلام وصحف عربية لا اشك لحظة فى انها قومية وخالصة القومية والاتجاه والهدف ، تحاول هى الاخرى ان تشكك فى انتمائى القومى !

اما ان يهاجمك الاعداء فهذا شيء طبيعى لابد ان تتوقعه باستمرار ولا تتوقف عنده ، بل تتوقف عنده فقط إذا كف هجومهم عليك ، لانك بموقفك او بحسن نيتك لابد حينذاك ان تكون قد خدمت قضيتهم .

هجوم الاعداء هذا شيء طبيعى ، محاولاتهم المستمرة للتشكيك فى قومية بعض الكتاب العرب وبالذات بعض الكتاب المصريين . مسالة كما يقولون واردة . وكان الرد عليها مفروض ان يكون تلقائيا . كان مفروضا ان يدرك القارىء الذكى سواء فى مشرقنا العربى او مغربهم الاوروبى الامريكى ، انه لولا ان هذا الكاتب لازال يقاوم ، وبشدة ان يحنى للعاصفة راسه ، ولهذا فهم يلوون ذراعه . وبطريقة فى غاية الذكاء والاحكام ، ويحاول ان يظهروه بمظهر انه صديقهم وانه لا يعاديهم ، لما تعمدوا التشكيك فى مواقفه . بل ولفعلوا العكس تماما وحاولوا ان يظهروه فى نظر قومه على انه قوى ووطنى وعنيد لتغطية موقفه . هكذا يفعلون مع كتاب غيره يعرفون تماما ميولهم وكنه معسكرهم الحقيقى ، وتظهرهم الدعاية الصهيونية بمظهر البطل الرافض الصنديد ، بل واحيانا يهاجمونه لنزداد نحن تقديرا له ، وإيمانا به .

اى قارىء ذكى كان باستطاعته ان يدرك هذا ؟ !

ولكن مالا يستطيع ان يدركه ابدا ذكاء اى قارىء فهو ان يحدث ، وفى نفس الوقت ان تتولى اقلام عربية قومية التشكيك فى انتماء هذا الكاتب ، وإن لم يكن فى انتمائه فالتشكيك فى موقفه وإهالة التراب على راسه وتصويره على انه قد « سقط » اخيرا هو الاخر ، وتحس من لهجتهم انهم سعداء تماما بهذا « السقوط » وكانهم كانـوا يستعجلونه او بالاصح يتمنونه . فالانسان المخلص حقا يحزن لكل رجل فى المعركة يسقط او لكل قلم صادق يسقط او حتى يتعثر ، ذلك انهم جميعا فى النهاية قواته التى تدافع عنه والتى يشكل كل فرد منها درعا لابد ان يحزن الانسان حقا إذا سقط ، لا ان يفرح ويهلل ويزعق قائلا : انظروا .. ها ها ها .. ها هو ذا اخيرا قد سقط .

إنهم بسرعة يريدون ان يلحقوك بطابور الذين سقطوا فعلا ، ربما لكى تخلو لهم الساحة ، ويمرحون كتابة ووجودا باعتبارهم هم « الاشراف » وهم « الاطهر » وهم « الدس لا ينافقـون » وهم فى النهاية العظماء وحدهم .

وليت سقوط كل الكتاب ـ حتى إذا كل الكتاب سقطوا ـ يصنع من غير الكاتب كاتبا ، او يعطى للتافه منهم مهما كان شريفا او خيل إليه انه شريف ، يعطى له مقاما وقدرة . فقدرة الكتاب ومبلغ عطائهم مسالة لا يحددها حتى الكاتب نفسه . إنها خاصية فيه يعطيها له الله سبحانه وتعالى يوم يخلقه ويدرجه فى سجلات الوجود . وكما يقول الكاتب المسرحى « بريخت » فى مسرحيته عن جاليليو : إن سقوط نملة من فوق ناطحة سحاب لا يقتلها او حتى يصيبها بكسر او جرح ، ولكن سقوط جواد من الطابق الثانى فقط يقتله .

وهذا عن سقوط « جواد » فما بالك والذى يسقط « كاتب » .

لقد انتقلت العدوى وكان لابد ان تنتقل من بعض السياسيين العرب إلى بعض الكتاب العرب ، واصبح الحديث عن سقوط فلان الكاتب او خيانته او نهايته هكذا وبجرة قلم مسالة نضعها بمنتهى البساطة وفى اى مجلس شراب او جلسة قهوة . مع ان سقطة الكاتب شيء مدو تماما ، وخطير جدا إذ وكانها امة باسرها هى التى تسقط . إن موقف « إزرا باوند » من النازية لم ولن تغتفره له البشرية باية حال ، والامثلة على سقوط الكتاب الاوربيين او الامريكيين او الروس المعروفين ليست كثيرة ، لانها لا تحدث . وليست ابدا القاعدة ، بل هى الشاذ الخارج على كل عرف . فالكاتب ليس كالسياسى يحترف مبادئه . الكاتب هو مبادئه . وسقوطه يعنى تخليه عن اى مبدا او عقيدة ، بل واكاد اقول إنه يعنى انه لم يكن موهوبا ابدا . مشهورا ممكن ، اما موهوبا وفعلا جاءت موهبته تعبيرا عن إخلاصه وحرارة صدقه ، فسقوطه مسالة تكاد تكون مستحيلة .

وحين تذكر كلمة سقوط تعنى عنـد المتحضرين كافة ان إنسانا « خان » مواقفه او مبادئه او امته . اما ان نقولها لان هذا الانسان تحمس لقائد او لحاكم ، مجرد تحمس فهو امر لا يحدث الا فى بلادنا العربية دونا عن بلاد الدنيـا . فكان ، وبالضرورة لابد ان يكون موقف الكاتب هو موقف المعارض الدائم لاى نوع من الحكم ، ولكن هذا هو بعينه موقف الطفل المريض ، اما موقف الانسان والرجل العاقل فهو ان يقول للمحسن احسنت ، مثلما يقول للمجرم اجرمت . اجل لقد تحمست للرجل حسنى مبارك ولا ازال لانى اعتبرته اخر عربة نظيفة فى اخر قطار يحمل امانى مصر الوطنية فى التحرير الوطنى والاجتماعى والحيـاة الدستورية . ولقد قلتها يوم لم يكن للرجل او بالاصح قبل ان يكون للرجل مواقف تؤكد هذا المعنى وتدعمه ، وحمدا لله ان جاءت

أغــــــــرب معــــــــركــــة بــين أديـــب ومدينـــــة



بـــين الروائـــي الانجليزيـــي جراهـــام جريـــن ومدينـــة نـيس الفرنســية



● هذه القضية هل هي تذكير جديد بالانحطاط الذي تعاني منه أوروبا.. أم أنها دليل على حيوية الضمير الأدبي ويقظته ضد الانحراف ؟.. لنبدأ القصة أولاً من بدايتها ولنؤجل الحكم حتى النهاية

يبدو ان الريفييرا الفرنسية تعطى الحرية للجميع للكشف عن اجسامهم فى شواطئها تحت شمس النهار ، بينما هى تخفى اشياء واشياء تحت جنح الظلام فى عالمها « السفلي » المرعب ..

هذا ما حاول ان يقوله ، بكلمات اخرى ، الروائى الانجليزى المعروف ، غراهام غرين البالغ من العمر السابعة والسبعين ، واحد المعجبين باجواء « شاطىء اللازورد » حيث يقضي الآن سنوات تقاعده بهدوء فى قرية « انتيب » الساحلية التى لا تبعد عن « نيس » عاصمة الشاطىء سوى عشرة اميال ، وليس له من سلوى غير الكتابة والشراب ..

ولكن يبدو ان شيئا ما قد جعل الروائى العجوز ، المشهور بمغامراته الاستكشافيـة والبوليسية فى افريقيا والبرتغال والشرق الأقصى ، يقرر ثانية الخروج من هـــــدوء الشيخوخة وعزلتها ليخوض معركة شخصية اكثر منها ادبية ضد سلطات مدينة « نيس » ، التى تستضيفه والتى اختارها سكنا نهائيا له ، وضد ما اسماه بعصابات « العالم السفلى » التى تتحكم كما يقول باقدار الناس واموالهم فى المدينة ، بـل وتسيطر على رجال الشرطة والقضاء وترغمهم على الصمت ! ليس هذا فحسب ، بل انه سارع الى طبع كتيب صغير للتداول المحدود فى الاوساط الصحفية والسياسية والقضائية جاء فى مقدمته بصريح العبارة :

« الى كل اولئك الراغبين فى المجيء والاقامة فى شاطىء اللازورد ، اقدم هذا الانذار : تجنبوا مدينة نيس لانها اصبحت معقلا لاقوى الاوساط الاجرامية فى جنوب فرنسا ، هذه الاوساط التى يمكن ان يتورط معها حتى الاجانب كما حدث لى ولاصدقائى فى السنوات الثلاث الماضية » .

هذه « النصيحة » الصادرة من اديب شهير انتشرت عبر معظم صحف اوربا وامريكا ، بينما محافظة مدينة « نيس » تستعد لكرنفال الربيع ، وتمنى النفس

LE NOUVEL observateur

CGT : L'offensive Krasucki

Après le "J'accuse" de Graham Greene :

Nice à boulets rouges

لونوفل ابزرفاتور حولت الاتهام الى موضوع غلاف !

غراهام غرين والخط الفاصل بين الرواية والحقيقة .



ماكس غالونائب ريس الاشتراكي:غرين عنده حق

بازدهار موسم الصيف المقبل بعد شهور .. !

ولو اقتصر الامر على احتمالات الخسارة السياحية لهان الامر ولكن الانكى من ذلك ان ادباء فرنسا وسياسييها استيقظوا على صرخة روائي انجليزي عجوز وهو يدق جرس الانذار ضد فساد خطير يتهدد مصير اجمل مدنهم . ويحمل عاليا راية الاصلاح لحماية المواطن الفرنسي والزائر الاجنبي القادم الى فرنسا !

مدينة فرنسية لا تجد من يصلح امورها غير اديب انجليزي ؟ يالثارات واترلو ! .. يالثارات نابليون !

وماذا حدث لادباء فرنســـــا ، المتميزين تاريخيا بين كل الامم بخوض مثل هـــذه المعارك الاصلاحية والتطهيرية ؟

إني اتهم

بل ان غراهام غرين إمعانا في استثارة الكوامن الفرنسية اختار عنوانا فرنسيا لكتيبه عن القضية ـ الفضيحة هو « اني اتهم » " J'Accuse " - وهو العنوان الشهير الذي اختاره الاديب الفرنسي اميل زولا ، في القرن التاسع عشر ، لاثارة إحدى القضايا الشهيرة في عهده ، وكان « غرين » يقول للفرنسيين : لم تعودوا اوفيـــــاء لتقاليدكم وها نحن نحملها نيابة عنكم !

اما اساس القضية كلها فهو ان « غرين » يعيش قريبا من اسرة فرنسية ـ سويسرية تعرف اليها منذ زمن بعيد اثناء إقامتـه في الكونغو . فلما انتقل إلى الحياة في الريفييرا الفرنسية وجد ان هذه العائلة المكونة من اب وام وابنة قد انتقلت هي الاخرى الى الاقامة في الريفييرا ، فظل قريبا منها يرقب ابنتها التي اصبح ابا ثانيا لها وهي تكبر وتتزوج وتصبح مذيعة تليفزيون بمحطة مونت كارلو . وقد تزوجت الفتاة ، واسمها (مارتين) ، من سمسار عقارات

فرنسي شاب اسمه (دانيال غاي) وعاشت معه ست سنوات وانجبت منه ابنتين . ثم جاءت المشاكل والطلاق . وحاول دانيال ان يأخذ حق حضانة ابنته الكبرى من مطلقته . ولكن الاخيرة كسبت القضية جزئيا بابقاء الابنة معها على ان تبقى في نفس الحي الذي يقيم به الاب وان تعود إلى ابنتها كل ليلة في الساعة الثامنة والنصف مساء .

هذا الحل لم يعجب الاب دانيال ، فاعاد الكرة ثانية وكسب حكما قضائيا بحضانته لابنته بعد ان « اقنع » المحكمة بطريقة ما ان مطلقته غير صالحة لتربية الابنة .

كان « غراهام غرين » يرقب هذه القضية من خلال علاقته الحميمة باسرة مارتين . ورأى كيف تحطم قلب الشابة بفقدها لابنتها الكبرى ثم اضطرارها للهرب من نيس إلى مكان مجهول مع ابنتها الصغيرة .

واستغرب « غرين » كيف كسب « دانيال » هذا الحكم القضائي .. وتساءل عن سر قوته واخذ يراقبه ويتتبعه وهو القاص المغرم بالأسرار البوليسية وحياة العوالم السفلية منذ كان شابا يغامر في الحرب العالمية الثانية وما قبلها ويتصيد الجواسيس الالمان في البرتغال ، ومهربي الأفيون في الشرق الاقصى .. ليكتب عنهم قصصه الحافلة بالالغاز !

واكتشف « غرين » في « دانيال » صيدا ثمينا .. فهذا السمسار الفرنسي يركب السيارات الفارهة من نوع الروز ـ رايس ، ويكسب الملايين على موائد القمار في الريفييرا ، ويوقع اكبرانديه القمار في الافلاس ليشتريها . ويتعاون مع شبكة من الايطاليين « العريقين » في هذه العمليات . ثم تبين انه قد دخل السجن ثلاث مرات في شبابه الباكر ومع ذلك فهو الآن على اوثق الصلات مع رجال الشرطة في البلد ، بل ويشهدون في المحاكم لصالحه !

ما بين الاديب والسمسار

بدا « غرين » يثير التساؤلات حول هذا الرجل ومداخلاته . في الأوساط الادبية والسياسية المقربة منه . واحس « دانيال » بهذه المتابعة ولم يرتح لها .

وذات يوم جاءت صديقة قديمة لدانيال ، اختلفت معه هي الاخرى ، لتقول للاديب الانجليزي العجوز بان دانيال يخطط للتخلص من والدي الفتاة مارتين ومنه هو شخصيا ، وانه قال امامها بان « الشرطة في جيبي » ولن « ادخل اي سجن » وبان حماته وحماه السابقين « سيذهبان ضحية حادث سيارة » وان « المدعو غراهام غرين » سيكون في تلك السيارة ايضا » !!

وهنا احتدمت المواجهة بين الرجلين . وقال دانيال لغرين متحديا : انا جدار صلب لا اخترق . فرد عليه غرين : انا هو ذلك الجدار !

واخذ الرجلان ، الاديب الانجليزي والسمسار الفرنسي ، وبين الاديب والسمسار ما بينهما من نفور طبيعي في كل مكان ، وبين الانجليزي والفرنسي ما بينهما من جفاء تاريخي عبر الازمان . نقول اخذ الرجلان يستعدان لمناطحة « جدرانية » طويلة الامد .

وللمصادفة المريبة ، فان صديقة دانيال القديمة التي اخبرت الاديب غراهام غرين بخطط غريمه للقضاء عليه في حادث سيارة قد وجدت من « يزورها » في مكتبها ليكسر لها انفها بضربة تحقيرية يستطيع ان « يفهم » معناها ... حتى الانف المكسور !

اسماك كبيرة

اتجه غرين اولا للبوليس وطلب منه التحقيق في مخالفات الرجل . ولكن الايام مرت والتحقيقات بلا نتيجة .

وقال رجل بوليس كبير للاديب الانجليزي : « ان دانيال واعوانه اسماك كبيرة لا نقدر عليها » ـ والعهدة على الراوي .

ثم اتصل غراهام غرين بما له من سمعة وشهرة بوزارة العدل في باريس وطلب منها التدخل في الامر ، وارسلت الحكومة مسئولا كبيرا اعترف ان الصورة تبدو « مخيفة » بالفعل ، ولكن فجاة حدثت تنقلات للقضاة في المدينة اضفت غموضا اكبر على سير التحقيق ، وتركت المسالة تبرد . واعصاب غراهام غرين تحترق على نار هادئة !

ورد غرين بتصعيد الامر ، فقرر إعادة وسام الشرف الممنوح له من الحكومة الفرنسية قبل سنين ، وذلك للفت انظار كبار المسئولين في العاصمة لخطورة الامر في « نيس » . ولكن الحكومة الفرنسية ردت عليه وسامه قائلة انها لا تستطيع ان تسترجعه منه إلا في حالتين : إذا توفاه الله او اذا اوقع نفسه في عمل مشين مخل بالشرف .

عندها اصدر غرين كتيبه الذي يتضمن معلوماته وتحقيقاته الخاصة عن المسالة ، والذي حذر فيه السياح من القدوم إلى نيس ..

وهنا تحولت المسالة الى قضية سياسية بين الحكومة والمعارضة واخذ كل طرف يعمل على تحويلها لصالحه واتسعت الدائرة بما يتجاوز « نيس » وموائدها الخضراء وشاطىء اللازورد الخالد ..

.. وقضية سياسية

خرجت صحيفة « لونوفل ابزرفتور » المقربة من اوساط اليسار الحاكم بموضوع غلاف يقول : « بعد (اني اتهم) لغراهام غرين : نيس تصبح تحت القذائف الحمراء » .

وفي معالجتها للموضوع اتخذت موقفا مزدوجا مؤيدا ومعارضا لحملة غراهام غرين في وقت واحد . وذلك ليحقق اليسار الحاكم من القضية اكبر كسب ممكن ضد اليمين المعارض ، دون ان يستفز مشاعر الفرنسيين وسكان « نيس » بصفة خاصة الذين انزعجوا من تدخل الاديب الانجليزي في شئونهم .

وقد نشرت الصحيفة المذكورة مقالا لنائب نيس الاشتراكي « ماكس غالو » ـ وهو في الوقت ذاته اديب وروائي ـ ذهب فيه الى ان اتهامات غراهام غرين لها اساس من الصحة في بعض جوانبها على الاقل ، وان رائحة الفساد تنبعث من وقت لآخر من اقبية المدينة ، وان هذا الوضع هو من مسئولية النظام اليميني الذي حكم فرنسا في ربع القرن الاخير ، ومن مسئولية محافظ « نيس » اليميني ايضا ومن مسئولية بعض اجهزة الامن والقضاء ذات الميول اليمينية ايضا وايضا !

واضاف : على الدولة الفرنسية ان تفتح ملف هذا كله ولا تنتظر حتى تنشر صحيفة « التايمز » البريطانية رسالة لاديب بريطاني حولها لتاخذ علما بالموضوع ، كما كان يحدث



فى نيس اضواء تخفى اكثر مما تكشف !

فى المستعمرات البريطانية . وهو يشير بذلك الى ان بداية تسرب المعلومات حول هذه القضية قد بدات برسالة من غراهام غرين الى صحيفة « تايمز » فى لندن ، بينما كانت اجهزة الاعلام الفرنسية ، الكثيرة الكلام حول كل قضايا العالم ، غافلة عن هذه القضية رغم ارتباطها بصميم الاوضـــاع الفرنسية .

اما محافظ نيس اليمينى ، المهتم بتنشيط السياحة فى مدينته وتشجيع الســـياح الاثرياء على القدوم اليها بكل وسائل الاغراء – فقد رد على هذا كله بالقول : « ان غرين يفتعل هذه القضية كلها ، ويضـــخم مسالة عائلية صغيرة جدا ، ليلفت إليه الانظار ويمهد الجو لقصته الجديدة ، بعد ان أفلس ادبيا » .

بينما يتهمه غريمه السمسار الفرنسى بانه كان على علاقة خاصة بام مطلقته كل هذه السنوات . وانه الان يتحرك تحت تاثير تلك المراة ليثار لابنتها منه . ويرد غرين قائلا : انا رجل فى السابعة والسبعين وعندما يتهمنى دانيال غاي بهذه العلاقة . فانه يشرفنى بها ، ويبعث فى نفسى الشعور بالشباب !!

اما الناقد الادبى فى صحيفة « لونوفل ابزرفتور » فقد ذهب لغراهام غرين ليساله : « ماذا لو ظهر اديب فرنسى فى بريطانيا واتهم السكوتلانديارد بالفساد والتامر مع المجرمين ؟ ماذا سيكون شعورك نحوه كبريطانى ؟ » .

فرد غرين بحقه : « فى بريطانيا لا يحدث كل هذا ولا يستمر ان حدث ، كما لا يظهر لدينا زعماء عصابات اصحاب نفوذ ! » .

راى فرنسى

فى عقدة الانجليزى

ولكن الناقد الفرنسى لا يدعه يذهب سليما وسعيدا بهذه الاجابة . فقد اخذ يحلله نفسيا إلى حد تقطيع الشعرة كما يقولون .

ومما قاله فيه : ان غراهـــام غـــرين البروتستانتى الذى تحول الى الكاثوليكية ، ولم يحسن إيمانه بها ، يريد الآن ان يشن حملة صليبية ضد الحياة الحرة الطليقة فى « نيس » لان نفسيته المتشددة لا تحتملها ، وانه يريد لنيس ان تعود كما كانت فى اوائل القرن نقطة مرور لبحارة الأسطول البريطانى . الذين كانوا يتســـــكعون ويتشمسون على سواحلها فى طمانينة لم تعد متوفرة لهم الآن . وان بقاء غرين فى « نيس » حتى الان ورفضه الذهاب الى بلده ليشرب فى حاناتها اللندنية ، دليل على حنينه لايام المجد الاستعمارى البريطانى وبحاره الدافئة ! .. وان غرين الذى تعود على إثارة القضايا بمغامراته فى افريقيـــا والشرق البعيد ولم يعد قادرا عليها الآن يريد – بدافع الحنين لمغامرات الشباب – ان يثير قضية على حساب سمعة مدينـــــة « نيس » . بينما هو غارق فى الشراب لينسى اصدقاءه القدامى الذين ماتوا فى الكونغو وماليزيا وفيتنام .. وانه قد وقع بسبب ضعف الشيخوخة تحت تاثير صداقته لعائلة الفتاة مارتين التى تستغله لتصفية حساباتها الشخصية من مطلق ابنتها .. وبانه لم يقدم فى ادبه غيرصورة قاتمة عن الحياة ملؤها الشر والحقد والجريمة .

كل هذا قالته « لونوفيل ابزرفتور » فى الأديب البريطانى ولكنها قبل سوق هذه التهم صدرت تحقيقها كما اشرنا بمقالة نائب « نيس » الاشتراكى التى قال فيها ان غراهام غرين قريب جدا من الصدق فيما يقوله عن عصابات نيس المحمية من بعض اوساط اليمين .

فاين الحقيقة .. ولماذا هذا الموقف المزدوج ؟ إنهم يريدون استغلال ما يقوله غرين لفتح معركة ضد اليمين . وضد ماضى الرئيس السابق جيسكار ديستان . ولكنهم فى الوقت نفسه لا يريدون الوقوف مع الاديب البريطانى امام الراى العـــــام الفرنسى . لذلك فهم يعترفون ان غراهام غرين على حق .. لينتقدوه بعد ذلك بقسوة !

وغراهام غرين لا يخرج هذه الايام إلا وفى جيبه علبة خاصة تحتوى غازا مسيلا للدموع تحسبا لاى طارىء . وهو يطالب بمحاكمته على التهم التى ساقها ضد سلطات « نيس » فى كتيبه عن القضية وهو يقول إنه سيحول محتوى هذا الكتيب إلى قصة طويلة بالحقائق والارقام بعد ستة شهور ، اى عندما يزداد عدد المصطافين فى نيس !

والمعركة مستمرة بين الرجل والمدينـــة التى يعشق ! .. رجل عمره سبعة وسبعون عاما ومدينة عمرها سبعة وعشرون قرنا . هل حقا هى معركة ضمير وإصلاح وتطهير ، ام معركة نفوس مرهقة تريد التعويض عن شىء .. ؟

المهم ان يخرج لنا غراهام غرين باثر ادبى ناجح فى النهاية ... وهذا ما يشكك فيه الفرنسيون !

د . محمد جابر الانصاري — باريس

«إلام يصير العالم لو علق فجأة بالورق مرض جديد يحيل كل المكتبات تراباً ؟؟ يخيل إلي أن البشرية بفقدان مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية أو من تراثها الروحي فحسب .. بل ستفقد أيضاً وبوجه خاص وسائل حياتها» .

«ديهاميل»



هذه الكلمات الشامخة ، الصادقة والمتألقة ، قالها المفكر الفرنسي «فولتير» ولعله اراد أن يهديها الى كل كاتب حر صادق وشجاع .. ذلك أن الكاتب الذى يحمل الصفات ، يحمل على مفرقه تاجاً غير منظور .

إنه يصف لنا عالم الله ، ويهدينا الى الحقيقة ، ويضع عنا إصرنا وأغلالنا .. ولولاه لبقيت الارض يطمرها اليأس وتغطيها الظلمات . فالكلمة منطوقة ومسطورة كانت في بدايات حياتنا بمثابة أجراس النصر تدق للانسان .

ومع الكلمات الأولى التي انفرجت عنها الشفاه أو سطرتها الأقلام أعطت المقادير إشارة البدء للقافلة البشرية ، وأصـــــبح معروفاً من يومئـــــذ أن لواء السيادة على هذا الكوكب سيعقد للانسان ، وأن المستقبل سيدخل فى طاعته ، وأن المجهول سيفضى له شيئاً فشيئاً بأخباره وأسراره .

وأمام كل عمل وكل ابداع – من العصور الموغلة في القدم حتى يومنا هذا ، نجد الكلمة الحرة الشجاعة الذكية تنشىء العمل وتخلق الابداع .

كانت الكلمة منذ بدئها تعني ميلاد فكر جاء على شوق وقدر ، ولقد بدأنا نعي وجودنا يوم تكلمنا ، ويوم فكرنا وكتبنا .. يومها شرعنا نجاوز الظلام ونتخطى العماء ونخترق أسوار العزلة . ولا نكون مغالين اذا قلنا : إننا يومئذ – لا قبلئذ – أعطينا شهادة ميلادنا ، ووثيقة آدميتنا .. ذلك انه حين فضت عن الأفواه أقفالها وأمسكت الأنامل بأقلامها بدأت أولى خطواتنا في السيطرة على ما معنا وما حولنا ، وبدأ الوجود الانساني ينهض قائما ..

ولكي نعرف قيمة الكلمة وما وراءها من فكر حر رشيد ، علينا أن نتصور الكوكب الذى نعيش فوقه وهو خال من صاحب الكلمة – الانسان .

أعزل الانسان عن هذا الكوكب ..

تصور أو تخيل الارض في غياب الانسان ، وانظر ماذا ترى ؟!.

لن ترى سوى التيه والظلام .. حقا سيكون هناك بحار تصطخب أمواجها ، وعواصف تزلزل الأرض بزئيرها ، ورجوم وشهب ، ووحوش ودواب وزواحف .. ثم ماذا ؟ لا شيء سوى الخواء والعماء ، وظلمات من فوقها ظلمات .

إن الطبيب والأديب الفرنسى «ديهاميل» يتساءل فى كتابه «دفاع عن

بقلم
خالد محمد خالد

الأدب» ترجمة الدكتور محمد مندور فيقول : «إلام يصير العالم لو علق فجأة بالورق مرض جديد يحيل كل المكتبات ترابة ؟؟ يخيل إلي أن البشرية بفقدان مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية او من تراثها الروحى فحسب . بل ستفقد ايضا وبوجه خاص وسائل حياتها» .

اهناك إذن جلال يفوق جلال الكلمة ؟..

اهناك غرض مهما تكن قداسته وحتميته يستحق ان تعطل من اجله الكلمة ، ونقدم اليه قربانا ؟! ..

إن الأمر ليبدو وكانما أعدت الأرض وهيئت لتكون مسرحا للكلمة ومجالا للفكر ليس غير ..

وبعد ان كانت الأرض ـ بالصمت ـ مكانا موحشا ، صارت ـ بالكلمة ـ مكانا مانوسا .

ولا شيء ينقص من عظمة دور الانسان على الأرض مثل الانتقاص من سيادة الفكر والتحديد غير المشروع لنشاط الكلمة ..

ولننظر مثلا .. السنا نؤمن بان المسيح ومحمدا اخرجا الناس من الظلمات الى النور ، واضاءا في الضمير الانسانى نورا سدد خطاه ؟ ..

فلننظر إذن اية جناية على العائلة البشرية كانت ستحيق بها لو استطاعت قوى الظلام ان تخنق الكلمات التى انبعثت من محمد واخيه حاملة الهدى والنور ؟! .

لو ان «المسيح» في اولى محاولاته ساعة استقبل الدنيا ليقول لها «وقد اقترب ملكوت السماوات» راح ضحية قوة باطشة . فمن الذى كان سيملأ الحياة ووجدانها بهذا اللحن المضيء الهادر المتمثل في «موعظة الجبل» ؟ ومن الذى كان سيجابه الكهنة المتجرين بالدين ، والطغـــاة النــاهبين اجـــور الفعلة والحصادين ؟! ..

ولو ان «محمدا» حين وقف يعلن انه لا إله إلا الله ذهب ضحية خصومه من أعداء الكلمة والصدق والحقيقة ، فمن ذا الذى كان سيبلغ رسالة الله ويتلو على الناس قرآنه ؟؟

من الذى كان سيرفع راية التوحيد فوق انقاض الوثنية ، ويذيع نعي ارباب الأرض المتجبرين فيها ، وينادى الكادحين والبسطاء الى يومهم الموعود فى عالم الناس فيـــه سواسية كاسنان المشط ؟؟ ..

حقا إن الكلمة هي الحياة .. اطفىء الكلمة ينطفىء نور الحياة .. أعد الألسنة الى صمتها القديم ، واكبح الأقلام بالشكائم ترتد الحياة فى نفس اللحظة ولنفس السبب الى بداوتها وخشونتها ووحشتها .

● ●

ذات يوم حمل رجل اوربى قلمه وراح يسجل رايه في «العصيان المدنى» كسلاح تستخدمه الشعوب المهيضة والمظلومة ..

كان اسم هذا الرجل «ثورو» خط كتابه بيمينه عام ١٨٤٩ ، ثم مات .. وضاعت الصفحات التى خلفها فى زحام الحياة ، أو ظن انها ضاعت وذهبت مع الريح ، حتى وقعت ذات يوم من أيام ١٩٠٧ فى يد شاب هندى كان يعانى فى جنوب افريقيا مع المغتربين من بنى وطنه اضطهادا وقحا واستبدادا مذلا . فاذا الكلمات التى حسب الزمان انها اختفت وتاهت تشعل فى قلبه النار المقدسة وتناديه الى طريق الخلاص .. ولندعه يحدثنا عن آثرها فى نفسه فيقول :

«وبينما كنت أبدا نضالى تلقيت من صديق لي كتاب ـ العصيان المدنى ـ فما إن قراته حتى ملأنى قوة ويقينا . وذهبت اترجم بعض فقراته وانشرها فى المجلة التى كنت انشرها فى ذلك الحين . ولقد كان فى كلمات «ثورو» من صدق التعبير وقوة الاقناع ما جعلنى اشعر بحاجتى الى المزيد من المعرفة به .. واخيرا عرفت ان رجالا فرادى امثال «ثورو» قد انتصروا لأنهم تقدموا الصفوف بتضحياتهم وكانوا قدوة للعالم» .

هكذا تاثر المحامى الشاب الهندى بكلمات ظن الكثير من الناس انها تلاشت بينما هى رابضة فوق صفحاتها . وما إن لامست روح هذا الثائر الهندى الناشىء حتى ابانت له الطريق ، وسلحته بالوسيلة ، فهب ناهضا وقهر الطغيان الذى كان يعذب قومه فى جنوب افريقيا ، ثم انتقل برسالته الى وطنه الكبير ـ الهند ـ وهناك ، وكلمات «ثورو» تنمو داخل ضميره قاد امته المستعبدة حتى حققت تحت زعامته اعظم انتصار بانظف وسيلة .

هل عرفتم ذلك الثائر الذى صنعته كلمات ثورو ؟! ..

إنه قديس عصرنا الحديـــث . غاندى !!! ...

وحين نقلب ابصارنا مستعرضين كل ثورات التحرير عبر التاريخ نجد بين ايديها جميعا فكرا باسلا ، وكلمات اشد

لا بأس
ألا يكون لي تاج
ما دام معي قلم ..!

مضاء من السيوف المرهفة ، واهدى فى ظلمات الليالى من كل ضياء !!

والقوى التى هدمت صروح الجبارين وأزاحتهم من طريق الشعوب ـ كانت الكلمة ..

والنور الذى هدى البشرية الى مدارج ارتقائها ، وانتزعها من ظلام التأخر ـ كان الكلمة ..

احمل بيدك ورقة بيضاء ، وسل نفسك: كم تساوى هذه الورقة ؟ .. انها لا تساوى شيئاً .. ومع هذا فان ورقة ضئيلة مثلها خط عليها «اينشتاين» هذه الكلمات (الطاقة ، تساوى الكتلة ، مضروبة فى سرعة الضوء ، ثم مضروبة فى سرعة الضوء مرة أخرى) فاذا بها تغير وجه العالم وتنقله فى لمح البصر الى عصر الذرة والفضـــاء بكل فتوحاتـــه واحتمالاته !! ..

وبعض الكلمات التى يخطها الكاتب لا تقل خطراً عن الكلمة او «المعادلة» التى يضعها الرياضى .

ففى كراسة بيضاء ، تستطيع أن تشتريها بدراهم معدودة ، كتب «روسو» ـ العقد الاجتماعى ـ ، فاجج به الثورة الفرنسية !! .. وكتـــب «تـوم بيـن» ـ الفهم ـ فأجج به حرب الاستقلال الأمريكية !! ..

وكتب «ماركس» ـ رأس المال ـ فأجج به الثورة الشيوعية !! ..

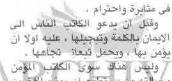
وكتب «تولستوى» ـ الحرب والسلام ـ فاشعل به ثورة الضمير الانسانى فى كل العصور !! ..

● ●

وهنا نصل الى ما للكاتب الحر من منزلة ومكانة .. وهنا نرى الكتاب والمفكرين بحق «أصحاب جلالة» إذا هم احترموا عقولهم ، ووقفوا الى جانب الحقيقة . باحثين عنها ، هادين اليها ، واذا هم فكروا من أجل المصير الانسانى



تولستوى



فى مثابرة واحترام .

وقبل ان يدعو الكاتب الناس الى الايمان بالكلمة وتبجيلها ، عليه أولا ان يؤمن بها ، ويحمل تبعاته تجاهها .

وليس هناك سوى الكاتب المؤمن برسالته من يستطيع ان يمنح الآخرين هذا الايمان .

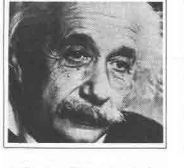
فالكاتب والأديب اللذان يخلصان لفنهما كل الاخلاص هما رعيلنا الوثاب نحو مستقبلنا المأمول .

يقول «ديهاميل» مخاطباً حملة الأقلام: «نحن إذا أردتم نملك العالم بأجمعه . وفى هذا التملك سنجد خلاص أرواحنا .. نحن نملك الآفاً والآفاً من أشياء الحياة .. ونحن نملك نار الفكر التى لا تنطفىء والتى من لهيبها المقدس تنبعث كل حياة جديدة» .

صديقى الكاتب . هل انت حر ، وصادق ، وشجاع ؟؟ اذن فانت صاحب جلالة . وعلى مفرقك يتالق تاج غير منظور .. أنت النور الذى تبصر البشرية طريقها فى ضوئه ، وانت الروح الذى يملأ الحياة رشداً ..

لكن ذلك مرتبط بما تكنه لنفسك ولقلمك من احترام ، وبقدر ما تتحلى به من تواضع يرفض الزهو والغرور ، وبقدر ما تتحرر من إغواء الشهرة وإغراء النجاح .

لطالما كان رواد الكلمة الأحرار



اينشتاين

يحاذرون على موهبتهم من النجاح التجارى الذى يجرف الكاتب بعيداً عن المرفأ الأمن . حتى لقد قال احدهم : «العبودية والانحطاط جزاء وفاق للنجاح والكتاب الذى يروج قبر مذهب للموهبة المتعجلة غير الممتازة» ..

ويحدثنا «ديهاميل» فيقول : «لو غامر احد اولادى يوماً واحترف الأدب ، وسألنى أن انصحه لما قلت له غير هذه العبارة : احذر النجاح !! وسأفكر وانا القى اليه بهذه النصيحة فى النجاح الملتوى المخاتل الذى يثني يوماً بعد يوم من أهداف الكاتب ، ويقص اجنحته حتى يزج بقدميه فى رفق الى مباذل المجد .. سأفكر فى هذا النجاح الذى ينال من الشجاعة الحقيقية برضاب قبلاته السامة .. أجل ـ احذر النجاح . فكل نجاح باب يغلق .. وكل نجاح أمل يكبل .. وكل نجاح مستقبل يقبر .. وكل نجاح عدوت .. أجل ـ احذر النجاح . احذر هجماته ومكايده . واذا رغبت فى النجاح فاحذر ان تكون رغبتك اندفاع السغبان .. واذا احتقرته فاحذر ان يكون فى احتقارك نبرة الحقد .. وفى كلمة واحدة : احذر النجاح» !! ..

ويقـــول «جوركـــي» : «ليس من المستحسن ان يكون للكاتب كثير من

المعجبين ، وكل رجل ذى عمل مع الجمهور عليه أن يطهر الهواء المحيط به بمطهر الحقيقة» .

إن خوف «ديهاميل» من النجاح مرده الى أن النجاح فى كثير من حالاته يكون كما قال ملتوياً ومخاتلاً يثنى من اهداف الكاتب ومبادئه ، ويطوعها للأغراض السافلة والأطماع الباطلة .. ثم إنه كثيراً ما يجرف الكاتب بعيداً عن الأصالة والخلق حين يطرح عن كاهله كل جهد يتطلبه التجويد والاتقان معتمداً على التوقيع الذى سيذيل به عمله الأدبى والذى يحمل اسماً ناجحاً لامعاً .

وهذه «اللامبالاة» لا تلد أعمالا ضحلة وحسب . بل إنها تصيب الموهبة بالهزال.

إن نجاحاً من هذا النوع ــ وكثيراً ما يكون النجاح كذلك ــ لا يكف نباحه وراء الكاتب ، مطالباً إياه بتموين سوقه الرائجة .

والعمل الفنى والأدبى الأصيل لم يكن فى يوم ما سلعة تصنع على عجل وتقدم عند الطلب .. وهذا ما اخاف «ديهاميل» حين قال ما تلونا ، وحين يقول : «إن الأفكار التى يمكن أن تكون مادة لعمل فنى تحتاج دوما الى نضج بطىء . فهى تولد فينا كالنطف ، وتبقى زمناً طويلا بغير حراك . ثم نحس شيئاً فشيئاً انها تتغذى وتاخذ فى التكون ، واخيرا تبدأ الحركة المضنية . ومع هذا يمضى زمان قبل أن يتهيأ الكائن للمجىء الى الضوء .. ولكننا اذا انتظرنا حتى نهاية الحمل فستكون لدينا الفرصة لأن نخرج الى العالم كائنا قابلا للحياة ، كاملا حسن التكوين» ..

● ●

وبعد فاذا كان هناك ناس يعيشون والسروج فوق ظهورهم ، فان الكاتب الحر الصادق الشجاع لن يكون من هؤلاء أبداً .. ليس ذلك فحسب .. بل إن مهمته ورسالته أن يدعو الآخرين الى التمرد على الأغلال ، وإلقاء السروج أرضا ..

واجبه الا يكون بوقا للسلطة ، ولا عبدا للشهرة .

مهمته أن يقف كحارس البرج ليدفع عن الحقيقة كل زيف ، وينادى المأسورين الى الانطلاق .

وعاره الأكبر أن يشترى منصبا او ثروة او جاها بمكانه ككاتب ومفكر ومقاتل باسل فى سبيل الحقيقة والناس .

وكل كاتب ،، إنما يكبر ويعظم بقدر استعداده للتضحية فى سبيل كلمته وقلمه .

وليس هناك أروع من هذا الذى يرفض اشياء كثيرة يسيل لها اللعاب من اجل أن تبقى له حريته وسيادته على فكره ونفسه ..

إن هذا الطراز من الكتاب ، هم الذين أبحروا بالبشرية الى مستقبلها الواعد العظيم .. هم الذين خلدوا قيمة الصدق ، واثبتوا جدارة الانسان بأمسه ويومه وغده .

إن الكاتب الحر لا يحاول أن يوفق بين نفسه والدنيا فى ضعف وخور .. فكثير من الرجال كانوا رجالا ، لأنهم انشقوا على السائد المألوف . ولا شىء فى النهاية يبعث على احترامك مثل نزاهة عقلك ومضاء روحك .

ماذا ينتظر الناس من الكاتب حين يحمل قلمه بيمينه ويتهيأ ليكتب ؟؟

هل ينتظرون منه أن يسليهم أو يجاملهم أو يخدعهم ؟ ..

كلا ــ إنما ينتظرون منه أن يجلو لهم الحقيقة ويساعدهم على رؤيتها .. ينتظرون منه أن يفسر لهم التجربة الانسانية فى بؤسها وعظمتها .. ينتظرون منه أن يسبقهم الى الدروب غير المطروقة حاملا روح الرواد .

ينتظرون منه أن يحررهم من أوهامهم وأن يكون عونا لهم فى مواجهة قراصنة الحياة .

هذه مهمة الكاتب وعمله المقدس .. الكاتب الذى لديه فكر يريد أن يبلغه للناس ، ولديه ايمان وثيق بالكلمة ، وبالانسان ، وبالحياة .. الكاتب الذى تعود أن يحمل قلمه كلما بدا له ، لا كلما طلب منه ..

أولئك يناديهم «بتهوفن» من مكان بعيد :

«ألا فلنفعل كل ما فى وسعنا من أجل الخير والصدق .. ولنحب الحرية فوق كل شىء آخر .. ولنتجنب خيانة الحقيقة ، ولو كان ثمن الخيانة تاجاً وعرشاً» !! ..

خالد محمد خالد

جان جاك روسو



فولتير

ملف كامل لقضية خطيرة

بقلم: فتحي رضوان

لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟

● قصة الجانى الخطير الذى لم نسمع به فى البلاد العربية إلا قليلا ، أو لم يسمع عنه أكثرنا شيئا ● نائب رئيس الوزراء الذى خرج من الوزارة إلى السجن ● قصة القانون الذى ألغى الطربوش وألزم المواطنين بلبس القبعة ● قانون آخر يفرض على شعب اسلامى أن يستخدم الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ● المسلمون الذين يأخذون اجازتهم يوم الأحد بدلا من الجمعة

من الحقائق الاجتماعية التى لا يكاد يثور حولها خلاف ، ان قرار الاتهام الذى يصدره اى مدع عام ، فى قضية جنائية ، يتضمن صورة المجتمع ، او جزءا من صورة هذا المجتمع الذى ينتمى إليه « المدعى والمتهمون » معا فى تلك القضية ، فالجريمة ـ صغرت او كبرت ـ سواء كانت فى مجال الاجرام العادى الذى يصدر من افراد من عامة الناس ، او عن أقوام يتصلون بالحكم والسياسية ويؤثرون فى مجريات الامور العامة ، بالكثير او بالقليل .. الجريمة هذه ، على اى صورة من صورها ، هى « عمل اجتماعى » ، والمجرم هو « ابن المجتمع » ، يحمل فى شخصه ، وفى تصرفاته ، السوية او المنحرفة ، أجزاء او أشياء من البيئة التى نشا فيها ، والعائلة التى خرج منها ، والحى او القرية التى يروح فيها ويغدو ، والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاشة فى موطن المدعى والمتهم على السواء .

ولكن هذه الحقيقة لا تبدو اكثر وضوحا منها فى هذه « الجناية » المقدمة إلى المحكمة العسكرية العليا التى انعقدت فى « انقره » عاصمة الدولة التركية فى اليوم السابع من مايو سنة ١٩٨١ ، وكان « المدعى العسكرى » فى هذه القضية ، هو العميد « نور الدين سوير » ، وقد كان الاتهام فى هذه « الجناية » موجها ضد الدكتور « نجم الدين اربكان » ، ومعه ثلاثة وثلاثون متهما آخرون ، من مختلف المهن والاعمار والدرجات الاجتماعية ، طالبا الحكم عليهم جميعا بمواد القانون الجنائي ، منها المادة ٦٤ فقرة اولى ، والمادة ١٦٣ فقرة ٤ ، والمادة ١٧٣ فقرة ٣ والمادة ٣١١ فقرة اولى وثانية ، ومواد اخرى واردة فى قوانين خاصة مثل قانون الطوارىء .

خمسة عشر جناية

ونحن لا نذكر هذه المواد القانونية لأنها تعنى شيئا لدى القارىء او الكاتب ، فالحقيقة اننا لا نعرف فحوى هذه المواد ولا مضمونها ، ولكننا نذكرها لنبين مدى ما ذهب إليه المدعى العام من التشدد فى تلمس أسباب العقاب على الدكتور « نجم الدين اربكان » واعوانه ، ومن ثم لا يجدر أن تفوتنا الاشارة إلى أن قرار الاتهام الذى نحن بصدده يتهم « الدكتور اربكان » بمخالفته لحكم الفقرة الرابعة من المادة ١٦٣ ست مرات ، كل منها تكون جريمة قائمة بذاتها ، وتحتاج إلى عقاب خاص ، ثم بمخالفة للفقرة الثالثة من المادة ١٧٣ من احد القوانين الخاصة خمس مرات ، ومؤدى هذا كله : ان المتهم الاول فى هذه الجناية ، منسوب إليه ، وهو مقدم للمحكمة العليا انه ارتكب فوق خمس عشرة جناية .

المتهم نجم الدين

فمن هو نجم الدين اربكان ؟

من هو هذا الجانى الخطير الذى لم نسمع عنه فى البلاد العربية إلا قليلا ، او لم يسمع عنه اكثرنا شيئا قط .

إن « الدكتور نجم الدين اربكان » ليس شابا غرا ، غلبته على امره حماسة طائشة ، فدفعت به إلى مقاومة سلطات الامن فى بلاده مروجا دعاية ممنوعة ، او الدعوة إلى افكار مرفوضة ، بل هو رجل تجاوز منتصف العمر .. تلقى العلم العالى فى بلده وفى المانيا ، فحصل على اكبر الدرجات العلمية فى « الكهرباء » وعاد ليعمل استاذا بجامعة



المحاكمة التى لم يلتفت إليها العرب رغم أنها تعتبر محاكمة العصر - ويظهر فى الصورة الزعيم نجم الدين اربكان اثناء محاكمته وعليـــة علامة (X)

« انقرة » ، ثم اختير ليعمل على تنفيذ برنامج تنمية صناعى واقتصادى ، فحقق من النتائج الباهرة ما جعل اسمه على السنة الكثيرين من اهل الراى ، ومعهم عامة الناس الذين تابعوا نشاطه المتدفق ، فى إعجاب عميق . وما لبث ان انتخب للوزارة ، ثم اصبح نائبا لرئيس وزراء بلاده مرتين . فهو إذن رجل مسئول ، اطمانت إليه سلطات تركيا العليا فاسندت إليه اكبر المناصب ، وشهدت له اعماله واقواله وتصريحاته انه يبعث الثقة فى النفوس ، ويبشر بمقدم شخصية سياسية ذات اثر كبير ، يصلح وينصح ويقود .

وقد كان ممكنا ان يتقدم الدكتور « نجم الدين اربكان » لولا انه اقدم على شىء لا تطيقه سلطات تركيا ، ولا حلفاؤها ، منذ اكثر من ستين عاما . ذلك هو التحدث عن الاسلام والشريعة ، والحق ، والله ، والرسول ، والأمة الاسلامية . فهذه كلها محرمات . وقد بالغ « نجم الدين » ، فى تحدى السلطات ، إذ الف ـ كما يقول قرار الاتهام ـ حزبا هو حزب « السلامة القومى » واسمه بالتركية « ملى سلامات » ، إذ أن لفظ ملى فى التركية يساوي « قومى » بالعربية . أما الثلاثة والثلاثون متهما الآخرون ، شركاء « نجم الدين » فى الجريمة ، فهم اعضاء اللجنة المركزية والتنفيذية للحزب ، وفيهم اعضاء فى مجلس الشيوخ التركى ، واعضاء فى مجلس النواب او المجلس الملى .

اركان الجريمة

وقد ان ان نعرف بالضبط ما هى جريرة هؤلاء الجناة .

باختصار شديد فان هؤلاء المتهمين ، بين رئيس وتابع ، قد عقدوا العزم على تاسيس وإدارة حزب هدفه تغيير او تعديل القواعد الأساسية لدولة تركيا ، سواء كانت تلك القواعد سياسية او اجتماعية او تشريعية ، وإقامة حكومة دينية بدلا من الحكومة القائمة ، اى إحلال الحكم الدينى ، محل الحكومة « العلمانية » ، ثم الترويج لتلك الحكومة التى يؤمنون بها ويدعون إليها .

وقد وضع السيد العميد « نور الدين سوير » المدعى العام العسكرى ، قرار اتهامه التاريخى ، فى نحو خمسين صفحة ، وقد اعانه فى تحرير هذه الوثيقة عدد من المحققين ومساعدى المدعى العـــام ، واستنفدوا فى هذا العمل الضخم اكثر من اربعة اشهر ، ولما فرغوا منه واذاعوه ، راى قراء صحف « انقرة » وباقى مدن تركيا ، ان قرار الاتهام ، تتقدمه مقدمة تشرح الاسباب التى تقوم عليها التهمة ، ولاشك ان الاطلاع على هذه المقدمة ، يكشف لنا ما يدور فى راس زعماء وقادة تركيا العسكريين ، قالت المقدمة :

« إن الدولة التركية ـ بشكلها الجديد ـ قد نبتت فكرتها فى عقل وقلب « اتاتورك » وقد كان هذا الشكل هو : الجمهـــورية ، فالجمهورية هى الساق الأولى التى تقوم عليها تركيا الحديثة ، اما السيقان الأخرى ، فهى ثورات اتاتورك السبع » .

الثورات السبع

ومن هنا يتضح ان ابناء تركيا الحديثة لا يؤمنون بأن « اتاتورك » قد قام فى سنة ١٩٢٤ وما بعدها ، بثورة واحدة ، اسقطت خلافة بنى عثمان ، وحررت تركيا من هذه الخلافة التى راها الزعيم التركى عبئا على مواطنيه لن يكونوا قادرين على حمله ، وقيدا فى اقدامهم سيمنعهم من التقدم

لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام ؟

والتنافس مع الدول الحديثة فى ميدان العمل السياسى والتجديد الاقتصادى . فالمواطنون الاتراك يؤمنون بان التغييرات التى ادخلها زعيمهم « اتا تورك » ، والذى احتفلوا سنة ١٩٨٠ بمضي مائة سنة على ميلاده .. هذه التغييرات التى احدثها « اتاتورك » هى « ثورات » عديدة ، لا ثورة واحدة . وقد تم نشر بيان رسمى بعنوان كل ثورة وتاريخ وقوعها ، وهذه الثورات هى :

١ ـ قانون توحيد التعليم فى تركيا بجعله تعليما مدنيا فقط والغاء التعليم الدينى من البلاد ،وذلك فى ٣ مارس ١٩٢٤ . وهذا القانون يندرج تحت رقم ٤٣٠ .

٢ ـ القانون الثانى ـ او الثورة الثانية فى نظر الأتراك ـ هو القانون الذى فرض لبس « القبعة » على المواطنين بدلا من « الطربوش » ، وقد صدر هذا القانون فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ورقمه هو : ٦٧١ .

٣ ـ القانون الثالث هو القانون الذى يقضي بقفل « تكايا الدراويش » وتسريح هؤلاء « الدراويش » ، وقد صدر هذا القانون فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ .

٤ ـ القانون الرابع هو الذى الغى الزواج الشرعى ووجوب تسجيل وثيقة الزواج امام موظف دينى ، وقد جاء هذا النص بتحويل الزواج من صيغته الدينية إلى صيغة مدنية فى المادة ١١٠ من القانون المدنى التركى الحديث وذلك فى ١٧ فبراير سنة ١٩٢٦ .

٥ ـ القانون الخامس هو قانون العدول عن استعمال الحروف الابجدية العربية وإحلال الحروف الأجنبية « اللاتينية » محلها ، وحسب هذا القانون اصبحت اللغة التركية تستخدم الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ، وقد صدر هذا القانون فى اول نوفمبر سنة ١٩٢٨ ، وكان رقم القانون هو ١٣٥٣ .

٦ ـ القانون السادس هو إلغاء الألقاب التركية الموروثة عن الآباء والأجداد وهى « باشا » و « بك » و « افندى » للرجال و « خانوم » للسيدات ، وقد صدر هذا القانون برقم ٢٥٩٠ بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٣٤ .

٧ ـ القانون السابع والاخير هو الذى حرم ارتداء ملابس معينة مثل « الكاكوله » لرجال الدين ، و « الحجاب » للمراة ، وقد صدر هذا القانون فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٣٤ وكان رقمه هو ٢٥٩٦ .

مقاومة وتضحيات

هذه سبعة قوانين ، تمثل عند تركيا الحديثة سبع ثورات ، كل ثورة منها قائمة بذاتها ، ولا يمكن إدخالها جميعا فى نطاق واحد ، لأن لكل واحدة منها اثرا خاصا فى حياة الشعب التركى ، وكان لكل منها رد فعل ومقاومة وتضحيات ، مما دفع الحكومة إلى استخدام القوة وشنق العديد من رجال الدين والدنيا ، ومن الحكام وعامة الناس ، واقتضت هذه القوانين او الثورات السبع شدة وعنفا عن جانب « اتاتورك » الزعيم الذى تصور كل قانون من قوانينها ، وقرر إصداره وتنفيذه ، تحريرا للاتراك ـ فى نظر هذا الزعيم ـ من ربقة الماضى ، واطلاقهم فى مجال الحياة الدولية ، دون ان تثقل خطاهم العمائم الضخمة ، ولا تحجب عنها الرؤية الحسنة البراقع وانواع الحجاب المختلفة ، ونفض اتاتورك بهذه القوانين هذه « المتاحف » التى كانت ترضى فضول السائح الاوروبى حينما يزور تركيا ، كما ترضى ذوق الكاتب الذى يريد ان ينقل لقرائه صورة عن الشرقيين والمسلمين .

فالمدعى العسكرى العام فى تركيا ، راى فى اقوال ونشاط ومطبوعات وخطب وتصريحات الزعيم « نجم الدين اربكان » واعوانه السائرين فى فلكه تدبيرا ضخما ، يريد أن يبتلع البناء الذى اقامه اتاتورك .. تخيله اولا ، ثم رسمه على الورق ، ثم صاغه فى قوانين ، ثم اصبح عنصرا من عناصر الحياة التى يعيشها الأتراك ، وقد جاء الجيش التركى ليحمى ثورات اتاتورك السبع ، ويرد عنها كيد المتامرين ضدها ، فالجيش هو أكثر مؤسسات تركيا الحديثة إيمانا بثورات مؤسس تركيا المعاصرة وهو « مصطفى كمال اتاتورك » .

بطل الأبطال

وقد نص دستور تركيا الصادر فى سنة ١٩٢٤ ، والمعدل فى دستورها فى سنة ١٩٦١ ، على « الجمهورية » و « العلمانية » ، وجعلهما شيئا واحدا لا ينفصل احدهما عن الآخر .

وقد أصبح الاتراك ينظرون إلى « اتاتورك » على انه اكبر واعظم من مجرد بطل قومى ، او زعيم وطنى ، فهو عندهم بطل الأبطال ، وصاحب الصفات الخارقة فى كل مجال .

ولا يهم عند الاتراك ان يرى غيرهم من الشعوب ، او ان يرى علماء فى اوروبا وفى الشرق ان « الجمهورية » و « الثورات السبع » ليست إلا خواء فى خواء . على أن الثابت فى كل الاحوال انه ليس هناك تركى يريد أن يسقط النظام الجمهورى ، حتى تحتاج الدولة إلى حمايته بالقوانين والجيش ووسائل القمع ، ربما تختلف الاحزاب والجماعات السياسية فى جعل الجمهورية التركية : ديمقراطية ليبرالية ، او جمهورية إسلامية ، او غير ذلك من صور النظم السياسية المعاصرة ، اما أن تعمل على تغيير النظام كله فذلك امر غير مطروح بين الجماعات والاحزاب السياسية فى تركيا .

ونعود إلى ثورات اتاتورك السبع لنقول إنها لم تجعل تركيا حديثة على صورة لا يجوز تغييرها ، فان مقتضى التجديد ان تتابع الدولة كل تطور ياتى به الزمان ، وان الجديد الذى طرا منذ قرن او نصف ، لا يمكن ان يبقى جديدا وجديرا بالبقاء على حاله لمجرد أن مصدره محبوب وعظيم ، فان ذلك يمكن أن يتحول إلى سد الطريق أمام التجديد والتطوير الحقيقيين ، لا دعمهما والانتفاع بهما .

والواقع أن هذا ماردت به دوائر المسلمين فى تركيا على ما جاء فى مقدمة الاتهام ضد « نجم الدين اربكان » وجماعته .

العلمانية والدين

وقد ردت الدوائر الاسلامية على تهمة ان « نجم الدين اربكان » واعوانه قد تحدوا





كوبر نيكوس وجاليلو ـ اتهمتهما الكنيسة بالكفر لأنهما قالا إن الشمس مركز الكون...

مبدأ « العلمانية » وخرجوا عليه ، وهو المبدأ الذى فرضه « كمال أتاتورك » ، وجعله إحدى الدعائم التى تقوم عليها الدولة التركية ، ردت الدوائر الاسلامية على هذه التهمة فقالت : إن المدعى العسكرى العام فى أنقره لم يفهم جيداً المعنى المقصـــــــود من « العلمانية » . فالعلمانية هى عكس « الحكم الدينى » بالمفهوم الأوروبى المسيحى خلال عهود « ديوان التفتيش » ، والحكم الدينى فى ذلك العهد القاتم المظلم ، معناه تحكم « البابا والكنيسة » فى كل رأى يقال ، وكل كتاب يصدر ، وكل فكرة تظهر ، فاذا لم يوافق « البابا والكنيسة وديوان التفتيش » على أى نشاط فكرى أو علمى ، تم منعه واعتبر كفرا والقى بالمؤمنين به فى جحيم التعذيب الوحشى ، وأمثـــال « جاليليــــو » و « كوبرنيكوس » اعتبرا كافرين ، لأنهما قالا « إن الشمس مركز الكون » خلافا لما كانت تؤمن به الكنيسة من أن « الأرض » هى مركز الكون ، لأن روما فى الأرض ، ولأن مدينـــة « الفاتيكان » فى روما ـ ومن هنا ثار المفكرون الأحرار ضد هذا الطغيان ورفضوا سيطرة رجال الكنيسة على الأفكار العلميـــة والدراسات الانسانية ، فنشأت نظــرية « العلمانية » التى تقضى باســـتقلال المدارس والجامعات ومعاهد البحـــوث العلمية عن سلطات الكنيسة ، وإخراج النشاط الدينى من أعمـــال الــــدولة واختصاصاتها . على أن العلمانية لا تعنى مطلقا ، لا فى أوروبا ولا فى أى مكان آخر ، تحريم النشاط الدينى ولا تقف فى وجه نشر الدعوة الدينية بالطـرق المشروعة ، أى بالاجتماع والخطابة والكتابة ، فضلا عن ممارسة العقائد والشعائر الدينيـــة فى أبنية وأماكن يملكها المؤمنون بهذه العقائد فى هدوء وسلام ، دون أن يكون لسلطات الأمن أى حق فى التدخل فى اجتماعات ونشاط هؤلاء أو إلحاق أى أذى بهم .

ولكن السلطات العسكرية فى تركيا قلبت الأمر رأسا على عقب ، إذ حرمت على المؤمنين بالاسلام ، وهم أكثر من ٩٩٪ من سكان تركيا ، أن يدعوا إلى دينهم ، وأن يجهروا بايمانهم بعقيدتهم ، واعتبرت هذا العمل المباح بمقتضى دستور تركيا عملا خارجا على القانون ، رغم أن الدستور يحفظ لكل صاحب رأى حقه فى أن يجهر برأيه ويدعو إليه بالطرق المشروعة ، مع أن السلطات العسكرية التركية تعلم أن المساجد تملأ البلاد حتى أصغر قرية فيها ، وأن الملايين تؤمها كل يوم جمعة ، وتؤدى فيها فريضة صلاة الجماعة ، وأن خطباء المساجد يدعون فوق منابرها إلى دين الله الحنيف .

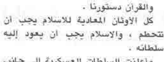
هذا ماقاله رجال الدعوة الاسلامية رداً على اتهامات المدعى العسكرى التركى ضد « أربكان » وجماعته .

ونحسب أنه قد آن الأوان لأن نعرف الأدلة التى ساقها المدعى العام العسكرى فى أنقرة ضد « نجم الدين أربكان » وزملائه ، فان التأمل فى هذه الأدلة يطلعنا على حقائق كثيرة وطريفة عن أسلوب التفكير العسكرى التركى وفهمه لمبادىء الاسلام والدعوة إليه .

اتهامات عجيبة

بادىء ذى بدء يأخذ المدعى العسكرى على المتهمين أنهم رفعوا الشعارات الآتية :

الاسلام هو السبيل الوحيد .
ومحمد هو القائد الأوحد .
والشريعة هى الاسلام .



والقرآن دستورنا .

كل الأوثان المعادية للاسلام يجب أن تتحطم ، والاسلام يجب أن يعود إليه سلطانه .

وأعلنت السلطات العسكرية إلى جانب ذلك غضبها العنيف على استعمال المصطلحات الاسلامية مثل : لفظ « الحق » تعبيراً عن : الله والصواب والحقيقة ، ولفظ « الباطل » تعبيراً عما يضاد الحق ، أى الزائف وغير الصحيح .

ويقول « نجم الدين أربكان » :

« إن السلطات العسكرية تجهـل أن لفظ « الحق » ورد فى القرآن ٢٢٧ مرة ، وأن لفظ الباطل ورد فى ٢٤ موضعاً من سور القرآن .

كذلك قام اعتراض العسكريين على مصطلحات « الجهاد » و « التبليغ » بدعوى أن هذه الألفاظ لا تروج ولا تستعمل إلا بقصد تحويل تركيا إلى دولة دينية اسلامية

ويتساءل المتهمون : ما الذى يحول بينهم وبين تحويل تركيا إلى دولة اسلاميـــة ما دامت الوسائل التى يستخدمونها هى وسائل مشروعة يقرها القانون ، بل يقرها الدستور الذى لا يحرم سوى تغيير صـــفة « الجمهورية » عن الحكومة التركية ، أما الصفة غير الدينية التى تنص عليها المادة « ٢ » من الدستور ، فانها تدخل فى نطاق التغيير الدستورى إذا ما تم العمل على ذلك بوسائله المشروعة والقانونية ، وإذا لم يكن مسموحا به فان تركيا تفقد خصائص حكومتها « الديمقراطيـــــة » وهى الديمقراطية التى يتباهى بها أتبـــــاع « أتاتورك » وتلاميذه وحواريوه .

الفكر الدينى والأحزاب

ويستمر الاتهام فى تقديم الأدلة ضـد « نجم الدين أربكان » وجماعته ، فيقـول :

إن الرغبة المتأججة لبعض الجماعات المعروفة لدى سلطات الدولة فى تغيير أصول حكم الدولة التركية السياسـية والاجتماعية وتحويلها إلى دولة اسلامية ، هذه الرغبة المتأججة ، لم تهدأ قط وقد سعت تنظيمات مختلفة لتحقيق هذا الهدف كما جرت مؤامرات عديدة للوصول الى الغاية ذاتها . وقد أرادت هذه الجماعات الانتفاع من المزايا التى تتمتع بها الأحزاب فى ظل الدستور ، فألبسوا جماعاتهم الدينية

لماذا يضعون الإسلام في قفص الاتهام؟

ثوب الاحزاب ،وتزيوا بزيها ، من ذلك حزب « النظام الملى » ، اى القومى ، الذى سبق تجريمه سنة ١٩٧٢ بمقتضى حكم صادر من المحكمة الدستورية وقد صرح « اربكان » زعيم هذا الحزب المحظور فى اجتماع عقده فى السابع عشر من سبتمبر ١٩٧٠ ، بانه سوف يشكل حزبا ، مراعاة لمقتضيات الاحوال القانونية ، ولكنه هو واعوانه ليسوا فى الواقع رجال احزاب ، بل إنهم ـ كما يسمون انفسهم ـ اتباع « الحق » اى اتباع « الله » ، وهذا كلام صريح الدلالة فى انهم يريدون التستر وراء مظهر « الحزب » ، والانتفاع بالحقوق الدستورية الممنوحة للأحزاب السياسية ، ليتيسر لهم ان ينظموا انفسهم فى طول البلاد وعرضها ، وليصلوا إلى اسماع الجماهير ، وليؤثروا عليها . والحق ان الجماعات الاخرى التى قلدت « اربكان » لم تنجح نجاحه ، فلم يتسللوا إلى الشعب ، ولم يظفروا بثقته .

ولكن عددا غير قليل من المواطنين تاثروا بهذه الدعوة الدينية ، وتكونت قوة لا باس بها حول هذه الفكرة ، فكرة ان الشريعة الاسلامية ، يمكن ان تطبق فى البلاد ، بل ويجب ان تطبق على جميع فروع الحياة الوطنية ، كما ان حظر هذا الاتجاه من جانب المحكمة الدستورية لم يوقف النشاط فى هذا المجال ، كذلك فان القوى التى تجمعت حول حزب « اربكان » لم تتبدد ، بل تمت المحافظة عليها ، بفضل منشورات ومطبوعات متعددة ومتنوعة ، بل إن بعض أعضاء الحزب المحظور ، قاموا بتاليف حزب جديد ، وانضم إليهم العديد من اعضاء الحزب السابق .

ولقد اثبتت الأحداث التى وقعت فى الفترة ما بين منتصف سنة ١٩٧٧ حتى ديسمبر سنة ١٩٨٠ ان زعمــاء حــزب « النظام الملى » « م . س . ح » مع اشخاص اخرين يعملون لنفس الهدف مثل « احمد توجور » قد الفوا جماعة تسعى لهذه الغاية ، متحدين القانون فى مادته ١٦٣ والتى تحرم التنظيمات غير المسموح بها ، كما انهم حاولوا الاختفاء تحت اسم جماعات مصرح بها ، وذلك بهدف القيام بعمل غير مشروع وهو قلب اساس الدولة إلى دولة إسلامية .

ويعترف المدعى العسكرى فى هذا الموضع من قراره ، ان عددا من المواطنين اكثرهم من الشباب قد تاثروا بدعوة هذه الجماعة ، وتورطوا فى اعمالها ، وقد عقدوا اجتماعات تحت اكثر من ستار .

الاسلام هو السبيل

وتوالت اجتماعات هؤلاء الدعاة ، من ذلك اجتماع تم عقــده فى ٢٩ مايو سنة ١٩٨٠ فى «قونية» ، وهى إحدى مدن تركيا القديمة ، وكان قد سبق عقد اجتماع مماثل فى مدينة «يوزجات» فى ٢٩ مايو سنة ١٩٧٩ ، وفى هذين الاجتماعين هتفت الجمــاهير بشعارات مثل «لتسقط الدولة غير الدينية» و «الدولة الاسلامية لابد منها» و «الاسلام هو سبيلنا الوحيد» و «الشريعة هى الاسلام والدستور هو الحق » وقــد رفعوا اعلاما كتبوا عليها «من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » «لقــد جاء الحق وزهق الباطل» و «جهادنا صراع بين الحــق والباطل» ، وقد وقع كل هذا امام «اربكان» واعوانه ، ومن بين الشعارات التى ترددت ايضا : «محمد صلــى الله عليه وسلم هو قائدنا الاوحد» و «الوثن سوف يسقط والاسلام سوف ينتصر» .

ويقول المدعى العام العسكرى : إن «الوثن» او «الصنم» هنا مقصــود به «اتاتورك» لأن المتهمين يعتبرون اتاتورك وما نادى به من مبادىء عائقــا فى وجه الدولة الاسلامية .

ويواصل المدعى العسكرى اتهاماته «لاربكان» وجماعته فيقول :

لقد تم تشكيل جماعتيــن للشباب ، إحداهما تحت اسم «اكين سيلار» والثانية تحت اسم «اك جش » ، وقد تشكلت الجماعة الثانية بعد ان بطل وجود الاولى بمقتضى نص فى قانون الطوارىء ، ولاشك ـ عند المدعى ـ أن هاتين الجماعتين وحزب «اربكان» علــى تعاون وثيق للوصول الى الهدف النهائى ، هدف اقامة دولة إسلامية فى تركيا ، وشباب هاتين الجماعتيــن يبدى اعجابا وتقديرا عظيمين «لاربكان» وقد اثبتت اجراءات التفتيش التى جرت لمقر هاتين الجماعتين حقيقة أن حزب النظام يزودهما بالمعونات المالية ، وكان من بين المضبوطات منشور بعنوان «منظمة الشباب الاسلامى فى اوروبا» ، وجاء فى هذا المنشور : هذه المنظمة تقوم أساسا على الاعتقــاد الدينى ، وانها تقيم معارضة ضد اضطهاد الحكومة للدين ، وتعبر فى الوقت نفسه عــن حنين الشباب واشواقهم نحو دولة تقــام على اصول الدين .

التقدم والتخلف

وقد دافع بعض المتهميــن عن انفسهم بقولهم إنهم حضروا اجتماعات دعوا اليها كضيوف وخطبوا فيها كمدعوين لا كمنظميــن ، ولكن المدعى العام العسكرى يكذب هذا الدفاع ويقول : إن احد كبار المتهمين افتتح احد المؤتمرات فــى سنة ١٩٧٧ بخطبة قال فيها :

«ليبارككم الله لجهودكــم النبيلة ، وليكتب لكم النجاح ، وإنى اود ان اقدم لكــم تحياتى بمناسبة راس السنة الهجرية ، ونحــن اذ نطيع الله ورسوله ، نقيم اعظم الحضارات ولكن مانكاد نعصى الله حتى نتخلف ، لقد حاربنا فى الحرب العالمية الأولى فى سبع جبهات وكانت النتيجة ان الوطن احتل ، وقد بدا شــعبنا العظيم يقاتل لينقذ الاناضول نزولا على أمر الله ورســوله ، ولم يكن هذا القتال من اجل ان نخرج ابطالا بل لتعلو كلمة الاسلام ، ولكــن ماحدث بعد ذلك النصر هــو الطمع المتاجج الذى فرض علينا ثورات لاعلاقة لهــا بقضيتنا النبيلة .

ولكن مهمــا قالوا فان الشريعة لاتزال هى سبيلنا الوحيد لتصبح أمــة يحترمها الناس ، ولتصبح دولتنا قائدة ، ودولة حضارة ، تحق الحق . ثم اشار «يازجان» بعد ذلك إلى «هؤلاء الذين يسيرون فى غيــر سبيلنا ، وعليهم ان يتبعوا طريقنــا والدعوة لايمكن ان تتحقق بالعنف والقتل ، واول ما يجب

علينا هـو ان نقوم «بالتبليغ» ، ولكنهـم إن أصروا على الرفض وطلبـوا القتال فانه يحق لكـم ان تقاتلوا حينئذ دفاعا عن انفسكم»

قوانين منقولة

وقد القى «اربكان» خطابـا فى الحجاج الاتراك فى مكة سنـة ١٩٧٧ فتلا بعض ايات القران فى بدايـة خطابه ثم قال :
«إن الله قد أرسل رسوله صلـى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، ليظهـره على الدين كله»
ثم قال :
«علينا ان نتامل موقفنا كمسلمين اتراك ، ونتساءل : انحن فى طـاعة الله أم فى معصيته ، وهل تحكمنـا احكام الاسلام ، وايات القران ، ام يحكمنـا شىء اخر ، إن قوانيننا ليست سوى ترجمة للقوانيـن الغربية ، فالقانون المدنى منقول عن سويسرا ، والقانون الجنائى عن ايطاليا ، وببساطة نحن نحكم طبقا لقوانيـن المسيحيين واليهود ، وبالتالى فان احـكام القران لاتحكمنا . ورسالتنـا هى ان نعيد سيادة القران ، وهذا يقتضى جهاداً» ، وقد صرح «اربكان» يوما فقـال :
«إن طريقنا واضح ونحن ننشىء كتاتيب فى كل قرية ، ومـدرسة فى كل مدينة ، وسنعيد فتح مسجد «ابا صوفيا» الـذى جعله السلطان محمد الفاتح مسجداً بعد ان كان كنيسة ، ومهمـا فعـل الاخرون فان ما نريد سوف يتحقق» .
وفى اجتماع تم عقده فى ١٩ من مايو سنة ١٩٧٨ فى مدينة «قونية» خطـب «اربكان» فردد نفس المعانى .
وفى اجتمـاع عقد للاحتفال بذكرى فتح استانبول على يد السلطان محمد الفاتـح ، وزعت رسالة جاء فيها :
بدلا من الاحتفال بايام مجيدة اخـرى ، كان يجب الاحتفال بيوم الفتح باعتبـاره «يوم الشباب» ـ ويقول المدعى العسكـرى : إن هذه العبارة يقصد منها الحط من اهمية يوم ١٩ مايو ١٩١٩ الذى وصل فيه اتاتورك الى مـدينة «ساسون» التى كانت بداية حرب التحرير .

الجمعة بدلا من الأحد

وفى اجتماع عقد تحت اشراف المـؤتمر العام لشباب المسلمين قـال «اوجلو» ، احد الزعماء الاسلاميين : « إن ثورات اتاتورك قطعت تركيا عن ماضيها ، والاصلاحات التى قام بها أضرت بالقيم الروحيـة للشعب وعقب التوقيع على معاهدة لـوزان بين تركيا والحلفاء «انجلترا وفرنسا وايطاليا» ، مع الملحقات السرية لهذه المعاهدة ، الغيت الخلافة ، واصبح المسلمـون بلا قائد ، وحلت الحروف اللاتينية التـى لاتلائم اللغة التركية محل الحروف العربية ، والقوانين العثمانية القائمة على الشريعة حلت محلها القوانيـن الغربية التى لاتحقق احتياجات الشعب ، وبعـد ذلك اصبحت الدولة «لادينية»وهو حدث لانظير لـه فى التاريخ ، وقد كان لهذه المواقـف «الاتاتوركية» رد فعل عنيف عند الشعب ، انتهى بشنق الكثيرين» .

وفى ١٥ من اكتوبر سنة ١٩٧٨ ، علـق أعضاء حزب «اربكان» شعاراتهم المعروفـة على تمثال «اتاتورك» نفسـه ، والحقوا بالتمثال الاذى ، وهذا يكشف بجلاء شعورهم نحو الجمهورية وعداءهـم ضد مؤسسها .

وقال «اربكان» : إنه حينما كان مشتركا فى الحكم ، كان حكام الاقاليم يؤدون الصلاة خمس مرات في اليوم كمـا يامر الله ، ولكن هذا انتهـى حينما ترك الوزارة .

ويقول المدعى العسكرى إن اعمـال المتهمين ، عملا بعد عمل ، وخطبهم الواحـدة وراء الأخرى ، تكشف عن نوايـاهم بجلاء ، وهـو العمل على إقامة الدولة الاسلامية ، او دولـة الشريعة .

وفى اجتماع مغلـق قال «اربكان» :
«إنى اشكر الله واحمده ، إن حزب السلامة قدم اقتراحا بجعل يـوم «الجمعة» يوم العطلة الأسبوعية بدلا من يـوم «الأحد» ولكن حزب الشعب الجمهـورى ، وحزب العدالة رفضا ذلك الاقتراح لأنهمـا لايهتمان بالديـن . وتوثيق الزواج لايتم علـى ايدى رجال الدين لان الدين لم يعـد «مهما» ، ولكنى ادعو الله ان تتـم دعوة سريعة الى عقيدتنا السليمة ، فـان الله قد ارانا الحق من الباطل» .

ويقول المدعى العسكرى : إنـه قد تم ضبط مسودة خطاب ارسله شاب لأبيه : إن نظام التربية فى المـدارس يبعث فى القلوب حب اتاتورك واحترامه وليس حب الله ، وإن جميع القوانين غريبة عنا ، ولا يعلموننـا العربية لانهم يودون أن يقطعوا الصلة بيننا وبين سائر العالم الاسلامى .

الماسونية والصهيونية

وقد علق اربكان على جانب من تاريـخ تركيا السياسى الحديث فقال :
«إن الحركـة الماسونية سعت سعيا شديداً لعزل السلطان عبد الحميد ونجحـت فى سعيها وإن اول محفـل فتح فى تركيا كان على يد «أميل كورسـو» وهـو صهيونى ، وقد انضم اليه ضباط منطقة سـالونيكا ، وكان من بين هؤلاء الضباط كمـال اتاتورك ، فالحركة الكمالية كان من ورائها الصهيونية»
وتلك كلمـات «اربكان» عن تاريخ بـلاده ، وذلك رأيه الصريـح المعلـن أمام شعبه فى هذا التاريخ .
ولعل هذا كله يرينا كيف ان الحركة الاسلامية فى تركيا قد بلغـت من القوة والاتساع والعمق ، ما يدعـونا الى متابعة ما يجرى هناك ، وفهـم دلائله العظيمة وإرهاصاته الكبيرة ...

فتحى رضـــوان

بقلم : عصـــام شــريـح

لبنـان في انتظار الرئيس السابع..

وفقا للدستور اللبناني ، يتوجب اجراء الانتخابات الرئاسية فى لبنان خلال الفترة الواقعة ما بين الثالث والعشرين من تموز (يوليو) والثالث عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٨٢ . ومدة الرئاسة كما ينص على ذلك الدستور ست سنوات . وقد شارفت ولاية الرئيس الحالي الياس سركيس على نهايتها ، فيما بدا الطامحون إلى منصب الرئاسة يستعدون لخوض معركتها ، والجدير بالذكر ان مجلس النواب اللبناني (البرلمان) هو الذى يقوم بعملية انتخاب الرئيس سواء من بين اعضائه أو من السياسيين من خارج مجلس النواب ، ولا يجوز للرئيس خوض الانتخابات الرئاسية لفترة ثانية على التوالى ، غير أن بالامكان استصدار تعديل دستورى بهذا الشأن من مجلس النواب .

وقد نال لبنان استقلاله من فرنسا فى عام ١٩٤٣ ، وفى ٢١ أيلول منه انتخب المجلس النيابي أول رئيس للبنان فى عهد الاستقلال ، وهو الشيخ بشاره الخوري ، اما أول رئيس للوزارة فى فجر الاستقلال فهو السيد رياض الصلح . وقد تعاقب على منصب الرئاسة فى العهد الاستقلالي حتى الآن كل من الرؤساء بشارة الخوري ، وكميل شمعون ، واللواء فؤاد شهاب ، وشارل حلو ، وسليمان فرنجية ، واخيرا الياس سركيس . ويبدو ان انتخاب رئيس جديد يخلف الرئيس سركيس هو عملية معقدة جدا ، نظرا للازمة التى تعصف بلبنان منذ اندلاع الحرب الأهلية فيه فى عام ١٩٧٥ ، التى تعود فى جذورها إلى ما يسمى بـ « الميثاق الوطني اللبناني » الذى شاءه واضعوه ان يكون تسوية طائفية بعد رحيل الفرنسيين عن لبنان . ولان « الميثاق الوطني » هذا يشكل لب وجوهر الازمة اللبنانية المستعصية كان البحث التالى عن « الميثاق الوطني اللبناني » .

ليس هناك شك فى أن الحرب الدائرة فى لبنان منذ عام ١٩٧٥ ، والتى لا يستطيع احد التكهن بنهايتها ، إنما تعود الى جملة اسباب وعوامل داخلية وخارجية ، وكان فى طليعة الأسباب الخارجية سياسات اسرائيل والولايات المتحدة ، الهادفة الى اشعال حرب طائفية فى لبنان ، على امل نقل هذا اللون من الحرب الى بقية الدول العربية وبالتالى اشغال العرب بحروب استنزاف ذاتى فى الداخل والهائهم عن التصدى للكيان الصهيونى الاخذ فى التمدد كالسرطان فى الأرض العربية ، وعن سياسة النهب الاستعمارى لثرواتهم . لكن العامل الخارجى ، ليس هو فى الواقع السبب المباشر للحرب ، بقدر ما هو العامل الداخلى والعامل الخارجى فى الحرب اللبنانية ، إنما جاء نتيجة للعامل الداخلى .

ذلك انه بعد اثنين وثلاثين عامـــا من التعايش المشترك ، بين المســــلمين والمسيحيين فى لبنان ، انفرط عقـــد ذلك التعايش فجاة ، وانهارت صيغته المسماه « الميثاق الوطنى » ، ورفع ابناء الطوائف الاسلامية صوتهم عاليا ، رافضين تلك الصيغة ، ومطالبين ببناء صيغة جديدة ، تنهى عهد الهيمنة المسيحية على الدولة اللبنانية ، بل عهد هيمنة الطائفة المارونية المسيحية بوجه خاص . تلك الهيمنة التى فرضتها صيغة الوفاق الوطنى غير المتوازن فى عام ١٩٤٣ ، ويقترحون قيـــام دولـــة علمانية ديمقراطية .

اما الفريق الثانى ـ اى المسيحيون ـ فانهم يرفضون بدورهم العودة الى « الميثاق الوطنى » ويطالبون بدلا من ذلك بدولـــة فيدرالية او كونفدرالية ، تقـــوم على اللامركزية السياسية والادارية ، وعلى التعددية الثقافية . والمهم أن الجميع باتوا متفقين حول فشل صيغة التعايش التى وضعت فى عام ١٩٤٣ ، عشية رحيـــل المستعمرين الفرنسيين عن البلاد ، وبدء عهد الاستقلال . والجميع يطرحون الآن صيغا مختلفة لاعادة اللحمة بين ابناء المجتمع اللبنانى (الفسيفسائى) .

ما هو الميثاق الوطنى ..؟

عندما شعر المسيحيون فى لبنان ، أن فرنسا تفكر فى انهاء استعمارها لكل من سوريا ولبنان ، والرحيل نهائيا عن البـــلاد ، بداوا يسيرون فى تظاهرات حاشدة ، كانوا يندون خلالها بالعروبة ، ويظهرون تعلقا غريبا بفرنسا .

اما المسلمون ، فكانت تظاهراتهم المعاكسة ترفع شعار الوحدة العربية ، وخاصة وحدة لبنان مع سوريا .

وفى هذا الوقت برزت الدعـــوة إلى

نظرة جديدة إلى الميثاق الوطني



بشارة الخوري





كميل شمعون



فؤاد شهاب



شارل حلو



سليمان فرنجية



الياس سركيس

« الفينقة » ـ اى كون اللبنانيين غير عرب وانما يتحدرون من الفينيقيين القدماء ـ كرد على مشروع قيام اتحاد فدرالى عربى يدخله لبنان على قدم المساواة مع الدول العربية الاخرى .

وكان حزب الكتائب الذى ظهر فى عام ١٩٣٦ ، احد الأطراف المسيحية التى تبنت هذه الهرطقة « الوطنية » وعندما اصبحت « الفينقة » تيارا عاما بين المسيحيين ، برزت الدعوة الى « القومية اللبنانية » لمواجهة القومية العربية ، وكانت البعثات التبشيرية المسيحية الاجنبية والفرنسية بوجه خاص وراء قيام وبروز هذه الهرطقة .

لكن بالرغم من هذا الانشقاق الخطير فى هيكل المجتمع اللبنانى ، فان الاتفاق على صيغة للتعايش والتفاهم المشترك لم يتم فعليا قبل حلول عام ١٩٤٣ .

ولادة الميثاق الوطنى

ساهمت احداث محلية واقليمية ودولية فى عام ١٩٤٣ ، على بلوغ مرحلة الاستقلال عن فرنسا ، وكان اهم تلك الأحداث الهبة الوطنية الواحدة التى قابل بها اللبنانيون اعتقال السلطات الاستعمارية الفرنسية للقادة الوطنيين ، وابرزهم رياض الصلح وبشارة الخورى . اما اهم الأحداث الاقليمية التى ساهمت فى صنع استقلال لبنان ، فقد تمثلت كون سوريا « الطرف الثالث » فى صياغة الميثاق الوطنى ، والتوفيق بين المسلمين والمسيحيين . فالزعماء الوطنيون السوريون هم الذين «اقنعوا» العروبيين الوحدويين فى لبنان ، وعلى راسهم رياض الصلح وعبد الحميد كرامى ، بالاقلاع عن مطالبتهم بالوحدة السورية والقبول بكيان لبنانى منفتح على العرب والعروبة .

اما الحدث الدولى المهم الذى ساهم هو الآخر فى انجاز استقلال لبنان ، فهو الصراع الدولى انذاك بين فرنسا وبريطانيا إذ كان البريطانيون يشجعون «الوطنيين» فى سوريا ولبنان على التخلص من الفرنسيين ، املا فى نشر النفوذ البريطانى فى البلدين فى مرحلة الاستقلال .



بنود الميثاق

المهم أن البنود تبلورت على قاعدة صريحة بين المسلمين والمسيحيين ، هى قاعدة الاستقلال عن فرنسا ، وقد جاءت الانتخابات العامة التى جرت فى عام ١٩٤٢ لتكرس نجاح اللوائح الانتخابية التى تضم الوطنيين المؤيدين للاستقلال ، ولتحجم المنادين بعقد معاهدة «ابدية» مع فرنسا بعد خروجها من لبنان ، باعتبارها « الام الرءوم » للموارنة فى لبنان .

هناك من يقول ان البيان الوزارى الذى القاه رياض الصلح فى ٧ تشرين الاول ١٩٤٣ أمام مجلس النواب (البرلمان) هو بعينه « الميثاق الوطنى » او انه على الاقل يتضمن اهم بنود الميثاق وخطوطه السياسية العريضة .

اما اهم مبادىء البيان الوزارى هذا فهى

اولا : الاستقلال التام والسيادة الكاملة :

فقد جاء فى البيان الوزارى لرياض الصلح : « ان هذا الاستقلال نريده حقيقيا ، وتلك السيادة نريدها كاملة ، بحيث نتمكن من تقرير مصيرنا كما نشاء وكما تقتضيه مصلحتنا الوطنية ، باستثناء اى مصلحة اخرى » .

ولتحقيق هذا الاستقلال ، اقترح البيان تعديل الدستور ، الذى يتضمن مواد تتعارض مع بناء الاستقلال ، ونصوصا تعترف لغير الشعب اللبنانى وممثليه بحق ادارة الحكم .. » .. ولذلك فان الحكومة ستطلب فورا بادخال التعديلات اللازمة حتى يصبح الدستور دستور دولة كاملة الاستقلال » .

ثانيا : وجه لبنان العربي ، وأولوية التعاون مع الدول العربية :

جاء في بيان الصلح أيضا : « ان موقع لبنان الجغرافي ، ولغة شعبه وثقافته ، وتاريخه وأوضاعه الاقتصادية ، تحتم عليه وضع علاقاته بالدول العربية الشقيقة في مقدمة اهتماماته » .

إلا ان ما يجدر ذكره هنا ، ان البيان ، باعتباره موقفا رسميا ، اتخذ في ظروف سياسية معينة ، وبنوع خاص بما يتعلق بتعديل الدستور اللبناني ضد ارادة السلطة الاستعمارية الفرنسية ، فان بيان رياض الصلح الوزاري ، لم يتضمن ، جميع النقاط التي اتفق عليها بشارة الخوري ورياض الصلح ، ولا الاسس التي رمى اليها او الاطار الدستوري الذي سيمارس فيه .

ومع الاعتراف بتقصير البيان عن التعبير عن مبادىء « الميثاق الوطني » فانه دون شك يشكل مؤشرا أساسيا لمضمون الميثاق .

أما أهداف « الميثاق الوطني » ، كما حددها بشارة الخوري ونقلها يوسف يزبك فهي :

● استقلال لبنان التام والحقيقي بالنسبة لكل الدول الغربية .
● استقلال لبنان التام والحقيقي بالنسبة لكل الدول العربية .
● لا وصاية ولا حماية ولا امتياز ، ولا افضلية بالنسبة لأية دولة .
● التعاون الى اقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة .
● الصداقة مع كل الدول الأجنبية التي تعترف باستقلال لبنان وتحترمه .

لكن قد يكون من المبالغة أو الخطأ اعتبار المبادىء المتقدمة هي التعبير الأوفى عن الميثاق ، تماما كما أنه من المبالغة والخطأ اعتبار البيان الوزاري لأول حكومة في عهد الاستقلال تعبيرا شاملا ووافيا عن مبادىء الميثاق .

فجميع الذين تحدثوا عن « الميثاق الوطني » كانوا متفقين على التأكيد بأن الهدف الرئيسي منه ، كان إيجاد صيغة وطنية ـ سياسية ، قابلة لاقناع جميع اللبنانيين باجتياز الخطوة الأخيرة التي تفصلهم عن الاستقلال التام والسيادة الكاملة .

وكانت الفكرة الرئيسية في الميثاق عند هؤلاء الباحثين السياسيين تتمثل في « تخلي المسيحيين عن فكرة الحماية الأجنبية ، في مقابل تخلي المسلمين عن فكرة الاتحاد مع سوريا » . ويقول صائب سلام (رئيس وزراء سابق) : « إن المهم في هذا الاتفاق ، هو ان الفريق الأول ، المؤلف من ابناء جبل لبنان (الموارنة) والمسيحيين بوجه عام ، تخلى عن حماية فرنسا واقتنع بسلامته في إطار بلد مستقل وحر ، وفي إطار كيان وطني يعترف به جميع ابنائه وجيرانه وان الفريق الثاني المؤلف من اكثرية المسلمين وابناء « ولايتي » بيروت ودمشق في السابق ، يتخلى عن موقفه السلبي من الكيان اللبناني ، ومطالبته بالاتحاد مع سوريا ، ويعترف بلبنان كموطن عربي مستقل » .

اما إميل البستاني ، فقد شرح في دراسة نشرها في عام ١٩٥٨ موقف المسلمين والمسيحيين قبيل اتفاقهم في عام ١٩٤٣ على فكرة التعايش المشترك ، فيقول : كان فريق من اللبنانيين يرى « استقلاله » مهددا من الداخل السوري ، ومن العرب بوجه عام ، والمتطرفون في هذا الفريق ينادون بوطن قومي مسيحي تحت حماية اجنبية (يقصد الموارنة) اما المعتدلون فكانوا يعتقدون ان لبنان يجب أن ينفرد بوضع خاص في المحيط العربي ، وان يتعاون مع الدول الأوروبية ليدافع عن كيانه .

اما الفريق الثاني (المسلمون) فكان يطالب بالوحدة مع سوريا أو بالمحيط العربي أو باعادة بعض المناطق لسوريا مدفوعا بعقيدته القومية ، إلا أن الزعماء المعتدلين في هذا الطريق مالبثوا أن ادركوا ان قيام وطن قومي مسيحي بحماية الدول الأجنبية ، يشكل خطرا على الدول العربية المجاورة له ... ومن أجل المحافظة على مصلحة اللبنانيين والعرب مجتمعين ،

يقول إميل البستاني إن الفريق المسيحي تخلى عن مشاريعه الانعزالية ، وعن فكرة الحماية الأجنبية وقبل بالتعاون مع الدول العربية مقابل أن يتنازل الفريق الثاني (الاسلامي العروبي) عن مطالبته بضم لبنان أو أجزاء منه الى كيان عربي وحدوي أكبر .

فالمسيحيون ، بتخليهم عن فكرة الحماية الأجنبية ، تبنوا فكرة عروبة لبنان (في حدود لفظية) ، والمسلمون ، بتخليهم عن فكرة ضم لبنان لكيان عربي أو سوري ، اعتبروا لبنان في حدوده الراهنة وطنا نهائيا لهم .

اما المبدأ الثاني في الميثاق ، فهو اعتراف الدول العربية بكيان لبنان واحترامها لسيادته ، وقد اقتضى هذا المبدأ انفتاح لبنان على العالم العربي ، وتعاونه مع الدول العربية الشقيقة ، لما في ذلك من « مصلحة مشتركة » .

لكن المبدأ الآخر الاهم في بنود « الميثاق الوطني » اللبناني هو الاتفاق بين رياض الصلح وبشارة الخوري ، على مسألة توزيع مراكز السلطة بين الطوائف .

والواضح ـ برغم الاجتهادات المختلفة حول هذا المبدأ ـ ان الميثاق كرس توزيع مراكز السلطة بشكل غير متوازن ، بحيث ضمن هيمنة مسيحية واضحة ، فقد اعطيت رئاسة الجمهورية للموارنة ، ورئاسة الحكومة للسنة ، ورئاسة المجلس النيابي (البرلمان) للشيعة ، وقد اعترف للطائفة المارونية بأنها الأكثر تعدادا بين الطوائف ، وهو ما تنفيه الوقائع الديمغرافية الحالية في لبنان ، حيث لم يسمح الموارنة باجراء أي احصاء للطوائف منذ عصر الاستعمار الفرنسي . وقد اسندت قيادة الجيش ومازال حتى هذه اللحظة الى الموارنة ، وبذلك قبض الموارنة على أهم سلطتين في الدولة .

اما بالنسبة لتوزيع مقاعد مجلس النواب ، فان الميثاق ضمن للمسيحيين نسبة من المقاعد تساوي ستة نواب لقاء خمسة نواب للمسلمين ، أي ان النسبة تساوي ٦/٥ ، وهذه النسبة تظهر تفوق المسيحيين في البرلمان ايضا وبذلك تكون جميع القرارات التنفيذية او الاشتراكية بيد المسيحيين عامة والموارنة منهم بصورة خاصة .

وفي الواقع يمكن القول ، كما يذكر الدكتور انيس صايغ في كتابه « لبنان الطائفي » . ان « الميثاق الوطني » « لم يضع اسس النظام الطائفي في لبنان ، ولكنه جمل وهندس واجهة لبنان الطائفية » « فالنظام الطائفي تكرس ، ضمنا في عام ١٩٤٣ ، فعلى الصعيد الداخلي ، تكرست الطائفية بالابقاء على دستور ١٩٢٦ ، وبتعزيز

ممارستها على مستوى الادارة والحياة العامة .

اهتزاز قواعد الميثاق

لقد عاش اللبنانيون على القواعد والمبادىء المتقدمة الواردة فى الميثاق الوطنى ، على مضض ، حيث كان فريق من المسلمين والمسيحيين يحتفظ بارائه ومعتقداته الخاصة حول طبيعة الكيان اللبنانى .

وقد جاءت الهيمنة المارونية على الدولة من خلال رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش والنسبة المتفوقة للنواب المسيحيين فى البرلمان ، لتوسع الهوة بين المسلمين والمسيحيين ، ولتزعزع قواعد الميثاق ومبادئه ، ولتظهر ان التعايش المشترك انما كان مجرد وهم كبير .

ففى عام ١٩٥٨ ، انفجرت ثورة لبنان ، كان شعارها المعلن الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة (التى كانت تضم مصر وسوريا) ، وكان دافعها الاساسى شعور المسلمين بالغبن والظلم فى دولة يشكلون فيها اكثرية مطلقة بالنسبة لمجموع الطوائف المسيحية .

وعندما وضعت الثورة سلاحها ، وجاء قائد الجيش انذاك اللواء فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية ، حاول شهاب سد الثغرات ، واقامة توازن فى الامتيازات والسلطات بين المسيحيين والمسلمين ، وكان شعاره فى ذلك تحقيق العدالة الاجتماعية ، والانماء الاقتصادى ، معطوفين على التوازن الطائفى والنظام الديمقراطى البرلمانى ، ومحاطين بالتعاون الوثيق بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة .

لكن فى عهد الرئيس شارل حلو ، الغيت قواعد السياسة « الشهابية » التى تضايق منها المسيحيون اشد الضيق ، حتى ان بعض الفئات كانت تنعت فؤاد شهاب بانه اقرب إلى المسلمين منه إلى المسيحيين . لقد عاد شارل حلو إلى القواعد التقليدية فى السياسة المارونية الاستئثارية التى سار عليها بشارة الخورى - أول رئيس للجمهورية فى عهد الاستقلال - وعندما جاء الرئيس سليمان فرنجية الى رئاسة الدولة ، وسار على نفس سياسة سلفه او اسلافه ،



رياض الصلح

بدات نذر انفجار جديد تتجمع فى افق لبنان وقد لعب فى تفجيرها دون شك العامل الاسرائيلى والعامل الاستعمارى جنبا إلى جنب ، حيث عمل الاسرائيليون والامريكيون على تحريض الموارنة وتسليحهم وتمويلهم وتدريبهم فى بعض الاحيان ، لمقاومة انتفاضة المسلمين المتوقعة ، والتى اخذت بعض عناصر قوتها من تواجد الثورة الفلسطينية على الأرض اللبنانية فى الجنوب فى اعقاب عام ١٩٧٠ .

وبالفعل استبق حزبا الكتائب والاحرار الانعزاليان انتفاضة المسلمين الذين اخذوا يرفعون شعار المشاركة فى الحكم وانهاء الاستئثار المسيحي بالسلطة ، واجراء احصاء لعدد سكان لبنان ، وتوزيع السلطات الاساسية فى الدولة على اساس هذا الاحصاء ، ثم اعتبار يوم الجمعة يوم عطلة رسمية ، كما هو يوم الأحد عطلة رسمية .. الخ .

وفى ١٣ نيسان (ابريل) من عام ١٩٧٥ جرت « مجزرة عين الرمانة » على ايدى الانعزاليين ، حيث قتل سبعة وعشرون لبنانيا وفلسطينيا كانوا فى حافلة ركاب (باص) فى طريقهم من القطاع الغربى من بيروت الى بيوتهم فى مخيم تل الزعتر ومنطقة الدكوانة فى القطاع الشرقى من المدينة ، عندما تصدى مسلحون انعزاليون للحافلة واطلقوا عليها النيران والقنابل .

وكان هذا الحادث كافيا فى حد ذاته لتفجير الازمة ، حيث بدات الاشتباكات بين الفرقاء المتنازعين ، وما تزال حتى الآن .

لقد اكتشف اللبنانيون - مسلمون ومسيحيون - فى عام ١٩٧٥ ، انهم كانوا يتكاذبون ، وانهم كانوا يعيشون « كاخوة اعداء » .

وخلال الحرب (حرب السنتين ١٩٧٦/٧٥) اضطر الرئيس سليمان فرنجية الى اعادة النظر فى صيغة « الميثاق الوطنى » فاذاع ما يعرف « بالوثيقة الدستورية » ، التى رفضتها الحركة الوطنية فى حينه (اذيعت فى ١٤ شباط ١٩٧٦) ، نظرا لصيغتها الطائفية ولكن هذه الوثيقة جاءت لتلغى « الميثاق الوطنى » عمليا ، وليبدأ اللبنانيون مخاضا جديدا ، يبحثون من خلاله عن صيغة جديدة للتعايش الطائفى . فالوثيقة الدستورية طرحت توزيع السلطات بالتساوى بين المسلمين والمسيحيين شكليا لا جوهريا فقد نصت على توزيع مقاعد مجلس النواب بالتساوى بين المسلمين والمسيحيين ، واعتماد مبدا الثلثين فى البرلمان لاقرار القضايا المصيرية ، واكثرية ٥٥ بالمائة لانتخاب رئيس الجمهورية فى الدورات التى تلى الدورة الأولى ، ثم اصدار جميع المراسيم ومشاريع القوانين بالاتفاق بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ، باستثناء مرسومى تعيين رئيس الحكومة وقبول استقالة الوزارة وإقالتها ، وتعزيز اللامركزية واستقلالية القضاء .

لكن « الوثيقة الدستورية » أبقت رئاسة الجمهورية للموارنة وكذلك قيادة الجيش ، اى انها كانت محاولة تجميل « للميثاق الوطنى » على حد تعبير الدكتور أنيس صايغ .

والآن .. ما هو مستقبل لبنان .. واية صيغة سيتمكن اللبنانيون من التعايش مجددا على اساسها ، وكم سنة سيدوم هذا التعايش ؟؟

اسئلة تلقى فى المجهول .. لان جميع الصيغ التجميلية ، ليست حلولا ، والتسويات بين المسلمين والمسيحيين لا يمكن أن تعيش طويلا ، لأنها ايضا ليست حلولا .. ويبقى فى نظرنا ان مستقبل لبنان مرهون بالحل القومى ، وبكون لبنان جزء لا يتجزأ من وطن اكبر وان الحدود المصطنعة التى رسمها الاستعمار قبل رحيله من البلاد العربية يجب ان تزول يوما ما .

عصام شريح

من أوراق سياسي عربي كبير



الملك فاروق

من القدس.. إلى القاهرة بالقطار

● فى الأزهر كان الطالب يختار أستاذه والمواد التى يدرسها ● أول درس للأزهريين كان عنوانه : كيف تكون على خلق حسن ؟ ● عندما كان مكرم عبيد المسيحي يستشهد فى خطبه بالقرآن الكريم ● ملامح من العصر الذهبى للحركة الفكرية فى مصر .

الورقة الاولى

فى صيف عام ١٩٤٥ ركبت القطار من القدس متجها إلى اللد ، ومنها إلى القطار القادم من حيفا فى طريقه إلى القاهرة .

وفوجئت منذ بداية رحلتى بوجود حشد من الجنود البريطانيين الذين يحتلون عربتين متجاورتين من القطار فى طريقهم إلى مصر . وكان لهم ضجيج عال مازال صداه يرتج فى ذاكرتي منذ ذلك اليوم ، فلقد اخاف امثالى من الطلاب صغار السن الذين تركوا اهليهم لاول مرة .

بقى الانفعال الحاد مرسوما على وجهي ، ومحفورا فى قلبى حتى وصلنا إلى محطة حديد غزه . وفيها التقيت بشيخ فلسطيني معمم تبدو عليه سمات السماحة والوقار فدعاني للجلوس معه فى احدى المقصورات الخاصة .

ترددت فى البداية ، ولكنني – امام الحاحة – استجبت للدعوة ، وعرفت فيما بعد ان هذا الشيخ الجليل هو الاستاذ محمد ابو سردانه الذى يعمل الآن قاضيا شرعيا فى الأردن .

بدا الشيخ محمد يحدثني عن الازهر ، وعن علوم الدين واهميتها فى هذا العصر الذى كاد الناس فيه ان يبتعدوا عن دينهم امام مغريات الحياة وغزوات الملحدين . وذكر لى – ضمن ما ذكر – كثيرا من قصص المعاناة التى واجهها السلف الصالح فى سبيل طلب العلم ، كما ذكر لي ما اعده الله سبحانه وتعالى من خير وبركة ومثوبة لطلاب العلم .

والواقع انني سعدت بحديثه ايما سعادة لانني ما تركت وطني ، وابتعدت عن اهلي واحبابى الا من اجل ان اتعلم اصول الدين والفقه واللغة فزادني هذا العالم – جزاه الله خيرا – ايمانا وقناعة بما ان مقدم عليه .

عندما وصلنا إلى محطة (باب الحديد) بالقاهرة اصر الرجل بان يصحبني فى عربة (الحنطور) التى اوصلتنا إلى الأزهر الشريف .

بين اروقة الازهر

كان القسم الداخلي بالازهر – وما زال – مقسما الى عدة اروقة منها : رواق الشوام ويسكنه الطلاب الوافدون من فلسطين والاردن والعراق وسوريا ولبنان ، ورواق الصعايده ، ويسكنه الطلاب القادمون من صعيد مصر ، وكذلك رواق الاتراك والسودان وهكذا ، كل مجموعة اسلامية لها رواق خاص ، ولكل رواق وقف معين ينفق على طلابه ، واذكر ان رواق الاتراك كان اغنى الاروقه جميعها .

وكانت ادارة الازهر تخصص لكل رواق شيخا معينا له وكيل يباشر مهماته التنفيذية بهدف تنظيم حياة الطلاب .

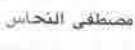
وكاى طالب جديد على الازهر نزلت فى بدروم عمارة من ثلاثة طوابق ، وهناك

كاتب هذه « الأوراق » واحد من الشخصيات العربية السياسية البارزة وهو يشغل حالياً منصباً مهماً فى منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد اختص مجلة الدوحة بهذه « الأوراق » التى يركز فيها الضوء على مجموعة من الوقائع والأحداث التى مرت فى حياته ، وبشكل خاص إبان فترة وجوده ـ كطالب جامعى ـ فى القاهرة بين عامى ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ م وهى فترة « العصر الذهبى » للنهضة الفكرية كما احب هو ان يطلق عليها .

وقد برر تركيزه على ذكر تلك الوقائع بقوله : « لعل القارىء الكريم يجد بين سطورها ما يشحذ الهمم ، ويقوى العزائم ، ويشحن المشاعر » .




مصطفى النحاس


مكرم عبيد


احمد حسين

سلمني الشيخ محمد ابو سردانه إلى الشيخ حافظ صندوقه ـ رحمه الله ـ حتى يقوم بولاية امري ورعايتي ، وذلك بناء على توصية حملتها إليه من احـــد اقاربي بالقدس .

وكان اول عهدي بالدراسة الازهرية استماعي لدرس بعنوان : كيف تكون على خلق حسن ؟ وهو عبارة عن توجيهـــات وارشادات فى فن الاستماع ، والمناقشــة ، واجابة الامتحانات وخلاف ذلك .

وعندما اردت ابتياع الكتب الدراسـية رافقني احد الزملاء إلى احدى المكتبـات ، فقال صديقى للكتبي : هذا زميل جديد شافعي المذهب ، وإذ بالرجل يعطيني مجموعة كاملة من الكتب عبارة عن جميع مقررات السنة الاولى !

واعترتني الدهشة لذكائه ، فقد كانت هذه العبارة ذات الخمس كلمات كافية لأن يعطينا حاجتنا بدون ذكر الاســـــماء والمؤلفين .

لقد كانت الدراسة يومذاك « حرة » بمعنى ان الطالب يختار « الشيخ » الذى يستريح له ويشعر بالفائدة الاكثر من علمه ، وهذه الطريقة ـ فى رأيي ـ ذات دلالات كثيرة ، لأنها تترك للطالب حرية الاختيار بما يعود عليه بالنفع والراحة النفسية . وبدانا الدراسة بحفظ المتون ، وكانت المقولة فى الأزهر حينذاك تقول : من حفظ المتون حاز الفنون . بمعنى ان الذى يحفظ متن اللغة او متن الاصول مثلا ، فانه مؤهل قبل غيره من الطلبة لكى يحرز السبق والنجاح .

كانت الدراسة التمهيدية فى الجامع الأزهر ـ القسم العام ـ تعني التمهيد لدخول احدى الكليات الثلاث فيه وهى : كلية اصول الدين ، كلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة .

ولا يحق للطالب ان يدخل احدى هذه الكليات الا اذا نجح فى امتحان القسم العام واذا نجح فى هذا القسم حصل على الشهادة (العالمية) ، ثم تبدا الدراسة الجامعية التى تستمر لمدة اربع سنوات يحصل المتخرج بعدها على (الشهادة العالية) التى تؤهله للعمل فى حقل التدريس أو المحاكم الشرعية أو الوعظ والارشاد .

ومن ابرز المظاهر الايجابية فى الدراسة الأزهرية هو التعارف الوثيق ، والتالف الوطيد الذى كان يتم بين الطلبة القادمين من مختلف انحاء العالم الاسلامى وغير الاسلامى ونتيجة لذلك اتسعت دائرة معرفتنا الانسانية ، وتوطدت علاقاتنا الاخوية ، فهذا شامي مع مغربي ، وذلك سوداني مع تركي ، وذاك افغاني مع مصرى .. وباختصار فان الوحدة الاسلامية كانت متجسدة وقتذاك فى طلبة الأزهر الشريف . ومن حسنات فترة دراستنا فى ذلك الوقت ـ والتى نسجلها بمداد الاعزاز والفخار ـ اننا عاصرنا احداثا مهمة فى مصر ، وتركت فى نفوسنا اطيب الذكريات .

مع الاحزاب فى مصر

لابد من المرور هنا على مجمل الاحزاب المصرية التى كانت تتصارع كلها من اجل الوصول إلى سدة الحكم ، وكانت لكل حزب افكاره ومبادئه ، وصحفه ومجلاته التى تبشر بتلك الافكار والمبادىء .

وكان الشارع المصرى موزعا بين هذه الاحزاب ، فئة تؤيد هذا ، وفئة اخرى تناصر ذاك ، وفئة ثالثة ملتزمة بتاييد حزب معين .

وهلم جرا .. وكل حزب بما لديهم فرحون .

ونحن كطلبة كنا نستفيد من مثل هــذه الصراعات ، فكنا نعرض بعض مشاكلنا على الحزب المعارض للحكومة القائمة ، فيفسح لنا المجال لنشر ما نريد لتحقيق اهدافنا ، فكانت صحف المعارضة هى النافذة لكل مظلمة او شكوى .

فيوم يكون الوفد خارج الحكم يفتح لنا صحفه ومنابره ، ويوم يكون السعديون خارج الحكم يفتحون لنا صحفهم ومنابرهم . وهكذا ومن هنا أيضا برزت لنا ــ كطلاب ــ ناحية مهمة ، وهي اننا كنا نشبع رغباتنا في المعارضة من خلال احزاب المعارضة نفسها .

كنا نتصل باحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، نستمع إلى خطاباته الحماسية التي كانت تنمي فينا بذور النقمة ضد التخلف والقهر ، والملك فاروق والحكومة المؤيدة له ، فنستفيد من كل هذا سعة في المدارك ، ومعرفة ببواطن الأمور ، ولو كانت من وجهة نظر مغايرة .

وما زلت اذكر يوم انفصل مكرم عبيد عن حزب الوفد وزعيمه مصطفى النحاس باشا بسبب خلاف وقع بينهما فاسس « عبيد » حزبا جديدا اسماه « الكتلة الوفدية » نكاية في النحاس .

والحقيقة اننا كنا في ذلك الوقت نحب ان نستمع لخطابات مكرم عبيد بالذات نظرا لما يمتاز به من فصاحة اللسان ، وسلاسة التعبير ، والاستشهاد بايات من القرآن الكريم ، فلقد كان ــ وهو من اتباع سيدنا عيسى عليه السلام ــ يحفظ القرآن عن ظهر قلب !

وكنا نحب ان نلتقي باغلب زعماء الأحزاب السياسية في مصر ، نقرأ افكارهم ونستفيد من تجاربهم وحنكتهم بغض النظر عن الافكار التي كانوا يطرحونها ، وكان كل زعيم يؤكد على صحة نظريته ، وصدق مقولته ويصف نفسه بانه الوطني المخلص الذي لا يشق له غبار ، وأن غيره بحاجة إلى دخول المدرسة من جديد ليتعلم فيها مبادىء الوطنية كي يصبح في درجة مناسبة تؤهله لمبارزته ، والوقوف امامه !

والجدير بالذكر ان زعماء الأحزاب كانوا من الطبقة الارستقــراطية المصرية ، وكانت لهم مميزات يفتقدها رجل الشارع العادي .

وفي رأيي ان جميع الاحزاب فشلت في خلق كوادر حزبية واعية ، بدليل انها لم تستطع كلها ان تحقق للشعب المصري هدفه الرئيسي في طرد الاستعمار البريطاني الذي كان جاثما على صدر مصر في تلك الفترة .

لقد كانت الأحزاب كلها تعتمد على الكم الكلي ، دون الكيف النوعي ، بمعنى انها كانت تعتمد على الكثرة العددية دون الالتفات الى نوعية القيادات التي كان يجب عليها ان تخلقها لتتحمل المسئولية ، وتضع القرار .

ان الشعب المصري الذي يمتاز بطيبته وبحسه الوطني المرهف قد ضاع بين مصارعات الأحزاب التي كان همها الأوحد ان تصل إلى السلطة .. والى السلطة فقط !

العصر الذهبي

خلال فترة وجودي بالقاهرة كنت اشعر بأن المرحلة التي اعايشها هي مرحلة العصر الذهبي العلمي ، عصر النهضة الفكرية في مصر .

كانت القاهرة يومذاك تغص بالعمالقة من الادباء والعلماء والرواد والمفكرين في شتى مناحي المعرفة الانسانية .

كان لا يمر يوم الا وتشهد فيه محاضرة او مناظرة او ندوة ، وما شابه ذلك ، وكنت شغوفا بذلك النشاط المكثف انتقل من محاضرة إلى اخرى ، ومن مقر إلى اخر ، اغترف من هذا علما وحكمة ومن ذاك ادبا وقولا ، ولن انسى « دار الحكمة » التي كانت المحاضرات القيمة تقام فيها اســـبوعيا ويحضرها الناس على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم .

كثيرا ما اسرح اليوم بخاطري اتذكر تلك المرحلة الذهبية ، واعض على بنان الاسى والألم حين اتأمل ندرة هذه الأنشطة في يومنا الحاضر ، وانظر بعين الاشفاق على لا مبـــالاة الناس في حضور الندوات والأمسيات والمحاضرات التي تقام بين حين واخر هنا وهناك .

فما الذي غير الامزجة يا ترى ؟ عصر ذهبي في الاربعينات والخمسينات ، وعصر جفاف فكري في الثمانينات ؟

هل عقمت الامهات ولم يعدن يلدن عباقرة من امثال طه حسين والعقاد والمازني وشوقي وحافظ ابراهيم وغيرهم ؟

تلك لعمري قضية ملحة في حاجة لمن يسبر غورها ويكشف اسرارها .



شعر: محمد المهدي المجذوب

إحدى القصائد الأخيرة للشاعر العربى السودانى الكبير محمد المهدى المجذوب الذى رحل عن دنيانا فى نهاية الشهر الماضى وفى العدد القادم سوف ننشر مجموعة أخرى من قصائد الشاعر الكبير الراحل .

محمد المهدى المجذوب

وضاقت الذرة بالكتمانْ
الســـاعةُ المجهولةُ الثانيـــةْ
تدق دقةً تتبعها بدقةٍ وتُصغى
بنهارٌ فى أشلاءِ عشّها الزمنْ
يسّاقط الريشُ على رؤوســـنا
بكارةُ الموتِ يفضها العقمُ وناجواكى نثرت دماءَهَا
على وسائدِ الحضارةْ
والبيضةُ الحمقاءُ نزعتْ استارَهَا واخرجَتْ اثقالَهَا
ونَطَقَ الغرابُ حين شابْ
وامَّحت الالوانُ فى عماية الوهجْ
وينظر الصبحُ إلى مصباحِه اختلَجْ
ويكذبُ العيـــــانْ
الموتُ والميلادُ اعميان صفة واحدة وارتفعَ الحجابْ
وامِنَ الخرابُ فى سكينةِ الغيابْ
واتّحـــد الذهابُ والأيابْ

● ●

وشبحٌ يبحثُ عن احفادِه
يحمل اثداءً تَحِنّ للرضَاع يابسَاتْ
تظلّها شمسيةٌ بلا غِطَاءْ
يذكر الوانَ الصباح ذهبَتْ مع الصّغار
يجمّـــعُ المحَـــارْ
يسمع فيه البحرَ آهةً بعيدةً خاويةً محبوسةَ الآفاقْ
فى إطـــارْ
وغارة الموج على الآفاق زَبَدٌ فى الشاطىءِ الحبيسْ
الموجُ ورقٌ يبيسْ
ودَمْعتى يابسةٌ على وسَادَتى

وانبسطت يدى وأجفلت منها رجية بلا جسدْ
وفى فمى رمادِى

● ●

هل اقفر الانسانُ من ميلاده الشجاعْ ؟
من يبدا الصراع مرة ثانية ويدمن الضياع؟

● ●

يرتحلُ المساءُ وحـــدَه يفارقُ السوادْ
يرتحـــلُ النهـــارْ

● ●

الساعةُ الراحلةُ الثانيـــةْ
تدق خارجَ الزمَنْ
وضحكتْ جمجُمَةٌ تنظُرُ نظرةً وتُصْغى
تحنُّ والموتُ لها جَسَـــدْ
هل عَرَفَتْ احلامَهَا ســيدةُ الابَدْ

● ●

من الذى يســـهَرُ فى الكونِ بلا سُهادْ
من الذى مَضَى بذلك المِهَادْ
المـــاءُ فى الظهورِ احتجبا فكيف غَارْ ؟

● ●

وبقيَتْ انثى على انتظَـــارْ
تشكّل الخواء شبحًا يزورُ قلبَهَا الوحيـــدْ
واعترفَتْ انوثةُ الجرح بلا ادّعاءْ
واحتَدَمَ اللقـــاءْ
وفى مدى سمعىَ شـــهْقَةٌ ولبَنٌ جديدْ

● ●

حبيبتى
صبّحك الهوَى بصبحِه الجَميلْ

السفر على الرمال

بقلم : عبد الله الجفري

● ● إن الأحقاد القاسية سلبت الحب من صدور الحالمين والطيبين والمسالمين ، وحولوها إلى سلاح يطعن ويدافع ● ●

ليلة الصيف هذه :

مركبة رمل تتحرك رتيبة .. تحمل الأحلام المنتهبة المتفائلة . والخطوات الملولة الساذجة وهى انطباع مناخ نفسى سادر .. تحمل الزمن كله تساقطا ، وغورا واغماضة !!

وبدات رحلة المساء الصيفى فوق الرمال هذه .. التى التفت سياجا حول البحر المغفى .. سياجا تحت نجوم الليلة الواحدة بعد الالف عندما غابت «شهرزاد» واصبح لزاما ان يسترق «شهريار» نومه من صدى ما مضى !!

سافرت الخواطر فوق الرمال فى عتمة (صافية اللون) :

واضطجع جسد انسان متحمس للصمت .. يتحد مع ذرات الرمال ، ويفتت الكلمات المتيبسة الهشة بجانبه كساق زهرة حرقتها الشمس ، وذرتها الريح !!

والرحلة طويلة فى احشاء المساء ..

النسمة مبللة بالتعب ..

المسافة مشروخة بالبرق المتقطع .

الانسان يحاول استراق ما يلوح امامه ، او فى ذهنه ، او بين جدران صدره ، ومشية الرمال كسلى من حوله ... كل شىء رتيب سوى الاحلام فهى التى تسابق اجزاءها ، ومسافاتها والبرق المتقطع !!

عندما تسترخى حوافزنا نستطيع ان نسرق الكثير من الاحلام ، وندعى ملكيتها ، ونخبئها فى اعماقنا حتى لانعرضها للفضح لانها ليست ملكنا .. لان قدرتنا على حيازتها قدرة متهالكة وخائفة ومفجوعة ! .. اما حينما تسترخى احلامنا فاننا نستطيع ان نحقق الكثير من انتصاراتنا المادية الخاضعة لتوقيت الحاجة !!

وعلى ارضية العالم اليوم يعانى الانسان من «ورقة النشاف» التى اندلعت عليها احلامه وامتصتها ، ولم يحقق من انتصاراته المادية الا ما كان خاضعا للحاجة الملحة لدرء اخطار الكوارث النابعة من استرخاء الحوافز . إنه عالم يحلم ، غير أن احلامه ليست ملكا له ، وقدرته على حيازتها ، متهالكة وخائفة ، ومفجوعة !!

إنها احلام مذبوحة .. يتاملها إنسانها بنفس الصورة التى رسمها — ليبولد سنغور — فقال : «اتامل أحلامى ودمها المجانى المهدور على مدى الشوارع» !!

واكثر من ظاهرة تدل على ذلك الهدر ..

إن اغانينا باتت لا اكثر من احلام نعزفها فى منتصف الليل بعد تعب حارق ، او نرددها فى اوقات القيلولة بعد ان نسدل الستائر ، ونشيع المتعة فى الغرف المهياة بتثاؤباتنا ، ونغنى الآه ، وتدليل الجراح .. تلك المطلوب منا أن نربيها وان نضمدها بالصحو ، وبرفعة الأمانى ، وبصلابة الاحتمال !

إن نكسات المبادىء والقيم .. تكاد تجرف الكثير من الحق العادل .. ذلك المرغوب فى تقويم المجتمع الانسانى .. واضحت قاعدة العصر التى يقف عليها انسان اليوم تخضع لبوادر الانحرافات الفكرية والارتطامات الخلقية ، والتفتت الحسي !!

إن الصورة مرهقة ، ومصدوعة .

إنها تعكس ما يمارسه الرمل تحت اقدام السائرين !!

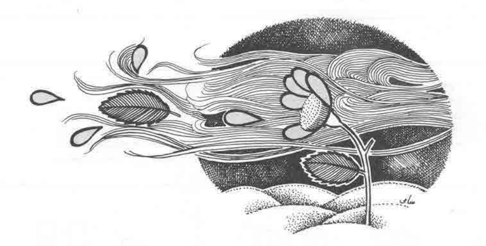
والانسان المعاصر يمشي ايامه الحاضرة — مسافرا على الرمال — وكل ثمينه وذخائره ، وحتى انتصاراته الخاضعة لتوقيت الحاجة تغور جميعها فى الرمال تحت اقدامه .. تحت سنابك قسوته على زمنه !!

إنه لم يكن هناك زمن قاس ، ولكن هناك افكارا قاسية ، ونوايا قاسية ، وقوة قاسية وأحقادا قاسية ، وحرمانا قاسيا ، وضعفا قاسيا !!

إن الافكار القاسية دفعت الانسان أن يفكر فى القنبلة الذرية ويخترعها ويدمر بها وينتزع الانتصار الخاضع لتوقيت الحاجة !

إن النوايا القاسية جعلت كل انسان يشك في الآخرين ، ويخافهم ويتالب ضدهم ، ثم يحاربهم ، ويموت بنواياهم !!

إن القوة القاسية زينت سرقة احلام



الذين استرخوا . انها قوة تسرق السرقة ، وتجسدها وتفتعل بها حياة جديدة ، مبنية جدارها من الكرتون !

إن الاحقاد القاسية سلبت الحب من صدور الحالمين ، والطيبين ، والمسالمين ، وحولوها الى سلاح يطعن ويدافع ، وسقطت فى الرمال تلك العبارة التى قالها : «اندريه جيد» من زمن : (ليس الحكمة فى العقل ، وانما هى فى الحب) !!

إن الحرمان القاسى طمر الرقة ، والحنان والانسانية فى رماله الكثيفة ، ولم يتبق فى النساء إلا اثداء ناهدة تحجرت من رفض الرضاع بالهرب من الأمومة ، وخضعت لضرورة جمال الشكل ، والفزع من انشغال الذكور ! .. ولم يتبق فى قلوب الرجال الا المجابهة ، وتلحفت بالرمال أنشودة ـ ليبولد سنغور ـ التى غناها ذات يوم فقال (نحن فى الحقيقة رجال الرقص الذين تزداد قدامهم حماسة كلما ضربت الأرض القاسية) !!

إن الضعف القاسى هو انتصار الافكار القاسية ، والنوايا القاسية ، والقوة القاسية والاحقاد القاسية ، والحرمان القاسى !!

• • •

وفوق الرمال .. ومعاناة السفر عليها وهى تبدو مركبة رمل تتحرك رتيبة تحمل الاحلام المنتهبة المتثاقلة ، والخطوات المملولة الساذجة .. فوقها تعتادنى اناشيد «سنغور» وهو يتحدث فيها عن حبيبته الزنجية التى قذفوها بالقسوة المتحدة افكارا ، ونوايا ، وقوة ، واحقادا ، وحرمانا ، وضعفا !

إن «سنغور» فى اشعاره .. يصف احلامه المذبوحة لحظة هدر دمها المجانى على مدى الشوارع .. يصفها على أوراقه الرتيبة وهو متعب ، وهو يتأوه قائلا : «اه يا لضجيج المطر فوق الاوراق الرتيبة» !!

ذلك الضجيج بدأ وهو ينادى رياح الفصل البديع .. يقول لها : «احرقى كل زهرة وكل فكرة باطلة ، فحين يعود الرمل يتساقط على كثبان القلب» !!

إن كل احلام الانسان وامانيه لاتظهر بوجهها الحقيقى . إنها مثل «كومباتام» زنجية سنغور التى أهدى قناعها الى الرسام العالمى بيكاسو ، وخاطبه بعد ذلك قائلا :

ـ هذه حبيبتى التى كانت تنام وتستجم فوق سذاجة الرمل ، وقد اغمضت جفنيها .. وهما ينبوعان مزدوجان مخبوءان !!

• • •

ان الصيف قائظ .. ان الرمال تسافر ، ولكن ببطء ، والذى يركض فى هذا الكون كله هى أحلامنا !!

لقد سئمنا احلامنا .. لقد استهلكناها حتى الملل لكثرة ما نضاجعها هذه الاحلام !!

إن الحب العصرى أصبح رطيناً وسافلا وملطخاً بالدم وبالسادية . إنه هذا الذى امتهن به «تشارلى مايسون» زعيم الهيبيز مشاعر الناس ، وامتهن به حريته هو ، وكرامته كانسان !

ان القيم .. بلغت درجة انحرافها حد العدم ، والعدمية تبلورت سلوكا اجتماعيا يقود الانسان الى تنازلات أليمة !!

والحب ، والقيم : هما بنيان الانسان ، وهذا البنيان يقف على الرمال .. تكسوه أوراق النشاف التى تمتص عرق الانسان ، ودموعه ، ورحيقه ، وبســـماته ، ويبقى «بيكاسو» أبدع ريشة تعكس ملامح الوطن العالمى !! .. بينما ما تزال «كومباتام» حبيبة «سنغور» تنام وتستجم فوق سذاجة الرمل وما تزال عبارة ـ توم بين ـ القائلة : «حيث لاحرية فهناك وطنى» .. عبارة تستلقى على الرمل عند سفح الانسان !!

اما الحب والقيم ... فهما دائما : هما السفر على الرمال .

عبد الله الجفرى
جده

كان يوم السبت ١٤ يونيو (حزيران) سنة ١٨٠٠ م ، أطول أيام الجنرال كليبر فى مصر . حين بدأ اليوم ، لم ينبىء بشىء جديد عما تعوده الجنرال منذ تولى القيادة العامة لجيش الشرق قبل عشرة أشهر ، فشمس يونيو الساطعة توحي بيوم صيفي حار ، مكتظ بالعمل ومبلل بالعرق .. وفى جدول أعماله ، مهام لا تخلو من مشقة ، ولكنها لا تفتقد إلى الترفيه ، أما الذى لم يكن يعلمه الجنرال ـ حين فتح عينيه فى الصباح بمسكنه المؤقت فى معسكر الجيزه ـ فهو أن هذا اليوم سيكون اخر ايامه فى الدنيا ..



الموت على تل العقاب

عندما لقي قائد جيش الشرق مصرعه على يد أزهري من حلب



س ، الحلبى يقتل كليبر و بروتان يهم باللحاق به ،

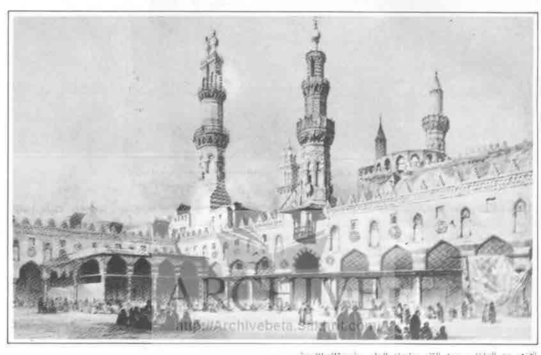


القائد الفرنسى كليبر



نابليون بونابرت

يرويها: صلاح عيسى



الازهر من الداخل ، حيث التقى سليمان الحلبي باصدقائه الاربعة

كان عليه ان يعبر النيل إلى الروضة ، ليستعرض الجنود اليونانيين ، الذين تتكون منهم « كتيبة الاروام » ويلتقى بقائدهم القبطان « نيقولا بابا زوغلو » لعله يسمع منه ما يطمئنه على كفاءة فرقته ، وقدرتها على دعم الجيش الفرنسي ، إذا ما اضطر للدخول فى مواجهة جديدة مع العثمانيين او الانجليز او المصريين ..

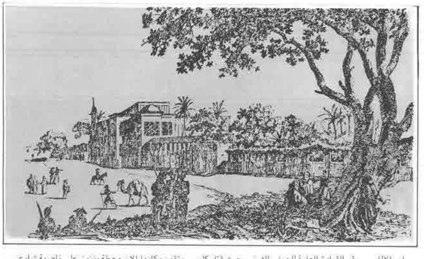
ومع ان احوال الكتيبة كانت تدعو للتفاؤل ، إلا ان « كليبر » لم يهضم بسهولة الواقع الذى قضى بأن يحتاج جيش الشرق لمن يدعم قدرته على المواجهة والصمود ، اين الاحلام الجامحة التى قاد بها نابليون بونابرت هذا الجيش نفسه ــ قبل ثلاثة اعوام ــ ليبني امبراطورية فرنسية شرقية ، تضرب انجلترا فى الصميم ، وتقطع طريق تجارتها إلى الهند ، ؟ .. اين صيحة نابليون امام الأهرام : ايها الجنود .. ان اربعين قرنا تنظر إليكم من قمة هذه الأهرام ؟ واين قاموسه الذى خلا من كلمة مستحيل ؟ .

ضاعت جميعها بين الصحراء والبحر ، كما ضاع نصف جيش الشرق فى الطواعين والثورات وامام اسوار عكا تبدد الجيش والحلم . هرب قائده « المظفر » . نابليون بونابرت تحت جنح الليل ، مخلفاً اربع خطابات مليئة بالنصائح ، وتركة مثقلة بالديون ورثها كليبر : خزانة مفلسة بها عجز يصل إلى عشرة ملايين من الفرنكات ، وجيش فقد نصف قواته ، وتدهورت معنوياته ، وبلغت متاخرات رواتبه اربعة ملايين فرنك ، يرتدى ملابس باليـــــة ، لا يستطيع ان يجددها ، لانه إذا وجد النقود اللازمة لذلك ، فلن يجد السبيل لاستيراد الاخواج ، وهو محاصر بين البحر والصحراء ..

فهل تصلح « كتيبة الاروام » التى يقودها القبطان « نيقولا بابا زوغلو » ما افسده الدهر ؟ هل تمكن جيش الشرق المحاصر من الخروج من المحنة حيا ؟ فتنقذه من براثن الاعداء الكثيرين الذين يتربصون به : الانجليز فى البحر .. والأتراك فى الصحراء .. وهؤلاء المصريون الذين لم تمض سوى اسابيع قليلة على إخماد ثورتهم اللاهبه ؟ .

كانت اثار الثورة ما تزال واضحة على مبنى القيادة العامة للجيش الفرنسى ، حين وصل إليه الجنرال كليبر قادما من الروضة ، ليتفقد اعمال الترميم الذى امر باجرائه به . طالت قنابل الثوار غرف القصر وطرقات حدائقه ونافوراته ، وثكنات الجنود المحيطة به . لم يتمتع احد بالاقامة فى هذا الترف الجنونى ، حتى صاحبه الأمير المملوكى ، « محمد بك الألفى » ، الذى بناه وزخرفه ، واستورد له نافورات من ايطاليا ، وانواعاً من الرخام والاعمدة ، وخرط له مشربيات وشبابيك يزينها زجاج ملون ، وفرشـــــه بالوسائد والمساند والستائر ، واضاءه بالقناديل والشموع والمشكاوات ، لم يمكث

الموت على تل العقاب



سراى الالفى ... مقر القيادة العامة للجيش الفرنسى حيث قتل كليبر ، وتقوم مكانها الان محطة بنزين على ناصية شارعى الألفى والجمهورية بالقاهرة

به سوى ستة عشر يوما ، ثم جاء جيش الشرق ، فهرب الأمير المملوكى فيمن هرب ، اما البيت فسكنه سارى عسكر بونابرته الكبير ، قائد الجيوش الفرنساوية الذى جاء ليلتقى باربعين قرنا من التاريخ ، فحوصر ، ودمر الانجليز اسطوله فى « ابى قير » ، ولم يجد متعة تخرجه من الحصار إلا ان يدفن إحباطه فى أحضان المواطنه « بولين فوريبه » .

● ●

صعد الجنرال « كليبر » سلالم القصر المصنوعة من الرخام والمرمر والجرانيت المصقول المجلوب من اسوان ، يتفقد العمال الذين انهمكوا يصلحون ما طال الجدران من قذائف ، وينزعون النوافذ المحترقة ، ويستبدلون الزجاج المحطم ، تامل النافورة الفخمة فى قاعة الاستقبال التى شهدت احتفال « الالفى » الاول والاخير بقصره الذى لم يسكنه بعد ذلك ابدا ، وسمعت اكاذيب نابليون على شيوخ الأزهر يوم اعلن امامهم إسلامه ، وأكاذيبه على جنوده يوم وعدهم بان يحصل كل جندىمنهم عند عودته إلى فرنسا ما يكفى لشراء ستة افدنة من الأرض ، فمات معظمهم دون ان يجدوا قبرا يدفنون فيه .. أما فى غرفة النوم ، فقد كانت وعوده الباطلة لمدام فوريبه بالزواج منها منقوشة على الجدران ، كاثر تذكارى للكذب والجبن ، فقـــــد دبر رحيله من مصر فى سرية تامة وتركها دون ان يصحبها او يكتب لها حرفا واحدا .

لم يكن المهندس « جان بروتان » هو الذى تنبه لذلك الشاب الرث الملابس الذى يرتدى عمامة خضراء ، وقفطانا رديئا ، ويمشى فى إثر الجنرال من غرفة لغرفة خلال تفقده للاصلاحات التى تجرى فى القصر ، إذ كان بروتان مشغولا بتقديم إيضاحات حول عمليات الترميم للجنرال ، ولكن الملازم « فورتينيه » ياور كليبر ، تنبه لذلك الفتى الذى اخذ وجهه يظهر امامه فى كل غرفة او قاعة استقبال يدخلها الجنرال ومرافقوه ، ولم تكن ملامحه تشى بشىء ، ولعل آخرون قد تنبهوا ايضا له ، لكن احدا لم يفسر الأمر بأكثر من مظاهره ، فالقصر مليء برجال مثله يصلحون ما اصابه من دمار ، فلعله واحداً من العمال الذين يصلحون الزجاج او يخرطون الخشب ، فجميعهم يرتدون ملابس رثة ، وحتى لو لم يكن ، فليس هناك ادنى احتمال لان يقوم اى انسان فى مصر الآن بعمل طائش ، واطلال حى الأزبكية شاهد على أن الطيش سيء العاقبة ، فقد احترقت عن بكرة ابيها ، لان حفنة من المهيجين ظنت أن رحيل « بونابرت » يمكن أن يضعف موقف الفرنسيين فى مصر .

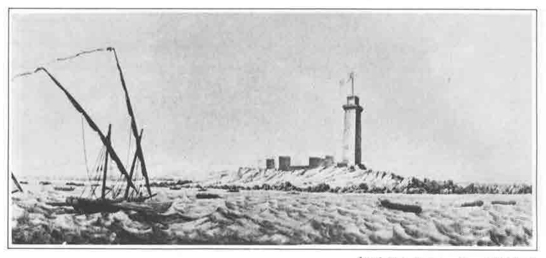
● ●

وحين اقترب موعد الغذاء ذكر المهندس بروتان ، الجنرال بدعوة للغذاء ، كان قد وجهها إليه « الجنرال داماس » رئيس أركان حرب الجيش ، فغادر الاثنان القصر إلى الحديقة ، وبصحبتهما الحاشية ، واخترقاها عبر الأرض المصنوعة من الفسيفساء الملون ، إلى ممشى يقود إلى حديقة بيت داماس المجاور للقيادة العامة ، ولاحظ فورتينيه ان الشاب ذا العمامة الخضراء مازال ضمن صفوف حاشية الجنرال ، ولما كان ذلك فى رايه تطاولا ، فقد امر احد الخدم بطرده قبل أن يدلف إلى دار رئيس الأركان ، وحين القى نظرة اخيرة ، وهو على سلم منزل « داماس » ، لم ير وجه الرجل ، فتنهد براحه .

الشــــاب
ذو العمامة الخضراء

فى قاعة الطعام بمنزل « داماس » تخفف « كليبر » من سترته العسكرية بسبب حرارة الجو ، وسرعان ما شمل المدعوين جو من الألفة ، وزاد « كليبر » الجو مرحا بسخريته اللاذعة من « البطل القوى القادر » بونابرت الذىهرب فى جنح الظلام ، وترك له خلافة لم يكن يريدها ، وخطابا مليئا بالاكاذيب عن فرنسا التى هرول لنجدتها ، ولو كان صادقا لقال : عن السلطة التى لابد ان اخذ لنفسي نصيبا منها قبل ان تتوزع وانا محاصر هنا فى مصر ..

وإذ تطرق الحديث إلى الأحوال فى مصر ، بدا كليبر مطمئنا ، صحيح أن مشروعه للجلاء عنها بشكل مشرف قد فشل ، ولكنه انتصر على الاتراك فى معركة عين شمس ، واخمد الثورة التى قام بها المصريون ضده خمسة اسابيع متصلة ، وهو واثق ان سياسته ستثمر ، فالشىء الوحيد الذى



الأسطول الفرنسى يقترب من شواطىء الاسكندرية

يحترمه المصريون هو القوة ، ومصر ـ فى نظره ـ اقليم تحت الاحتلال العسكرى ، وينبغى ان تخضع له ، وسوف يخضعها شاءت أم ابت . فاى محاولة لكسب مودة الأهالى عن طريق التظاهر بالاخوة مقضى عليها بالفشل . فهى خدعة لا تنطلى على هؤلاء القوم الماكرين ، الذين يخطئون فهم التسامح ويظنونه ضعفا ..

فى الساعة الثانية بعد الظهر غـــادر « كليبر » المادبة قبل ان تنفض ليواصل تفقد أعمـــال الترميم وليســتعرض مــع كبير المهندسين بروتان تصميما أعده لمبنى جديد يلحق بقصر الالفى عبر حديقة قصر الجنرال داماس بقامته المديدة التى تقرب من ستة أقدام دون أن ينتظر ياوره الملازم ديفوج الذى لم يكن قد انهى طعامه بعد ، ولحق به بروتان . وانهمكا فى حديث حول المبنى الجديد الذى يريد كليبر إضافته لمقر القيادة العامة . لكى يتوقى فى المستقبل اى محاولة يقوم بها الغوغاء المصريون ، للهجوم على القيادة . كما حدث منذ اسابيع ، وحين مر الاثنان أمام بئر أقيمت عليه ساقيه ، لم يتنبها لذلك الشاب ذى القفطان والعمامة الخضراء ، الذى كان يكمن متسترا بدواليب الساقية .

دلف الرجلان إلى رواق طويل ، يفصل بين الحديقتين ، وتظلله تكعيبة من العنب وهما يواصلان الحديث ، وفى حين التفت المهندس بروتان إلى الخلف يتفحص بعض التدمير الذى لقيه فى طريقه ، واصل كليبر سيره فتقدمه بخطوات ، آنذاك ، ظهر ذو العمامة الخضراء من خلف الساقية ، وتقدم نحو الجنرال ، الذى ظنه متسولا جاء يطلب عطاءه . أو صاحب حاجة جاء يعرضها ، فقال بعجرفة :

ـ مافيش ..

...

واصل الشاب تقدمه بلا تردد ، مادا يده اليسرى إلى أمامه . ظن الجنرال انه يريد تقبيل يده . ما أن اقترب منه حتى مد إليه يده مبسوطة كي يقبلها . فى ثوان قليلة كان الشـــاب قد اخرج يده اليمنى من صدره ، وفيها خنجر حاد طعن به كليبر فى صدره ، فى اللحظة نفسها كان بروتان يتلفت وراء كتفه . رأى القاتل يسحب مديته ، وبينما كان كليبر يترنح اغمدها فى بطنه ، ثم فى ذراعه اليسرى وخده الايمن . اذهلت المفاجأة بروتان للوهلة الأولى فالقى بنفسه ارضا ، وحين سمع « كليبر » ينادى حراسه بصوت ضعيف ، استرد شجاعته فقام مسرعا ليلحق بالقاتل ، ورفع عصا كان يحملها وانهال بها ضربا على راسه ، التفت إليه الشاب ، تماسكا فى شبه شجار ، حسمه الشاب بمديته فطعن بروتان ست طعنات حتى سقط فاقد الوعى .

انقضت ست دقائق قبل ان يتنبه احد لما جرى ، اما الشاب ذو العمامة الخضراء فقد اختفى وحين اكتشف الحراس ماجرى ، كان « كليبر » قد لفظ انفاسه الاخيرة ، وعلى اثرها انطلق من ميدان الأزبكية دوى طبل ينذر بالخطر ، فجاوبته على الفور كل الطبول الفرنسية فى القاهرة ، تدعو الجنود إلى مراكزهم . « واحتاطوا ـ كما يقول الجبرتى المؤرخ ـ بالبلد ، عمروا المدافع ، وحرروا القنابر ، وأرسلوا العساكر إلى الحصون والقلاع ، وقالوا لابد من قتل اهل مصر عن اخرهم » . واندفع الجنـــــود الفرنسيون كالمجانين فى الشوارع يضربون كل من يقف فى طريقهم وقد اشتد غضبهم ، وبدا أن جنونا وبائيا قد أصاب الجميع ، قتل الفرنسيون بسيوفهم وخناجرهم جميع من صادفهم من الرجال والاطفال .

لم يترك القاتل وراءه أثرا يدل عليه سوى جزء من شال عمامته الاخضر الذى تمزق خلال المعركة القصيرة التى وقعت بينه وبين بروتان ، وانتشر الجنود يفتشون المنطقة التى جرى بها الحادث وما حولها من بيوت ، وبعد ساعة عثر عليه الجنديان « بيران » و« روبير » فى حديقة مجاورة لبيت الجنرال داماس . كان منهكا ، تتساقط الدماء من راسه ـ التى أصابتها عصا المهندس بروتان إصابات مؤثرة ـ فتلطخ ثيابه ، وتلون الجدران القصيرة نصف المتهدمة التى استند إليها ، وكان عارى الراس إلا من غلالة من قماش اخضر ، وكان يصلى .. !

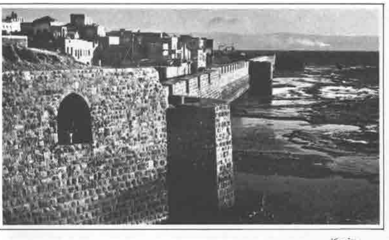
قال الجندى جوزيف بيران ـ فى التحقيق الذى اجرى فى وقت لاحق من اليوم نفسه :

ـ لقد اضطررنا ان نضربه بالسيف عدة ضربات لكى نحمله على المشى ..

... ...
... ...

تحولت المادبة فى بيت الجنرال « داماس »

الموت على تل العقارب



سور مدينة عكا

إلى مكتب للتحقيقات ـ اشرف الجنرال « مينو » ـ أقدم جنرالات الجيش وقائد القاهرة ـ على التحقيق . قال « المتهم » ان اسمه سليمان عمره ٢٤ عاما ، وصناعته : كاتب عربى ، وسكنه : حلب . انكر انه قتل الجنرال كليبر . وبرر العثور عليه فى الحديقة بانه كان جالسا هناك لان الخيالة كانوا يحاصرون جميع الطرق ، فلم يستطع ان يغادرها إلى اى مكان . وحين ووجه بالخنجر الذى عثر عليه « بيران » و «روبير» مدفونا فى التراب فى نفس المكان الذى قبض عليه انكر انه يخصه . وسئل عن غلالة القماش الأخضر التى وجدت بجانب جثة الجنرال ، وتبدو مكملة لغلالة اخرى مماثلة لها توجد فى ملابسه ، فاجاب بانها ليست له . وقال ان الجروح التى برأسه احدثها من قبضوا عليه .

تقول الترجمة العربية لنصـــــــوص التحقيقات « فلما ان كان المتهوم لم يصدق فى جواباته ، امر سارى عسكر انهم يضربونه حكم عوائد البلاد . فحالا انضرب لحد انه طلب العفو ، ووعد انه يقر بالصحيح ، فارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده . وصار يحكى من اول وجديد .. » .

• •

مات الجنرال جان بابتست كليبر ، قبل ان يحتفل بعيد ميلاده السابع والاربعين . وحين ولد فى مدينة ستراسبورج عاصمة الالزاس عام ١٧٥٣ م ، لم يكن احد يظن انه سيلقى حتفه فى ركن من حديقة بيت مملوكى بميدان الازبكية بمصر المحروسة ـ تشغله الآن محطة بنزين على ناصية شارع الالفى ـ على يد رجل لم يولد ـ فى مدينة حلب السورية ـ إلا بعد ذلك التاريخ بثلاثة وعشرين عاما كاملة .

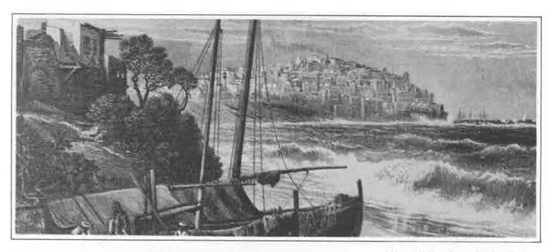
فروق كثيرة فصلت بين الرجلين ، اهونها شانا العمر والمقام ، فنحن نقرأ اكثر من اللازم عن كليبر « بطل معركتى ما يستريك وعين شمس » وصاحب « المواقف العسكرية البطولية على ضفاف انهار الراين والنيل والاردن » وهذا طبيعى ، فالقائد الإلزاسى ترك مذكرات ووثائق وسكرتيرين ومصورين وشعراء ، كتبوا عنه واشادوا به ، وابّنوه قبل ان يدفن فى حديقة « قصر العينى » بالقاهرة . اما سليمان الحلبى ، فان احدا لم يعن بان يكتب تاريخه ، وهو لم يكتب مذكرات ، ولم يترك صورا جرافيكية أو زيتية ولا شك ان شاعرا مجهولا قد ابنه ، ولكن المؤرخين الذين يعنيهم هذا النوع من الشعر ، كانوا نادرين فى ذلك الزمان . وهكذا لم يبق لنا من سليمان الحلبى إلا معلومات قليلة ، واقوال بسيطة غير مزوقه ـ بل واحيانا ركيكه ـ ادلى بها امام هيئة من الجنرالات المتزمتين الذين تنوشهم مشاعر الثار والانتقام ، بعد ان « انضرب لحد انه طلب العفو » ، واوصاف تافهه منحها له الجبرتى ـ مؤرخ القاهرة ـ الذى قال عنه انه « رجل افاقى أهوج » ، واهم تلك الكلمات البسيطة الاسرة ، قالها « بعد ان ارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده » ، سالوه لماذا جئت من غزه إلى مصر ، قال :

ـ كان مرادى ان اغازى فى سبيل الله !

رأس سليمان الحلبى ـ التى قطعوها بعد ذلك ـ كانت خالية من ذلك الذى يسمونه « احلام المجد » ، وكان هدفه عاريا عن اى تزويق او تهويل او اوهام بشرية . لذلك جاءت كلماته بسيطة . فهو لم يكن يملك خبرة « كليبر » الواسعة فى وضع هالات العظمة حول ما يفعل ، ومن المؤكد انه كان خاليا تماما من اى احساس مريض بالذات ، او حرص على ابراز العنجهية والعظمة كما كان القائد الالزاسى يفعل . كان شابا تطهريا يرى المسائل فى مباشرتها ونقائها ، ففعل ما فعل ، لان « مراده أن يغازى ـ اى يجاهد ـ فى سبيل الله » ولا لشىء اكثر من ذلك ..

والمواجهة الدموية التى حدثت فى « رواق العنب » بين سليمان الحلبى وبين جان باتيست كليبر تصور على لسان مؤرخين كثيرين باعتبارها مواجهة بين رجل متعصب مصاب بهستيريا ـ او هلاوس ـ دينيه ، وبين قائد عظيم من ابناء حضارة الحرية والاخاء والمساواة ، جاء لينشر العلم والعمران والتقدم فى الوطن العربى ، ولينقله من القرون الوسطى إلى العصر الحديث ..

تلك بعض أكاذيب المؤرخين ، وهى ليست قليلة ، فلا احد يعرف ـ على وجه التحديد ـ اين تكمن الحضارة فى تاريخ حياة الجنرال « جان باتيست كليبر » ، ولا احد يستطيع ان يضبط ذلك الانتماء لمقولات الثورة الفرنسية فيما فعله ـ هو وسيده بونابرت ـ باهل القاهرة واهل يافا واهل رشيد ، وكل الذى نضبطه ، هو المدافع والبنادق والبارود والمذابح والقسوة التى لاحد لها ، وحفنة من الشعارات عن الحرية والاخاء والمساواة ، اعترف بونابرت ـ بعد ذلك ـ بانها كانت دجلا من اعلى طراز !



مدينة يافا ـ للرسام وود وارد ١٨٧٥ ـ ١٨٨٠

وفى السنة التى رزق فيها الحاج محمد امين ، تاجر الزبد بمدينة حلب السورية بابنه سليمان (١٧٧٦ م) ، كان جان باتيست كليبر قد أنهى دراسته للعمارة وللهندسة الحربية ، والتحق بجيش مملكة بافاريا ، حيث خدم ثمانى سنوات وحين انشىء الحرس الوطنى ـ فى بداية الثورة الفرنسية ـ انضم إليه ، وهكذا اصبح الضابط السابق المتفوق فى خدمة الامبراطورية ماريا تريزا والملك لويس السادس عشر ، جمهوريا متحمسا ، وهو امر يصعب فهمه على الذين ياخذون الحيـاة ببساطة ، ولكننا نجد ان أشباها ونظائر فى حياة كل جنرالات الثورة الفرنسية ، الساعين إلى مجد السيف وعظمة السلطة ، دون ان يشغلوا انفسهم بالبحث المزعج عن اهداف عليا او غايات سامية ، فهم يقاتلون ويقتلون ، وليس فى مرادهم أن يغازوا فى سبيل الله او سبيل الوطن ..

كليـــــبر
حاكما للاسكندرية

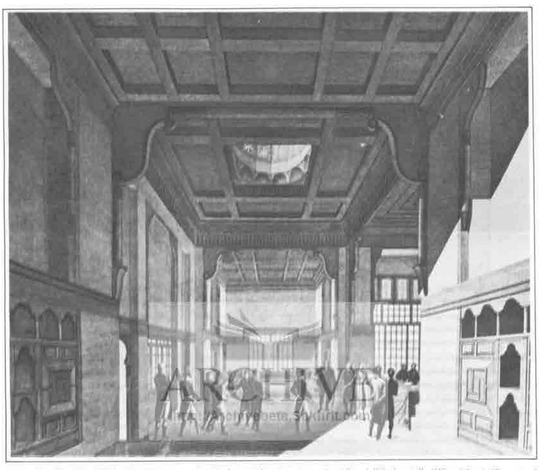
وهكذا شارك كليبر بكفاءة عسكرية فى قمع الاضطرابات التى قام بها فلاحو الأقاليم الغربية الفرنسية ضد الثورة فى الفندية واللوار وسيفرو بريتانى ، وشارك فى حروب الثورة ضد التدخل الأوروبى فدافع عن ماينز التى حاصرتها القوات البروسية شهرين ، وانضم إلى جيش الجنرال بونابرت الذى فتح ايطاليا ، ولمع اسمه فى معارك شامبانيا وشالروا ومايستريك وحين قرر بونابرت ان ينشىء امبراطورية فرنسية شرقية ، صحبه معه إلى مصر ، حيث كان مقدرا له ، ان يموت فى « مواجهة دموية » بعد عامين من رحيله إلى الشرق .

ولا احد يعرف اين كان سليمان الحلبى حين وصل كليبر إلى الاسكندرية فى ٢ يوليو (تموز) ١٧٩٨ م ، لعله كان فى القاهرة ، او فى مكه او فى الاسكندرية ذاتها ، فالذى نعرفه من تاريخه ، انه شاب قلق ، كثير التجوال ، فهو ابن لتاجر فى زمن كان التجار فيه موضع عسف من يحكمون ، تتوالى عليهم الضرائب والغرامات والمصادرات ، وينتقلون بسرعة من الحياة الرخية السهلة إلى حياة تصل إلى حد الفاقه . وهو لم ياخذ عن ابيه إلا انه كثير التجوال ، فقد عاش ثلاث سنوات فى مكة والمدينة مجاورا للبيت العتيق ولقبر الرسول ، وعاش ثلاث سنوات اخرى فى القاهرة ، مجاورا للازهر الشريف ، يدرس القران ويحفظه على يد شيخ تركى عجوز اسمه مصطفى افندى ، وهو قد زار القدس ونابلس ، وكان على صلة وثيقة باهل غزه ، حتى ان الشيوخ الثلاثة الذين عرفوا مشروعه لقتل الجنرال كانوا جميعا من غزه !

وكان اول ما فعله « كليبر » حين نزل إلى البر على شاطىء العجمى بالاسكندرية ، أن ارتوى من ماء بئر قريبه ، واستغرق فى نوم طويل ايقظه منه البرد ، وفى الصباح التالى بدا هجوم المتحضرين على « المتوحشين الهمج .. العرب .. المسلمين .. المصريين » من أهل الاسكندرية . وفى الهجوم تلقى كليبر طلقة إنذار اصابته فى جبهته ، أطلقها جندى من قوات الدفاع عن المدينة المحاصرة كان يقف على سور المدينة ، ولم يفهم «كليبر» مغزى الانذار الذى أصابه فى جبهته ، فقد شغل بعد ذلك بعلاج إصابته ، وبالضيق من قائده بونابرت ، الذى تركه فى الاسكندرية قومندانا وحاكما ، واصطحب الفرقة التى كان يقودها فى زحفه لفتح القاهرة ، وحرمه من رؤية القرون الاربعين التى اطلت على الغزاة من قمة الاهرام .

وفى الفترة التى حكم فيها « كليبر » الاسكندرية اثبت انه مخلص حقا لمبادىء « الفرنسوية المبنية على الحرية والتسوية » ـ كما جاء فى الترجمة العربية للمنشور الذى وزعه نابليون على المصريين ـ وآية ذلك الاخلاص ان سكان الاسكندرية احتموا ـ بعد أن اقتحم الغزاة مدينتهم ـ بالمساجد فذبحهم الغزاة : الرجال والنساء ، الكبار والصغار ، وحتى الأطفال ، ذبحوهم عن بكرة أبيهم .. وبعد أربع ساعات هدأت سورة جنود الحضارة ، رافعى أعـــــلام « الحرية والتسوية » !

وتلك واقعة لم يروها الدفاع عن سليمان الحلبى فى المحاكمة الهزلية التى أجريت له عقب مقتل كليبر ، ذلك انه لم يكن هناك دفاع اما هو نفسه فقد ظل صامتا هادئا كرجل فعل ما يريد ولا يعنيه ما يجرى امامه ، ولو أنه تكلم لنقلت جثة كليبر التى كانت حتى ذلك الوقت فى منزل الجنرال داماس المجاور لمقر المحكمة ، لتوضع فى قفص الاتهام ، ولكف ممثل الاتهام القومسيير سارتلون ـ مدير مهمات جيش الاحتلال ـ عن الاندفاع فى مرافعته الشائنة ، وتعرف حقا من هو صاحب « اليد الأثيمة والروح الخائنة المتعصبة » الذى جاء ليقتل « القائد العظيم



قصر حسن كاشف بالناصرية المقر الرئيسي لبعثة العلوم والفنون التي صاحبت الحملة الفرنسية، بالقرب منه يقع تل العقاب الذي اعدم فوقه سليمان الحلبي

الموت على تل العقاب

المجلل الراس بغار المجد ، الذى تراجعت عنه فى المعامع اخطار الحروب » .

« اكاليل الغار » التى تزين راس كليبر اكثر من ان تحصى ، لكن سليمان الحلبي اثر الصمت ، اما مؤرخو الحضارة فقد تحدثوا احيانا . فبعد عشرة ايام من تعيينه قومندانا على الاسكندرية امر الجنرال كليبر بالتحفظ على عدد من كبار اعيان المدينة ووجوهها واتخذهم رهائن . والسبب ان جثة لاحد جنود مدفعية الأسطول الفرنسى وجدت فى احد الشوارع ، ولفظ البحر ـ فى اليوم نفسه ـ جثة لخادم فرنسى لأحد الضباط ، فغضب الجنرال ، وطلب تسليمه الجناة ، وتهدد بشنق من تقع عليه القرعة من الرهائن إذا لم يسلموا له ، مؤكدا بذلك فهمه للمساواة . فلا أحد فى شعب مغلوب ومقهور ايا كان مقامه ، يساوى جنديا قتل غاليا لأنه تسلل إلى بيت يريد ان يدب على نسائه فنال جزاء عدوانه على حرية الآخرين . ولا أحد فينا نحن المتخلفين الجهلة ، يساوى خادما طوح به السكر إلى مياه البحر . اما اخذ الابرياء رهائن والتهديد بقتلهم على جريمة ارتكبها غيرهم ، فهو افضل تطبيق لقاعدة « شخصية العقوبة » وهذا هو فهم الغزاة لما قاله روسو ومونتسكيو وفولتير ..

وكما اثبت بونابرت ـ حين حكم مصر ـ انه مجرد عاهل مستبد ، فضلا عن انه غازى فقد اثبت كليبر نفس الشىء ، الفرق بين الرجلين ، ان الاول كان بشوشا ، اما كليبر ، فكان جهما ، يقول الجبرتى ان اكابر البلد من المشايخ والاعيان « حين قابلوه ، لم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته ، فانه كان بشوشا يباسط الجلساء ويضحك معهم » ، وكان بونابرت ينطلق من قاعدة ثابتة هى ان يقطع ست رءوس كل يوم ، ويحتفظ مع ذلك ببشاشته ، أما كليبر ، فكان يقطع الرءوس ـ بنسبة اقل ـ ويعوض

الفرق بجهامة تفرض هيبته . وبفرض غرامات جماعية تستنزف المال بلا رحمة . واجتمع المنهجان ليطيحا براس السيد محمد كريم محافظ الاسكندرية ، إذ اصدر الجنرال كليبر فى ٢٠ يوليو (تموز) ١٧٩٨ قرارا بالقبض عليه بتهمة إثارة العصيان ضد الحملة ، وبعث به إلى نابليون فى القاهرة فاصدر امره باعدامه ، وخيره بين الموت بالرصاص ، وبين افتداء نفسه بدفع غرامة ثلاثين الف ريال ، فلم يقبل ، وقالوا له : انت رجل غنى ، فماذا يضيرك ان تفتدى نفسك بهذا المبلغ ؟ قال : إذا كان مقدرا لى ان اموت ، فلا يعصمنى من الموت مال مهما كثر ، وإذا كان مقدرا لى ان اعيش ، فلماذا اشترى قدرى !

ولم يكن سليمان الحلبى « الأفــــاقى الأهوج » بتعبير الجبرتى ، يملك ثلاثين الف ريال ليفتدى نفسه ، وكل الذى كان معه ، حين قدم إلى القاهرة من القدس ليقتل كليبر اربعون قرشا قيمة كل منها اربعون باره ، ولم تكن راسه محملة باكاليل الغار واوهام المجد ، إذ كان يسعى مختارا للفداء ، لمعانقة قدره ، للمغازاة فى سبيل الله ..

وهو قد ولد فى حلب ، وجاء من القدس عبر الخليل ويافا ونابلس وغزة ، اى جاء من الشام : الارض التى كانت بعض حلم نابليون وكليبر ببناء امبراطورية فرنسية شرقية ليقطع الطريق على انجلترا ويضربها فى الصميم . يضربها فينا ، يدميها برءوسنا المقطوعة ، بجوعنا وقهرنا وذبحنا ونحن نصلى ، ملوحا امامنا بالجوكارد شارة الثورة الفرنسية المثلثة الألوان ، وبزخارف الحرية والاخاء والمساواة التى لم نشهد شيئا منها ..

فى الطريق إلى عــكا

كليبر ايضا ذهب إلى غزة ويافا . حدث هذا قبل مقتله بعام . فلم يكن امام بونابرت ، بعد ان حطم نلسون ـ قائد الأسطول البريطانى ـ اسطوله ، قبل ان يمر شهر على نزوله مصر ، وبعد ان ثارت عليه المدن المصرية جميعا ، إلا ان يحاول خرق الحصار وأن يؤكد لنفسه ، ولجيشه وللشعب الذى يرفض « جوكارده » ولاعدائه فى اوربة ، انه مازال منتصرا وقويا وفى ذروة المجد ، فكان قراره بغزو الشام ، وفكر فى ان يولى كليبر قيادة الحملة ، لكنه عدل عن ذلك واثر نفسه بالمجد المتوقع فتولى بنفسه القيادة ، وحرم القائد الالزاسى المتكبر الذى كان يعتبر نفسه اقدم من بونابرت واكفا منه عسكريا ، من مجد الشام !

وفى الشام لم يكن هناك مجد لبونابرت او كليبر ، وفيما بعد قال اولهما « لو استطعت الاستيلاء على عكا ، للبست عمامة ، ولجعلت جنودى يرتدون السراويـــــل الفضفاضة ، ولجعلتهم فيلقا مقدسا ، ولنصبت نفسى امبراطورا على الشرق ، ولعدت إلى باريس بطريق القسطنطينية .. ولكن هذه الاحلام قد دفنت تحت اسوار عكا » !

المجد الذى تحقق فى حملة الشام ، حققته عكا التى صمدت للحصار ٦٢ يوما كاملة رغم ضرب الاسوار والابراج بالمدافع ، وما فتحته المدفعية الفرنسية فى اسوارها من ثغرات ، وموجات الهجوم عليها ، موجة بعد موجة ، لكنها لم تفتح أبوابها للغازى الذى يحلم بعمامة وسروال فضفاض ، اما اكاليل الغار التى عاد بها كليبر وعاد بها بونابرت ، فهى تملا كتب التاريخ : مذابح وقسوة وولوغ فى الدم تخجل منه الوحوش ذوات الظفر والناب التى لم تقرا فولتير ، ولم تتاثر بروسو .

فى الطريق إلى عكا سقطت العريش وغزة والرملة ويافا . ونال كليبر بعض مجد هذا الفتح . فقد كانت فرقته طليعة الجيش . اما التفاصيل فهى كثيرة : فقد تسللت كتيبة من فرقته إلى معسكر العريش فقتلت بالسلاح الابيض خمسمائة من الجند والاهالى ، كانوا نائمين فيما بين إفطار يوم رمضانى وسحوره ، لم يستيقظ الباقون إلا حين شم كلب المعسكر رائحة الدم بعد ان تشبعت بها الرمال ، فنبح ، حينئذ اخذوا اسرى ، ولولا ذلك لواصلت الكتيبة مهمتها فى محو الفارق بين المحاربين وسفاكى الدماء . معلقا على ما جرى فى معســــكر العريش قال نابليون « والحقيقة ان هـــــذا الهجوم يعتبر من اجمل العمليات الحربية التى يتصورها العقل » . والشىء المؤكد ان سليمان الحلبى ـ القذر الثياب والزرى الهيئة والذى كان كثير التجوال فى فلسطين وسوريا ومصر والحجاز ـ كان يفهم معنى مختلفا للجمال عن مفهوم الجنرال بونابرت

ما جرى فى يافا كان تنويعا آخر على تلك المفاهيم الفرنسية للجمال ، فمع ان المدينة قد سقطت بعد ساعات من الهجوم ، إلا ان الفاتحين بدل ان يناقشوا مع الحامية شروط التسليم ، اندفعوا يقتلون كالمجانين كل من يلقهم من اهلها ، فعلوا ذلك طوال ليلة ونهار نبح خلالها كل من له وجه انسان : الشيوخ والفتيات .. الرضع ومن لم يبلغوا الحلم ، المسلمون والمسيحيون . اصبحت السيوف والمدى سيدة الموقف وقائدة البشر ، جنون مجنون يعربد فى شوارع يافا ظامىء للدم ، يتضاعف هياج الفاتحين حين يسمعون

صرخات الاسترحام . ينزون شهوة . يتعطلون رغبة حين يرون فتيات تتشبث باحضان امهاتهن المائتات فيغتصبونهن . وحين يتعبون : يكفون .

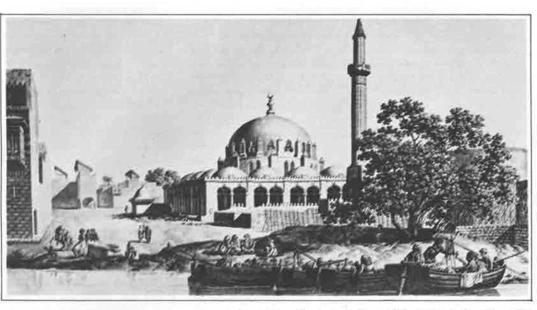
يتذكر قادتهم ان حامية المدينة ما تزال فى قلعتها ، يفاوضونها فى التسليم . يطلب جنود الحامية بالا يعاملوا كما عومل المدنيون من أهل يافا . يبذل لهم الوعد سخيا بان يعاملوا كاسرى حرب . يسلم ثلاثة الاف جندى ســـلاحهم . فيهم مغاربة وسوريون وفلسطينيون ومصريون واتراك . يعقد بونابرت مجلسا عسكريا يضم قادة حملته على الشام . فيهم كليبر . يناقش المجلس مشكلة الأسرى : كيف يطعمهم الجيش الفرنسى وهو بعيد عن خطوط تموينه ؟ . من يحرسهم والحملة فى حاجة إلى كل جندى من جنودها ؟ . كيف يطلق سراحهم وقد ينضمون إلى عكا فيحاربون الفرنسيين مرة اخرى .

قرار باعــدام حامية كاملة !

لم يقل احد من الذين ثبتوا اكاليل الغار على جبين « كليبر » انه تحدث ـ فى هذا الاجتماع ـ عن كلمة الشرف التى استسلم جنود الحامية تصديقا لها . ولم نسمع انه تحدث عن قوانين معاملة أسرى الحرب الذين سلموا سلاحهم ، وكفوا عن القتال . تلك القوانين « الحضــــــارية » التى لا نستحقها نحن « الهمج المتوحشين » ، ولان « كليبر » ـ او غيره ـ لم يثر هذا الدفع البسيط ، فقد صدر القرار باعدام حامية يافا عن بكرة ابيها (٣٠٠٠ عربى ومسلم من مصر والشام والمغرب وتركيا) .

وصف التنفيذ كتبه المواطن الفرنسى ـ بيروس ـ فى خطابه لامه .. قال فيه :

ـ فى صباح اليوم التالى اخذ المغاربة جميعهم إلى شاطىء البحر ، وبدأت كتيبتان فى رميهم بالرصاص ، وكان املهم الوحيد فى النجاة هو ان يلقوا بانفسهم فى البحر ، فلم يترددوا ، وحاولوا كلهم الهرب سباحة فضربوا بالرصاص على مهل ، ولم تمض لحظة حتى اصطبغ ماء البحر بدمائهم ، وانتشرت جثثهم على سطحه ، واسعد الحظ نفرا قليلا فوصلوا إلى بعض الصخور ولكن الاوامر صدرت للجنود باقتفاء اثرهم فى قوارب والاجهاز عليهم وصــــدرت التعليمات للجنود بالا يسرفوا فى الذخيرة فبلغت بهم الوحشية ان اعملوا فيهم الطعن بالسونكى . وقد وجدنا بين الضحايا اطفالا كثيرين تشبثوا وهم يموتون بابائهم .



بولاق .. بدأت منها ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين وأمر كليبر بحرقها

الموت على تل العقاب

على شاطىء البحر ، كان من بقى من أسرى حامية يافا ، يخوضون بحر الدم دفاعا عن حياتهم ، ويصنعون من جثث رفاقهم الذين ماتوا بالرصاص ، متاريس تحميهم من طعنات السونكى .

بعد خمسة أسابيع من ذلك التاريخ تكرر المشهد بمعظم تفاصيله أسفل جبل طابور جنوبى بحيرة طبرية . وكان البطل هذه المرة كليبر نفسه ، إذ طوقه جيش والى دمشق أسفل الجبل ، واستمر يحاصره عشر ساعات ، حتى كادت ذخيرته تنفد ، واستبد العطش بالجنود ، وأمامهم – على مسافة قريبة بحيرة عجزوا عن الوصول إليها ، وانقذ نابليون الموقف ، وقاد بنفسه فرقة من الجيش بدأت فى إطلاق المدافع من مرتفع جنوبى ساحة القتال ، وحين بدأ جيش والى دمشق ينسحب توقيا للمدفعية التى أصبح هدفا سهلا لها ، أمر كليبر رجاله المجهدين عطشا بمطاردة الجيش الدمشقى المنسحب ، خاضوا فى البحيرة ، لا ليشربوا ، ولكن ليقتلوا . كتب أحدهم فى مذكراته يقول :

كنا نموت ظما .. ولكن ظمانا للانتقام أطفأ ظمانا للماء ، والهبت ظمانا للدماء . رحنا نخوض إلى خصورنا مياه هذه البحيرة التى كنا نشتهى ان نشرب منها قدحا قبل لحظات ، غير اننا لم نعد نفكر فى الشراب ، بل القتل وفى صبغ البحيرة بدماء هؤلاء الهمج ، حتى امتلأت بجثثهم ..

فى تلك الأيام كان نابليون قد طبع منشورا لأهل فلسطين قال فيه « ... وسيكون الدين على الأخص موضع الحماية والاحترام ، لأن جميع الطيبات من عند الله .. والنصر من عند الله » .

جثث أهل يافا المتعفنة فى شوارعها ، متاريس جثث الحامية التى ظلت على الشاطىء الدم الذى روى عطش جيش كليبر أسفل جبل طابور ، كل هذا أثمر طاعونا ماليث أن هزم الجيش الغازى تحت أسوار عكا ، يقول هيرولد « فى اليوم الثانى من مذبحة يافا ، أرسل الله – الذى من عنده تأتى جميع الطيبات – الطاعون على الجيش الفرنسى » .

ومع أن أحدا من المؤرخين لم يذكر شيئا عن سليمان الحلبى ، فمن المؤكد أنه كان يوما فى مسجد ما من مساجد حلب ، أو دمشق ، أو القاهرة ، يقرأ بخشوع :

– وارسل عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف ماكول .

... ...

... ...

قضى سليمان الحلبى الشهور الخمسة الأولى من عام (١٨٠٠ م) فى فلسطين . وصلها فى الشتاء ليصلى فى المسجد الأقصى ويجاوره زمنا . ولابد انه سمع هناك بما فعله الفرنسيس باهل يافا وبحامية دمشق ومعسكر العريش . كان مكدودا وضائقا ، ذلك ان والى حلب العثمانى ابراهيم باشا ، فرض على أبيه غرامة ضخمة والزمه بدفعها ، فرحل الشاب القلق عن عمل يقتات منه ، وعن باب يشكو إليه ما يفعل الوالى الظالم .

وكانت فلسطين ايامها قد اصبحت مركز تجميع الجيوش العثمانية التى تستعد للهجوم على الفرنسيين لتجليهم عن مصر . أما كليبر ، الذى تولى قيادة الجيش فى مقتبل الخريف ، فقد كان يقرأ ساخرا رسائل نابليون إليه :

ولا تنس يا مواطنى الجنرال ان قمبيز واجزرسيس والاسكندر الأكبر وعمرو بن العاص وسليم الأول كلهم دخلوا مصر من فلسطين .

فماذا تفيد تلك البديهيات التاريخية ،

قائدا استخلف على جيش هبطت قوته المقاتلة الى النصف ، وهذه الطاعون ، والحصار يخنقه من البر والبحر . ويكتب كليبر إلى حكومة الديركتوار الفرنسية قائلا :

إنى اعترف باهمية احتلالنا مصر ، وقد كنت اقول فى اوربا ان مصر بالنسبة لفرنسا كنقطة الارتكاز التى نستطيع بها ان نقبض على ناصية التجارة ، ونتولى زمامها فى سائر انحاء العالم ، ولكن يجب ان يكون لفرنسا محرك قوى . وهذا المحرك هو البحرية ، ولقد كانت لنا بحرية ثم ضاعت فتغير كل شيء ، وتغيرت المسالة من كل وجه ولم يعد لنا فيما يظهر لى سوى عقد صلح مع تركيا لنمهد لانفسنا طريقا شريفا نتخلص به من حملة لا يمكن ان تحقق اغراضها التى دعت إليها !

ولان احدا فى فرنسا ـ حتى بونابرت ذاته ـ لم يرد عليه ، فقد دخل مفاوضات الصلح مع العثمانيين ، ووقع معهم ـ فى ٢٤ يناير (ك ٢) ١٨٠٠ م ـ معاهدة العريش وتطبيقا لها بدا جيش الشرق فى الرحيل ، لكن اللعبة الدولية ابت عليه هذا « الطريق الشريف » ، فالانجليز الذين كانوا طرفا فى المفاوضات ، لم يرضهم ان يرحل جيش الشرق باسلحته لينضم إلى جبهات القتال ضدهم فى اوروبا . فقطعوا طريق البحر عليهم ، واسروا كل من خرج منهم . ولم يجد العثمانيون بدا من الهجوم على الجيش الفرنسى لاجلائه بالقوة . فكانت معركة عين شمس ..

بين « العظمة » و « الوحشية»

لم يتطلب الجيش العثمانى سوى يوم واحد ليهزم فى معركة عين شمس ، لكن « القاهرة » تمردت خمسة اسابيع كاملة ، فما كاد كليبر ينتصر على العثمانيين ، حتى تحولت شوارع المدينة إلى متاريس ، امتد الغضب من بولاق إلى كل انحاء المدينة . خرجت السيوف والبنادق والرماح والعصى بل والمدافع المدفونة فى باحات المنازل ، وسرعان ما استولى الثوار على المدينة ، قاموا متاريس قوية فى مداخل الشوارع ، هاجمت فصائل منهم مقر القيادة العامة لجيش الاحتلال ، حيث يسكن كليبر ، فى ميدان الازبكية . انشاوا معملا لصنع القنابل وصب المدافع ، جمعوا له الحديد من المساجد والحوانيت ، وتطوع الصناع للعمل فيه . استعانوا بكرات الحديد التى تستخدم فى الموازين « كقذائف » . اخذوا يجمعون القنابل التى تتساقط من المدافع الفرنسية فى الشوارع فيحيلونها إلى قذائف جديدة . تشكلت لجان للاعاشة ، وللتجنيد ، ولمراقبة المتاريس ورسم الخطط

وحين دخل كليبر المدينة ،كانت فى ايدى الثوار ، فلم يبق امامه سوى النار . بدات مدافع الفرنسيين تطلق قذائفها على المنازل واحتلت فرق من جيش الاحتلال الاكام المشرفة على المدينة ، فاحاطت بها شمالا وشرقا ، وحوصرت بحيث لا يصلها طعام ولا ماء . وتقدم جيش الشرق يشعل النار فى المتاريس والمنازل تطفئها الامطار الغزيرة التى هبطت على القاهرة ، فيعيدون اشعالها من جديد . خمسة اسابيع كاملة والقاهرة تقاوم ، والنار ترعى فى مساكنها ، ولا أحد يقبل التسليم .

واخيرا .. اقتحم الفرنسيون بولاق ، ففعلوا باهلها ـ كما يقول الجبرتى المؤرخ ـ ما تشيب من هوله النواصى . « صارت القتلى فى الطرقات والازقة ، واحترقت الدور والقصور » . اما الازبكية وما جاورها من الاحياء التى دار فيها القتال ، فقد صارت كلها « تلالا وخرائب ، كانها لم تكن مغنى صبابات ، ولا مواطن انس ونزهات ، جنت عليها ايدى الزمان ، وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، واقفرت مساكنها ، تسكب عند مشاهدتها العبرات » .

بكى الجبرتى المؤرخ ، اما الجنرال كليبر ، فقد اضيفا إلى اكاليل غاره ، إكليل جديد ، وبات من الدقة العلمية ان نسمية : بطل معارك مايستريك وشارلوا وفانييه وجبل طابور وعين شمس وبولاق .

فى القدس كان سليمان الحلبى ـ القادم من قلب القهر ـ قد قرر ان يغازى فى سبيل الله ..

... ...
... ...

لا احد يدرى كيف نبتت فكرة مشروع اغتيال كليبر ، ومن الذى اوحى بها ، ذلك ان سليمان الحلبى ، لم يكن من هؤلاء الذين يدونون خواطرهم . كما انه لم يعن كثيرا باطلاع الاخرين على مادار فى راسه . وحين قبضوا عليه ، وعذبوه « حكم عوائد البلاد » لم يفض كثيرا فى الحديث . ومع ان جوهر روايته لما جرى ، صحيحه ، إلا بعضا مما قاله ، وقاله الاخرون . يحتمل الشك وربما الاهمال .

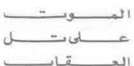
وطبقا لروايته ، فقد نبت المشروع فى حوار بينه وبين « احمد اغا » محافظ القدس وكان المحافظ قد تسلم منصبه فى نهاية مارس (آذار) ١٨٠٠ م ، وذهب اليه سليمان يشكو ما يلاقى اباه ، الحاج محمد امين ، تاجر المسلى بحلب ، من اضطهاد ، إذ تعود ابراهيم باشا ، محافظ حلب ، ان يفرض عليه ـ وعلى غيره من التجار ـ غرامات فادحة ينوءون بها . واسفر اللقاء عن مواعيد اخرى متعددة ، جرت فى الأيام التالية ، وتراجعت خلالها المشكلة بين تاجر المسلى ومحافظ حلب ، ليطرح مشروع اغتيال كليبر ..

واسفرت اللقاءات بين الرجلين عن اتفاق بان يتوجه سليمان إلى القاهرة لتنفيذ المهمة ، وطلب منه احمد اغا ان يسافر إلى غزة ، ليلتقى هناك بشخص اسمه « ياسين اغا » ، سيقدم له المساعدات الضرورية لتنفيذ مهمته . ولم يزوده باى خطابات تقدمه او رسائل تعريف ، إذ فضل ان يرسل ذلك عن طريقه ، حتى لا تتعرض الرسائل للوقوع فى يد غريبه ، او تطلع عليها عين متطفله .

ولم تستغرق تلك المباحثات جميعها سوى ثلاثة ايام . وفى اليوم الرابع غادر سليمان « القدس » إلى الخليل ، حيث ظل عشرين يوما فى انتظار قافلة يرافقها إلى غزة ، ليكون فى مامن من قطاع الطرق . وحين وصل إلى غزة فى نهـــاية ابريل (نيسان) ١٨٠٠ ، التقى بياسين اغا ، الذى قال له بان لديه علما بالمهمة التى قدم من اجلها ، ورتب له إقامة مؤقتة بجامع غزة الكبير ، وتردد عليه هناك عدة مرات ، تباحثا خلالها فى المشروع ، وكان ياسين اغا حريصا على ان يكون اللقاء خفية عن الاعين ، لذلك تمت معظم اللقاءات ليلا . وحين تمت الصفقة ، وعده ياسين برفع الاضطهاد عن ابيه ، وان يشمله بحمايته فى جميع المناسبات ، واعطاه اربعين قرشا تركيا ـ قيمة كل منها اربعون باره ـ لمصاريف سفره ، واوصاه ان يكون حذرا ، والا ينفذ المشروع إلا بعد ان يضمن نجاحه والا يحدث احدا بشانه .

وخلال الايام العشرة التى امضاها بغزة فى انتظار قافلة تقوده للقاهرة ، اشترى سليمان الخنجر الذى اغمده فيما بعد فى صدر كليبر ، ولم يبذل مجهودا كبيرا فى الانتقاء ، إذ اشترى اول خنجر صادفه ، والتحق باول قافلة مسافرة ، وكانت محملة بالصابون والدخان ، قطعت المسافة بين غزة والقاهرة فى ستة ايام ، قضاها سليمان على ظهر هجين .

ولان القاهرة كانت ـ حين وصل إليها سليمان فى منتصف مايو (١٨٠٠ م) ـ ما تزال تلعق جراح الثورة ، ابوابها مخفورة وآثار الحريق فى كل شوارعها ، والبحث لا يهدا ـ ليل نهار ـ عن الجنود العثمانيين



الذين تسربوا إليها ، والمتمردين الذين قادوا المقاومة ، فقد اثرت القافلة الا تدخل المدينة ، وحطت رحالها فى قرية صغيرة بجوار الجيزة اسمها : العياط . ومن هناك استاجر سليمان الحلبى حمارا ، دخل به المدينة فى ١٤ مايو ١٨٠٠ م .

امضى سليمان الحلبى شهرا كاملا فى القاهرة ، كانت الثورة قد خمدت ، اما اعمال الثار فكانت فى قمتها . وكان كليبر يطبق قاعدته : رؤوس اقل تذبح ، واموال كثيرة تنهب ولا بشاشة هناك . لذلك صمم ــ كما قال ــ أن يعصر مصر كما يعصر الشربتلى الليمونة . وتطبيقا لسياسة « الارهـــاب المالى » تلك ، فرض على المدينة العاصية ، غرامة قدرها ١٢ مليون فرنك ، واعتقل خمسة عشر رجلا من أعيان المصريين حتى تجمع الغرامه الذى وزعت ــ كما يقول الجبرتى ــ على « الملتزمين واصحاب الحرف حتى الحواة والقرداتية والتجار واهل الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم ، كل طائفة عليها مبلغ معلوم ، وكذلك بياعو الدخان والتنباك والصابون والخروجية والعطارون والزياتون والشواءون والجزارون والمزينون وجميع اهل الصنائع والحرف ، وجعلوا على الأملاك والدور اجرة سنة كاملة » .

وعند التنفيذ ، كان البلاء عظيما ، يقول الجبرتى « مضى عيد النحر ولم يلتفت إليه احد ، بل ولم يشعروا به ، ونزل بهم من البلاء والذل مالا يوصف ، وفرغت الدراهم من عند الناس واحتاج كل إلى القرض فلم يجد الدائن من يدينه لشغل كل فرد بشانه ومصيبته ، فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشترى ، اذا اعطوهم ذلك لا يقبلونه ، فضاق خناق الناس ، وتمنوا الموت فلم يجدوه ، ثم وقع الترجى فى قبول المصوغات والفضيات ، فاحضر الناس ما عندهم ، فيقوم بابخس الأثمان ، واما اثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس فلا يوجد من ياخذه ، وحين يشتد الطلب ، وينبث المعينون والعسكر فى طلب الناس ومهاجمة الدور ، وجرجرة الناس حتى النساء من اكابر واصاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم ، والذى لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون داره » .

وهكذا دخل سليمان الحلبى ، ليجد القاهرة ، بتلخيص الجبرتى ــ فى شر حال ، فـ « الطرق مجفرة ، والأسواق مقفرة ، والحوانيت مقفولة ، والعقول مخبولة ، والحانات والوكائل مغلوقة ، والنفوس مطبوقة ، والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصائب عميـــة ، والعكوسات مقصودة والشفاعات مردودة .. وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

انتهى التحقيق فى اليوم نفسه ــ السبت ١٤ يونيو ١٨٠٠ م ــ وتحدد اليوم التالى لبدء المحاكمة ، واصدر الجنرال منو ــ الذى خلف كليبر فى القيادة العامة ــ امرا بتشكيلها من تسعة من قادة الجيش . وفى جلستها الاولى ، ندبت المحكمة رئيسها ، وممثل الاتهام فيها ، لاجراء التحقيق ، وجمع ادلة الاتهام . فاسفر تحقيقهم عن اتهام سليمان الحلبى ، والأزهريين الاربعة الذين افضى اليهم بعزمه ، وهم محمد الوالى وعبد الله الغزى وعبد القادر الغزى واستاذه مصطفى افندى الذى بات عنده عند حضوره الى مصر ، فكان عدد المتهمين ستة ، ولما كان رابع المتهمين « عبد القادر الغزى » قد فر قبل المحاكمة ، فقد حوكم غيابيا ..

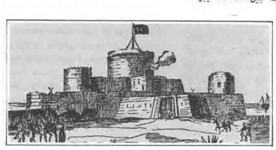
وحين انعقدت المحكمة فى اليوم التالى ــ الاثنين ١٦ يونيو (حزيران) ١٨٠٠ م ــ وقف ممثل الاتهام القومسير سارتلون ، يترافع ضد المتهمين ، فتحدث عما يكتنف الجيش الفرنسى فى مصر « من حداد عام ، وحزن عميق فيهما الدليل على عظم المصاب ، ففى مجال المجد والنصر ، اختطف من بيننا قائدنا قتيلا » . وتساءل « ماذا عسانى أن اضيف الى التعبير عن الالم المبرح الذى نشعر به من اجله ؟ هل اذكر دموع جنوده ؟ الذين كان لهم بمثابة الوالد ، أم اذكر ما يملأ قلوب قواده ــ الذين حضروا فعاله وزاملوه فى مواطن المجد ــ من أسى » .

وفى مجال المقارنة بين عظمة كليبر ، وجيشه ، وبين « وحشية » سليمان الحلبى ورفاقه ، تحدث سارتلون عن « بحبوحة التسامح والكرم التى يرتع فيها المصريون من قاهريهم » اما العثمانيون والمصريون والعرب ، فقد وصفهم « سارتلون » بانهم « متوحشون ، جبناء ، لا تحمر وجوههم خجلا من اقدامهم على الانتقام لهزيمتهم بالاغتيال ، لذلك لن يكسبوا أمام العالم سوى العار » .

وارجع المدعى العمومى « جريمة » سليمان الحلبى ، الى التعصب والهلاوس الدينية ، فهذا « الشاب المتوحش الموصوم بوصمة الاجرام ، اثرت روح التعصب الدينى أبلغ الأثر فى راسه المضطربة بخاطىء الأقاويل عن مقتضيات الاسلام الصحيح ، حتى بات يعتقد أن أقوى دعائم الدين ، واعز وسائله هى الجهاد فى سبيل الله وموت المشركين » .

وفى ختام مرافعته طلب المدعى العمومى من المحكمة ادانة سليمان الحلبى والحكم بحرق يده اليمنى ، ثم يوضع على الخازوق حتى يموت وتنهش الطيور الجارحة جسمه وان يقضى بادانة الشيوخ الثلاثة محمد وعبد الله واحمد الغزى فى الاشتراك بالجريمة ، لعدم ابلاغهم عنها رغم علمهم المسبق بها ، ويحكم بقطع رؤوسهم ، وان يحكم على رابعهم عبد القادر الغزى ــ الذى هرب ولم يتمكن الفرنسيــون من القبض عليه ــ بنفس الحكم ، على أن تنفذ الاحكام إثر تشييع جنازة الجنرال كليبر بحضور الجيش واهالى البلاد ، وان يحكم ببراءة ساحة مصطفى افندى ويفرج عنه ، إذ لم يثبت أن سليمان الحلبى قد أنباه بمشروعه وان يطبع من الحكم واوراق الدعوى خمسمائة نسخة وتنشر مع ترجمتها الى اللغتين التركية والعربية فى مختلف انحاء مصر بالمواقع المعتادة والمخصصة لذلك ..

وبعد أن انتهى المدعى العمومى من مرافعته ، اعادت المحكمة استجواب المتهمين ، فاعترفوا بالوقائع كما وردت فى اقوالهم النهائية ، وسالتهم هل يريدون توكيل محام للدفاع عنهم ، فلم يردوا ،



استحكامات يافا

فانتدبت المحكمة المترجم « لوكاهاما » للدفاع لكنه قال ان لا شيء لديه ليقوله .

اختلت المحكمة للمداولة فى الحكم ، وسال الرئيس اعضاءها إبتداء من أصغر الاعضاء رتبة ، عن كل متهم على حدة ، فكان قرارهم انهم جميعا مذنبون ، ما عدا مصطفى افندى الخطاط واستفتاهم جميعا عن نوع العقوبة التى توقع على كل متهم ، فوافقوا على ما اقترحه المدعى العمومى فى مرافعتــه ..

... ...

... ...

امضى سليمان أول ليلة له بالقاهرة بمنزل استاذه مصطفى افندى ، واستضافه الشيخ العجوز الذى جاوز الثمانين من عمره ، إذ كان هو الذى علمه الخط وحفظ عليه القران حين كان بالقاهرة قبل ذلك بثلاث سنوات . وفى الصباح ،اعتذر له ، فهو شيخ عجوز فقير ، لا قبل له بضيافته . وقبل سليمان عذر الرجل ، واستاذنه أن يمر عليه بين الحين والآخر لزيارته ، فاذن له ، فظل يتردد عليه طوال الشهر التالى كل اثنين وخميس .

ونقل سليمان اقامته الى الجامع الازهر ، حيث التقى باربعة من أصدقائه ، جميعهم من غزة ، ويقيمون كغيرهم من طلاب فلسطين وسوريا ، فى رواق الشوام ، وكان اكبرهم « عبد الله الغزى » فى الثلاثين من عمره ، امضى منها عشر سنوات فى الأزهر ، وهى المدة التى قضاها ثانيهم « احمد الوالى » الذى كان يناهزه عمرا ، أما احدثهم إقامة فى القاهرة وفى الأزهر ، فكان الشيخ « محمد الغزى » ، إذ لم تمض على إقامته فى الجامع الكبير سوى خمس سنوات . وهرب الرابع « الشيخ عبد القادر الغزى» بعد مقتل كليبر ، فلم يترك اى معلومات تخصه .

سهل المشايخ الأربعة لسليمان الحلبى الالتحاق بالجامع الازهر ، والاقامة فيه ، دون إخطار السلطات الفرنسية ، التى كانت قد أصدرت امرا بالاخطار عن كل عثمانى يصل الى القاهرة . ومنذ البداية اخطرهم بمشروعه ، فنصحوا له بعدم الاقدام عليه ، وأشاروا الى الصعوبات التى تحول دون تنفيذه ، ونبهوه الى انه سيقتل ، لكن سليمان لم يقتنع بما قالوه ، وواصل الحديث عن مشروعه خلال الأيام التالية ..

وطوال الوقت كان سليمان مشغولا بالبحث عن كليبر ، ودراسة أنسب مكان لتنفيذ مشروعه ، وكان القائد العام قد نقل إقامته الى معسكر الجيزة ، حتى تنتهى الاصـــــلاحات التى كانت تجرى فى بيت الألفى ، مقر القيادة العامة ، الذى كان يقيم به قبل ان تصيبه قنابل الثوار باضرار ، أصبح معها غير صالح لاقامته قبل ترميمه ، كما انه كان كثير التجول فى المدينة ، يراجع متطلبات الدفاع عنها ، ويطمئن الى سلامة قلاعها وحصونها ، ويشرف على اجراءات تحصيل الغرامة التى فرضها على اهلها ، فلم يكن له خط سير ثابت يسهل معه اقتناصه ..

ولظنه ان الفرصة المتاحة لتنفيذ مشروعه ، قد تتاخر بعض الوقت ، فقد اخذ سليمان يبحث عن عمل يقتات منه ، ككاتب عربى ، ومع ان الفرصة لم تسنح ، الا انه وجد اعمالا متفرقة ، وكان يقضى معظم أوقاته بالأزهر ، ويكتب احيانا اوراقا تتضمن ادعية وايات من القران ، يوزعها على الطلاب والمصلين فى الجامع الكبير .

وحين عرف مقر إقامة الجنرال بالجيزة ، انطلق الى هناك ، وراقب موكبه ، وسال النوتية الذين ينقلونه عبر النيل من الجيزة الى القاهرة عن السبيل للقياه ، وحين استفهموا منه عن سبب سؤاله ، قال لهم انه يود ان يقدم اليه شكوى .. فاخطره احدهم أن الجنرال يذهب عصر كل يوم الى حديقة الأزبكية ليتفقد اعمال الترميم فى مبنى القيادة العامة .. لحظتها كان قدر كليبر قد ادركه ..

... ...

... ...

آخر مشاهد

« المجـــــد »

القاهرة

الثلاثاء ١٧ يونيو (حزيران) ١٨٠٠ م .

حين بدات جنازة الجنرال كليبر تحركها من مبنى القيادة العامة ، انطلقت طلقة مدفع القلعة ، مرة كل ثلاث دقائق . وتقدمت كتائب الجيش من الفرسان والمدفعية ثم حرس القائد العام ، فموسيقى الجيش موكب الجنازة ، حمل الجنود بنادقهم منكسة ، ووضعوا أشرطة سوداء على اكمامهم ، اما الطبول التى كانت تدق دقا جنائزيا خافتا ، فكانت هى الأخرى مجللة بالكريب الأسود .كذلك كان النعش الذى حمل على مركبة تجرها الجياد ، وفوقه سيف كليبر وقبعته وشاراته والسكين الذى قتل به . خلف النعش وفد من فرسان المماليك ، ثم الجنرال منو ـ خليفة كليبر ـ وقواد الجيش واعضاء المجمع العلمى الفرنسى ، ثم أعيان القـاهرة من التجـار والعلماء والقساوسة ، ومندوبو طوائف الصناع ، وسارت الجنازة من الأزبكية الى درب الجماميز الى الناصرية ، حتى تل العقاب ..

وهناك توقفت الجنازة ، وما احتشد فيها ، ليشهد كليبر ـ قبل الدفن ـ اخر مشاهد المجد !

انزل نعش كليبر من فوق عربته ، ووضع على تل العقاب ، حيث كانت مراسم تنفيذ الحكم فى سليمان الحلبى وشركائه فى انتظار وصول النعش ، وما ان انطلقت المدافع ، حتى بدا الشطر الثانى من الاحتفال . تقدم « بارتليمى » محافظ القاهرة اليونانى ، فاطاح برؤوس المشايخ الثلاثة . وكان الفحم انذاك ، يحمى فى مجمرة ، وحين انتهى المحافظ من مهمة اعدام المشايخ ، تقدم الى سليمان ، ووضع كفه فى المجمرة ، لكنه لم يشك ، ولم يتكلم والنار تاكل لحمه الحى ، غير انه اعترض حين تعمد « بارتليمى » ان يعدل من وضع يده ، لتطول النار مرفقه ، منبها ان الحكم لم يذكر المرفق بل اليد فقط . وتشاجر سـليمان مع « بارتليمى » ونعته بالكلب ، واصر على حقوقه حتى ازيحت عن مرفقه الجمرة ..

وبعد ان احترقت يد سليمان ، بدا تنفيذ القسم الثانى من الحكم الصادر بحقه . وقام « بارتليمى » بعملية الخوزقة بمهارة ، احضر قضيبا مدببا من الحديد ، ثم بدا فى إدخاله فى شرج سليمان الحلبى ، بالدق عليه دقات خفيفة ، حتى لا يحدث نزيفا يؤدى الى موته قبل أن يتعذب بما يكفى ، وبعد ان انتهى تلك الاجراء التمهيدى ، رفـع الخـازوق قائما ، وعليه سليمان ،ثم غرس فى الأرض، طلب سليمان من جندى فرنسى كان يقف على مقربة منه ، أن يعطيه شربة ماء ، كان الجندى على وشك أن يعطيه زمزميته ، منعه «بارتليمى» ، إذ سوف تؤدى اى نقطة ماء الى موته فورا ، فتنقذه من عذابه ، وهذا مخالف لمنطوق الحكم ..

على تل العقاب .. فارق جثمان كليبر سليمان الحلبى .. مضوا به ، تتقدمهم الفرسان والموسيقى ، وحين وصلوا الى فناء قصر العينى ، حيث أعدوا فى حديقته قبرا للجنرال ، على درج عال زرعوا حوله أعواد السرو . وبعد انتهاء مراسم الدفن ، القى المواطن فوربيه ـ سكرتير المعهد العلمى الفرنسى ـ كلمة طويلة ، تحدث فيها عن الجنرال كليبر بطل معارك فانديه وشارلوا وفلوريس ومايستريك والفكريش وفريدبرج ، ومقتحم الاسكندرية وبطـــل معركة جبل طابور وعين شمس ، من اخمد ثورة القاهرة ، وجاء ـ مع جيشه ـ لينشر اعلام الحضارة والعدل على ضفاف النيل ..

فى تلك اللحظة .. كان سليمان الحلبى جالســـا على خازوقه فــوق تل العقاب .. يصلى . !!

صلاح عيسى

الحياة بكل بساطتها فى مقهى شعبى كما صورها الفنان جوزيف اوستن بينويل فى عام ١٨٦٥ ميلادية .. واللوحة بالالوان المائية . ومقاس ١٦ × ٢٢ بوصة ، وتبدو فيهـا بعض التقاليد القديمة التى اندثر معظمها ودخل إلى دنيا التراث !



سوق السلاح فى القاهرة .. كان من اهم زبائنـه التجار المسافرون إلى شبه الجزيرة العربية .. واللوحة من اعمال الفنان تشارلز روبرتسون الذى حاول اظهار اهم انواع الاسلحة المستخدمة فى القرن الماضى .

معرض فني للتراث العربي في شيراتون الدوحة:

هؤلاء الفنانون ليسوا مستشرقين.. ولكنهم عشاق للحياة العربية!

اقام متحف (جاليرى لندن) فى هذا الشهر معرضا هاما فى فندق شيراتون الدوحة ، ضم ٧٢ لوحة زيتية ومائية ، تمثل التراث العربى خلال القرن التاسع عشر ، وتراوحت أسعار هذه اللوحات ما بين ١٨ الف ريال قطرى و ٦٠ الف ريال قطرى ، اى ان الثمن الاجمالى للوحات المعروضة يفوق المليون ريال او ما يعادل ١٤٠ الف جنيه استرلينى ..

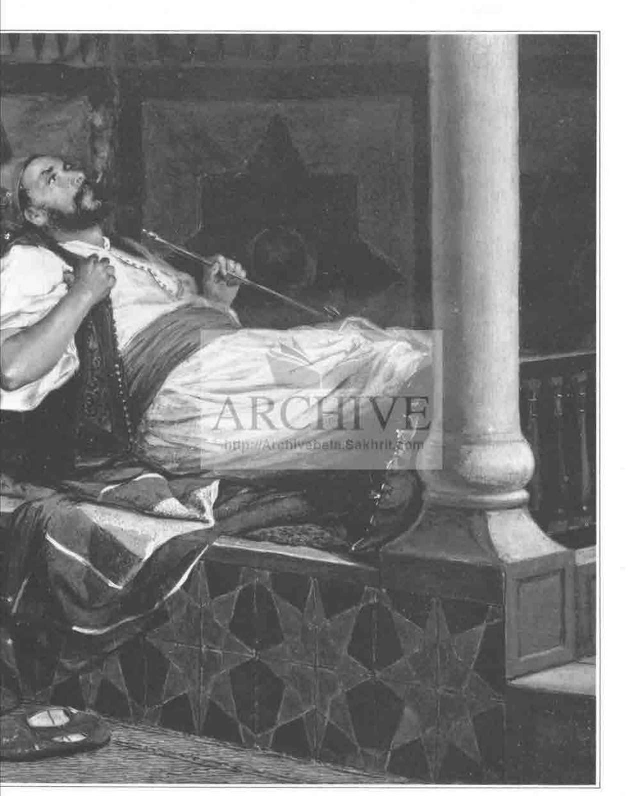
واهمية هذا المعرض تاتى من ناحية تخصصه المتميز فى اللوحات التى تعبر عن واقع الحياة العربية أيام زمان ، الامر الذى جعلها محط اعجاب وتقدير هواة الفن فى كل مكان ..

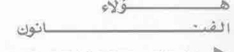
ويقول المسئولون عن المعرض أن هذه اللوحات تمثل سجلا قيما للعادات والحضارة العربية القديمة الأصيلة فى بلدان الخليج والمملكة العربية السعودية .. وان صاحب هذا المعرض واسمه « هـ. ماكدبرمت » قضى سنوات عديدة فى البلاد العربية ، وعايش البدو فى حياتهم اليومية ، ولم يمنعه عمله كمنتج افلام ومدير استثمارات فى لندن ، من أن يعبر عن حبه للمنطقة بجمع مجموعة من اللوحات تعبر عن الواقع الحى لتقاليد شبه الجزيرة العربية بكل ما فيها من الوان زاهية وموضوعات جذابة ، حيث ان الكثير من هذه التقاليد أصابها التغير السريع نتيجة لنمط الحياة الجديد فى المنطقة ..

واللوحات التى تم عرضها فى مدينة الدوحة ، جاءت من صالة متحف « جاليرى لندن » الذى انشىء فى عام ١٩٧٥ ، وقد نظر البعض الى هذه اللوحات على انها من انتاج فنانين مستشرقين ينظرون الى الحياة العربية بعين السائح المغامر الذى يرى هذه الحياة من الخارج ولا يحس بها او يتذوقها ، ولكن الحقيقة ان هؤلاء الفنانين هم من الغربيين القلائل الذين احبوا العرب وأحسوا بهم إحساسا عاطفيا عميقا ، انعكس على أعمالهم الفنية ، التى جاءت فى حقيقتها عملا من العشق والفهم والمحبة ، وليست عملا من أعمال السياحة والاستشراق والرؤية السطحية السريعة .

ولذا فاننا باختيارنا لأهم لوحات المعرض ، انما نقدم عملا فنيا رائدا يصور التقاليد والعادات القديمة التى ستظل راسخة فى ذهن المواطن العربى كجزء عزيز من تراثه ، حتى وان اخفى الزمن والتطور بعض معالمها !







هـــــــؤلاء الفنـــــــــانون

▶ تدخين الغليون .. لوحة رائعة اضافت فيها تفاصيل زخرفة المكان للواقع الانسانى بعدا زمنيا جعلنا نحس بواقع الحياة فى القرن التاسع عشر .. اللوحة للفنان جان بابتست هوسمنز .



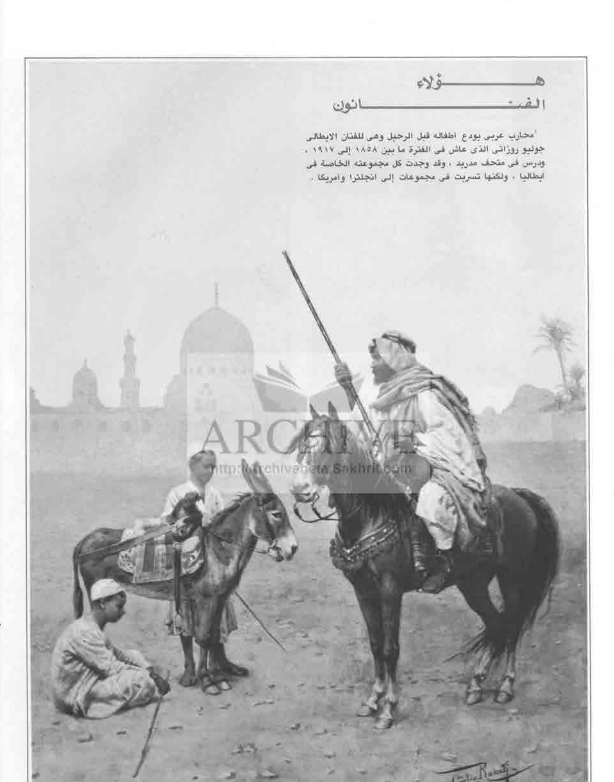
تدريب الخيول .. تلك الرياضة المحببة إلى قلوب العرب .. إنها هواية عشقها سكان شبه الجزيرة العربية ...واللوحة هناللفنان جون هارنجتون وهى بالالوان المائية ومقاسها ٥ر٢٠ × ١٤ بوصة.



امومة .. الحصان العربى الاصيل يقف شامخا فوق الارض الشاسعة الارجاء .. بينما المهر الصغير يستلقى فى اطمئنان فوق هذه الأرض الطيبة وفى لحظة الغروب .. اللوحة للفنان جون هارنجتون بيرد ، وهى مرسومة بالالوان المائية ، وحجمها ١٤X ٥ر٢٠ بوصة

هـــــؤلاء الفـنـــــــانون

'محارب عربى يودع اطفاله قبل الرحيل وهى للفنان الايطالى جوليو روزاتى الذى عاش فى الفترة ما بين ١٨٥٨ إلى ١٩١٧ ، ودرس فى متحف مدريد ، وقد وجدت كل مجموعته الخاصة فى ايطاليا ، ولكنها تسربت فى مجموعات إلى انجلترا وامريكا .



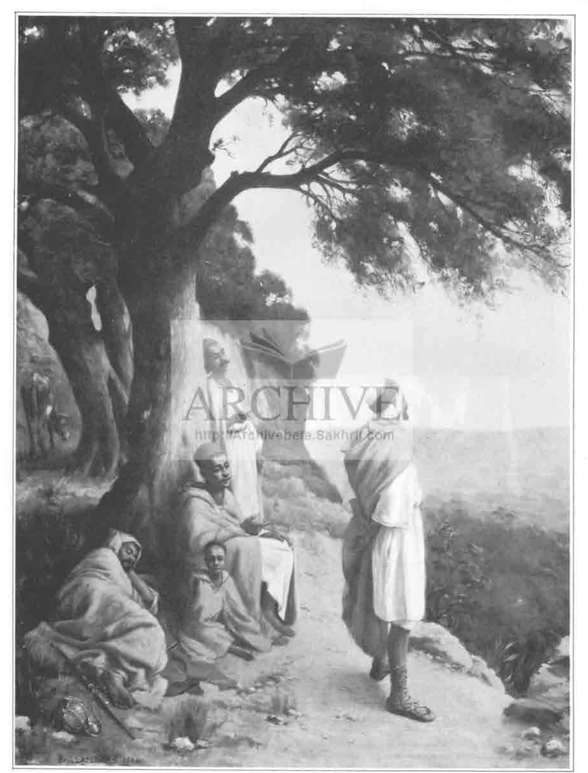
البتراء فى الأردن .. لوحة من القرن التاسع عشر للرسام ديفيد روبرت الذى زار سوريا والقاهرة . فى عامى ١٨٣٨ ، ١٨٣٩ وذهب إلى القدس العربية وأعد مجموعة من اللوحات .

ملتقى الماء للقوافل .. لوحة زيتية للفنان كريتس . ج . جلبرت ، ومقاسها ٣٠×٣٠ بوصة ، وقد حاول فيها الفنان أن يعطى للصحراء غموضها وسرها الذى لا يدرك مغزاه غير الذين عاشوا على أرضها فى القرن الماضى .

مرفأ عربي .. حيث يصل المسافرون بقواربهم من كل صوب من اجل البيع والشراء والراحة بعد عناء السفر واهوال البحر .. اللوحةللفنان الفرنسي تشارلز ثيودور فرير الذى عاش فى الفترة ما بين ١٨١٤ و ١٨٨٨ وذهب إلى الجزائر واليونان وتركيا وفلسطين وسوريا ومصر والنوبة فى عام ١٨٥٠ وانتشرت اعماله عقب وفاته فى باريس فى كافة متاحف العالم .



استراحة المسافرين .. وهى لوحة للفنان هول لازيربيه قدم لنا فيها إحدى عادات المسافرين بعد عناء الطريق فى الصحراء ، إذ كانوا ما إن يجدوا ربوة عالية تطل على ارض خضراء ، حتى يستريحوا من مشاق الطريق ومخاطره .. اللوحة رسمها الفنان فى عام ١٨٨٤ ميلادية .



عيون تنفذ إلى باطن المستور

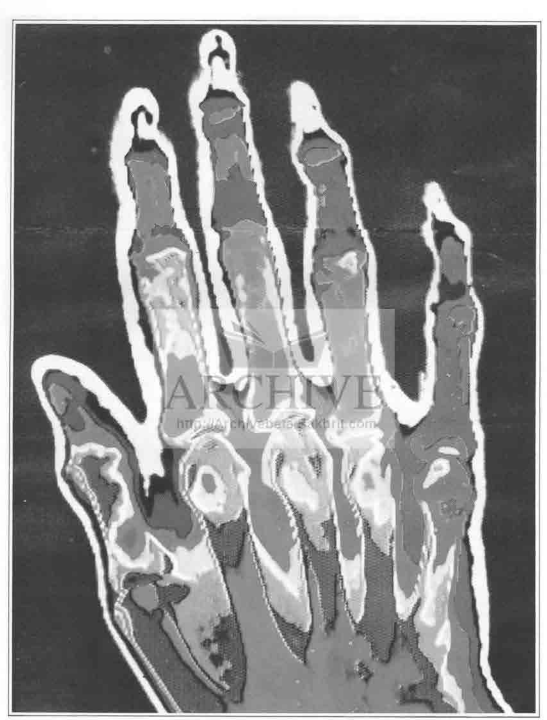
صورة بالتصوير الاشعاعي اللوني ، وفيها يمكن مشاهدة رصاصة أثناء انطلاقها (الأثر البرتقالي فى ماسورة المسدس) .. وكذلك جزء من رسغ وأصابع الانسان الذي يمسك بالمسدس (المشار إليها بعلامات X)

بقلم : د . عبد المحسن صالح

مما لاشك فيه ، العين البشرية تنطوى على تكوينات مذهلة ، و « تكنولوجيا » بيولوجية متقنة مع موجات كهرومغناطيسية محددة ، ذات أطوال مقدرة فتتحول هذه الموجات الى نبضات عصبية لتصب فى مراكز الابصار فى امخاخنا ، فتحيل الاشارات الواصلة إليها إلى صور ملونة .. تماماً كالتى نراها فى عالمنا .



تستطيع أن ترى هنا بسهولة تامة الكسر الكائن فى عظمة الذراع ، فالصورة الملونة توضح الانسجة المختلفة .. الجلد والعضلات والعظام والنخاع وغيرها



صورة لونية بالرسم السطحى لليد بالاستعانة بأشعة إكس .. واختلاف الألوان قد يوضح أية أعراض شاذة ، وهى تبين هنا أن اليد مصابة ببعض الالتهابات المفصلية

عيون تنفذ إلى باطن المستور

لكن رغم كل هذا الاتقان فى الخلق ، إلا ان عيوننا لاشك قاصرة ، ويرجع قصورها الى تعاملها فقط مع موجات الضوء المنظور ـ اى انها لاترى الا فى حدود ضيقة وضئيلة فهى لا تتعامل الا مع موجات تتراوح اطوالها ما بين ٠٠٠٤ر٠ ـ ٠٠٠٧ر٠ من المليمتر ، فاذا طالت الموجات او قصرت عن هذه الحدود ، فان العين تتخبط فيها كالاعمى سواء بسواء ، فهى مثلا لا تستطيع ان ترى فى الاشعة فوق البنفسجية ، ولا فى الاشعة الحرارية (اى تحت الحمراء) ، لان اطوال موجاتها اقصر او اطول من حدود الموجات الكهرومغناطيسية التى قدر لعيوننا ان ترى فيها ، فلا تستطيع ان تتخطى الحدود الى ما عداها !

ثم ان عيوننا ايضا قاصرة ، لانها لاتستطيع ان تكبر الصغير جدا ، لنراه على حقيقته ، ولا ان تقرب البعيد جدا لتتجلى لنا طبيعته ، وهى كذلك عاجزة عن ان تنفذ الى باطن الخلق ، لنرى ما انطوى عليه ذلك الخلق من تكوينات من داخل تكوينات من داخل تكوينات .. الخ .

وكان نتيجة هذا القصور فى توضيح ما انطوت عليه بواطن الأمور ، ان لجا العلم الى عيون اخرى كثيرة ومتنوعة ، لتريبنا «ما لا عين رات ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» !

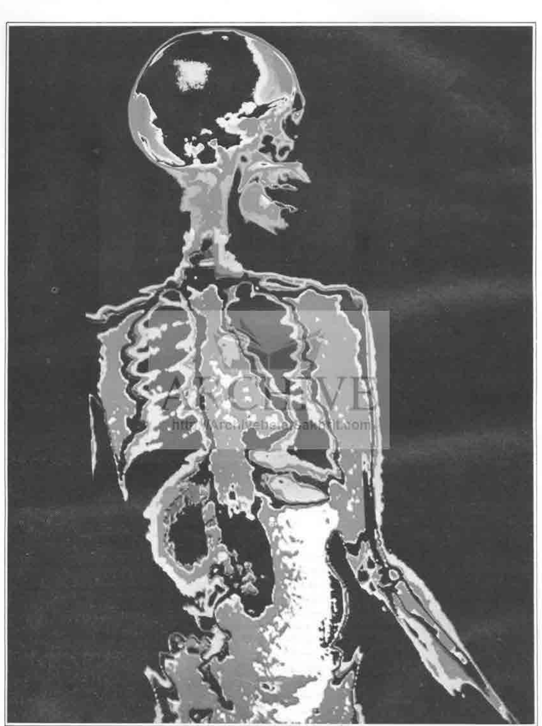
عيون متنوعة وغريبة

وطبيعى اننا لو اعتمدنا على عيوننا ، لما راينا الا ظواهر الامور ، وسيبقى باطنها الى الأبد عنا فى حكم المحجوب أو المستور ، إذ ما اكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد ، وما أغرب ما يزخر به الكون ، وتنطوى عليه الحياة .

ولاشك ان عيون العلم كثيرة وغريبة ومتنوعة ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لها بالاسهاب ، والا لخرج الموضوع من ايدينا .. لان هذه العيون العلمية قد اختلفت باختلاف الهدف الذى تتسلط عليه ، فللسماوات عيون ترصدها ، ولاجسامنا



صورة حرارية لوجه انسان ، وفيها نرى ما يشبه الخريطة التى توضح تضاريس غريبة ، ومن الممكن عرض مثل هذه الصور على شاشة ، ومنها يستدل على اى شذوذ لا تراه عيوننا .



الجزء العلوى من الجسم البشرى ، وقد ظهر بهذا الشكل الغريب من خلال استخدام نوع من التصوير الحديث ، وهو فى سبيله إلى التطوير والاتقان ليكون وسيلة من وسائل الكشف عن الداء .



ما نراه هنا هو كرة تنس الطاولة فى مسار تيار هوائى يخرج مندفعا من انبوبة ، وكأنما الهواء قد تحول إلى انبثاقة من لهب ، وطبيعى أن مثل هذه الصور لم تكن متاحة فى الماضى ..

عيون تنفذ إلى باطن المستور

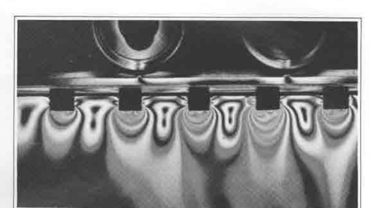
عيون أخرى تنفذ الى باطنها ، وللاقمار الصناعية عيون حساسة تستكشف من البعد ما يكمن فى باطن الأرض من ثروات ، وما ينتشر فى البحار من خيرات ، وللبحوث الذرية والبيولوجية وسائل للابصار الصناعى ، لتتعرف على التكوينات الدقيقة للمادة التى تدخل فى بناء الكون والحياة ،

وللاسلحة الحديثة «عيون» توجهها إلى اهدافها بدقة تامة ، وكأنما هى بدورها ترى ما لا نستطيع أن نراه ، حتى ولو كان ما نراه مختبئا فى باطن الأرض ، أو تطويه ظلمات فوق ظلمات ، ثم ما أكثر العيون التى دخلت عالم الطب ، لترشد الأطباء الى مواطن الداء وتحدد لهم ما شذ وما استقام من الانسجة والأعضاء ، وكأنما هى تتجسس وتحدد وتصور وتنقل الى عيوننا صورا دقيقة لما كان علينا فى الباطن خافيا ، وبحيث تتجلى اجسامنا وكأنما هى اكوان داخل اكوان من داخل اكوان .. وهلم جرا !

والعلم دائما فى حالة تطور الى الأحسن فكأنما هو ينشد الاتقان ، أو هو يسعى للاقتراب منه على الدوام ، إذ كلما عرفنا أكثر ، واستخدمنا أجهزة أتقن ، كلما اقتربنا من فهم كوننا وأنفسنا بدرجات احسن واقوم وادركنا الايات البديعة والمذهلة التى تدل على قدرة «الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى» .. وعندئذ يحق لنا أن نردد عن علم «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون» !

اكتشاف العوالم الحية

فمن العيون والأجهزة الحساسة التى نستكشف بها العوالم الحية بوجه عام ، والعوالم الكائنة فى أجسامنا بوجه خاص ، من هذه العيون نذكر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ جهاز مسح الجسم البشرى بأشعة



هذه الصورة الغريبة توضح الاجهاد الواقع على شريحة من البلاستيك ، فتنبعث منها خريطة حرارية تبين للعلماء شدة الجهد الواقع ، فيراجعون حساباتهم وتقديراتهم على أساسها ، خاصة أن المواد كثيرا ما تتعرض لاجهادات تضعف من مقاومتها



جدار رحم أم بداخله جنين يظهر منه رأسه وذراعه .. وللأطباء المتمرسين في هذه الألوان المتداخلة تفسير وتعليل .. والصورة بالموجات فوق الصوتية

اكس ، وبحيث يقدم لنا «خريطة» متقنة لجميع مستويات الجسم او «تضاريسه» إن صح التعبير ، وغالبا ما يتصل بهذا الجهاز حاسب الكترونى ، ليختزن المعلومات التى راتها هذه العين العلمية ، ثم يعرضها بطريقة توضح ما كان يخفى على الأجهزة القديمة (مثل جهاز الكشف باشعة اكس التقليدى) ، ثم إن هذا الجهاز المتطور يستطيع ان يعطينا معلومات دقيقة عن المخ ويحدد موقع اى شذوذ بداية من ورم خفيف الى خراج ، الى نزيف ، الى انسجة متكيسة .. الى كل ما يتوق الطبيب والجراح الى معرفته ـ ليس على مستوى المخ فقط ، بل على مستوى الرئات والقلوب والاكباد والكلى والامعاء .. الخ

ومن هذه العيون ما ترى بالأشعة الحرارية ، او تحت الحمراء ، وهى التى نطلق عليها اسم التصوير الحرارى ، اذ تستطيع بدورها ان تعطينا خريطة حرارية للاشعاعات المنبعثة من الانسجة المختلفة وبحيث تستكشف بدورها اى شذوذ حرارى قد يستدل منه على بداية ورم او قرحة او اصابة ... الخ .

ومن هذه الاجهزة ما يرى ويحدد باستخدام الموجات فوق الصوتية ، ومنها ما يعرف باسم التصوير السكليرينى ، وهى كلمة المانية تعنى التخطيط او الرسم الضوئى ، وترى على هذه الصفحات بعض الصور التى التقطت بتلك الوسيلة ، والواقع ان هذا النوع من التصوير كان يستخدم اساسا فى بحوث الديناميكا الحرارية ، وفى سريان الغازات ، والاشعاع الحرارى من الاجسام ، وفى بحوث الانفاق الهوائية المستخدمة فى تجارب الطيران ، ومدى تأثر جسم وحركة الطائرة عندما تحتك بجزيئات الهواء ، خاصة عندما تطير بسرعة اسرع من الصوت .

لغة لونية للعلماء

ونحن لانريد ان نسترسل هنا فى ذكر المزيد ، ولن نزج القارىء فى معمعة علمية قد لايكون مؤهلا للخوض فى اسرارها ، بل إن هدفنا فى هذه الدراسة ينصب اساسا على عرض ما توصل اليه عالمنا المعاصر من انجازات تكنولوجية ليوضح بها ما خفى عن عيوننا ، وبها يتخطى الوسائل القديمة نسبيا في الكشف عن تلك الالغاز المدفونة فى طبائع الاشياء ، وبهذا نمهد للقارىء ان يعيش دائما مع عصره ، ويعرف بعض ما حققه هذا العصر من امور كانت بالنسبة للاقدمين ضربا من الخيال .

ولاشك ان الصور هنا تغنى عن اى كلام يمكن ان يقال فى هذا المجال ، ومن اجل ذلك ، فقد اخترنا بقدر الامكان صورا تمثل فروعا مختلفة من العلم ، وبها يتضح لنا اهميتها فى البحوث التى تتعامل مع الحياة والجماد والغازات ، فنرى من خلالها عالما اخر ينطوى على امور ما كانت لتطرا لنا على بال .

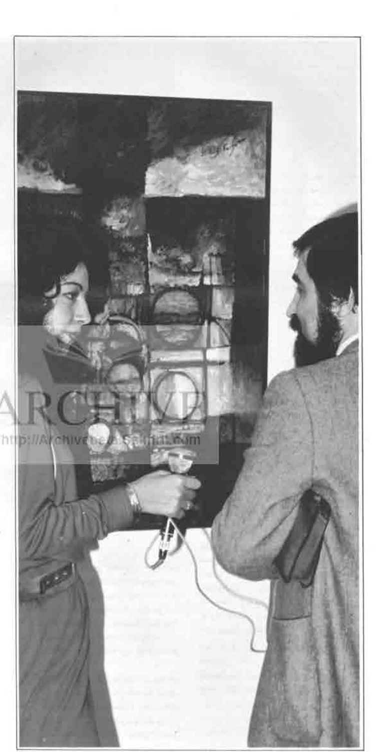
بقيت نقطة اخيرة : فلقد بدا كل شىء فى اوله بسيطا ، لكنه تطور وتعقد ، فاراح واضفى على النفس بهجة ، من ذلك مثلا ان التصوير الفوتوغرافى قد بدا بعرض صور ليس فيها إلا الابيض والاسود ، او ظلال ما بين هذا وذاك ، لكننا عرفنا فيما بعد الصور الملونة ، والافلام الملونة والتليفزيونات الملونة .. واخيرا بدانا ننظر الى الباطن «بعين ملونة» ، فنرى الانسجة مثلا وقد اتخذت الوانا شتى ، نتيجة لتصميمات تكنولوجية ، وليس لونا طبيعيا فى الانسجة ، وطبيعى ان هذه الاختلافات فى الالوان تعكس حالات خاصة ، وكانما هى «لغة لونية» للعلماء فيها تفسير وتعليل ، وهم أدرى بها ، لانهم المكلفون بكشف الغموض الذى تنطوى عليه الاكوان المحيطة بنا .. وكل قد جاء لما هو له ميسر .. «ولكن اكثر الناس لايعلمون» .

د. عبد المحسن صالح

حوار
مع فنان عربي

مدير متحف اللوفر يتجنى على الفن العربي

بقلم: حسن الملا



في معرض الفنان العربي صخر فرزات الذي اقيم مؤخرا في الدوحة.

اقيم مؤخرا في متحف قطر الوطني معرض للفنان العربي السوري صخر فرزات بدعوة من إدارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام ..

وتضمن المعرض ٣١ لوحة تشكيلية، تميزت بأصالتها العربية وصدق خطوطها والأنغام المتشابكة في الوانها وعمق موضوعاتها التي تعالج مشاكل الانسان واحلامه وذكرياته وكافة شجونه على الأرض العربية ..

والمعروف ان الفنان صخر فرزات من الفنانين العرب الذين حملوا على أكتافهم سلاح الفن العربي ليحاربوا به في الساحة الفنية في باريس، مزاحمين بذلك اهم فناني العالم ..



ولادة الحلم .. إحدى لوحات الفنان التى تميزت بصدق الخطوط وعمق الموضوع والألوان ذات الأنغام المتشابكة.



وقد ولد هذا الفنان عام ١٩٤٣ فى سوريا واقام فى باريس منذ عام ١٩٧٦ ، وتفرغ للعمل الفنى منذ تخرجه من كلية الفنون الجميلة فى سوريا ، ليصبح اليوم احد الأعضاء المؤسسين لاتحاد الفنـــانين التشكيليين العرب ، وعضوا فى دار الفنانين الفرنسيين بباريس ، وعضوا فى الاتحاد العالمى للفنانين المحترفين ، وليشترك فى عدة معارض فنية ما بين دمشق وتونس وباريس ، ولتقتنى عدة دول اعماله لتضعها فى متاحفها فى فرنســا وانجلترا والارجنتين واستراليا والمانيا والنمسا ، والبرازيل ، وبلغاريا ، وهولندا وايطاليا ، وامريكا ، وفنزويلا ، وبولونيا وسويسرا وغيرها ..

ولاجل كل ذلك وغيره ، جرى هذا الحوار مع الفنان صخر فرزات حول مشوار حياته والحركة التشكيلية فى سوريا والعـــالم العربى ..

رواد الفن

قلت للفنان العربى : هل يمكن ان نتعرف على بداية الحركـة التشكيليـة فى سوريـا قال لى : بداية الحركـة التشكيليـة فى سورية قديمة ، لان سوريا بقيت لفترة طويلة مركزا من مراكز انتاج الفن الاسلامى والصناعات التقليدية والزجاج الملون والمعشق ، بالاضافة إلى الزخارف الاسلامية التى وجدت على جدران البناء القديم .. وكما تعرف فان الغربيين عندما سحرتهم الحضارة العربية والاسلامية ، جاءوا إلى سوريا ورسموا لوحات عديدة عن الحياة الشعبية والأماكن التاريخية ، وجاءت معهم ايضا بعثات تبشيرية كانت تضم رساميها الذين استخدمـوا فى تزيين الكنـائس والجداريات .. وكل هؤلاء مع اهمية المركز التجارى للمنطقة حيث انها تربط الشرق بالغرب ، كان له اثره على الفنان السورى ،

ذكريات .. لوحة تعبر عن الفنان الذي تقتني أعماله معظم الدول الأوربية والحاصل على جائزتين عالميتين

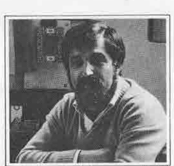
الذى تأثر بما راه ، واصبح على اتصال دائم مع اوربا فى بداية القرن العشرين ، وكانت النتيجة هى ظهور عدد من الفنانين السوريين الاوائل الذين نضعهم فى مرتبة الرواد ، ومن بينهم سعيد تحسين وتوفيق طارق الذى كانت لوحاته قبل الحرب العالمية الاولى تتميز بالاصالة العربية رغم دراسته فى اوربا ، ثم عبد الوهاب ابو السعود وميشيل كرشه الذى نعتبره اول فنان انطباعى فى سوريا بعد عودته من اوربا فى الثلاثينات ، وكذلك محمود جلال ورشاد قصيباتى .. وتلى هؤلاء فاتح المدرس الذى اهتم بالفن التدمرى واستنبط منه اسلوبا جديدا ..

وعدنان ميسر وادهم اسماعيل الذى اهتم بالعودة إلى التراث وحاول تقديم لوحة لها علاقة لونية بالفن الاسلامى واهتم بالخط اللامنتهى ، اى انه حاول احياء الزخرفة الاسلامية .. ويبقى بعد كل هؤلاء عصمت رضا الذى كان اول من رسم اللوحات التجريدية .. وكذلك الفنانون البارزون حاليا مثال : لؤى كيالى ، وفؤاد المدرس وغيرهم ممن درسوا فى اوربا وخاصة ايطاليا ..

الحرب على الفن العربى

وهنا انتقلت مع الفنان العربى صخر فرزات الى الحديث عن العالمية فى الفن ، وكيف نصل إلى هذا المستوى ، وهل للفنان العربى قيمة فى بلاد العالم ، ام ان انتاجه مازال جليسا فى نطاق بلاده فقط ؟

وقال لى : ان هناك حقيقة مؤكدة بان الغرب يهملنا تمام الاهمال ويتحاشى كل ما يمت بصلة للفن العربى ، والدليل على ذلك ظهور كتاب من الكتب الهامة فى الفن فى فرنسا ، وهو كتاب موسوعى من تاليف « رينويك » محافظ متحف اللوفر عن الفن فى العالم ، وقد اختصر المؤلف الفن العربى كله فى هذا الكتاب إلى نصف صفحة ، اما باقى الدول ـ والكثير منها اقل منا فى المستوى الفنى بكثير ـ اعطاها عدة صفحات .. وهذا يعنى بالتحديد التجاهل التام للفن العربى بل والحرب الحضارية على الامة العربية .. ونتيجة لذلك وغيره فليس من البساطة ان يحصل فنان عربى على مكانته فى هذه المجتمعات طالما انها تحارب افكارنا وحضارتنا سعيا نحو التقدم .. وهناك مثل اخر ممثل فى الفنانين المتواجدين فى المغرب العربى الذين على مستوى ممتاز تعرفه اوربا جيدا بحكم قرب المغرب العربى وكثرة احتكاكه بالعالم الغربى .. إن هؤلاء الفنانين لا يستطيعون الحصول على صالة لعرض اعمالهم ذات القيمة الفنية إلا بصعوبة بالغة وفى مناطق متطرفة وبعيدة


الفنان العربى صخر فرزات الذى يقيم فى باريس منذ عام ١٩٧٦

تجعل معارضهم فى معزل عن جمهور المتفرجين وزوار المعارض فى اوربا !

وبالاضافة لكل ذلك فانه من الممكن ان يقيم الفنان العربى معرضا فى اماكن التبادل الثقافى بين الدول ، ولكن هذا لن يؤكد باى حال وجود الفن العربى ضمن السوق العالمية الفكرية والفنية ، ولهذا فان الفنانين العرب فى فرنسا وغيرها يقاتلون من اجل دخول مجالات العالمية فى الفن !

لماذا الهجرة ؟

قلت للفنان صخر فرزات : مادام الامر بهذه الصعوبة ، لماذا اذن هاجر الفنان العربى إلى اوربا وامريكا ؟

وقال لى : فى الواقع ، هناك غربة يعيشها الفنان العربى فى بلده ووطنه ، فهناك ثغرة بين فكر الفنان العربى وثقافته وبين الثقافة العامة للمجتمع ، فالفنان عندنا يشعر بالاسف لانه غير مفهوم فى مجتمعه ، وحتى الفنانين الذين يغوصون فى بيئتهم ومجتمعهم ويطرحون موضوعات اجتماعية يجدون انهم فى النهاية غرباء لا يجدون من يهتم بفنونهم ..

وانا فى ذلك لا اوجه اللوم إلى الفن العربى ، ولكن احمل المسئولية لنظام التعليم فى الوطن العربى ، فهو نظام يتجاهل وسائل تنمية التذوق لدى النشء ويهملها بشكل متعمد .. وساحكى هنا تجربة حدثت لى عندما رايت احد المواطنين فى دمشق ينظر من وراء زجاج خارج معرضى ، فدعوته لاجده على درجة من الوعى الفنى ممتازة ، فسالته : هل درست ؟ فقال لى : لا .. عندئذ تعجبت وسالته كيف وصل إلى هذا المستوى من الفهم ؟ فقال لى : اذهب إلى كل معرض واعايش اللوحات واهتم بالوانها وزخارفها وتفاصيلها الاخرى .. وهكذا نرى ان هذا المواطن درب نفسه على التذوق الفنى الذى اهملته التربية المدرسية وهى تخطط لصنع اجيال المستقبل !

تنمية التذوق الفنى

وعندئذ قلت للفنان العربى : مادام لدينا قصور فى التذوق الفنى ، هل يمكننا التعرف على الوسيلة ؟

وقال : نبدا بابسط الاشياء ، يجب الا يخرج اى كتاب للطلاب إلا باخراج جيد واشراف فنى .. ويجب الا يعرض برنامج فى التليفزيون إلا بمراقبة فنان حتى لا نعطى نتاجا متخلفا من الناحية الذوقية .. وحتى الشارع يجب ان نعطى للمواطن احساسا بمسئوليته عن نظافة الشارع واحترامه وعدم رمى القاذورات بدون مسئولية .. وإذا ما طبقنا ذلك الاحساس القومى باهمية الجمال والنظافة والنظام فى المدرسة والبيت والدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والشارع وغير ذلك ، لاصبح لدينا فى سنوات قليلة جيل يتذوق الفن ويحب الجمال ويحافظ عليه !

الحركة النقدية ومشاكلها

وفى نهاية لقائى مع الفنان سالته عن اهمية الحركة النقدية الفنية فى العالم العربى ، فقال انها كانت معدومة ، وإن هناك من يحاول ان يضع لها اليوم حجر اساس بجهود فردية ، فهناك جبران ابراهيم جبران وبلند الحيدرى تتابعان مشوارهما فى وضع اسس للنقد الفنى فى العالم العربى .. وغيرهما هناك دراسات حول علم الجمال يقوم بها اسعد عرابى .. إلا اننا لا نستطيع بالطبع ان نقول ان لدينا فعلا حركة نقدية محسوسة او نقاد، مثل انجريه مونغو وزير الثقافة فى عهد ديجول او مثل روجيه جارودى وغيرهم من اصحاب الدراسات النقدية العظيمة .. وفى فرنسا هناك بعض الكتاب العرب المشهورين فى الصحف الفرنسية امثال طاهر بن جلون من المغرب والذى يكتب عن الصحافة العربية والفن العربى والمجتمع العربى فى جريدة الليموند الفرنسية ، ومن الكاتبات المشهورات بالنقد فى فرنسا الكاتبة اللبنانية امية عدنان .. وهناك فنان تونسى استطاع بصعوبة ان يعرض فى مركز بومبيدو وبينالى باريس لوصوله إلى مستوى عظيم من العالمية وهذا الفنان هو التريكى ، وغيره هناك الفنان السورى الحلبى « كرزو » الذى اصبحت تعرفه الاوساط الفنية فى باريس ، وكذلك الفنان السورى شفيق عبود .. وهذا دلالة على ان الطريق يمكن تمهيده واقتحامه إذا تجملنا بالصبر والعمل والبحث الدائم عن كل جديد فى الفن !

حسن الملا



سعادة عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام وسعادة علي بن احمد الانصارى وزير العمل والشئون الاجتماعية اثناء افتتاح مجمع الاعلام ومسرح قطر الوطني .

مسرح قطر الوطني ودوره في تطوير الحركة المسرحية

كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح؟

كمال سعد

لاشك ان بناء اى مسرح فى اى بلد عربى ، لابد ان تتبعه حركة نشطة من اجل تاصيل مسيرة المسرح العربى وربطها بالتراث الأدبى والشعبى والصور المختلفة فى المجتمع ، حتى تكون هناك علاقة حية بين المتفرج وخشبة المسرح تدعمها الكلمة الموضوعية والمعالجة الجذابة للفكرة وكافة المؤثرات الفنية ذات المستوى والمدلول !

وقد لخص هذا الهدف الهام سعادة السيد عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام عندما قال فى كلمته اثناء افتتاح مجمع وزارة الاعلام ومسرح قطر الوطنى ، ان المسرح بما يتضمنه من ثقافة وفنون يمثل واجهة حضارية متميزة فى صرح النهضة ، ونتيجة لتقدم البلاد فى مجال المسرح فى السنوات الاخيرة ، كان لابد من الأخذ بيد العناصر الصاعدة والبراعم الواعدة فى هذا الميدان الحضارى ومساعدتها على تادية رسالتها فى مسرح حديث جامع للادب والفن والتراث الشعبى والحضور الانسانى من غير هدر لجانب القيم الاخلاقية الموروثة والتقاليد العريقة ..

وحدد وزير الاعلام رسالة المسرح الجديد وتنمية قدرات المواهب المسرحية بقوله : استقر الراى على بناء مسرح حديث يتمشى مع

صالة المسرح مزدحمة بالمتفرجين اثناء العروض التي رأيناها على خشبته اثناء احتفالات ٢٢ فبراير



موسى زينل.. مدير ادارة الثقافة والفنون

متطلبات العصر وتعمل فيه احدث المبتكرات الفنية والمعدات التكنولوجية .. بحيث تستطيع بواسطته الحركة المسرحية فى قطر ان تؤمن لنفسها ولعشاق هذا الفن الرفيع مكانا للعرض والمشاهدة والاحتكاك مع المسرح العربى والعالمى من خلال ما يقام على خشبته من عروض .. وانه لجدير بالذكر ان نشير الى ان وزارة الاعلام بصدد انشاء مسرح اخر يوفر الاتساع فى القاعدة المسرحية ويساعد الفرق المسرحية الموجودة فى قطر على تنمية قدراتها وصقل مواهبها ..

جاهز للفرق الكبيرة

إن مسرح قطـــــر الوطنى ، الذى اقيم ضمن مجمع اعلامى يضم مبنى وزارة الاعلام ، يعتبر أول مسرح من نوعه على مستوى الخليج والوطن العربى من حيث الاستعدادات الحديثة والامكانيات الفنية ، فقد اقيم المسرح الجديد على الحيز الاكبر من مبنى المجمع الاعلامى الذى روعى فى تصميمه الطابعان العربى والحديث والذى بلغت تكاليفه ١٢٠ مليون ريال قطرى ..

وتحتوى صالة مسرح قطر الوطنى على ٥١١ مقعدا كل منها مزود بجهاز للترجمة الفورية الى اربع لغات ، كما يضم خشبة مسرح مكونة من ثلاثة اجزاء ، الاول تقليدى ثابت ، والثانى دائرى ، والثالث يستخدم كمقدمة لخشبة المسرح تنخفض وترتفع حسب احتياجات العمل وهى بالطبع مقرا للاوركسترا والموسيقيين ..

ويعمل المسرح بواسطة جهاز كمبيوتر لتنفيذ الاضاءة والصوت وتحريك لوحات الديكور وخشبة المسرح الدائرية !

وهناك ثلاثة طوابق خلف المسرح مخصصة للعاملين والممثلين . كل منها به غرفتين للماكياج وتغيير الملابس ، إضافة الى قاعة كبرى لاجراء البروفات . .

ويضم المسرح ـ كذلك ـ مطعما كبيرا واستراحة لكبار الزوار .

اى ـ باختصار ـ تتوفر فى مسرح قطر الوطنى كل احتياجات الفرق الكبيرة ، بالاضافة الى مراعاته لكافة الظروف التى تعمل على راحة المتفرج وتهيء امامه فرصة الاستمتاع بالعمل الفنى والاستغراق فى جوانبه الذهنية ...

اول العروض

وقد كان اول عرض رأيناه على خشبة مسرح قطر الوطنى عقب افتتاحه فى يوم ٢٢ فبراير

احدى اللوحات البديعة التى قدمتها الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية

كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح ؟



محمد أبو جسوم

سالم ماجد





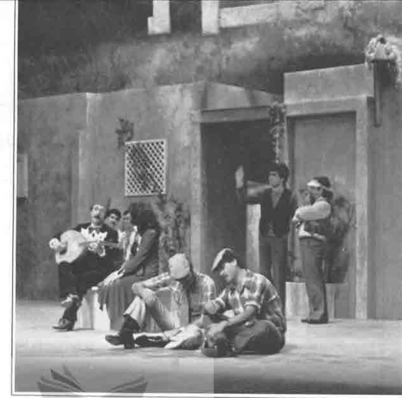
مجموعة من معهد الموسيقى القطرى قدمت اعذب الالحان العربية

١٩٨٢ ، هو اللوحات البديعة التى قدمتها الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية فى المناسبة الوطنية ، والتى استطاعت ـ بحق ـ ان تستخدم الامكانيات الهائلة فى المسرح من اجل ابراز ماقدمته من صور جذابة ، بداية من المقدمة الموسيقية المستقاة من لحن شعبى



خليجى باحمام اللعب إلى رقصات العرضة والمراداة والطحن بالرحى والليوه والطنبورة وغيرها ، فقد اتضح مع اتساع المسرح ورشاقة الحركة فوقه وجاذبيتها مدى الجهد المبذول من افراد الفرقة ومديرها سامى يونس من اجل العمل على ميلاد فرقة قومية تخدم رسالة الفن الشعبى بالمحافظة عليه وابراز طابعه التراثى ، الذى اصبحت كافة دول العالم تنظر إليه بكل تقدير واحترام ، بل وتعتبره دليلا على مدى اصالة الأمة وتطورها

اما العرض الثانى على مسرح قطر الوطنى فكان يتضمن سهرة موسيقية غنائية ممتعة



المسرحية الغنائية « الربيع السابع » التي اشتركت في تقديمها الفرقة الشعبية اللبنانية

مع النغم العربي والخليجي الأصيل ، قدمها معهد الموسيقى القطرى ، والذى بدا حفله بمقطوعة موسيقية عنوانها «للأمير التهانى» مهداة من حامد نعمة مدير المعهد ، ثم توالت عروضه التى قدم اثناءها الوانا مختلفة من الغناء والموسيقة العربيـــة والخليجية التى جعلت الحـــاضرين يستمتعون باحلى وارق الانغام والالحان ..

وفى هذا الحفل كان للتراث الخليجى حظا حيث استمعنا الى بعض الأغنيات التراثية مثل « ياذا الحمام ... كما كـــان للتراث الغنائي العربى نصيب ايضا فى السهرة ، حيث استمعنا الى اغنية «ياصلاة الزين» التى لحنها الموسيقار الراحل زكريا احمد الذى اداه فى الحفل احد البراعم القطرية الواعدة وهو الطالب جبر عيد المهـــدى وموشح «يامنيتى عز اصطبارى» للموسيقار خالد الذكر سيد درويش .. كل ذلك بالاضافة الى عزف منفرد على القانون وفواصل موسيقية من طلبة المعهد وبراعم المدارس واســـاتذة المعهـــد الذين قدمـــوا ــ بانفسهم ــ فاصلا من الموسيقى العالمية !

وكانت السهرة الثالثة على المسرح الجديد هى المسرحية الغنائية «الربيع السابع» التى قدمتها فرقة «الاخوين رحبانى» واخرجها عاصى الرحبانى واشتركت فيها الفرقة الشعبية اللبنانية ، وكان من بين ابطالها ملحم بركات ، ورتيا ، ويوسف شامل ، وخليل ثابت ، وفؤاد فاضل ، ومريام ، وموريس عقل ، وفائق حميصى .. والمسرحية تدور فكرتها حول الحلم ودوره فى تغيير الواقع ، والفكرة عولجت بطريقة فنية واعتمدت على اللوحات المبهرة ذات المضمون .

العروض القادمة

إلا انه بعد تلك العروض الثلاثة ذات المستوى الفنى الرفيع ، هل هناك خطة للعروض القادمة .. وما هو نصيب المسرحيات القطرية من هذه العروض ؟ ...

فى حوار مع موسى زينل مدير ادارة الثقافة والفنون قال ان مسرح قطر الوطنى كمبنى وكامكانيات يمثل قمة الاستعداد فى المجال الفنى ، وفى كل دول العالم المتقدم والنامى هناك مسارح لايسمح فيها إلا بالأعمال الرائدة او ذات المستوى الفنى الجيد ، وهذا ما سنتبعه على مسرح قطر الوطنى الذى لن نقدم على خشبته إلا الانتاج المحلى المتميز بالمستوى الفنى الرفيع .. ومن اجل ايجاد هذا المستوى الجيد من المسرحيات المحلية سيتم اختيار نصوص جيدة لانتاجها بامكانيات فنية تتناسب مع العرض على هذا المسرح الكبير .. كما اننا وضعنا فى خطتنا لتشغيل المسرح ضرورة إحضار فرق عربية وعالمية على مستوى الاحتراف لا الهواية . وذلك عن طريق التبادل الثقافى او العقود .. اما بالنسبة للمسرحيات الخليجية والتى استقبلت قطر الكثير منها ، فاننا سنستقبل فرقا من الكويت والبحرين وغيرها .. وفى مخططنا عدة امور يدخل فى نطاقها المهرجانات المحلية والخليجية والعربية واللقاءات والندوات مع اهم رجال المسرح والفنون المختلفة . إلا ان كل ذلك سيتم وفق برنامج مدروس ، فنحن فى مرحلة نحاول فيها ان نرتقى بالتذوق الفنى حتى نزيد من أعداد الجماهير المستقبلة لفن المسرح . وبالطبع هذا الهدف لن يتحقق إلا باصرارنا على إختيار الاعمال الجذابة ذات المستوى الرفيع والتى لاتقيم جدارا من الغربة بين المتفرج وخشبة المسرح .

فرقة قطرية قومية

وهنا قلت لمدير الثقافة والفنون : هذا عظيم .. ولكن فى نطاق هذا التفكير المتطور يظهر سؤالان .. اولهما : مع الرغبة فى الارتقاء بفن المسرح لماذا لاتجد انظمة تنظم العمل المسرحى فى قطر وثانيهما : هل عملنا خطة لتوفير مسارح جديدة مناسبة للمسرحيات التى لا يمكن عرضها على المسرح الجديد بامكانياته الكبيرة ؟ .

وقال لى بالنسبة للاجابة عن السؤال الاول فنحن نسعى الآن لاستحداث انظمة ولوائح تنظم العمل المسرحى في الدولة وتنظم العلاقة بين الفرق المحلية وادارة الثقافة والفنون . فالفرق الثلاثة ــ القطرى والسد والاضواء ــ نشات كفرق اهلية بدعم غير رسمى ثم اصبحت بدعم رسمى ، ورغم ان هذا الدعم يزداد عاما بعد عام فما زالت العملية غير محكومة باية ضوابط . ولذا فان تدعيم علاقة هذه المسارح بالادارة سيؤدى الى ظهور الكيان المستقل والشخصية الاعتبارية لكل مسرح ، ولدينا الان فكرة ندرسها لانشاء فريق قومى للتمثيل على غرار الفرق القومية المتعارف عليها فى البلاد العربية ، وبحيث تصبح هذه الفرقة هى المسرح الرسمى للدولة . وقد وضعنا بديلا لهذه الفكرة فى حالة عدم اتفاقنا حولها ، بان نستعين عند ذلك مرحليا بعمل مسرحيات ذات مستوى فنى رفيع على ان ننتخب لهذه المسرحيات فنانين من الفرق الثلاثة الموجودة فى قطر ، ونوفر لهذا العمل كافة الامكانيات الفنية والمادية التى تجعله يحقق هدفه الاسمى وهو تطوير المسرح القطرى ..

اما بالنسبة للسؤال الثانى المتعلق بتوفير المسارح الجديدة ، فهناك مسرح فى داخل منطقة الاذاعة والتليفزيون انتهى تصميمه ويطرح للمناقصة والتنفيذ هذا

كيف نقيم علاقة وطيدة بين المتفرج وفن المسرح ؟

العام ويستغرق بناؤه عامين وستضم صالته ٣٥٠ مقعدا ، وسيضم هذا المسرح قاعة تدريبات للفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية وقاعات اخرى للتدريب الموسيقى والمشاغل الفنية .. وسيقام فى المركز الثقافى بمدينة الخور خشبة مسرح لتنمية هواية التمثيل بين ابناء المنطقة .. وهذا بخلاف مسرح جاهز للتصنيع نامل استخــدامه خــلال عشرة شهور ... وإذا ما اضفنا لهذه المسارح الجديدة مسرح الدوحة بلايرز الذى تم بناؤه للجالية الانجليزية بمساعدة الدولة فى فريق بن عمران ومسارح وزارة التربية لا تضح لنا ان الفرق الهاوية ايضا تستطيع ان تقدم انتاجها وان تجد مكانا تخاطب من فوقه جمهور المتفرجين !

امكانيات المسرح

وفى داخل مسرح قطر الوطنى التقيت بمدير عام المسرح بالوكالة محمد ابو جسوم الذى قال لى انه ليس معنى افتتاح المسرح هو استكمال تجهيزه ، فمازلنا نسعى لاستكمال كوادره فى اسرع وقت ، خاصة فى الاضاءة والصوت وهندسة الديكور وتنفيذه وأعمال النجارة والطلاء ومختلف النواحى الفنية الاخرى .. فالتجهيزات الفنية الكبيرة للمسرح تحتاج إلى خبرات عديدة للتشغيل ويكفى أن نعلم ان خشبة المسرح مزودة فى أعلاها بامكانية استخدام اكثر من ٣٦ منظرا فى العرض الواحد .. وهذا مع وجود شاشة سينما تنزل اتوماتيكيا من اعلى .. وحاجز للطوارىء يفصل الخشبة عن الجمهور .. وصالة مكيفة تكييفا مركزيا .. ومقاعد مزودة باجهزة للترجمة الفورية .. وحوائط جانبية يمكنها تصغير وتكبير صالة العرض .. ونظام اضاءة يعتمد على حوالى ٢٢٠ كشاف مختلف الاحجام .. وكل ذلك بالاضافة إلى ان هذا المسرح مجهز بعازل صوت ومزود بسمعات فى حجرات الممثلين تجعل كل مشارك فى العمل الفنى يتابع كل ما يجرى على خشبة المسرح !

الايقاع الشعبى حيث الحركة ودقة الاداء اثناء العرض

إلا أن وجود دار للعرض بهذه الامكانيات يجعلنا نامل فى ان يثرى هذا الشكل ما نتمناه من مضمون ، بمعنى ان تعيد الفرق المسرحية تنظيمها وتطوير امكانياتها حتى تخدم الثقافة والفن فى البلاد بعروض تضيف لنا الجديد وتتناسب مع المساحة المكانية والامكانيات المتوفرة فى هذا المسرح وعلينا ان ندرك ان الفرق التى وصلت إلى مجالات الشهرة لم تصل للقمة بين يوم وليلة ولكن بالعرق والعمل ، ولهذا فان واجبنا الان أن نعمل بكل طاقتنا لرفع مستوى سمعة هذا المسرح فى الداخل والخارج ، خاصة واننا فى عصر اختلط فيه الحابل بالنابل وضاع مستوى الاداء الفنى الجيد من اغلب الاعمال الفنية فى مسارحنا العربية !

يوم المسرح العالمى

ولكن وبعد كل ما عرفناه من جديد عن مسرح قطر الوطنى ، هل يشارك هذا المسرح فى يوم المسرح العالمى الذى يقام فى نهاية هذا الشهر (مارس) ؟

الواقع ان سالم ماجد رئيس قســم المسرح بادارة الثقافة والفنون يؤكد هذه المساهمة ، بقوله : ستقدم فى هذه المناسبة ثلاثة عروض للفرق المسرحية القطرية ، وستكون هذه العروض اشبه بالمهرجان الذى يتضمن الجوائز لافضل ممثل وافضل ممثلة وافضل عرض وافضل مخرج .. ففى يوم ٢٧ مارس ستقدم فرقة المسرح القطرى فى مسرحية « ولكنه تركها تموت » للكاتب الاسبانى « فرناندو ارابل » اخراج علي ميرزا وفى يوم ٢٨ مارس تقدم فرقة مسرح السد مسرحية بعنوان « الفيل يا ملك الزمان » للكاتب السورى عبد الله ونوس اخراج عبد الرحمن المناعى ، وفى يوم ٢٩ مارس تقدم فرقة مسرح الأضواء مسرحية « الكافيتريا والزنجبيل » واسمها الأصلى « البوفيه » للكاتب المسرحى علي سالم ويخرجها سالم ماجد .. والعروض الثلاثة ستكون باللغة العربية الفصحى ..

● ●

وهكذا نرى ان المسرح القطرى فى ظل ما يتوفر له اليوم من امكانيات مطالب بان يشكل جمهوره عن طريق الصدق الفنى والانسانية .. فنحن احوج ما نكون اليوم ـ باعتبار المسرح فى قطر جزءا من المسرح العربى ـ إلى الاهتمام موضوعا وصياغة بوجدان وعواطف الشعب العربى ، وان تصبح مسارحنا اداة فنية دائمة العطاء وقادرة على الاشعاع المباشر ، وان يكون الانسان وطموحه هو محور مسرحنا المعاصر حتى تكون لنا هوية عربية فى المسرح يعترف بها كافة المتفرجين فى الداخل والخارج على حد سواء !

كمال سـعد

درويش مصطفى الفـــار

معجـــم عـــربي .. للتعـــريف بالعـلوم

تعاقبت قرون مذ طفق اهل الفكر يحاولون إيجاد تعريف مناسب يميز الانسان عن الخلائق الاخرى ، فقال قائل ، إنه حيوان (ناطق) . وقال غيره انه حيوان (مغن طروب) . واضاف اخرون إنه مخلوق (ذو حياء) .. ونحن نقول تمييزا للانسان عن غيره ، إنه وحده حيوان (كاتب) ... اذ لم يثبت للعلماء والباحثين ، بعد ، وسوف لا يثبت ابدا ، ان من بين مخلوقات الله ، المعاصرة ، او البائدة التى اندثرت ، غير بنى ادم ، من عرف (الكتابة) بالمعنى الذى اتخذه الانسان خلال مسيرته الحضارية على سطح الارض .. صحيح ان من المخلوقات المنقرضة ، منذ ان اوجد الله الحياة على هذا الكوكب الثالث من المجموعة الشمسية ، من ترك اثـــــار مستحجرة فى طبات الصخور والحجارة ، كالمحارات ، والهياكل ، واثار الاقدام ، والاسنان والقشور التى استعصت على الفناء ، وظلت ملايين الاعوام على حالها ، تحكى قصة مخلوقات الله الحية ، نباتا وحيوانا ، على سطح الارض او فى بحارها ، بيد ان تلك الاثار المستحجرة ، ليست بحال من الاحوال ، كتابة تركها اصحابها على صفحات كتاب الصخور الرسوبية عن قصد كذلك الذى عناه الانسان واخترع له القلم والقرطاس والحبر ، لينقل عن قصد ، فكره ، وتاريخه ، ورأيه ، لغيره من بنى ادم وحواء .. فالكتابة ، هى الميزة الحقيقية للجنس البشرى عن بقية الاجناس .

والكتاب ..مع احترامنا للرأى الذى ساقه شاعرنا ابو تمام حبيب بن اوس الطـــائى (١٩٠ ــ ٢٣٢ هـ) فى إعتزازه المطلق ، بالسيف ، الصانع للانباء والتاريخ ، هو السمة الحضارية الصادقة لفترات تاريخ الانسان على الارض ، مذ بدأ ، يكتب ، على الحجر والطين والبردى والرق والكاغد والورق والشاشة الالكترونية ... ولقد سجل الكتاب المعرفة الانسانية عبر القرون ، عن الافلاك والاجواء والبحار والارضين والصخور والحجارة والنبات والحيوان والطير والتقنية والطب والقصص والاساطير والشرائع والقوانين والاشعار ، كما سجل وحى الله تعالى إلى انبيائه ورسله ، صلوات الله عليهم اجمعين ..

ولقد بين لنا العلامة محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فى كتابه النادر (مفاتيح العلوم) انواع العلوم والمعارف الانسانية باسلوب لم يتفوق عليه فيه سابق او لاحق فى لغة الضاد ... وظلت سمة العالم العارف لقرون عدة ان يكون خبيرا بكل اطراف المعرفة ابتداء من الرياضيات وانتهاء بفنون الشعر ، حتى جاء (روبرت لوفيل) عـــام ١٦٦١ م ، وقسم جملة المعرفة العلمية والتقنية الى صنفين :

- تيولوجيا ، او علوم سماوية ، تتناول ما فى الجو والفضاء المحيط من اجرام سماوية وشهب ونيازك وشفق ورياح وسحب وبرق ورعد وصواعق ، وتعاقب الليل والنهار والفصول والكسوف والخسوف ..
- جيولوجيا ، او علوم ارضية ، تدرس كل ما على على الارض من نبات وحيوان وجماد ، فى البحر والنهر وعلى سطح اليابسة ، وتسجل خصائصها الفيزيائيـــة والكيماوية والحيوية ، وتحاول تفســـير الزلازل ، وعلاج الامراض والاوبئة ..

وتعاقبت القرون ، وازدادت المعرفة البشرية عن خصائص المادة وصفاتها ، المرئية وغير المرئية ، من خلال انابيب الاختبار والمجاهر الضوئية والالكترونية ، والتلســـكوبات البصرية واللاســلكية والمطياف ، واندمج الزمان والمكان ، وتفرعت العلوم ، وتشعبت فروعها ، واصبح لكل فرع اغصان ، وافنان ، وبراعم ، وتعددت المسميات والاطر والتخصصات ، حتى انك لترى الرجل ، من المشتغلين فى تخصص علمى عميق ، يجهل العديد من المسميات ، ليس فى وطننا العربى وحده ، من محيطه الى خليجه ، ولكن فى العالم كله ..

وهنا اصبح الامر يقتضى ، للصالح الثقافى العالمى ، ان يبزغ من بين ظهرانينا مرة اخرى واحد مثل (الخوارزمى) ليكتب الجزء (الثانى) من مفاتيح العلوم على هيئة معجم او قاموس مبوب ، يسرد ، كل الالفاظ التى تعبر عن فروع مستحدثة للعلم فى علوم الارض والحياة والفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والتقنية وابحاث الفضاء والخلايا ، سردا ابجديا معربا عن المسميات الاصلية من لاتينية واغريقية وانجليزية وروسية والمانية وفرنسية ويابانية ، ومقابل كل مسمى بضعة اسطر تشرح ما يتناوله ذلك الفرع من العلم شرحا مبسطا جيدا ، وتبين للقارىء تاريخ تحول هذه اللفظة او تلك الى الاوساط العلمية ، ومن هو العالم الذى اشتقها ، وفى محاولة وضع مقابل عربى لتلك اللفظة لا ينبغى ان يفوتنا ، تحت ضغط الشعور بالنقص ، والجنوح إلى التقعر والتنطع ، إن اســـلافنا إبان سلطانهم السياسى وتفوقهم العلمى لم يجدوا ادنى غضاضة فى استخدام الفاظ معربة كالكيميـــاء ، والفيزيقا ، والبركسيس والاســـطرلاب ، واخضعوها ، وغيرها ، لقواعد النحـــو والصرف ..

نريد كتابا عربيا جادا ، لا يحار فى وجوده الانسان العربى الذى يحترم عقله ويسعى لثقافته ، عندما تصادفه كلمات ، مثل الباثولوجيا والليمنولوجيا والايرودنياميكا ، والسيبرنيطيقا ، والكوارك ، والدايود ، ومئات المسميات الاخرى لفروع العلوم الطبيعية ... وان اضطلاع بعض العلماء العرب بعبء إخراج كتاب كهذا بعنوان ، (مفاتيح العلوم المعاصرة) لن يقتصر نفعه على الناطقين بالضاد وحدهم ، بل إنه سينفع شعوب الارض بمختلف لغاتهم والسنتهم ، وسيجد من ينقله ، شاكرا للعرب صنيعهم ، إلى تلك اللغات .. وإن من يتصدى لاخراج مثل هذا القاموس سوف يحيى فى النفوس موات تاريخ مضيء منذ قرون ، كنا فيه نعلم الناس الاخلاق ، والعلوم والفنون (والتكنولوجيا) فهل يعيد التاريخ نفسه ، رغم كل الظلام المحيط ؟؟؟

درويش مصطفى الفـــار

شـعـر: محـمـود درويـش

سنة أخرى.. فقط

اصدقائي ، مَنْ تبقّى منكمُ يكفي لكي احيا سنةْ
سنة اخرى فقط
سنةٌ تكفي لكي اعشق عشرين امرأة
وثلاثين مدينة.
سنةٌ واحدةٌ تكفي لكي ترتديَ الفكرةُ جسمَ
السوسنة
ولكي تسكن ارضٌ ما فتاةٌ ما ونمضي نحو بحرٍ
ما وتعطيني على ركبتها
مفتاح كل الامكنة
سنةٌ واحدةٌ تكفي لكي احيا حياتي كلها
دفعةً واحدةً
او قبلةً واحدةً
او طلقةً واحدةً
تقضي على اسئلتي وعلى لغز اختلاط الازمنة.

اصدقائي لا تموتوا مثلما كنتم تموتون
رجاء لا تموتوا انتظروني سنة اخرى
سنة
سنة إخرى فقط
ربما نُنْهي حديثاً قد بدا
ورحيلاً قد بدا
ربما نستبدل الافكار بالمشي على الشارع
احراراً من الساعة والروايات ...
هل خَنَا احدٌ ؟
لنُسَمّي كُلَّ عصفورٍ بلَدْ ؟
ونُسَمّي كل ارضٍ ، خارجَ الجرح ، زَبَدْ
ونخاف الدندنة ؟
ربما نحمي اللغة
من سياقٍ لم نكن نقصدُهُ
ونشيدٍ لمْ نكن ننشده للكهنة ....

اصدقائي ، شهدائي الواقفين
اذهبوا عني قليلا .
فلنا حق بأن
نحتسيَ القهوةَ بالسُّكّر لا بالدم .. ان نسمع
اصوات يدينا وهما تستدرجان
الخجلَ الباكي الينا ...
لا سقوطَ الاحصنة
ولنا حقٌ بان نحصي الشرايين التي تغلي
بنار الشهوات المزمنة

ولنا حقٌ بان نشكر هذا الزغب النامي على البطن
الحليبيٌ
وان نكسر ايقاع الاغاني المؤمنة.

اصدقائي ، لا تموتوا قبل ان تعتذروا من وردة
لم تبصروها
وبلادٍ لم تزوروها ،
وان تعتذروا من شهوة لم تبلغوها
ونساء لم يُعلّقن على اعناقكم أيقونةَ البحر ووشم
المئذنة.
لا تموتوا قبل ان تسال ما لا يسال الباقي على
الارض لماذا تشبه الارض السفرجل ؟
ولماذا تشبه المرأةُ ما لا تشبهُ الارضُ وحرمانَ
المحبين ونهرا من قرنفل ؟
ولماذا عرفوني
عندما مت تماما .. عرفوني ؟
ولماذا انكروني
عندما جئتُ من الرحلة حيا ؟
يا الهي ، جثتي دلت عليا
واعادتهم الينا
وبنوها بينهم كالمدخنة

اصدقائي ، شهدائي ،
فكروا فيّ قليلا
واحبوني قليلا
لا تموتوا مثلما كنتم تموتون ، رجاء ، لا تموتوا ،
انتظروني سنةٌ اخرى ، سنة ،
سنةٌ اخرى فقط
لا تموتوا الان ، لا تنصرفوا عني ،
احبوني لكي نشرب هذي الكاس ، كي نعلم انّ
الموجة البيضاء ليست امرأة
أو جزيرة ....
ما الذي افعله من بعدكم
ما الذي افعله بعد الجنازات الاخيرة ؟
ولماذا اعشق الارض التي تسرقكم مني ،
وتخفيكم عن البحر ؟
لماذا اعشق البحر الذي غطى المصلين واعلى
المئذنة ؟
ولمن امضي مساء السبت ،
مَنْ يفتحُ قلبي للقطط
ولمن امدحُ هذا القمرَ الحامضَ فوق المتوسط ؟
ولمن احمل اشياء النساء العابرات الفاتنات



يزور الدوحة خلال شهر ابريل الحالى الشاعر العربى الفلسطينى الكبير محمود درويش وذلك للاشتراك فى الاسبوع الثقافى الفلسطينى الذى يقام فى الدوحة من ١٠ إلى ١٧ من ابريل وهذه القصيدة هى احدث ماكتبه محمود درويش !

القاتلات
ولمن احمل هذا الضجر اليوميُّ ؟
ما معنى حياتي
عندما يسندني ظلي على حائط ظلي حينما
تنصرفون
مَنْ سيأتي بي الى نفسي ويرضيها بانْ تبقى
معي ؟
لا تموتوا ، لا تموتوا مثلما كنتم تموتون رجاء
لا تجروني من التفاحة ـ الانثى الى سفر المراثي
وطقوس العبرات المدمنة ..

ليس قلبي لي ـ لارميه عليكم ، كتحيةْ
ليس جسمي لي ـ لكي اصنع تابوتا جديدا
ووصيةْ
ليس صوتي لي ـ لكي اقطع هـذا الشارع
المرفوع فوق البندقيةْ
فارحموني ، اصدقائي وارحموا أمّ الزغاريد
التي تبحث عن زغرودة اخرى لميلاد
المرآيا من شظيه
ارحموا العُمّالَ في مطبعة الكرملْ
والجدرانَ اذ تشتاق للاعشاب ،
والكُتّابَ في باب الوفيات ،
ارحموا شعبا وعدناهُ بانْ نُدْخِلَهُ الوردة ، من
باب الرماد المُرّ
لا تنصرفوا الانَ كما ينصرف الشاعر في قبعة
الساحر من يقطف ورد الشهداء
انتظروا يا اصدقائي ، وارحمونا
فلنا شغلٌ سوى التفتيش عن قبرٍ وعن مَرْثِيّةٍ لا
تشبه الاولى
وما اصغر هذا الوردْ
ما اكبر هذا الدمْ
ما اجملكم يا اصدقائي
عندما تغتصبون الارض في معجزة التكوين او
تكتشفون النبع في صخر السفوح الممكنة ،

اصدقائي ، مَن تَبَقّى منكُمْ يكفي لكي احيا سنة
سنة فقط اخرى
سنة تكفي لكي نمشي معا
نسدل النهر على اكتافنا مثل الغَجَرْ
ونهدُّ الهيكل الباقي معا
حجرا تحت حَجَرْ
ونعيد الروحَ من غربتها
عندما نمضي معا

فاذا انتم ذهبتم اصدقائي الان عني ..
واذا انتم ذهبتم
وأقمتم في سديم الجمجمةْ
لن اناديكم وارثيكم
ولن اكتب عنكم كلمةْ

فانا لا استطيع الان ان ارثي احد
بلداً في جسدٌ
او جسداً في طلقة
او عاملاً في مصنع الموت الموحد
لا احدْ
لا احدْ
وليكن هذا النشيدْ
خاتمَ الدمع عليكم كلكم يا اصدقائي الخونة
ورثاء جاهزاً من اجلكم ـ .....
ولذلك
لا تموتوا اصدقائي لا تموتوا الانْ
لا وردة اغلى من دم في هذه الصحراء
لا وقت لكم
لا ترقصوا الان هنا
لا ترقصوا ليس هنالك
مستقبلين عيد
او عيد مستقبلين

لذلك
لا تموتوا مثلما كنتم تموتون ، رجاء لا تموتوا
انتظروني سنة اخرى
سنة
من تبقى منكم يكفي لكي احيا سنة
سنةٌ أخرى فقط
سَنَةٌ تكفي لكي اعشق عشرين امرأة
وثلاثين مدينة
سَنَةٌ تكفي لكي امضي الى أُمّي الحزينة
وأناديها : لِدِيني من جديد
لارى الوردةَ من اوْلها
واحبَّ الحُبَّ من اوله
حتى نهايات النشيد
سنةٌ اخرى فقط
سنة تكفي لكي احيا حياتي كُلَّها
دُفْعَةً واحدةً
أو قبلة واحدةً
او طلقةً واحدةً تقضي على اسئلتي
سنةٌ أخرى فقط
سنة أخرى
سنة .....



رؤوف توفيق



المخرج محمد خان

حكاية مخرج .. تعذبه الحكايات

بعد مرور ثلاثة أسابيع على عرض الفيلم للجمهور .. شعر المخرج أن غالبية المتفرجين يخرجون من صالة السينما ، وهم في منتهى الغيظ من نهاية الفيلم ، حيث يموت البطل في حادث سيارة .. وتأتي كلمة النهاية على جثته وهو ملقى في الطريق ، بعد أن عاشوا معه على مدى ساعتين رحلته في الحياة بحثا عن الحرية والحب ..

احمد زكي اثناء بحثه عن الحرية

هل من حق المخرج تغيير نهاية الفيلم بعد عرضه على الجمهور ..؟

مديحة كامل فى قصة اعتمدت على الشكل الجمالى



المخرج محمد خان والمصور سعيد شيمى فوق رافعة عملاقة لتصوير لقطة لاتتجاوز مدتها على الشاشة ثوان معدودة

وسبب غيظ المتفرجين ، ان موت بطل الفيلم جاء مفاجئاً وقاسياً فى لحظة لم يتوقعوها ابدا .. ولهذا قرر مخرج الفيلم ان يخفف الصدمة على المتفرجين .. فسحب نسخة الفيلم من دار العرض ، وقام بتعديل النهاية .. بحيث يحذف مشهد موت البطل ، ويكتفى بحادث التصادم .. ثم تاتى كلمة النهاية على خروج بطل الفيلم من بين حطام سيارته ليواجه الحياة من جديد .. وتثبت الصورة عليه فى نهاية مفتوحة ، لا تعطى اجابة محددة !

حدث هذا فى القاهرة خلال الاسابيع الماضية .. مع فيلم « طائر على الطريق » لمخرجه « محمد خان » .

وقد كان هذا الحدث ، مثار كثير من التساؤلات الفنية .. فضلا عن غرابته اصلا .. فلم يحدث اى حادث مشابه فى تاريخ السينما المصرية ، سوى ما جرى منذ ثلاث سنوات لفيلم « المتوحشة » الذى لعبت بطولته سعاد حسنى واخرجه سمير سيف . فقد اضطر المخرج لتغيير نهاية الفيلم بعد عرضه على الجمهور بايام قليلة .. وبدلا من ان تكون النهاية بمقتل بطلة الفيلم .. قام باعادة تصوير مشهد النهاية بما يضمن عدم موت البطلة !!

وقد كان السبب ايضا فى هذا التغيير .. هو رفض الجمهور لنهاية الفيلم بموت بطلته !

● رغبات المتفرجين .. اولا

وتغيير النهاية بناء على رغبة المتفرجين .. او ارضاء لاذواقهم .. مسالة تحتاج لوقفة تامل .

فمن المعروف ان الفيلم يعتبر وحدة فنية متكاملة ـ مهما كانت نوعية الفيلم او مدى جودته ـ وبالتالى يصبح اى تغيير فى

نور الشريف « المصور » ومعه « نورا » في شوارع القاهرة في فيلم ضربة شمس .



محمود عبد العزيز وسعيد صالح ومطاردة داخل المواسير في فيلم « نصف ارنب » .

حكاية مخرج .. تعذبه الحكايات

احداث الفيلم بعد عرضه على الجمهور .. هو نوع من اعادة التاليف .. سواء بالتصحيح .. او التراجع .. او اذعان لرغبات ومزاج بعض المتفرجين !

وخطورة هذه المسالة .. ان الفيلم هنا ، يتحول الى فيلمين مختلفين .. البعض يراه في صورة معينة .. والبعض يراه في صورة اخرى .

وقد حدث مع فيلم « المتوحشة » .. انه عندما فكر التليفزيون المصري في شرائه وعرضه على شاشته .. طلبت سعاد حسني ان يعرض التليفزيون نسخة الفيلم الأصلية والتي لم تعدل نهايتها !!

وقال لي المخرج محمد خان ان فيلمه « طائر على الطريق » سيعرض في البلاد العربية بنسخته الأصلية .. اما نسخ الفيلم المعدلة فستعرض للجمهور المصري !!



فردوس عبد الحميد .. اداء بارع امام فريد شوقى .

● نكتة .. أم حقيقة

وهذه الظاهرة فى تغيير نهايات الأفلام .. لا تفسير لها سوى الخضوع لمزاج بعض المتفرجين الذين تعودوا على النهايات السعيدة فى الأفلام .. ورفضهم التلقائى لان يصاب بطل الفيلم باى مكروه .. فما بالك بموته .. !!

وهذه العلاقة العاطفية بين المتفرج العربى وبطل الفيلم .. كانت سببا فى نكتة شهيرة يتداولها بعض صناع السينما المصرية .. تقول النكتة .. ان شخصا ذهب ليقطع تذكرة دخول الى السينما .. وعلى باب السينما اراد ان يتأكد من حفلة العرض السابقة .. وساله .. « هل الفيلم يستحق » ؟ .. رد الاخر بعصبية واضحة ، مختصرا رأيه : « البطل يموت .. فى النهاية » .. وهنا انتفض ذلك الشخص قائلا فى دهشـــة : « كيف يا اخى .. ؟ .. البطل لا يموت !! » واسرع غاضبا يحاول استرداد ثمن التذكرة التى قطعها .. فقد قرر الا يدخل الفيلم !

وقد تكون هذه نكتة .. وقد تكون واقعة حقيقية .. ولكنها بالتاكيد تعبر عن حالة المتفرج الذى لا يريد ان يفجع بنهاية ماساوية .. وهنا اكثر من تفسير لحالة هذا المتفرج ..

فالبعض يقول انه يذهب للســـينما ، للتسلية والترفيه أساسا .. وعلى هـــذا فهو لا يقبل بان يخرج من الفيلم حزينا على موت البطل !

والبعض الاخر يقول .. ان هذا المتفرج يعانى فى حياته اليومية الكثير من المشاكل والهموم والمضايقات .. ولذا فهو لا يريد ان يزيد من همومه بهموم موت البطل فى الفيلم الذى يراه . !

والبعض يقول .. ان هذا المتفرج يعتبر بطل الفيلم نموذجا له شخصيا .. ولهذا فهو يضع نفسه فى هذا التخيل ، ويعيش فيه باحساس من يريد ان ينتصر على كل اعدائه .. ولا يقبل ابدا هزيمته .. وبالتالى لا يقبل موته !

ومهما كان التفسير .. الا ان تتبع خط سير الافلام المصرية ـ والعربية عموما ـ يؤكد حرص صناع اغلب هذه الافلام على تجنب صدمة مشاعر المتفرجين بعدم سقوط البطل فى نهاية الفيلم !

● اعتراف المخرج

ولكن الغريب تماما .. ان يستسلم الى هذا الطريق .. مخرج شاب مثقف « محمـــد خان » ، الذى يعتبر من المع مخرجى السينما المصرية الجديدة .

ومن هنا كانت المفاجأة .. وسعيت الى لقائه .. استوضح منه كيف قبل تغيير نهاية فيلمه « طائر على الطريق » بعد ان استمر عرضه للجمهور ثلاثة اسابيع ؟!

قال بوضوح شديد : « لقد فعلت هذا من تلقاء نفسى .. ودون اى ضغط من منتج او موزع او ممثل » . !

وانا أصدقه فى هذا .. فهو مخرج عنيد .. يرفض تدخل اى شخص فى عمله .. ويصر على طلباته لتنفيذ ما يراه حتى ولو كلفه هذا فقدان الفيلم .. او اشتباك المنتج معه .. كما حدث اخيرا اثناء تصوير فيلمه الجـــديد « أرنب » . فقد اشتبك مع منتج الفيلم حول مدة التصوير الخارجى فى احد فنادق الاسكندرية .. كانت وجهة نظر المنتج انه بدلا من تكاليف السفر والتصوير الخارجى ، يمكن اقامة ديكورات فى الاستوديو مماثلة لديكورات الفندق .. ولكن المخرج محمد خان اصر على موقفه ، فهو يعتبر ان المبنى لا ينفصل عن المكان .. ولهذا فهو لا يقبل غير السفر إلى الاسكندرية وتصوير المكان بكل تفاصيله الحقيقية .. وتطور الخلاف بينه وبين المنتج واسفر فى النهاية على انسحاب المنتج من استكمال الفيلم .. وانتقل الفيلم إلى منتج اخر . !

وهو يفعل نفس الشىء ، بالنسبة لكبار الممثلين .. فهو يرفض اى تدخل منهم فى عمله ، او فى رؤيته للفيلم .. واثناء تصوير فيلم « دعوة على العشاء » وضع نفسه داخل سياج قوى ضد اى تدخل او تعديل من سعاد حسنى ، بطلة الفيلم ، وهى المعروفة بكثرة تدخلاتها اثناء العمل .. ونفذ كل ما اراده بالصورة التى تخيلها .. بل اتفق معها على عدم تواجدها فى غرفة المونتاج ، وحرم عليها رؤية مشاهد الفيلم ، الا بعد الانتهاء منه تماما .. وبالفعل شاهدت سعاد حسنى الفيلم لاول مرة مع النقاد والصحفيين فى حفلة العرض الخاص للفيلم !

● قلت لمحمد خان .. لماذا اذن غيرت نهاية فيلم « طائر على الطريق » .. مع انك لم تقع تحت اى ضغط خارجى ؟!

قال : لقد تعودت ان اشاهد افلامى مع الجمهور .. اجلس بين الصفوف واراقب انفعالاتهم ومع فيلم « طائر على الطريق » احسست ان الجمهور مع الدقيقة الأخيرة من الفيلم يتزعج تماما لصدمة النهاية .. وقد تاكد لى هذا الاحساس مع مرور الأيام .. واختلاف العروض التى شاهدتها مع الجمهور .. ولهذا فكرت فى ان اخفف من حدة هذا الانزعاج .. وقد قمت بتغيير مشهد النهاية باقتناع كامل .. لم اغير شيئا فى الموضوع .. الموضوع كما هو .. ولكنى توقفت عند لقطة قبل النهاية ، وحذفت اللقطة التالية .. وتركت النهاية مفتوحة .. ولو كنت اريد ان أريح الجمهور تماما او استسلم لعادته فى رؤية الأفلام .. لكنت انهيت الفيلم بزواج البطل من البطلة .. وما اسهل ان افعل هذا .. ولكن ما قصدت هذا اثناء صنع الفيلم .. كل ما غيرته اننى بدلا من ان انهى الفيلم .. تركته معلقا .. وعلى المتفرج ان يضع النهاية التى يقتنع بها !

● قلت لــه ـ .. من المعتاد ان تنتهى علاقة المخرج بالفيلم ، بمجرد خروج الفيلم الى صالة العرض ومشاهدة الجمهور له » .

قال ـ « بالنسبة لى .. الفيلم لا تنتهى علاقتى به ابدا .. اننى اتابعه فى دور العرض الصغيرة وفى الأقاليم .. ومراقبة انفعالات الجمهور ، اعظم متعة بالنسبة لى واعظم درس » .



حكاية مخرج.. تعذبه الحكايات



احمد زكي في دور مصفف الشعر في فيلم دعوة على العشاء .

● هذا المخرج

والمخرج محمد خان – عمره ٤٠ عاماً – دخل السينما المصرية بفيلم « ضربة شمس » لنور الشريف ونورا – عام ٧٨ – ثم فيلم « الرغبة » لنور الشريف ومديحة كامل – ثم فيلم « الثأر » لمحمود ياسين ويسرا .. وعرض له اخيراً فيلمه « موعد على العشاء » لسعاد حسني وحسين فهمي واحمد زكي – و « طائر على الطريق » لاحمد زكي وفردوس عبد الحميد وفريد شوقي – .

وهو في كل هذه الافلام .. يقدم لغة سينمائية متميزة ، تعتمد على تحليل المكان .. والتوقف أمام التفاصيل الانسانية الصغيرة .. فهو مراقب حساس وذكي لانفعالات النفس البشرية .. يختزن كل هذه التاملات ثم يختار منها ما يطعم فيلمه .. وكانه احد فناني القاهرة القديمة الذين يعشقون تطعيم الصدف .. أو كانه احد النساجين اليدويين الذين ينسجون الخيط بالخيط في صبر ومهارة وابداع تلقائي .

وهو يعترف بانه « تلقائي .. اعشق لحظات المشاعر .. واكره المبررات .. واكثر ما يزعجني ان اتعمد ايجاد مبرر لتصرف الشخصية .. وهذا ما يسبب خلافاً كبيراً بيني وبين كتاب السيناريو .. لانني اعتقد ان محاولات ايجاد تبريرات لتصرفات الشخصية ، هو بمثابة التقليل من ذكاء المتفرج » !

● علامة استفهام

ولكن بالرغم من هذا الايمان بذخيرته من الملاحظات الحية ، وقدرته البارعة في عرضها على الشاشة .. الا انه يمثل علامة استفهام كبيرة في السينما المصرية .. فهو في موضع شد وجذب دائم بين النقاد .. فهناك ترحيب شديد بلغته السينمائيـة المتجددة ، المتدفقة بالمشاعر والاحاسيس .. وفي نفس الوقت هناك تحفظات كثيرة حول موضوعات افلامه ، والتي يكتب قصصها بنفسه !

مثلاً في اول افلامه « ضربة شمس » يقدم مطاردة بوليسية من خلال قصة مصور فوتوغرافي (نور الشريف) التقطت كاميرته صورة لاحد افراد عصابة تهريب .. ومع تتبع صاحب هذه الصورة .. يزداد الغموض .. وتقع اكثر من جريمة قتل .. وتصبح مهمة كشف اسرار هذه العصابة هي القضية الوحيدة التي تشغل المصور الفوتوغرافي ، والتي تتورط فيها ايضاً صديقته « نورا » .

ورغم غرابة هذه القضية عن الواقع المصري (عصابة تهريب تتزعمها امرأة صامتة ، حديدية ، لعبت الدور ليلى فوزي ، تسيطر على عدة شخصيات ويستخدمون مادة سامة يضعونها في أكواب الشاي والقهوة) .. رغم هذه الأحداث البوليسية الأجنبية الأسلوب .. إلا انه كمخرج استطاع ان يضع فيلماً مشوقاً ، ينبض بالايقاع الساخن المتدفق .. وقدم مع رفيق رحلته الفنية المصور المبدع « سعيد شيمي » رؤية جديدة للقاهرة باحيائها ومبانيها ، واشخاصها العاديين . !

وفي فيلم « الرغبة » اختار ان يعيد الفيلم الامريكي « جاتسبي العظيم » للروائي « سكوت فيتز جيرالد » برؤية سينمائية مصرية .. اعتمدت على الشكل الجمالي ، والتناسق الشديد في كل كادر .. ايضاً مع المصور سعيد شيمي والذي اشترك معه في كل اعماله الفنية (ما عدا فيلم دعوة على العشاء الذي صوره الفنان محسن نصر) .

وفي هذا الفيلم « دعوة على العشاء » يقدم قصة الزوجة (سعاد حسني) التي لم تتزوج عن حب .. فارتبطت برجل (حسين



يحي الفخراني .. في دور بطولة سينمائية لأول مرة في فيلم « نصف ارنب » .

فهمي) يعاملها كما يتعامل مع مشروعاته التجارية .. بعواطف باردة ، وعقل حسابي .. وتشعر هي مع مرور الأيام انها تفقد اجمل سنوات عمرها في هذا المنفى الأنيق .. انها ضحية ام جاهلة .. وزواج خاطىء .. وعندما تحاول تصحيح وضعها بالطلاق ، وخروجها الى العمل ، والاعتماد على نفسها ، واكتشاف الحب الحقيقي .. عندما تبدأ هذا الطريق ، تطاردها القوة المدمرة التي يمثلها

طليقها ، والذى يدبر لاغتيال حبيبها ، زوجها الثانى (احمد زكى) ذلك الشاب الممتلىء بالحيوية والصدق والمشاعر ، والذى يعمل كمصفف للشعر .. ومع صدمة اغتيال حبيبها ، تصمم على الانتقام .. فتدعو طليقها للعشاء معها ، لتضع له السم فى الطعام .. وتضطر ان تشاركه الطعام والسم حتى لا يكتشف ما دبرته له ، وحتى تتخلص منه ، ولو كان الثمن ان تضحى بنفسها !

● افلام من قراءة الصحف

● قلت لمحمد خان – « كيف تعثر على مادة افلامك التى تكتب قصصها » ؟ .

قال – « من خلال مشاهداتى .. وقراءاتى للصحف .. ان مجرد سطر فى صفحة الحوادث قد يفجر فى ذهنى موضوعا لفيلم .. كما حدث مثلا فى فيلم دعوة على العشاء .. فحادثة امراة تقتل زوجها بالسم .. هى حادثة حقيقية وقعت فى لبنان ونشرتها الصحف اللبنانية .. وما اخذته من الحادث المنشور ، هو مجرد طريقة الانتقام بالسم .. ثم بدات بناء الموضوع من جديد حسب رؤيتى الخاصة .

● سألته : – « لماذا لم تفكر فى الاعتماد على نص ادبى لتحوله الى فيلم ؟ » .

قال – « ما احاول ان اقدمه فى السينما .. هو شىء خاص بالسينما .. اما الاعتماد على النص الادبى فهو يقلل من فرصة الابداع السينمائى .. وان كنت لا اعمم هذا الرأى .. فبعض الاعمال الادبية تصلح تماما للسينما .. مثلا قرات اخيرا رواية الافيال لفتحى غانم وعشقتها .. واتمنى ان قدمها فى فيلم » .

● تجربة حياة حافلة

والمخرج محمد خان .. عاش سنوات طويلة فى لندن .. حيث سافر إلى هناك ليدرس السينما .. واستهواه الجو الفنى هناك ، وكمية الافلام العالمية التى تعرض فى دور السينما .. فكان يعمل فى الصباح ثم يدرس فى المساء ، وينفق ما يكسبه من العمل على ارتياد دور السينما .. ودخل فى تجارب حادة رغم صغر سنه وقتها .. فقد كان لم يتجاوز العشرين من عمره فعمل مثلا كسائق تاكسى فى شوارع لندن .. وافتتح متجرا صغيرا لبيع الملابس «الجينز» .. وعمل فى بيروت لفترة كمساعد مخرج .. ثم عاد الى لندن وكان على وشك ان يواصل حياته هناك ، من خلال المشاركة فى فتح مطعم صغير للفول والطعمية .. لولا خطابات صديق عمره المصور سعيد شيمى ، الذى حاول اقناعه بالعودة للعمل فى السينما المصرية .. وكان قد عمل فى فترة سابقة بهيئة السينما المصرية ضمن لجنة قراءة السيناريوهات واخرج فيلما قصيرا بعنوان « البطيخة » .. ولم يستطع ان يقتحم ميدان الاخراج .. فعاد مرة اخرى الى لندن .. حتى التقى مصادفة بفنانة المونتاج المصرية « نادية شكرى » والتى اكدت له ان هناك ابوابا مفتوحة للعمل فى السينما المصرية .. وكان وقتها يفكر فى قصة واحداث فيلم « ضربة شمس » .. وراوده الحنين للعودة .. فحمل مشروع فيلمه وعاد إلى القاهرة .. وليشكل مع المصور سعيد شيمى وفنانة المونتاج نادية شكرى فريق عمل .. وبدأ انطلاقه فى السينما المصرية .

وقد ترك فى لندن كتابين قام بتاليفهما عن السينما .. احدهما بعنوان « مقدمة فى السينما المصرية » والكتاب الآخر عن ملامح من السينما التشيكوسلوفاكية .

وهو يلخص تجربته الحافلة فى الغربة ، بقوله « لقد كانت رحلتى ياسا من العمل فى السينما المصرية ادرس واقرا واشاهد كل ما يتعلق بالسينما العالمية .. وتشكل وجدانى بالاقتراب اكثر من الشخصيات التى وقع عليها ظلم ، ولم تاخذ حقها .. واصبح الموضوع الاثير عندى .. هو موضوع الحرية .. والشخصية التى تناضل من اجل تحقيق حريتها » .

● السم .. والعسل

وربما كان افضل افلام المخرج محمد خان .. هو فيلمه الاخير « طائر على الطريق » – الذى تم تغيير مشهد النهاية فيه – .. ففى هذا الفيلم يقدم المخرج قصيدة شعر سينمائية عن شاب يبحث عن حريته .. واختار ان يكون هذا الشاب ، سائق سيارة اجرة تنقل المسافرين من مدينة الى مدينة .. وفى كل لحظة يتعرض هذا الشاب لمفاجات الطريق والركاب .. وكانه مسافر دائما فى بحار المجهول ، يحلم بالحقيقة ، والصدق ، والحب .

واختار ان يسمى هذه الشخصية باسم « فارس » لعب الدور باقتدار بالغ الممثل احمد زكى .. حتى يتعرض هذا الشاب لقصة حب مع امراة تعانى من الاعتقال ، والجفاف ، والقسوة مع رجل شرس عاجز يكبرها سنا .. انه الحب المستحيل .. كلاهما يبحث عن حريته .. ولكن هل هذا امر بسيط ؟ !

وقد غامر المخرج محمد خان باسناد دور البطولة النسائية لوجه غير متداول سينمائيا ، الفنانة فردوس عبد الحميد .. الممثلة القديرة بالمسرح المصرى ، والتى لعبت اكثر من دور ناجح بمسلسلات التليفزيون .. وتمسك بها المخرج لبطولة فيلمه ، رغم كل مخاوف المنتج والموزع .. فاسم فردوس عبد الحميد ليس من اسماء نجوم الشباك .. ولكنه صمم على اختياره .. وقدمت فردوس نموذجا رائعا فى الاداء .. ونجحت تماما فى دورها .. واستقبلها النقاد والجمهور بحفاوة بالغة .. وكسب محمد خان معركته !

وهذه احدى ميزاته كمخرج .. انه لا يلعب على المضمون .. يعشق المغامرة ، والبحث عن المجهول .. انه كشخصية « فارس » .. ومن شدة عشقه لاسم «فارس» .. فهو يفكر فى فيلم جديد بعنوان « الحريق » عن قصة شاب اسمه « فارس » ، يحترف رياضة كرة الشراب – وهى لعبة معروفة فى شوارع مصر – ومن خلال هذا الشاب يريد ان يقتحم عالم الرياضة الشعبية واسرارها .. او بمعنى ادق .. الحياة الخاصة للاعبى الشارع ونزواتهم واحلامهم ..

● قلت له – « شخصياتك غريبة على السينما المصرية .. سائق سيارة اجرة .. مصفف شعر .. موظف صغير فى بنك .. لاعب كرة شراب ؟ ! »

قال – « اننى اتعمد اختيار المهنة الغير متداولة فى السينما المصرية .. حتى اهرب من دائرة المهندس والطبيب والمحامى . لقد حفظنا هذه الشخصيات والكلام الذى يقولونه فى الافلام .. ولابد من التغيير » !

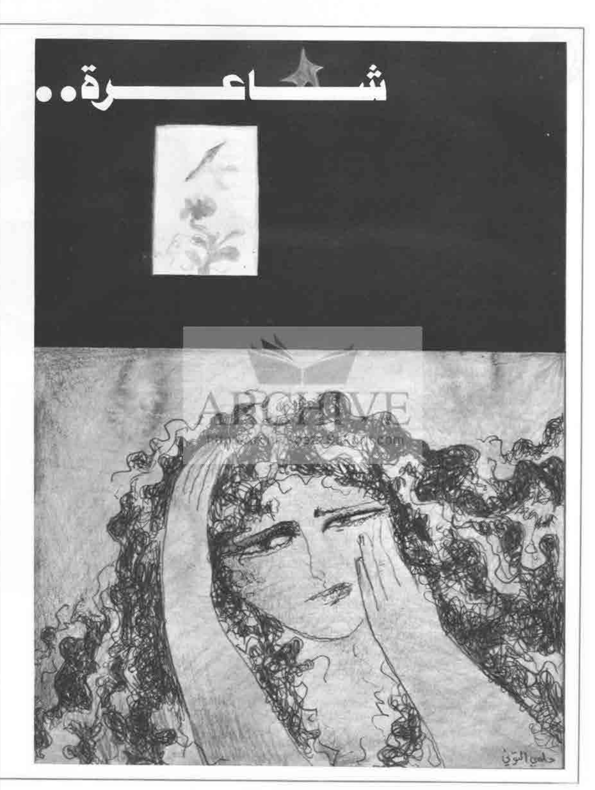
● سألته – « ما الذى تسعى لتحقيقه فى السينما » ؟

قال – « اتمنى ان اتخلص من قيود الحدوتة .. وضرورة ان يكون لكل فيلم قصة .. لماذا لا يكون الفيلم رحلة تامل داخل شخصية عادية .. ان ما اسعى إليه حقيقة .. هو اللاحدوتة .. وهذا لا يمكن ان يتحقق الا بالعثور على ممثل بارع يستطيع ان يتفرغ لدوره تماما .. وان يعيش الشخصية كما تخيلها .. فاكثر ما يزعجنى ان يؤدى الممثل دوره بلا صدق » .

انه فارس جديد فى السينما المصرية .. وبقدر ما يثير حوله من الدهشة والاعجاب للغته السينمائية الزاخرة .. بقدر ما يثير علامات الاستفهام حول موضوعات افلامه ..

ولكن الشىء الاكيد .. انه فى ظرف اربعة اعوام من العمل .. استطاع ان يفرض اسمه .. وان يصبح احد المخرجين الذين تتعلق بهم انظار وعشاق السينما .. وعلينا ان نؤجل حكمنا عليه .. حتى يخرج لنا كل اوراقه المخبأة .

« رءوف توفيق »


شاعرة..
حلمي التوني

.. على خلاف المعهود

قصائد امرأة تشكو الوحدة وتبحث عن الحنان

ترجمة وتقديم

عبد اللطيف عبد الحليم

بريشة

حلمي التوني

شاعرة كبيرة ، على خلاف المعهود بين من ينظم الشعر من النساء ، إذ يشيع بينهن ـ عموماً ـ أن يخفين مشاعرهن ، فلا يبدين منها إلا ما يستشف وراء برقع العرف وحجاب التقاليد ، لذلك ندر بروز « الشخصية » فيما تنظمه الشاعرات في اللغة العربية ، وفي غيرها مما استطعنا الاطلاع عليه .

وروساليا دي كاسترو شاعرة حقيقية في أغلب ما نظمته ، فشعرها هو حياتها في لحظات توهجها وانطفائها ، لاتكاد تخفى فيه خالجة ولا هاجسة مما مر بها في حياتها المصطخبة اليائسة ، يشيع في شعرها نغم أسيان دامع كأنه صدى لطبيعة منطقتها « جليقية » وهي صادقة في هذا الحزن ، لأن حياتها كلها نغم متواصل من لذاعة الحسرة ، ومرارة المجهول وكوارث الأيام ، فإذا رأى القراء في شعرها هذا القنوط ، وهذا الحزن الشجي فليعلموا أن صاحبته تنتشل من كهف نفسها المتجاوب بعزيف الوحدة ، وتوله الضياع ، وليعلموا أن البسمة ـ والحال هذه ـ ضرب من الزيف الذي يفسد الانسانية الحقة ، بقدر ما ينخر في الشاعرية ، فلا ترى فيها إلا إهابا معروقا بتمويه النفاق ، وطلاء الصنعة والتكلف وليحمدوا الصدق وإن كان أليم الوقع ، شجي الجرس ، لأنه صدق نفس شاعرة ، يكربها أن تدور ببضاعة مزجاة من التزييف والتمويه المشفوعين ببسمة خادعة ، لأن الحياة ذاتها ـ حياتها هي ـ لم تمنحها غير الحزن اللاعج ، وحين وهبتها ما يشبه العزاء مزجته بالصاب فكان عزاء خير منه الالتياع والقنوط .

نحن ـ في الحقيقة نأتي أمراً إداً حين ننشد من شاعرة مثل روساليا دي كاسترو أن تكون متفائلة باسمة ، والدنيا حولها كهف من الأسى والضياع ، وهي امرأة تطلب اللياذ والكنف فلا تصادفهما ، وحين أتيح لها شيء منهما كان برقاً خلباً !!

ولدت شاعرتنا وهي لا تدري من أبواها ، وقيدت في شهادة الميلاد « ابنة أبوين مجهولين » تولت رعايتها امرأة قيل إنها عمتها ، تتكشف أمور حياتها شيئاً فشيئاً ، هي ثمرة نزوة لامرأة في الثالثة والثلاثين من عمرها عانس ، ولرجل راهب في التاسعة والثلاثين يحول دون الاعتراف بابنته صرامة التقاليد وقسوة الأعراف الدينية ، وسطوة الكنيسة آنذاك ، وإلا فإن مثل هذه الأمور تحدث الآن في بلد مثل اسبانيا ـ تحكمه الكاثوليكية في صرامة شديدة ـ ويظهر أصحابها في الصحف وعلى شاشة التليفزيون يتحدثون عنها بلا أدنى خجل أو حياء وهم أشخاص يحظون بقدر هائل من الشهرة في عالم الفن !! .

لم تتح لصاحبتنا قسامة ولا صباحة مما سبب لها حساسية شديدة وحسبك أنها ابنة امرأة عانس صدف عنها الرجال ، ربما ورثت عنها الابنة معارف الوجه والأعضاء ، وربما كان أبوها أيضاً على غير وسامة ، يضاف إلى ذلك سوء رعايتها وهي في دور الصبا واليفاعة ، فأضافت إليها أوصابا وعللا ظلت تعاني من نتائجها حتى هلكت بالسرطان ، فضلا عما لقيته من حساسية شاعرية شديدة تضاعف رؤيتها للأشياء ، وما وقر في نفسها من خجل بسبب أصلها المجهول ، وكان من الممكن أن تقاوم كل هذه الكوارث لو ركنت في الدنيا إلى زيجة صالحة ، وإلى حياة مستقرة ، لكن لم يتح لها شيء من هذا فلم تعرف الهناءة الزوجية فيما يحكونه عنها ، ولم يتيسر لها موارد مادية تكفكف الضوائق التي أحاقت بها ، وكأنما تأبى الدنيا أن تحلو لها فهزت ذلك البنيان الوهنان بموت بعض أبنائها ـ بعضهم نزل ميتاً ـ وبموت أمها بعد أن عاشت مع الابنة ردحا من الزمن لم يكن طويلا ، كل هذه الأعاصير زلزلت ذلك الكيان ، فعصفت به في المطلع والختام ، قبل أن يبلغ تمام النضج والأوان ، هلكت عن ثماني وأربعين سنة (١٨٣٧ ـ ١٨٨٥) ، بعد أن أتت عليها العلل والأوصاب ، وطوال هذه الرحلة كانت دائبة البحث عن شيء فقدته :

شــــاعـــــرة .. على خلاف المعهـــود

لا أدرى ما أبحث عنـــه دائما
فى الأرض ، وفى الفضاء ، وفى السماء
لست أدرى ما أبحث عنـــه
لكن شيئاً قد فقدته ، لست أعلم متى ،
ولست أعثر عليه .

بيد أن الشيء الذى تبحث عنه فى كل شعرها هو أصلها الضائع ، إنها تنشد ظل رجل أى رجل كان أظلع أو مبتور الساقين كما تقول فى إحدى قصائدها ، إنها تبحث عن أبيها ، ولعل قصيدتها « ذكرى » تصلح لأن تكون نمطاً جيداً لمنهج التحليل النفسى فى الأدب والنقد ، وهو المنهج الذى نعتد به ونراه محطاً جيداً وفيصلا حاسما حين تشتجر مناهج الدراسة الأدبية ، ولا بأس عندنا من الافادة من ثمرات المناهج الأخرى ، ولا بأس بالاشارة هنا على وجه العجلة إلى أن المنهج البنائى الذى يشيع بين المتادبين هذه الأيام وبخاصة ما يكتبه فيه كثير من إخواننا الدارسين العرب إنما هو ـ فى معظمه ـ ضرب من التخليط والثرثرة وعدم الفهم ، وجل الذى يسطرونه ترجمة شائهة لما يقرأونه فى اللغات الأجنبية دون ذكر المصادر ، فيأتى بعضهم مثلا على دراسة كتبها أحد الأساتذة فى الغرب عن أحد الشعراء فيسلخها من سياقها ليطبقها على أحد الشعراء العرب فيتولد فى النهاية شىء مرتبك التركيب والمعنى إن كان ثمة معنى مفهوم ، جل ما قرأناه ـ فى الحقيقة ـ فى لغة العرب ضرب من التدجيل والشعوذة على القارىء ، وغير مفهوم حتى لمن يكتبه هو نفسه ، وتستتر وراء عباءات المنهجية ، وعلمية النقد ، وصعوبة البنائية والحق أننا اهتممنا بهذا الموضوع جداً ، فقرأنا فيه طرفاً مما كتبه الاسبان ونقاد أمريكا اللاتينية ، وما نقلوه إلى اللغة الاسبانية من لغات أخرى وهرعنا مراراً كثيرة إلى المحاضرات التى يلقيها الأساتذة المتخصصون الكبار ، وبعضهم عضو فى المجمع الملكى للغة الاسبانية فوجدنا ـ والله عجباً ـ ما قرأناه فى ذلك مفهوم ، وما سمعناه من الأساتذة ـ وبخاصة تطبيقهم هذا المنهج على الشاعر الاسبانى جنجرة وهو من أصعب الشعراء ـ كان مفهوما سائغاً ! فالعيب إذن فى إخواننا الذين يكتبون بلغتنا ولا نفهم ما يكتبون ولا نخالهم فاهمين !!

قصيدة « ذكرى » كما قلنا إنها تصلح نموذجاً لتطبيق المنهج النفسى ، بل إن شعر صاحبتنا يصلح كله لهذا المنهج ، ويفسد لو طبقنا منهجاً آخر ، فالقصيدة تلك تتحدث عن رجل مر بها وكفكف بكاءها ، من الممكن أن يكون حباً فى زمن المراهقة تتذكره الشاعرة ، لكننا نميل إلى أن هذا الرجل كان أباها وهى لا تعرفه ـ أوانئذ ـ مر بها « نغماً بلا اسم » واقترب منها وداعبها ، وسكب لها حبه ، وربت فوق جبهتها ثم ترك لها أغنياته ، لكن هذا كله كان هباء ، فقد هجعت السعادة ، وأشاح ذلك السرور العابر ، بيد أن لهذا الحديث أواناً آخر نود أن نؤوب إليه ، وأن ندع الآن حضرات القراء مع هذه الطائفة من قصائد روساليا دى كاسترو ، فلعلهم أن يعجبوا بها كما طاب لنا الاعجاب بها ، والثناء عليها وعلى صاحبتها ، عسى أن يكون هذا لوناً من المشاركة فى الشعور ، وضرباً كريماً من العزاء الصادق لهذه الشاعرة الحزينة الصادقة ..

١ ـ ذكرى

آه !! من البكاء الذى يحرق عينى
ويكوي خدى !!
كيف يسممنى العذاب الفظ ، ويتسلل الى فؤادى
كيف أشعر بأسف نفسى لدى الاندفاع الشديد
متذكرة يوماً حلواً وحزيناً مر مرور الريح !!
ما أكثر الأسماء والتنهدات الماثلة فى ذاكرتى
صفحة غريبة من حياتى الطويلة
من شىء طيب أهذى به
كنت أصغى إلى صوت مفعم بالبهجة
إلى نغم بلا اسم
كان يمضى ، يترنم ، ململماً بكائى
كان صوت رجل
اقترب ظل عابر فى خفة ، يسكب حبه
مر فوق صدغى الباكر ألف زهرة حبيبة
ربت فوق جبهتى التى تغوص فى كوارث فظة
كان مليئاً بالعذوبة ، والانسجام
ثم ترك لى أغنياته
آه ! كانت لذيذة هاتيك القيثارة الرنانة

التى تخفق ، ونحن نشعر بها من ايكة قصية
الى حيث يتلاشى انينها الأليم
لقد احسست بحنانها الالهى ، وهو يتوغل فى روحى
يبدد المرارة الآسية التى كانت تختلس هدوئى
ويحل شوقى الملتهب محل ذاكرتى الباردة
لقد شعرت ـ فى عنف ـ بقلبى ينبض بذلك المجد الجديد

•••

سعادة بلا تخوم ، اقتربت مبكرة
مع ملذات غريبة ، مثل لمعة الصباح الجميلة
التى تحلم بها النساء
زهرة تولد حين يطل الصباح ، وتموت عند الأصيل
صورة من البهجة والاحتضار تعلق بالفؤاد
إنها صورة أمينة لهذا الأمل الباطل
الذى يتحول الى هباء
مثلما يقول المرء ـ وهو امل ـ «غدا»
بينما «غدا» هو الموت

•••

هكذا كان : جبهتى الوسنى
عادت متوردة فيما بعد
فايضتنى بفجر سرورى
زهرة تذبل ، ثم تلقى
صمت صوت النغم الكبير ، وهجعت السعادة
وحين استيقظ البريق الجديد ، مات ما هو ماض
بقى اليوم فحسب النشيج عى آلامى
فاهجعى يأحلام الحب فى فؤادى
فان السعادة الكبيرة تنكر وجودى
فاهربى إذن ايتها السعادة ، واشح بوجهك ايها المجد والسرور

٢ - أنشودة حب

أيها القديس انطونيو المبارك ، هب لى زوجا
حتى ولو قتلنى ، حتى ولو سـحقنى
قديسى ، القديس انطونيو ، هب لى زوجا ودودا
حتى ولو كان فى حجم حبة الذرة ، هبه لى يا قديس
حتى ولو كان به ظلع فى كلتا رجليه ، ومقطوع اليدين
فان امراة بلا رجل ـ أيها القديس المبارك ـ



هى جسد بلا روح ، عيد بلا حنطة ،
عصا رديئة ، حيث تمضى ـ هى جذع مبتور
لكن حين يكون ثمة زوج ـ يا عذراء الكارمن ـ
لا تقبل الدنيا لكى تستريح الانسان .
فانه من الحسن دائما ان يكون ثمة رجل كى يكون معينا
حتى ولو كان اظلع ، او معوج الساقين .
اننى أعرف رجلا أوده من أول نظرة
ناحل الجسد ، أشقر ، متوردا ، أبيض ،
عذب الكلمات ، مثل الأكاذيب
من اجله اعانى صباحا ومساء افكر فى عينيه
اللتين لهما زرقة السماء
بيد أنه ماهر يفهم فى الحب ،
ولا يفهم كثيرا فى الزواج .
فلتجعله ـ أيها القديس انطونيو ـ قديسى ـ أن يأتى بجانبى
لكى يتزوج منى ،فاننى فتاة أنسة احمل مهرى
ملعقة من حديد ، وأربع شجرات ، واخا صغيرا ،
نبتت له أسنان ، وأحمل بقرة عجوزا لاتدر لبنا .
آه يا قديسى ، حقق لى هذا الشيء الذى
أنشده منك .
أيها القديس انطونيو المبارك هب لى زوجا
حتى ولو قتلنى ، حتى ولو سحقنى
فانه من الحسن دائما أن يكون ثمة رجل
كى يكون معينا لى
حتى ولو كان اظلع ، او معوج الساقين

شــاعـــرة .. على خلاف المعهـــود

٤ - يقولون إن الأجراس لا تتحدث ولا الينابيع ، ولا الطيـور

يقولون إن الأزهار لا تتحدث ، ولا الينابيع ، ولا الطيور ،
ولا الموجة بدمدتها ، ولا النجوم ببريقها
يقولون ذلك ، بيدانه غير صواب ، لأننى دائما حين امر
تغمغم كل هذه الاشياء ، وتتعجب منى :
هناك تمضى هذه المجنونة ، حالمة
بربيع الحياة الخالد ، وبربيع الحقول ،
وشيكا ، وشيكا ، سيهجم عليهما المشيب ،
سترتجف أوصالها ، ويصيبها الفالج ،
وسيغطى الجليد المروج .
ها قد اشتعل الراس شيبا ،
هل قد جلل المروج الجليد
وانا مازلت احلم ، مسكينة ، لا ابرا من سيرى الحالم
بربيع الحياة الخالد الذى ينطفىء ،
وببكارة الحقول الباقية ، والنفوس ،
وإن كان البعض يذوى ، والبعض الآخر يحترق
ايتها النجوم ، والينابيع ، والأزهار !!
لا تتعجبى من احلامى :
لأننى بدونها ، كيف اغرم بكن ، بل كيف احيا بدون احلام ؟

٥ - وحـــدي

كان الأصيل رقيقا ، والصباح باسما
وكان حزنها أسحم مثل اليتم
كانت تذهب فى الصباح ، وتقفل ايبة فى المساء ،
حسنا ، ما كان احد ينظر إليها فى جيئتها وذهوبها ،
ذات يوم وديع مضت ، مشت فى طريق الرملة ،
وبما انه لا ينتظرها احد ، فلم تعد .
بعد مرور ثلاثة أيام ، طرحها البحر
هنالك حيث يجثم جسدها .
هكذا دفنت وحـــدها .

عبد اللطيف عبد الحليم
مدريد ـ اسبانيا

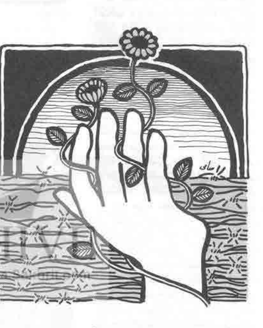


٣ - أجراس المســاء

تكر الرياح ، ويسرى النهر
ويمر السحاب ، يمر السحاب
على طريق بيتى
بيتى ، مثواى ، كل شىء يمضى
وانا اجثم وحيدة ، بلا صديق
اقبع متأملة دخان افران المنازل
إنها الأنفاس التى اعيش ازفرها
ها قد هبط المساء ، ومات النهار
ومن بعيد تقرع الأجراس ، تعلن موعد الصلاة
إنها تقرع لكى اصلى ، وانا صلاتى الانتحاب
كانى اغرق ، على الأجراس أن تصلى من أجلى
يا أجراس باستبالس حين أسمعك اموت من
العزلة

الصخرة والهزيمة

شعر: م. كجراي



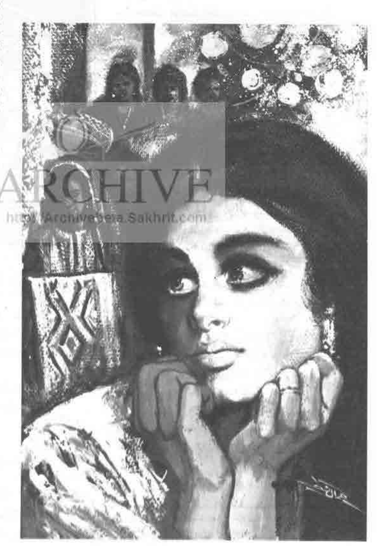
ينسابُ في مجاهلِ الاعماقِ صــوتُ نايْ
يذيبُني ينقشـــعُ السَّديمُ في رُؤَايْ
اكتبُ عنْ دائرةِ الصحوِ التي تضيءُ كالشَّعلةِ في دِمَايْ
اعرفُ صحرائِي التي يعبثُ في رِمَالِهَا الظلامْ
ويُفرخُ الصَّمتُ فلا يُورقُ في شحوبِهَا الكلامْ
اشهدُ في حديقتِي تَفَرُّقَ اليمَامْ
اَوْغَلَ في طريقِهِ وآثر الهجرةَ فالظلامُ عنكبوتْ
مَدَّ خيوط الغدرِ في مخابىءِ الاَغصانْ
في مداخِلِ البيوتْ
يا شــهداءَ الغدرِ عَبْرَ وَطَنٍ
في لحظةِ المخَاضِ في عشِيّةِ انتصارِه يموتْ
انا هُنَا امقت ظلَّ الصَّمْتِ يُلْقى بِي
كريشةٍ بيضاءَ في بحيرةِ الســكوتْ
انا هنا انشدُ يا احبَّتي مقاطِعَ القصيدةِ المحترقه
اسال في مسالِكِ الغربةِ في المهجَر عن قمرِيَّةٍ نيليَّةٍ مُطوَّقهْ
فاجاها الظلامُ فانحازتْ إلى مسالِكِ الضياع
عن البقاءِ في جدارِ الصَّمتِ في عرائِشِ الحدائِقِ المنَمَّقهْ
انا هنــا ارفعُ في سماءِ وطني
الرايةَ الغريبةَ الالوانِ كالصحيفةِ القديمةِ الممزَّقه
وأَختَفي في غيمةِ الذهُولْ
في بُقعةٍ ضيِّقةٍ تجرحُني جَهَارَةُ الطُّبولْ
تمتد في تداعياتِ حُلُمي الايامُ والفصُولْ
ارى مَثَارَ النَّقْعِ مشدُوها
اشمُّ حينَ يسقُط الرجالُ كلَّ عَرَقِ الخيُولْ
حاصَرَني الخيالْ
فاجأَني السُّؤَالْ
اينَ اختفَتْ مواسمُ الخضرةِ في ازدهارِها الوريقْ
يا شاهِدَ العصْرِ لماذا نحن في مُفْتَرقِ الطريقْ
فلنعبرِ الدخانَ والحريقْ
حدثني الصمتُ بأن الصَّخر لا يَقْبلُ بالنكسة والهزيمَهْ
وانني إذا رفعتُ راسي مَرَّةً
فلن تكونَ المرَّةَ الوحيدةَ اليتيمَةَ
اسالُ اينَ اختبأتْ حبيبَتِي النارِيةُ العظيمَهْ
ما بين تَوْقِ صدْرِها وبحّة الصَّوتِ الذي يذيبُني
عَلاَقةٌ حميمَهْ
حوريتي التي عشقتها على ضفاف النيلْ
تحت ظلالِ الهَرْكَلِ العظيمِ في اطلال مَروِى القدِيمَهْ(١)
ابحثُ فوقَ ألَقِ العيونِ عن بسْمَتِها
فلا ارى غيرَ جحيمِ الصمتِ في المواكِبِ المسحوقَةِ الاليمَهْ
كلُّ الحروفِ هذه الليلة في شُحُوبِها فارغةً عقيمَهْ
الحلوةُ السمْراءُ تحت وطْأَةِ الضَّياعْ
في مجاهِلِ الغربَةِ في ثيابِها تخطُرُ كالفَرَاشَهْ
وانت يا قلبيَ في صَمْتِك عبْر لحظَةِ الذُّهول
لا تملكُ غيرَ خفقةِ ارتعَاشَهْ
هانت لا تكتُبُ غيرَ مقطَعَيْن للفِرَاقِ والآسَى
على جدارِ الصَّمْتِ او بوابة المسَا
فمنْ تُرى يجرحُ قلبَ الليلِ في اندحارِهِ
ويحتفي بمَقْدِمِ الحوريةِ العظيمَهْ ؟ ؟
حدَّثَني الصمتُ بانَّ الصَّخْرَ لا يقبل بالنكْسةِ والهزيمَهْ
وانَّ زهْرَ العارِ لا ينبتُ في السهولِ والحقولْ
على ترابِ مَرَوِى المنســيةِ القديمَـهْ
منْ اجلِ هذا فانا
افتح بابَ الغضَبِ الساطِعِ والمواجِدِ الخبيئةِ الأليمهْ

---

(١) مروى اسم لعاصمة مملكة مروى التاريخية القديمة تقع في الجزء الشمالي من السودان .

قصـــــــة

تلك الليـــلة



لم أحدد خطوط الملامح الأولى لأحاديثى معهم .. فوضى متداخلة تحول دون وضوح الرؤيا ، ضبابية شديدة تعكر صفاء الذهن ،خليط عجيب من كلمات غير مركبة وقرارات مفككة الأجزاء ، وآراء تتراقص كانها على سطح من جليد وليس فى منطقة الفكر المحصن ضد هوائية الأمزجة الآنية .

لم تساعدنى فترات الراحة التى اعتكفها ، والهدنة المستوحاة من عمر الزمن الفاصل بين لقائهم على نتيجة مقنعة تجعلنى املك زمام القضية وتحولنى الى سيدة موقف ، تطمئن الى وقع قولها ... الضجة خارج غرفتى تزداد عنفا ، أصوات كالمنشار تحفر اخاديد فى قلبى ، توسع مساحات الخوف ... وتبذرها بمشاعر الظلم والألم ضالة عنيفة تحول كتلتى الآدمية الى فار قزم محاصر من الجهات الأربع . فى ثوان قليلة يسلبوننى حقى الطبيعى فى الاعتراف بابسط وأغلى ممتلكاتى الانسانية ... الشعوب جميعها تناضل من اجل حرية المصير ... وانا يشعلون فى لسانى الحريق اذا اهتزت حبالى الصوتية بلفظ « لا » ... أصداء ضربات الباب تلاكم اعصابى . تضخم الهمهمة المتامرة ضد إرادتى .. يشتد التحدى بين صمتى الرافض لشتى اللغات المتحذلقة فى تذويب شموخ فكرى ... وبين طلباتهم المتراكمة الممزوجة بين الطلب الآمر والرجاء الواثق .. وانا استمرىء سيولة شخصياتهم الجبارة ، أصلب أحجامهم على عنادى النابع من المى المتذبذب خلف الحياة والهارب منها ... وأمى تنادينى بأن افتح الباب الموصد أمام أعصابهم الثائرة ، وان اخرج واستعيذ بالله من الشيطان .. واسخر بالم من قولها . وافعالهم هذه اليست شريحة سواها الشيطان وزينها لعقولهم العفنة

الجمهرة المحتشدة خلف جدار غرفتى ، تضم خالى المستبد ، وأبى الطيب المسلوب الارادة الذى ارتضى بافعال الآخرين خجلا وليس طوعا ، والماخوذ بالحياء كالماخوذ بالسيف ... هم أحكموا الحبل حول رقبتى ، حتى لو نسجها أبى بخيوط من حرائر وعطرها بدمعة ، فعتابى يتضاعف عليه لأنه يملك القلب الوحيد بين حجارة مشاعرهم . يخرج صوتى متهدجا : ناولينى ...

وتعيق العبرة مجرى الحديث .. والشهيق يطغى على .. تكمل امى حديثى .. اتريدين عباءتك ...؟

بحدة أصرخ .. أريد كبريتا لاحرق نفسى ..

وضجيج يعلو بالخارج وأكفا تصفق لا تملك حولا ولا قوة ، فترات تمتد وتخفت أصواتهم ... احس بالعالم كله يحتضر... واشعر بنفسى عملاقا مشوها كالمسخ يجوب الأرض بخطوات وقعها الصوت الوحيد على البسيطة .. منفرداً .. اعزل .. أرى الفضاء طويلا وعرضه يتضاءل حتى تشتد الظلمة واحس بوحشة من المجهول .

يأتى صوت امى – اخرجى ذهب الجميع – والاعياء يأكل اعصابى ويحولنى لطاقة مهدورة .. اسقط يلتف حولى الارهاق ، فافقد توازنى ... واغيب فى نوم مدلهم .

يبزغ يوم آخر ... يمضغ الزمن ايامى بهدوء غير مكترث بسقوط وريقات شبابى ... مستلذاً بمطارق الجميع على جسمى النحيل .

المبارزة لابد منها .. هم يشحذون سلاح خبراتهم الزمنية علها تفلح فى واد عنادى ... وانا أصمم بارادة من فولاذ ان أهشم كل سيوفهم .

يتنحنح خالى يسحب رداء العظمة كانه فى مجلسه تلفه أطناب الخيمة ، بدائية الفكر لديه أصيلة المنبع ، يتحدث بلغة الكلأ وغثاء الأغنام . يجهل معنى القلوب العامرة بالدعة والأمانى ... كل مفاهيمه لا تمتد أبعد من طول عصا الخيزران التى تتمايل بين اصبعيه . يثور صوته ويلجم نبراته بالهدوء ... « اسمعى يا ابنتى هو زوجك ولديك منه ابنة ، يجب أن تعودى اليه » .

كلمة مريرة لفظها « زوجى » ثلاث سنوات كالجارية ... يجمعنا فراش احس بالاشواك تحاط بى .. يوخزنى ابرها .. يوشم جسدى المنهك بقروح من الذل والمهانة .. لم أر قط فى عينيه بريق الفرحة .. وبشاشة العشرة الطيبة .. كل ما ألمحه منهما حدة الصقر التى تثقب الأمان بأعماقى وتكسونى بثوب التهمة فى كل آن .

ما زال رجع صوته كالمرض المزمن يأبى المفارقة ... يطن بأذنى فجر ولادة طفولتى الاولى .. ماذا انجبت ؟ ابنة ،

بقلم : مايسه الخليفي

سميتها فاطمة . وينصرف من الغرفة متجاهلا لوجودى تماما .. غير مكترث بالوهن الذى عانيته .. غرس على وجهى الحزن .. وأرضعت صغيرتى حليب الألم والقهر .

بعد أربعين يوما يعود متأففا من صراخ الطفلة .. ينغمس فى مضغ غذائه وقضاء قيلولته .. ويمضى .. وأندب حظى

لن أعود اليه وهو يرفس انوثتى .. يجرجرنى باغلال العبيد حتى فى اضعف حالاته يلوك العظمة .. ويزمجر كالاسد .. نصف قواه تخار إذا اوغل الليل عليه .

ما جدوى العودة .. ؟ والعمر معه لا يثمر غير الاشواك .. كل حبال الآمال تقطعت .. وسفينة الصبر ابحرت دون شراع .

ثلاث سنوات وعملية الاجترار امارسها تارة بالصبر .. واخرى بالتعقل ومرات عديدة باللامبالاة والتأفف .

ما زال الماضى يبسط خطوطه على حاضرى المرير .. حسرة تلهب اضلعى إذا تذكرت تلك الحقبة من عمرى الغض .. يشف الزمن استاره . ويتجسد أمام ناظرى .. يوم عدت من المدرسة تعبة . ونظرات امى غير طبيعية .. ترمقنى بالخفاء .. تبحث فى ابنتها عن كينونة المرأة .. وانا غير عابئة بها .. فمى يتحرك بسرعة شديدة النهم الطعام حتى اعجل بلحظات اللعب مع رفيقات الحى .. وتفطن أمى الى عجلة أمرى قائلة : تمهلى يا ابنتى ..

اجبتها باستنكار مؤكدة صحة فعلى .. أريد أن العب « الكتور » مع الرفيقات . قاطعتنى بشدة اثلجت صدرها .. وهى تبوح السر العزيز لديها : من اليوم لن تلعبى .. بعد غد زفافك ... هوت الكلمة فى أذنى كسقوط نجم الهب مشاعرى .. تماوج الخوف والمجهول بداخلى .. وتذكرت زفاف ابنة خالى منذ عامين وذلك الشعور المبهم الذى استوطن باطنى .. وصوت المغنية يصب انغامه المتمايلة على محدودية مفاهيمى المتفائلة .. وأنا أحرث الفكر فى أفعالهم .. لماذا يغنون ؟

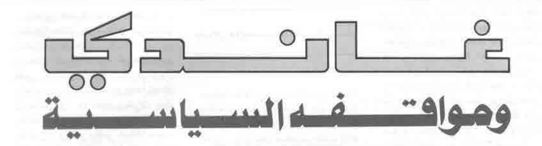
وابنة خالى كيف حملوها لذلك الرجل الغريب .. وأغلقوا عليها الباب دون الجميع ، ومواويل الغناء تنثنى تحكى قصص الهوى وحرقة البعاد .. وحين عدنا الى البيت .. لم استطع النوم .. وصياح الديكة تعلن قرب الفجر .. مازال نداء الديك رغم كبر سنى يوحش نفسى ويزيدها ألما .. موحيا بأن اليقظة حتى صوته تحمل للسهر دلالة واضحة لاعتدال النفس أو الذهن معاً .

ما زلت حتى اللحظة أحلل نفسى من سواد تلك الليلة التى اشتدت حلكتها على عقلى الباطن .. ثلاثة اشياء تكومت بأعماقى تعرقل افكارى ، وتسد درب السكينة ، زفاف ابنة خالى ... والغناء المنغم من ثغر تلك السيدة السمراء الممتلئة البدن ....وصياح الديكة الذى شرخ سمعى .. وغرس أصواتاً مبحوحة المعنى ما فتئت أحاول فك طلاسمها الى اليوم .

أمور كثيرة تتوارد بذهنى كشريط سينمائى لا يختل توازن احداثها عبر السنين .. فأنا لم أكن أحسن حالا من صورة ذلك الزفاف المحفور بأعماقى .. على بغتة أخبرونى بالزواج وإن كنت أجهل معناه . اخفونى فى غرفتى يومين .. وأحضروا لى مستلزمات جديدة براقة وكل من حولى يجرى .. حتى أصبح أهل البيت كله والمقربون يتسابقون مع الزمن ... أوامر هنا .. وتلبية هناك .. ولا أعى سر ذلك العمق .. وليلتها دخلت على سيدة لها فى نفوسنا جميعا منزلة رفيعة .. لما تمتاز به من الثقة والتقوى ، وحدثتنى بقول أصغيت له باهتمام ، فمثل هذه الاعترافات لاول مرة تصك أذنى .. مفاهيم الزواج وأصوله .. وما على الزوجة أن تفعله .

والحديث يقرع الهلع فى قلبى .. فيستولى على سنواتى الاربع عشر ... ويحيلها الى معنى واحد تنهيدة تبوح بالخوف .

افيق من امتداد يقظتى نحو عمرى المكدود .. ويبسط حاضرى ذراعيه امامى بقوة .. أرفض العودة الى زوجى المتجبر العنيد .. الذى لم يقدر يوما مشاعرى .. ولم يعترف بمشاركتى له .. وتفشل محاولات أمى لأن .. الصبر عندى اجهض معانى الانتظار ... واسقطه دما غير مكتمل الحياة .



- عندما قال غاندي : لقد تعلمت الثورة على يد الزعيم العربي سعد زغلول
- قصة المذبحة التي دفعت غاندي إلى الاعتراف بأنه ارتكب خطيئة سياسية خطيرة

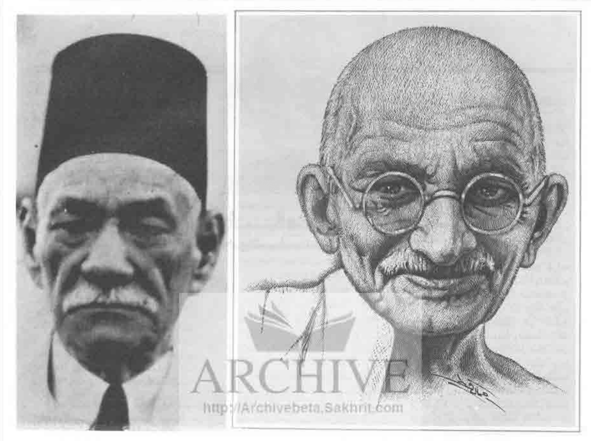
بقلم : محمد العزب موسى

كان سلاح النضال الذى جربه غاندى بنجاح فى جنوب أفريقيا هو فن المقاومة السلمية « الساتياجراها » الذى تقوم به جماهير متنورة بفكرة أن الحق أقوى من الباطل وأنه ينتصر فى النهاية ، وهى فكرة عميقة الجذور فى الفلسفة الهندية وفى الروحانيات الشرقية بوجه عام إذ نجد لها مكاناً راسخاً فى فكر المسيحية والاسلام .

عاد غاندى إلى الهند من جنوب افريقيا عام ١٩١٤ بعد ان قضى هناك ٢١ عاماً يدافع عن حقوق الاقلية الهندية المغلوبة على أمرها ضد ذلك النظام العنصرى البغيض ، وقد احرز غاندى فى نضاله هذا نجاحاً طير شهرته الى بلاده حتى انه استقبل بالحفاوة والتكريم فور عودته ، ولكن الاهم من ذلك انه استطاع فى جنوب افريقيا ان يعد سلاح النضال الذى سوف يستخدمه بعد عودته للهند ، والواقع ان غاندى لم يغرب عن باله قط اثناء وجوده فى جنوب أفريقيا أن القضية الحقيقية هى قضية الوطن الام وليست قضية أقلية هندية فى مكان ناء من العالم ، ولكن تجربته فى جنوب افريقيا لم تذهب عبثاً ، بل كانت ، علاوة على قيمتها الانسانية ، اشبه بالبروفة التى يؤديها الممثل لشحذ قدراته وتلاشى هفواته استعدادا للقيام بدوره المنتظر على المسرح .

وعندما عاد غاندى الى بلاده كان المسرح السياسى يقتسمه زعيمان متنافسان من زعماء حزب المؤتمر الهندى هما « جوكال » و « طيلاق » ، كان الأول زعيماً معتدلا يدعو الى اتباع الأساليب التدريجية المشروعة لانشاء هند جديدة على النمط الديمقراطى الغربى ، أما « بال جاندهار طيلاق » فكان على العكس من « جوكال » متطرفاً هندوسياً معادياً للانماط الغربية عامة ويتزعم جماعات الكفاح الجسدى بما فى ذلك اللجوء الى العنف أحياناً . وقد احترم غاندى « طيلاق » لذكائه واخلاصه ولكنه كان يختلف معه جذرياً فى نظرته الى الدين والسياسة . ولذا كان غاندى اقرب الى « جوكال » وبدا نصيرا له بالفعل ، ولكنه كان يتميز على « جوكال » بنظرته العالمية ، ويختلف عنه فى الهدف النهائى اذ لم يكن غاندى يدعو الى دولة على النمط الغربى الحديث وانما يدعو الى تغليب الاصالة الهندية مع التركيز على إنعاش الريف روحياً واجتماعياً . أى ان هدفه لم يكن « تغريب » الهند وانما « بعثها » من جديد .

ويعبر غاندى عن ارائه فى تلك الفترة المبكرة أوضح تعبير فى كتيبه « هند سواراج » الذى كتبه فى لندن عام ١٩٠٩ وهو عبارة عن حوار بين « قارىء » يحبذ الارهاب لتحرير الهند و « المؤلف » الذى يتحدث بلسان غاندى ، اذ يقترح القارىء ان تخلص الهند نفسها بحملة من اعمال العنف والاغتيالات ضد المستعمرين الانجليز ثم تبنى دولة عسكرية حديثة كما فعلت اليابان فيرد « المؤلف » قائلا .. انك بذلك تريد الحكم



المهاتما غاندي

سعد زغلول

البريطانى بدون انجليز ، انك تريد طبيعة النمو دون النمو ذاته ..

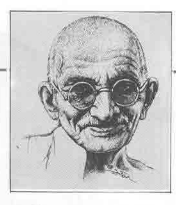
كانت النقطة الاساسية لدى غاندى ان « الشر » لا يكمن فى الحكم البريطانى بذاته وانما فى « الحضارة الحديثة » التى اصبحت مادية بصفة مطلقة ، فمصانع الغزل والنسيج مثلا دمرت حياة ملايين الأسر الهندية التى كانت تعيش على الغزل اليدوى ، ولا يهم ما اذا جاءت منسوجاتها المدمرة من مصانع لانكشاير ام من مصانع هندية . ان طريق الانقاذ كما يراه غاندى هو انعاش الثقافة التقليدية وطرق الحياة الأصيلة فى ٧٠٠ الف قرية تضمها الهند الكبرى .

استقر غاندى فى مدينة « احمد اباد » الشهيرة بمصانع النسيج الآلى وانشا « اشرم ساتيا جراها » وهى مؤسسة شبه ديرية يعيش فيها الانصار حياة جماعية وتحرم فيها الممتلكات الشخصية والملابس الأجنبية والاطعمة ذات التوابل ، ولأول مرة فى تاريخ الطبقات الهندية منذ الوف السنين ينضم الى هذا « الأشرم » عدد من المنبوذين ، وبذلك دل غاندى على انه يعنى ما يقول بدعوته الى مخالطة المنبوذين ودمجهم فى المجتمع .

وخلال السنوات القليلة التالية خلا المسرح السياسى الهندى من زعمائه الاقوياء فقد توفى « جوكال » بعد عودة غاندى بقليل ثم تلاه « طيلاق » فى عام ١٩٢٠ ، وكانت «انى بيزانت » التى راست حزب المؤتمر منذ عام ١٩١٧ معتدلة بدرجة لا تمكنها من إحكام قبضتها على مشاعر السخط الملتهبة لدى الهنود فى اعقاب الحرب العالمية الأولى ، وهكذا انعقد لواء الزعامة الشعبية لغاندى بنجمه البازغ ، فقد جذب اليه الانظار كزعيم راديكالى من طراز فريد ، واصبح معروفا ومحبوبا لدى جماهير حزب المؤتمر من طلبة وفلاحين وعمال صناعيين ومثقفين . فها هو يهاجم القيادات المتراخية والنزعـــات المنحـــرفة والمهراجـــات الذين يحولون عرق الجماهير الكادحة الى مجوهرات يزينون بها عمائمهم ، ويصب نيرانه على التخلف الهندى الذى يعتبره العدو الاول للشعب الهندى قبل الاحتلال البريطانى ، ويقاوم السلطات الحاكمة التى تحاول تقييد حريته فى الحركة والكلام ، ويدافع عن حقوق الفلاحين ضد استغلال الملاك ، ويدعو الى تحسين القرية الهندية وتزويدها بالمدارس والمصحات والمجارى ، ويحبذ المتطوعين للخدمة العامة ..

ولم تلبث ان طبقت شهرة غاندى الافاق

عندما قبل ان يتزعم اضراب احد مصانع النسيج الكبرى فى « أحمد أباد » للمطالبة بزيادة الاجور ، وكان شرطه الوحيد لتزعمهم ان يلتزموا بالساتيا جراها اى عدم اللجوء الى العنف تحت اى الظروف . وخلال هذا الأضراب ، عندما تأزمت المفاوضات بين الملاك والعمال لجا غاندى الى الاضراب عن الطعام لاول مرة فى كفاحه السياسى مما ارغم الملاك فى النهاية على الاستجابة لمطالب العمال خوفا من ان يتحملوا مسئولية موت غاندى . ويقول غاندى ان فكرة الصوم هذه جاءته كهاجس الهى ، ولكنه انتقد نفسه بعد ذلك لاستخدامها على اساس انها وسيلة ارغام للخصم يجب ان تتنزه عنها الساتيا جراها . ولم يلجا غاندى الى هذا السلاح فيما بعد إلا فى اواخر حياته وفى حالات الضرورة القصوى .



غاندي ومواقفه السياسية

مذبحة امرتسار ومحاكمة غاندى

ولم تلبث أن واتت غاندى الفرصة للدخول فى حلبة السياسة الهندية من اوسع ابوابها ..

كانت الحكومة قد اصدرت ما يعرف « بقانون رولات » نسبة الى لجنة القاضى « رولات » التى كونتها السلطات البريطانية لبحث اساليب احتواء التمرد الهندى ومنع لجوئه للعنف . واقترحت اللجنة توقيع عقوبات قاسية بواسطة محاكمات استثنائية خاصة على المشتبه فى قيامهم باعمال العنف والارهاب او حيازة الاسلحة ومنشورات الاثارة والتهييج . ومما له دلالة ان حكومة الاحتلال عجلت باصدار هذا القانون فى شهر مارس ١٩١٩ اى فى ذروة احتدام ثورة الشعب المصرى بزعامة سعد زغلول ، وكان لهذه الثورة صداها فى الهند ولدى غاندى شخصيا الذى قال فيما بعد انه تعلم الثورة من سعد زغلول .

ثار الراى العام الهندى باسره ضد قانون « رولات » التعسفى ، وقام غاندى بجولة واسعة فى انحاء الهند يدعو إلى حملة « ساتيا جراها » ضد السلطات البريطانية ، ثم دعا الى إضراب عام « هارتال » على ان يكون اضرابا سلميا تماما كيلا يتحول الى اداة فى ايدى دعاة العنف او الشيوعيين ، وفاقت الاستجابة للاضراب كل التوقعات ، فقد اغلق التجار حوانيتهم ، ووضع العمال ادواتهم . واقفرت مصانع الهند واسواقها كاحتجاج صامت على حاكم ظالم ، وبدت البلاد باجمعها مصممة على هدف واحد هو التحرير ، وقد بدا الاضراب فى مدينة دلهى فى ٣٠ مارس . واكتسح المدن الكبرى بسرعة خاطفة حتى شمل الهند باسرها يوم ٦ ابريل وخرجت المظاهرات السلمية تطوف الشوارع بالملايين يشارك فيها المسلمون إلى جانب الهندوس ، والنساء وطلبة المدارس ، وواجهت السلطات الموقف بالعنف ، فضرب البوليس المتظاهرين بالعصى ذات الاطراف الحديدية واطلق النار عليهم فى دلهى ، والتزمت حركة « الساتيا جراها » بمبادئها السلمية بوجه عام ، ولكن حدث فى البنجاب ـ حيث كانت تسودها الفوضى قبل حركة الاضراب ـ ان اندلعت اعمال العنف من جانب الغوغاء فهاجموا الحوانيت والمنشات العامة وقوات الامن . وحاول غاندى السفر من بومباى الى البنجاب لتهدئة الجماهير . ولكن السلطات البريطانية منعته واعادته من منتصف الطريق ، اذ كانت تبحث عن ذريعة لسحق الحركة الوطنية ، وسرعان ما امتدت اعمال العنف والشغب الى اجزاء اخرى من البلاد وردت السلطات بالمزيد من القمع الوحشى وجاءت الذروة يوم ١٣ ابريل حين امر « البريجادير داير » قواته من الجوركا والبلوش باطلاق النار على الجماهير فى « أمرتسار » وهى تتجمع للقيام بمظاهرة سلمية فقتل ٣٧٩ شخصا فى الحال واصيب اكثر من الف اخرين بجراح .

وبهت غاندى لبشاعة العنف من الجانبين ، هل يمكن ان ينفجر كل هذا العنف نتيجة لحركة هدفها الانتصار بعدم العنف وبقوة الحق وحدها ؟ وصام غاندى ثلاثة ايام تكفيرا عن خطئه ، ثم اعلن فى يوم ١٨ ابريل الغاء « الساتيا جراها » واعترف بانه ارتكب « خطيئة فى حجم الهيمالايا » بتشجيعه الجماهير غير المدربة على المشاركة فى حركة تتطلب اعلى درجة من ضبط النفس .

وهكذا فشلت اول حملة ساتيا جراها شاملة يقوم بها غاندى فى الهند ، ولكنها لم تفشل تماما فى الواقع ، اذ استطاعت ان تخرج بقضية الاستقلال من اروقة حزب المؤتمر وزنزانات الوطنيين الى الشارع والقرية والى جميع البيوت والطبقات ، كما سلطت مذبحة « أمرتسار » انظار العالم على جرائم الاستعمار البريطانى فى الهند ، وبدا الراى العام العالمى يعطف على القضية الهندية . واضطرت السلطات الاستعمارية فى النهاية الى مراجعة اساليبها فلم يوضع قانون رولات موضع التنفيذ وامتنعت عن إصدار سلسلة من القوانين العميقة المماثلة كانت قيد الاعداد . اما غاندى فقد تعلم درسه الكبير ، وهو ان فشل الحركة يرجع الى انعدام التنظيم ، واضمر أن اية حركة ساتيا جراها قادمة يجب ان تكون محدودة النطاق وان تقودها « كوادر » من المتطوعين المدربين .

وجاءت التجربة الثانية بعد ثلاث سنوات ، ففى اواخر عام ١٩٢٠ عقد حزب المؤتمر اجتماعا شعبيا فى ناجبور تبنى فيه هدف تحقيق الاستقلال الوطنى « سواراج » بنهاية عام ١٩٢١ ، وتلى ذلك ان اعلن غاندى حركة « ساتيا جراها » جديدة محورها عدم التعاون مع السلطات الاستعمارية ، وقام باعادة الميدالية الذهبية التى منحت له لقيامه باعمال الانقاذ فى جنوب افريقيا واقتدى به مشاهير الهنود فاعادوا للسلطات ما حصلوا عليه من اوسمة ونياشين ، واضرب الطلبة عن الدراسة ، وامتنع المحامون عن دخول المحاكم التى يعمل فيها قضاة انجليز ، وفر الجنود من الخدمة العسكرية . واستقبلت الأحزاب الهندية زيارة أمير ويلز للهند

بالاضراب العام . وردت السلطات الاستعمارية بحملة اعتقالات واسعة النطاق .

وفجاة تكررت نفس الغلطة الاولى اذ تحولت احدى المظاهرات فى جوراكبور الى العنف ، وقتل المتظاهرون عددا من رجـــال البوليس واحرقوا جثثهم فى قاعة مجلس المدينة ، وعلى الفور امر غاندى بوقف حركة الساتيا جراها بعد أن كادت تبلغ اهدافها ، فدل بذلك مرة اخرى على استعداده للتضحية باى نجاح سياسى لتفـــــادى ما يعتبره خسارة اخلاقية .

وفى ١٠ مارس ١٩٢٢ القى القبض على غاندى وقدم الى المحاكمة ..

ولا تزال هذه المحاكمة تذكر فى الهنـد الى الآن باعتبارها حدثا هاما فى تاريخ الاستقلال ، وتعرف بالمحاكمة الكبرى لما تميزت به روح الفروسية بين غاندى وقاضيه الانجليزى .

جرت المحاكمة فى مدينة « احمد اباد » امام القاضى الانجليزى روبرت برومفيلد ، واقر غاندى فى بدايتها انه « مذنب » فى الاتهامات الموجهه اليه ، واعترف بانه كان يريد قلب الحكومة ، وامام اعتراف المتهم وصراحة نصوص القانون لم يجد القاضى مناصا من ان يحكم على غاندى بالسجن ست سنوات ولكن القاضى اعترف بان غاندى « وطنى عظيم وزعيم عظيم » وقال يخاطبه ان هذه السنوات الست التى احكم بها عليك هى ضريبة الوطنية التى سبق ان نال متيلها سلفك العظيم طيلاق ، وانتهت المحاكمة بان انحنى غاندى امام قاضيه الانجليزى شاكرا ، وانحنى القاضى امام سجينه الهندى احتراما .

وهكذا خسر غاندى القضية ولكنه كسب الموقف ، فقد استطاع تحويل خصمه من الداخل ، وهذا أكبر نجاح لفلسفة الساتيا جراها .

مسيرة الملح

ادخل غاندى سجن « ايرفادا » بالقرب من « بونا » ، ولكنه لم يمكث فى السجن كل فترة العقوبة ، اذ افرج عنه فجاة فى فبراير ١٩٢٤ بسبب المرض ، وخرج ليفاجا بأن حزب المؤتمر قد فقد قوته ووحدته نتيجة لفشل أمله القومى فى تحقيق الاستقلال ، كما تزعزعت الوحدة الظاهرية بين المسلمين والهندوس واندلعت المذابح بينهم ، فكان اول ما فعله غاندى بعد خروجه من السجن ان اضرب عن الطعام ٢١ يوما حتى اجبر زعماء الطائفتين على التصالح .

وقبل غاندى رئاسة حزب المؤتمر لفترة محدودة بهدف منع الحزب من التمزق بين الأجنحة المتنافسة ، ثم استقال فى اخر عام ١٩٢٥ ، ولم يقبل طيلة حياته بعد ذلك اى منصب حزبى او إدارى ، واعلن اعتبار عام ١٩٢٦ عام صمت سياسى ، ولجا الى « اشرم سابرماتى » حيث انقطـع للتامل والصلاة والعمل اليدوى واستقبال الزوار الذين بداوا يتوافدون عليه من كل انحاء الهند ومن أوربا والولايات المتحدة والصين .

ولم يلبث غاندى ان اضطر الى قطع عزلته السياسية فى اكتوبر ١٩٢٧ حين استدعى مع غيره من الزعماء الهنود الى مقابلة الحاكم البريطانى لورد ايروين الذى ابلغهم ان بريطانيا ستوفد لجنة برئاسة سير جون سيمون الى الهند للنظر فى امكانية تعديل الوضع الدستورى للبلاد . ولما كانت هذه اللجنة تعد مسئولة فحسب امام البرلمان البريطانى ، وقد شكلت بدون اخذ راى الشعب الهندى ولا تضم فى عضويتها احدا من الهنود ، لذلك رفضها

المهاتما غاندي



غاندى وكل الزعماء الاخرين . وعندما وصلت اللجنة الى الهند فى فبراير ١٩٢٨ قاطعتها جميع الاحزاب الهندية بما فيها الرابطة الاسلامية وحزب « مها صابحا » الهندوسي . وفى نفس الوقت وجد غاندى الفرصة مناسبة لتنفيذ فكرة راودته طويلا وهى تحريض الاهالى على عدم اداء الضرائب للحكومة مقررا البدء فى منطقة برادولى . وكلف صديقه باتل بتزعم الحركة

وحقق إضراب برادولى نجاحا منقطع النظير ، بل كان انجح عصيان مدنى فى تاريخ استقلال الهند . فبالرغم من لجوء السلطات الى عمليات الاعتقال والقمع الوحشى ، إلا أن فلاحى برادولى ، وعددهم ٨٤ الف نسمة ، ظلوا ثابتين على رفضهم اداء الضرائب وممتنعين عن الرد على العنف بالعنف . وفى اقل من ستة اشهر كانت الهند باسرها يشلها الأضراب العام « هارتال » تاييدا لفلاحى برادولى ، واضطرت الحكومة الى التسليم ، فاطلقت سراح المعتقلين ووافقت على تخفيض الضرائب الى الحد الذى ارتضاه الفلاحون وتعويضهم عن ممتلكاتهم التى صودرت اثناء الاضراب .

كان هذا النجاح بمثابة لفحة هواء هبت على لهيب الحركة الوطنية فزادته اشتعالا .. ورفع حزب المؤتمر شعار الاستقلال الفورى التام ، وفى ٢٦ يناير ١٩٢٩ ، – وتحتفل به الهند للآن كعيد قومى – ، اصدر غاندى وثيقة « إعلان استقلال الهند » وهى وثيقة تتضمن الطموحات السياسية لرفاقه فى حزب المؤتمر الى جانب فكرته الخاصة عن التحرر الاجتماعى والروحى . وجاء فى الاعلان ان الحكم البريطانى قد دمر الهند إقتصاديا وسياسيا وثقافيا وروحيا ، لذلك فان الهند تقطع علاقتها ببريطانيا ، وتعلن استقلالها التام .

وبقى أن يختار غاندى هدفا لحملة العصيان المدنى التى يمكن أن تحول اعلان الاستقلال من الورق الى الواقع المعاش .

وقد تجلت عبقرية غاندى السياسية فى اختياره ان يكون الهدف هو خرق قانون الملح . وكانت حكومة الاحتلال البريطانى تحتكر صناعة الملح من استخراجه إلى بيعه لاستنزاف الهنود ، وتفرض عقوبات قاسية على من ياخذ ولو حفنة واحدة من ملح الشواطىء . ودعا غاندى الى تحدى



غـانـدي
ومواقـفـه السياسيـة

هذه العقوبات وان يقوم الهنود بتصنيع الملح بانفسهم ، ولقيت دعوته نجاحا كاسحا لانها مست وترا حساسا لدى ملايين الفلاحين الفقراء كما انها اطلعت الشعب البريطانى على مساوىء احتلاله للهند وحركت لدى الشعوب الأوربية ذكريات الثورة الفرنسية الكبرى التى كان من اسباب قيامها احتجاج فقراء باريس على ضريبة الملح المماثلة .

وفى فجر يوم ١٢ مارس ١٩٢٩ بدأ غاندى مسيرته من « أشرم سابرماتى » على راس ٧٩ متطوعا فى طريقهم الى « داندى » على شاطىء البحر وتبعد ٢٤١ ميلا ، ولم تتعرض السلطات للمسيرة ظنا بانها سوف تفشل من تلقاء ذاتها ، ولكن المسيرة تحولت الى نجاح باهر ، فكانت تجتذب فى تقدمها الاف المنضمين الذين يخرجون من المدن والقرى للسير وراء غاندى ، واخيرا وصلت المسيرة وقد تحولت الى بحر زاخر من البشر الى « داندى » يوم ١٣ ابريل ، وهو ذكرى مرور عام كامل على مذبحة « امرتسار » ، وهناك نزل غاندى الى البحر مع عشرات الالوف للاستحمام والتطهر ، وعندما خرج الى الشاطىء اخذ حفنة من الملح ورفعها عاليا بينما كانت الشاعرة الوطنيـــــــة « ساروجينى نايدو » تهتف والجموع تردد وراءها « فليحيا المخلص » .

وكما لو كان غاندى قد ادار مفتاح الة كبيرة معقدة فانطلقت كل اجزائها تعمل تلقائيا كذلك تحولت الهند باسرها الى كتلة لا تهدأ من الحركة والنشاط اذ راح الناس يصنعون الملح على الشواطىء وفى الشوارع وفوق أسطح البيوت ، وقدم مئات الموظفين ورؤساء القرى استقالاتهم ، وتوقفت الصحف عن الصدور ، ورفض الجنود اوامر إطلاق النار على المتظاهرين ، وطرحت النساء الحجاب وانضمت الى الحركة الوطنية بمظاهراتها واجتماعاتها ومسيراتها ، واصبحت كلمة الاستقلال على كل لسان .

وردت الحكومة باعتقال ١٠٠ الف شخص على راسهم غاندى وكل زعماء حزب المؤتمر ، ولكن حتى هذه الاعتقالات لم توقف الحملة ، بل ردت الهند باسرها باضراب عام (هارتال) شل كل مرافق الحياة فى البلاد ، وفى يوم ٢١ مايو هاجم ٢٥٠٠ من المتطوعين المدربين على أساليب الساتيا جراها مصانع الملح فى دارسانا وهم يحملون النقالات ووسائل الاسعاف استعدادا لتلقى عنف السلطات ، وتصدت لهم قوات من الجوركا قوامها ٤٠٠ جندى بعنف بالغ ، فتحطمت عشرات الجماجم ، وسقط المئات بين قتيل وجريح . ولم يتمكن المتظاهرون فى النهاية من اقتحام المصنع ولكن شجاعتهم اذهلت العالم .

وكالعادة رات سلطات الاحتلال أن تنحنى امام العاصفة وان تتحول من المواجهة الى التحايل ، فاطلقت سراح الزعماء المعتقلين ، ودعى غاندى للتفاوض مع الحاكم البريطانى فى دلهى . وبعد ايام من المفاوضات الشاقة وافقت السلطات على إباحة صنع الملح للاستهلاك الشخصى ، واطلقت سراح ١٠٠ الف معتقل ، ودعت غاندى إلى تمثيل حزب المؤتمر فى مباحثات الدائرة المستديرة بلندن لتحديد مستقبل الهند .

وكانت مباحثات الدائرة المستديرة قمة الخدعة الاستعمارية لتقويض الحركة الوطنية الهندية وبث الفرقة فى صفوفها ، فقد حضرها ممثلون عن مختلف العناصر الهندية غير المتناسقة ، مسلمون ، وسنج ، ومسيحيون ، ومنبوذون ، ومغتربون ، وامراء ، ومهراجات ، ومزارعون ، وضاعت قضية الاستقلال وسط هذا الخليط المتباين بمصالحهم المتناقضة ، وتحول اهتمام المؤتمر من المطالبة بتحرير الهند الى بحث صيانة مصالح الأقليات ، ولم يستمع احد لغاندى وهو يؤكد انه يمثل ٨٥٪ من الشعب الهندى وان هذه الخلافات مبالغ فيها وسوف تتلاشى بنفسها بعد الاستقلال . وهكذا انهار مؤتمر المائدة المستديرة على صخرة المبدا الاستعمارى المعروف « فرق تسد » وعاد غاندي الى الهند خالى الوفاض فى نهاية عام ١٩٣١ ليجد حاكما بريطانيا جديدا أشد صرامة من كل سابقيه هــــو « لورد ويلنجتون » الذى اتبع سياسة القمع السافر وزج بغاندى وزعماء المؤتمر مرة اخرى فى غياهب السجون .

وعندما خرج غاندى من السجن كانت اخر انفاس الحركة الوطنية قد خبت ، وتحول غاندى باهتمامه عن الاستقلال إلى حقوق المنبوذين ، ودخل فى عزلة سياسية لم يخرج منها حتى عام ١٩٤٠ . ولكن ساتيا جراها الملح لم تذهب فى الواقع عبثا ، اذ كانت درسا غاليا من دروس النضال ، صهرت الهند وراء امانيها القومية وكسبت لها التاييد العالمى ، وتقدمت بفضلها خطوة حقيقية نحو الاستقلال .

هزيمة المنتصر

إذا كانت مباحثات الدائرة المستديرة قصد منها تمزيق الحركة الوطنية ، وحققت المقصود منها بالفعل ، إلا ان بريطانيا لم تكتف بذلك ، فقررت ان تقوم بخدعة اخرى اكبر واخطر تلهى الهند عن الاستقلال الحقيقى وتمزق صفوفها الى الأبد ، وهى خدعة الحكم الذاتى الذى وافق البرلمان البريطانى على منحه الهند فى اغسطس ١٩٣٥ ، وسمح بمقتضى ٥ للناخبين الهنود ويبلغ عددهم ٣٠ مليونا ، باختيار حكام الولايات ومجالسها المحلية . وقد تحمس زعماء حزب المؤتمر لهذه الخطوة تعطشا منهم لسلطة الحكم حيث فاز حزبهم بالسلطة فى ٩ ولايات من احدى عشرة ولاية اما غاندى فقد رفض هذه الخطوة من الاستقلال المزيف وعندما سالوه رايه قال « إن الهند لا تزال سجنا كبيرا وكل ما حدث ان القائمين عليه سمحوا للسجناء باختيار جلاديهم » .

وحدث ما توقعه غاندى ، إذ لجا حكام الولايات المنتخبون إلى استخدام قوات البوليس التى يقودها ضباط انجليز فى ضرب معارضيهم ، وبذلك اصبح جلادو الشعب حكاما من الهنود بدلا من الانجليز . ولكن الاخطر من ذلك ان مقدم الحكم الذاتى ادى إلى القطيعة النهائية فى الحركة

الوطنية بين المسلمين والهندوس ، وتضارب مصالحهم تضاربا جذريا ، وبدا محمد علي جناح زعيم الرابطة الاسلامية وقد هالته الاغلبية العددية للهندوس يطالب بتقسيم الهند على أساس انها تضم قوميتين منفصلتين ، وفى نفس الوقت ظهرت الانقسامات الحادة داخل حزب المؤتمر بين اليمينيين واليساريين ، وابتعد الحزب برمته عن مبادىء غاندى فى الصحوة الروحية فالراسماليون والاشتراكيون على السواء اصبحوا يتطلعون الى انشاء هند صناعية حديثة على النمط الغربى ولكنهم يختلفون فى توجيهها الايديولوجى ، وتناسوا تماما تصورات غاندى فى البعث الهندى الذى اساسه النهوض بالقرية وكيانها الذاتى ، ومع ذلك فقد ظلوا يستخدمون برنامج غاندى الريفى لكسب تأييد جماهير الفلاحين وضمان التفاهم حول حزب المؤتمر وهكذا كلما زادت سلطة حزب المؤتمر السياسية كانت تتناقص قوة غاندى الروحية .

ولم تلبث ان برهنت الأحداث على صحة وجهة نظر غاندى فى ان السلطة السياسية التى يتمتع بها الزعماء الهنود ليست أكثر من قشرة واهية ، اذ لما قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ جرت بريطانيا الهند اليها دون استشارة حكام الولايات المنتخبين ، فقدم هؤلاء استقالاتهم وعادت الهند الى الحكم البريطانى المباشر .

ولجا الزعماء السياسيون مرة اخرى إلى غاندى يرجونه تولى الزعامة . وكعادته فى تحمل مسئوليات القيادة فى الأزمات العصيبة أعلن حملة عصيان مدنى جديدة فى أكتوبر ١٩٤٠ ، ورد الانجليز باعتقال عشرات الالوف وعلى راسهم غاندى الذى حددت اقامته فى قصر اغاخان فى « يونا » ثم اطلق سراحه قبيل انتهاء الحرب فى عام ١٩٤٤ لأسباب صحية . وانفجرت الهند مرة اخرى فى موجة من العنف الدامى ، وخيل لغاندى ان كل مبادئه التى عاش يعلمها لشعبه لم تلق اذانا صاغية ، ثم كانت صدمته أكبر بالاستقلال الذى وافقت حكومة العمال فى بريطانيا على منحه للهند بعد انتهاء الحرب ، اذ لم يكن بالاستقلال (سواراج) الذى يفكر فيه وناضل من اجله ، كان يحلم بهند حرة مستقلة علمانية موحدة تتعايش فيها الجماعات الهندية المختلفة على قدم المساواة ، أما الاستقلال الذى حصلت عليه الهند بعد الحرب فقد دفعت فيه ثمنا مدمرا هو انقسام شبه الجزيرة الهندية الكبرى بين الهندوس والمسلمين ، وقيام دولتين للهند وباكستان ، وعندما وافق حزب المؤتمر على قرار التقسيم شعر غاندى ان قضيته قد جحدت ، وقال ملاحظا « لقد وصل كفاح ٣٢ عاما الى نهاية مخجلة » ، ان الهند الأم التى يحلم بها قد دمرت .

وضاع صوت غاندى الواهى الذى تجاوز الخامسة والسبعين فى ضجيج الاستقلال وزحمة الأصوات القوية الشابة ، وشعر أن قوته الروحية تخبو باطراد مع مقدم القوة السياسية للهند ، وبدات تسيطر عليه فكرة الاستشهاد والتضحية . كان يقول « كما يتعلم الانسان فن القتل وهو يتدرب على العنف عليه ان يتعلم فن الموت وهو يتدرب على عدم العنف » . وفى هذه المرحلة بالذات اصبح الاضراب عن الطعام سلاحا ماضيا فى يد غاندى ، فلم يكن بصوم كمناورة سياسية وانما بهدف أن يموت حقا ، وكثيرا ما اشرف على الهلاك فى هذا الصوم ثم عاد الى الحياة بالكاد بعد ان كان صيامه يجبر اعتى الخصوم على الرضوخ .

وازدادت الام المهاتما توهجا وهو يرى اشباح الشر القديمة التى قضى حياته يطاردها تبعث من جديد وتسير فى كل مكان .. العنف ، التمرد ، الحرب ، الفوضى . التعصب ، الطائفية ، الكراهية ، فقد انفجرت المذابح الطائفية على نحو لم يسبق له مثيل بعد تولى نهرو رئاسة اول حكومة هندية مستقلة ، ففى البنغال ذبح المسلمون الهندوس ، وفى بيهار ذبح الهندوس المسلمين ، وسار غاندى الشيخ الفانى وهو فى أواخر السبعينات من عمره حافى القدمين من قرية الى قرية يدعو الى وقف المذابح ، حملته قدماه الواهنتان الى البنغال وبيهار وكشمير وكلكتا ودلهى كما لو كان ملكا عجوزا فى رحلة توبة يرجو بها استعادة مملكة المحبة الانسانية والسلام الضائعة ، وكان يقول « لم يحدث فى حياتى ان كان طريقى كما هو عليه الآن من الظلام » واحرز بالفعل نجاحا ملحوظا فى اكثر من حالة ، واستطاع وقف المذابح بين المسلمين والهندوس فى كلكتا ، بل ان زعماء عصابات القتل والأرهاب من الطائفتين ، كانوا يركعون امام سرير صومه تائبين ، ولكن ما راه وسمعه كان كفيلا بان يجعله يائسا تماما من امكان انتصار مبادئه ، بل ان دعوى عدم العنف ذاتها فقدت معناها لديه ، ولذا عندما قامت باكستان بغزو كشمير لم يبد غاندى اعتراضا على إرسال الجيش الهندى للحرب ضد الباكستانيين ، اخوة الماضى وابناء الهند الأم ، فاذ تلاشى لديه الأمل فى انتصار اللاعنف بدا له ان الذهاب الى القتال افضل من إظهار الجبن .

ولكن جهوده اليائسة فى التقريب بين المسلمين والهندوس جلبت عليه عداء المتطرفين من الطائفتين ، واخذ المتعصبون يطلبون حياته نفسها ، هدد المسلمون حياته فى نوخالى . وهدد الهندوس حياته فى كلكتا وخلال الايام القليلة التى سبقت وفاته انفجرت قنبلة فى اجتماع كان يحضره للصلاة فى دلهى . ها هو شبح العنف عدوه اللدود القديم يتقدم نحوه لا يقنع باقل من راسه بعد ان فك عقاله فى هند تحولت الى حلبة للدم وعدم التسامح .

وذات ليلة ، قال غاندى لابنة اخيه مانو بان : اذا مت على سرير مرضى فعليك ان تبلغى العالم اننى كنت مهاتما مزيفا ، اما إذا انفجرت قنبلة كما حدث فى الاسبوع الماضى ، او انطلقت رصاصة فتلقيتها فى صدرى العارى ولفظت انفاسى دون نهدة واحدة واسم « راما » على شفتى فقولى عنى اننى كنت مهاتما حقيقيا .

وفى اليوم التالى ٣٠ يناير ١٩٤٨ ، وفى ساعة الغروب بينما كانت اشعة شمس الشتاء الذهبية الباردة تغشى جو دلهى المائل للزرقة الشفافة بدت فى الصورة بقعة حمراء من الدم القانى اذ اطلق متعصب هندوسى الرصاص على غاندى وهو فى طريقه الى اجتماع للصلاة ، وتلقى غاندى الرصاصة فى صدره العارى ولفظ انفاسه الأخيرة فى مكانه وهو يتمتم بين شفتيه باسم الاله « راما » ..

وانطوت صفحة واحد من اعظم قادة الانسانية فى القرن العشرين ..

•

محمد العزب موسى



براءة الأطفال

الذكاء

أسئلة حيرت العلماء

هل الرجل أذكى من المرأة ؟
هل الأبيض أذكى من الأسود ؟
الحقيقة ضائعة بين العلم والتعصّب

تلك السمة الانسانية التى يعزى اليها ما احرزته البشرية من انتصارات ومنجزات علمية وفنية وفكرية وفلسفية . اذا ارتفع نصيب الانسان منها وصل الى حد العباقرة والعظماءوصناع التاريخ ، واذا انخفض نصيبه منه انحط مستوى سلوكه ليقترب من مستوى السلوك الحيوانى . انه السمة المسئولة عن صنع حضارة الانسان . ولذلك فكلما ارتفع مستوى هذه الحضارة ، وزاد تعقيدها ، كلما احتاج الفرد لمزيد من الذكاء ليحسن التعامل مع ظروف العصر . ونظرا لاهمية هذه السمة الانسانية ، كانت محط اهتمام العلماء والباحثين والفلاسفة والمفكرين ، فتساءلوا ما هى طبيعة الذكاء ؟ وما هى جذوره التى يرجع اليها ؟ وهل يعد سمة وراثية ام مكتسبة بعبارة اخرى ما هى العوامل التى تؤثر فى نموه ؟ وهل هو سمة او قدرة بسيطة ام معقدة ؟ كما تساءلوا عن نوعية العلاقة التى تربطه بغيره من السمات الانسانية الاخرى ، وبعبارة ثالثة هل الذكاء قدرة مستقلة تمام الاستقلال عن غيره من القدرات والسمات ؟ وعلى اى نحو يتوزع الذكاء بين افراد المجتمع ؟ هل الغالبية اذكياء ام اغبياء ؟ وهل يؤثر ذكاء الفرد فى سلوكه ، وعلى اى نحو يتم هذا التأثير ؟ وهل يختلف الذكاء باختلاف سن الفرد ؟

بقلم : الدكتور عبد الرحمن العيسوي

ومن الأمور التى اثارت الاهتمام حتى الآن مسألة الفروق الجنسية فى الذكاء ، بمعنى أيهما اكثر ذكاء الذكر ام الأنثى ؟ وكذلك اثير موضوع الفروق السلالية فى الذكاء وادت إثارة هذا الموضوع إلى نشاة كثير من الجدل نظرا لارتباط هذه المسالة بالتعصب العنصرى ، واتجاه الرجل الأبيض نحو وصف غيره من السلالات كالزنوج مثلا بانخفاض الذكاء ، ليتخذ من ذلك ذريعة لأحكام سيطرته على الزنوج او الأفارقة . وتساءل الباحثون عن مدى تاثير الذكاء فى التحصيل الاكاديمى ، كما تساءلوا عن السن التى يتوقف عندها نمو الذكاء . انه السمة التى يباهى بها من يمتلك حظا وافرا منها ، وهى التى تعتمد عليها اعتمادا كبيرا عملية الاستيعاب والتحصيل والاستذكار الدراسى ، ولذلك كان الاهتمام بها لا يعرف الفتور واصبح من المستطاع تعريف الذكاء تعريفا دقيقا من ناحية وقياسه كميا محددا . ومن نتائج تلك المعرفة انه أصبح فى المستطاع التنبؤ بمدى نجاح الطالب فى التحصيل الدراسى المستقبلى على ضوء معرفتنا بحجم مايمتلك من ذكاء .

ومن التعاريف الشائعة عن الذكاء : ان الذكاء هو ما تقيسه اختبارات الذكاء . ويعرف هذا التعريف بانه التعريف الاجرائى للذكاء ، وهو التعريف العلمى القائم على أساس السمات والقدرات التى تبدو واضحة فى سلوك الفرد الذكى . ويختلف مثل هذا التعريف عن التعاريف

الفلسفية أو العامة أو الغامضة أو المبهمة ، كأن تقول ان الذكاء هبة او فطرة . ويقودنا هذا التحليل إلى التساؤل : وما الذى تقيسه اذن مقاييس الذكاء ؟ ويبتعد مثل هذا التعريف الاجرائى عن الصعوبات التى تواجه هذا المفهوم من حيث كونه فطريا او الى استخدام ذهن الفرد . وتقارن استجابات الفرد على هذه السلسلة باستجابات اشخاص آخرين سبق لهم اداء هذه الأعمال ، وبالتالى نتعرف على مستواه بالنسبة لهؤلاء الذين سبق لهم القيام بنفس الاداء وتحت نفس الظروف ، والذين يشترط فيهم ان يكونوا على درجة كبيرة من الشبه معه من حيث اتفاق السن والجنس والمستوى التعليمى والثقافى والطبقة الاجتماعية والسلالة .

هل الذكاء وراثى أم مكتسب ؟

وكثيرا ما تساءل العلماء ، هل الذكاء وراثى أم مكتسب ؟ بعبارة اخرى هل يتحدد كم ما يملك الفرد من ذكاء عن طريق العوامل الوراثية التى تنتقل اليه عن طريق المورثات او ناقلات الوراثة من الاباء والاجداد ، أم ان التغذية والتربية والمعاملات التى يلقاها الطفل والخبرات التى يمر بها ، والامراض التى تصيبه .. الخ تؤثر فى نمو ذكائه ؟ فاذا كان الوضع الوراثى هو المعبر عن الحقيقة فى هذا المبحث فاننا نقف مكتوفى الايدى امام ما يملك الطفل من ذكاء ولا نستطيع تنميته ، واذا صح الاتجاه البيئوى فان الافاق تفتح امامنا لتحسين حال من حرمتهم الطبيعة من وفرة هذه القدرة الثمينة بل اننا نكون اكثر طموحا ونعمل على زيادة ذكاء مرتفعى الذكاء ايضا تحقيقا لمزيد من سعادة البشرية وانتصاراتها ومنجزاتها ومخترعاتها . واذا كان الأمر كذلك ، فاننا نستطيع ان نضمن تحسين ذكاء الاجيال المقبلة بصورة مضطردة جيلا بعد جيل . ويتبع ذلك بالضرورة القضاء على الظروف او العوامل التى من شأنها ان تقلل من ذكاء الاجيال القادمة .

إذا كان الذكاء ناتجا عن العوامل الوراثية ، فاننا نتوقع ان نجد تشابها فى ذكاء الاباء والابناء مثلما نجد من تشابه فى عوامل مثل طول القامة ، ولون العينين وشكل الشعر ولونه . فى هذا الصدد وجد كل من كونراد وجونز معامل ارتباط قدره ٤٩ر٠ بين نسبة ذكاء الاباء وابنائهم ، كما وجدا مثل هذا المعامل بين ذكاء الاخوة

وراثيا ، ام انه قدرة واحدة ام عدة قدرات متشــابكة ، وما هى ما هيته او كنهه ومادته الأولى ؟

تتضمن اختبارات الذكاء بعض الاسئلة او المواقف او الاعمال التى نواجه بها الفرد

الأشقاء واذا ما قورن هذا المعامل بمثيله بين مجموعة من الكبار ومجموعة اخرى من الاطفال لا توجد صلة دم بينهم ، وجد ان معامل الارتباط فى هذه الحالة يساوى صفرا معبرا عن عدم وجود علاقة على الإطلاق . وفى دراسة اخرى على التوائم غير الصنوية اى تلك التوائم التى يتكون كل فرد من افرادها من بويضة مخصبة مستقلة ، وجد ان هناك معامل ارتباط قدره ٦٣ر٠ كما تدلنا على ذلك دراسة كل من نيومان ، فريمان وهولزنجر . ومثل هذا المعامل وجد بين اعضاء الأسرة الواحدة . ويقودنا هذا الى التساؤل لماذا يزيد التشابه بين التوائم عنه بين الاخوة ؟ ربما يرجع ذلك الى تشابه الظروف البيئية التى ينشأ فيها التوائم من حيث الظروف الاقتصادية والاجتماعية للأسرة ونتيجة لتشابه المعاملة التى يتلقاها كل فرد من التوائم من قبل الاباء والاخوة والاخوات والاقارب والاصدقاء . ويؤكد هذه الملاحظة ان معامل الارتباط ، المعبر عن حجم التشابه يزداد كلما عاش التوأم مع زميله . ولذلك اسفرت بعض الدراسات ان معامل الارتباط بين إخوة يفصلوا سن العاشرة من العمر كان ٦٣ر٠ بينما كان معامل الارتباط بين ذكاء اخوة فى الرابعة عشرة من عمرهم ٤٠ر٠ يرجع ذلك بالطبع الى تشابه الظروف التى يخضع لها الاخوة والى مدى استمرار هذه الظروف . وواضح ان مثل هذه الدراسات تدلنا على وجود تاثير من جانب الوراثة ومن جانب البيئة على نمو الذكاء .

وسيلة تسلية للاطفال



ونطلب منه حلها ، كحل بعض المشكلات الرياضية ، أو ادراك العلاقات ، واستخدام الرموز وفهم المواقف . يواجه الفرد بسلسلة من هذه المواقف المقننة التى يحتاج حلها

الظروف والبيئة

ولكن هناك دراسات اكثر دلالة ووضوحا فى البرهنة على تاثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية على نمو ذكاء الأطفال . فلقد وجدت علاقة بين وظيفة الاب وبين ذكاء ابنائه . فلقد وجد أن ذكاء ابناء ارباب المهن الراقية كالمهندسين والمدرسين والمحامين اعلى من ذكاء ابناء العمال غير المهرة . وعلى سبيل المثال كان المتوسط الحسابى لنسبة ذكاء مجموعة من اطفال الطبقات المهنية الفنية ١١٧ر٥ بينما كان نظيره لدى ابناء عمال اليومية هو ٩٧ر٦ .

ولكننا هنا ايضا امام تداخل العوامل البيئية مع الوراثية ، ذلك لاننا نستطيع ان نقول ان الآباء الذين يشغلون الوظائف الفنية التخصصية الراقية يوفرون بيئة تعليمية مثيرة ، ومشجعة لابنائهم ، كأن يتوفر للطفل الغذاء الجيد ، والكتاب والمجلة والمذياع ، والتليفزيون ، والأحاديث الراقية . ونستطيع ان نقول فى نفس الوقت ان – الاباء الذين يشغلون مثل هذه الوظائف الراقية ما كان لهم ان يشغلوها لولا تمتعهم اصلا بالذكاء المرتفع ، ومن ثم انتقل الى ابنائهم بحكم الوراثة .

وتمدنا الدراسات التى اجريت على التوائم العينية او الصنوية وهى تلك التى تتكون من انشطار بويضه واحدة مخصبة فى " . والتى يمتاز توائمها باتحاد العامل الوراثى – تمدنا بكثير من المعطيات التى تفيد فى معرض الحديث عن تاثير العوامل البيئية والوراثية . ولما كانت الوراثة واحدة فى هذه الحالات ، فاننا اذا نقلنا احد التوائم ليعيش فى بيئة مغايرة للبيئة التى يعيش فيها شقيقه ، واذا لاحظنا بعد مرور بعض الوقت ، اختلافا فى نسبة ذكائهما لكان مرده الوحيد هو التاثير البيئى اما اذا لم نلحظ اختلافا لكان مؤدى ذلك ان البيئة لا تؤثر فى نمو الذكاء ، وانه يحدد بفعل العوامل الوراثية الصرفة .

ولقد وجد معامل ارتباط قدره ٨٨ر٠ بين نسبة ذكاء التوائم . ولكن هذا المعامل انخفض الى ٧٧ر٠ عندما كانت الحالات منعزلة كانت الحالات منعزلة بعضها عن البعض . ومعنى ذلك انه كلما زاد تشابه



الوراثة والبيئة زاد معامل الارتباط اى زاد تشابه الذكاء . والفرق الملاحظ بين معاملى الارتباط ٨٨ر٠ ، ٧٧ر٠ انما يرجع الى الظروف البيئة .

وتعطى الدراسات التى اجريت على اطفال التبنى ومقارنة مقدار التشابه بين ذكائهم وذكاء ابائهم الطبيعيين ثم ذكاء ابائهم فى التبنى توضح أن العامل الوراثى قوى فى تحديد الذكاء ، ولكن اطفال التبنى الذين يتربون فى اسرة واحدة تكون النتيجة تشابه ذكائهم .

للمزيد من تنمية الذكاء

ومؤدى هذه الدراسات ان هناك تاثيرا ما للعوامل البيئية على نمو الذكاء . وهنا نتساءل : ما هى تلك العوامل بغية العمل على توفير المزيد منها لابناء امتنـــــا العربية ، ؟ لقد وجد أن الطفل الذى يذهب الى احدى دور الحضانة يمتلك ذكاء أعلى من زميله الذى لا يذهب اليها ، على اعتبار ان دار الحضانة تمثل بيئة اكثر غنى من الناحية التعليمية عن البيئة المنزلية الصرفة للطفل . ولكن هذه النتيجة ليست على اطلاقها فقد ينحدر هؤلاء الأطفال الذين يذهبون الى دور الحضانة من اباء اكثر ذكاء اصلا ، واكثر تمتعا بالمراكز الاجتماعية والاقتصادية المرتفعة الذى يتحدد أصلا بفعل عوامل وراثية . إننا نحتاج الى معرفة كم ذكاء هؤلاء الأطفال انفسهم قبل الالتحاق بالحضانة ثم نقيسه بعد الالتحاق ، فان زاد كانت الزيادة نتيجة لتاثير دار الحضانة .

قد لا يهتم الاباء الاقل ذكاء بايفاد ابنائهم الى دور الحضانة . لقد دلت احدى الدراسات التى تتبعت الاطفال قبل وبعد الالتحاق بدور الحضانة ووجدت ان هناك زيادة سنوية فى متوسط نسبة الذكاء قدرها ٦ر٦ . ولكن تفسير هذه الزيادة قد يرجع الى تاثير الحضانة فى نمو الذكاء فعلا وقد يرجع فقط الى تدريب الطفل على اتقان الاجابة على الاسئلة وفهمها وفهم التدريب على مواقف الاختبارات .



ابتسامة عذبة

وهناك دراسات اخرى اوضحت ان البيئة المثبطة عقليا للطفل تؤدى الى انخفاض نسبة ذكائه . فحرمان الطفل من الاتصال الطبيعى بالام الطبيعية او الام البديلة يخفض معدلات الذكاء . ومن الآثار الايجابية على نمو ذكاء الطفل مقدار الساعات التى يقضيها معه الأب وكذلك فرص اللعب البنائى امام الطفل ، وكذلك وفرة عدد من زملاء اللعب فى المنزل ، وعدد الساعات التى يقضيها الأب فى القراءة مع ابنه .

وفى ضوء هذا الاستعراض نقول ان العوامل الوراثية تضع الاطار العام او الحدود العامة التى ينمو خلالها الذكاء ، ولا يمكن تخطى هذه الحدود ، ولكن هذا لا يمنع من ان العوامل البيئية تؤثر ولو تاثيرا محدودا على نمو الذكاء . وتؤثر بالقطع فى كيفية استخدام الذكاء وتحدد الوجهة التى يتخذها ذكاء الفرد . فاما ان يتجه نحو الخلق والابداع والابتكار فى العلم والفن والتحصيل والأعمال الايجابية النافعة ، وإما أن يتجه نحو السرقة والجريمة والانحراف وخاصة تلك الجرائم التى تحتاج الى قدر كبير من الذكاء كالاختلاس والتزوير والتزييف والنصب والاحتيال . ومعنى ذلك ان الوراثة تعطى البذور الخام ، والتربة الصالحة هى التى تحدد إما ان ينمو الذكاء ويزدهر او يطمس ويندثر ، اما ان يرتقى بصاحبه الى مراتب الخير ، واما ان يتجه الى الشر والجريمة .

ومعنى ذلك ان الانسان ، بحق ، هو ابن البيئة والوراثة معا ، ونتيجة محصلة للتفاعل بين العوامل البيئية والعوامل الوراثية . ذلك لأن البيئة تؤثر فى الوراثة وتتاثر بها . ولكننا مهما كان أثر العوامل البيئية صغيرا فاننا لابد وان نتمسك به ونحرص عليه ونسعى لتحسينه وتطويره ، لأنه العامل الوحيد الذى نستطيع ان نعدله ونطوره اما الوراثة فان تغييرها امر صعب نسبيا وان كان هناك الآن علم تحسين الوراثة .

ترى كم نحن فى حاجة إلى رعاية أطفال امتنا العربية واحاطة ذكائهم بالعناية والرعاية وحسن التوجيه وتوفير الاغذية والتحصينات الطبية والكتب والمجلات والمدارس والرحلات وغير ذلك من الامور التى تنمى ذكاؤهم وتوسع افاقهم ؟ .

د . عبد الرحمن العيسوى
استاذ علم النفس بجامعة الاسكندرية

البلبل ولغته القديمة

شعر: د. كمال نشأت

يجيء عبر هذه الآفاقْ
وعُشه جناحُهُ
وقوته الاشواقْ

صوت : يابلبلى الجوّال هل سعدت بالتجوالْ . ؟
فكم حننْتَ لهفةً لعشكَ المحَالْ

صوت : نسمع صوتَ الريحْ
تُعْوِلُ فى التلالْ
والبلبلُ الجريحْ
جناحُه تَرْحَالْ

صوت : كلهفةِ اليمامِ فى تشرينْ
يابلبلى المسكينْ
كم ليلة قضيتْ
تلتقطُ النجومَ بالمنقارْ
فيطلع النهارْ
ويضحكُ النسرينْ
غنَّيتَ فوق نينوى .. وبابلٍ .. وطيبَةْ
وطِرْتَ فوق هذه المدائنِ العجيبَةْ
وعدتَ بالسؤالْ
محترقَ الاجابهْ
وكلُّ ما يقالْ
تاكلُهُ الغَرَابَهْ

صوت : الريحُ فى مدارها تخفتُ .. بل تنامْ
وانت يا مجرَّحَ الاحساسِ لا تنامْ
فكن لنا السلامْ
وكن .. لك السلامْ

البلبل : حاولتُ أن اكونْ
واحسرتا .. اكونْ
نسيت كلَّ قدرتى
ولغتي القديمَهْ
وكلما حاولتْ
يقتلنى الغناءْ
فارتمى مكبَّلَ اليدينْ
وتنزف الدماءْ
كانني الحسيْنْ

صوت : جَبَانَةٌ أوهامُكَ المطروحهْ
فكن كما خُلِقْتْ
النارَ والهشيمَ والمقدرةَ الطموحَهْ
وعُدْ الى لغاتِكَ القديمَهْ
فصمتُكَ الحَزْيَانْ
جريمةُ الجريمهْ





الحياة والموت في بحر ملوّن

الحلقة السادسة والأخيرة

سجينة المرجان في انتظار الزيارة القادمة

بقلم: صنع الله إبراهيم

سجينة المرجان التى تنطلق من جلود لوامسها صواريخ فتاكة تلتف حول احدى الكائنات الدقيقة .

كان ثمة شيء غريب فى أمر الكتلة المستديرة فى حجم ثمرة بطيخ صغيرة الحجم ، التى استقرت بين صخور الشعاب تحيط بها المياه من اغلب الجوانب .

فعلى سطحها انتشرت شبكة من الاخاديد المتعرجة كالمتاهات ، او التلافيف التى يتشكل منها المخ الحيوانى ، استقرت داخلها سلسلة متصلة الحلقات من البوليبات المرجانية الصغيرة .

وبعكس اغلب البوليبات المرجانية التى تفرز جيرا صخريا يتشكل على هيئة كؤوس مستقلة تعيش داخلها ، اتصلت البوليبات المخية ببعضها البعض فى كيان واحد مترابط ، يكسوه النسيج الرقيق الملون للحيوان المرجانى .

ومن كل بوليب برزت ، لوامس مغطاة بخلايا لاسعة لا ترى ، تموجت فى مياه البحر فى حركة لاهية تخفى شهوة لا ترتوى للافتراس .

فبين الحين والآخر ، تنطلق من جلود اللوامس تلك الصواريخ الفتاكة المعهودة ، لتلتف حول احدى الكائنات الدقيقة العائمة ، او تخترق اجسادها فتخدرها ، ثم تجذبها الى الأفواه الدقيقة التى اصطفت على مسافات متباعدة فى قيعان الأخاديد ، وقد انفرجت لتبتلع ما يقدم اليها فى شراهة .

لكن هذه اللوامس لم تحرك ساكنا عندما حملت اليها المياه أنثى صغيرة للغاية من اناث الحيوان القشرى المشهور باسم السرطان .

لقطتان .. الأولى لقطة مكبرة لجانب من سطح كتلة المرجان المخي . تبدو فيها البوليبات وقد اندمجت في تكوين على نسق شبكي .. واللقطة الثانية لنوع آخر غريب من سراطين البحر الأحمر . لا تكاد تفرق بينه وبين كتل الطحالب

سجينة المرجان

وكأنما كانت السرطانة الصغيرة على ثقة من مسلك سكان الكتلة المرجانية ، فقد تقدمت فى جراة من سطحها ، ومضت تنتقل بين البوليبات ، وتعبر الأخاديد ، دون ان تعبا بما تحمله اللوامس من صواريخ على اهبة الاطلاق .

والواقع انها لم تخطىء التقدير ، فقد امتنعت الخلايا اللاسعة للمستعمرة كلها عن اطلاق قذائفها الفتاكة .

عثرت السرطانة على بقعة خالية من اللحم المرجانى الحى ، فدقت الجـــــدار الصخرى بكلابيها القويين ، وتساقطت على الفور بضع ذرات من الحجر الجيرى فى الماء ولم ينطلق صاروخ واحد .

واصلت السرطانة العمل فانتزعت الذرات المجاورة فى خط دائرى ، صانعة حفرة دقيقة للغاية اتسع محيطها بأطراد حتى أصبح مساويا لمحيط جسدها . عندئذ تحولت الى مركز الحفرة وجعلت تحفر الى الداخل .

شعرت بالتعب بعد قليل فكفت عن العمل وابتعدت عن الحفرة التى لم تتعد ـ حتى الآن ـ كشطا بسيطا فى سطح الجدار . دارت حول الحفرة عدة مرات تـدرسها بدقة وهى تزيل ما يعترضها من ذرات ناتئة غفلت عنها اثناء الحفر . ثم عادت اليها فجمعت جسدها كله داخل اطارها ، والتصقت بالقاع فى شدة ، منكمشة على نفسها .

واصبحت بذلك ، لأول مرة ، فى مأمن ـ الى درجة ليست بعد بالكافية ـ من عشرات الأخطار التى تهدد جنسها ونوعها .

عضها الجوع بعد فترة من الوقت ، فتحركت كارهة وهامت على وجهها فوق سطح المستعمرة والتكوينات الصـــخرية المجاورة ، تلتقط ما يعترضها من كائنات اصغر منها ، من ديدان ويرقات وبيض اسماك وقواقع وصغار جمبريات وبراغيث بحرية وطحالب . وعندما ملأت بطنها ، عادت الى حفرتها ، فاستانفت العمل .

كل هذا دون أن تطلق اللوامس صاروخا واحدا من صواريخها على المتطفلة الجريئة

الحياة المشتركة

مرت الأيام والسرطانة تعمل فى حماس ، تدق الجدار وتنتزع صخوره الدقيقـــــة ، فتلقى بها إلى الماء ، وتدق الجدار من جديد ، متقدمة بدأب من اعماق الكتلة .

وامكنها اخيرا ان تختفى تماما ، داخل الحفرة ، عن اعدائها الكثيرين الذين يجوبون الماء ليلا ونهارا ، فتنفست الصعداء لأول مرة فى حياتها .

لكنها لم تكف عن العمل ، وواصلت الحفر بحماس متزايد ، كأنها فى عجلة من أمرها .

وخلال ذلك بقت البوليبات على تجاهلها للسرطانة المتطفلة ، وحرصت فى الوقت نفسه على ان تجنبها نيران اسلحتها الفتاكة التى كانت تنطلق اغلب الوقت فى كل اتجاه .

وبدا كان المستعمرة الصـــغيرة على استعداد لقبول الحياة المشتركة مع السرطانة المتطفلة ، التى اوحت كل تصرفاتها بانها تستعد لاقامة طويلة الأمد .

والواقع ان البحر يعرف نماذج عديدة من الحياة المشتركة بين كائنات مختلفة من انواع متباينة ، لا يربط بينها شىء فى الظاهر ، بينما هى تتبادل اكثر المصالح حيوية . فالبعض يهيىء المأوى ويقدم الثانى الغذاء او الحماية ، كما هو الأمــــر بين الشقائق البحرية وسمكة المهرج ، وبين المرجان اللين والطحالب السمراء ، او يتولى الأول التنظيف ويقدم الثانى الطعام كما يحدث بين اسماك القرش ومرافقيها ؛ ويتجنب كل من الطرفين الحاق الأذى بالطرف الآخر .

بل إن مجموعة كاملة من الحيوانات المختلفة كانت تشترك فى جحر صغير على مقربة ، الى جوار دغل من مرجان داكن الحمرة ، ذى فروع كبيرة لاسعة ، يعرف بين سكان الشواطىء العربية بالمرجان الأسود ، بسبب اللون الذى يتبدى عليه عندما ينتزع من الماء .

فعلى باب الجحر ، اعتمدت سمكة مستطيلة من نوع الجوبى ، لا يتجاوز سمكها أصبع انسان ، على الصخر ، وقد ارهفت حواسها لكل ما يجرى حولها . ومن فتحته برزت لوامس نوع من الجمبرى يسمى بالمطقطق بسبب الأصوات التى يحدثها ، عكف على توسيع الجحر وتطهيره اولا باول من الرمال التى تحملها إليه المياه .

وسرعان ما يظهر الجمبرى نفسه ، الذى يربو طوله على خمسة سنتيمترات ، دافعا امامه كوما من الرمال ، فيتطلع حوله بعينيه الضعيفتين ، فاذا ما رأى الجوبى اطمأن والقى بالكوم فى الماء ثم ضم فكى احدى كلابيه محدثا فرقعة مدوية ، كأنما ينذر من تسول له نفسه الاقتراب ، ويعود ادراجه داخل الجحر .

اما اذا لم تكن الجوبى فى موقعها الثابت امام الجحر ، اوحى ذلك بالخطر ، فيتراجع الجمبرى على الفور ، بينما تكون الجوبى قابعة فى مخبأ قريب حتى ينجلى الأمر .

وبالاضافة الى أنثى الجمبرى يضم الجحر زوجا من نوع آخر من الجوبى ، اكثر طولا ونحافة وشفافية من السمكة الأولى ، لا يظهر خارجه الا لماما .

كما يعيش به سرطان ، وعدة ديدان من عائلتين مختلفتين .

ويمكن تصور مجموعة المنافع المتبادلة التى تربط بين افراد هذه المجموعة من السكان المشتركين فى المأوى . فالسرطان يحفر والجمبرى ينقل نتائج الحفر الى الخارج ، والجوبى تتولى الحراسة ، والدود ينظف ، وهناك من يجلب الطعام ، الخ .



ما يبدو لك مثل الوردة ليس إلا شريطا ملفوفا يضم عدة آلاف من بيض إحدى القواقع المعروفة بالحلازين البحرية .

الرابطة القوية

لكن الأمر ليس دائما بهذه البساطة .

فكثيرا ما تكون العلاقات المشتركة على درجة من التعقيد ، لا تكشف عن طبيعة المصالح المتبادلة التى تبررها .

مثلما هو الشأن بين بوليبات المرجان المخى والسرطانة الصغيرة المتطفلة .

فمن الجلى ان الأولى تقدم للثانية مأوى امنا تحرسه ترسانة من السهام المسممة . فماذا تقدم السرطانة مقابل ذلك ؟ وما الذى تستفيده البوليبات ويجعلها تغض الطرف عن تحركات السرطانة وعدوانها على جدران المستعمرة ؟



لقطة مكبرة لرأس السرطان الناسك ، التى يمتد منها قضيبان بارزان يحملان العينين فى نهايتيهما وكأنهما كرتان زجاجيتان.

إنها بالطبع لا تقدم الغذاء اليومى التى تجمعه البوليبات بسهولة من المياه المحيطة بها ، دون أن تغادر اماكنها .

وهى لا تقدم لها خدمات اخرى ظاهرة مثل التنظيف او الحراسة . ويوحى مسلكها كله بانها لا تكاد تشعر بوجود البوليبات ، ولا تعبأ بها .

فهى تقضى وقتها فى الحفر داخل الكتلة المرجانية ، ثم تغادر الجحر لتتغذى او تتريض ، فاذا ما شعرت بالخطر عادت اليه مسرعة .

وفيما عدا حرص البوليبات على الا تتعرض السرطانة لسهام لوامسها ، تبدو غارقة فى تيار حياتها الخاصة ، كأنما تشارك الحيوان القشرى الصغير مشاعر التجاهل واللامبالاة .

فبالنهار تطوى لوامسها ، وتنكمش وتنقبض . وبالليل تتمدد وتنبسط ، وتنشر لوامسها فى الماء ، لتكبل وتلسع وتصيد . وعندئذ تنفرج الأفواه لتبتلع الفرائس ، ثم تتقلص الأجساد او البطون لتهضم ، وتتقلص مرة ثانية لتضغط الطعام المهضوم الى اسفل ، كى ينساب الى بقية البوليبات عبر القناة الهضمية المشتركة . وتتقلص مرة ثالثة لتضغط المخلفات الى اعلى ، لتخرج من نفس الاماكن التى جاءت منها ، اى من افواه البوليبات .

وهى نشاطات لا تمس السرطانة من قريب او بعيد .

على أن رابطة قوية للغاية وصلت بين الأثنين فى علاقة متينة سداها وحدة المأوى ولحمتها وحدة الهدف .

فالكتلة الصخرية التى تحتمى السرطانة باعماقها ، تقوم ايضا بمثابة الدرع للبوليبات الصغيرة الرقيقة . وكلما ازدادت جدران الأخاديد ، ارتفاعا ، وتضاعف حجم الكتلة نفسها وثقلها ، امكن للبوليبات ان تتقى فعل الأمواج والعواصف والحيوانات الحافرة كالاصداف ، او تلك التى تسعى خلف النسيج الرقيق الملون ، المغلف للمستعمرة ، مثل بعض الأسماك والنجوم البحرية .

من اجل هذا تحول خلايا البوليبات املاح الكالسيوم التى تمتصها من الماء إلى مادة جيرية ، تفرزها الجلود الخارجية لأجسامها فتتراكم فى قيعان الأخاديد ، مضيفة طبقات جديدة الى الكتلة الصخرية للمستعمرة .

ويظهر اثر هذه الاضافة على جدران الغرفة السرطانية والممر المؤدى اليها ، فتدافع الساكنة الصغيرة عن المساحة التى تسمح لها بالحركة ، وتنتزع من الجدار طبقة رقيقة بدلا من التى أضيفت إليه .

وفى أثناء ذلك لا يتوقف جسد السرطانة عن النمو . فاذا ما شعرت بضيق الجدران انتزعت طبقة اخرى منها .

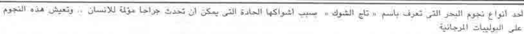
وهذا ما يفسر استمرارها فى دق الجدران ونبشها بعد ان اكتمل حفر الجحر .

وتشعر البوليبات بهذا الدق والنبش ، كما يشعر الانسان باى طرق على جدران مسكنه من الجيران .

والانسان ينفعل بصورة خاصة اذا ما وقع الطرق اثناء الليل أو وقت القيلولة ، بسبب ما يتعرض له من ازعاج . ويؤدى هذا الانفعال إلى افراز اضافى من مادة الادرينالين فى جسمه .

ويحدث شىء مشابه للبوليبات عندما تدق السرطانة الجدران وتنبشها . فهى تنفعل بشدة ، اما نتيجة الشعور بالخطر ، او لأن نشاط السرطانة يحدث تاثيرا مهيجا على الأغشية الخارجية لأجساد البوليبات

وايا كان السبب ، فان نشاط السرطانة



احد انواع نجوم البحر التى تعرف باسم « تاج الشوك » بسبب اشواكها الحادة التى يمكن ان تحدث جراحا مؤلمة للانسان .. وتعيش هذه النجوم على البوليبات المرجانية



سجينة المرجان

يؤدي الى مضاعفة الافرازات الجيرية لجلود البوليبات المرجانية ، فترتفع جدران الاخاديد بسرعة ، ويزداد حجم الكتلة الصخرية للمستعمرة .

وليس من الصعب ان نتتبع تاريخ العلاقة بين النوعين الذى يمتد عبر ملايين السنين .

ولابد لذلك من ان نفترض يوما فى قديم الزمان ، هبت فيه عاصفة على البحر ، وحملت الامواج الثائرة سرطانة من النوع الذى يمتهن الحفر فى الصخور إلى سطح مستعمرة من المرجان المخى .

وعلينا ايضا ان نفترض ان ذلك تم بالنهار ، عندما تنكمش البوليبات وتطوى لوامسها . كما ان العاصفة ضاعفت من انكماش البوليبات وجعلتها تعزف عن مهاجمة الزائرة الغريبة وافتراسها .

هكذا وجدت السرطانة الفرصة لأن تمارس نشاطها الغريزى فى الحفر . وعندما انجابت العاصفة وحل الظلام كانت قد

إلى أعلى : نوع من خيار البحر يصل طوله إلى ربع المتر ، ويستخدم لوامسه الطويلة في إمساك الكائنات التي يعيش عليها الحيوان .. وإلى أسفل : سرطان حمل على ظهره شقيقين بحريين ليحتمي بخلاياهما اللاسعة . أما هما فيتغذيان على ما يجمعه السرطان من كائنات دقيقة

سجينة المرجان

تمكنت من اعداد حفرة سطحية ، فاصبحت بمنجاة من سهام البوليبات .

وسرعان ما اكتشفت البوليبات انها تستريح للأثر الذي يحدثه وجود السرطانة ونبشها في الجدران ، كما تبينت الاخيرة ما يتحقق لها من امان في ظل الصواريخ البوليبية .

ولاشك ان هذه التجربة تكررت بعد ذلك بين الأفراد المختلفة للحيوانين ، وفي ظروف متباينة .

الا أن الامر تطلب عدة الاف من السنين ، واعدادا هائلة من ضحايا السراطين الحافرة قبل ان تتحول هذه الاكتشافات الى شيء كالغريزة ، تتوارثه الاجيال المتعاقبة للحيوانين ، يدفع السرطانة الحافرة الى الالتجاء في اطمئنان الى مستعمرات المرجان المخي ، ويجعل البوليبات تتقبلها في ترحاب .

وخلال ذلك تبينت البوليبات العـــلاقة الوثيقة بين الدغدغة اللطيفة التي تقدمها اليها السرطانة ، وزيادة افرازاتها من الجير كمـــا اكتشفت السرطانة الدور الحاسم الذي يمكن ان تلعبه المستعمرة في تحقيق اسمى اهداف حياتها ، الا وهو المحافظة على النوع .

استمرار النوع

ومن الواضح ان هدف المحافظة على النوع لم يغب عن سرطانتنا منذ اللحظة التي استقرت فيها على سطح المستعمرة المرجانية .

واية ذلك انها كانت تعمل اغلب الوقت في توسيع الجحر وتسوية جدرانه ، وتحرص على ان تبقى فتحته على شكلها الدائري ، فتزيل بكلابيها ما يتراكم حولها من شوائب او ذرات جيرية ، دون ان تحفل بتوسيع الفتحة ذاتها لتتناسب مع نمو جسدها .

وبمرور الأيام اصبحت تمر من الفتحة ـ في دخولها وخروجها ـ بصعوبة متزايدة . لكنها لم تفكر ابدا في ازالة بعض من جدارها .

وذات يوم عادت من احدى جولات التغذية ببطن ممتلئة ، فعجزت عن دخول الجحر ، ولم تتمكن من اقتحام فتحته الا بعد جهد جهيد .

وعندما أرادت الخروج في الصباح التالي لم تتمكن .

لم يبد عليها انها انزعجت لهذا التطور الذي جعل منها سجينة الى الأبد ، فقد كرت عائدة إلى أعماق الجحر حيث استقرت في هدوء .

والواقع ان الانزعاج لم يكن له مبرر ، طالما انها كانت تسعى ـ منذ البداية ـ لهذه الغـــاية .

ففي هذه اللحظة أصبحت لأول مرة ـ انثى كاملة النمو ، قادرة على القيام بالدور الغريزي الذي يتوقف عليه استمرار النوع .

الاشياء تتغير

تغيرت اشياء كثيرة في حياة السرطانة السجينة .

واول هذه الاشياء يتصل بطعامها ، فلم يعد بوسعها ان تخرج للبحث عنه . واصبح عليها ان تكتفي بما تحمله تيارات الماء إلى داخل الجحر من كائنات دقيقة فضلا عن الاكسجين المذاب ، وهي نفس التيارات التي تأخذ معها ما يتخلف عن السجينة من نتائج لعملية الهضم .

وتغير ايضا شكل جسدها ، فقد تركز نموه على منطقة البطن (كي تتسع لعدة الاف من البيض) ، واخذت سيقانها تذوي ، بعد ان فقدت وظيفتها .

وسرعان ما ضاقت عليها القشرة الخارجية التي تكسو جسدها ، والمكونة من مادة تشبه مادة اظافر الانسان . واثار ذلك ضيقها ، كما ادى الى توترها . وبدأت حرارة جسدها ترتفع ، فسرى الجفاف إلى القشرة حتى اوشكت أن تنفصل عن جسدها . وبدت ذات صباح وكأن الجنون قد اصابها .

فقد جعلت تهز أرجلها بعنف ، وتحك كل واحدة منها بالاخرى ، ثم تحرك بطنها في حركات فجائية ، وتثني جسدها عند منطقة اتصال البطن بالصدر والرأس .

وادت هذه الحركات إلى حدوث شق عرضي بالقشرة في المكان الذي يفصل البطن عن الجزء الأمامي من الجسم المكون من صدر ورأس مندمجين . ومن الشق الناشيء خرجت السرطانة من القشرة ، كما تخرج يد بشرية من قفاز متيبس .

تكومت القشرة المخلوعة إلى جوار رجلها التي لم تتحرر بعد من لباسها وحركت السرطانة بطنها من جديد فظهر شق متسع على قشرة كل ساق .

اقبلت تحرر سيقانها ، واحدة بعد الاخرى . وبينما هي تجذب الساق الثالثة ، فوجئت بها تنكسر ، وتتدلى من جسدها .

كفت عن الحركة ، وجعلت تتامل الساق المكسورة وتتحسسها ببقية سيقانها . وحزمت أمرها اخيرا ، فضغطت عضلة خاصة قرب اتصال البطن بالساق ، وادى الضغط الى ثني الساق بقوة وقصفها . وبحركة خفيفة من جسدها أمكنها أن تفصل الساق نهائيا ، فالقت بها في الماء .

ظهرت نقطة من الدماء في موضع البتر ، لكن السرطانة لم تعبأ بالأمر . فلا تلبث الدماء ان تتخثر وتجف ، ثم ينغلق مكان الجرح بغشاء محكم ، وتنمو ساق جديدة .

وجهت السرطانة اهتمامها إلى استكمال نزع القشرة من بقية السيقان . وانتهت من ذلك بعد قليل ، فوقفت عارية تماما ، بينما جرفت المياه القشرة المخلوعة إلى الخارج .

وكأنما تمثل هذه القشرة اشارة متفقا عليها في عالم السراطين ، فسرعـــان ما تجمعت في المياه ، وفوق الصخور ، المحيطة بالكتلة المرجانية ، اعداد متزايدة من ذكور السراطين التي تنتمي لنفس النوع الحافر ، وان كانت اصغر في الحجم بكثير من الانثى السجينة .

اقتربت الذكور في حذر من الكتلة المرجانية ، وعندما لم تتعرض لاذى من البوليبات النشطة ، تشجعت واتجهت صوب الجحر .

كانت احجامها الصغيرة تسمح لها بالمرور في سهولة من فتحة الجحر . لكنها ظلت تحوم حولها دون أن يفكر أحد في اقتحامها ، كأنما تنتظر اشارة اخرى .

وفي الداخل ، كانت الانثى ذات البطن المنتفخة بالبيض تقبع عارية في انتظار نمو القشرة الجديدة .

ولاشك انها شعرت بوجود الذكور في الخارج ، وان ذلك اثار انفعالها ، وادى إلى زيادة افراز الهرمونات المسئولة عن النمو ، وبالتالي ترسيب كميات اكبر من الاملاح الجيرية تساعد على تصلب القشرة المغلفة لجسدها .

وظهرت القشرة الجديدة بعد يومين وقد ازدانت بزركشة خاصة براقة ، اشارة الى ان صاحبتها قد نضجت وتاهبت للتزاوج .

وهي الاشارة التي تلقتها الذكور المنتظرة في الخارج بطريقة ما ، فتدافعت جميعا على

باب الجحر ، وكل منها يحاول ان يسبق الآخر .

ولم يكن ثمة مفر من أن تقوم بينها معركة عنيفة بالكلابات ، استمرت عدة ساعات وانتهت بانتصار واحد منها .

واقتحم المنتصر فتحة الجحر فى زهو ، وتقدم بسرعة الى حيث وقفت السرطانة تنتظر .. وتم اللقاء ..

ولم يلبث البيض الملقح فى جسد الأنثى أن انزلق خارجه ، وانحدر على أرجلها المتصلة بالبيض .

الحاجة للطعـــام

فى هذه الأثناء ، كانت حمى المحافظة على النوع قد أصابت البوليبات المرجانية بالمثل ، فانقسمت الخلايا التناسلية الأولى للبوليبات الذكرية انقسامات عديدة متتابعة تمخضت عن حويصلات تحوى الغـــدد المنوية .

وتوالت الانقسامات داخل كل حويصلة ، فكبر حجمها وبرزت من الجدار الداخلى للبوليب وتدلت فى التجويف الهضمى او المعدة ، ثم سقطت داخله ، وظلت الحويصلات طافية داخل البوليبات إلى ان تم نضوجها فانفجرت مطلقة الحيوانات المنوية ، التى تدافعت نحو فم البوليب ومنه إلى الخارج .

وحدث نفس الشىء فى البوليبات . الا ان البويضات امتصت ، اثناء تكونها فى الجدار كميات كبيرة من الغذاء من الخلايا المحيطة بهـــا ، فكبر حجمهـــا كثيرا . وعنـــدما سقطت فى بطن البوليب ، تجلت داخل كل منها نواة كبيرة يربو قطرها على نصف ملليمتر .

وطفت البويضات المحملة بالملح فى التجويف البطنى ، صاعدة إلى اعلى ، حيث يوجد فم البوليب . لكن فتحة الفم كانت اضيق من ان تتسع لأجسامها الكبيرة ، فسقطت فى القاع .

وتكرر صعود البويضات وهبوطها ، مما أدى إلى استطالة أجسادها ، فاتسعت لها فتحة الفم الدقيقة .

خرجت البويضات من فم البوليب فرادى تفصل بين الواحدة والأخرى عدة دقائق ، وتلقفتها اللوامس على الفور ، فاحتوت كل واحدة لمدة دقيقة او اكثر ، ضغطت عليها خلالها ضغطا خفيفا ، ثم اخلت سبيلها فى الماء ، وقد استعادت شكلها الكروى الذى سيمكنها من استقبال الحيوانات المنوية الذكرية .

لكن مصير البويضات يتحدد فى الواقع طبقا للقوانين السائدة فى عالم البحر . فالى جانب دورها الرئيسى فى الابقاء على النوع فانها تقوم بدور اخر لا يقل اهمية ، اذ تتصدر قائمة الطعام التى تعيش عليها كائنات عديدة مثل السراطين .

وفى هذه اللحظة بالذات ، كانت سجينة المرجان فى اشد الحاجة إلى هذا اللون من الطعام .

فككل الحوامل من جميع الكائنات ، تفتحت شهيتها للطعام بعد اتمام التلقيح والاخصاب ، ولم تعد الموارد العادية التى تحملها إليها المياه تكفى لتغذيتها وتغذية البيض النامى على ارجلها .

وحملت اليها المياه ـ فى الوقت المناسب ـ أعدادا غفيرة من بيض المرجان .

اليوم الموعود

استمر الحمل شهرا كاملا .

وخلاله كانت السرطانة تقوم يوميا بحركات رياضية معينة ، تتارجح فيها إلى الامام ، والخلف ، حتى تساعد على تهوية البيض المدلى من ارجلها فى عناقيد كعناقيد من عنب دقيق الحجم .

واخذ لون كتلة البيض يتحول إلى اللون الرمادى ، ليعلن عن استعداد الصغار للحياة .

وحل اليوم الموعود اخيرا ، اذ انفجرت فواقع البيض ، وخرجت منها مئات اليرقات فى احجام ضئيلة للغاية تسمح لها بالمرور من ثقب الابرة ، واشكال اقرب إلى العفاريت ، لاتمت بوجه شبه لاى من ابويها غير انها لا تلبث ان تاخذ شكلها بعد ان تستبدل قشرتها الخارجية عدة مرات ، فيما يعرف بعملية الانسلاخ .

هذا اذا ما بقيت على قيد الحياة .

فقد حملتها المياه الى الخارج ، حيث كانت فى انتظارها مختلف الاحياء الجائعة وعلى راسها البوليبات المرجانية ذاتها ، التى احتضنت ورعت خروجها الى الحياة .

اما الام فقد تابعت صغارها حتى اختفى اخرهم ، واصبحت بمفردها من جديد ، وعندئذ تحولت الى جدارن محبسها الأبدى تسويها وتزيل ما تراكم عليها من جير ، ومدغدغة بذلك قواعد البوليبات وجلودها ، محركة حلقات السلسلة الخالدة من الأفعال وردودها ، منتظرة فى صبر وسكينة موعد الانسلاخ التالى ، والزيارة القادمة للذكور !

صنع الله ابراهيم



لقطة نادرة لمستعمرة من نوع اخر من المراجين المخية

عبد القادر درويش
٥٠ عامًا مع الشعر ولا يزال مجهولا !

بقلم : يوسف محمد سليمان



عبد القادر درويش

إذا خطر ببالك يوما أن تزور «سورية» .. ربما راق لك أن تعرج على منطقة الساحل السورى فى زيارة لبلدة « الدريكيش » التى تبعد ٣٦ كليومترا عن شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، والتى تشتهر بمياهها المعدنية . إذا أتيح لك زيارة « الدريكيش » ، لا تنس أن تمر فى طريقك بمبنى « محكمة الصلح » . أمام باب المبنى ، سوف يلفت نظرك شيخ محدودب ظهره قليلا .. يجلس إلى طاولة صغيرة قديمة فوقها أوراق وأقلام .. وعن يمينه ويساره أناس ينتظرون نافدى الصبر :

ـ بسرعة شوية يا عم عبد القادر ..

والعم عبد القادر مستغرق فى كتابه « العرضحالات » .. فاذا انتهى من واحد ، اطرق على « العرضحال » الآخر . وهكذا .. إلى أن يحصل كل صاحب حاجة على « ورقته » .. ثم يمضون دون أن يعرفوا أن الذى كتب لهم شكاواهم ، وصاغها ، ووضع فيها من إحساسه ، وعبر عن مضمونها بما يقنع « القاضى » أو « المسئول » هو : الشاعر الكبير المجهول عبد القادر درويش .

هذا الشاعر الذى يكتب شكاوى الناس .. دون أن يفصح هو عن شكواه لأحد .. عرفته منذ طفولتى . تتلمذت على يديه فى دراسة قواعد النحو والصرف . وجاس بى في مجاهل التراث . ولا زلت انهل من ينابيعه المتدفقة فى اللغة العربية وقواعدها وتراثها وبقية الروافد الأخرى . فهو يتقن اللغة الفرنسية قراءة وكتابة ، بل هو ينظم بها بعض قصائده .

ذات يوم سالته : لماذا لا يعرفك القراء شاعرا ؟

قال : اننى لم اطرق أبواب الصحف بقصائدى . اننى أكتفى بالكتابة . واستطرد : انا عاشق للوطن على طريقتى الخاصة . لا أريد جزاء ولا شكورا . وأحب ان أعطى حتى أموت .

قلت : معنى ذلك انك غير عاتب على وسائل النشر .

قال : إطلاقا . فلم يسبق لى أن أرسلت قصيدة من قصائدى ، أو مسرحية من مسرحياتى الشعرية إلى أية وسيلة من وسائل النشر داخل سورية أو خارجها .

قلت : انت تكتب الشعر منذ نصف قرن . وقد عاصرت مراحل النضال ضد الاستعمار الفرنسى ، وحملت السلاح دفاعا عن الوطن ، وعاصرت مشكلة فلسطين ونكبتها عام ١٩٤٨ ، والعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ونكسة حزيران ٦٧ ، وحرب اكتوبر ٧٣ . إننى أعرف ـ بحكم قربى منك ـ انك بكيت آلام الأمة العربية وغنيت أفراحها .. فكيف تحجب كل تجاربك الشعرية عن الناس ؟!

قال دون ان يبدو عليه انه منزعج من الكلمات الأخيرة فى السؤال : ما يستفزنى حقا هو الكتابة .. اما النشر فما اهتممت به قط !

● ●

دار هذا الحديث بينى وبينه فى بيته المسقوف بخشب البلوط والسنديان . المبنى بالحجارة والطين . الموشك فى كل لحظة أن يقع على رءوس ساكنيه ، أو هكذا يبدو .

إن الرجل فقير .. فقير . ياكل لقمته بعرق جبينه . لكنه ثرى بتعففه وحبه لوطنه وزهده فى المال والشهرة . ولد الشاعر المجهول فى عام ١٩١٧ . وبدأ كتابة الشعر وعمره ١٦ سنة . حين قلت له : ساكتب عنك فى مجلة « الدوحة » فيماذا تقدم لقرائها نفسك ؟

أجابنى ببيت من الشعر قاله عام ١٩٦٠ :

نسبى دمى ، والضاد تزخر فى دمى
ومن الخليج إلى المحيط حدودى

● ●

لا أريد أن يستغرقنى الحديث عن الشاعر ، بعيدا عن شعره . فقصائده هى ذاته الشاعرة . ولابد أن القارىء مشوق إلى أن يتعرف على نوع هذا الشعر الذى كتبه صاحبه فقط ، دون أن يعنى بنشره . ولست هنا اتحرى كل ما كتب الشاعر . فان دواوينه المخطوطه كثيرة . وكذلك المسرحيات التى كتبها شعرا . سوف أختار نماذج تدلنا عليه ، وفى الحدود التى تتحملها إشارة لا دراسة .

فرحة العيد

فى احتفالات الجلاء عام ١٩٥٧ كتب

الشاعر قصيدة مؤلفة من مائة وخمسين بيتا هاجم فيها الاستعمار ، وندد بالعدوان الثلاثي .. من هذه القصيدة نختار هذه الأبيات :

فرحة العيد لا تحل المشاكل
والهتافات لا تؤدى لطائل
موطنى لا يرى إذا ما هتفنا
بالصدى بعث امة أو فضائل
مغرم يعشق الفداء خلودا
والضحايا مهشومة بالزوائل
كلما جندلت بنيه العوادى
راح يفتر عن تباشير عاقل
بالشابيب من دماء أطلت
يغسل العار عن تراث الأوائل

ولا ينسى الشاعر « الشهداء » مشاعل النور :

ينهل المجد من جراح شهيد
خر يروى مقدس الترب وابل
يا بقايا دماء حر أبي
نوری الدرب للشباب المناضل
يقبس الشعب بالسناء سبيلا
للبقاء الحرون عبر النوازل
قدرة تهزم الغزاة وعزم
لو أصاب الحديد لانجاب سائل

والشاعر يصف الاستعمار ، وحالة الشعوب فى ظروف الاستعمار . فالمستعمرون لا يفهمون غير لغة الرصاص . لكن الشعوب لا تستسلم ، بل هي تطلب الموت لتحصل على الحياة :

إن يشا بالسياط أفرى جلودا
أو يشا بالرصاص افنى القبائل
فانبرى الشعب والأناة توارث
ثائرا حن للردى كي يغازل
يقذف الظلم بالشباب أسودا
يا فدت مهجتي الشباب المناضل
نحن من صفوة الجدود اقتبسنا
عزة النفس من قصى ووائل
مصر تابى القيود والغرب الى
لن تظل القناة سلك الحبائل
هدد النيل لن أسيل اذا ما
طاطات مصر راسها للمساحل
وأبو الهول واجم يرقب الامر
ويصغى جيدا لمغزى الرسائل
والقناة الحرون معلاق حرب
رابط الجاش للمغيرين هائل
ثغرها الضاحك الجميل المفدى
فاغر فاه لابتلاع الجحافل

ونكتفى بهذا القدر من تلك القصيدة الطويلة التى يتحدث فيها الشاعر عن حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وكيف أنها حرب عربية ، إذ أن شئون مصر لا تهم مصر وحدها .. إنها قلب الأمة العربية . واستشهاد «جول جمال» السورى ، ليس إلا تعبيرا عن وحدة الدم العربى .

إن الشاعر عبد القادر درويش شديد الحماس والتعلق بعروبته . وإن أحلامه التى تراوده دائما ، هى أن يرى الأمة العربية قد انتصرت على أعدائها . إنه ـ بالرغم من هول النكسات والانشقاقات العربية ـ مؤمن بان الشعب العربى سوف ينتصر :

عرب نحن فيا ذكرى اشهدى
ثارنا نار وطوفان ودم
فيها الساری نداء سر به
يصدع الدنيا .. الى كل الامم
إن شعب الضاد باق سيدا
رغم انف الدهر حرا محترم

روح الدعابة

كتب الشاعر عبد القادر درويش فى كل الموضوعات ، فلم يقتصر شعره على الوطنيات فحسب . كتب فى المشكلات الاجتماعية . وكتب فى المديح والرثاء والهجاء والغزل .

ومن يجلس مع الشاعر .. يحس دفء حديثه ورقته وعذوبته وحضور النكتة ، وروح الشباب التى يتمتع بها بالرغم من تجاوزه الرابعة والستين من عمره .

حدث أن الشاعر اختلف مع زوجته ، فكتب قصيدة يهجوها بها . ومن الطريف أنه لم يشا أن يسمعنى إياها فى غير حضور زوجته ، التى كانت تنصت معى وهى تبتسم سعيدة به وبما يقول :

أموت كما قد عشت أمسح حسرتى
بصبر .. وأزجى آهة بعد آهة
جميلا أرى هذا الوجود .. وشيقا
وما فيه من شر سوى لؤم زوجتى
فيا رب أدخلنى جهنم مبعدا
شقيا اذا أدخلتها حوض جنة

فى عام ١٩٤١ التقى الشاعر عبد القادر درويش ، بالشاعر الراحل الكبير بدوى الجبل فى حفل تأبينى . وقد ألقى عبد القادر قصيدة فى تلك المناسبة أثارت إعجاب «الجبل» حتى أنه نهض من مكانه ، واتجه اليه ليطبع قبلة على جبينه ، وهو يقول له : هذا البيت فى قصيدتك لم أقرأه لشاعر من قبل . وكان هذا البيت يقول :

سجى الصمت لا صمت القبور متى سجى
ولكنه صمت النفوس المؤثر

والذى أعجب «بدوى الجبل» فى هذا البيت هو «صمت النفوس المؤثر» إذ اعتاد الشعراء أن يقولوا «صمت القبور الرهيب» ! لقد صور الشاعر الأحزان الخرساء فى صمت النفوس .

لا أظنني فى هذه السطور أكون قد وفيت الشاعر حقه . إنها فقط بصيص من الضوء على شعره ، وما أكثر القصائد التى لن تتسع لها هذه المساحة . لكن أردت أن أنوه بشاعرية شاعر يعيش بيننا .. أثر الظلال ، ونحن نريد لشعره أن يرى النور ، وللشاعر أن يجنى بعض ثمرات العناء فى صمت ، وعلى مدى خمسين عاما .. بعض الجنى فى حياته . حقا إنه ليس مشغولا بهذا الأمر . كل ما هو مشغول به أنه انسان محب وعاشق للوطن وللناس ، ذلك العشق الصوفى الذى يغنى فى المحبوب :

يا بطولات تسامى مجدها
يوم حطين وذى قار العجم
وعلى اليرموك سل أو لا تسل
ما صدمنا جحفلا إلا انهزم
يا بلادى لا تلومى .. إننا
قسما بالضاد لن ننسى الذمم

وأخيرا

قلت للشاعر المجهول عبد القادر درويش وأنا أودعه الى صياغة هذا الموضوع :

● بعد هذه الرحلة مع الحياة والشعر والظلال .. بماذا يحس الشاعر ؟

قال :

يحس الحب من نعم الليالى
ولو يجزى على حب ببؤس

يوسف محمد سليمان ـ سورية





معايا الفل والياسمين ..

طرق النداء سمعها وهى تسير .. بدا لها غريبا ، ومدهشا ومبهجا .. لكنه بدا فى نفس الوقت كخدعة ، او كاغنية جميلة قد تضلل القلب الوحيد .. الحزين ..

ياعاشقين الفل والياسمين ..

كان المنادى بائع زهور يدفع امامه عربة خشبية صغيرة بعجلتين ، مليئة باصص فخارية مزروعة بمختلف انواع الأزهار ، ما أن رأتها حتى تذكرت على الفور حوض زرع فى شرفة شقتها خال منذ شهور كان منظر هذا الحوض الخالى يعمق الحزن فى قلبها لهذه الغيمة السوداء الثقيلة التى هبطت على حياتها مع زوجها . اصبح كل منهما يحس أن حياتهما معا باتت كهذا الحوض الخالى . كان ذلك كئيبا ومروعا ، بعد أن كان مزروعا بالأشجار ويفوح بالخضرة ويطرح الأزهار أصبح خاويا الا من الطين الذى جف وتشقق لم يعد أحد يهتم أن يسقيه بعد أن خلع هو بيديه شجرة الفل التى كانت مزروعة فيه !

لقد فوجئت بذلك ذات يوم ، فاحست كانه قطع شريانا من جسمها .. كانه يرمى بها هى نفسها بعيدا عنه وعن البيت وعن حياته كلها . قالت لحظتها بمزيج من الغضب : لماذا خلعتها ؟

ببساطة شديدة وكئيبة قال : لم يعد فيها فائدة . لم تعد تزهر .. سابحث عن شجرة جديدة ازرعها ..

لم ترد بكلمة . لم تدافع عن شجرتها التى كانت . قالت فى نفسها ليست الشجرة فقط هى التى كانت . كل شىء كان . (وشدت نفسا من صدرها بتحد وكبرياء) وليكن بعد ذلك ما يكون .. لقد جفت شجرة حياتنا هى الأخرى .. فلنكن واقعيين

كان الوقت صيفا .. وفاتت شهور الصيف دون ان يأتى بشجرة جديدة وبقى الحوض خاويا .. جافا .. تزداد الشقوق فيه وتتعمق .. فيتعمق فى روحها الحزن والتشاؤم والاكتئاب . غير انها كانت سرعان ما تطرح راسها بشعرها الطويل الناعم الى الخلف فى ثقة وتحد : لم لا ؟ كل شىء يتغير . لا يصح أن يخيفنى ما يحدث . لا يصح أن نخدع انفسنا أكثر من هذا . هو نفسه قالها مرة : « نحن لم نعد نحيا الا بقوة دفع الماضى . اما الحاضر .. فقد جفت شجرته » . كان شجاعا فقالها .. سأكون أشجع وأقولها : الطلاق . نضع الحقيقة فى عين الشمس . وفى عيون كل الناس . ولن أعبأ بأى شىء .. غير الصدق .. أن نذهب بالموقف الى ابعد حد .. نتفق على الفراق .. ذلك هو الامتحان : اما ان يكون الفراق الى الأبد .. واما أن نتزوج من جديد .. وازف اليه مرة اخرى بكل العشق القديم والجديد .

— ياعاشقين الفل والياسمين .

معايا الفل والياسمين .

— بكم شجرة الفل دى يا عم ؟

— ما تغلاش عليك ياست .

لم تشا أن تساومه على الثمن . شجرة فل مثل هذه مترعة بالزهور فى وقت مثل هذا لاتقاس قيمتها بالمال . انها تساوى الكثير . اكثر مما يتصور هو .. لو طلب منها أكثر مما معها ، فستطلب منه تاجيل الباقى . لا .. لا . النقود لن تكون المشكلة . المشكلة من يحملها ، ويذهب بها الى البيت .. الى الشرفة .. ويزرعها ..

غير أن القدر حين يعدنا يحقق وعده بيسر وسهولة . فلم يات عصر ذلك اليوم ، حتى كان ذلك البستانى المتجول قد جاء الى البيت بالشجرة فى الميعاد الذى اتفقا عليه ، وزرعها فى الحوض واختلج قلبها بالفرح ، وهى ترى لأول مرة بعد شهور طويلة الطين الجاف وقد ارتوى بالماء واختفت كل الشقوق ، وانتعش قلبها بالامل .

فى ذلك اليوم كان زوجها مسافرا — سفرة عمل قصيرة .. وحين عاد فى اليوم التالى ، رأته يدخل صامتا ، جامد الوجه كالعادة . وتبادلا كلمات السلام التقليدية .. ثم اتجه مباشرة الى حجرته الخاصة ليقفلها خلفه .. ويواصل كل منهما حياة التفرد والاعتزال التى اتفقا عليها .. غير انها وجدت نفسها تقول له :

— فيه حاجة جديدة .. جبتها للبيت .. من غير إذنك !

— حاجة إيه ؟

— أدخل البلكونة شوفها .

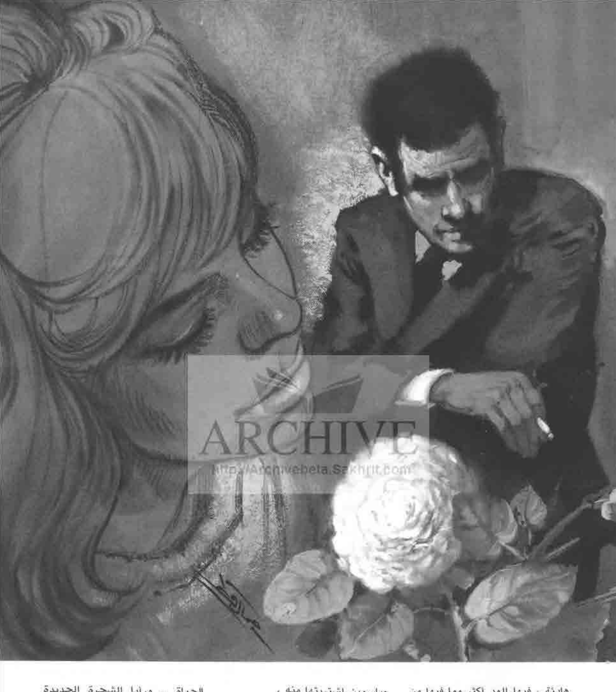
من الوهلة الأولى خمن ما فعلته . وصح تخمينه .. فرح فى سره فرح لأنه ما زال — رغم البعد — يفهم ما يدور بافكارها .. وفرح ايضا انها لاتزال تحمل فى قلبها ، حس الأمل .. وحب البيت والمحافظة على جماله .

«هذا البيت لايهون على واحد منا أن يهدمه» . استيقظت عواطفه . قاوم بشدة . اكتفى بالابتسام .

— شجرة جميلة فعلا . كويس انك جبتيها فله . بدل الفلة اللى ماتت ..

قالت : هى الحقيقة ما ماتتش .. انت اللى قطعتها !

هل تدينه ؟ لكن لهجتها كانت



هادئة ، فيها الود أكثر مما فيها من عتاب .. ومع هذا فقد احس بالاتهام .

قال : يعنى أنا اللى باقطع .. وانت اللى بتزرعى .

بدا على وجهها الألم : لا .. مش قصدى .. دى صدفة .. وانا ماشية فى الشارع ، لقيت راجل يبيع فل وياسمين اشتريتها منه .

منظر الحوض فاضى ومشقق ما كنتش طايقاه !

ـ وأنا كمان طبعا .

التقت عيونهما فى نظرة سريعة هربا منها الى الشجرة ..

كان بدء الربيع .. موسم تفجر الحياة .. ورأيا الشجرة الجديدة تموج بعشرات الزهور .. رقيقة ناعمة بيضاء .. وعطرها يفوح !

انتعش الحنين فى قلبيهما . ربما شىء بسيط مثل هذا يحرك الركود ويروى الشقوق .. غير ان خفقة الأمل هذه كانت مثل طائر غريب مر مسرعا

قوة الجذور

فوق صحراء وسرعان ما خلفها وراءه لوحشة الصمت وجفاف الحياة !

يوماً بعد يوم كانت الفلة تتراجع ومعناها يذوب .. وعاد الصمت والخواء يثقلان على البيت بأشد مما كان . وسرعان ما أيقنت من خدعة الرموز .. «كثيراً ما تضللنا الرموز . لقد زرعت هذه الشجرة رمزاً لانعاش الأمل . ولكن هاهى نفسها ، مع فصل الخريف تسير بالتدريج فى طريق الجفاف ، وبعض اعوادها تعرى من الأوراق ومات» .

غار فى نفسها الاحساس بالتشاؤم

ويوماً .. وقفا فى الشرفة ، بلا اتفاق ، وحانت منهما نظرة الى الشجرة .. حينذاك ادرك كل منهما نفس المعنى الذى أدركه الآخر دون أن يتحدث به . كانت الطبيعة تؤكد الموقف بينهما وتعريه .. مع سحب الخريف .. وقتامة الألوان . وقال كل منهما لنفسه فى لحظة واحدة : اجل .. حتى الحب يمر بالفصول الأربع .. الحب ايضا يشيخ .. الحب كائن حى .. يسرى عليه ما يسرى على الكائنات .. من ميلاد ونمو .. وفتوة .. ثم شيخوخة يعقبها الفناء .. لم لانعترف بالواقع .. ونعلن الانفصال قد يكون فى الانفصال الشفاء .. الانفصال ولو لفترة .. هذا الالتصاق الطويل الطويل .. التصاق الجلد بالجلد ، والانفاس بالانفاس .. يسد المسام ويورث الاختناق .. فلنتحرر . نفصل الجلد عن الجلد .. والأنفاس عن الأنفاس .. ولكن : هل لديهما الجرأة على اتخاذ القرار ؟

شهور عصيبة مرت .. تتراوح بين لون كآبة الخريف ، ولون وهج النار الذى يشعلها التمرد على أن يكون الحنين الى الحب الذى كان ، هو قاتل الانسان ..

مرت شهور الخريف .. وكان كل منهما يرقب وحده الشجرة فى السر .. ويرى فيها طالع العلاقة بينهما .. كأنما يستشيران النجوم .. ماذا يفعلان ؟ هل يصرخان ويفعلانها ، ويحققان الانفصال .. بل صراحة : الطلاق ؟

وتجمعت كل كآبة الخريف ذات يوم واطلت من الشجرة . كانت معظم الفروع قد جفت وتحولت الى أعواد جافة ينطق لونها بالموات .

ورأيا .. فى هدوء شديد .. أن الشجرة والطبيعة تشير عليهما بالحل السليم :

الطـــلاق .

وفعلاها . فى هدوء .

• • •

أزمة المساكن ؟ .. ليكن ..

البيت الواحد أصبح بيتين .. الجلد انفصل عن الجلد .. والانفاس ابتعدت عن الانفاس .. وبدا لكل منهما أنه يتنفس بشكل أقوى وأعمق .. حقا .. لقد كان فيما فعلاه إنقاذاً لهما .. كان الحب بينهما على وشك ان ينقلب الى كراهية .. ليس ابشع فى العالم من ان ينقلب الصديقان الى خصمين .. والحبيبان الى عدوين .. وحينما كانت جرثومة الكراهية تتحرك .. كان جمال الماضى وروعته يقفان بقوة ضد الجرثومة ويقتلانها ..

ينفصل الجلد عن الجلد ، والانفاس عن الأنفاس .. لكن الارواح لا تنفصل .. اتاحت الحرية لكل منهما ان يطير بعيداً .. بعيداً .. يعود أو لايعود .. يغير الحب باخر أو لايغير .. اصبح مالكاً لقلبه من جديد .. فلمن يعطى القلب الجديد .. مع العام الجديد ؟

كان شهر ديسمبر يتجه مسرعاً الى نهايته . قادتها قدماها الى الشرفة ذات صباح ، تريد أن تملأ صدرها بهواء طازج . انها منذ حوالى اسبوعين لم تخرج الى هذه الشرفة . وتذكرت فجأة .. صاحت تعاتب نفسها .

– اه لم اسق الشجرة ..

وتوجهت بنظراتها اليها . ندت عنها صيحة فرح عظيم .. فوجئت بمنظر غريب ابهج قلبها : كان فرعاً جديداً قد انبثق منها .. نبت من قلب أسفل الجذع وانطلق يشق طريقه الى الحياة .. كان قوياً وممتداً ومترعاً بالخضرة والحياة .. كأنما يتهيأ لأن يصبح جذعاً جديداً مع الجذع القديم ..

وجرت عليه .. تحتضنه بعينيها .. بقلبها .. آه .. وما هذا ايضاً ؟ عدة فروع أخرى تبزغ وتطل .. وتتهيأ بدورها للنمو والانطلاق ..

هبت أنسام منعشة .. تحركت مياه البحيرة الراكدة .. واحست بالميلاد فى كل شىء .. فى الزمان .. وفى الأشجار .. وبدا لها انها تقع على اكتشاف رائع لأول مرة : ان الميلاد يحدث فى الشتاء حيث يظن الناس أنه الجفاف والموت !

ترى .. هل رأى هو هذا الفرع الجديد؟

واحست بثمة حركة خفيفة . كان واقفاً ينظر .. أشارت بلا وعى على الفرع الوليد وقالت .. بابتهاج هادىء .

– هل رأيت ؟

أسرع مقترباً من الشجرة .. أحس أن فروعاً تنبثق فى قلبه .. وتصبح شرايين خضراء .. وقال بفرح كبير : ليس فرعاً واحداً ..

وراح يعدد الانبثاقات الكثيرة الجديدة فى الشجرة .

كأنها زحف الحياة ..

والتقت نظراتهما ...

قالت : لأن الجذور سليمة .. وقوية ..

قال مؤكداً بثقة : كنت أوالي ريها .. رغم البرد الشديد .

امتزج بريق عينيها ببريق عينيه .

– تحب هذه الشجرة ؟

– الست أنت التى اشتريتها ؟

– وأنت الذى رويتها .

تحرك فجأة كل الحنين .. منذ متى لم يلتق الجلد بالجلد . والمسام بالمسام ..

امتدت أيديهما الى بعضهما ..

قال : أعظم الأشجار هى التى تولد فى الشتاء ..

قالت : شجرة الحب أبداً لا تشيخ ..

غمغم : انها تغير جلدها .. لحاءها .. ولكن لـ ..

غمغمت : لتولد فيها الخضرة من جديد .. وقريبا .. ستمتلىء بالزهور ..

قال : أوحشنى العطر الجميل ..

واندفعا الى عناق عظيم ..

«عبد الله الطوخى»

دعــــوة جــــريئـــة لنـــاقــد عــربي كبـــير



الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي

الجـزء الثـالث والأخـير

بقلم: الدكتور عبد الله الطيب

اتكاءة على صور لبيد

هذا وبعد أن انتهى إليوت من نعت قساوة ابريل منبتا زهرة ليلى ، مازجا الذكرى بالشهوة ، انتقل إلى ذكر الصيف وذلك قوله :

Summer surprised us ....

ومعناها : فاجأنا الصيف .

تأمل شدة الشبه بين قول لبيد :

رزقت مرابيع النجوم (البيت)
فعلا فروع الأيهقان (البيت)

وبين قول إليوت جاء الربيع منبتا زهرة ليلى الخ .. تأمل الشبه في السياق والصياغة بين قول لبيد (فعلا فروع الأيهقان بعد ذكره مطر الربيع وبين قول إليوت منبتا زهرة ليلى (الليلاك) بعد نعته مطر الربيع الذى ابريل رمز له .. منبتا زهرة ليلى .. أي فعلت أغصان « الليلك » كما علت فروع ايهقان لبيد . الأيهقان عربي و « الليلك » فارسي . محاكاة نهج لبيد الذى اطلع عليه في ترجمة وليم جونز لا تخفى .

فعلا فروع الأيهقان واطفلت
بالجلهتين ظباؤها ونعامها

جاءت الظباء والنعام في مكان الحبيبة والظبية تشبه بها الحبيبة . ههنا مجال للذكريات واتصال معنى ولادة الظباء اطفالها وإفراخ النعام بالشهوة غير خاف ، ومن هنا اخذ إليوت مزجه الذكرى بالشهوة . ثم انتقل من بعد إلى ذكر الصيف وذلك قوله :

Summer surprised us ....

اي فاجأنا الصيف

ثم انتقل بعد مفاجأة الصيف له إلى ذكر (محبوبة) التجأ معها من مفاجأة مطر الصيف إلى بناء ذي صف من أعمدة ثم خرجا إلى ضوء الشمس ثم إلى الحديقة .

ولبيد بن ربيعة العامري صاحب المعلقة يخرج من نعت القفر إلى مرابيع النجوم او كما قال السير وليم جونز في ترجمته

.. profuse, as well as gentle
showers

ثم يخرج من ذلك إلى إنبات الأيهقان ، وهو من نبات البادية قيل هو الجرجير البري ، الذى علت فروعه ، ثم إلى الوحش الذى خلف الاحباب على الديار وجعل بحيوية الربيع يطفل ويفرخ . ثم يتذكر لبيد الحبيبة ويقسو عليها وعلى نفسه حين يعتلج في صدره امر انصرام عهودها وتبدد زمان وصلها :

بل ما تذكر من نوار وقد نأت
وتقطعت اسبابها ورمامها

يقول السير وليم جونز في مقدمته لقصيدة لبيد إن ابياتها الخمسة عشر الأولى من روائع التصوير ، يعذل الشاعر في اخرها نفسه على هواه الضائع سدى عند امرأة لا تستجيب ، فيدعوه ذلك إلى ان يفرمن الهوى إلى الراحلة ، ثم يعود إلى ذكر محبوبته نوار بعد نعت الرحلة برجوع فيه نوع من قلة الاهتمام بدلا لها . هذا

هذا هو الجزء الثالث والأخير من البحث الذى كتبه الناقد الكبير الدكتور عبد الله الطيب أستاذ الأدب بجامعة فاس بالمغرب حاليا ، ومدير جامعة الخرطوم وعميد آدابها سابقا ، عن الأثر السلبى الذى تركه الشاعر العالمى المعروف « ت . س . اليوت » على الحركة الشعرية العربية الجديدة ، نتيجة لتقدير مبالغ فيه ناله « اليوت » من شعرائنا المعاصرين ، وقد تلقت « الدوحة » ردودا مختلفة حول هذه القضية ، وسوف ننشر هذه الردود فى الأعداد القادمة .



ملخص كلام السير وليم جونز فى مقدمته . ا . هـ .
ليت شعرى هل مجرد توافق خواطر شبه :

اكثر من توافق خواطر

(١) قول إليوت فى عنوانه The Waste Land بقول لبيد « عفت الديار إلخ » .

(٢) وقول إليوت فى عنوانه The Burial of the Dead بطريقة الشعراء العرب ومنهم لبيد بان الديار تندفن وتكشف اثارها الرياح والسيول (عرى رسمها) (وجلا السيول عن الطلول) .

٣ ـ وذكر إليوت امطار ابريل وقساوته وشبه ذلك بقول لبيد «رزقت مرابيع النجوم الخ» .

٤ ـ وقول إليوت بانبات زهور ليلى Lilacs وخلط الذكريات بالشهوات وشبه ذلك كما قدمنا بقول لبيد : «فعلا فروع الأيهقان الخ» .

٥ : وانصراف إليوت عن مطر الربيع الى مطر الصيف حيث قال : فاجأنا الصيف» ـ هل هذا ايضا مجرد توافق خواطر ؟

٦ : وتذكر إليوت للحبيبة بعد ان ساقاها القهوة وتقطعت اسبابها ورمامها ... (راجع الأسطر ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢) ... هل هذا ايضا مجرد توافق خواطر ؟

وقد ركب لبيب ناقته بعد تصرم اسباب نوار وشبهها بحمار وحشى وذكر الصيف وحره ...

... وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها

اى أعاصيرها وسمائمها .

٧ : ام هل مجرد توافق خواطر قول إليوت فى س ٢٣ ص ٢٧ .

And the dead tree gives no shelter.

اى : والشجرة الميتة لا تعطى ماوى .

مع شدة شبهه بقول لبيد فى وصفه للبقرة الوحشية التى اصابت السباع ولدها . واحاطت بها المخاوف بعد ترددها تبحث عنه وتناديه بنوح وبغام ، ولفتها بين الرمال ليلة ذات برق ومطر واهوال : ـ

تجتــاف أصـــلا قالصــــا متنبـذا
بعجــوب انقـــــاء يميــل هيامهـــــا

اى تلتمس بقرنيها جوف أصل شجرة قديم فى قعر كثبان من الرمل منهالة ، وترجمة وليم جونز :

She shelters herself under the root of a tree

٨ : ام ليت شعرى ـ بعد الذى لم نشك فيه من كتمان إليوت مصادر اخذه من العربية ـ هل مجرد توافق خواطر ذكر إليوت لمفاجاة الصيف :

Summer surprised us ....

وان الشتاء ادفانا

Winter kept us warm ....

يمدح بذلك الشتاء ؟

إليكَ بعثتُ أبكارَ القوافي
يليها سائقٌ عَجِلٌ وحَادِي
مُنزّهةً عن السَّرَقِ المُوَرَّى
مُكرّمةً عن المعنى المُعَادِ

ربيع ابى تمام

هل اطلع إليوت على ترجمة ما لبعض شعر ابى تمام ، فقد عاش فى زمان كان فيه الاستشراق العربى بين اكسفورد وكمبردج ولندن وباريس والمانيا ضاربا بجران وكان لابى تمام صاحب الحماسة فى ذلك مكان مرموق ــ قال عنه ليال فى مقدمة اختياراته :

...... and was himself a distinguished poet

اى وكان هو نفسه شاعرا ممتازا .

هل اطلع إليوت على ترجمة لقصيدة ابى تمام فى وصف الربيع التى اولها :

رقت وجـوه الدهـــر فهى تمرمـــر
وغـدا الثـرى فى حليـــه يتكسر ؟

وفيها قوله :

جاءت مقدمـــة المصيـف حميـــدة

او فاجانا الصيف summer surprised us

ويد الشتاء جديدة لا تنكر

Winter kept us warm

شكرا للشتاء ...

لولا الذى صـــاغ الشـــتاء بكفـــه
قاسى المصيـــف هشائما لا تثمـــر

شكرا للشتاء ــ ولابى تمام الذى مدح الشتاء خلافا للشعراء الذين كانوا يذمونه كقول الآخر :

إذا اغبر آفاق السماء .... الخ

تأثر إليوت بالمعلقات

لقد افاد إليوت من الشعر العربى إما من قراءة تراجم له وإما من مشافهة معاصرين له عارفين به .

وقد افاد من اطلاعه على ترجمة السير وليم جونز لا لمعلقة لبيد وحدها ولكن لسائر المعلقات ، خذ مثلا الأسطر ١٩ ــ ٢٤ من ص ٢٧ وهى اولى صفحات المنظومة فى الطبعة التى رجعنا اليها :

What are the roots that clutch.
what branches grow
Out of this stony rubbish ?
Son of man,
You cannot say, or guess,
for you know only
A heap of broken images,
where the sun beats,
And the dead tree gives no
shelter, the cricket no relief,
And the dry stone no sound of
water ....

الترجمة على وجه التقريب : ــ

ما الجذور التى تمسك ؟ ما الاغصان التى تنمو
من هذه القمامة الحجرية ؟ يابن ادم
إنك لا تستطيع ان تقول بيقين او تظن لانك إنما تعلم
كومة من ظلال متكسرة ، حيث الشمس تصك
وحيث الشجرة الميتة لا تعطى ماوى ، ولا الصرصور راحة
ولا الحجر اليابس صوت ماء ....

اشارة قرانية

احالنا إليوت على سفر حزقيل اول الاصحاح الثانى بالنسبة إلى سطره (الثانى اعلاه) ٢٠ ليؤكد ان مواده من قوله : Son of man (اى يا ابن ادم او يا ايها الانسان) هو معناها الذى فى العهد القديم لا معنى «ابن الانسان» الذى عند النصارى . ولا شىء يمنع ملابسة هذا المعنى المسيحى لكلامه هو لانه هو مسيحى الديانة لن يخلو منه بحال من القصد اليه وليس تاكيده الذى زعم بملزم استبعاده احدا .

وهذه الاحالة لما هو ظاهر من عدم الحاجة اليها لا تخلو من تعمية ما وتضليل . وكاد السارق يقول خذونى مرات . ذلك بانه فى سفر حزقيل فى الاصحاح نفسه بعد رقم «١» الذى فيـــه Son of man ورد فى رقم ٢ و ٣ و ٤ ذكر تمرد بنى اسرائيل وقسوة قلوبهم . وهذا وارد فى قول إليوت متضمنا لمعناه فى : And the dry stone no sound of water

اى : «ولا الحجر اليابس صوت ماء» ، اى القلوب قاسية كهذا الحجر اليابس .

لكن هذا التشبيه وهذه العبارة نفسها لم ترد بهذا اللفظ وهذا البيان التصويرى فى سفر حزقيل الذى احالنا عليه تعمية وتضليلا فيما نرجح . إذ لاريب انه اخذها من القران ــ وتراجمه كثيرات ــ لانها بعينها واردة فى خبر تمرد بنى اسرائيل : «ثم قست قلوبكم فهى كالحجارة او اشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء» ــ سورة البقرة ، ٧٤ . ولكن هل يعقل فى إليوت الكتوم لذكر وردزورث ودى لامير وظلال جزيرة العرب The Shades of Arabia وما اشبه ان يخطىء فيحيلنا على القران ؟ اليس ذكره سفر حزقيل فى إحالاته ههنا شبيها فى طريقة الاستبدال بما صنعه من جعل جدران كنيسة ماغنس مارتر فى مكان ظلال جزيرة العرب ؟

وبالنسبة الى الأسطر ١٩ ــ ٢٤ (انظر ما تقدم) احالنا إليوت فى تعليقاته على السطر ٢٣ وهو الخامس فى ماذكرنا لننظر فى سفر (الجامعة) من العهد القديم وهو الذى يقال له (الواعظ) او The Preacher بالانجليزية وايضا يقال له Ecclesiastes رقم ٥ من الاصحاح ١٢ من اجل توضيح مراده من الكلمة cricket اى الصرصور الواردة فى النص المتقدم . وكلمة cricket اى الصرصور غير واردة فى نص سفر الجامعة ابن داود الذى احالنا عليه ولكن وردت كلمة grass-hopper اى الجندب وإنما احالنا إليوت على سفر الجامعة تعمية وتضليلا .

غموض اشارات إليوت

وقد وجدت من نقاد إليوت البروفسور روبسون يقول بمثل ما نقول به من عمده الى التعمية فى تعليقاته إذ ذكر بمعرض حديثه عن الأرض المقفرة فى كتابه عن الأدب الانجليزى الحديث ، وسبقت الاشارة اليه فى ص ١١٢ ، ان إليوت اضاف تعليقات احيانا هى غامضة غموض الأسطار التى يراد بها شرحها ــ

.... Later Eliot added notes sometimes as cryptic as the lines they purport to elucidate ....

ومن تعليقات إليوت المضللة ، والشىء بالشىء يذكر ، نورد ذلك على سبيل المثال ، احالته





وردزورث دانتى

بالنسبة الى سطره رقم ٦٣ على جحيم دانتى وإنما خطف خطفا من مسرحية ماكبيث لشكسبير من قول مشهور وهو مقال امراة ماكبيث فى الفصل الخامس فى حديث هذيانها : «من كان يظن ان هذا الرجل العجوز دمه كثير هكذا ؟» ويجوز ان يكون شكسبير رمق دانتى واخذ من هناك وان إليوت نظر الى دانتى كما نظر الى شكسبير إلا انه حذا على صياغة هـذا ونحو ما يجرى هذا المجرى هو ما سماه ابو تمام السرق (بفتح السين والراء) المورى بضم الميم وفتح الواو وراء مشددة مفتوحة بعدها الف لينة ـ قال يمدح شعره :

اليـــك بعثـــت ابكـار القوافـــى
يليهـا ســـائق عجــل وحـــادى
شـــداد الأسر ســـلة النواحـــى
مـــن الاقـــواء فيهـا والســـناد
منزهـــة عـــن السرق المـــورى
مكرمـــة عـــن المعنـــى المعـــاد

الاقواء والسناد من عيوب القافية كما لا يخفى وقد احكم نقاد العرب باب السرقات إحكاما وابوابا غيره من النقد كثيرات .

هذا والصرصور cricket شىء غير الجندب grass-hopper وظاهر مراد إليوت فى إحالته على سفر «الجامعة» ان يشعر القارىء مثلا بانه استبدل كلمة grass-hopper اى الجندب بكلمته cricket : اى صرصور لداع دقيق من دواعى البيان والصناعة الشعرية . هنا مكان التعمية والتضليل والغموض . وليس بين النص الوارد فى سفر الجامعة ووردت فيه كلمة الجندب grass-hopper ادنى صلة معنوية بكلام إليوت فى الاسطر ٢٢ ـ ٢٣ : ـ

.... where the sun beats
And the dead tree gives
no shelter. the cricket no relief.

اى ...... حيث تصك الشمس
وحيث الشجرة الميتة لا تعطى ماوى ، ولا الصرصور راحة ،

ونص كلام الجامعة الذى ورد فيه ذكر الجندب كما يلى (دار الكتاب المقدس ، العهد القديم) : ـ

وايضا يخافون من العالى ، وفى الطريق اهوال ، واللوز يزهر ، والجندب يستثقل ، والشهوة تبطل ، لان الانسان ذاهب الى بيته الابدى والنادبون يطوفون فى السوق . ا . هـ

Also when they shall be afraid of that which is high, and fears shall be in the way, and the almond tree shall flourish, and the grass-hopper shall be burden, and desire shall fail : because man goeth to his long home, and the mourners about the streets. (Ecclesiastes Chapter 12-15).

مجمل المعنى انه فى زمن اكتساء شجرة اللوز بازهاره البيض الحسان وهو زمن الربيع حين تزداد الحيوية والنشاط وتشتد الشهوة فى النفوس ، فى هذا الزمن حين يقترب الموت من الانسان تذهب لاقترابه كل حيوية وكل روح نشاط حتى ان الجندب الصغير الجسم الخفيف الوزن ليستثقل المرء وزنه ثم يحمل المرء الى القبر ويطوف نادبوه ينوحون .

إليوت لا يشير الى الحيز الذى يستثقل فيه الانسان وزن حشرة صغيرة لان الموت الذى اقترب منه يجعل كل شىء ثقيلا ، فلماذا يحيلنا على سفر الجامعة ابن داود ؟ نعم ، الصناعة الشعرية ـ صناعة «السرق المورى» ورحم الله ابا تمام ـ هى التى دفعت إليوت الى استعمال cricket اى الصرصور مكان grass-hopper اى الجندب . لا لان الجندب فى نص الكتاب المقدس فى العهد القديم فذلك ادعى له لان يذكرها لا ان يتفاداها ، ولكن لان الجندب فى شعر العرب ومن هناك اخذها . الجندب حشرة نهارية والصرصور حشرة ليلية تاوى الى مواقد البيوت ذوات المواقد (فى اوروبا مثلا) نهارا لظلامها ودفئها ولا تنفك تصرصر ولا تكف ...

.... gives no relief ....

وكلا الجندب والصرصور حشرة مصوتة وثابة Jumping. Chirping كما يقول المعجم الانجليزى ، ومراد إليوت واضح وهو استمرار الصرصور يصيح بلا انقطاع . والضرورة الشعرية التى دعته الى ذكر الصرصور مكان الجندب cricket (grass-hopper . هو انه ذكر الشمس وحرارتها وذلك قوله :

Where the sun beats

اى حيث الشمس تصك .

وليس الصرصور cricket باخى الشمس ولا موقده الذى ياوى اليه نهارا وهو مظلم دافىء ، بوهج الشمس الملتهب الذى تتكسر منه اكوام الظلال .

اخذ إليوت فكرة صرصوره لا من سفر الجامعة ابن داود ولكن من جندب اشعار العرب . حشرة سفر الجامعة ابن داود خفيفة الوزن وثابة بين ازهار اللوز ، لا مزعجة صخابة فى حر الهجير حيث تصك الشمس وتتكسر الظلال . قال كعب بن زهير فى بانت سعاد وهى مما ترجم :

وقال للقـــوم حاديهم وقـــد جعلـــت
ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا

جعلت الجنادب تركض الحصى بحثا عن الظل ، عندئذ قال الحادى للركب الان وجب المقيل ،

دين إليوت لذى الرمة

وقال ذو الرمة ، ونشر ديوانه بكمبردج سنة ١٩١٩ م وترجمت بائيته من قبل ، ولعل إليوت ان يكون قد لقى مكارتنى الذى حقق الديوان ، وقد نبه شارلس ليال على منزلة ذى الرمة فى ذيل ص XXXIII من مقدمة مختاراته قائلا :

Dhu-r-rummah was the last really great representative of desert song ....

اى كان ذو الرمة حقا اخر شعراء الصحراء العظام ـ او اخر ممثل لعظام المتغنين بالصحراء قلت وفى هذا نظر وابو عمرو بن العلاء عندنا اصح بصرا بالشعر من شارلس ليال على حسن اجتهاده ورايه فى ذى الرمة معروف إذ جعله شاعرا من المحدثين وهوفى الحقيقة لهم رائد ؛ وما نشك ان إليوت اطلع على ترجمة ليال فى اختياراته ومقدمتها وافاد من ذلك فى معرفة طريقة نظم الشعر العربى ، فى زمان كان فيه

شعراء أوروبا والانجليز خاصة يريدون التجديد ويطلبونه من طريق الأخذ عن أمم الشرق أشد طلب . وقد ذكرنا من قبل أن شارلس ليال نشر اختياراته سنة ١٨٨٥ م وكان موظفا بالهند ومن قبل سبق له نشر بعضها فى مجلة بنغال ثم إنه فى سنة ١٩١٨ م نشر ترجمته للمفضليات مع تعليقاته الناضجة النفيسة وقد حقق شرح ابن الانبارى للمفضليات كما هو معروف . وسنعرض ان شاء الله من بعد لما نرى أن إليوت أخذ من ليال فى المقدمة التى ذكرناها .

قال ذو الرمة يصف الجندب :

معروريا رمض الرضراض يركضــه
والشـــمس حيرى لها بالجو تدويـم

البيت مشهور وقيل فيه انه أكثر رمضا من رمال يبرين لتكراره الراء والضاد وهذا يسمى الآن الجناس الداخلى وهو فن فى العربية قديم . وبيت ذى الرمة هذا يحتوى على معنى ظلال إليوت المتكسرة وشمسه التى تصك :

Where the sun beats

والشمس حيرى لها بالجـــو تدويـم

وتأمل (رمض الرضراض) مع قوله (يركضه) لان الجندب يطلب المأوى فى بقية الظل المتكسر فى رمض الرضراض .

وأخذ ذو الرمة من كعب بن زهير قوله : «يركضه» لأنها من قول كعب :

.... وقـــد جعلــت
ورق الجنـــادب يركضن الحصـــى

ومن كليهما أفاد من أفاد .

هذا وفى قول إليوت :

.... for you know only
A heap of broken images

أى إنما تعلم / كومة من ظلال متكسرة ..

فيه نوع من السخرية بأساليب الشعراء إذ كلمة image كما تدل على الظل تدل أيضا على الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وما أشبه وفيه صدى من وردزورث ودى لامير كليهما وتأثر بمقدمة وليم جونز لمعلقة لبيد حيث ذكر أوصافه وتشبيهاته وزعم أنها مثل التشبيهات الطويلة التى ترد فى الشعر الكلاسيكى . (أى اليونانى واللاتينى) .

الدليل القاطع

هذا وزيادة على ما تقدم ، واعتمادا على ما هو نازل عندنا منزلة الدليل القاطع من قوة الملابسات التى تشهد باطلاع إليوت على عمل السير وليم جونز ، وطريقته فى الاخفاء والكتمان نرجح أن إليوت اطلع على كثير مما ترجم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبار المستشرقين بالانجليزية ، على أقل تقدير وعلى ما كتبه السير شارلس ليال مما يدل على فهم عميق لطريقة الوحدة والانسجام عند شعراء العرب القدماء مثلا تعليقه على بائية سلامة بن جندل ولامية بشامة بن الغدير وعينية سويد بن أبى كاهل وطويلتى علقمة بن عبدة ، ومما يحسن ذكره ههنا ان بعض من كتبوا عن شعراء المفضليات من فضلائنا أخذوا عنه ولم يشيروا اليه ومنهم من تابعه أخذا غير معترف فى الخطأ وفى الصواب وهذا باب ربما أتيح لنا بعض تفصيله فى موضع غير هذا مما يناسبه . وإنما دعا اليه ان الشىء بالشىء يذكر ، وكما يقول ميبريـــه ، رب شىء كهذا .

من المرجح أن إليوت اطلع على كثير مما تُرجم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبار المستشرقين بالإنجليزية

ولا أشك أن إليوت قد اطلع على شىء من مقدمة ليال لمختاراته (طبعة ١٨٨٥ م) إذ كان ذا استشراق ومن عصبة نجباء الحكومة البريطانية بالهند أحدى مراكز البحر الشرقى الكبرى وقد وصف ليال القصيدة العربية القديمة بأن شكلها لا يمكن أن يوصف بما عليه أوصاف الأشكال فى شعر أوروبا وانه عسى أن يكون أقرب الأمور به شبها ما كان اليونان يسمونه بالقطعة الوصفية أو الاخبارية idyll وانها تعرض علينا صورا متتابعة مأخوذة أخذا مباشرة من التجارب والواقع مصوغة بمهارة وإحكام يربط بينها عنصر من الوحدة التى لا تبدو وثيقة واضحة ولكن تخضع لروح من الشاعر يهيمن عليها بكشف ما يشتمل عليه ضميره شيئا بعد شىء . (راجع ص XVIII من المقدمة) .

محاكاة طريقة نظم المعلقات

مما أخذه إليوت من المعلقات سوى الذى ألمعنا اليه من محاكاة لبيد أنه حاكى طريقة النظم فيها ونظر فى ذلك نظرا شديدا الى المعلقة الأولى ، التى ينبغى أن يكون حين بدأ بالقراءة قد بدأ بها .

عول إليوت فى نظم أرضه القفر على اتباع طريقة صياغة امرىء القيس حيث بنى تأليف لاميته المعلقة على وحدة مستمدة من الربط العاطفى الايقاعى وتداعى المعانى المنبعثة من حل عقد خيط الذكريات (لو كشف ما اشتمل عليه ضميره شيئا بعد شىء أو كما قال شارلس ليال

The Poet's unfolding of himself

من حل عقد خيط الذكريات عقدة بعد عقدة ، من الوقوف والاستبقاف الى ذكر أم الرباب وأم الحويرث ـ دارة جلجل ـ نحر الناقة ـ خدر عنيزة ـ حديث الحب ـ حديث الجمال ـ الليل ـ الصعلكة ـ الفروسية والصيد وزمان الشباب ـ ذكريات الطفولة ـ المطر والسيل وانمحى كل شىء إلا منظر ثبير وصوت الطير ـ والسباع الغرقى ـ كل ذلك فى تجاوب مذهل من الايقاع والصور وضروب الموسيقى الظاهرة والباطنة .

أخذه من امرىء القيس

من حيث لا يحتسب يدلنا إليوت على أخذه من معلقة امرىء القيس فى السطرين ٧ و ٨ من أرضه اليلاقع أى المقفرة وقد مرا فى أول كلامنا ، واخترنا لفظ الانابيش فى ترجمتنا لقولـــه tubers. لأنه الأصل الذى نرجح انه أخذ منه قوله :

.... feeding
A little life with dried tubers

أى .... مطعما
حياة قليلة بانابيش جافة .

ونشير ههنا الى قول امرىء القيس فى المعلقة :

كأن السباع فيه غرقـــى عشـــية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصـــل

العنصل بضم العين وسكون النون وضم الصاد هو البصل البرى والأنابيش ما ينبشه الصبيان من عروق ونحو ذلك . التبريزى : «الانابيش جماعات من العنصل يجمعها الصبيان ويقال الانابيش العنصل والعنصل بصل برى» . ا . هـ . (راجع شرح التبريزى للمعلقات العشر وطبعاته كثيرة) . وترجمة السير وليم جونز : ـ

The beasts of the wood, drowned in the floods of the night, float like the roots of wild onions

(وراجع ترجمة ليال لهذا البيت فى ص ١٠٤ حيث قال : ـ

like earth-stained roots of squills.

الاصطلاح الانجليزى لما ينمو من النبات كالبصل بنتفخ أصله الملامس بجذوره للتراب ولما ينمو كالبطاطس بانتفاخ جزء الساق الملامس للتراب هو Tuber واستعمل إليوت اللفظ الدال على النوع الثانى فيبدو لولا أن هذا بعيد من أن يكون مأخوذا من عبارة السير وليم جونـــز The roots of wild onions (أى عروق

البصل البرى) التى ترجم بها (انابيش عنصل) . وترجمة ليال غير بعيد من هذا. واخذ إليوت قوله المتقدم من (انابيش عنصل) هذه . وقد ابت فكرة صورة الجثث التى غرقت وبدت اطرافها من متوارب وآذان واذناب كاطراف انابيش العنصل ان تفارق إليوت فنمت بنفسها فى اسطاره ٧٠ ـ ٧٢ من ص ٢٩ وذلك قوله : ـ

You who were with me in the ships at Mylae
That corps you planted last year in your garden.
Has it begun to sprout ?

اى :
يا انت الذي كنت معي فى سفينات ما يليس
تلك الجنازة التى غرستها العام الماضى فى حديقتك
هل بدات تخرج شطئها ؟

عنى إليوت بمايليس هنا المكتشف الدنمركى مايليس لدوج Mylius Ludwig الذى غامر باكتشافه سواحل جرنلدة فى اوائل هذا القرن الميلادى ، ومات سنة ١٩٠٧ بعد مغامرة اخيرة سنة ١٩٠٦ وكانت هى من اسباب هلاكه . استعمل إليوت صيغة المضاف اليه اللاتينية (مايلاى) من (مايليس) . وهل خفى عنك ايها القارىء الكريم عنصر تداعى المعانى الشديدة بالنظر الى بيت امرىء القيس ههنا ؟

امرؤ القيس : غرقى ،جنائز سباع غرقى فى العشية تشبه مناظرها فى الارجاء القصوى اطراف البصل البرى التى ينبشها الصبيان او خرجوا لينبشوها .

إليوت : سفائن مايليس (At Mylae) معها البحر ومخاطره .جنازة مغروسة فى حديقة فى العام الماضى . هل نبتت واخرجت شطئها مثل النبات ؟

هذه المشابهة فى نهج الصياغة هل هى مجرد توافق خواطر مع بيت امرىء القيس ، كما مطر ابريل وعلو اغصان (الليلك) مجرد توافق خواطر مع مرابيع النجوم وعلت فروع الايهقان ؟

وهل فكرة dried tubers (اى الاصول النباتية الجافة او العروق الجافة) مجرد توافق خواطر مع انابيش العنصل ؟ العنصل هو (Bulb) بحسب الاصطلاح النباتى ومع هذا الاصطلاح يرد دائما الاصطلاح الآخر المقابل (Tuber) ـ اليس تحويل (Bulb) الى فيه لون من اسلوب تحويل grass-hopper الى (cricket) وما مر بك من قبل من امثلة «السرق المورى ؟

قولنا عن امرىء القيس انفا انه تذكر الصبا وتذكر الطفولة نشير به الى قوله :

الجِنَاسُ الحرفي أو الداخلي ليس بأصيلٍ في اللغة الإنجليزية لكن أصوله أخذت من البديع العربي في القرنين ١١، ١٢ الميلاديين

يزل الغلام الخف عن صهواته
ويلوى باثواب العنيف المثقل
والى قوله :
كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

وليس ههنا موضع التفصيل وقد كان امرؤ القيس صاحب ذكريات وتذكر له ابيات لطيفة يصف بها زحلوقة الأطفال اولها :

لمن زحلوقة زل
لها العينان تنهل

لاحظ ان تذكر الزحلوقة هنا ابكاه كما بكى من ذكرى الاحباب والمنازل .

والى قوله :
درير كخذروف الوليد امره
تتابع كفيه بخيط موصل

ابريل اقسى الشهور

هذا :

ومثل ابى تمام إذ فاجاته « مقدمة المصيف حميدة » نجد إليوت فاجاته مقدمة المصيف ـ ولكن غير حميدة (ابريل اقسى الشهور) . ومثل امرىء القيس خلص إليوت الذى هو امرؤ الأرض القفر من البدء بذكر الاطلال (عفت الديار كما تقدم) إلى حل العقد من خيط الذكريات ـ المقهى فى اول المنظومة (السطر ١١) إلى النعت المنظور فيه الى سفينة كليوبتره بعين ، (س ٧٧ ص ٢٩) :

The chair she sat in, like a burnished throne,
Glowed on marble ....

اي : الكرسى الذى جلست عليه كان يتوهج من فوق بلاط الرخام كانه عرش مجلو .... (راجع نعت انوباربس لسفينة كليوبترة عند شكسبير) ومنظور ايضا فيه بنفس (العين) او بعين اخرى تحت الحاجب الكالح إلى قول امرىء القيس :

إذا قامتا تضوع المسك منهما
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

(راجع من قوله س ٨٤

The glitter of her jewels rose ...

اى قام بريق جواهرها ...

her strange synthetic perfumes

اى عطورها المصنوعة الغريبة (س ٨٧ ص ٣٠) .

وقال وليم جونز فى ترجمة هذا البيت :

When those two damsels departed, musk was diffused from their robes, as the eastern gab sheds the scent of clove-gilly flowers...

لاحظ استعمال إليوت profusion فى س ٧٥ وكذلك poured فى مقابلة diffused التى عند وليم جونز و sheds ....

تامل ذلك ايها القارىء الكريم .

الفصل الذى فيه هذا النعت جعل إليوت عنوانا له « لعبة الشطرنج

A Game of Chess

وهو الفصل الثانى من الارض المقفرة والعنوان ماخوذ من اختيارات وليم جونز إذ عنوان إحدى القصائد الهندية التى اختارها هناك هو هذا ، فتامل !! .... رجع الحديث ، راجع قولنا قبل إلى النعت المنظور فيه الخ والآن .... إلى لقاء الكويتبة في الفصل الثالث الذى عنوانه ترتيلة النار .

او كما قال A Fire Sermon ويلفت نظرك ههنا إلى ما ذكر عن إليوت انه وصف رديارد كبلنج شاعر الامبراطورية الذى نشا فى الهند بانه كان من عظام اصحاب التراتيل .. لقى إليوت فى منظومته الكويتبة فى الفصل المذكور على مائدة فاترة ووصال من نوع ما يقع فى سام المدن المعاصرة .. شىء ممسوخ من وليمة عذارى دارة جلجل ودخول الخدر خدر عنيزة : (وقد ترجم ذلك السير وليم جونز ترجمة حسنة حية) :

Woe to thee than wilt compel me to travel on foot

... تقول لك الويلات إنك مرجلي

من هنا اخذ إليوت عبارته (ص ٣٢) :

.... caresses
Which still unreproved, if undesired

وتامل بعد اسطاره من ٢٣٥ ـ إلى ـ ٢٤٨ فى حديث عنيزته هو :

The time is now propitious as he guesses
The meal ended, She is bored and tired.
Endeavours to engage her in caresses

Which still unreproved, if undesired

الترجمة التقريبية :

الوقت الآن موات كما يظن
انتهت الوجبة وهي متعبة وسئمت
يحاول ان يشركها معه في ملامسات
استمرت بلا مؤاخذة ان لا بلا اشتهاء

كذلك من قبل ظن امرؤ القيس الوقت مواتيا بعد عقر الناقة وانتهاء الوليمة وارتماء العذارى – يطبخن – بلحم مطيته (يخطىء من يحسب انهن كن يترامين بقطع اللحم كالغولات وكان اللحم كرات لعب) وبشحم كهداب الدمقس المفتل الذي هو حريرهن وبياض ابشارهن فدخل الخدر خدر عنيزة ليشركها معه في ملامسات ومداعبات فزجرته بقولها « لك الويلات إنك مرجلي » ، ومع زجرها له مال بهما الغبيط معا :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

ولكنه لا ينزل :

فقلت لها سيري وارخي زمامه
ولا تبعديني من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فالهيتها عن ذي تمائم محول

كلام امرىء القيس فيه شيطنة واريحية وحرارة عاطفة وصدق فني مباشر مع الايقاع الرنان والبيان الناصع . كلام إليوت مصقول كخشب النجار الماهر ولكنه ناشف لا عاطفة فيه ولا حرارة ولكن مرارة برود تعال فكري وشيء من سخرية . غطاء كثيف يخفي حقيقة السريرة ولو كانت فيها اريحية من عواطف البيان والصدق الشعري لهتكته . في كلام إليوت روح سآمة كسآمة الليل والبعير الذي شبه به امرؤ القيس الليل لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء بكلكل ، وكسآمة الحبلى التي ذكرها امرؤ القيس فزعم انه الهاها عن طفلها ذي التمائم المحول .

إذا ما بكى من تحتها انصرفت له
بشق .... (الى اخر البيت)

وقد استفحش النقاد هذا من مقال امرىء القيس وعذلوه عليه وعابوه وابى الشعراء من بعد إلا ان يحاكوه فيه ويسرفوا كالذي صنعه سحيم عبدبني الحسحاس في يائيته « عميرة ودع ان تجهزت غاديا » :

وفيها وجدان وغرام وفتك وكالذي صنعه بشار في الرائيتين ، المقيدة التي يقول فيها :

أفتي بـدد هـذا لعبي
ووشـاحي حله حتى انتثر

والمطلقة التي يقول فيها :

قولي لها بقة لها ظفـر
إن كان في البق ما له ظفر

وفي كتبهما تهتك وزندقة ومجون .



عزرا باوند — جرارهوبكنز

وهل نظر بعض شعرائنا المعاصرين إلى عنيزة امرىء القيس وإلى دعوي التحضر والتقدم بالنظر إلى عنيزة وجبة طعام ارض إليوت المقفرة اليباب الخراب ؟ هذا باب يكتفى فيه بمجرد الاشارة واللمح .

اثر البديع في اوزانه

ويبقى وزن إليوت . ومداره كما يذكر نقاده على محاكاة نبرات الكلام المألوف وعلى الجناس الداخلي وعلى سجعات القوافي وهذا امر خالف فيه اصحاب الشعر الحر الفرنسيين ومن مال إلى مذهبهم وقد تاثر فيما ذكروا بازرا باوند وقد سبقه في مذاهب من النظم جرارد مانلي هوبكنز Gerard Manley Hopkins

ومرجع إليوت في ما يذكر إلى نموذج من الشعر الانجليزي القديم الذي يقال له المتوسط مثل منظومة وليم لانجلاند (ولا يكادون يستشهدون إلا بها) التي اسماها بطرس الحراث (William Lang Land ولد ١٣٠٢ م وتوفى ١٤٠٠ م) – بطرس الحراث Piers Ploughman

وعندي ان الجناس الحرفي او الداخلي ليس باصيل في اللغة الانجليزية على اتصاله باوائلها ولكنه اخذت اصوله من البديع العربي إذ هو قد كان النموذج الادبي البراق المحتذى في القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي فما بعدهما وقد كانت امة العربية انئذ هي امة المدنية الكبرى المرموقة في ذلك الزمان – تحاكى اساليب حياتها وادابها كما نفعل الآن بتقليد الافرنج . ذكر صاحب الذخيرة نقلا عن المؤرخ ابي مروان ابن حيان في صفة ريموند صاحب برشلونة (ص ١٥٥ القسم ١ ج ١) : « فإذا هو جالس على مرتبته عليه من ثياب المسلمين » ا . هـ .

امر اخر ينبه إليه مما عسى ان يكون إليوت قد اخذه ايضا من اساليب العربية ، هو مذهبه في غرابة التشبيه . ويوقف كثيرا عند قوله في احدى منظوماته :

Let us go then, you and I
When the evening is spread out against the sky
Like a patient etherised upon a table

اي :

دعنا إذن نذهب انت وانا
عندما يكون الليل قد مدد بازاء السماء
مثل مريض بنج على منضدة « العمليات »

ووصفه برغونزي بالجمال والغرابة (ص ١٥)

التشبيه المقلوب

والحق ان تشبيه إليوت ههنا جار على ما يسميه البديعيون بالتشبيه المقلوب . المريض ساعة الغيبوبة والامتداد على المنضدة هو المشبه بغروب الشمس إذ كمفاجاة غشيان الظلام الافق تكون مفاجاة غيبوبة المريض بالبنج .

من امثلة التشبيه المقلوب المعروفة :

وبدا الصـباح كأن غرته
وجـه الخليفة حين يمتـدح

وما الأمر إلا ان وجه الخليفة المشرق بغرة الانشراح للمدح قد صار جسم مريض ممدودا على منضدة عملية . وغرة الصباح الباهرة صارت غروبا ... هل اخذ إليوت من ههنا ام هو توارد خواطر ؟ لعله توارد خواطر ولكنه بلا ريب تشبيه مقلوب . صناعة وبديع مصقول متكلف لا اكثر ولا اقل .

اشهد ان اول مادعا إلى الشك في اصالة إليوت في منظومته The Waste Land (الارض المقفرة) ما قدمته من ارتياب النفس من تعليقاته ومن حذفه اسم العرب واسماء من تاثروا إليهم ومن غلبة البرود والتنطس على اسلوبه ومذهبه ومن الفتنة المفرطة به ولا سيما من ليست لغتهم بلغته وفي لغته على اهل لغته هو الانجليزية عسر شديد ، حتى المعجبون به ذكروا ذلك . مثلا قال انتوني بيرغس Anthony Burgess في كتابه من الادب الانجليزي طبعة ١٩٨٠ م وهو من المعجبين باليوت ان منظومته The Waste Land (الارض المقفرة) فيها عسر ومشقة على القارىء وذكر من بين اسباب ذلك كثرة الاشارات والاقتباسات والاخذ من ادب اوروبا والهند وتداخل الصور إلى اخر ما قال .

الاخذ بلا اعتراف

ومع ان تاريخ كمبردج للادب الانجليزي يعد إليوت من ثلاثة العصر في الشعر الانجليزي الكبار ، مع هذا عاب عليه كثرة اخذه من دون اشارة إلى موضع الاخذ او علامات تدل عليه وقال إنه كان يلزمه بيان ما اخذ وما استعار . والمع تاريخ كمبردج إلى انه إن يك المراد من هذا الحنين إلى الماضي هو التعبير عن الضجر عن العصر باسلوب ادبي ، فان ذلك غير خارج عن

نطاق الأساليب التقليدية ، ونص عبارة تاريخ كمبردج هو كما يلي وما قدمناه فحواها وملخصها (ص ٨٥٣) :

But we may doubt whether the disgust with the realities of the modern world, and the nostalgia for the past, not in its own kind of disgusting reality but as abstracted in literature and art, is anything more than a traditional literary device.

كلمة صدق تقال للمفتونين بايليوت: إن كتمانه وسرقته ودينه للمعلقات وشعر العرب من طريق مستشرقى الهند وفرنسا والمانيا وهارفارد وجامعتى اكسفورد وكمبردج ومن يكون لاقاه فيهما وفى غيرهما وشافهه . ينبغى ان يكون ذلك موضع زراية به ونفور عنه لا فرط إعجاب به وإقبال عليه .

اسال الله ان تكون الموضوعية النقدية لنا رائدا ودليلا فى ما نقدمه من حدس مرتب على مشابه قوية وملابسات دليلها قاطع ، وقد اكتفيت فى اكثر ما قدمت بالصدر الأول الأكبر من منظومة The Waste Land خشية الاطالة إذ ليس هذا مجالها وإنما مرادي التنبيه . ولقد اقبلت على كتابة هذه الكلمة الموجزة فى بابها ، وحسبك من القلادة ما احاط بالعنق ، بعد مناقشة مادتها الأولى وجملة معناها مع زملاء فضلاء وطلبة اذكياء واساتذة علماء وغيرهم من المعارف والأصدقاء . فمنهم من نبه على ما لم اكن له متنبها ومنهم من اعان على تيسير المراجع او دل عليها ومنهم من ساهم بالرأى وبالكلمة المفيدة ـ من ذلك مثلا ان عنوان إليوت (لعبة الشطرنج A Game of Chess لا يخلو من نفس امرىء القيس إذ كان يلعب النرد لما جاءه خبر مقتل ابيه ومن ذلك مثلا قول إليوت

Let us go then, you and I

فيه شبه بصياغة الأمر فى نحو :

قفا نبك من ذكرى ..

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ..

خليلى عوجا من صدور الرواحل ..

قفي قبل التفرق يا ظعينا

ونحو هذا كثير . ونحو هذا القول محتمل . إلا اننى ارجح ان يكون إليوت اقتدى بطريقة شكسبير ومعاصريه ، نحو قول شكسبير فى مسرحية ريتشارد الثانى الملك على لسانه :

Of comfort let no man speak

اي لا يتحدثن امرؤ عن الراحة . وفيها

let us sit upon the ground

اى لنجلس على الأرض . ويعجبنى منها قوله





وليم بليك — اندرو مارفيل

(راجع التماسة عزاء ص ٤٤) :

Let's talk of graves and worms and epitaphs
Make dust our paper and with rainy eyes
Write sorrow on the bosom of the earth

وترجمته التقريبية (التماسة عزاء ٤٤) .

هلموا عن الاجداث والدود والرثا
حديثكمو ثم اجعلوا الترب قرطاسا
ومن اعين تهمي بكالغيث سطروا
على ثدي هذى الارض للحزن انفاسا

وشبه كلام شكسبير بقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، فى نمط الصياغة غير بعيد .

وقال درايتون Drayton من معاصري شكسبير :

Since there is no help, let us kiss and part

واقرب مايترجم به هذا شطر بيت المثقب العبدى

(افاطم قبل بينك متعيني)

وليس بجد بعيد من : فسلي ثيابي من ثيابك تنسل .

توارد الخواطر كثير فى المعانى الانسانية ، ولكن روح التعبير هنا عربي المعدن وكان الاخذ فى زمان النهضة الأوربية عن معارف العرب وادابهم امرا شائعا .

واخذ إليوت عن شعراء الانجليزية خاصة قد كفانا مئونته نقاده ، حتى بيرغس الموالى له لم يغمض فيه وتاريخ كمبردج للأدب الانجليزى الذى سبق ان احلنا عليه من قبل قد بكت إليوت كما مر على الاخذ بلا اعـــتراف او تعليق ونعى عليه استعمال التضمين والاقتباس بطريقة انه صارت من بعد مجرد حيلة اسلوبية عند مقلديه الكثيرين او كما قال (ص ٨٥٣) :

.... A mere trick of fashion in his numerous imitators

هذا ، ومنهم ــ اى ممن ناقشت ــ من حث حثا على تدوين ما بدا خشية ان يؤخذ من المشافهة فاسبق إلى نشره ولا يشار إلى المصدر . وهذا قبيح . ولكن ليس السبق إلى النشر هو الغرض . ولكن الغرض هو التنبيه على كتمان إليوت تقليده لطريقة العرب فى صياغة القصيد ـ وقد عرف العرب التضمين والاشارة وغرائب من البديع مع الذى سبق توضيحه من مذهبهم فى الوصف وتداعى المعانى على النحو الذى بين جانبا منه ليال فى مقدمته القيمة .

ليعى بعضنا صياغة القصيد الذى لو اقبلنا على درسه لاغنتنا روائعه اسلوبا تقليديا .. ويسمون إبداعا تقليد إليوت الذى يقلده ، فتأمل .

باب للقول فيه متسع

الآراء التى بثثت بطرف منها ههنا قديمة عند كاتب هذه الأسطر المع إلى بعضها فى حديثه عن ابى الطيب الذى القاه فى المهرجان الذى أقيم له ببغداد فى تشرين الثانى سنة ١٩٧٧ م وطبعت فى سفر بعنوان الطبيعة عند المتنبى . وقد جاء فيها ذكر اخذ الشاعر اندرو مارفيل فى منظومته البستان The Garden من :

(مغانى الشعب طيبا فى المغانى)

واخذ وليم بليك فى منظومته عن النمر من اسد ابى الطيب الذى ما قوبلت عيناه ..

ما قوبلت عينـــــاه إلا ظنتا
تحت الدجى نار الفريق حلولا

وهذا باب يتسع فيه القول ومجال البحث .

ولله الحمد فى المبدأ او الختام .

وعلى رسول الله الصلاة والسلام ، وعلى اله وصحبه اجمعين ،

د . عبد الله الطيب

اعتذار وتصويب

تعتذر ـ الدوحة ـ عن خطاين وقعـــا فى الجزء الاول من هذه الدراسة الجامعة ، والمنشور فى العدد ٧٤ ـ ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ ـ فبراير ١٩٨٢ م . ففى السطر الاول من العمود الثالث فى ص ٢٨ سقطت جملة هى : (وكان اليوت معروفا بالانحراف عن جون ملتون الشاعر الانجليزى الكبير ثم تجيء بعدها الجملة (ومن جون ملتون الخ) .

وفى السطر ١٠ من اخر ص ٣١ من اخر العمود الثالث وقع خطأ مطبعى وهو (بمملكة محدودة المدة) وتصويبه (بمملكة محدودة المدى) .

أحمد بهاء الدين شاعرًا

● يعرف القراء « احمد بهاء الدين » كاتبا عربيا كبيرا ، تتميز كتابته بالعمق والجراة والوعى والثقافة والصدق والنزاهة ، ولعل الكثيرين من القراء قد لاحظوا ما فى كتاباته من سلاسة وعذوبة وجمال ادبى حتى وهو يكتب فى اعقد المشاكل السياسية ، وقد كشف الكاتب الباحث الاستاذ صلاح عيسى فى رسالة إلى الدوحة عن جذور هذا الجمال الذى نلاحظه ونستمتع به جميعا فى كتابات بهاء وذلك عندما ارسل إلينا هذه « القصيدة » التى كتبها احمد بهاء الدين فى مطلع شبابه والقصيدة تكشف ان بهاء الذى أعطى معظم جهده الفكرى للسياسة والبحث الاجتماعى والتاريخى ، قد بدأ شاعرا ويبدو ان الشاعر أحمد بهاء الدين قد تسلل واختفى بين سطور مقالات الكاتب الكبير فاعطاها قيمتها الجمالية بالاضافة إلى قيمتها الفكرية ... وهذه هى قصيدة احمد بهاء الدين التى نشرها فى مجلة « الفصول » القاهرية سنة ١٩٤٧ ... والقصيدة على جمالها وطرافتها فيها خطا نحوى واحد ، حيث استخدم الشاعر الشاب أحمد بهاء الدين فعل « تريدي » بدلا من الفعل الصحيح تريدين ، وهو خطا « هين » من اخطاء البداية ـ والقصيدة نفسها بعد ذلك تكشف عن لحظة تاريخية من لحظات الأزمة الوطنية فى مصر ، ففى سنة ١٩٤٧ كانت مصر تعانى ضغوطا عديدة من الاستعمار وحكومات الاقلية التى لا تهتم بمصالح الشعب .

يا مصر لو شئت الفدا وجدتنى
فى مطلع الابرار واسمك فى فمى
وكما رويت بماء نيلك غلتى
اروى ثراك بما « تريدى » من دمى
زمنى يضيع وكل يوم فيه يطوى لى امل
وانا هنا استعرض الايام .. لما ترتحل
لا استطيع السير فى تيارها او انتقل
واذا جروت وقلت امشى كم تضيق بى السبل

* * *

لقطة: أحمد شوقي وأحمد عدوية

● لا يزال الاديب العربى بالرغم من الادعاءات والجعجعات هو شحات هذه الامة ، فلا احمد شوقى بلغ مرتبة احمد عدوية ، ولا محمود سامى البارودى مثل محمود شكوكو ، ولا بنت الشاطىء مثل بنت بديعة ! ومنذ سنوات قليلة مات شاعر عظيم من الجوع هو عبد الحميد الديب ، ورثاه كامل الشناوى بكلمات بليغة : « اليوم مات شاعر تعرى واكتست الاضرحة ، وجاع وشبعت الكلاب !! »

وبالامس القريب مات فنان واديب كان تحفة زمانه ونادرة عصره واوانه هو زكريا الحجاوى ، وكانت امنيته الوحيدة ان يجمع عشرة الاف جنيه يعود بعدها إلى قريته ليعيش ما تبقى من عمره فى هدوء ! وفى الستينات مات العالم والاديب والناقد انور المعداوى لأنه لم يستطع الحصول على تكاليف علاجه فى الخارج . وهى وصمة عار فى جبين امة يحسدها الغرب على غناها ، وتتحالف ضدها كلاب الارض طمعا فى ثروتها .

محمود السعدنى

عن جريدة « السياسة » الكويتية

* * *

الاغتراب

● كتاب هام صدر اخيرا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر « وصاحبها ومؤسسها هو الدكتور عبد الوهاب الكيالى الذى تم اغتياله فى مكتبه بالمؤسسة منذ شهرين » ـ مؤلف الكتاب هو ريتشارد شاخت ومترجمه هو الاديب العربى يوسف كامل حسين . ويعالج هكذا الكتاب مفهوم الاغتراب فى الفكر والأدب منذ سنة ١٨٠٠ إلى اليوم ويقول المؤلف فى مقدمة كتابه الهام : « اصبح من المألوف فى الوقت الراهن بصورة متزايدة ان نسمع عن تفسير الحياة فى عصرنا الحالى من خلال مفهوم الاغتراب ، وحينما يقرر كتاب المقالات النقدية عن الكتب والأفلام والمسرح ، ان عملا ما يعالج الاغتراب وما اكثر ما يقومون بتقرير ذلك ، فانهم يقصدون ان ينقلوا لقرائهم فكرة ان هذا العمل يعالج احد جوانب « مأزق الانسان المعاصر » او الورطة التى يعانيها قطاع يعتد به من أبناء المجتمع المعاصر ، ويذهب المعلقون الاجتماعيون على نحو متزايد إلى القول بان الاغتراب هو واحدة من اضخم المشاكل التى تواجهنا اليوم ، وهم يرونها متمثلة فى الهوة بين الأجيال ، فى ظاهرة شباب الهيبيز ، فى الحركة المناهضة للحرب ، فى أزمة الثقة السائدة ، فى حركتى الثقافة السوداء ، والقوة السوداء !!

* * *

استقالة

● كتب الناقد المعروف الدكتور لويس عوض إلى أصدقائه فى الوطن العربى وفى الغرب رسالة مكتوبة على الالة الكاتبة تم توزيعها على نطاق واسع ، هذا نصها :

« د . لويس عوض يتشرف بابلاغ اصدقائه بانه قد استقال من عمله فى مؤسسة الأهرام اعتبارا من أول يناير سنة ١٩٨٢ وسوف يمكن الاتصال به فقط فى العنوانين الموضحين فى



احمد بهاء الدين



لويس عوض



محمود السعدني

هذه البطاقة :
المنزل : شارع القصر العيني رقم ٤٤ شقة ١٦ ــ القاهرة تليفون ٣٣٢٠١ مكتب خاص : شارع الهرم رقم ١٧٥ شقة ١٦ الجيزة تليفون : ٨٥٦٢٣٤ .

* * *

أزمة الكتاب العربي في أرقام

اصدرت اليونسكو احصائية تقول فيها : إن عشر دول عربية أصدرت سنة ١٩٦٥ ما مجموعه ٥١٩٩ موزعة كالآتي :

مصر	:	٣٢٥٥	كتابا
سوريا	:	٤٥٨	كتابا
لبنان	:	٣٧٣	كتابا
العراق	:	٢٦٨	كتابا
تونس	:	٢٠٠	كتابا
الأردن	:	١٦٢	كتابا
المغرب	:	١٦١	كتابا
الجزائر	:	١٣١	كتابا
الكويت	:	١١٣	كتابا
السودان	:	٨٣	كتابا

وفى سنة ١٩٨١ نقص انتاج العالم العربي من ٥١٩٩ كتابا إلى ٢٨٥٠ كتابا .

وهذه الكتب التى صدرت سنة ١٩٨١ موزعه كالآتي :

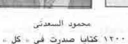
١٦٥٠ كتابا صدرت في بيروت وحدها .

١٢٠٠ كتابا صدرت في « كل » الدول العربية !

الكتاب العربي في ازمة .

هذا ما تقوله إحصائية اليونسكو بالأرقام .

* * *



من الأرشيف الأدبي :



جماعة الفن المنحط

● هذا مقال كتبه الأستاذ عزيز احمد فهمي سنة ١٩٣٩ ، وفي ذلك العام تكونت في مصر جماعة باسم « جماعة الفن المنحط » ، وقد فشلت هذه الجماعة ، وفشلت كل جماعة على شاكلتها ظهرت منذ ذلك التاريخ فكل « التقاليع » لا تعيش ولا تنجح ، إنما ينجح الصدق والعمق والاحساس بالمسئولية فى الفن والحياة معا .. وهذا هو مقال عزيز احمد فهمي عن جماعة الفن المنحط التى انشئت سنة ١٩٣٩ وماتت في نفس العام :

تألفت فى مصر جماعة من الفنانين سمت نفسها « جماعة الفن المنحط » ، وهى اليوم فى طريقها إلى التفرق والتحلل لانها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع إذ لم يزرها فى دارها بشارع المدابغ كاتب ولا صحافي ولا زائر عادى يستمع إلى دعوة أفرادها .

« والفن المنحط » الذي تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن ان يقال إنه منحط فعلا مادام يجد من يقول عنه إنه فن . إذ انه لا يمكن ان يكون الفن فنا ومنحطا فى الوقت نفسه إلا إذا كان كاذبا .

فالفن هو نتاج الحس لا الفكر .

ومتى توفر فيه الصدق فانه سام رفيع ، ولا يفسده شيء ولا يخفض من شانه شيء إلا ان يكون تكلفا ، فهو عندئذ ليس فنا وإنما هو تهريج وتجارة . وإذا دعا شاعر إلى « التحرر » فى شعره وحسنه للناس وزينه لانه يحبه ويجد فيه لذته النفسية ، ولانه يعبر عن هذا الذي يجده تعبيرا صادقا فلا ريب ان فنه يبهر القارئين لانه ينفذ من نفسه إلى نفوسهم فاما ان يرضيها وإما ان يؤلمها ويسخطها . وكذلك الرسام المعجب بالاجسام الذى يصور محاسنها فهو عند الفن ناجح وقادر وعال ما دام يتذوق هذا كله ويعبر عنه صادقا فى تذوقه وتعبيره . فاذا شاعرنا للمعانى الروحية المجردة التى لا يحبها هو ولا يتذوقها واراد بتعرضه لها ان يجارى أصحابها وان يقال عنه إنه ملهم روحانى متصوف فانه سينحط ويضعف لانه سيحتاج فى إخراجه إلى الكذب والتزييف والتزوير .

وكذلك رسامنا إذا انحرف عن مزاجه إلى مالا تلتفت إليه نفسه من الجمال الروحى لغرض من الاغراض فانه يكون عندئذ كاذبا ومنافقا ويكون رسمه منحطا حقا .

فاذا كانت جماعة الفن المنحط قد تالفت من أفراد صادقين فى شعورهم ففنهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط . أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط ففنهم منحط حقا لا لشيء إلا هذا التكلف ..

من روائع الأدب العالمي

النورس الرمادي

للكاتب الأيرلندي : أوفلاهارتي

ترجمة : عادل شريف

رسم : حلمي التوني

يعتبر ليام اوفلاهرتى من المع نجوم الادب الايرلندى المعاصرين الذين ادخلوا الكثير من الحيوية والتجديد والقوة والبهجة والعصرية على النثر الانجليزى فى الثلاثين عاما الماضية وتعتبر كتابات اوفلاهرتى اصدق مثال على ذلك . وقصته القصيرة النورس الرمادى (والنورس طائر بحرى شهير) من احسن ما كتب افلاهرتى لانها تضم تركيبة ذكية لملامح عن الخيال والحقيقة .. وهما ابرز صفات الشخصية الايرلندية .. على مر العصور ! ..

ونصيحة خالصة للقارىء العزيز . فمن يريد ان يعيش هذه القصة ويستمتع بها فعليه ان يجهز عليها فى جلسة واحدة .. غير مجزأة ! والذى لن ياخذ بالنصيحة لن يستطيع ان يحلق فى سماء الخيال مع « النورس الرمادى » .وستنقطع انفاسه وهو يجرى على الارض محاولا اللحاق .. به .



اجتمع كل افراد عائلة ديسى حول مائدة غرفة الطعام بعد تناول العشاء فى « كيلفيتان هاوس » بعقد مجلس عائلى وقد خيمت الكابة على نفوسهم جميعا . وكان ذلك الاجتماع قبل ثلاثة ايام من سباق « كولاغ هنمت » السنوى للخيول وكان سبب حزنهم هو عدم عثورهم على فارس يقود حصانهم ذا الاعوام الخمسة « النورس الرمادى » والذى كانوا يأملون ان يفوزوا به بجائزة السباق الشهيرة « طبق ليوسبون » . وكان المفروض ان يركب الحصان روجر الابن الاكبر ذو العشرين عاما ، ولكنه كان يجلس إلى اقصى المائدة وقد لف ذراعه اليمنى فى جبيرة وضمادة بعد ان كسرت منذ اسبوعين وهو يدرب « النورس الرمادى » على القفز من فوق الحواجز .

وقد حاولت العائلة عبثا ان تجد بديلا لروجر . ونجمت المتاعب عن عدم سماح « النورس الرمادى » لاى شخص اخر بامتطاء صهوته لمدة تزيد عن .. ثانيتين او ثلاث توان ! ولذلك كان ال ديسى يواجهون موقفا لا يحسدون عليه . وقطع روجر الصمت الطويل الذى ران على العائلة قائلا « يجب الا نياس » .. ان « النورس الرمادى » ليس متوحشا حقيقة .. إنه متوتر الاعصاب فحسب ، ولا يحب غير عدد قليل من الناس ولو امكننا العثور على شخص يسمح له « النورس الرمادى » بركوبه .. لامكنه ..

قاطعه السيد ديسى فى لهجة حزينة « لا فائدة من ان تخدع نفسك يا روجر اكثر من ذلك فاننا لا نستطيع ان نجد فارسا له . هذا هو حظنا . انه حظ ال ديسى . ولا يمكن ان نقاوم ما قسم لنا . ان هذا النحس يطاردنى طيلة حياتى » .

ردت السيدة ديسى « هذا كلام فارغ يا جون » . ولكن جون رد عليها « بل هى الحقيقة يا دوروثى .. ويجب ان تدركى هذه الحقيقة بعد ان استمر زواجنا اثنين وعشرين عاما » . فعادت السيدة ديسى « لا يوجد شىء اسمه حظ ال ديسى السيىء . لقد تعبت وسئمت من اتخاذه عذرا للكسل والعجز والجنون المطبق » .

وكان السيد ديسى يبدو عليه بعض الجنون فعلا وهو يحملق فى زوجته . وكان جون ديسى رجلا طويل القامة نحيلا وفى الواحدة والستين من عمره ، وله نظرة وحشية فى عينيه السوداوين ، وكانت هناك ندبة كبيرة على صدغه الايمن نتيجة سقطة من على حصانه فى شبابه عندما كان يشترك فى سباق الحواجز .

وصاح الرجل متهكما « حقا .. ان هذا لشىء جميل تقولينه امام الاولاد فى لحظة كهذه ، عندما اكون فى احلك اوقات شقائى بينما يمكن لكلمة حلوة ان تجد لى مخرجا من مازقى . انك لرفيقة ممتازة لرجل فى ورطة ! » .

فقال روجر « لا تحزن يا ابى ولا تلق بالا لما تقوله امى . انها تحب ان تسمع نفسها وهى تتكلم .. هذا كل ما فى الأمر» فانفجرت السيدة ديسى صائحة « لا اريد ان اسمع مزيدا من وقاحتك يا روجر . انك منذ بدات تقلد اباك وتقامر وتشترك فى سباق الخيل ، فقدت كل اخلاقك الطيبة واحترامك للكبار . لقد اصبحت « ديسى » حقيقيا » ! وهنا تدخلت العمة بنيلوبى فى الحديث قائلة « ما هذا كله ؟ يجب ان يكون حديثكم مهذبا انكم لن تحصلوا على فارس يتبادل الشتائم واذا كان من الممكن الحصول على اى شىء باستخدام الشتائم ، فان هذه العائلة ستصبح حتما اغنى عائلة فى كل البلد » .

وضرب السيد ديسى المائدة بقبضته وهو يرغى ويزبد وصاح « انكم تبحثون عن الحظ .. لقد حاولت طيلة حياتى ان اربى حصانا ممتازا يتخصص فى سباق الحواجز .. ونجحت فى اخر الامر وانا قاب قوسين من قبرى .. وليس من شك فى انه جواد ممتاز حقيقة .. بل اقسم انه اكثر من ممتاز .. رغم انه لم يختبر فى سباق تشترك فيه جياد من الدرجة الاولى .. وتستخدم فيه الحواجز العالية،لو تمكنت من إشراكه فى السباق كما ينبغى لحصلت من ورائه على عشرة الاف جنيه فى عام واحد . فصاحت السيدة ديسى فى احتقار : « تقصد عشرة الاف .. زيادة ! » .. فصاح السيد ديسى فى عصبية : « لا توجد كلمة كاذبة واحدة فى كلامى .. فهناك مئات من الانجليز فى طريقهم الان إلى ايرلندا من اجل تناول اللحم الايرلندى الطيب .. وقد امتلأت جيوبهم بمال وفير .. وعندما تمتلىء بطونهم بشرائح اللحم اللذيذ تغمرهم السعادة إلى حد الشعور برغبة شديدة فى شراء جواد متخصص فى سباق الحواجز وفى الفوز بالسباق الوطنى الكبير . وهم يدفعون اسعارا مذهلة للخيول العجوزة التى لا تستحق الشعير الذى تاكله » .

وكررت السيدة ديسى نفس الجملة « عشرة الاف اكذوبة ! يا جون لو كنت تهتم بزراعة ارضك او بتربية الماشية ... » فقاطعها روجر : انه على حق يا امى وما يقوله حقيقى ، وانا أعلم ان اللورد ديليسك قد حصل على اربعة الاف جنيه ثمنا لجواد اسمه سيمبلتون ، رغم انه كان قد اشتراه من بارنى غولدريك ثلاثة مائة وخمسين جنيها منذ شهرين . الا تذكر يا ابى ؟ وكان كل الناس يقولون إنه كان مجنونا عندما دفع هذا المبلغ لبارنى !

فقال السيد ديسى : هذا صحيح لقد قبض اربعة الاف من الجنيهات ثمنا لسيمبلتون وهو جواد عمره عشر سنوات ولم يفز ابدا باكثر من الجائزة الثالثة . يا لمهارة ديلسك ! اننى استطيع ان اكون فى مثل مهارته ، إذا تمكنت من الحصول على فارس النورس الرمادى . ولو تمكنا من الفوز بجائزة طبق

النـــــورس الرمـــــادي

ليوســبون بفضل هذا الفارس وجوادى ثم فزت بسباقين اخرين ، لحصلت على ما يكفينى من المال لاشترك به فى السباقات الكبرى . وبعد ذلك يمكننى أن اذهب إلى بانشتون فى العام التالى ، واذا ربح جوادى هناك فسيعترف به كبطل ، ويمكننى ان احصل على برميل من المال ثمنا له .. وهنا قالت السيدة ديسى : ان كل فرد من ال ديسى ولد مجنونا ويموت مجنونا . بلا اى فترة من فترات العقل طيلة حياته . لو قمت بعمل امين بدلا من ان تحلم بهذه المشروعات لتحصل على الثروة بسرعة ، لما كنا بلا رصيد فى البنك ولما خجلنا من الظهور فى البلدة بسبب كل الديون التى علينا . فقالت بنيلوبى : ان هناك قدرا كبيرا من الحقيقة فيما تقولينه يا دوروثى . ولكن اود ان اوضح ان عائلتك ال فيتزمورس ليست مثلا صادقا على النجاح والاقتصاد . هل هى كذلك الآن ؟ .. فقال السيد ديسى « كفى يا بنيلوبى ، لا تتدخلى فى الأمور الشخصية » فقـــال بريان وهو فتى احمر الشعر فى السابعة عشرة من عمره « يا الهى الا يمكنكم ايها الكبار ان تحاولوا التفكير فى شخص اخر ليركب النورس الرمادى بدلا من ان تتشاحنوا بمثل هذا الضجيج الشديد ! » . فقال السيد ديسى « اننى اسوا الرجال حظا على ظهر الأرض ، فبعد ان فقدت الامل فى تربية جواد ممتاز ، وهبتنى العناية الالهية بطلا ، ثم اتضح ان البطل متوحش ! » فصاح روجر مستنكرا : « ان النورس الرمادى ليس متوحشا يا ابى لماذا تكرر انه متوحش ؟ » فقال السيد ديسى « اذا لم يكن متوحشا .. فاننى لا افهم شيئا فى الدنيا .. انى لم أر فى حياتى مخلوقا أكثر وحشية من هذا الجواد» فقال روجر : «ولكنه سلس القياد مع اى شخص يحبه . ان له فم ملاك ! فكيف يكون متوحشا وله مثل هذا الفم الجميل ؟ » فرد السيد ديسى « عندما يرانى ذلك الحيوان قادما فانه يكشر عن انيابه ويطلق صيحة تخيف اشجع محاربى الزولو » فقال روجر : « ان السبب هو اعصابه . فهو شديد الحساسية ، وهو لا يثق الا فى عدد قليل جدا من الناس ، فصاح السيد ديسى « : هل تقول عددا قليلا جدا من الناس ؟ . انـــه لا يسمح الا لك انت بالاقتراب منه ، وهذا يثبت انه مجنون . وكل حصان مجنون له نزعة مثل هذه ، ولا يسمح الا لشخص واحد بالاقتراب منه . اوه .. ما جدوى الكلام ؟ ان حظ ال ديسى السيىء هو الذى يطاردنى باستمرار » . فاردف روجر : « انه يسمح للعمة بنيلوبى ايضا بالاقتراب منه ، وهذا يثبت انه ليس مجنونا . بل انه يحبها أكثر مما يحبنى . او ليس ذلك صحيحا يا عمتى بنيلوبى ؟ » فقالت السيدة ديسى فى حقد : « هذا صحيح ، ولكن ذلك لا يثبت الا انه شديد الجنون حقا » فقالت بنيلوبى : « انك لا تفوتك اية فرصة يا دوروثى .. اليس كذلك ؟ » وهنـــا تقدمت الابنة الصغرى شالوت وهى فى السادسة عشرة من عمرها باقتراح مفاجىء فقالت فى صوت عميق : « اذا كان يكن مثل هذا الحب العميق للعمة بنيلوبى فلماذا لا تركبـــــه عمتى فى السباق ؟ » .

فنظر السيد ديسى والابناء الثلاثة إلى العمة بنيلوبى باهتمام بينما زمجرت السيدة ديسى باحتقار وواصلت حياكة صديريها فقالت العمة بنيلوبى فى سخط وهى تعود بمقعدها إلى الوراء « هـــــذا صحيح .. هيا اسخروا بامراة عجوز .. ماذا وراءكم غير هذا ؟ » وكانت فى الثالثة والستين من عمرها وشديدة الشبه باخيها ، اذ كانت طويلة القامة نحيلة ، ذات عيون سود وحشية اضفت على وجهها ذى الوجنتين الحمراوين بعض مظاهر الجنون وكان لها راس جميل رمادى الشعر . وفى شبابها كانت من أشهر الفارسات ، كما اشتركت بنجاح فى بعض السباقات المحلية ولكنها لم تركب اى جواد طيلة العشرين عاما الماضية بسبب ضعف نظرها . ومع كل ذلك فقد كانت ما تزال شديدة القوة والنشاط وتشتهر بكونها احسن منا فى كل المنطقة .

وتجمع الابناء الثلاثة حولها يحتجون باصوات عالية على اتهامها لهم بانهم يسخرون منها . وصاح روجر « انها فكرة مدهشة » وقال بريان « كان يجب أن نفكر فيها منذ زمن بعيد ، انك احسن فارسة فى كل المنطقة . لقد سمعت جاك هاينز البيطار وهو يقول ذلك ، ولا شك انه يعرف ما يقوله لانه كان فارسا ممتازا هو الآخر » .

وقالت شارلوت فى صوتها الرزين : «إننى فكر فى هذا الموضوع منذ يومين يا عمتى بنيلوبى ولكن لم تسنح لى الفرصة لاعرض فكرتى هذه » . فضرب السيد ديسى المائدة وقال فى كابة : « اجلسوا يا اولادى ولا تقولوا هراء ، انكم تعرفون ان امراة فى سن بنيلوبى لا يمكنها ان تقود حيوانا متوحشا مثل النورس الرمادى فى سباق طويل مثل هذا السباق ، ياللمصيبة ! ماذا سيحدث لو ثار الجواد ! » .

وصاح روجر فى صوت جاد : إنك مخطىء يا ابى ، ان النورس الرمادى رقيق جدا إلى حد انه .. « فقاطعته السيدة ديسى » : يجب ان تتذكر يا روجر ايضا ان العمة بنيلوبى عمياء كالخفـــــاش . فصرخت بنيلوبى مستنكرة « اننى لست كذلك ، اننى استطيع ان ارى احسن منك يا دوروثى . واستطيع ان ارى جيدا بنظارتى ولاثبت لـــكم ذلك فستامتطى النورس الرمادى غدا وسأثب به من فوق بعض الاسوار » ، واطلق الابناء الثلاثة صيحة فرح . وصرخ روجر : يا عمتى بنيلوبى العجوز المدهشة ! لقد كنت واثقا من شجاعتك . فقال السيد ديسى وهو ينهض مهلا يا اولادى .. يجب الا نقول كلاما بلا طائل .. لا يمكننى السماح لبنيلوبى بركوبه . اننى لن أستطيع ان اغفر لنفسى لو حدث لها اى شىء . فقالت بنيلوبى فى استعلاء : « لا تكن احمق يا جون ، اننى أستطيع الركوب مثلما ركبت فى شبابى ، كما أريد ان اثبت لدوروثى اننى لست عمياء » .

ومر السيد ديسى بيده على خده ، وظهر تعبير وحشى فى عينيه وهو ينظر إلى أخته . وبدا قلبه يدق بسرعة متزايدة وقال وهو يتنفس بصعوبة : « حسنا يا بنيلوبى ، اذا كنت حقا تريدين تجربته فليكن غدا .. » .

وفى الصباح التالى بدت بنيلوبى كطفلة عندما امتطت صهوة الحيوان الضخم وهى تضع نظارتها وترتدى سترتها الرمادية وسراويل الركوب .. وكان ارتفاعه يزيد على سبع عشرة قبضة (١٧٠ سم) ويتمتع ببنيان قوى . وصاح السيد ديسى فى اخته من بعيد « خذى حذرك الآن يا بنيلوبى » ولم يجرؤ على الاقتراب حتى لا يثور الجواد .

فقالت بنيلوبى « هراء .. دع العنان يا روجر .. لماذا تثور اعصابكم جميعا هكذا ؟ ، ان من يراكم هكذا يظننى طفلة فى الرابعة من عمرها تتلقى درسها الأول » .

وهمست للحصان وسارت به ببطء إلى المضمار نحو الميدان الكبير حيث بنى السيد ديسى بعض الحواجز لتدريب الخيل

الصغيرة . ولم يسلك النورس الرمادى سلوك الحيوان المتوحش على الاطلاق ، بل اطاعها واستكان لتوجيهاتها بطريقة مهذبة واعية .

وبعد ان خبت به حول الميدان فترة قليلة ركضته بسرعة ووجهته ناحية احد الحواجز فوثب من فوقه برشاقة . واظهرت بنيلوبى انها لم تفقد مثقال ذرة من مهارتها القديمة رغم انقطاعها عن الركوب ، وتحكمت فيه كمحترفة بعد وثبتها .

واطلق الاولاد صيحة هائلة وهم يرقبون الحصان والمراة العجوز صغيرة القد وهما ينهيان معا الوثبة بسلام . وابتسم السيد ديسى بسمة عريضة ليصيح روجر « الم اقل لك يا ابى ؟ ان النورس الرمادى يصبح فى رقة الحمل مع من يحبه . ارقبه وهو يثب من فوق الحاجز الثانى الآن . لقد ولد ليثب ! انه يتخطى الحواجز فى رشاقة غزال » .

وقفزت بنيلوبى والجواد من فوق الحاجز الثانى والثالث بنفس الأسلوب السليم ، ثم عادا إلى المضمار . وقالت بنيلوبى وهم يساعدونها على النزول : « ما رايكم ؟ . ان ذلك يثبت اننى لست عمياء » .

فقال « انك ممتازة ! ولكن هل تظنين انك تتحملين سباق ليوسيون وامياله الاربعة ؟ انه سباق عنيف » .

فصاح روجر « انها تستطيع .. واننى لواثق من ذلك » .

فقالت بنيلوبى عابسة : « أستطيع ان احاول بما اننا لا نستطيع العثور على فارس اخر . اننى اعلم يا جون كم انت تواق للفوز بهذا السباق وقيمته بالنسبة لك . ومن ناحيتى فان اهتمامى لا يقل عن اهتمامك لترى النورس البحرى وقد اثبت وجوده . اننى احب هذا الجواد واعتقد انه جواد ممتاز ، واريد ان تعرف الدنيا كلها طيب معدنه » .

ومرة ثانية اطلق الأولاد الثلاثة صرخة فرح واحتضنوا عمتهم .

وقال السيد ديسى « ان هذا يقرر الامر .. سنشترك فى السباق وستقود بنيلوبى الجواد . والآن علينا ان ندبر مبلغا نراهن عليه . ان اللورد ديليسك سيركب حصانا مرشحا للفوز ، ولذلك علينا ان نراهن على النورس الرمادى بنسبة خمســة إلى واحد على الأقل » .

وامضى الايام المتبقية على الســـباق محاولا جمع بعض المال ، ولكن حالت صعوبات جمة دون ذلك . فقد رفض الجميع إقراضه اى مبلغ .. لانه لم يكن موضع ثقة احد فى المنطقة ! فقرر فى نهاية الامر تدبير سبعة واربعين جنيها عن طريق بيع مجموعة جديدة من ادوات الركوب وبعض الأشياء الأخرى . وبالدقة فقد حصل على خمسة واربعين جنيها (وزجاجة براندى !)

وفى صباح يوم السباق قال لعائلته على مائدة الافطار « ان المبلغ ليس كبيرا .. ولكنه بداية على اى حال . ولو امكننى الحصول على نسبة اربعة او خمسة لواحد .. فاننا سنحصل على مائتى جنيه لنراهن بها فى السباق التالى » .

وفى هذه اللحظة القت العمة بنيلوبى خمسة جنيهات على المائدة امام اخيها وطلبت منه ان يراهن لها على النورس الرمادى ، واردفت « انها كل ما تبقى لى من ميراث عمى انتونى الذى تركه لى منذ ثمانية عشر عاما » .

فصاح السيد ديسى « يا لك من ســـيدة عظيمة » . فقالت السيدة ديسى بمرارة « ان التبذير الشديد يؤدى إلى الفقر الشديد . ففى هذه اللحظة لا اعلم من اين أستطيع الحصول على اوقية من الشاى أو رطل من اللحم على الحساب . كان يوما عصيبا حقا اشتدت فيه الريح وتخللته زخات من البرد متقطعة صحبها برد قارس .. ومع ذلك حضر جمهور غفير إلى بالماوزبورج حيث يقام السباق على قمم الجبال . وجاءت جماعات من الغجر من ست مقاطعات ، واوحى العدد الضخم من الخيام بان هناك جيشا يعسكر فى البرارى الموحشة . وبدا هؤلاء المتشردون يمرحون فى صخب منذ الاشراقة الأولى للصباح .. كانوا يشربون ويعزفون على الات الاكورديون . فاثاروا ضجة كبرى عندما بدأ السباق .

واخر ال ديسى وصولهم على قدر الامكان حتى يجنبوا النورس الرمادى الثـــورة الناجمة عن هذه الضجة والتى قد تتسبب فى عدم قدرتهم على كبح جماحه .

ورغم كل تلك الاحتياطات فقد ساء سلوكه وهم يقودونه وسط الزحام فى الطريق إلى حظيرة إعداد الجياد للسباق . ورغم جهود روجر لتهدئته فقد استمر الحيوان الضخم يرفس ويركل بوحشية حملت الناس على الفرار من طريقه فى فزع .

وصاح رجل فى نبرة ساخرة : هل هذا هو الحصان الوحشى الذى احضرته من بورنيو يا سيد ديسى ! وصاح اخر : هل ستاخذه إلى حديقة الحيوان ! ؟ . لا اظن ان هناك اى حديقة حيوان فى العالم تقبل مثل هذا الوحش .

وكاد هياج السيد ديسى ان يبلغ درجة هياج حصانه عند سماعه هذه التعليقات فهز عصاه فى وجه الجمهور ودفعت إجابته السريعة الغضبى الناس إلى مزيد من التهكم فصاح ديسى : ايها الجهلة المجانين اننى ساريكم حالا ما يستطيع هذا الجواد تحقيقه ايها الشحاذين القرود .

وقالت له زوجته وهى تمسكه من ذراعه : « اهدأ يا جون ولا تكن أحمق » : ومع ذلك فقد واصل صياحه لمعذبيه بينما زوجته تدفعه بعيدا عنهم بالقوة . وفى نفس الوقت عمدت بنيلوبى وروجر إلى قيادة النورس الرمادى إلى حظيرة اعداد الخيل بدون خسائر .

وتقدم اللورد ديليسك وابدى ملاحظـــة دفعت بالسيد ديسى إلى غضبه مرة أخرى عندما ساله اللورد ديليسك « هل حصلت على فارس لجوادك يا جون ؟ » فاجاب ديسى بتعال : نعم وانه لفارس يفوق الفارس الذى سيمتطى جوادك . فرد اللورد ديليسك بوقاحة : « احقا ! هل لى ان اعرف من هو هذا الفارس » ؟ وكان ديليسك رجلا فارع القامة جامد الوجه ذا شارب اسود وعيون زرقاء باردة تبدو وكانها تنظر بكراهية إلى كل إنسان . وكانت له شهرة مدوية كفارس ناجح ومرب لخيول سباق الحواجز . ولم يكن اقل نجاحا كبائع للخيول . إذ كان يبيعها للزوار الانجليز باسعار مرتفعة . وقبض السيد ديسى على يد اخته وصافحها بحماسة وفخر قائلا : « ان شقيقتى هى التى ستركب حصانى » ونظر ديليسك الى بنيلوبى التى بدت وكانها مرتجفة فى معطفها الباهت الواقى من المطر وعلى راسها قلنسوة الفرسان ، وقال لديسى وهو يرفع حاجبيه فى دهشة : « هل انت جاد فيما تقول ؟ » فرد السيد ديسى غاضبا : « ماذا تعني ؟ » فقال ديليسك « اذا سمحت لها بركوب هذا الحيوان غير المدرب فانك تكون كمن حكم عليها بالموت ففى مثل سنها تصبح اية كبوة قاتلة بالتاكيد » . فصاح السيد ديسى « هل قلت ان جوادى غير مدرب ؟ » . فرد ديليسك : « طبعا انه غير مدرب بالمرة . انه متوحش ولا يمكن السيطرة عليه فصرخ » ديسى : « هل تتعمد إثارتى ؟ » . ورد ديليسك : « على الاطلاق . اننى احذرك من اجل صالحك بالا تشرك الحصان فى هذا السباق » فصرخ السيد ديسى مستنكرا وقد اكفهر وجهه : « غير مدرب ؟ » فاجاب ديليسك : « ان ما يعلمه الجميـــع انك لا تستطيع الحصول على رجل فى كل المنطقة ليركبه . وسيشكل جوادك خطرا علينا جميعا اثناء السباق واشراكك له فى السباق ينم عن روح غيررياضية » ، ثم استدار بحدة وابتعد وصاح السيد ديسى

النــــــورس الرمـــــادي

وهو يهز عصاه « غير مدرب ؟ ايهـــــا المتعجرف الوقح ! يا سارق الخيل اللعين ! .

إنك متحامل على لانى رفضت عرضك لشراء جوادى . وهذا هو سر ضيقك ايها الشحيح التعس ! .

ثم استدار ليخاطب الناس التى تجمعت حوله وصاح « لقد جاء البخيل إلى منذ شهر مضى وعرض على شراء حصانى بمائتى جنيه . فقلت له إنى افضل النورس الرمادى على بيعه بذلك السعر . فعرض على مائتين وخمسين جنيها . فطردته من بيتى . وقلت له انى افضل الموت جوعا على .. » .

واضطرت كل العائلة الى الالتفاف حول الرجل الأحمق واستعطافه بحرارة حتى يوقف صياحه . وقد استدر منظرهم الشفقة وهم يقفون فى مجموعة صغيرة بملابسهم الرثة ووجوهم الوحشية وجوادهم المتوحش كقطيع من الذئاب الجائعة تحيطه جمهرة من الناس تعبث بها .

وقال السيد ديسى بعد ان استعاد بعض هدونه « حسن .. سنرى من منا سيضحك اخيرا .. بعد السباق » .

وعندما ذهب إلى سمسار رهانات السباق ليراهن قبل السمسار ان يراهنه بنسبة عشرة إلى واحد وقال وهو يضحك « إننى اكره ان استولى على نقودك ياسيد ديسى . ولكن الشغل شغل ! » فقال السيد ديسى وهو يغادر مكتب الرهانات « انك لن تحتفظ بنقودى .. فترة طويلة ! »

وكان السيد ديسى يبدو واثقا إلى درجـــة حدت بالسمسار إلى ان يهمس فى اذن احد معاونيه « اذهب وراهن على النورس الرمادى بنصف المبلغ الذى راهن به السيد ديسى .. فمن يدرى ما سوف يحدث ! ربما يكون هذا المجنون قد اعد لنا مفاجاة .. ان المعجزات تحدث فى السباق دائما . وقد تفوز المراة العجوز ! .

فقال المساعد وهو يسرع ليراهن : « لو فازت .. فستكون هذه اعجوبة الاعاجيب ! »

وعندما حان وقت امتطاء بنيلوبى لصهوة النورس الرمادى . طلبت من اخيها بعض الشراب . ففتح السيد ديسى الزجاجة واعطاها لها وقال : « لا تشربى كثيرا والا دارت راسك . انك فى حاجة إلى الاحتفاظ باعصابك .. صدقينى . وتذكرى دائما ان تتبعى جواد ديليسك حتى تجتازى الحاجز الأخير .. ثم اسبقيه » .

ورغم تحذير اخيها شربت بنيلوبى جرعة كبيرة . ثم ثبتت نظارتها بشريط لاصق قبل ان يضعوها على ظهر الجواد وقالت لها السيدة ديسى « وداعا يا بنيلوبى .. وتذكرى اننى لا احمل لك اية ضغينة » . فقالت بنيلوبى : « انك كالدواء المر يا دوروثى .. فحتى هذه اللحظة لا يمكنك ان تتوقفى عن طعنى من الخلف .. انك تتحلين بصفات ال فيتزموريس من قمة الراس الى اخمص القدمين » فقال السيد ديسى وهو يمسك بركبة اخته : « كفى ذلك الان يا بنيلوبى » .

وتذكرى ما قلته لك . انك لا تعرفين مجرى السباق . ولذلك عليك الا تندفعى إلى المقدمة الا بعد ان تنتهى من الحاجز الاخير . فالطريق يستقيم من بعد . حتى نهاية السباق . اتبعى دن إيمر حتى الحاجز الاخير ثم اطلقى لجوادك العنان ويمكن لو سقط دن إيمر قبل ذلك . فدعى جوادا اخر يقودك إلى الحاجز الاخير . اتمنى لك حظا سعيدا ولا تمنحى ديليسك فرصة ليخدعك بخدعه القذرة . فذلك الوغد لن يتورع عن اى شىء .

واصبح النورس الرمادى فى وداعة الحمل عندما اعتلت بنيلوبى ظهره ! بل انه لم يهتم باقتراب السيد ديسى منه ! وسار بهدوء وسط الزحام فى طريقه إلى نقطة بدء السباق وكانه جواد محنك ! .

ورغم ذلك فقد واصل الناس الصفير فى وجه بنيلوبى والنيل منها بنكاتهم . وصاح سمسار « لقد جاءوا بامراة البحر العجوز لتركب حصان بورنيو المتوحش .. واليكم تركيبة مريحة .. اى مبلغ تراهنون به على دن إيمر سيحقق ربحا .. اما (امبريللا) فنسبة فوزه اربعون إلى واحد .. و(فايتبخ كوك) ستة الى واحد وكذلك (سون مورمى) .. وعشرة إلى واحد .. للنورس الرمـــادي » .

لم تجد بنيلوبى اية صعوبة فى قيــادة النورس الرمادى ليتخذ مكانه عند نقطة البداية . وقد ادركت على الفور انه ولد ليكون جواد سباق . وانه من ذلك النوع الذى يبذل كل قوته عندما يدخل فى منافسة مع اخرين . واحست بمتعة لقدرتها على التحكم فى قوته الضخمة بمجرد لمسة خفيفة لعنانه . وقالت لنفسها وهم يقتربون من الحاجز الاول « انه ممتاز . ولو تمكنت من الصمود على ظهره فسيفوز بسهولة » .

وقد تعدت الجياد التسعة الحاجز الاول فى وقت واحد تقريبا وبسلام .. واستمر الحال كذلك حتى قطعت الجياد الأول أو اكثر قليلا . ثم سقط « شون مورفى » وهو يتخطى الحاجز المؤدى إلى الحقل المحروث . وبعد ذلك بمسافة قصيرة اوقع جواد يدعى « رودى يستم » فارسته الشابة وجرى بسرعة فى اتجاه مخالف وهنا زاد « امبريللا » من سرعته وسبق بقية الجياد بعشرة اطوال بينما احتل « فايتبخ كوك » و « دن إيمر » المركز الثانى معا وامتثالا لتعليمات اخيها حرفيا اقتفت بنيلوبى اثر « دن إيمر » وجعلت بينها وبينه مسافة طولين . وفى خلال النصف الأول من السباق جرت الخيل والريح فى دبرها . ولم يكن على بنيلوبى سوى توازنها على ظهر النورس الرمادى الذى كان يجرى باقتدار ولم تكن تفكر الا فى ذلك الاحساس الطاعن الذى ينتاب الفرسان العائدين بعد طول غياب . ثم بدا طريق العودة فى مواجهة الرياح الشديدة وقد بقى ميلان على نهاية السباق .. ونسيت المراة المسكينة مخاوفها وضغطت على اسنانها وهى تحس البرد القارس وهو يخترق بدنها النحيل . ولم يكن قد بقى من قواها الا ما يمنعها من السقوط من ظهر جوادها بفعل العاصفة . وغمغمت فى ياس « يا الهى ! .. اننى لن استطيع الصمود على ظهره .. لقد انتهيت » .

وارتكبت « امبريللا » خطا فاحشا وهو يقفز من فوق الحائط الحجرى فجرح رجليه الخلفيتين وسقط على ركبتيه . ورغم تدارك فارسه الماهر للموقف طغى الخوف على « امبريللا » ولم يستطع مواصلة السباق . وتمكن « فاتييج كوك » من ان يتقدم على « دن إيمر » قليلا بينما واصل النورس الرمادى احتلال المركز الثالث متاخرا عن « دن إيمر » ببضع اطوال . وعند صعود المنحدر حيث يوجد الحاجز المزدوج بدا « فايتبخ كوك » يظهر دلائل التعب .

ورغم انه تعدى العائقين بلا اخطاء وبسبب استنفار فارسه له . فقد بدا من الواضح عقب ذلك انه قد استنفد جهده . وبعد ذلك قلت سرعته وانضم إلى « امبريللا » فى المؤخرة .

وفى هذه اللحظة قرر اللورد ديليسك ان يبذل كل جهده . فوخز حصانه فجاة وانطلق باقصى سرعته فخاطبت بنيلوبى نفسها قائلة وهى تطلق العنان للنورس الرمادى « هيا بنا .. لقد حان وقت الســـباق » .. وتجـــاوب معها الجـــواد الضـــخم على الفـــور واسـترد مركزه الســـابق

ترجمة : عـــادل شـــريف



بقلم: الدكتور محمد البهي

"الكفَّارة"

● يقول الله تعالى فى سورة المائدة: « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم (أى وانتم فى احرام بالحج او العمرة) ومن قتله منكم متعمداً فجزاء: مثل ما قتل (أى جزاؤه مماثل فى القيمة لما قتل) من النعم يحكم به ذوا عدل منكم، هدياً بالغ الكعبة (أى ان المماثلة فى قيمة ما قتل من الصيد: اما من الانعام يحكم بها اثنان معروفان بينكم بالعدل، على ان يرسل هدياً الى الكعبة: يذبح ويوزع هناك على اصحاب الحاجة) أو كفارة: طعام مساكين (واما كفارة من طعام يوزع على الفقراء هناك) أو عدل ذلك صياماً (واما ما يوازى الطعام من صيام، على ان يكون صيام يوم فى مقابل طعام مسكين واحد) ». (المائدة: ٩٥)..

فالآية هنا جعلت جزاء ما قتل من صيد الحرم، من المحرم بالحج أو العمرة واحداً من ثلاثة أمور / التصدق بقيمته من الأنعام.. او من طعام.. او صيام ايام تساوى فى عددها: عدد من ينتفعون بالطعام. واطلقت: الكفارة على الطعام الذى يقدم للمساكين، كما أطلقت: الهدى على الحيوان الذى يذبح ويوزع عليهم، والكفارة والهدى هنا، كلاهما جزاء عما وقع من خطأ فى حق الله اثناء الأحرام. وهذا الخطأ هو قتل صيد الحرم الذى نهى الله عن قتله فى بداية هذه الآية فى قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ».

ويقول الله تعالى فى سورة المائدة كذلك: « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته: اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم، او كسوتهم، او تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم ». (المائدة: ٨٩).. فرتبت الآية على الحنث والخلف فى اليمين باسم الله: جزاء، اطلقت عليه اسم الكفارة، يتردد هذا الجزاء أولا بين اطعام عشرة مساكين وكسوتهم، وتحرير انسان من رقه. ثم عند عدم الاستطاعة على أى واحد منها ينتهى الى صيام ثلاثة ايام. والحنث فى اليمين ينطوى على عدم الرعاية التامة لجلال المولى وعظمته. فهو ذنب فى جانبه.

ويلاحظ الآن: أن مفهوم الكفارة فى هاتين الآيتين يرتبط بصدقة على المساكين عند طلب العفو من الله والسماح منه، فى أمر وقع خطأ فى جانبه سبحانه.

● ولكن لو قرأنا قول الله تعالى: « وكتبنا عليهم فيها: أن النفس بالنفس، والعين بالعين، والانف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص (أى مماثلة) فمن تصدق به (أى بالقصاص وتنازل عن حقه فيه وعفا عمن اعتدى) فهو كفارة له ». (المائدة: ٤٥).. لو قرأنا هذه الآية لوجدناها اطلقت على التصدق بالقصاص والتنازل عنه: كفارة، دون ان يكون هناك خطأ فى جانب المولى، وقع ممن اعتبر له التنازل عن القصاص: كفارة منه. وهو صاحب الحق فى القصاص. ولكن عنصر الصدقة هنا باق فى مفهوم الكفارة: لأن المتنازل عن القصاص احسن الى من يجب القصاص منه بالعفو عنه. والذى يعفو عن اخطاء الناس محسن اليهم. وليست الصدقة بالطعام وخلافه مما يقيم النفس: الا احساناً لمن يتصدق به عليهم، وكذلك طلب العفو من الله كعنصر فى مفهوم الكفارة لم يزل هنا فى التنازل عن القصاص: باقياً كذلك. لأن عفو الانسان عن خطأ انسان اخر لا يتم فى حقيقة امره الا بعفو الله وبرضاه.

واذن مفهوم الكفارة – كما يرد فى آيات القرآن الكريم – يعتمد على وجود صدقة تقدم بين يدى الله – أى تستهدف رضاء الله – قبل طلب العفو والسماح منه، على خطأ تعلق به حق الله جل شانه. فاذا اتجه الانسان الى الله ليطلب المغفرة منه على ذنب يتصل به سبحانه فليقدم صدقة يحسن بها الى اصحاب الحاجة امارة على أنه يولى الرعاية الاجتماعية حقها، وعلى أن عامل الأنانية فيه قد ضعف، والكفارة بذلك: صدقة بقدر ما هى جزاء.. وقربى الى الله بقدر ما هى عنوان على التماس الصفح والرضا منه، جل سبحانه..

أحمد البشر الرومي
العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلده

بقلم: محمد عبد الحميد

أحمد البشر الرومي احد رجالات الكويت الذي اسهم في بناء نهضة بلده التى احبها حباً وهب عمره كله من اجلها .. باحثاً في تاريخها وتاريخ ما يجاورها من بلدان الخليج العربي والجزيرة العربية .. جمع في مكتبته ما يقرب من (٧٠٠٠) الاف كتاب .. عاش احداثها واخبارها ونوادرها وحكاياتها واشعارها .. وعايش الارض (الصحراء) ما فوقها وما تحتها .. تدوين الكلمات كانت هوايته وتدقيق المعلومة او المعلومات كانت حرفته .



المؤرخ الكويتي احمد البشر الرومي بجانب احد اركان مكتبته التى تضم اكثر من سبعة الاف كتاب .

طريق حياته حافل بجلائل الاعمال ، على اهمها « الامثال الكويتية المقارنة » في اربعة اجزاء .. صدر منها حتى الآن الجزء الأول والثاني . اما الثالث والرابع ففي طريقهما إلى ماكينة الطباعة .. هذه الاجزاء تحوى ما يقرب من ثلاثة الاف من الأمثال الشعبية مع ما يقابلها من الأمثال في البلاد العربية .. بخلاف مقالاته واشعاره التى كتبها في مناسبات عديدة ومتعددة .. بالاضافة إلى دوره الايجابى في جمع المصطلحات البحرية وشرحها وإعدادها في كتاب كان في طريقه إلى النشر قبل وفاته .

جمعتنى به الأيام في جلسات طويلة منذ عدة اشهر ، كان فيها رحب الصدر ، وغزير المعلومات .. بل يمكن القول انه كان سخيا وهو يحكى شريط حياته الذى حفره خلال (٧٥) عاما .. بداية من مولده في (١٣٢٤) هجرية حتى وفاته في (١٤٠٢) هجرية .. ليصبح الآن جزءا من تاريخ الكويت عن اصالة واقتدار وجدارة .

الباحث في التاريخ انسان صابر وصبور .. صابر على المشقة التى يعرف قدرها ومقدارها .. وصبور وهو يبحث عنها حتى يصعد بها إلى السطح ، ليحولها إلى حقيقة تكون سنداً له في بحثه او الدراسة التى يقوم باعدادها ..

هذه الكلمات كان يرددها على اسماعى المؤرخ الراحل الأستاذ احمد البشر الرومى . كان يقول ايضا :

● تاريخ العرب ، والبحث في هذا التاريخ يحتاج إلى دقة ورقة في ان واحد .. دقة في ربط الفروع بالاصول ، ورقة في

التعبير حتى لا يتحول الباحث إلى مجرد ناقل للوقائع والشروح بدون الولوج إلى معرفة أسبابها ومسبباتها ، وما اذا كان صاحب الحديث او الواقعة او الرواية من اهل البادية او الحضر .. كثيرا ما نرى مؤلفا أو راوياً من اهل الحضر يتطرق إلى امور وموضوعات لا يملك ناحية المعرفة الحقة فيها غير واحد من اهل البادية .

الامثلة الشعبية الكويتية

كانت نظرة احمد البشر الرومى إلى التاريخ غير عادية .. لم يكن مجرد قارىء يردد ما جاء فى قديم الكتب .. ولكنه فى ذات الوقت كان يملك المنهج التحليلى الذى يقيس بواسطته مدى تطابق الأقوال على الواقع والحقيقة .. هذه النظرة وتلك الملكة جعلته يصل إلى حقائق لا تقبل الجدل او النقاش .

لقد عرف عن مؤرخ الكويت الراحـــل احمد البشر الرومى انه يدون كل شىء يسمعه مادام مرتبطا بتاريخ بلده الكويت .. قال لى مرة فى احدى جلساتى معه :

● لقد جمعت اكثر من (٣) الاف من الأمثال الشعبية الكويتية على مدى (٤٠) سنة .. جمعت فى اربعة اجزاء تحت عنوان « الامثال الكويتية المقارنة » .. صدر حتى الآن الجزء الأول والثانى والجزءان الثالث والرابع فى طريقهما إلى الصدور خلال عام ١٩٨٢ .. ساعد فى اخراجها وتبويبهـــــا خبير الفنون الشعبية صفوت كمال - وساعد فى الاعداد محمد عمران .. كان يبتسم رحمه الله وهو يواصل حديثه ليقول :

● ان جمع هذه الأمثال الشـــــعبية الكويتية لها حكاية .. والاعداد لنشرها على صورتها الحالية لها حكاية اخرى .. حول جمعها يقول مواصلا حديثه :

● كان المواطن الكويتى ايام زمان يقرن حديثه ببعض الأمثال الشعبية التى ترتبط بالحديث المطروح للنقاش .. أو بالحديث العابر بين الصديق وصديقه .. الاب وابنه .. البائع والمشترى .. الرجل وجاره او بين صاحب العمل واحد عماله .. فى بعض الاحيان كانت الأمثال يمس بعضها عقلى وتهز كيانى .. لم اكن املك إلا ان احضر ورقة وقلما واقوم بتدوين ما كان يتردد على اسماعى .. احسست ان ما يقال شىء غير عادى .. بل اكثر من ذلك اعتبرته مخزونا ثقافيا واجتماعيا يعبر عن حياة الناس وطبيعة المجتمع الذى نعيش فيه .. لم اعد اجمع ما يعجبنى فقط .. بل اكتب ايضاً كل ما اسمعه .. وصل الأمر اننى كنت اتحرك وسط الديوانيات .. اذهب إلى الاسواق .. بمرور الوقت والسنين خفت على هذه الأوراق من الضياع .. جمعتها فى اكياس ومغلفات .. وعندما زاد خوفى وقلقى عليها بدات فى تدوينها فى كراسات على حروف المعجم .. كانت بداية التدوين فى عـــــام (١٣٦١ هـ) .. كان الوقت صيفا وكان الحر شديدا .. ولكن حماس وحرارة هذا الحماس كانت اقوى من اى شىء .. مرة اخرى اتخذ تدوينى لهذه الامثال أسلوبا آخر .. دونت كل واحد من هذه الامثال فى صفحة مستقلة ترتيبا معجمياً ، ثم جمعت الصفحات فى مجموعات كل مجموعة تضم بعض الأمثال مرتبة على حروف المعجم مع اضافة شرح بعض الألفاظ فى نهاية المثل .. وصار ما عندى اكثر من (٣) آلاف من الأمثـــــال الشعبية الكويتية .

● وحول الظروف التى ســـــاعدت على نشرها بشكلها الحالى يقول :

● فى احد الايام كنت فى زيارة للاستاذ احمد العدوانى (يشغل حالياً منصب أمين عام المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب .. شاعر واحد رواد النهضة الادبية فى الكويت) كان الاستاذ صفوت كمال خبير الفنون الشعبية حاضرا هذه الجلسة .. قال الأستاذ احمد العدوانى :

● لماذا لا تقوم بتدوين هذه الأمثـــــال الشعبية الكويتية التى تعتبر تراثا للكويت واخراجها فى عدة اجزاء .. كانت البداية جمعها وحدها .. ولكننا راينا بعد ذلك زيادة فى الفائدة ان تحقق موضع الامثال الكويتية فى الاصل العربى القديم وايضا فى البلاد العربية .. كنا نعلم ان العمل غير عادى والجهد شاق .. ولكن الامر كانت فيه لذة البحث المفيد .. واخترنا عنوانا لها كان .. « الامثال الكويتية المقارنة » . يواصـــــل حديثه معى ليقول :

● ان الباحث فى الأمثال العربية القديمة كان يجد صعوبة فى بحثه بسبب انها مرتبة حسب حروف المعجم .. بمعنى ان الامثال التى تبدا بالالف تجدها تحت حرف الألف .. ولكننا قمنا بعمل فريد من نوعه يسهل عمل الباحث والقارىء فى ان واحد .. لقد قمنا بترتيبها حسب موضوع المثل ذاته .. مثلا الأمثال التى قيلت فى الأمانة جمعناها تحت باب الأمانة .. الأمثال التى قيلت فى التسامح جمعناها تحت باب التسامح وهكذا .. لقد اكد حقيقة هامة بعد هذا الجهد المضنى الشاق .. ان الأمثال الكويتية القديمة ومثيلاتها فى البلاد العربية تؤكد بالفعل اننا أمة عربية واحدة .. الدين عندها الاسلام .. وتتمازج فى اللغة والثقافة والفكر والعادات والتقاليد .. لقد تميزت الامثال الشعبية فى كل بلد عربى حسب طبيعة الأرض والمناخ والسكان .. ومن مميزات الأمثال الشعبية الكويتية بصفة عامـــــة والخليجية بصفة خاصة انها كثرت عن الصحراء والبحر .. الصيد ، التجـــــارة (البيع والشراء) .. وكانت تحث جميعها على الأخلاق الحميدة والوفاء والتضحية والحب والعطاء وتقديس الحياة الزوجية .. واحترام الصغير للكبير .. وعطف الكبير على الصغير .

البشر .. وصقر الشبيب

وهناك وجه اخر لمؤرخ الكويت الراحل احمد البشر الرومى .. قال الشعر .. احس بما حوله .. انفعل به .. ونظم الشعر ولكنه كان فى هذا المجال قليل الانتاج .. والآن نقرأ ما قاله مؤرخ الكويت الفحل الاســـــتاذ عبد العزيز الرشيد فى كتابه تاريخ الكويت عن احمد البشر الرومى الذى كان يعشق قراءة الصحف والكتب وينزلها من نفسه وقلبه منزلة عالية وكبيرة . وجاء فى الكتاب فى الصفحة (٣٥٦) يقول :

● تعلق الكويتيون باذيال الصـــــحف واشتغالهم بمطالعتها والاهتداء بنبراسها .. وللصحف من التاثير فى الاراء والافكار مالا يجهله إلا معاند او جاهل مكابر . ولله در الشاب الفاضل احمد بن بشر الرومى حيث يقول فى منافعها :

انما الصـــــحف كطير
يشـــــتهى الحر هديله
كل من شـــــاء رقيـــــا
صـــــير الصحف سبيله

● وقال ينعى الجمود واهله والحث على العلوم والمعارف :

ســـــال دمع العين منى وانســـــكب
من توانى قومنـــــا عمـــــا وجب
وجب اليـــــوم عليكم ســـــادتى
ان تمـــــدوا للعلا خير ســـــبب
والعلى ليس له منى ســـــبب
موصـــــل غير عـــــلوم تنتخب
فانفضـــــوا عنكم جمودا مهلكـــــا
واطلبوا العـــــلم وجدوا فى الطلب
خاب شـــــعب قد تردى كســـــلا

أحمد البشر الرومي

العاشق الذي أصبح جزءًا من تاريخ بلاده

وجمودا يا بنى قــــومى وتب
لا تميلوا نحـــو (دجـال) غدا
باسم دين الله يحـــوى للذهب
امعنـــوا الافــكار فى تدجيـله
تبصروا تقــواه زورا وكـــذب
ليس بين العـلم والدين كمـــا
قـاله (الدجـــال) بون منشعب

واذا كان نظم الشعر موهبة .. فان سبب تقوية هذه الملكة وابرازهـــا إلى حيز الوجود عند الراحل مؤرخ الكويت احمد البشر الرومى كان شاعر الكويت الكبير الراحل صقر الشبيب .. او صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن هيدب بن رومى الشمرى الذى ولد فى الكويت حوالى عام (١٣١٢) هجرية الموافق (١٨٩٦) ميلادية .. والذى اصيب بالصمم وفقدان البصر على اثر اصابة عينيه بمرض لم يفلح معه العلاج وكان عمره انذاك تسع سنوات .

الاف أبيات الشعر

ها هى حكاية شاعر الكويت صقر الشبيب مع مؤرخنا الراحل احمد البشر الرومى ؟ ..

الحكاية نجدها فى كتاب اديب الكويت وشاعرها خالد سعود الزيد فى كتابه «ادباء الكويت فى قرنين» «بالجزء الاول» .. قال :

● كان منزل شاعر الكويت صقر الشبيب يجاور منزل احمد البشر .. فكان يلزمه إلزاما بان يقرا له ، وكان صقر كفيف البصر . فقرا له نظرات المنفلوطى وعبراته ، وبعض كتب الرافعى فوجد لذة فى القراءة فحرص عليها بعد ان كان كارها لها .. ثم قرا لصقر ديوان المتنبى والمعرى وغيرهما ، فوجد نفسه مع مرور الأيام يحفظ اكثر من عشرة الاف بيت من الشعر ، وبعدها انكب على قراءة الكتب فى التاريخ والفقه والأدب قديمه وحديثه ، وانصرف الى قراءة تاريخ الجزيرة العربية والمنطقة التى تشملها حدود الكويت .. على الأخص ، متتبعا عادات سكان المنطقة وافراحهم وملبسهم ، فدرس تاريخ البيئة كاملة دراسة وافية تدلك على ذلك بحوثه ومقالاته القيمة التى ينشرها بين حين واخر ..

ونترك الان الحديث لمؤرخ الكويت الراحل احمد البشر الرومي ليتحدث عن اهمية صلته بشاعر الكويت الراحل صقر الشبيب .. وعن اثر هذا الشاعر الكبير فى حياته .. يقول :

● تلقيت دروسى الاولى فى كتاب المطوع السيد عبد الوهاب هاشم الحنيان .. كان المطوع (الملا) هو المعلم الأول فى زماننا .. كان الكتاب هو المكان الذى نتعلم فيه ، وهو فى غالبية الاحوال منزل المطوع او الملا .. نجلس مجموعة من الاطفال الصغار .. نتعلم القراءة والكتابة وحفظ ايات القران الكريم .. ومن يجيد القراءة والكتابة وختمة القران تقام له حفلة يشترك فيها الاهل والاطفال .. الموسرون كانوا يقيمون حفلة يوزعون فيها اطايب الطعام على المطوع والاطفال والجيران منذ طفولتنا كانت صلتنا بالدين قوية .. نخشى الله فى الاقوال والافعال ، ونحرص على السلوك الحسن خوفا من عقاب الاباء والامهات والاهل الذين كانوا يحرصون على دينهم الى اقصى الحدود .

● هذه كانت المرحلة الاولى من حياتى .. بعد ذلك التحقت بالمدرسة المباركية بعد افتتاحها .. امضيت بها ثلاث سنوات .. لم اكن ابدا خلال الدراسة طالبا مشاكسا .. ولكننى لم اكن اهتم بالمواد التى كانت تدرس فى المدرسة .. كانت تستهوينى كتب التاريخ والجغرافيا .. احيانا كنت انقطع عن الدراسة ، ولكننى كنت اعود إليها من جديد إما بواسطة والدى رحمه الله ، او بدون احد لان ايام الانقطاع لم يكن لها حساب من المسئولين عن المدرسة . جمعتنى الظروف مع الشاعر الراحل صقر الشبيب .. كان احساسى وشعورى اننى امام انسان غير عادى .. انسان عنده قدرة كبيرة على العطاء .. ولكنه كان فى أشد الحاجة إلى المخلصين الذين يبادلونه الحب والمودة ولا مانع من التضحية .. وجدت نفسى انجذب اليه لعدة أسباب منها .. اننى مع انسان فى عمر والدى ، وثانيا غير قادر على الرؤية ، وثالثا وجدت فى الجلوس معه والاستماع إليه وإلى زواره من الاصدقاء ، فائدة لم أكن اتصور ابدا اننى ساحصل عليها بدونه .. ومن الذين كان يزورهم ويتزاورون معه صديقه الحميم عبد الملك بن صالح المبيض الذى كان يقرا على شاعرنا حصاد قراءاته فى الجرائد والمجلات والكتب .. وكانا يعنيان أكثر بتلك الكتب الفلسفية والآراء التى جاءت بها .. فى هذه الفترة لم أكن ادخل او اتدخل معهما فى نقاش .. ولكننى افضل الاستماع إلى احاديثهما التى كانت تستمر ساعات طويلة .

الأمر لم يقف عند هذا الحد بالنسبة لمؤرخنا الراحل احمد البشر الرومى .. قال لى ضمن حوار طويل :

● كان الشاعر الراحل الفحل صـــقر الشبيب له دوره فى ان اتعرف عن قرب على فحول الشعراء القدماء بما كان يردده امامى من اشعارهم وبما كان يطلبه منى من قراءة تاريخ حياتهم واشعارهم من الكتب الكثيرة التى كانت تتواجد فى بيته او تاتيه من الاصدقاء مثل .. ديوان ابى تمام الذى كان يحفظ معظمه .. وابياتا كثيرة من ديوان البحترى واكثر لزوميات المعرى .. ونصف ديوان المتنبى ، وجميع ما طبع لابن الرومى بخلاف حفظه لاشعار العديد من الشعراء فى العصر الجاهلى والعصرين الاموى والعباسى .. وكنت اراه دائما يحرص على ترديد اشعار امير الشعراء احمد شوقى الذى كانت له منزلة اثيرة عنده .. ايضا عرفت اشعار الزهاوى ، والرصافى واسماعيل صبرى .. اما الشاعر حافظ ابراهيم الذى عرف فى مصر برصانته وميله الفطرى للوقوف بجانب الطبقة الكادحة .. فكان يحبه ويردد شعره . لقد وجدتنى بالتدريج احب الشعر وأميل إليه .. وفى احيان قليلة كان لى انتاج ولكنه لم يكن ياخذ صفة الاستمرارية والكثافة والغزارة فى التاليف .. فقط فى بعض المناسبات أو الموضوعات التى تطرق باب عقلى من حين لآخر .

رحلة مع احمد البشر

ورجل بلغ هذا العمر (٧٧ عاما) قارئا وباحثا ومؤرخا وكاتبا وشاعرا .. كانت له اقوال ستظل خالدة لانها تعبير صادق عما كان يجيش فى صدره .. وهى فى مضمونها

اضواء تنير الطريق للاجيال الحالية والتى سيكون لها الريادة فى المستقبل .

● كان دائما يردد ويقول : الديوانية منتدى انسانى واجتماعى واعلامى يجب ان نحافظ عليها ونعمل دائما على بقائها ونعيد إليها رونقها وبريقها ودورها ومكانتها كما كانت فى الماضى . فى الماضى هناك ديوانيات متخصصة .. منها ما كان يهتم بالأدب والشعر .. ومنها ما كان متخصصا فى علوم الدين .. ومنها ما كان الحديث بداخلها لا يفرغ من بث حكايات الرحلات والاسفار ونوادر ومتاعب الغوص .. ومنها ما كان يغلب على طابعها عقد المجالس للتوفيق والصلح بين الأزواج والأصدقاء وخلافات العمل .. وواحدة او اكثر كان كل جالس بداخلها لا يفعل اى شيء سوى الأمساك بكتاب يقرا فيه فى هدوء وصمت .. الكويت كانت فيها مثل هذه الديوانيات وعلى الاخص مع بدايات القرن العشرين .. اذكر ديوانية السيد خلف النقيب .. واذكر ديوانية عبد الرحمن بك النقيب وقبلها خلف باشا النقيب .. والشيخ يوسف بن عيسى القناعى احد اقطاب الحركة العلمية والفكرية فى الكويت .. وديوانية استاذ العديد من الاجيال عبد الله بن خلف الدحيانى .. وديوانية مشارى حسن البدر التى كان الحديث عن مصر بداخلها لا ينتهى .. كان صاحبها يتحدث عن احداثها (مصر) ورجالها واحوالها السياسية والاجتماعية اكثر من ابناء مصر .. وهناك عشرات من الديوانيات فى الحى القبلى وحى الوسط والحى الشرقى .

● يقول : ان التاريخ فى منطقة الخليج بوجه عام والكويت بوجه خاص مازال يحمل لواء الكتابة عنه اناس (كتاب) اهتموا أكثر بالنواحى السياسية .. وكانت النواحى الاجتماعية عارضة فى كتاباتهم .. بل ان معظم هذه الكتابات منقولة عن كتاب من الغرب .. هؤلاء الكتاب كانت كتاباتهم غير صادقة وغير واقعية .. بل ان معظمها لا يخلو من الاخطاء والمغالطات خصوصاً عندما ذكروا خطا اسماء بعض المواقع والتعبيرات التى لم يفهموا معناها .. ومن هنا ضاعت الحقيقة والحقائق .

● يطالب الجهات التى تهتم بالتراث فى منطقة الخليج بالبحث الفورى عن الرجال القدماء الأحياء ويسجلوا لهم العادات والتقاليد التى ستموت وتندثر بموتهم إلى الأبد .. وليكن هذا التسجيل أو تلك



المؤرخ الكويتي الراحل احمد البشر الرومي امام جهاز تكبير المخطوطات والوثائق فى مكتبته

التسجيلات من الجهات الاكاديمية (الجامعات) التى تملك الوسائل العلمية النظرية والتطبيقية فى هذا المجال .. وعلى الفور يجب انشاء مكتبة تسجيلات بالصوت والصورة ، اكد ان فكرة وجود وتواجد المقاهى الشعبية فى الكويت عمل رائد وعظيم .. وإن يكن فى شكله العام عملا ترفيهيا لصالح الاعضاء .. العملية الترفيهية فى حد ذاتها لا غبار عليها .. ولكن يجب ان نستفيد من هذا الجمع البشرى (الاجداد والآباء) فى الحصول على مزيد من المعلومات عن تراثنا الذى بدات تطغى عليه وسائل الحضارة الحديثة .

● يرى ان البحث والتنقيب الجاد فى منطقة الجهراء (كاظمة) التى كان لها تاريخ قديم وعريض من ابناء الكويت سيعطى نتائج مدهشة لا تخطر على بال .. لان الحضارات القديمة مازالت مدفونة تحت الرمال واعادة اكتشافها ليس مشكلة .. ولكن الأمر فى حد ذاته يحتاج إلى الايمان والجهد والعرق والبذل والعطاء الذى يجب ان يصاحب عمليات البحث .

● يقول : ان الجيل الحالى تواق إلى المجد والشهرة بدون تعب .. وذلك الاعتقاد فى حد ذاته يؤثر على المفهوم العام لكلمتى المجد والشهرة بمعناهما الحقيقى الخالد .. ويطالب الشباب بالقراءة والاطلاع فمهما زاد الانسان التواق إلى المعرفة .. يؤكد ان مطالبة مدارس الكويت لطلابها من الجنسين فى مراحل الدراسة المختلفة لعمل الابحاث جعل الطلاب يؤمون المكتبات ويجلسون ساعات بداخلها وهم قبل ذلك لم يكونوا يعرفون اين تقع وسط الاحياء السكنية التى يعيشون فيها .

مكتبة و (٧) الاف كتاب

من الأشياء التى كانت تلفت النظر داخل بيت مؤرخ الكويت الراحل احمد البشر الرومى مكتبته .. عدد الكتب بها وصل إلى اكثر من (٧) الاف كتاب .. فى جميع التخصصات .. معظمها يتحدث عن التاريخ القديم والحديث .. وبعضها فى الأدب والفلسفة والشعر والمال والاقتصاد .. وهناك موسوعات كاملة .. أكثر من ذلك هناك مجموعة نادرة من كاميرات التصوير وآلات التكبير وخرائط فى أحجام مختلفة .

كان رحمه الله يمتاز بالرقة والحساسية .. يانس بشدة للانسان الصادق .. هذه الصفة تجعل (حسب قوله) الباحث دقيقاً فى عمله الامر الذى يفيد الناس والعمل ذاته

أحمد البشر الرومي
العاشق الذي أصبح جزءاً من تاريخ بلاده

.. كان قليل الكلام .. يعمل في صمت - نادرا جدا ما يحب الحديث من خلال الوسائل الاعلامية .. يكره الظلم لانه يؤدي إلى الاستعباد وإلى الاحساس بالعبودية التي يجب الا تكون إلا للحق تبارك وتعالى .. كان يقول لي : نحن نجزل العطاء لمن يقدمون الينا خدمات خارج بلادنا ونقتر في العطاء لمن يقدمون الينا الخدمات داخل بلادنا .. من عاداته الطيبة الاستماع الى الناس .. ما يريد ان يعبر عنه يمسك من اجله القلم ليقوم بتسطيره وتسجيله على الورق .. يحب الوحدة .. يفضل الجلوس وسط كتبه يقرأ اكثر من اي شيء اخر .. من اقرب الناس إليه والذين كان يذكرهم بالحديث معي اديب الكويت الأستاذ عبد الرزاق البصير ، محمد الملا حسين ، ، فهد الدويسري ، الشاعر والأديب خالد مسعود الزيد .

كان يردد على اسماعي دائما انه احب الصحراء وعشقها وكانت له بداخلها رحلة كل عام .. واحب البحر وذهب أكثر من مرة في رحلات الغوص على سفن العائلة لمعايشة هذا اللون من العمل الذي كان باب الرزق لسكان الكويت بجوار الرحلات التجارية على سواحل الهندوشرق افريقيا قبل ظهور النفط . ومن الاشياء التي لم تكتب عنه انه كان يحب الطرب .. الأصوات الجميلة .. عشق أصوات أم كلثـــوم ، عبد الوهاب وقبلهما صالح عبد الحي ، وأحب ألحان سيد درويش وعبده الحامولي .. وفي مكتبته يوجد جرامافون عمره حوالي (٥٠) سنة كان يعمل على اسطوانة طولية هذا عدا بعض اجهزة الراديو والمسجلات الحديثة ومكتبة كاملة من الأشرطة . لقد كانت رحلة المؤرخ احمد البشر شاقة منذ بدايتها لانه اختار مجال القراءة والبحث في التاريخ والادب والشعر .. كانوا قبلته التي يحج إليها طوال ساعات النهار وبعض هذه الساعات في الليل .

لقد احب احمد البشر الرومي التاريخ .. وهبه عمره كله .. كان ناسكا في محرابه .. وكانت جائزته من التاريخ ان دخل فيه .. اصبح جزءاً حيا من تاريخ بلده دولة الكويت عن جدارة .

محمد عبد الحميد
الكويت

المؤرخ أحمد البشر الرومي في سطور

- ولد عام (١٩٠٥) ميلادية .
- درس في الكتاب وهو المكان الذي كان يملكه ويديره « الملا » أو المطوع الذي كان يقوم بتحفيظ الطلاب القرآن الكريم .
- درس في المدرسة المباركية .
- قام بالتدريس في المدرسة المبـاركية لعـدة سـنوات ثم بالمدرسة الاشرفية .
- امين صندوق في الجمرك البحري .
- عضو منتخب في مجلس المعارف عام ١٩٥٢ ميلادية .
- مدير لاملاك الحكومة في البلدية .
- وكيل وزارة مساعد لادارة املاك الحكومة .
- تقاعد عام ١٩٦٨ بسبب اصابته بالسرطان في عظام الفك الايسر واجريت له عدة عمليات جراحية ناجحة .
- عضو بلجنة تاريخ الكويت
- احد مؤسسي مركز الفنون الشعبية الذي يعنى بالتراث الكويتي .
- استعانت محاكم الكويت بخبراته في قانـــون الغــوص والبحر .
- اعد (٤) اجزاء عن الأمثال الشعبية الكويتية المقارنة صدر منها جزءان حتى الآن .
- نشر مقالات في مجلة البعثة عام (١٩٥٢) جمعت في كتاب بعنوان « مقالات عن الكويت » .
- قام بجمع المصطلحات البحرية لاصدارها في كتاب سيطرح قريبا في الأسواق .
- اعد العديد من الأبحاث عن صـــحراء الخليج والجـــزيرة العربية والكويت بصفة خاصة .
- توفي يوم الأربعاء الموافق (٦) من يناير ١٩٨٢ .

ترى كيف يكون الحـــال لو ان تاريخ العدد الذى بين يديك من الدوحة تغير من سنة ١٩٨٢ إلى ١٨٨٢ .. هـــذه مقتطفات من المجلة التى كان يقرأها جـــد أبيـــك ..

دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

لمنشئها ومحررها: صلاح الدين المقريزي

عزيزي القارئ

على صفحات هذا العدد من « دوحـــة الماضى » معركة طريفة . بطل المعركة شيخ شاب فى الثامنة والعشرين من عمره ، قضى منها عشرين عاما كاملة لا ياكل ولا يشرب ، ومع ذلك فهو يعيش حياته طبيعية تماما ، ينام ويتزوج وينجب . ويحادث الناس فى منتهى الادب ومنتهى العقل !

وعندما نشر « عبد الله النديم »هذا الخبر فى مجلته منذ مائة عام ، أثار الاهتمام ، لا لغرابة الحادثة ذاتها ، ولكن لانها خرجت عن اهداف مجلته التى كانت تهاجم الخرافة ، وترى انها سبب تخلف الشرقيين ، وسبب استعمار الغرب لأقطارهم ، وتطالب العرب بان يتعلموا ، وان يفهموا العالم الذى يحيط بهم ، وان يجددوا حياتهم قبل ان تضيع بالقهر وبالاستعمار .

هذه المعانى هى التى دفعت الدكتور شبلى شميل وهو طبيب لبنانى درس فى المدرسة الكلية السورية واشتغل بالطب والصحافة ، إلى الرد على عبد الله النديم موضحا بالبراهين العلمية الفسيولوجية عدم منطقية الواقعة ، وطالبا وضع الشيخ عشماوى ــ بطل القصة ــ تحت اشراف طبى دقيق للتاكد من انه حقا لا ياكل ولا يشرب !

ما يلفت النظر فى هذا الحوار ، ليس فقط الحرص على ان يكون « العلم » هو محل التاكد من صحة اى واقعة تخرج عن نطاق المعقول ، ولكن ذلك الاصرار على المقارنة بين صيام الشيخ عشماوى الطويل الذى وصل إلى عشرين عاما فلم يثر ضجيجا ، وبين ضجة ثارت انذاك حول رجل انجليزى اسمه « تنر » صام اربعين يوما ، فقامت الدنيا وقعدت !

كان العصر ، عصر المواجهة مع الغرب ، حتى فى خرافاته !

« المحـــرر »



مشكاة من العصر المملوكى

العـــدد الثـامن • أبريـــل/نيســان ١٨٨٢م

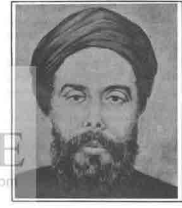


● معركة حول العلم والخرافة عمرها قرن كامل :

● عبد الله النديم : لو كان الشيخ عشماوي في بلاد اللوردات لدقت له الطبول في الصحف .

● شبلي شميل : الصيام ٧٣ يوما متصلة مستحيل ولا يحتمله الكائن الحيّ .

صيام الشيخ عشماوي



عبد الله النديم

نقدم لاخواننا الأطباء وغيرهم من اهل الرياضة عجيبة يدرسونها ويفتون بما يظهر لهم فيها من المشاهدات والتحقيقات وهى انه موجود بجروان (بلدة تابعة للمنوفية) من أرض مصر رجل اسمه عشماوى سنه الآن ثمان وعشرون سنة تقريبا وكان قد مرض فى الثامنة او التاسعة من عمره فبقى لا يعقل ولا يتكلم ولا يبصر شيئا بل ذهل ذهولا الزمه الفراش وعدم الحركة عامين وبعدها قام من هذه النومة وبرىء من مرضه واصبح لا يشتهى الطعام ولا الشراب فهو الآن يقضى بقية عمره بلا اكل ولا شرب ولا بول ولا براز وقد سالته عن حالته فى النوم فقال لى انه ينام كل يوم من ست ساعات لسبع او ثمان وقد اعقب ولدين مات احدهما والآخر موجود وهو متزوج ببنت « سعيد كشك » عمدة جروان وتقدم له ان الشيخ العروسى حجر عليه وحبسه شهرين لينظر حاله فلم يتاثر بطول المدة ولا تغير عن حاله وكثير من الناس اختبره بيومين وثلاثة واربعة وهو على هذا الصوم الغريب من نحو عشرين سنة قوي البنية صحيح العقل والفكر ليس له دعوات يدعيها ولا مفتريات يفتريها ، يجالس الناس بالأدب ويغلب على حاله الصمت احيانا وقد صام (تنر) الانكليزى اربعين يوما فضربت له الطبول باسمه في سائر الاقطار وهذا الذى صام ثلثمائة يوم وسبعة الاف يوم لم يعلم به غير اهله ولا عرفه الا جيرانه فانه عربى شرقى مصرى فقير فلاح ولو كان فى بلاد اللوردات او الكونتات لكان ذلك له فى كل صحيفة تاريخا وفى كل يوم بـ[illegible]ـيرة جديدة .



وردت لنا هذه الرسالة من حضرة الحكيم النطاسي شبلى افندى شميل فاثبتناها بالحرف .

ايها السيد الفاضل محرر جريدة التنكيت البهية .

ذكرتم فى عدد ١٤ من جريدة التنكيت الغراء ان رجلا يدعى الشيخ العشماوى من جروان (فى المنوفية) وله الان نحو من عشرين سنة لا ياكل ولا يشرب ولا يغوط ولا يبول وهو قوى البنية صحيح العقل وقد اعقب ولدين ورغبتم الى الأطباء وغيرهم من اهل العلم ان يفتوكم بما يظهر لهم من حقيقة هذه العجيبة التى لا يصح ان يذكر معها صيام تنر وامثاله بشىء فاقول ان هذا الصيام مستحيل فيزيولوجيا لان الحياة مهما اختلفت اراء العلماء فى اصلها فجميعهم على اتفاق بانها لا تقوم الا بالتغذية القائمة بالتحليل والتركيب فكل عمل حيوى يرافقه تحليل فى الانسجة الحسية اى ان العناصر القائمة فيها ظواهر الحياة تتغير كيماويا وطبيعيا بحيث لا تعود تصلح للحياة فتفصل بالافراز ولكى تبقى الحياة بعد ذلك لابد من التركيب اى ادخال مواد جديدة تقوم مقام المفقودة بالتحليل وهذه المواد لا يمكن الحصول عليها الا بالغذاء القائم بالطعام والشراب وبعبارة اخرى الحياة من أهم شروطها وجود مقدار معلوم من الماء والحرارة والهواء ويستحيل بقاؤها بغير ذلك فاذا فقد الماء بتحليله فى المركبات الحيوية وبالافراز والتبخير الذى لابد منه بالحرارة ولم يعوض عنه امتنعت الحياة وهكذا اذا نفذت مواد الغذاء بالاحتراق ولم يعوض عنها بالطعام بطل الاحتراق فبطلت الحرارة وبطلت الحياة وهذه حقائق لا تقبل الاعتراض ولا الاخلال وإما صيام تنر فغير ممتنع أولا لأن الجسم فى حالة الصحة لا يستخدم فى الاحتراق كل مواد الطعام التى تكون غالبا زائدا عن الاحتياج بل يحفظ على الزائد منها ويحرزون فيه على صورة الدهن ذخيرة يتصرف فيها عند الحاجة كما فى وقت المرض هذه. الذخيرة لا تكفيه الا اياما قليلة لا تزيد عن العشرة غالبا اذا كان الانقطاع عن الطعام والشراب تاما وثانيا لأن تنر المذكور فضلا عن الذخيرة المذكورة لم ينقطع عن شرب الماء ومن المعلوم ان احتياج الحياة فى الماء اشد من غيره فان الماء يؤلف نحو أربعة اخماس ثقل الحيوان ولذلك كان العطش يعذب الحيوان المنقطع عن الغذاء اكثر

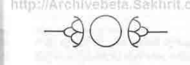
العدد الثامن ● أبريل/نيسان ١٨٨٢م

من الجوع وكان يستعمل ايضا بعض المشروبات الروحية التى فيها مقدار غير قليل من الاوكسيجين والكربون اللذين هما عنصرا الاحتراق ومع ذلك فصيامه لم يكن الا محدوداً ولو تجاوز به حداً معلوما لهلك لا محالة والدليل انه خرج من صيامه فى حالة الهزال الشديد بخلاف الشيخ العشماوى على ما بين صياميهما من التباين العظيم والشىء بالشىء يذكر انى اقص عليكم حادثة ليست باقل اعتباراً من حادثة تنر وإن كان الصيام فيها اقصر مدة لان الانقطاع فيها كان عن الطعام والشراب معـــا مع قلة الهواء فى ظروف تـكاد تقضى وحدها على الحيـــاة ففى زلزلة سنة ١٨٧١ فى مدينة انطاكية اخرج صبي وبنت من تحت الردم حيث مكثا ثمانية ايام غير كاملة لا ياكلان ولا يشربان فى بناء مربع مسقوف صغير على قدرهما حصل اتفاقا باجتماع بعض الحجارة وحفظهما سالمين ولم يكونا يستطيعان فيه حراكا الا ما قل وهما جالسان القرفصاء وكان عمر الصبى ١٣ سنة والبنت ١٨ سنة اما البنت فماتت حالا بعد خروجها واما الصبى فبقى حيا وقد رايته راى العين بعد عشرين يوما من خروجه مهزولا مهوكا وسالته عما كانا يشعران به وقتئذ فاجابنى ان الم الجوع فقد منهما بعد يومين لكن العطش كان يعذبهما جداً حتى كانا يحاولان شرب بول بعضهما .

ومما يزيد حادثة الشيخ العشماوى غرابة ويقربها إلى الخرافات هو انقطاعه عن التبريز والتبويل مع بقاء باقى المفرزات على حالها كالعرق والدمع واللعاب والمرشحات المخاطية والسائل الـذى اعقبـه ولدين على مـا اشرتم وغير ذلك من المفرزات التى تذهب بمواد الانسجة وبمائهـا والتى لا تستطيع البقاء على حالها الا اذا كان التعويض عن المفقود الذى لابد منه فى كل عمل حيوي موجوداً والتعويض لا يكون الا بالطعام والشراب ولعل حكاية الشيخ المذكور من باب حكاية الشيخ زعبل وامثاله وبودي لو انتبهت الصحة فوضعت هذا الرجل تحت المراقبة الصارمة لا لان عندنا فى مسالته بعض الريب ولكن لتزيل من بين الناس مثل هذه الاشاعات التى تشوش الاذهان وتوسع فى العقل نطاق الاوهام وما هى بقليلة . اه .

كاتبه الدكتور شبلي شميل

(التبكيت) نشرنا الجملة المتعلقة بالشيخ عشماوى وطلبنا من الاطباء ان يفتونا بما يعلمونه فيها وقد اجابنا الى ذلك حضرة شبلى افندى بهذه الرسالة الغراء ولكن كيف يصبح جعلها من باب التخريف والاشاعات التى تشوش الاذهان وتوسع نطاق الاوهام وقد شهدت قرائن الاحوال بان هذه امور الزمنا انفسنا مقاومتها ومعارضة من ينتسب اليها على ان هذا الرجل الى الآن موجود وجميع اهل بلده يقولون ذلك عنه فاحب ما علينا ان تضعه الصحة تحت الحفظ لتعلم ان كان المدعى حقيقيا او من باب التخريف وعلى كل فلا ناقة لنا فيها ولا جمل وإنما هو امر نقلناه وما على الناقل من حرج .



مطبوعات جديدة

النزهة الخيرية فى التواريخ الحالية وهى تقويم الكواكب السيارة اليومى فى البروج وتعديل الأوقات ودرجة الشمس لسنة ١٢٩٨ هجرية . حررها اللوذعى الفاضل الحاج حسن لازاغلي مدير الرائد التونسي والحقها بتاريخ أيام العرب والحوادث المشهورة والنيران التى شبت فى الاستانة ولندن وباقى اوربا والسنين الشديدة البرد وعدد سكان أوربا وتاريخ سلاطين ال عثمان والدولة الحسينية الى غير ذلك من الفوائد التى يعز وجودها فى غير هذا الكتاب .

بـــاب تحصيـــل الحـــاصـــل

وردت الينا هذه الرسالة فاثبتناها كما هى :

سيدى الفاضل محرر التنكيت والتبكيت .

اطلعت على قصيدة بديعة هزلية لاحد شبان ثغرنا الادباء وهى غاية فى باب (تحصيل الحاصل) ابعث اليكم ببعض ابيات منها قصد نشرها فى احد اعداد تنكيتكم الزاهر ترويحا لافكار قرائه الكرام مطلعها .

الأرض ارض والسماء سماء
والماء ماء والهواء هواء
والبحر بحر والجبال رواسخ
والنور نور والظـــلام عماء
والحر ضـد البرد قول صادق
والصيف صيف والشتاء شتاء
والروض روض زينته غصـونه
والدوح دال ثم واو حاء
والمسك عطر والجمال محبب
وجميع اشياء الورى اشياء
والمر مر والحلاوة حلـــوة
والنار قيــل بانها حمراء
والمشى صعب والركوب نزاهة
والنوم فيــه راحة وهناء
ومنها
كل الرجال على العموم مذكر
اما النساء فكلهن نســاء .

شعر عمر بن أبي ربيعة في الغنـــاء الأمـــوي

بقلم: كمال النجـــمي

أكثر ما قرانا عن الشاعر المشهور عمر بن ابي ربيعة ، غزلياته وغرامياته ومغامراته ، ونوادره فى التجميش والدعابة والمطايبة للجنس اللطيف ! .. ومذهبه الفنى الذى يشبه أن يكون مبتكرا فى قول الغزل – على عهده – ومراسلته الجميلات فى مكة والمدينة والطائف ، وإيغاله فى مراسلتهن الى اليمن والعراق والشام ، صادقا فيما يقول أو يكتب احيانا ، لاهيا أكثر الأحيان ! ..

ويسافر الناس من عصرنا بخيالهم ، ثلاثة عشر قرنا الى عصر عمر بن ابى ربيعة فى القرن الاول الهجرى ، ليشاهدوه بين حبائبه الكثيرات كما يتخيلونه الآن ، وليملأوا عيونهم من فارس الصبوات .. كازانوفا العربى الذى ينكمش الى جانبه كازانوفا الأوربى المسكين ! ..

هذه الصورة لأول شاعر قرشي يعترف كبار شعراء القبائل العربية بتفوق شاعريته ، فى بابها الذى انفردت بالتوسع فيه والاقتصار عليه .. ليست بعيدة من صورة ابن ابي ربيعة فى كتب الأدب العربى ، فهو الشاعر الفاتك المغامر الطياش ، وهو «صديق المراة» الذى قصر الشعر على التغنى بمحاسنها ، فقيل له : الا تمدح الخلفاء ؟! .. قال : إنما المدح للنساء فقط ! .. فالمدح عنده فى جوهره غزل وغرام ! ..

لكنه مع ذلك لم يكن وحده شاعر الحب والجمال فى عصره ، ولا كان شعر الحب والجمال فى عصره لونا واحدا ، بل كان أشد كثرة وروعة من الوان قوس قزح ، كما نرى فى اشعار العذريين التى تجاوزت سدة الفضاء ، طيوفا ساحرة ، بعيدة كنجوم الليل ، تملأ قلوبهم بالأمل او الألم واليأس من قسوة التقاليد ! ..

ثم تنحدر طيوف الحب من عليائها كاسرة جناحيها ، عائدة الى الأرض ، حتى تصير معلقة كالسحابة بين السماء والأرض فوق رءوس بعض الشعراء ، ثم تدنو فتكون اعلى من الأرض قليلا ، ثم تتدلى فتلتصق بالأرض وتعانق شعراء اللهو والتصابى ، واولهم عمر بن ابى ربيعة ، أشهر الشعراء ، واعشق الشعراء ، واغزلهم واطربهم الى النساء ، واقدرهم على التعبير عن طويه اليهن بلا ملل صباح مساء ! ..

كان فى عصر ابن ربيعة ، جماعة من أشهر شعراء الحب والجمال فى تاريخ الشعر العربى كله .. حسبك منهم الشعراء العذريون ، الذين لم يتكرر وجودهم فى الشعر العربى ولن يتكرر ، ومعهم مشاهير الشعراء العشاق الآخرون ، ومازالوا هم أيضا أشهر شعراء الحب فى الشعر العربى الى اليوم ..

وهل يمكن أن ينسى شعر الحب فى عصر ابن ابى ربيعة ، اعلامه الخالدين : قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح ، وجميل بثينة ، وكثير عزة ، وابن قيس الرقيات ، وابن الطثرية ، والاحوص ، ووضاح اليمن ، وعبد الله العرجى «حفيد عثمان ابن عفان» ومن لا احصيهم .. فضلا عن بدائع جرير فى النسيب ، وهو اشعر شعراء العصر الأموى ، وإن لم يكن معدودا فى العشاق ؟! ..

فى ذلك العصر بدأ ما يعرف فى التاريخ العربى بالغناء «المتقن» – وسنتحدث عنه بعد – فتغنى أصحابه باشعار لهؤلاء جميعا ، ولكن اكثر غنائهم كان فى شعر عمر بن أبى ربيعة ، حتى قال القائل فى ذلك الزمان : «إذا أعجزك ان تطرب القرشى ، فغنه ألحان ابن سريج فى شعر عمر بن أبى ربيعة ، فانك ترقصه» ! ..

وقائل هذه الكلمة لا يعنى القرشى خاصة ، بل يعم العرب جميعا ، والعجم أيضا ، ممن استعربوا ايامئذ وصار لهم ذوق فى الشعر والغناء والحياة كلها ، كذوق العرب ، بل هو ذوق العرب ذاته ، لأن هؤلاء المستعربين نشاوا بين العرب ، ولقنوا فصاحتهم وحياتهم ! ..

وابن سريج كان أعظم مطربى ذلك العصر ، بدأ حياته الفنية بعد عهد الخلفاء الراشدين ، لكنه راى الخليفة عثمان بن عفان ، وحضر – وهو طفل – الفتن التى اجتاحت المدينة ، عاصمة الخلافة ، فى أواخر عهد عثمان ، ولكن إقامته كانت بمكة ، وفيها كانت بداية شهرته بالنياحة وهى صناعة «النوح» على الموتى ، ينوح عليهم ، ويقبض اجره ، ثم استمع الى غناء رائد الغناء المتقن «ابن مسجح» فأخذ عنه شيئا ، ولم يكتف به ، فلازم العمال العجم الذين استقدمهم الى مكة عبد الله بن الزبير – فى عهد خلافته – لاعادة بناء الكعبة بعد أن احترقت فى حادثة فاجعة .. وعن هؤلاء العمال الذين كانوا يتغنون فى أثناء عملهم ويضربون بالعيدان فى ساعات راحتهم ، اخذ ابن سريج صناعة الضرب بالعود ، ونقل نغماتها الى عروض الشعر العربى ، بذوق



عربى فاذا به قد انشا مقامات الغناء العربى نشاتها الأولى التى كانت طفرة فنية هائلة لا يصدقها العقل ! ..

ومن المصادفات التى لا تثير العجب فى الحقيقة أن العمال العجم كانوا يعملون فى «المدينة» ايضا ويضربون بالعيدان ، واخذ عنهم مطربو المدينة ، فنشا للغناء العربى المتقن مذهبان او مدرستان فى وقت واحد ، مدرسة مكة ومدرسة المدينة .. واهتدى اصحاب هذين المذهبين الجديدين بفطرتهم السليمة الى اخذ ما يصلح للذوق العربى من الموسيقى الاعجمية ، وما يمكن مزجه بما تبقى للعرب من غناء حضارتهم القديمة التى كانت لهم قبل ذلك بالف عام ، ويقول بعض المؤرخين إنها عاشت الفى سنة ، فنكسة الحضارة العربية التى امتدت فى الجاهلية الف سنة ، سبقتها حضارة مزدهرة قاومت الزمن الفى عام ! .. ولو حسبنا السنين لامكن ان نقول : إن الغناء العربى المتقن قد انبعث «فجاة» ـ بمعنى الكلمة ـ بعد احتكاك سريع جدا بالغناء الحضارى الفارسى والرومى والمصرى ، ولو لم يكن للغناء المتقن اصل عند العرب لما صح فى الذهن ان يعود فى مكة والمدينة معا فى عشرين عاما فقط فنا متقنا متكاملا ، لا ينقصه إلا القليل الذى استكمله بعد ذلك إسحاق الموصلى فى بغداد وزرياب فى قرطبة ثم نقله المتغلبون على السلطة فى المشرق والمغرب من الترك والديلم والخزر وغيرهم فحرفوا أسماء المقامات العربية القديمة ، ولكن كان لهم فضل الاحتفاظ فى غنائهم بجوهرها ، فلما انبعث الغناء العربى المتقن من جديد بمصر فى منتصف القرن التاسع عشر على يد الشيخ محمد شهاب (صاحب كتاب سفينة شهاب الذى حوى الموشحات الاندلسية) كان هذا هو البعث الثانى للغناء العربى بعد بعثه الأول فى القريتين العظيمتين ، ثم انبعث الغناء العربى بعثا ثالثا منذ عهد عبده الحمولى ، ومحمد عثمان الى عهد سيد درويش ، وابى العلا محمد ، وام كلثوم ، وعبد الوهاب ، والسنباطى ، وغيرهم .. ومن حسن الحظ ان هذا الانبعاث الاخير لا يمكن محوه لانه مسجل ، بالرغم مما يعتور الغناء العربى الآن من تدهور خطير ! ..

اظننا لم نبعد عن عمر بن ابى ربيعة وشعره فى غناء عصره ، مع اننا قفزنا فى هذه الأسطر الاخيرة عائدين اكثر من الف وثلاثمائة عام من عصرنا الى عصره ..

ذلك ان ذيوع شعر عمر بن ابى ربيعة فى غناء عصره يشبه شيوع قصائد هذا او ذاك من شعراء مصر والشام ـ مثلا ـ فى غنائنا المعاصر ، لا بسبب تكرار التاريخ لنفسه كما اعتدنا ان نسمع بعضهم يقول ، ولكن لتوافر الشروط والأسباب الحاسمة فى اتجاه امس واتجاه اليوم ، على اختلاف الأصول العميقة لاتجاهات الدنيا من زمان الى زمان ! .

تغيرات موضوعية

ولد عمر بن ابى ربيعة فى بنى مخزوم من قريش ، ليلة استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاسماه قومه عمر ، واستهل حياته والناس يبحثون عن خليفة ، ويتنازعون بينهم : ايكون الخليفة هذا الصحابى الجليل أم ذاك ، حتى ارتقى منبر الخلافة عثمان بن عفان ! ..

فى عهد عثمان عاش «عمر» طفولته ، ثم راى الفتنة بين علي ومعاوية فلما خمدت كان قد بلغ الشباب واوغل فى قول الشعر ..

وعهد عثمان ، ثم عهد معاوية ، هما عهد الفتوح الاسلامية البالغة اطراف الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .. وفيهما تدفقت افواج من الأمم القاصية ، ذكورا وإناثا ، على المدينة ومكة

ودمشق والبصرة والكوفة والقدس والفسطاط وصنعاء وغيرها من مدائن العرب ، وفاضت خزائنهم بما اجتنى لهم النصر المتواصل من الأموال الطائلة ..

وكان من البديـــه بعد ذلك أن تتربع قريش على قمة التطورات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ، فان قريشا ذؤابة العرب .. منها خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء ، وكبار القادة والساسة والعلماء فى الدولة العربية العظمى التى اخذت مكان دولتى قيصر وكسرى فى ضربة فذة من ضربات التاريخ البالغة الندرة ، سرعة وحسما واستقرارا ..

ووجدت قريش نفسها وهى تسكن الحرمين مكة والمدينة ، والمدائن الكبرى فى الامصار تنعم بفيض من الرزق يكاد يكون بغير حدود ــ إذا قيس الى الرزق فى الجاهلية ــ وفرضت الدولة للقرشيين من بيت المال مرتبات ثابتة كبيرة ، وخصت بعضهم بما فوق المامول ، فكان عبد الله ابن جعفر بن ابى طالب ينال من معاوية بن ابى سفيان الف الف درهم (مليون درهم) سنويا .. فلما مات معاوية قال يزيد معاوية لعبد الله بن جعفر : كم كان يعطيك امير المؤمنين ؟! .. قال : كان رحمه الله يعطينى الف الف ! .. قال يزيد : قد جعلتها لك الفى الف «مليونين» لترحمك عليه ! .. فقد استكثر الخليفة الاموى ان يترحم هذا الهاشمى ابن جعفر ذى الجناحين الطيار فى الجنة ، على معاوية الذى كان ممن قال لهم الرسول الكريم : اذهبوا فانتم الطلقاء ! ..

ثم زاده يزيد مليونا ثالثا ، لان جعفرا قال له : «بابى انت وامى» .. وهى كلمة «جسيمة» من هاشمى لاموى ، استخرجت من يزيد مليون درهم ! ..

فانظر كيف كان عطاء رجل واحد من قريش ثلاثة ملايين درهم ، ولا يدهشك بعد ذلك الا تسمع عن فقير قرشى فى عهد عثمان الى اخر عهد معاوية .. ولسنا نعنى انهم تساووا فى الثراء ، فان هذا لم يقع فى أى مجتمع من قبل ولا من بعد .. ولا نعنى ان قريشا احتجنت المال عن العرب وخصت نفسها به ، فالقبائل العربية كلها ازدحمت فى الفتوح الكبرى ، فتغيرت حياتها جملة وتفصيلا ، لوفرة المال وفرة هائلة ، حتى بلغ العطاء مستحقيه فى أعماق البوادى وهم يستظلون تحت النخيل ! ..

كانت هذه تغيرات موضوعية طبيعية فى تلك الظروف التاريخية ، ولكن السيطرة على نتائج التغيرات ــ على اختلافها فى جميع العصور ــ لا تدخل فى إرادة انسان بذاته ، بل تخرج حتى عن إرادة المجموعات ، أو الجموع ، وتمضى الى غايتها .. فالتاريخ يذكر ان اسماء بنت ابى بكر زوجة الزبير بن العوام قالت مرة : «تزوجت الزبير وما يملك إلا بعيرا وفرسا .. وليس له خادم ولا مال ، فكنت اطحن بيدى واعجن واعلف الفرس والبعير واجتلب الماء من مسافة بعيدة» ! .. وقد توفى الزبير بعد عثمان بقليل فخلف تركة قدرت بمائة وخمسين الف دينار ، والف فرس ، والف خادم .. ودارا فى الكوفة بقيت قائمة بعد وفاته اربعمائة عام تقريبا لانها كانت قصرا بالغ المتانة .

وكان لطلحة بن عبيد الله دار كهذه بقيت مئات السنين ايضا ، وبلغ محصول اراضيه اكثر من سبعمائة الف دينار فى العام .

وبنى عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ داره بالمدينة بالآجر والجص والصاج .. وحين مات زيد بن ثابت ، خلف من كتل الذهب والفضة ما اضطر ورثته الى كسره بالفئوس ، عدا الضياع والقصور : .. ويذكر التاريخ لزيد جهده العظيم فى جمع القرآن الكريم وكتابة المصاحف ..

ولما مات عبد الرحمن بن عوف جىء الى الخليفة عثمان بن عفان بما تركه من الذهب فى كيس كبير ، فلم يستطع عثمان ان يرى الرجل الذى وضع الكيس وقام وراءه ، فقال عثمان :

ــ رحم الله عبد الرحمن ! .. إنى لارجو له خيرا ، لانه كان يتصدق ويقرى الضيف .. وقد ترك ما ترون من المال ! ..

وكان كعب الأحبار حاضرا فقال :

ــ صدقت يا امير المؤمنين .. كسب عبد الرحمن طيبا ، وانفق طيبا ، لقد اعطاه الله خير الدنيا والآخرة ! ..

هذا معناه ــ فى قول كعب الاحبار ــ ان الأموال التى حازها كبار العرب القرشيين وصغارهم ، بل كبار امة العرب كلها وصغارها ، لم تكن نهبا اقترفته فئة عربية .. ولو كانت كذلك لكان هذا الرجل ــ كعب الأحبار الذى كان يهوديا قبل اسلامه ــ قد غمز قناة العرب فى هذا الشان من قريب او بعيد ..

لقد جاءت هذه الأموال من وجهها «الشرعى» فى الفتوح ، ثم فى «استثمارها» بعد ذلك سنين فى التجارة والزراعة ، فطبع الثراء والازدهار الاقتصادى تلك العصر كله الذى بدا بخلافة عثمان وبلغ خلالها ــ وهى اثنا عشر عاما ــ غاية لم يكن ممكنا بعدها ان يتحول عنها المجتمع الجديد الذى صارت لحياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قواعد واصول صنعتها عوامل تاريخية سريعة لكنها عميقة فعالة ذات منعة شديدة ، ولها فى هذا المضمار تفرد تاريخى يستحق أعمق الدراسات ..

فى ظل هذا التحول الحضارى الأساسى ، فرغ القرشيون فى مكة والمدينة لحياتهم الخاصة ، واغناهم مال الاعطيات والجوائز والتثمير ، فصارت لهم طريقة فى الحياة ، وعرفهم سائر الناس بسمتهم الخاصة وملابسهم وادابهم وفصاحتهم ووجوههم السماح الناطقة باصلهم القرشى ، حتى كان العربى إذا رأى القرشى وهو لا يعرف انه من قريش ولم يره قط من قبل قال له برهانا على فراسته :

ــ امتع الله بك يا فلان .. توسمت فيك القرشية ! ..

فيجيبه القرشى : ..

ــ أصبت ! ..

الغناء العربى المتقن

وسط هذه الحياة الجديدة الزاهية الناعمة المطمئنة ، بزغ نجم الغناء العربى المتقن ، وصارت له طرائق فنية راسخة متعارف عليها ، فاقبل عليه القرشيون ، إقبالا لم يعرف التاريخ له مثيلا ، وارتفعت جوائز المغنين ، وطلبهم الأمراء ثم الخلفاء ــ بعد معاوية الذى كان يلتزم التحفظ ــ وغمروهم بالعطاء .

وعندما بلغ عمر بن ابى ربيعة الاربعين من عمره ، كان الغناء قد تخطى مرحلة الاضطهاد ، وعرف الناس فى الحجاز والشام والعراق اسماء ابن سريج ، وابن محرز ، ومعبد ، ومالك بن أبى السمح ، والغريض ، وابن عائشة ، وجميلة ، وعزة الميلاء ، وسلامة القس ، وحبابة ، وأسماء اخرى لا احصيها ، كانت طليعة الغناء المتقن ، ولكل منها فضل ، وعلى ايديها رسخت قواعد هذا الغناء فى سرعة قياسية لم يعرفها فن من فنون الأمم قديما وحديثا .. وخرج الغناء العربى المتقن كلمح البرق الخاطف من طيلسان غناء الأمم المغلوبة المحتفظة ببقايا حضارات انتهى نورها ، ونظر العرب فيما استحدثوا لأنفسهم من غناء متقن فاذا هو لا يشبه غناء الروم ولا الفرس ولا الخزر ولا غيرهم ، فقد ارتقت فنية الغناء العربى المتقن حتى صار غناء تلك الأمم الى جانبه ثرثرة ساذجة تندثر اصولها يوما بعد يوم ويسخر العربى منها اذا سمعها ، ويقول فى نفسه : اين هذه السذاجات مما نسمع من غنائنا المتقن المشدود الاصول والفروع شدا بالغ الوثاقة

والجمال ؟! ..

وكان على أصحاب الغناء العربى المتقن ـ تلك الفئة النابغة النادرة المثال فى تاريخ الأمم ـ أن يغنوا للأجيال الجديدة التى صار لها ذوق فى النظر الى متاع الحياة ، وزينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، ومن هذه الطيبات .. النساء : زوجات او جوارى ـ وقديما كانت الجاهلية فى فقرها وخشونة ذوقها ، لا يخفى عليها شىء من دقائق الجمال النسائى ، فكيف وقد ذهبت خشونة الجاهلية واندثر فقرها ، واتخذت المرأة مكانها الصحيح ونطق الشعراء بغزل لا يتجاوز فى اكثره مقتضيات المروءة التى هى رأس الاخلاق عند العربى .. واليها ينتهى عمله وقوله ، ولا يخرج عنها حتى عمر بن أبى ربيعة الذى كان يمثل «فتى العصر» بحسناته وتجاوزاته ؟! ..

لهذا لم يكن شعره دعوة الى فجور كما يظن من لا يعرفه ، بل كان تحررا ولعبا فى «الكلام» و «الحوار» .. يدخل فى باب الظرف الحضرى الجديد ! .. ولم يكن اهل عصره ـ إلا بعضهم ـ يرون بذلك بأسا ، بل كانوا يتناشدونه ويعجبون به ..

لم يكن الشعر العذرى يشوق نبلاء تلك الدنيا الجديدة الذين يملكون الجوارى بطريقة شرعية ، فان الشعر العذرى كان شعر الأعراب فى البادية تحرمهم ظروفهم ممن يحبون فيقولون هذا الشعر الذى يراه المتحضرون المترون ساذجا ينضح بالبراءة ، وينم عن قلة التجربة وضعف الحيلة ، وإن كان شديد الحرارة ، عميقا صادقا ، يقلب الأكباد على الطناجر الحامية ! ..

كانت شروط الحياة فى «الحضر» شديدة الإختلاف عنها فى «المدن» .. بالرغم مما انتعشت به الصحراء من بركات الفتوح وكرم الأثرياء الذى كان كالغيوم الممطرة على الناس ! ..

هذا النوع من الشعر

لهذا قل التغنى بأشعار العذريين ، سواء من اعترفت بهم كتب الأدب التى بين أيدينا الآن ، ومن لم تعترف بهم .. وقد روت هذه الكتب أشعار من انكرت وجودهم ومن اعترفت بوجودهم ، وسجلت ما صنع فيها المغنون من الحان عاشت حتى نهاية العصر العباسى الأول ..

كذلك قل إقبال المغنين على أشعار جميل بثينة وكثير عزة ، وابن قيس الرقيات ، وأمثالهم من المتوقرين فى نسيبهم ، أو ممن ادعوا الوقار وطاب لهم أن يجعلوه طابع غزلهم ونسيبهم ! ..

فهذا النوع من الشعر ، وإن لم يخل من فرائد ، لا يحرك عواطف «جمهور الغناء» الناعم .. ولا يحوز رضا عامة عشاق السماع ! ..

ولما غنى المطربون فى شعر العرجى الشاعر الغزلى الجريء ، طرب لهم الناس ، ولكن الذى أطرب الناس حقا ، وفتنهم ، وأقامهم وأقعدهم ، ومس قلوبهم وأكبادهم ، هو الغناء فى شعر عمر ابن أبى ربيعة .. فانه الشعر الذى كانوا يلتمسونه فى الغناء ، شعر الرفاهة القرشية الجديدة الخبيرة بأصول الحياة فى المجتمع الجديد .. إنه الكلمة المطلوبة لغناء العصر ، لأنه لسان حال الحياة الخاصة للنخبة التى كان عمر ابن أبى ربيعة نفسه واحدا منها .. ولسان حال صفوف كثيرة وراء هذه النخبة العريقة ، من عامة أثرياء العرب ، وما اكثرهم حينذاك ! ..

تغزل عمر فى جميع شهيرات عصره الجميلات من بنات العظماء والكبراء فى الحجاز والشام والعراق واليمن .. ولم يغضب منه فى اكثر الأحيان احد غضبا لا ينطفىء بأيسر نفخة من فم رجل أو امرأة .. لأنهم كانوا يعرفون أنه من كلام الرفاهة البرىء الذى يترقرق فى النعمة السابغة التى يرتدون بمائها ، ويقتعدون فوق زنبقها على الأرائك مبتسمين للحياة وهى تتارجح بهم ناعمين ! ..

وتنافس المغنون على شعر ابن أبى ربيعة ، فكانوا يتقاسمون القصيدة الواحدة ، يأخذ كل منها أبياتا يلحنها ويغنيها ، وكان أوفرهم حظا من هذا الشعر عبيد بن سريج ، عظيم الملحنين والمغنين ، وصديق عمر بن أبى ربيعة ، وصاحبه فى جولاته بحثا عن الالهام ! ..

ولا تجد من أعلام الغناء كمعبد والغريض وابن أبى السمح وابن عائشة وابن محرز وسلامة القس وغيرهم ، من لم ينل نصيبا وافيا من شعر ابن أبى ربيعة الذى كان نظمه كله للغناء ! ..

ثم عاش هذا الشعر بعد العصر الأموى حتى بلغ العصر العباسى فى قمة ازدهار سلطانه وامتلاء خزائنه ، على عهد هارون الرشيد .. فعندما طلب الرشيد من ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع وغيرهما من كبار المطربين أن يختاروا له مائة لحن جميل ، كان مما اختاروه بعض الألحان فى شعر ابن أبى ربيعة ، فلما طلب تصفية هذه الألحان المائة الى العشرة ، ثم الى ثلاثة ، كان أحد الأصوات الثلاثة فى شعر لابن أبى ربيعة من تلحين ابن سريج ، وقد ظل هذا اللحن مرويا على أصله حتى بلغ عصر الرشيد وغناه له المغنون الرواة كالموصلى وابن جامع ..

هذا الشعر هو :

تشكى الكميت الجرى لما جهدته
وبين لو يستطيع أن يتكلما

ولبث الشعر الذى منه هذا البيت يلحن على أشكال مختلفة فى العصر العباسى الأول ـ عصر الازدهار الأقصى للغناء ـ حتى لحنه شيخ الملحنين إسحاق الموصلى ، فقال له الخليفة «الواثق» معجبا :

ـ لحنك يا اسحاق فى هذا الشعر لابن أبى ربيعة ، خير عندى من لحن ابن سريج ! ..

كمال النجمى

شاعر العاصفة والأمطار ..!

شعر: الدكتور سعد دعبيس

إلى الشاعر الذى تبنى قضية العدالة الاجتماعية فى مصر ، فى جميع دواوين شعره ، الا وهى : « قصائد فى القتال » و « فى العاصفة » و « قبلما تسقط الأمطار »... وفى « انتظار المطر » ..

إلى روح الصديق الراحل .. الشاعر الدكتور كيلانى سند ...

يا رافض العيش فى أغْلال قضبانِ ... ومُنْشِدَ الشعر فى تحريرِ اوطانِ

قضَّيتَ عمرَك فى الاعصارِ أغنيةً ... وصُغْتَ شعركَ فى أفواهِ بركانِ .. !

يا شاعرا .. عاشَ فى الآفاقِ .. عاصفةً ... تدعو السحابَ .. ليهْمِى فوقَ وديانِ .. !

تبثُّ أشواقَها للرَّعدِ .. صارخةً : ... الارضُ ظمأى .. لسيلٍ منك .. هتّانِ .. !

قُمْ .. فَجِّر الصمْتَ فى الصَّحْراءِ .. أُغنيةً ... ألحانُها .. فيضُ امطارٍ وغُدْرانِ .. !!

وفَجِّر العُقْمَ .. فى اعماقِ وَحْشَتِها ... نَهْرَ اخضرارٍ .. لسُمَّارٍ ورُعْيانِ .. !

• •

يا شاعرا .. عاش فى الآفاق عاصفةً ... وطائرا .. يتلظَّى فوقَ نيرانِ .. !!

قمْ .. حطِّم الصمْتَ ، وانفضْ ليلَ مقبرةٍ ... وانْشِدِ الشعرَ فى صدقٍ وايمانِ

قد عشتَ عمْرَك .. لحنا طائرا قلقا ... لا يستقرُّ على دَوْحٍ واغصانِ .. !

تسمو وراءَ نشيدِ الشمسِ .. متخذا ... من شِعْرِك الحُرِّ .. ما يزرى بعِقْبانِ

ما كنتَ يوما لتشدو الشعرَ مرتجفا ... او تهمِسَ الرأىَ فى صمتٍ وكتْمانِ

فكيف تسرى بليلِ الصَّمْتِ .. معتزلاً ... وكيف تأوى إلى انقاضِ بُنْيانِ .. !!

• •

قم .. حطِّم الصمْت .. إن الشعر عاصفةٌ ... لا تسكُنُ القبرَ .. لا تأوى لجدرانِ .. !

وانت .. نهرُ ضياءٍ .. ليس يحْجُبُه ... ما يحجُبُ الناسَ من قيدٍ وسجَّانِ

قم .. حطِّم ... .. إنَّ الصمتَ مقبرةٌ ... وانْشِدِ الشعْرَ فى صحبٍ وخلان

والقِ بالكفنِ البـ... فانت هنـ... ... فكرٌ تسامَى على مَوْتٍ واكفانِ

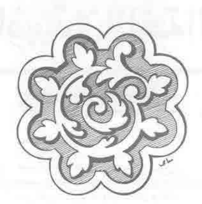
حطم قيودَكَ .. « اودوسيوسَ » وارمِ بهـ... ... وعُدْ لساحةِ ابطالٍ وفرسانِ

لما تزل (بنيلوبُ) « الشعْرِ .. حائرةً ... ترجو إيابَكَ فى شوقٍ وتحنانِ .. !

تسائلُ القومَ .. « ماذا بعدَ رحلَتِه ... متى يعودُ فيطوى صمْتَ احزانى .. !

• •

متى يعودُ لقوس الشِّعر يحكمُها ... يرمى بها كل مَشَّاءٍ ببُهْتانِ .. !



يرمى بهـا من احالوا الشعرَ احذيةً ... لـكل ذي صـولةٍ يُزْهَى بسُـلْطانِ
من صيَّروا الشـعرَ ابواقا مسـخَّرة ... وصـيَّروا الفنَّ اسـواقا لعُبْـدَانِ .. !

• •

يا شـاعرا عاش فى الآفاق عاصـفةً ... وطـائرا يتلظَّى فـوقَ نـيرانِ .. !
قمْ .. علِّم القـومَ ان الشـعْرَ معجـزةٌ ... تَهْـدى الى الحـقِّ .. لا تُشْرَى بأثمـانِ .. !
وأنَّ من يبـدعُ الأشـعارَ مرتفـعٌ ... بشـعْره .. فوق القـابٍ وتيجـانٍ .. !
واننـا نمنَحُ الآفاقَ .. انجُمَهـا ... ونبدع الـكونَ .. من ابيـاتِ ديوانٍ .. !!
منابعُ الضـوءِ .. تَسْرِى من مشـاعرنا ... والشمسُ تشرقُ من اعماقِ فنَّـانِ .. !!
مليـونُ شمْسٍ وشمسٍ .. فى قصـائدنا ... تفجِّـرُ الضَّـوءَ من الافِ اكْـوَانِ .. !!

• •

قُمْ .. يا رفيقَ السُّرَى .. فالريحُ عاصـفةٌ ... والليـلُ من حوْلِنـا .. غاباتُ ذُؤْبانِ .. !!
تركْتَنى .. فى زحامِ النـاسِ .. منفـردًا ... أفرُّ منهم .. إلى دَمْعى وأَحْـزانِى .. !
وحْـدِى .. غدَوْتُ .. وما فى العمـرِ متَّسَـعٌ ... لصاحبٍ أرْتَجِيه .. بعـد « كيلانى » .. !!
كنـا رفيقىْ حَيَـاةٍ .. ما يفرِّقنـا ... ما فرَّقَ النـاسَ من احـداث أزْمَـانِ
قـد كنتُ انطِقُ ما اوشـكْتَ تنطِقُـهُ ... ويلتقى منك تبْيَـانٌ بتَبْيَـانِى .. !
فكيفَ خلَّفْتنى انضـاءَ مغـتَرِبٍ ... لم يَبْقَ منـه سـوى اشْـلاءِ إنسـانِ
ودونمـا موعـدٍ .. اسْرَيْتَ .. مـرتحلاً ... يا طائرَ الحبِّ نحو العَـالَمِ الثـانى .. !

• •

بالامس .. كنـا معا روحا معـذَّبَةً ... يمشِى بهـا فى دروبِ الارضِ جِسْـمانِ
واليومَ .. نحن هنـا روحٌ مجنَّحَـةٌ ... تخلَّصـتْ من ترابِ العـالَمِ الفـانى .. !
تسرى بهـا فى سماءِ اللهِ اغنيـةٌ ... الحـانُها فيضُ تسـبيحٍ وإيمـانِ .. !

سعد دعبيس
كلية الآداب ـ جامعة صنعاء

سر الجاذبية في اللغة العربية

بقلم : حامد بدر

عندما تكون حاجة المحب الى المحبوب شديدة، أو عندما يكون المحب طالبا والمحبوب مطلوبا ، فان قوة الجاذبية فى جانب المحبوب قادرة على اجتذاب المحب . والنتيجة إغداق العطاء من المطلوب على الطالب .

ولكى يؤدى الرسول رسالته لابد أن توجد لديه القدرة على تبليغ تلك الرسالة وان يملك من فصاحة اللسان ، وبلاغة الاقناع ما يخضع المخاطب لا سيما مخاطب معاند مكابر متعصب ، عاكف على عبادة الأوثان ، تلك العبادة الموروثة التى يستمد منها سلطانه وجاهه وثراءه . وهو مع عناده ومكابرته وتعصبه ووثنيته .. متفوق فى بلاغته واقتدار لغته وسحر بيانه .

ولم يرسل الله رسولا إلا بلسان قومه . كما جاء فى القرآن الكريم « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » . وقد أرسل الله محمدا فى العرب بلسانهم ، ولكن رسالته كانت الى الناس كافة كما جاء فى القرآن الكريم أيضا « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

نزل القرآن عربيا ، على نبى عربى ، فى قومه العرب ، فبهرهم وأعجزهم بنصه ومضمونه وهم امراء البيان .. وانتشر الاسلام ، وشمل نوره كل قارات العالم ، فكيف انتشرت رسالة القرآن فى أمم لا يتكلمون العربية ولا يعرفونها ؟ وهل سعى الاسلام الى المكان الذى ظهر فيه وهو قلب الجزيرة العربية الى مكان قريب أو بعيد ؟ أم سعى الناس من كل مكان الى المكان الذى بزغ منه نور الاسلام ، بعد ان بعث فيه هذا النبى العظيم ؟ .

إن اللغة العربية كانت ولا تزال اغنى اللغات ،ولذلك اخذت مكانها فى العالم بين أهلها لتكون مصدر اشعاع تنبعث منه أضواؤها على جميع بقاع الأرض .

وإذا اصطفى الله تعالى من خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم لتبليغ خير الرسالات الى الناس كافة ، وانزل عليه القرآن الكريم بلسان عربى مبين . فلا ريب فى ان لغة القرآن هى اللغة المصطفاة التى لا ترقى الى مكانها لغة اخرى .

وبعد أن وصلت الى القاصى والدانى علوم وتعاليم من القرآن ، مترجمة بكل لسان ، واسلم من اسلم اشتد حنين الكثيرين من غير العرب الى قراءة وفهم اصدق واحكم واعلى كلام ، الا وهوكلام رب العالمين . ولا سبيل الى قراءة ذلك الكتاب بغير تعلم العربية الفصحى . فتنافس المتنافسون فى هذا المضمار ، وظهر من تعلم العربية ونبغوا فيها ، وقراوا القرآن وتفاسيره ، وترجموا من معانيه واحكامه ما استطاعوا وكان هذا السباق بين محبى اللغة العربية حافزا لغيرهم ممن بلغتهم الدعوة الى تعلم هذه اللغة الفصحى ليزدادوا علما ، وليتمكنوا من قراءة كتاب الله والاهتداء بنوره ، فدخلوا فى الاسلام جماعات ووحدانا .

وإذا كانت الشمس ترسل اشعتها بغير حساب ، فليس كل مكان فى الأرض سواء فى التمتع بنور الشمس ودفئها ، فهما فى انجلترا مثلا لا يتعادلان مع نور الشمس ودفئها فى مصر . لذلك كان سكان المناطق الباردة المظلمة هم الذين يشعرون بالحاجة الى الانتقال الى الأماكن التى تسطع عليها الشمس طلبا للنور والدفء ، فيذهبون الى تلك الأماكن ولم تذهب الشمس اليهم فى صقيعهم وثلوجهم وغيومهم .

لم تذهب اليهم ، ولكنها لم تبخل عليهم إذا ماالتمسوا دفئها ونورها بكل وسيلة من الوسائل الممكنة . فان طاقة الشمس من الحرارة والضوء غنية وكافية . والشمس لا تختزن تلك الطاقة ولا تمنعها ولا تبخل بها .

وهذا مثل مادى قد يقرب الصورة الى الأذهان التى تطلب الادراك من طريق الواقع المحسوس وان كان الفرق شاسعا جدا بين هدى الأبصار وهدى البصائر ، وبين المدد الجسمانى والمدد الروحى !

وكما أن معرفة آداب وتراث لغة غير العربية لا يتحقق إلا بمعرفتها ، فكذلك ليس من الممكن الاستفادة من علوم القرآن ، والأخذ من المؤلفات التى وضعها علماء الاسلام وفلاسفة العرب إلا بتعلم اللغة العربية الفصحى . وهؤلاء الذين تعلموها لم يقبلوا عليها للاحاطة المجردة بها ، بل لأنها الوسيلة الى قراءة القرآن الكريم التماسا لذلك النور الهادى . وبتعلم الفصحى وفهمها استطاعوا تذوق بلاغتها فانبهروا بما وجدوا فى القرآن من علوم الكون ، وقصص الأولين وعبرالقرون الغابرة . وخشعوا إكبارا وإجلالا لما فى القرآن من توجيه أخلاقى رائع ، ورسم للطريق المستقيم ، وتحديد للعقائد والعبادات ، وبيان الحلال والحرام ، وتقنين للقصاص والعقوبات . فى دستور سماوى دقيق كامل وشامل ، به تستقيم الحياة ، وبدونه لا تستقيم .

وقد كانت الجاهلية قبل نزول القرآن هى السائدة ، وظلت بعد نزوله حينا من الزمان تصارع الحق ، والحق يصرعها . وكان القرآن آخر كتاب سماوى واف للانسان بكل حاجات زمانه ومكانه وما بعدها من الأزمنة والأمكنة ، بعد ان اجتازت البشرية كل مراحل التقنين والتدرج فى الأخذ بالتطبيق المستطاع لكل تشريع حكيم ، والوصول الى الأصلح والأبقى .

وإذا كان العربى يتكلم العربية فهى لغته ولكن غير العربى إذا تعلم العربية فلأنها جذبته بقوتها ، ولأنه احس حاجته اليها ، وكأنها الكعبة يحج اليها الناس من كل مكان قريب أو بعيد كلما استطاعوا . فان لم يستطيعوا اتجهوا اليها فى صلاتهم من كل الجهات .

ولا نعدو الصواب إذا قلنا ان بين الدين واللغة العربية صلة تعارف وتعاون وتماسك . ذلك لان الوسائل ووسائل الوسائل فى العبادات لازمة ، وبدونها لا تتحقق المقاصد ، فلا صلاة بلا طهارة ولا طهارة بلا ماء طهور . كذلك لا صلاة بغير فاتحة الكتاب ، ولا صلاة بفاتحة مترجمة الى لغة أخرى ، لأن لغة القرآن هى اللغة التى لا توجد بلاغتها الا فيها ، ومن غير الممكن أن يترجم القرآن إلى لغة أخرى ترجمة مباشرة تعطي الدلالة التى انفردت بها لغة القرآن .

فيروز

شعر: ناهض الريس



سمعتُ فيروزَ في الصحراءِ فانبجَسَتْ
يا مُخْمَلاً رَفَلَتْ حورُ الجنانِ بهِ
سبقتَني لفؤادي وانسكبتَ بهِ
لعلَّهُ قمرُ الاقمارِ او قدر الاقدار
وصوتُ فيروزَ امادٌ واجنحةٌ
وصوتُ فيروزَ نجوى الريحِ إن هَمَسَتْ
وصوتُ فيروزَ رَجْعُ الارضِ إنْ غَضِبَتْ
وصوتُ فيروزَ انواءٌ واشرعةٌ
وصوتُ فيروزَ انهارٌ واوديةٌ
وصوتُ فيروزَ جوّادٌ تدفّقُهُ
دُرُّ البحارِ خبيءٌ في مجاهلِها
عشِقْتُ في الحِلِّ والتّرحَال صحبَتَهُ
اعْرى له وهو عارٍ في تأوّدِهِ
فعُدْتُ طفلاً وعاد الكونُ مؤتلِقا
يا اخْتَ لبنانَ ابدعتِ الجمَالَ وكَمْ
لا ابعدَ اللهُ صوتا ما له عِوَضٌ

عينٌ وازهَرَ وردٌ رحتُ اقطفُهُ
ويا جناحَ فراشاتٍ تُهَفْهِفُهُ
خمرا حلالاً ، وسرا لستُ اعرفُهُ
او جوهرٌ صَعْبٌ تكشّفُهُ
وكبرياءٌ وجُرْحٌ عَزَّ مُسْعِفُهُ
للياسمينِ بصيفٍ رقَ مِطْرَفُهُ
وثارَ بركانُها وانهالَ قاذِفُهُ
وشاطئٌ نَبَتَتْ نخلاً مشارِفُهُ
وطائرٌ في ذُرى صنّينَ موقفُهُ
وصوتُ فيروزَ حنّانٌ تلهّفُهُ
وصوتُ فيروزَ ذَوْبُ الدُّرِّ احرُفُهُ
وهَلْ على القلبِ من ناي يشنّفُهُ
وما بنا حاجةٌ للتوتِ تَخْصِفُهُ
وعاد بالفني حينا والفُهُ
اجزلْتِ في عَالَمٍ جفّت عواطِفُهُ
ولا بَلابلُ كلِّ الارض تَخْلُفُهُ

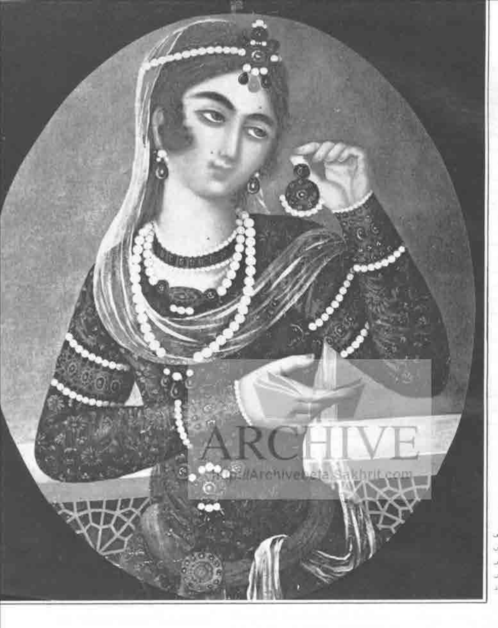
إلى أعلى حزام فضي يجمع بين التصميم الدقيق وروعة استخدام الالوان والأشكال ، وقد استخدم فيه البدو في شبه الجزيرة العربية العملات كوسيلة لاضافة الجمال على هذه القطعة من الحلي ... واللقطة الاخرى للكفة التي توضع فوق الشعر على الجبهة والمزينة باللؤلؤ .





- عندما كانت الأحجار الكريمة والفصوص والخرز تستخدم كعملة للبيع والشراء
- كانت عادة استعارة الحلي من العادات المألوفة عند العرب
- لماذا نشطت حرفة الصياغة والتفنن بالحلي عند أهل اليمن ؟
- **كانت المرأة العربية في صدر الإسلام تتزين في بيتها بالذهب وكافة أنواع الحلي**
- أكبر سوق قديم للذهب عرفناه عند العرب كان في بغداد ، ومازال قائماً حتى يومنا هذا

بقلم : نجلاء العزي



قتاة هندية تتزين بالحلى النادرة فى القرن الثامن عشر . واغلب هذه الحلى انتقلت صناعتها وبعض زخارفها الى بعض البلاد العربية

الحلى سبقت الملابس الى الوجـــود ، فالانسان البدائى الاول ومنذ العصـــــور الحجرية الموغلة بالقدم ، ومنذ الزمن الذى كان يتخذ فيه من الكهوف مساكن له ، تعلم من الطبيعة التحلى والتزيين . فقد جذب نظره ما لبعض الحيوانات والنباتات من زينة طبيعية تختلف عن غيرها وعن جنسها بالوانها البراقة واشكالها المتميزة دفعتـــه الى محاكاتها . هذا سبب وهنالك سبب اخر للحل . الا وهو جعلها رمزا للقوة والغلبة على الطبيعة التى حوله (بيئته) ، كان يتحلى باسنان الذئب للدلالة على قتله أو بانياب الفيل للدلالة على سيطرته على الحيوانات القوية فى محيطه .

وبتطور المجتمع البدائى الأول وتحول الانسان من صياد جامع للقوت الى فلاح منتج للقوت وبتركه الكهوف ونزوله الى السهول والبوادى فى تجمعات قبلية زراعية ادت الى تكون القرى ومن ثم المدن ونشوء الدويلات ثم الدولة والأديان وبزوغ الحضارات الأولى ، تطورت تبعا لذلك الحلى وذلك نتيجة لظهور حاجات جديدة اصبح للحلى فيها بواعث ووظائف اخرى غير تقليد الطبيعة ومحاكاتها . منها معان سحرية ودلائل اسطورية ورمزية وعلامات د ـنوية ولجملة هذه الاسباب المتعددة اصبح لها اشكال وعلامات مميزة . فمنها ما اختص بالكهنة ومنها ما اختص بالمحاربين والصيادين والقادة والفرسان والملوك والوزراء وغيرهم من خاجات ومظاهر المجتمعات الجديدة .

وهذا التطور فى المجتمـــع ادى إلى نشوء اسباب اخرى للحلى غير ما ذكرنا انفا ، فقد



مجموعة كاملة من الحلى كانت ترتديها نساء قبائل البربر فى شمال افريقيا

اصبح التحلى يدل على الثروة والامتلاك ، كان تلبس الاطواق الفضية للدلالة على امتلاك عدد معين من قطعان الماشية مثلا ، او قلادة من خرز للدلالة على عدد الثيران فى البيت الواحد وهكذا ..

كما أن تطور الدولة جعل من الحلى دلالة على المركز الذى يشغله الشخص ، كان يلبس الملك تاجا ويلبس القائد اكليلا والكاهن نطاقا ، وكل له زخرفة معينة ترمز اليه ، وحتى نساؤهم ايضا لهن حلية خاصة تلبسها المراة للدلالة على مركز زوجها .

ولكن أهم سبب فى تطور الحلى وتحولها من رمز لشىء معين الى حلية تجميلية هو التجارة والمال ، فان اكتشاف المعادن الثمينة كالذهب والفضة والاحجار الكريمة وتهافت الناس على اقتنائها والمحافظة عليها وذلك لقيمتها الكبيرة التى قدرها لها الانسان ، ادى الى استنباط وسائل جديدة لاظهارها واستخدامها وحملها ونقلها بسهولة

هذا اضافة الى ان التجارة جعلت من الحلى عملة ومقياسا للتبادل والتعامل التجارى فى البيع والشراء ، وذلك قبل ايجاد العملات والسكة والنقود بوقت طويل حيث استخدمت الخرز والفصوص من الاحجار الكريمة والاصداف والمحار مثلا كعملة للبيع والشراء ، واستمرت هذه الطريقة حتى بعد ايجاد العملات ، سارية فى القرن التاسع عشر فى بعض المجتمعات البدائية فى غابات افريقيا وامريكا الجنوبية .

حلى الزينة

هذا ولم تقتصر حلى العالم القديم على النساء دون الرجال او اختص بها فئات مجتمع دون اخر . فقد لبس الانسان الاول الحلى رجالا ونساء ، فقد كان المحاربون الآشوريون على سبيل المثال ، وكذلك الرومان يلبسون الأسورة والاقراط والاحزمة والقلائد ، وكذلك الفلاحون والملوك والكهنة على حد سواء ، والاختلاف يكون فى مادتها او شكلها ، اما الاقتصار على جنس او فئة واحدة فلم يكن واردا اطلاقا .

وهكذا نرى ان الحلى كانت قد لعبت دورا كبيرا وهاما فى حياة شعوب العالم القديم وذلك لعدم اقتصارها على الزينة .

هذا وما زالت الحلى تلعب دورا كبيرا فى التزيين فى عصرنا هذا ، وصدد بحثنا هو حلى الزينة فقط .

العرب وصياغة المعادن

وبعد أن استعرضنا الحلى عبر العصور لابد وأن نمر على الحلى العربية الاسلامية بشىء من التفصيل .

يعرف العرب الحلى هى : « كل ما يتزين به من مصوغ المعدنيات او الحجارة » . وهى صلب الموضوع وعنوانه ، فان المراة العربية فى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام كانت قد عرفت التزين بالحلى فى الجاهلية ، وهى نفس الحلى التى كانت سائدة فى حضارات شبه جزيرة العرب القديمة الجنوبية من سبا ومعين وحمير ، والشمالية كالمناذرة والغساسنة ومدائن صالح وعمان والبحرين وهذه الحلى هى التى كانت سائدة بمختلف تاثيرات أساليب فنون العالم القديم المعروفة . ولما كانت مكة قبل الاسلام مركزا للقاء العرب الشماليين والجنوبيين ، دينيا واقتصاديا ، فقد انتقلت وتبودلت الأساليب والصناعات والفنون ، لذلك فقد امتزجت فيها الحضارات ، فكانت حلى شبه الجزيرة العربية فيها بعض التاثيرات الساسانية والبيزنطية وكذلك الحلى البيزنطية والساسانية قد تاثرت بدورها ايضا عن هذا الطريق ، لكن التاثير الكبير يكون فى الحضارة السائدة لكل منطقة من مناطق شبه جزيرة العرب . ولما كانت حضارات العالم القديم قد قامت وزنا كبيرا للحلى فمن الطبيعى ايضا أن تقيم حضارة العرب الجاهلية وزنا كبيرا للحلى فاولتها عناية كبيرة وتفنن الصاغة بها وعرفتها المراة العربية ولها فيها تقاليد وعادات كان يقال للمراة التى لا حلى عليها (امراة عاطل) أو (عطل) ، والمراة التى عليها حلى يقال عنها (امراة حال) . اما صوت الحلى فيسمى : (الوسواس) كما يطلق على رؤوس الحلى لفظة (الخشل) وقيل ايضا أن الخشل يعنى مجموع الحلى وكانت عادة استعارة الحلى فى المناسبات عادة جارية وشائعة فمثلا أن والد هند ، عتبة بن ربيعة ، استعار حليا من بنى ابى الحقيق ، مقابل رهن لمدة شهر وذلك عند زواجها من ابى سفيان بن حرب . واذا لم تجد المراة حليا تلبسها فانها تنظم عقودا من الخرز وتلبسها حرصا على الزينة والتحلى بغض النظر عن مادتها .

هذا وقد عرفت الصياغة كحرفة شائعة ، وكانت اهم اعمال الصائغ عند الجاهليين هو صياغة المعادن والحجارة للزينة ، اضافة الى ذلك فقد كان يعمل الصائغ الأوانى الذهبية والفضية وبعض قطع الاثاث المعدنية ، فقد ذكر أن السبائين كانوا يستعملون فى بيوتهم ادوات واوان من الذهب والفضة . وصلنا منها قطع قليلة متاكلة



هذا وقد اشتهر « بنو قينقاع » في مدينة يثرب باجادتهمحرفة الصياغة واتقانهم لها

والصائغ عند العرب هو من يحترف فن الصياغة . وصاغ الشيء من باب قال وهو (صائغ) في اللهجة العربية الشمالية ، « وصياغ » في لغة اهل الحجاز ، وعمله الصياغة ، اي صياغة كل ما يتزين به من الذهب او الفضة وتطعيمها بالأحجار الكريمة . وقد ذكر الشاعر النابغة الذبياني الصائغ في بعض ابياته منها :

لعن الله ثم ثنى بلعن
ربذة الصـــــائغ الجبان

كما كان مساعدو الصائغ والصناع الذين يشتغلون عنده يدعون (بالتلاميذ) .

انتقال الأساليب الفنية

وما وصلنا من حلى شبه جزيرة العرب قليل جدا لكن يمكن دراسته وتكوين فكرة عنه . حيث وصلتنا بعض الحلى القتبانية من اليمن ، وكذلك من المناذرة والغساسنة ، مما امكن تكوين فكرة عنها . ولما كانت الحلى من المعادن ، والمعادن بصورة عامة بطيئة التغيير في اسلوبها وطرازها ، فلاشك انه كان لحضارات العرب القديمة اسلوبها وطرازها خاصة البعيدة منها كاليمن التي لها طراز خاص بهـا ولو كان فيه بعض التاثيرات البيزنطية والساسانية ، ولكنه تاثير قليل لا يمكن تمييزه بسهولة ، اضافة ما كان في اليمن من ثروات ومعادن كمناجم الذهب والفضة ، وما كان لها من تجارة نشيطة عبر البحر الى افريقيا والهند وشرق اسيا حيث تجلب المعادن الثمينة وتنقل عن طريقها الى شبه جزيرة العرب ومنها الى سورية وارض ما بين النهرين (العراق) وفارس وغيرها من دول العالم المعروفة قبل الاسلام ، كل ذلك ادى الى نشــــاط حرفة الصياغة والتفنن بالحلى .

هذا ولم تتاثر حضارات شبه جزيرة العرب القديمة بالطرز الساسانيـــــة والبيزنطية الا في فترة متاخرة سبقت الاسلام بقليل بعد ان تعرضت للغزو من الفرس ، ولما كانت حرفة الصياغة وفنها قائم على المعادن فقد تبدلت تبدلا طفيفا كما ان الحلى الساسانية كانت قد تاثرت بدورها الى حد ما بالحلى اليمانية وذلك بسبب ما في بلاد اليمن من كنوز وحضارة قديمة وموقع جغرافي هام للتبادل التجارى . فانتقلت الأساليب الفنية من اليمن بعد ان عمت شبه الجزيرة العربية الى الخليج العربي وشرق الجزيرة وشمالها حيث المناذرة والغساسنة الذين نقلوا التاثيرات اليمنية الى الفنـــــون الساسانية ، لاننا نلاحظ تبدلا واختلافا في



امرأة ترتدي عقداً في عنقها [illegible] كتاب الكواكب الثابتة الذي الفه « الصوفي » في القرن الرابع الهجري

الفنون الزخرفية الفارسية عامة من العصر الفرثي الى العصر الساساني بسبب قربه من شبه جزيرة العرب .

الحلي في الاسلام

ولما جاء الاسلام وتبدل مجتمع شبه الجزيرة العربية ديانة ونظاما ، ومن ثم توسعت الدولة الاسلامية فعمت ارجاء كبيرة خارج شبه جزيرة العرب . وضمت تحت لوائها مختلف الجنسيات من فرس وهنود وروم وغيرهم ، انصهرت تبعا لذلك الفنون العربية الاسلامية في هذه البوتقة وانتجت فنا اسلاميا له اسلوبه وطرازه الخاص ، وهذا الفن بمختلف فروعه اصله عربي من شبه جزيرة العرب خاصة اليمن وفرعه مزيج وصل الى اوروبا غربا والصين شرقا والاتحاد السوفيتي شمالا (الذي كان يعرف ببلاد ما وراء النهر في العصـــــور الاسلامية) . والى اليوم مازالت تلك السمة القديمة تطبع الفنون الزخرفية الاسلامية عامة بحيث يمكن تمييزها من النظرة الاولى لما لها من شخصية نقلت اليها من العصور الاسلامية .

وتبعا لذلك فقد تاثرت الفنون الزخرفية عادة كلها بالدين والنظام الجديدين ماديا وفنيا ، ولما كانت الحلى من الفنون الزخرفية فلابد وان تكون قد تاثرت بذلك وفقا لما نفصله تاليا : ان الدين الاسلامي لم يحرم الزينة . والزينة في الاسلام هي :

« تحسين الشيء بغيره ، من لبسة او حلية ، او تحسين الهيئة بوسائل اخرى » ،

ولما كانت المراة العربية تتزين بامور الزينة التي كانت سائدة في شبه جزيرة العرب والتي عرفت بغنى مادتها ووفرتها وتنوعها وحيث لم يرد في القرآن الكريم اي ذكر لتحريم التحلي . فقد ذكرت لفظة (حلية) في صورة فاطر الآية ١٢ . (وتستخرجون حلية تلبسونها) . وكذلك في صورة الرعد الآية ١٧ بقوله تعالى : (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع) . لذلك فان لبس الحلى ذهبية كانت ام فضية لم يحرم في الاسلام . وكل ما كان هو نهى ورد في الاحاديث النبوية الشريفة ، والنهى اقتصر على لبس الرجال للذهب واقتصاره على النساء فقطكقوله صلى الله عليه وسلم :

« الحرير والذهب حرامان على رجال امتى ، حل لاناثها »

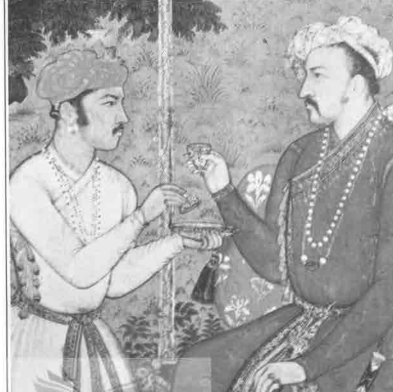
وقد احل النبى صلى الله عليه وسلم لرجال المسلمين التحلي بالفضة فقط ، كقوله :

« عليكم بالفضة فالعبوا بها » . كما تذكر السيدة عائشة رضي الله عنها ، ان النبى صلى الله عليه وسلم ، نادى امامة بنت ابى العاص ، وهى حفيدة النبى من ابنته زينب ، واعطاها خاتما ذهبيا به فص حبشي كان قد اهداه له النجاشي ، قائلا لها : « تحلي بهذا يا بنية » .

هذا ولن اعرض للاحاديث التى يظهر فيها المغالاة والتناقض الواضحين ، وذلك لان اغلب كتب تفسير الاحاديث الفقهية ، والكتب المؤلفة لدراستها تبين ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى رجال المسلمين عن لبس الذهب فقط وابلح لهم لبس الفضة ، ومازال هذا العرف جاريا الى يومنا هذا عند المسلمين . هذا بغض النظر عن الخروج عن هذه القاعدة وذلك في الاسراف والمغالاة بابراز مظاهر الثروة عبر بعض الفترات في العصور الاسلامية .

هذا وتفسر معظم كتب تفسير الاحاديث ، ان سبب إباحة التحلى بالذهب للنساء فقط ، هو انه لا يخرج عن كونه : (الرغبة في التجمل والظهور بالمظهر الحسن امام الزوج) .

واضافة الى الرأى السالف الذكر فان لنا رايا قائما على دراسة حلي العصور السابقة للاسلام ، فقد لاحظنا ان الرجال في العصور الفارسية والبيزنطية والرومانية . وهى الفترة التى سبقت وعاصرت الاسلام ، كانوا يسرفون في التزين بالحلى الذهبية والاحجار الكريمة ، وقد امدتنا الحفريات الاثرية والنصب التذكارية بامثلة عديدة من تماثيل واشكال تمثل ملوك ووزراء وقادة وكتبة وغيرهم ، تبين الاسراف في التزيين والتحلى ، كتماثيل مدينة



العرب.. وفن صياغة الحلي

لوحة من معرض العالم الاسلامي الذي عقده المتحف البريطاني في عام ١٩٧٦ ويبدو فيها رجال يستخدمون الحلي

الحضر والحيرة واليمن وحضرموت وفي تدمر والمدائن (طيسفون) عاصمة الساسانيين في العراق ، امثلة لا حصر لها من الزينات الرجالية بالمجوهرات والاحجار الكريمة .

ولما جاء الدين الاسلامي بعقيدة جديدة تقوم على اساس تغيير المجتمع تغييرا جذريا قائم على دين سماوي عظيم ،فلكي يكون رجال هذا الدين على قدر الدين المنزل ، راى النبي صلى الله عليه وسلم ان انشغال رجال الدين المسلمين في بداية الدعوة ونشوء الدولة الاسلامية ، بالذهب والتهالك على اقتنائه واكتنازه قد يسبب الفرقة ويولد البغضاء والحسد في صفوف رجال الامة الواحدة لانهم كانوا بالنسبة الى الدين الجديد سواسية كاسنان المشط لافضل لواحد على الاخر إلا بالتقوى ، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفضل انشغال رجال الدين الاسلامي بامور الدعوة الاولى ، لذلك فقد صرف انظارهم عن الذهب وما ياتي من بعده من مشاكل هم في غنى عنها ، لذلك ابيح للنساء التحلي بالذهب والفضة وكل امور الزينة السائدة ، وإباحته الفضة للرجال يرجع الى ان الفضة ارخص ثمنا من الذهب والحصول عليه متيسر ، وقد استمر الالتزام بالتقشف طوال العصر الاسلامي الاول في عهد الخلفاء الراشدين . اما في العصر الاموي الذي تلاه فقد وردتنا اخبار عن ظهور بوادر الترف وقد تكون بعض هذه الاخبار مبالغ فيها ، منها ماقيل عن الوليد ابن يزيد الذي اغرم بلبس العقود حيث كان يغيرها في اليوم الواحد كما يغير الثوب . ولكن من المؤكد ان الحلي اقتصرت على النساء كما انها تطورت وظهرت فيها انواع جديدة لم تكن معروفة بصدر الاسلام ، وذلك نتيجة للفتوحات واتساع الدولة الاسلامية وانتشار حضارة الجزيرة العربية واختلاطها بما حولها .

اسواق الصاغة

اما في العصر العباسي فقد زادت العناية بالحلي واصبحت مظهرا من مظاهر الترف والثروة ، وقد امدتنا الكتب التاريخية باخبار الحلي التي تمتلكها زوجات الخلفاء وجواريهم واوصافها واثمانها واعدادها بشكل يبدو اقرب الى الخيال منه الى الواقع ، وذلك لعدم وصول قطع مادية منها حيث لم تمدنا الحفائر الاثرية إلا بقطع قليلة لا تقارن بما جاء في الكتب ، ولكن من ناحية اخرى فان ما ورد من الكتب المصورة والمزوقات والمنمنمات والرسوم الجدارية في قصور سامراء والفسطاط والحيرة يعتبر امثلة جيدة لقطع الحلي بحيث يمكن اخذ صورة واضحة عن اشكالها وتكوين فكرة عنها .

وتذكر المصادر العربية انه كان ببغداد سوق كبيرة يعرف بـ سوق الصاغة ، ومازال موضعه الى يومنا هذا في بغداد ، كما يوجد مثله في مختلف الحواضر الاسلامية كدمشق وحلب واسطنبول والقاهرة ومدن شمال افريقيا كالقيروان وفاس ومكناس ومدن الاندلس كغرناطة وقرطبة واشبيليا كلها على نمط واحد حيث لها ابواب تغلق ليلا ويخفرها حراس . هذا كما تذكر المصادر العربية ايضا وجود اسواق خاصة للجواهر فيها دكاكين داخلها اقفاص تحفظ الجواهر والاحجار الكريمة . كما كان للصاغة نقيب يسمى (عريف الصياغ) ، هذا وكان معظم ارباب السوق من اهل الذمة وهذه عادة ظلت متبعة منذ الجاهلية حيث تنبه اليهود الى ما للذهب والصيرفة من قيمة مادية كبيرة استغلوها لاغراض السيطرة على اقتصاد المدينة ، ولما انصرف رجال الدين الاسلامي في صدر الاسلام الى الفتوحات والجهاد لتثبيت اركان الدولة الاسلامية الناشئة تركوا الحرف والاشتغال بها لاهل المدينة ، ولما كانت الحرف والصناعات تقليدية متوارثة ابا عن جد ، فقد ظلت كذلك حتى في العصور الاموية والعباسية ثم انتشرت بين المسلمين ايضا وصار منهم محترفون يتهافت الناس على اقتناء منتجاتهم في مختلف الصناعات وليس الحلي فقط .

اشهر الانواع

ونود ان نشير الى ان ما وصل الينا من الحلي الاسلامية ، قطع قليلة ونادرة موزعة على مختلف المتاحف العربية والعالمية ، نخص بالذكر منها متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، والمتحف العراقي ببغداد والمتحف البريطاني ، ومتاحف اخرى موزعة في اوربا الغربية والشرقية ، وكذلك في البلاد العربية والاسلامية وفي تركيا كمتحف طوب قابي سراي في اسطنبول ، والمتحف الوطني للفن الايراني في طهران ، اضافة الى ذلك ما اوردته الكتب المزوقة كمقامات الحريري ، والمنمنمات الهندية والفارسية الاسلامية والرسوم الجدارية في قصر الحمراء بغرناطة وقصر عمره في الاردن .

ونلاحظ ان ماوصل الينا من الحلي الاسلامية في العصور المتاخرة كالعثمانية ، هي كثيرة ويطغى عليها طراز واحد وذلك لكونها من المعادن ، والمعادن بصورة عامة بطيئة التغيير كما ذكرنا سابقا .

اما اشكال وانواع الحلي التي كانت معروفة في مختلف العصور الاسلامية فهي :

اولا : حلي العنق والجيد والصدر :

● النظم : ـ والنظام عند العرب هو كل شيء منظوم بخيط ، وقد عرفته المرأة العربية منذ العصر الجاهلي ، وهو ابسط انواع الحلي لانها تعمل باليد ، وتتنوع مادة الخرز ، والنظم من الاحجار والقواقع الى اللؤلؤ والمرجان والعقيق وفي ذلك يقول

النابغة الذبيانى :

اخذ العـــذارى عقدها فنظمنه
من لـؤلـؤ متتـــــابع متسردا

وكانت الفتيات تنظمه مع الجدائل او تعقده حول الجبين ، ومن المؤكد ان هذه الطريقة البسيطة فى الحلى استمرت مدة طويلة على مدى العصور الاسلامية كافة ، فقد وردتنا امثلة مرسومة لفتيات من قصور سامراء يضعـن على رأسهن النظام وفى امثلة اخرى تلبسها الفتيات فى الرقبة او فى اليـــــد .

● القلائد : والقلادة فى اللغة ، لفظة عامة ، تطلق على امور كثيرة ، فقـــد كان الجاهليون يستعملونها للهدى والنذور وهى ليست موضوعنا ، كما كانت تلبس فى العنق فى الزينة وكانت تعمل صياغة عند الصائغ

ثانيا : حلى اليدين :

● الاسورة : السوار لفظه فارسية معربة اصلها (ستوار) ، ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « جنات عدن يدخلون يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير » .

وكان العرب فى الجاهلية يحبون لبسها خاصة المحاربين منهم للتباهى بها ايام الحرب

وكانت تلبسها النساء والرجال على حـــد سواء .

● الخواتم : الخاتم من عمل وصنع الصائغ ، وهو من حلى الاصابع ، ويزين بالحجارة الكريمة ، وفى القالب يرصـــع بالياقوت والالماس والشذر ، وهناك الخاتم الذى يستعمل للختم اى التوقيع وهو ليس للزينة وكان يصنع من الشبه او الصفر او الحديد وله اشكال عليها كتابات ورموز وصور معينة بغرض التوقيع . وكان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديد ملوى عليه فضة .

ثالثا : حلى الراس :

● التـــاج : وهو شبه عصابة مكللة بالجوهر ، وهو الاكليل ايضا ، لكنه يصاغ من الذهب ويرصع بالجواهر والاحجار الكريمة وقد عرفته العرب منذ العصــــور الجاهلية ولكنه كان رمزا لملوكهم ، وقد تركه الخلفاء المسلمون ولبسوا العمائم بدله . ولكن المرأة العربية الاسلامية ومنذ العصر الاموى ، اتخذته حلية تلبسه فى راسها حيث كان الصائغ يصوغه على اساس انه زينة وحلية من حلى الراس . وكان يصاغ من الذهب وله اشكال مختلفة وردتنا رسومها منذ العصر الاموى .

● العصائب : وهى حلية تشد على الجبين واصلها ان علية بنت المهدى كان فى جبينها عيب فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر لتستر به بعض جبينها ، فتبعتها كثير من النساء .

● النظم : وقد ذكرناها فى حلى العنق لكنها فى الراس تكون بشكل او خيط او خيطين من اللؤلؤ يربط على الجبهة او يشد مع الشعر .

● الامشاط الذهبية : وكانت الامشاط الذهبية تثبت فى الشعر كحلية اما على جانب الجبهة او على الجانبين معا وتمسك الشعر ، ولكنها كانت تزين بصف او صفين من الاحجار الكريمة .

● الزنانير : والشائع عن الزنار انه يشد على الخصر ، ولكن وردنا نوع منها يشد على الطره « الغرة » ، ويحيط بالراس مثل العصابة ، ويزين اما بالكتابة عليه بماء الذهب او يرصع بالاحجار الكريمة ، ونوع اخر منها يشبك فى الازار (اللباس) ، لكى يمسكه ويمنعه من السقوط وذلك بشـــكل « مشبك » او « كلاب » معـــدنى لم يكن بالضرورة من الذهب . وقد وصلنا من رسوم مدينة سامراء الحضارية امثلة عديدة لهذا النوع من الزينة .

رابعا : حلى الاذن :

● الاقراط : القرط هو الحلية التى تعلق بشحمة الاذن ، وهى عادة شائعة منذ العصر الساسانى اخذها العرب ولبسها رجالهم ونساؤهم . وقد تغنى العرب بها وضربوا بها الامثال كقولهم : « بعيدة مهوى القرط » اى ان جيدها طويل ودلايتها التى تنزل من القرط هى المهوى سواء كانت درة او تومة او فص او معلاق من ذهب . والاقراط تلبسها النساء والرجال ايضا فى الجاهلية

وهناك الاقراط التى تتدلى منها اللالىء



الخلخال .. كان وسيلة للزينة عند المرأة

الكثيرة والتى كانت منتشرة فى العصر الساسانى وظلت مستمرة حتى العصر الاموى عند العرب

● الشنوف : وما يتعلق بحلى الاذن هناك « الشنوف » ، وهى الحلية التى تعلق اعلى الاذن وتعمل من الذهب او الفضة ، واستمرت هذه الحلية سارية حتى عصور متاخرة والى يومنا هذا بين الحلى الهندية حيث تفننوا بها كثيرا وزينوهـــا باللالىء والياقوت الاحمر .

خامسا : حلى القـــدم :

● الخلاخيل : تقتصر حلى القدم على الخلاخيل . وكانت لفظة الخلخال تطلق على كل ما يلبس من حلى عامة ، لكنها فيما بعد اقتصرت على ما يلبس فى الساق ، والخلخال هو « الحجل » ويصاغ من الذهب او الفضة ويصنع منه اشكال غليظة بواسطة النفخ ويحشى بالقار كما تحشى الاسورة لكى يبدو ضخما ، ومنه تتدلى اجراس او سلاسل او كرات تصدر صوتا عند المشى وقد كان من اقدم اشكال الزينة عند شعوب الشرق الادنى القديمة ، فقد ورد ذكره فى التوراة وقد نهى الاسلام عن التبختر بلبس الخلاخيل لما فيه من اثارة للرجال .

سادسا : حلى الخصر : وتقتصر حلى الخصر على :

● المناطق : وهى الاحزمة المصنوعة من الذهب والفضة . مكونة من نطاق معدنى مقسم الى جامات زخرفية هندسية الشكل مرصعة بالجواهر الكريمة تتوسطه طرة وله قفل يقفله . وصلنا نماذج منه مرسومة فقط من قصور سامراء .

وهناك احزمة مصـــــنوعة بطريقـــة « الحياصة » تسمى كذلك لانها تستعمل فيها اسلاك ذهبية تحاك او تبرم بشكل نسيج الكتان

وهناك « البريم » وهو خيطان احمر وابيض مزينان بالجوهر يشد على الوسط ويعقد . كما هناك خيط واحد مكون من سلسلة من الفصوص المتتابعة او الخرز المنظومة يعقد على الخصر وجد على رسوم قصير عمره .

وفى الختام نود ان نشير الى ما له علاقة بالحلى وهى لفظة (الجمان) وهى خرز من الفضة يصوغها الصائغ على هيئة اللؤلؤ . وكذلك لفظة (الزخرف) وتعنى النقوش المموهة بالذهب او انه الذهب نفسه .

نجلاء العزي

كاتبة دانمركية تثير هذه القضية الإنسانية

مواطن إفريقي يجد في الموت كل أحلامه في الحرّية!

كانت حكاية الفتى الكينى «كيتوش» حديث الصحف أيام الاســـــتعمار البريطانى لكينيا مما جعل منها قضية نظرت أمام المحكمة العليا وانيط بهيئة المحلفين ـ وكلهم من البيض ـ تجميع خيوط القضية وتنوير المحكمة بكل ما تستطيع الحصول عليه من تفاصيل خدمة للعدالة .

ومن الاصوب ان نترك الكاتبة الدنمركية صاحبة احدى مزارع البن فى المستعمرة البريطانية والمقيمة هناك من ١٩١٣ الى ١٩٣١ تسرد لنا تفاصيل القضية كما دونت فى مذكراتها :

كان الفتى « كيتوش » من المواطنين يعمل فى خدمة مستوطن شاب من البيض فى « مولو » فى منطقة البن فى كينيا . وفى يوم اربعاء من شهر يونيو اعار المستوطن الشاب مهرته السوداء الجميلة ذات الغرة البيضاء الى صديق (ابيض طبعا) ليصل بها الى محطة السكة الحديد حيث ياخذ القطار . وارسل فى اثره غلامه « كيتوش » راجلا ليعيد المهرة الى مقرها وامره بعدم ركوبها والاكتفاء بقيادتها .. ولكن الغلام امتطى صهوة المهرة واطلق لها العنان تسابق الريح .

وفى يوم السبت جاء من ينبىء الشاب الأبيض بجرم غلامه الأسود .. جلد الغلام جلدا مبرحا بالسياط ووثق بالحبال والقى به فى مستودع العلف . وفى ساعة متاخرة من ليل ذلك اليوم لحق الغلام التعس بالرفيق الأعلى .

وفى الفاتح من شهر اغسطس شكلت محكمة عليا للنظر فى القضية . وفى رأى المواطنين الذين تجمعوا فى بهو مبنى المحكمة ان القضية واضحة ولا تحتاج الى كبير عناء اذ ان الأمر لا يتعدى دفع تعويض نقدى بسيط لأهل الغلام المتوفى .. وكان الله يحب المحسنين .

ولكن يبدو ان فكرة العدالة فى اوربا تختلف عنها فى افريقيا . وامام المحلفين ـ وهم البيض ـ طرحت مسألة الذنب ـ والبراءة او بعبارة اخرى : هل المتهم مذنب او غير مذنب ؟

ومن الناحية القانونية فان القضية لا تخرج من دائرة القتل العمد .. القتل غير المتعمد .. تسبيب الأذى الجسيم . ولكن القاضى فاجأ الحاضرين باشارته الى المحلفين بالا ينسوا .. ان درجة الجرم تعتمد على نيات الطرفين المتخاصمين لا على النتائج ، يعنى انما الأعمال بالنيات ، اليس كذلك ؟ ولمعرفة نية الشاب الأبيض (المتهم) جـــرى استجوابه ساعات طويلة ولعدة ايام .

ذكر المتهم ـ فيما بعد ـ انه عندمـــا استدعى الغلام « كيتوش » حضر ووقف بين يديه .. على بعد ثلاث ياردات منه فقط . ثلاث « ياردات » ؟ ! وهذه هى الطامة الكبرى ـ نظر حضرات المحلفين البيض ـ اذ كيف يجـــرؤ اسود على ان يمثل امام سيده الأبيض واقفا .. اكرر واقفا وعلى بعد ثلاث ياردات ؟ بدلا من ان يكون راكعا والتراب يمرغ جبينه ! يا لوقاحة السود وسوء ادبهم ! !

ومنذ تلك اللحظة ـ وتفاصيل القضية تتواتر ـ اهتزت الصورة .. صـــــورة المستوطن الأبيض كانها مقصوصة من صحيفة حملها الريح والقى بها فى مستقر القمامة .

وذكر المستوطن الأبيض (المتهم) انه سأل الغلام عمن أعطاه إذناً بركوب المهرة . وكرر عليه خمسين مرة او يزيد ولم يرد « كيتوش » .. وفي النهاية صرخ قائلا : « لست لصاً » . وهذا الرد الوقح ـ « كما يراه » المتهم الأبيض ـ هو الذى دعا إلى جلده بالسياط ذلك الجلد الذى ادى الى موته . ولكن الاكثر وقاحة ان اثنين من البيض من اصدقاء المتهم كانا حاضرين « حفلة » الجلد بالسياط وكانا فى غاية الاستمتاع .. ولم يكتف السيد الابيض بذلك بل امر من اوثقوه بالحبال والقوا به فى غياهب مستودع العلف ! ولما ساله المحلفون عن الداعى لمثل هذا العمل اجاب بكل صفاقة ـ انه خشى ان ينطلق الغلام ـ بدافع الانتقام ـ فى ارجاء المزرعة يعبث فيها فسادا !

وذكر المتهم انه ذهب الى مســــتودع الغلام ـ بعد العشاء ـ ليجد « كيتوش » مغمى عليه فى مكان يبعد قليلا عن المكان الذى قد تركه فيه .. والوثاق مفكوكا . فاستدعى خادمين من خدمه فاعادا الوثاق اشد احكاما هذه المرة وترك الخادمين فى حراسة الغلام الافريقى المنكود ولكن ما كاد يستلقى على فراشه حتى جاء احد الخادمين ليبلغه ان الغلام قد فارق الحياة .

والطريف المحزن ان هيئة المحلفين لم تنس ما اشار اليه القاضى من « ان درجة الجرم تتوقف وتعتمد على نيات الطرفين المتخاصمين لا على النتائج » وهرولت الهيئة الموقرة لاهثة وراء النيات !

قال الطبيب الشرعى : ان المتوفى مات نتيجة الضرب المبرح ولكن الطبيب

بقلم : قيلى أحمد عمر
الخرطوم



النفسى الذى استدعته المحكمة قال ان الوفاة قد حدثت لأن المتوفى هو الذى نوى الموت واراده واصر عليه . وذكر ان تجاربه العديدة فى المستعمرات اقنعته قناعة تامة بان الافريقى ـ اى افريقى ـ اذا اراد الموت واصر عليه فلابد ان يستجيب القدر !

واخذت المحكمة برأى الطبيب النفسى وبرات ساحة المتهم وبررت جلد الغلام بالسياط بان القصد منه كان التاديب !

وهكذا اثبت القاضى الابيض انـــه ـ استغفر الله ـ اعلم بالسرائر واعلم بنية « كيتوش » الذى لم يمهله القدر ليفصح عنها .. النيات تبرىء القاتل وتجرم المقتول .

تقول الكاتبة الدنمركية : ان من يطلع على هذه القضية بتفاصيلها الموجودة بين الوثائق البريطانية التى افرج عنها منذ زمن قريب ، سوف يصل الى قناعة لاشك فيها من ان « كيتوش » الفتى الكينى ، رائد فلسفة ـ ورغم انفه ـ تقول بان المواطن الافريقى .. الذى حرم من كل انواع الحريات استطاع رغم الظروف ان يملك حرية واحدة فريدة .. هى حرية ان يغادر هذا العالم الظالم فى اى وقت وبمحض ارادته وبكل شموخ .. انه هو الذى ينوى الموت ويصر عليه فيتحقق ما نوى ودون امر ممن يملكون اصدار الأوامر . انها المرة الوحيدة الفريدة التى يستطيع فيها ـ مع سبق الاصرار ـ ان يفعل بنفسه ما يشاء .. وبيده لا بيد السيد الأبيض !!

الشعر ومستقبله

بقلم : الدكتور علي حسن تقي

هل غادر الشعراء من متردم ؟ هكذا تساءل عنترة بن شداد قبل اكثر من اربعة عشر قرنا ولم يكن قد مضى على الشعر العربى الا عشرات الأعوام . فماذا يمكننا أن نقول اليوم وقد مر عليه اكثر من الف وخمسمائة سنة . ثم ماذا يمكننا أن نقول اذا نظرنا الى الشعر العالمى كله منذ أسطورة كلكامش والالياذة وحتى يومنا هذا ؟ هل ترك الشعراء موضوعا لم يطرقوه ؟ ألم يستعمل الشعراء جميع الأساليب الممكنة ؟

إذن هل للشعر مستقبل ؟ أم أنه استوفى كل مواضيعه واساليبه ولم تعد هناك حاجة الى شعراء جدد ؟

إن ردنا على هذا التساؤل هو أن للشعر مستقبلا مشرقا وأن الحاجة الى الشعراء ستكون قائمة دائما كما كانت . فمن ناحية مواضيع الشعر فانها تتجدد يومياً مع تجدد الحياة وفى كل يوم يبرز لنا موضوع جديد أو يضاف شيء ما الى موضوع قائم بحيث لا يصل الموضوع إلى نهاية أو إلى اكتمال . فمن ناحية واحدة نجد أن العلم وابتكاراته واختراعاته واكتشافاته ليس لها حدود . ومن ناحية أخرى تتطور الفنون والاداب فى كل يوم وهذا يعطى للشعر مادة دسمة لا حدود لها .

وحتى لو قلنا ان هذه الابتكارات وهذه الاكتشافات لا تزيد فى مواضيع الشعر شيئاً كبيراً فان الشعراء الآن وفى المستقبل يمكنهم أن يطرقوا نفس المواضيع بأشكال مختلفة فيأتى شعرهم جميلا واصيلا . فلو افترضنا أن المواضيع محدودة وهذا امر خاطىء فان الاسلوب الذى يعالج به الشاعر موضوعه غير محدود لأن الأسلوب على اللغة واللغة محيط واسع لا نهاية له ولا حدود . ومن جهة اخرى فان الشاعر يستطيع ان يعتمد على حياته وتجربته وذلك امر ليس له حدود ايضا . فليس فى العالم منذ ابتداء الخليقة وحتى الآن شاعران لهما نفس التجربة والحياة . كل فرد يختلف عن الآخر فى حياته وفى مشاعره وتجاربه . وكل تجربة تستحق التسجيل وكل شعور هو حرى بأن يعبر عنه .

فى « رسالة الى شاعر شاب » ينصح "رينر ماريا ركلة" الشاعر بالرجوع الى طفولته والغوص فى تجاربه آنذاك للحصول على مادة للشعر . فكم هى غنية تلك الحقبة من حياة الانسان . نبع عميق ومعين لا ينضب هى تلك التجارب والذكريات . فلو غاص كل شاعر وغرف من ذلك النبع فان الشعر لن يعرف اية حدود .

يعتقد بعض الأدباء وغيرهم بأن هناك علاقة بين الشعر والرياضيات ، ونحن نوافق على هذا الرأى . على الأقل فى أمر واحد يهمنا . فالرياضيات تعتمد على الأرقام فهى تركب الأرقام فى معادلات وهذا التركيب وهذه المعادلات ليس لها نهاية . كذلك الشعر فانه يعتمد على الكلمات وتركيب الكلمات وتنسيقها ومعادلاتها ليس لها نهاية هى الأخرى .

إذن فان للشعر مستقبلا زاخرا . فالتطور العام للمجتمعات يفتح أمام الشعر آفاقا لا تحد ، والنفس البشرية بكل تعقيداتها وغناها تشكل معينا مستمرا للشعراء . فما تم اكتشافه فى العلوم حتى الآن لا يشكل الا شيئا بسيطا بالنسبة لما يحمله المستقبل والتطور فى العلاقات الانسانية وعلاقات المجتمعات بعضها ببعض ليست الا فى بداية الطريق .

فى كل يوم يكتشف الانسان ناحية جديدة من عالمه وكونه وفى كل يوم يتضح للانسان جانب جديد من حياته ونفسه مما يزيد الحياة إخصاباً وغنى . والانسان هو الشعر والشعر هو الانسان فما دام الانسان فى حركة دائبة ومتجددة فكذلك الشعر . لذلك فاننا لا نبالغ حين نعلن أن ما وصلنا إليه حتى الآن ليس نهاية وانما بداية وان امام الانسان وشعره مستقبلا غنيا سيزيد فيه ازدهاره وزخمه .

علي حسن تقي ــ باريس